المملكة العربية السعودية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

القاضي عياض اليحصبي

ومنهجه في

العقيـــــــــدة

بحث مقدم لنيل الدرجة العالمية العالية (الدكتوراة)

إعداد

غسان أحمد عبدالرحمن

إشراف

فضيلة الدكتور : محمد بن ربيع بن هادي المدخلي

الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

بالجامعة الإسلامية

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

لا مانع لدي من تصوير الباحثين
ما يحتاجون إليه من الرسالة
الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشكره سبحانه وأثني عليه بما هو أهله لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد والشكر كله حيث هداني للإسلام ومنّ عليّ بالايمان، ووفقني لطلب العلم الشرعي واختيار هذا الموضوع وتفضل عليّ بإتمامه وإكماله، فله الحمد أولا وآخراً، وإليه يعود الفضل والخير كله.

ثم إنه من الإعتراف بالجميل لأهله، وعملا بالأدب الإسلامي الرفيع بشكر المحسن على إحسانه، أرى من الواجب عليّ أن أتوجه بالشكر الجزيل وعظيم التقدير والإمتنان لكل من مدّ لي يد العون في إخراج هذا البحث المتواضع.

وأخص منهم بالذكر فضيلة شيخي وأستاذي المفضال، الدكتور محمدابن ربيع بن هادي المدخلي، الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة وكان له الفضل -بعد الله عزوجل- في إخراجها بهذه الصورة، والذي لم يدّخر جهداً في إبداء توجيهاته القيمة وملاحظاته السديدة، وقد فتح لي قلبه الرحب، ومنحني من وقته الكثير، وقد حظيت بنصحه وإرشاده وعلمه وتوجيهه، فالله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يبارك في وقته وعلمه، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

ثم أشكر فضيلة شيخنا الفاضل الدكتور عبد الله بن محمد الغنيمان رئيس قسم الدراسات العليا الذي أشار على أحد الزملاء في مرحلة الماجستير بكتابة هذا الموضوع فاعتذر لطوله وضيق المدة المتبقية له، فأشار به عليّ هذا الأخ الكريم وهو المجذوب العلوي مولاي الحسن، فاستحسنته وسارعت في تسجيله، خاصة وأنه صادف رغبة قديمة في نفسي لدراسة منهج هذا العالم الجليل (القاضي عياض)، نظراً لما سمعته وقرأته عنه من أن لديه بعض الأخطاء العقدية المخالفة للمنهج السلفي التي يحتج ويستدل بوجودها عنده فئاة من المبتدعة الضالين. وقد استفدت كثيراً من دراسة هذا الموضوع واتضحت لي الصورة الشاملة عن هذا العالم بما لم يكن يحصل -والله أعلم- لولا اختياري لمنهجه في العقيدة ليكون موضوع رسالتي الدكتوراه، فجزى الله كلا من الشيخ والزميل عني خير الجزاء.

كما لايفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الجامعة الإسلامية العريقة

التي أتشرف بالإنتساب إليها والنهل من معينها العذب العلم النافع المستمد من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، فجزى الله القائمين عليها والعاملين فيها كل خير على ما يبذلونه من جهود طيبة في سبيل الدعوة الإسلامية ورفع راية التوحيد، ولما يقدمونه لأبناء المسلمين من شتى أنحاء المعمورة من رعاية وتعليم ... وغير ذلك.

كما أشكر كلية الدعوة وأصول الدين التي درست فيها المرحلة الجامعية وانتسبت إلى أحد أقسامها ألا وهو قسم العقيدة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، وقد وجدت طيلة هذه المدة كل عناية وتقدير واحترام. فجزى الله المسئولين عن القسم والكلية والعاملين فيهما خير الجزاء وبارك في جهودهم ونفع بهم.

كما أتقدم بعظيم شكري وامتناني لجميع الأخوة والزملاء الذين تعاونوا معي في إنجاز هذا البحث بإعارة كتاب أو إسداء نصيحة أو غير ذلك، وأخص منهم بالذكر الأخوين الحبيبين شقيقي نصوح وأبي بكر الشهال، والله أسأل أن يتقبل من الجميع تعاونهم وأن يوفقنا وإياهم وإخواننا المسلمين إلى كل خير، وأن يرزقنا العلم النافع والفقه في الدين والإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمة

المقدمة

وتشتمل على:

١- أهمية علم التوحيد الذي نحن بصدده

٢- أسباب اختياري للموضوع

٣- خطة البحث

٤- منهجي في البحث

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون﴾(1).

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾(2).

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً: * يُصْلِحْ لكم أعمالكم ويُغْفِر لكم ذنوبكم ومن يُطِعَ الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾(3)

أما بعد:

فإن علم التوحيد وما يتعلق به من أمور العقيدة الإسلامية من أشرف العلوم وأجلها، لأنه العلم بالله تعالى وآياته وأسمائه وصفاته وحقوقه على عباده، وكذلك العلم بالنبوات وكل ما يتعلق بأمور الآخرة من بعث وجنة ونار... وغير ذلك.

وهذه المقاصد الثلاثة هي التي نزلت بها الكتب السماوية وأجمعت الرسل على الدعوة إليها. قال الله تعالى **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾**(4)، وقال أيضاً **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**(5)، وقال أيضاً مشيراً إلى إتفاق الرسل على إثبات اليوم الآخر **﴿وسِيقَ الذين كفروا إلى جهنم زُمَراً حتى إذا جاؤوها فُتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتَ ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حَقَّتْ كلمة العذاب على الكافرين﴾**(6) إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

---

1) سورة آل عمران آية ١٠٢.
2) سورة النساء آية ١.
3) سورة الاحزاب آية ٧٠-٧١.
4) سورة الانبياء آية ٢٥.
5) سورة النحل آية ٣٦.
6) سورة الزمر آية ٧١.

ولهذا أهتم علماء السلف قديماً وحديثاً بهذه الأمور وأوضحوها أكمل بيان وردوا على المخالفين للحق في ذلك من أصحاب الفرق الضالة المختلفة، مستدلين على ذلك بنصوص الكتاب والسنة وفقه الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم بإحسان.

ورغبة مني في السير على هذا الطريق الذي سلكه سلفنا الكرام، وأسوة بكثير من الزملاء الباحثين في مجال العقيدة الإسلامية، رأيت أن أقوم بدراسة علمية لمنهج أحد مشاهير علماء المسلمين في العقيدة، ألا وهو القاضي عياض، فاستخرت الله تعالى وشاورت في ذلك منهم استحساناً وتأييداً لهذا الموضوع، فعزمت أمري وتوكلت على الله وقدمت لتسجيل هذا الموضوع في قسم العقيدة للحصول على درجة الدكتوراه فتفضل مشكوراً بقبوله. وقد آثرت أن يكون عنوانه (القاضي عياض اليحصبي ومنهجه في العقيدة).

أسباب اختياري لهذا الموضوع

أما عن الدوافع التي حملتني على إختيار هذا البحث فتتمثل في الأمور الآتية:

١- أن القاضي عياض من أشهر علماء الأمة الإسلامية الذين كان لهم أثر كبير في خدمة وإثراء التراث الإسلامي.

٢- أن من أبرز الجوانب التي ساهم فيها أبو الفضل في إثراء مادتها وتحقيق ما كتبه فيها هو جانب العقيدة.

٣- رغبتي في إبراز الجوانب العقدية التي وافق فيها هذا العالم الجليل مذهب السلف، والتنبيه على ما وقع منه من مخالفة لهم في بعض المسائل لئلا يُقَلَّد ويقتدى به فيما أخطأ فيه، لما له من منزلة مرموقة وشهرة وفضل في قلوب المسلمين، لأن بيان ذلك -في نظري- من النصيحة لأئمة المسلمين إذا كان بأسلوب علمي موضوعي بعيد عن الإزدراء والإحتقار والسب، وهذا المنهج هو الذي سلكته بحمد الله في بحثي، وليس عيباً على العبد أن يخطيء ويُرَدَّ عليه، فالإنسان عرضة للخطأ وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ كما أثر ذلك عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله-.

٤- أنه لم يسبق أن كتب عن هذا العالم الجليل في مجال العقيدة على وجه شامل وبالطريقة التي أتبعتها فيما أعلم.

٥- رغبتي في إضافة هذا العمل المتواضع للمكتبة الإسلامية، لعل الله أن

ينفع به فيكون لي ذخراً بعد أن ألقى الله سبحانه وتعالى.
هذه هي أهم الأسباب التي دفعتني إلى إختيار هذا الموضوع.

خطة البحث

اشتمل البحث على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.
أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية علم التوحيد والأسباب التي حملتني على إختيار هذا الموضوع والمنهج الذي سرت عليه فيه.
أما الباب الأول: فقد خصصته للحديث عن حياة القاضي عياض والتعريف به وقسمته إلى خمسة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: عصر القاضي عياض وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الناحية السياسية
المبحث الثاني: الناحية الإجتماعية
المبحث الثالث: الناحية العلمية

الفصل الثاني: حياة القاضي عياض الشخصية وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: اسمه ونسبه
المبحث الثاني: كنيته ولقبه ونسبته
المبحث الثالث: مولده
المبحث الرابع: وفاته

الفصل الثالث: حياته العلمية وفيه مبحثان

المبحث الأول: تكوينه العلمي
المبحث الثاني: رحلته العلمية إلى الأندلس

الفصل الرابع: شيوخه وتلامذته وفيه مبحثان

المبحث الأول: شيوخه
المبحث الثاني: تلامذته

الفصل الخامس: مكانته العلمية ومؤلفاته وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

المبحث الثاني: مؤلفاته ودراسة الموجود منها

المبحث الثالث: مذهبه وعقيدته

أما **الباب الثاني** فقد كان بعنوان (**منهج القاضي عياض في توحيد الله عزوجل**).

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: تعريف التوحيد وبيان أنواعه والعلاقة فيما بينها،

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تعريف التوحيد لغة وشرعاً

المبحث الثاني: أنواع التوحيد

البمحث الثالث: العلاقة بين أنواع التوحيد

الفصل الثاني: منهج القاضي عياض في توحيد الربوبية

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية وبعض الأدلة عليه

المبحث الثاني: فطرية توحيد الربوبية وموقف المشركين منه

المبحث الثالث: منهج المتكلمين في الاستدلال على وجود الله وبطلانه

المبحث الرابع: منهج القاضي عياض في الاستدلال على وجود الله وعلاقته بمنهج المتكلمين

المبحث الخامس: منهج أهل السنة في الاستدلال على توحيد الربوبية وبعض الأدلة على ذلك

المبحث السادس: منهج القاضي عياض في الايمان بالقضار والقدر

الفصل الثالث: منهج القاضي عياض في توحيد الألوهية

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: تعريف توحيد الألوهية وتضمنه لأنواع التوحيد الأخرى

المبحث الثاني: مكانة توحيد الألوهية وعناية القاضي عياض به

المبحث الثالث: العبادة وذكر شيء من أنواعها

المبحث الرابع: التوسل وأنواعه وموقف القاضي عياض منه
المبحث الخامس: التبرك وأنواعه وموقف القاضي عياض منه

الفصل الرابع: منهج القاضي عياض في توحيد الأسماء والصفات
وفيه أربعة مباحث
المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلته وموقف الناس منه
المبحث الثاني: منهج السلف في توحيد الأسماء والصفات
المبحث الثالث: أسماء الله تعالى
المبحث الرابع: منهج القاضي عياض في صفات الله عزوجل

الفصل الخامس: منهج القاض عياض في التكفير ونواقض الإسلام
وفيه مبحثان
المبحث الأول: الشرك وأنواعه وكلام القاضي عياض عنه
المبحث الثاني: ذكر نماذج من الأمور الكفرية المخرجة من الإسلام التي تكلم عنها القاضي عياض
الباب الثالث: منهج القاضي عياض في قضايا الإيمان ومباحثه وما يتعلق به من مسائل
وفيه أربعة فصول
الفصل الأول: موقفه من مسمى الإيمان وما يتعلق به من مسائل
وفيه خمسة مباحث
المبحث الأول: تعريف الإيمان لغة وشرعاً
المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه
المبحث الثالث: العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام
المبحث الرابع: حكم الإستثناء في الإيمان
المبحث الخامس: حكم مرتكب الكبيرة

الفصل الثاني: منهجه في الإيمان بالنبوات
وفيه سبعة مباحث
المبحث الأول: تعريف النبوة والنبي والرسول والفرق بينهما
المبحث الثاني: حاجة البشر إلى النبوة

المبحث الثالث: حكم التفاضل بين الأنبياء والرسل وذكر بعض ما فضل به النبي ﷺ على سائر الأنبياء

المبحث الرابع: بعض صفات وخصائص الأنبياء والرسل عليهم السلام

المبحث الخامس: الايمان بنبوة محمد ﷺ وما يستلزم ذلك من أمور

المبحث السادس: من دلائل نبوته ﷺ

المبحث السابع: الايمان بالملائكة والكتب المنزلة

الفصل الثالث: منهجه في الإيمان بالمعاد واليوم الآخر ومقدماته

وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول: معنى الايمان بالمعاد وأدلته وتقرير القاضي عياض له

المبحث الثاني: الايمان بأشراط الساعة

المبحث الثالث: الايمان بعذاب القبر ونعيمه

المبحث الرابع: الايمان بالحشر والميزان والصراط والحوض

المبحث الخامس: الايمان بالشفاعة وأنواعها

المبحث السادس: الايمان بالجنة والنار وأنهما موجودتان مخلوقتان لاتفنيان

المبحث السابع: الايمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

الفصل الرابع: موقفه من الصوفية وبعض الفرق الأخرى — وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: محاربته لغلاة الصوفية

المبحث الثاني: تأثره بالصوفية [illegible]

المبحث الثالث: موقفه من المعتزلة والخوارج

المبحث الرابع: موقفه من المرجئة والجهمية

المبحث الخامس: موقفه من الرافضة والباطنية والفلاسفة

أما الخاتمة: فقد عرضت فيها ملخصاً موجزاً لأبراز النقاط التي توصلت إليها في هذا البحث

منهجي في البحث

أما عن المنهج الذي سلكته في إعداد هذا البحث فيتلخص فيما يلي:

أولا: قمت بجمع مؤلفات القاضي عياض -رحمه الله- المطبوعة والمخطوطة من طرق مختلفة، واستطعت بحمد الله الوصول على جميع مؤلفاته المطبوعة وعلى بعض الكتب المخطوطة التي تتعلق بالبحث.

ثانياً: حصرت مباحث العقيدة التي اشتملت عليها كتب القاضي عياض وذلك بعد قراءة جميع ما تيسر لي من كتبه وغيرها كشرح صحيح مسلم وفتح الباري، ثم جمعت الأقوال التي تتعلق بكل مبحث على حدة في بطاقات، وجعلت لها عنواناً يتناسب مع ما تدل عليه ليسهل التعامل معها.

ثالثاً: تناولت الحديث عن منهج القاضي عياض في كل مسألة من المسائل بالتفصيل الذي يتناسب مع المسألة مع ذكر موافقته لمنهج السلف أو عدمها ومناقشته فيما خالف حسب علمي وفهمي القليلين، مستدلا لما أقوله بنصوص الكتاب والسنة الثابتة وأقوال السلف الصالح المعتمدين، وليست مناقشتي للقاضي والرد عليه تعني انتقاصاً له أو التقليل من قدره ومكانته، لأنني إنما أنشد الحق وتبيين الصواب ورد الخطأ فقط دون تجريح، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ، إذ لاعصمة لأحد بعده عليه الصلاة والسلام

رابعاً: أحياناً أكرر الكلام الواحد للقاضي عياض في أكثر من موضع، وذلك لاشتماله على أكثر من مسألة من مسائل العقيدة ولعدم عثوري على غيره فاضطر إلى إعادة الكلام وتكراره

خامساً: اجتهدت أن لا أنسب رأياً أو قولاً أو مذهباً لأحد حتى آتي بما يدعم ما أقوله من كتب القوم أو من العلماء الثقات الذين نقلوا عنهم، وقد أشرت عند النقل من أي مرجع إلى مؤلفه ورقم الصفحة والجزء والطبعة -كما هو موضح في فهرس المراجع- هذا بالنسبة للمطبوعات، أما الكتب المخطوطة أو التي لم أرجع إليها بنفسي لعدم وجودها أو لصعوبة ذلك فقد أشرت إلى مؤلفها وإلى وجودها، علماً بأن المراجع التي لم أعد إليها للأسباب الآنفة الذكر هي قليلة جداً.

سادساً: قمت بعزو الآيات القرآنية الشريفة -وهي كثيرة جداً- الواردة في الرسالة إلى مواضعها في الكتاب الكريم بذكر السورة ورقم الآية.

سابعاً: قمت بتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها في كتب السنة المعتمدة بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث، مع الإشارة في الغالب إلى درجة الحديث من خلال أقوال المحدثين إذا كان الحديث في غير الصحيحين أو أحدهما، لأن مجرد وروده فيهما أو في أحدهما مؤذن بالصحة، وقد اكتفيت في كثير من الأحيان عند تخريجي للأحاديث بتخريجها من الصحيحين فقط إذا وردت في غيرهما وذلك لإطباق الأمة على الأخذ بما ورد فيهما ولأن المقصود يتم بذلك.

ثامناً: اجتهدت في بيان معنى الألفاظ والعبارات والمصطلحات الغريبة أو الصعبة الفهم الواردة في الرسالة بذكر معانيها، مستعيناً بذلك بكتب الغريب والمعاجم واللغة وشروح كتب السنن.

تاسعاً: علقت في الهامش أحياناً على مارأيت أنه يحتاج إلى تعليق أو

توضيح.

عاشراً: عرّفت بالفرق والطوائف التي ورد ذكرها في الرسالة تعريفاً موجزاً، كما عرفت بالأماكن الغير مشهورة، أما المعروفة المشهورة كمكة والمدينة فقد تركت التعريف بها لعدم الحاجة لذلك.

حادي عشر: ترجمت لكل الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة، سواء كانوا مشهورين أم لا، وقد حملتني على هذا الأمر سببان:

الأول: أن الشهرة نسبية فما كان مشهوراً عند قوم أو في بلد، فهو عند آخرين ليس كذلك.

الثاني: رغبتي في ذكر بعض مآثر وفضائل المترجم لهم ليتشجع العبد على الإقتداء بهم إن كانوا على منهج سليم، وهو الغالب في المترجم لهم كما قال الشاعر

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بمعرفة فضائلهم ومآثرهم، أما الذين ليسوا بأهل للإقتداء بهم فقد حملني على ذلك رغبتي في بيان ما عندهم من خطأ وضلال ليتجنبه العبد.

ثاني عشر: انهيت البحث بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

ثالث عشر: قمت بوضع فهارس علمية عامة لهذا البحث ليسهل الإنتفاع به والإستفادة منه بيسر وسهولة، وهي تشمل:

١- فهرس الآيات القرآنية	مرتباً حسب سور القرآن الكريم
٢- فهرس الأحاديث النبوية	مرتباً حسب الحروف الهجائية
٣- فهرس الآثار	مرتباً حسب الحروف الهجائية
٤- فهرس الأعلام	مرتباً حسب الحروف الهجائية
٥- فهرس الفرق والطوائف	مرتباً حسب الحروف الهجائية
٦- فهرس القبائل والأماكن	مرتباً حسب الحروف الهجائية
٧-فهرس المصطلحات	مرتباً حسب الحروف الهجائية
٨- فهرس الشعر	مرتباً حسب القافية
٩- فهرس المراجع والمصادر	مرتباً حسب الحروف الهجائية

١٠- فهرس الموضوعات

وبعد: فقد بذلت في هذا البحث قصارى جهدي وذكرت فيه مبلغ علمي، فإن أصبت في شيء منه فهو من محض فضل الله عليّ وإحسانه إليّ، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله بريئان من ذلك وأستغفر الله وأتوب إليه.

وفي الختام أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفع بهذا البحث وأن يغفر لي خطيئتي يوم الدين، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب الأول
(في حياة القاضي عياض والتعريف به)

وفيه خمسة فصول .

الفصل الأول : عصر القاضي عياض ، وفيه ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : الناحية السياسية
المبحث الثاني : الناحية الإجتماعية
المبحث الثالث : الناحية العلمية

الفصل الثاني : حياة القاضي عياض الشخصية ، وفيه أربعة مباحث :
المبحث الأول : اسمه ونسبه
المبحث الثاني : كنيته ولقبه ونسبته
المبحث الثالث : مولده
المبحث الرابع : وفاته

الفصل الثالث : حياته العلمية ، وفيه مبحثان :
المبحث الأول : تكوينه العلمي
المبحث الثاني : رحلته العلمية إلى الأندلس

الفصل الرابع : شيوخه وتلامذته ، وفيه مبحثان :
المبحث الأول : شيوخه
المبحث الثاني : تلامذته

الفصل الخامس : مكانته العلمية ومؤلفاته ، وفيه ثلاثة مباحث:
المبحث الأول : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه
المبحث الثاني : مؤلفاته ودراسة الموجود منها
المبحث الثالث : مذهبه وعقيدته

الفصل الأول

(عصر القاضي عياض) وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الناحية السياسية

المبحث الثاني : الناحية الإجتماعية

المبحث الثالث : الناحية العلمية

تمهيد : أرى من الضروري أن أقدم بين يدي دراستي للقاضي عياض، ذلكم الإمام الحبر العلامة وأحد الأفذاذ من علمائنا، والذي خدم العلم وطلابه خدمة عظيمة بمؤلفاته النفيسة، فذاع صيته مشرقاً ومغرباً،

وكان له باع طويل في حفظ تراثنا الإسلامي المجيد. وحيث قدّر لي أن يكون هذا الشيخ مجال بحثي رأيت من الأهمية بمكان - وكما جرت بذلك عادة الباحثين - أن أقدم دراسة للظروف التي أحاطت بهذه الشخصية وللبيئة التي ترعرع فيها. لأنه قد ثبت أن لذلك دخلا كبيراً ودوراً فعالا في تكييف ونبوغ الإنسان. لأن المرء يتكون ويبرز متأثراً بالبيئة التي هو فيها، ولايلزم من هذا التأثير أن يتجاوب مع العصر تجاوباً تاماً بحيث لايختلف مع مافيه، لأن التأثير قد يكون بمخالفة الغير، إذ إن البيئات تختلف بالنسبة للأشخاص الموجودين في عصر واحد. فللتربية التي يتلقاها المرء في بيته ومدرسته وعلى يد مشايخه والكتب التي يقرؤها كما للأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية القائمة في عصره، كل ذلك عناصر هامة في تكوين الشخصية وتعيين إتجاهاتها. لذا كان لزاماً عليّ وأنا أدرس شخصية إسلامية مهمة - كشخصية القاضي عياض - أن أعطي القارئ الكريم نبذة موجزة عن عصره من نواحيه المختلفة السياسية والاجتماعية والعلمية، وأبتدئ الحديث أولا عن الناحية السياسية.

المبحث الأول : (الناحية السياسية)

عاش القاضي - رحمه الله - في الفترة الواقعة ما بين عام أربعمائة وستة وسبعين (٤٧٦ هـ) حيث كانت ولادته ، وخمسمائة وأربعة وأربعين (٥٤٤ هـ) حيث كانت وفاته .

ومعنى ذلك أنه قد عاش في العصر العباسي الثاني حيث ضعف كيان الدولة الإسلامية وتفكك سلطانها بسبب كثرة الطامعين في السلطة من الأعداء ولاسيما الباطنية أعداء الإسلام، وبسبب تسلط الغلمان والنساء على شؤون الخلافة مما زاد في طمع الطامعين في تمزيق الخلافة الإسلامية.

وقد أدى هذا الضعف والتفكك في الدولة العباسية إلى ظهور قادة وطامعين في مختلف أرجائها، كان هدف كل منهم إنشاء كيان أو دولة مستقلة تطمع في التوسع على حساب غيرها من الدويلات بالإستيلاء عليها، وهذا ما حدث بالفعل.

١:- فقد كان من ناحية المغرب ببلاد الأندلس والمغرب الأقصى دولتا المرابطين (٤٤٥ - ٥٤١ هـ) والموحدين (٥١٥ - ٦٦٨ هـ)(١)وقد عاصر القاضي عياض - رحمه الله - كلا الدولتين - بإعتباره مغربياً - وكان له موقف منهما -، كما سيأتي الحديث -فكان للأولى موالياً وللثانية معادياً. كما كان أيضاً في ناحية المشرق عدة دول .

٢:- فكان في مصر دولة العبيديين (الفاطميين) (٥٢٤ - ٥٤٩ هـ) .

٣:- وباليمن دولتان واحدة بزبيد هي الدولة النجاحية (٤٩٨- ٥١٧ هـ) وأخرى بصنعاء هي الدولة الهمدانية (٥٠٢ - ٥١٠ هـ) .

٤:- وما عدا ذلك من البلاد الإسلامية فهو محكوم بالدولة السلجوقية (٤٢٩ - ٥٢٢ هـ(٢)) فمعنى ذلك أن عصر القاضي عياض -رحمه الله - تميز بكثرة الدويلات المتناحرة والمنفصلة عن سلطان الخلافة العباسية. والذي يعنينا ويهمنا من هذه الدول هما دولتا المرابطين والموحدين نظراً لالتصاق القاضي -رحمه الله - بهما ومعايشته لهما وتأثره بهما، باعتباره كان تحت نفوذهما وفي حكمهما حيث إنه سبتي مغربي ، وسأتكلم عن كل دولة بشيئ من التفصيل لما لذلك من الأهمية .

---

١) انظر تاريخ ابن خلدون ، ١٨٢/٦- ٢٢٥، والكامل لابن الاثير ، ٦١٨/٦، ٥٦٩/١٠، وعصر المرابطين والموحدين لمحمد عنان ، ٢٥/١ وما بعدها ، ٢٦/٢ وما بعدها .

٢) راجع تاريخ الدولة العباسية لمحمد الخضري ص٤٣٠.

١:- دولة المرابطين (٤٤٥ - ٥٤١ هـ) :

قامت هذه الدولة في الصحراء المغربية على يد فقيه له باع في كثير من العلوم ذلكم هو الشيخ عبد الله بن ياسين الجَزُولِي(١) المتوفى سنة (٤٥١ هـ) والذي قادها على أسس شرعية وقد بدأ أول أمره بمجاهدة قبائل البربر الذين ارتد كثير منهم وتركوا أحكام الدين وفروضه وكثيراً من معتقداته ، وسرعان ما توسعت هذه الدولة وعظم سلطانها واستطاعت أن تسيطر على المغرب الأوسط والأقصى ومن ثم بلاد الأندلس ، ولما توفى الشيخ الجزولي أخذت الدولة تبتعد شيئاً فشيئاً عن الجادة والحق إذ أخذ السلطان والحكم بالتدرج من أيدي العلماء ليتسلمه أهل السياسة والأطماع الدنيوية، وبالتالي بدأ الظلم والإستبداد وسفك الدماء وانتهاك الحرمات يدب في الدولة، فبدأ الإنحراف والإبتعاد تدريجياً عن تعاليم الشريعة فكان ذلك سبباً في اندثارها وانهيار سلطانها(٢) - وهذه سنة الله في خلقه - .

وقد أيد العلماء - ومنهم القاضي عياض - هذه الدولة وساندوها بسبب تمسك حكامها بالدين وقيامهم به وتطبيقهم للشريعة وحكمهم بالعدل - وخاصة في عهودها الأولى - وتعظيمهم لأحكام الشريعة وحزمهم في تنفيذها، واحترامهم للفقهاء وأهل العلم والاصغاء إليهم، وتلبية رغباتهم الشرعية وتنفيذ ما يأمرون به حماية للدين، ولكون هذه الدولة أيضاً تتبنى مذهب الإمام مالك في أحكامها.

وسأضرب مثالا على إحترام قادة هذه الدولة للعلماء وتبجيلهم لهم ، فقد ذكر أحد معاصري القاضي عياض - وهو الفتح بن خاقان(٣)- الرسالة التي كتبها

---

١) هو الشيخ عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي المصمودي الزعيم الأول للمرابطين،كان من طلبة العلم في دار أنشئت بالسوس فرأى البدع فاشية فاشتد في إنكارها وإقامة حدود الشرع فيها، فتبعه جماعة زهاء الألف فسماهم (المرابطين) فأخضع بهم قبائل صنهاجة، ثم خرج من الصحراء بعد أن كثر أتباعه فاستولى على بلاد المغرب والأندلس بعد وقائع كثيرة وقد أصيب فيها، وفي سنة (٤٥١) قتله مجوسي برغواطة ، انظر ترجمته ، الاستقصاء ٢/٧-١٨ والأعلام ١٤٤/٤.

٢) انظر : المغرب الكبير للصديق بن العربي ، ٦٩٠/٢، وتاريخ ابن خلدون، ١٨٢/٦، والكامل لابن الأثير، ٦١٨/٩، والاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصا، ٣/٢، وعصر المرابطين والموحدين في الاندلس لمحمد عبد الله عنان، ٢٥/١.

٣) هو أبو نصر، الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي، أديب كبير من أذكياء الرجال كان كثير الترحال لعاباً خليع العذار، فأمر الملك علي بن يوسف بن تاشفين بقتله فقتل سنة (٥٣٥ وقيل ٥٢٩ هجرية) وقيل غير ذلك، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠٧/٢٠ وشذرات الذهب ١٠٧/٤.

أمير دولة المرابطين على بن يوسف بن تاشفين[1] (المتوفى سنة ٥٣٧ هـ) إلى قاضي الجماعة بقرطبة في شأن القاضي عياض عندما عزم على الرحلة إلى الأندلس ومماجاء فيها (... وفلان (يعني عياضاً) أعزه الله بتقواه وأعانه على مانواه، ممن له في العلم حظ وافر ووجه سافر،وعنده دواوينُ أغفال لم تُفْتَح لها على الشيوخ أقفال، وقصد تلك الحضرة ليقيم أوْدَ متونها ويعاني رمد عيونها، وله إلينا ماتّة[2] مرعية أوجبت الإشارة بذكره والإعتناء بأمره ، وله عندنا مكانة حَفية تقتضي مخاطبتك بخبره وإنها ضَك إلى قضاء وطَرَه ، وأنت إن شاء الله تسدّد عمله وتقرِّب أمله وتصل أسباب العون له ، إن شاء الله)[3] .

وهذه الرسالة دالة أيضاً على مكانة القاضي - رحمه الله - ووجاهته لدي سلطان الدولة وشدة إهتمامه به.

وهنا تنبغي الإشارة إلى أن تأييد العلماء لهذه الدولة لم يكن على إطلاقه بحيث تدخله المداهنة وَالمصانعة، بل كان مرتبطاً بمدى إلتزامها لجانب الحق وتطبيق الشرع وإقامة العدل بين الرعية ، فكانوا يأمرون وينهون الحكام إذا رأوا ما يخالف الشرع مع بيان الحق فيه[4].

من ذلك ما فعله القاضي عياض - رحمه الله - أيام قضائه بغَرناطة[5] من التضييق على أصحاب تاشفين بن علي[6] وصدهم عن الباطل وإيقافهم عن الظلم مما سبّب فصله عن القضاء بها[7].

وقد خالف حكام هذه الدولة في عهودها الأخيرة أسلافهم، فسلطوا ظلمهم

---

١) هو السلطان أمير المسلمين بالمغرب البربري وأمير المرابطين ، تولى بعد أبيه الملك سنة ٥٠٠ هـ، وكان مجاهداً عادلا صالحاً معظماً للعلماء مشاوراً لهم، حارب علم الكلام والتصوف والفلسفة ونشر الفقه والعلم والكتب، لكنه أبتلي بنواب ظلمة ، توفي (٥٣٧ هـ)، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٢٤/٢٠ ،وتاريخ ابن خلدون، ١٨٨/٦-١٨٩، والإستقصا ٦١/٢،٦٩.

٢) أي: حُرْمَة وقرابة ، انظر القاموس المحيط ، ص ٢٠٥، والمعجم الوسيط ، ٨٥٢/٢.

٣) قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، للفتح بن خاقان ، ص ١١١.

٤) انظر الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا ، ٥٧/٢،٥٨.

٥) غَرْناطة بفتح أولها وسكون ثانيها هي أقدم مدن كَوْرة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها ، معجم البلدان، ١٩٥/٤.

٦) هو تاشفين بن السلطان الصالح علي بن يوسف بن تاشفين ، ولي الحكم بعد أبيه وحاول توطيد ملكه فحارب الموحدين زمناً طويلا، لكنه فشل بسبب ظلم رجاله للرعية وتفكك مملكته، وقد قتل منهزماً في معاركه مع الموحدين (سنة ٥٣٩ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ١٢٥/٢٠، والكامل لابن الأثير ، ٥٧٩/١٠،٥٨٠ و١٠٢/١١.

٧) انظر كتاب الغنية للقاضي عياض ص ٦، والتعريف بالقاضي عياض لابنه محمد ص ١١.

على الرعية وخاصة على أهل الأندلس، مما جعل البلاد تثور عليهم بقيادة مجموعة من علمائها فبدأ الضعف يعتريها وأخذ سلطانها يتقلص إلى أن قضي عليها سنة (٥٤١ هـ) وحلت محلها دولة الموحدين .

٢:- دولة الموحدين (٥١٥ - ٦٦٨ هـ(١))

أسس هذه الدولة أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف (بابن تُومَرت)(٢) والملقب بعد قيام الدولة (بالمهدي إمام الموحدين) وهو بربري من قبيلة (مَصْمُودَة) المشهورة بالبأس ووفرة العدد ، وكان مستقرهم في جبال درن ببلاد المغرب(٣) ، وقد طلب العلم بالأندلس وأفريقية والمشرق ، ثم عاد إلى المغرب وقد انتهج طريقة تغير المنكر فاجتمع له أتباع ومؤيدون كثيرون فادعى أنه المهدي المنتظر فبايعوه على ذلك سنة (٥١٥ هـ) فسماهم (الموحدين) تبرأة لهم من الكفر والشرك -حسب زعمه - وتعريضاً بمن لم يتبعه .

وقد عمل على تأسيس دولته بكل سبيل وحيلة ، حيث قام بتنظيم أتباعه تنظيماً خاصاً، وقسمَهم إلى طبقات ووزّع عليهم الوظائف والمهمات ، ومن ثم بدأ مرحلة القتال لتثبيت دعائم ملكه، فحارب القبائل المغربية حتى استولى عليها ، ثم بدأ حربه ضد دولة المرابطين ومكره بها حتى تمكن من اقتطاع جزء كبير منها ، ولما توفي سنة (٥٢٤ هجرية) استطاع خلفاؤه أن يسيطروا على ما تبقى من دولة المرابطين ويقضوا عليها، وقد امتد حكمهم ونفوذهم حتى وصل المغربَين الأوسط والأقصى والأندلس وبلاد أفريقيا .

ولقد قامت هذه الدولة على أسس باطلة شرعاً وصاحب ظهورَها جملةٌ من الأمور المخالفة للدين الإسلامي الحنيف ، مما حدا بعلماء المغرب والأندلس إلى معاداتها وإظهار البراءة منها وقيادة الناس للثورة ضدها، حتى تمكن حكامها من إرغامهم على الطاعة لهم .

وإليك بعض الأسس الباطلة والمخالفات للشريعة التي قامت عليها هذه الدولة(٤):

١:- عمل ابن تومرت جاهداً لتثبيت دعوته وحكمه وقد استعمل لذلك كثيراً من

---

١) انظر تاريخ ابن خلدون ، ٢٢٥/٦، والكامل لابن الأثير ٥٦٩/١٠، والإستقصا ، ٧٦/٢، وعصر المرابطين والموحدين ، ٢٦/٢.

٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٢١٨/١٩.

٣) انظر معجم البلدان ، ٤٥٢/٢.

٤) انظر دورة القاضي عياض ، ٢٣٥/٢.

المكر والكيد والخداع والحيلة ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها ما اتفقت عليها المصادر(١) من أنه تواطأ قبل ظهور أمره مع رجل فصيح اللسان على أن يخفى ذلك عن الناس ، ويُظهر الخرس والغفلة حتى حين ، فلما تمت البيعة لهذا الدجال- ابن تومرت - وأراد التخلص ممن لم يتبعه قام هذا الرجل -والمسمى بأبي محمد البشير - ذات يوم بعد صلاة الفجر وتكلم في الناس بلسان فصيح وبشرهم بإمامة ابن تومرت وأخبرهم أنه هو المهدي المنتظر ثم ميّز - بإيعاز من سيدة الضال - بين أهل السعادة والشقاوة، فقام ابن تومرت بقتل مَن لم يصدق دعوته بحجة أنه من أهل الشقاوة .

٢:- أدعى ابن تومرت العصمة والإمامة وزعم أنه المهدي المنتظر وأنه مأمور بنوع من الوحي والإلهام .

٣:- حصر الإيمان في أتباعه ومؤيديه، وزعم أنهم الطائفة المنصورة التي على الحق، وكفّر من عاداهم واستحل دماءهم ونساءهم وأموالهم .

٤:- ادعَى العلم بالمغيَّبات .

٥:- وضع لأتباعه كتاباً في التوحيد جُلّه على طريقة المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم وخلطه ببعض عقائد الشيعة والخوارج، وقد فرض عليهم حفظه وكفّر من لم يحفظه، فصار عندهم كالقرآن الكريم عند المسلمين .

٦:- أبطل مذاهب الأئمة والتفقه فيها، وسخر بالفقهاء والعلماء وقتل عدداً منهم، وأنكر حجية القياس وحجية أخبار الآحاد.

٧:- زاد في أذان صلاة الفجر (أصْبَحَ ولله الحمد) ، إلى غير ذلك من الأمور المنكرة والعقائد الدخيلة الباطلة، والتي قامت عليها دولة الموحدين والتي كانت السبب في معارضة العلماء لها ورفضهم الإنصياع لأوامرها أو الاعتراف بشرعيتها. وقد كان القاضي عياض من أبرز وأشجع العلماء ضد هذه الدولة. أما ما ذكره ولده محمد(٢) عنه(٣) من (أنه بادر بالمسابقة إلى

---

١) انظر تاريخ ابن خلدون ، ٢٢٥/٦، والكامل لابن الأثير ، ٥٦٩/١٠، ٥٧٠، وعصر المرابطين والموحدين ، ٢٦/٢، ومابعدها.

٢) هو أبو عبد الله، محمد بن القاضي عياض بن موسى اليحصبي، قاضي كأبيه تتلمذ على أبيه وعلى ابن بشكوال وبرع في الفقه المالكي، ولي قضاء دانية وغرناطة وناله بلاء وامتحان من دولة الموحدين، كان حميد السيرة نزيهاً متواضعاً له مشاركة في الأدب والأخبار توفي سنة (٥٧٥ هـ) على الصحيح انظر وفيات الأعيان ٤٨٥/٣ والاعلام ٣٢١/٦ ومقدمة كتاب التعريف بالقاضي عياض ص ٢-٢٢.

٣) انظر التعريف بالقاضي عياض ص ١٣.

الدخول في نظام الموحدين والإعتصام بحبلهم المتين) فذلك مما خالف فيه ما اتفقت عليه بقية المصادر[1] والسبب في ذلك واضح حيث أن الرجل كتب هذا الكتاب في عهد الموحدين فخشي بطشهم فلم يكن بإستطاعته أن يكتب حقيقة الحال، فإنه في سنة (٥٣٤ هـ) وصلت جيوش الموحدين مدينة سبته موطن الشيخ المجاهد عياض بقيادة عبد المؤمن بن علي[2] خليفة ابن تومرت، فما كان من القاضي - رحمه الله - إلا أن جهّز جيشاً من مدينته وقادهم بنفسه ودحر المعتدين وصدهم عنها. يقول ابن خلدون[3]- رحمه الله - (واستمر عبد المؤمن على حاله - أي من قتال مخالفيه - فنازل سبته فامتنعت عليه، وتولى كبر دفاعه عنها القاضي عياض الشهير الذكر الذي كان رئيسها يومئذ بدينه وأبُوّته ومنصبه، ولذلك سخطته الدولة آخر الأيام حتى مات مغرباً عن سبته)[4].

ولما استولت دولة الموحدين على مختلف مدن المغرب واستتب لهم الأمر اضطر أهل سبته لمبايعتهم والدخول في طاعتهم على مضض -بمن فيهم القاضي عياض- الذي لم يجد بُداً من ذلك حرصاً منه على أرواح المسلمين، بعد أن سيطرت هذه الدولة على كافة البلاد.

ولكن بعد فترة من الزمن وجد أهل المغرب فرصة لكي ينقضوا بيعتهم مع هذه الدولة فثاروا على ولاتها وكان في مقدمة هؤلاء أهل سبته بقيادة القاضي عياض وذلك في سنة (٥٤٢ هـ) فقتلوا عامل الدولة لديهم وعمّت الفوض، وأفلت الزمام من يد القاضي فوصل الأمر إلى أن أحرق العامة رجال الدولة بالنار، وعندها بدأ عبد المؤمن حملته للإنتقام من الناكثين للبيعة، فسعى في مختلف بلاد المغرب الفساد وبالغ في القتل، عند ذلك رأى أهل سبته أنه من الحكمة

---

١) انظر تاريخ ابن خلدون، ٢٣٠/٦، وما بعدها، الكامل لابن الأثير، ٥٦٩/١٠،٥٧٠، وعصر المرابطين والموحدين، ٢٦/٢.

٢) هو عبد المؤمن بن علي بن علوي الكوفي القيسي،طلب العلم وتفقه على ابن تومرت ولازمه وكان من أخص مقربيه، وقد عينه خليفة بعده قبل وفاته وأخذ له مبايعة الموحدين بذلك، وقد ثبت حكمه بالسيف وعظمت في عهده دعوة إمامه ودولته. توفي سنة ٥٥٨ هجرية وقيل ٥٥٧ هجرية بعد أن عين ابنه محمداً خليفة بعده، انظر سير أعلام النبلاء ٣٦٦/٢٠، وتاريخ ابن خلدون ٢٢٩/٦.

٣) هو ولي الدين أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الامام والعالم الإجتماعي المؤرخ الشهير، اشتهر بذكائه وآرائه الاجتماعية الصائبة التي استفاد منها القاصي والداني، ولد سنة (٧٣٢ هـ) وتوفي بالقاهرة سنة (٨٠٨ هـ)، انظر ترجمته في الضوء اللامع، ١٤٥/٤،١٤٩، وجذوة الإقتباس، ٤١٠/٢-٤١٣.

٤) تاريخ ابن خلدون، ٢٣٠/٦، وانظر سير أعلام النبلاء، ٢١٧/٢٠، الغنية، ص ٧.

إرسال وفد يعلن البيعة له قبل وصول الشر إليهم ، وقد كان القاضي -رحمه الله- رئيس هذا الوفد ، فعفا عبد المؤمن عن أهل سبته وأمر بهدم سورها فهدم ، لكنه منع القاضي من العودة لمدينتة وأمره بملازمته حتى لايقود أهل بلده ضد دولته مرة أخرى ، ومن ثَمَّ نُفي - رحمه الله - في قرية نائية ليتولى قضائها ، وانتهى الأمر بقتله بالرماح خوفاً من قيادته المعارضة لهذه الدولة مرة أخرى ولكونه أنكر عصمة ابن تومرت ، كما ذكر ذلك بعض المؤرخين(١) كما سيأتي عند ذكر وفاته إن شاء الله .رحم الله هذا الإمام المجاهد الذي ترجم علمه إلى عمل، فضحّى بنفسه في سبيل الله لإقامة هذا الدين ومحاربة المبتدعين والمضلين ، والذي لم تفتنه المناصب الدنيوية ولا الأطماع الشخصية عن قول الحق ومجاهدة الباطل مهما كلف ذلك من ثمن ، وما أحوج أمتنا اليوم للعلماء الربانيين العاملين بعلمهم ليكونوا مصابيح هدى ونوراً يستضاء به على نهج الكتاب والسنة ، في زَمن كثرت فيه الفتن ، وعظم فيه الشر، وقلّ المصلحون وكثر الهالكون والمضلون وأدعياء العلم(٢) ، -والله المستعان- وهو سبحانه المأمول والمرجو في تغيير حالنا وإصطلاح قلوبنا وأعمالنا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المبحث الثاني : (الناحية الإجتماعية)

لقد أتضح فيما سبق أن الحالة السياسية في تلك الحقبة - التي عاصرها القاضي عياض - رحمه الله - كانت صعبة حيث وافق ضعف الدولة العباسية وتفككها مما أدى إلى قيام الدويلات المتحاربة هنا وهناك ؛ فليس لنا أن نتصور الحالة الإجتماعية طيبة ثابتة في مثل هذه الظروف السيئة ، لأنه من المعلوم - بداهة - أن عدم الإستقرار السياسي سينعكس سلباً على الناحية الإجتماعية ؛ فالحروب والمشاكل والنزاعات تؤدي إلى زعزعة الأمن ونشر الخوف والرعب في قلوب العباد، وبالتالي تقضي على موارد البلاد واقتصادها وتشجع على إشاعة الفوضى في شتى ميادين الحياة .

---

١) انظر سير أعلام النبلاء ، ٢١٧/٢٠، وتاريخ ابن خلدون ، ٢٣٠/٦، والاستقصاء ، ١١١/٢.

٢) أحب أن أنبه في هذا المقام إلى أنه لابد من الحكمة والتعقل في نصيحة ومجاهدة الحكام الظالمين في أي زمان وجدوا ، وأن يكون ذلك بقيادة وإشارة العلماء الربانيين وأهل العقيدة الصحيحة الراسخين في العلم والمتعقلين الذين يقدرون عواقب الامور، ويحرصون على دماء المسلمين ومصالحهم ، وأن يتجنب السير خلف المتهورين والعاطفيين والوصولين من أدعياء العلم والقيادة والتاريخ خير شاهد على ما أقول.

وهذا ماحدث بالفعل في تلك الفترة التي عاشها القاضي عياض - رحمه الله - بدأ بأواخر دولة المرابطين، عندما بدأ قادة الدولة ورجالاتها بالإنحراف عن الأسس الصحيحة التي قامت عليها دولتهم - بادئ أمرها - فأصبح أكبر هم كثير منهم تحقيق مآربهم الشخصية وأطماعهم الدنيوية، ولو كان ذلك على حساب الدين والعباد ، ولو أدى إلى ظلم الخلق وسفك دمائهم وأخذ أموالهم .

وقد مر معنا كيف أن القاضي عياض تعرض هو نفسه لمثل هذا الإضطهاد حينما أنكر على ولاة الأمر مثل هذه الأفعال المنكرة القبيحة(١) ، ولم تكن الحال في عهد الموحدين أسعد حظاً مما آلت إليه أواخر الدولة المرابطية، إذ إن هذه الدولة - الموحدين - إنما قامت على الإستبداد والظلم والقتل والخرافة فكان هَمُّ قادتها نشر مبادئهم المسمومة ، وحمل الناس عليها ، وتوسيع رقعة حكمهم بأي وسيلة من الوسائل ومهما كانت النتائج .

ومن الطبيعي في مجتمع مسلم يدين بعقيدة التوحيد ويتحاكم للشريعة السمحة أن يرفض حكماً ظالماً بعيداً عن الإسلام كل البعد، أو أن يدين له ، وقد كانت نتيجة هذا الرفض وخيمة عليه كما ذكر المؤرخون(٢) لأن ابن تومرت - مؤسس دولة الموحدين - قام بقتل عدد كبير من العلماء المسلمين أمام الملأ وأخذ يستخف بهم ويفتك بالناس سجناً وضرباً وقتلا وينتهك للأعراض، وقد تبعه على ذلك خلفاؤه فأصبح الناس أذلة مقهورين تحت حكمهم ، فلا حياة في المجتمع لمن ينكر عليهم ظلمهم وأباطيلهم، ففشا نتيجة لذلك الجهل والخرافة وضعف الوازع الديني بين الناس واختلت بلاد الأندلس وظهر فيهـــا المنـــكر(٣) ، كما انتشر الفقر في عامة الشعب لأن الأموال بأيدي الحكام الظالمين وأذنابهم ، وقد صاحب ذلك غلاء في المعيشة شديد، كان له أثر بالغ على حياة الناس ، هذا في المغرب الإسلامي.

أما في المشرق الإسلامي ، فلم تكن الحياة الإجتماعية فيه مرضية أيضاً بسبب التطاحن والتقاتل فيما بين الدويلات المختلفة والمتعددة والذي أدى إلى قتل وتشريد وإضطهاد خلق كثير من الناس وسبّب ركوداً إقتصادياً وخسائر مادية فادحة ، وذلك بسبب ضعف الخلافة العباسية وغياب نفوذها في تلك الفترة،

---

١) انظر الغنية ص ٦، والتعريف بالقاضي عياض ص ١١ وسير أعلام النبلاء ١٢٥/٢٠.

٢) انظر تاريخ ابن خلدون ، ٢٣١/٦، والكامل لابن الأثير ، ٥٦٩/١٠، ٥٧٠، والاستقصا ، ٢١١/٢-٢١٤، وعصر المرابطين والموحدين ، ٢٣٠/٢-٢٤٠.

٣) انظر سير أعلام النبلاء ، ١٢٥/٢٠، ٣٧١.

حيث كان الخليفة ألعوبة بأيدي السلاطين والغلمان تنتهي مدته بالقتل أو بالخلع أو غير ذلك ولا سلطة له حقيقة(١) ،

وخلاصة القول : إننا إذا استعرضنا صفحات التاريخ لتلك الحقبة من الزمن التي عاشها القاضي عياض - رحمه الله - نستنتج أنه قد عاش عصر إضطرابات ودويلات متناحرة في ظل خلافة ضعيفة لاتقوى على حماية نفسها ، وقد سبب ذلك وضعاً إجتماعياً متدهوراً، فهي فترة عصيبة اتسمت حياة أهلها الإجتماعية بنحو ما كانت عليه من الناحية السياسية التي انعكست أحداثها الأليمة على الوضع الإجتماعي ، غير أن الناحية العلمية كانت على العكس من ذلك في الحالتين السالفتين كما سنرى في المبحث التالي .

المبحث الثالث : (الناحية العلمية)

على الرغم من الظروف السياسية والإجتماعية الصعبة التي سادت عصر القاضي عياض - رحمه الله - ، إلا أن الناحية العلمية كانت بخلاف ذلك .

فإن سوء الناحيتين السالفتين ، لم يكن له أثر سلبي على الناحية الثقافية، فقد شهدت تلك الحقبة من الزمن نشاطاً علمياً هائلا ، وعرفت بأنها من أزهى عصور الإسلام الثقافية في مختلف بقاعه ، حيث عاش فيها عدد ضخم من رواد العلم والثقافة ، ففيها وجد عدد كبير من أئمة المحدثين والقراء، وجهابذة المفسرين والعلماء ، وأساطين الأدباء واللغويين ، ومشاهير الفلاسفة وأرباب الكلام ، من أمثال الإمام العلامة الأندلسي الشاطبي(٢)والإمام

---

١) انظر الدولة العباسية لمحمد الخضري ، ص ٤١٠- ٤٥٠.

٢) هو الإمام أبو محمد، عبد الله بن علي اللخمي الأندلسي الشاطبي ، حفيد الحافظ ابن عبد البر أجازه جده بتصانيفه ، فتفقه على مذهب الإمام مالك وبلغ به شأواً كبيراً، له مؤلفات من أشهرها «الاعتصام) ولد سنة (٤٤٣ هـ) وتوفي سنة (٥٣٣ هـ أو ٥٣٢ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٩٢/٢٠.

المازري(١)، والحافظ التيمي(٢)والإمام ابن أبي جمرة(٣)والإمام البغوي(٤)، والإمام ابن الجوزي(٥)، والشيخ الكرخي(٦)، والشيخ الكرماني(٧)، والإمام

---

١) هو الإمام العلامة البحر المتفنن ، أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المازري المالكي صاحب كتاب (المُعْلِم بفوائد شرح مسلم) كان أحد الأذكياء الموصوفين والأئمة المتبحرين وخاصة في علم الحديث ، توفي سنة (٥٣٦ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ١٠٤/٢٠، وفيات الأعيان ، ٢٨٥/٤.

٢) هو شيخ الإسلام وقوام أهل السنة وقدوتهم في زمانه، أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني ، كان إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره ، وهو صاحب كتاب (الحجة في بيان المحجة) ولد سنة (٤٥٧ هـ) وتوفي سنة (٥٣٥ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٨٠/٢٠، وطبقات الحفاظ ، ٤٦٣/١.

٣) هو الإمام المعَمَّر ، أبو العباس أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة المالكي ، انفرد في زمانه بإجازة الإمام أبي عمرو الداني وإجازة الإمام ابن عبد البر أيضاً ، توفي سنة (٥٣٣ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٩١/٢٠، وشذرات الذهب ، ١٠٢/٤.

٤) هو الإمام الحافظ محيي السنة الفقيه ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، كان إمام أهل السنة في خراسان ، وقد برع في كثير من العلوم وكان علامة زمانه فيها وهو صاحب التفسير النفيس المسمى (معالم التنزيل) ، وكتاب (شرح السنة) ، توفي ما بين سنة (٥١٠، ٥١٦ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٤٣٩/١٩، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ١٢.

٥) هو الإمام الحافظ جمال الدين أبو الفرج، عبد الرحمن بن أبي الحسن المشهور بابن الجوزي ، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- ، كان حنبلي المذهب ذكياً واعظاً صاحب التصانيف النافعة التي من أشهرها (تلبيس إبليس) ، ولد سنة (٥١٠ هـ) وتوفي سنة (٥٩٧ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٣٦٥/٢١، والبداية والنهاية ، ٢٨/١٣.

٦) هو العلامة القاضي أبو طاهر، محمد بن أحمد الكَرْخِي البغدادي من كبار أئمة الشافعية في زمانه، ولي القضاء فترة طويلة من الزمن ، توفي سنة (٥٥٦ هـ) بعد علة طويلة وله ثمانون عاماً ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٣٩٠/٢٠، وطبقات الشافعية للسبكي ، ٨٦/٦.

٧) هو شيخ الحنفية ومفتي خراسان في زمانه ، أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه الكرماني، ذاع صيته وكثرت تلامذته ، له عدة كتب في الفقه من أشهرها (الإيضاح) ، ولد سنة (٤٥٧ هـ) وتوفي سنة (٥٤٣ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٢٠٦/٢٠، والطبقات السنيه في تراجم الحنفية برقم ١١٩١.

أبي بكر بن العربي(١)، والإمام ابن الدباغ(٢)، والإمام الزبيدي(٣)، والإمام ابن عساكر(٤)، والزمخشري(٥)، والشهرستاني(٦)، وغيرهم كثير ممن يتعذر حصرهم ، والذين اتحفوا المسلمين - بل والعالم بأسره- بمآت المجلدات في كل فن -رغم حرق وتضييع واتلاف أعداد هائلة منها إبان الغزو التتري والمغولي لبلاد الإسلام-، -وخاصة لبغداد- التي كانت تزخر مكتباتها بدُرَر العلم في شتى الفنون.

ومما زاد من نشاط الحركة العلمية في ذلك العصر، تشجيع الحكام والأمراء على طلب العلم ، وإجلالهم للعلماء ، وخاصة في دولة المرابطين،

---

١) هو الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الأندلسي ، كان ثاقب الذهب عذب المنطق كريم الشمائل كثير التأليف، من أشهر كتبه (عارضة الاحوذي) و (العوصم من القواصم) ، ولد سنة (٤٦٨ هـ) و توفي سنة (٥٤٣ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ١٩٧/٢٠، وطبقات المفسرين للسيوطي، ص ٣٤.

٢) هو الإمام الحافظ المتفنن، أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز اللخمي الأندلسي المالكي ، كان من أنبل الأئمة وجهابذة النقاد وأعرفهم بطريقة الحديث وأسماء الرجال وأحوالهم وهو ممن يعتد به في ذلك ، ولد سنة (٤٨١ هـ) وتوفي سنة (٥٤٦ هـ)، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٢٢٠/٢٠، وطبقات الحفاظ ص ٤٨٥.

٣) هو الإمام العلامة العابد الواعظ، أبو عبد الله محمد بن يحيى اليمني الزبيدي، كان حنفياً سلفياً إماماً في العربية والأصول ، واعظاً يقول الحق ولو كان مراً ، له حظ وافر في كثير من العلوم ومصنفات كثيرة من أشهرها (تاج العروس) ، ولد سنة (٤٦٠ هـ) و توفي سنة (٥٥٥ هـ) . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٣١٦/٢٠، ومعجم الادباء ، ١٠٦/١٩.

٤) هو الإمام العلامة الحافظ الكبير المجوِّد محدِّث الشام ثقة الدين ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، الدمشقي الشافعي كان إمام أهل الحديث في زمنه، أخذ علمه عن أكثر من ألف وخمسمائة شيخ ، صنف كثيراً من المصنفات النفيسة العظيمة التي من أشهرها (تاريخ دمشق) و(فضائل أهل الحديث) و (تبين كذب المفتري على أبي الحسن الاشعري) ، ولد سنة (٤٩٩ هـ) وتوفي سنة (٥٧١ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٥٥٤/٢٠، طبقات الشافعية للسبكي، ٢١٥/٧- ٢٢٣، وطبقات الحفاظ ، ص ٤٧٤.

٥) هو كبير المعتزلة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي ، النحوي، صاحب تفسير (الكشاف) وكتاب (المفصل) في النحو ، كان رأساً في البلاغة والعربية والبيان وداعية إلى الاعتزال ، ولد سنة (٤٦٧ هـ) وتوفي سنة (٥٣٨ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ١٥١/٢٠، والبداية والنهاية ، ٢١٩/١٢.

٦) هو شيخ الكلام والفلسفة، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني تفقه على مذهب الشافعي، لكنه أشعري العقيدة فيلسوف ، حتى كان إمام عصره في علم الكلام مثقفاً بفنون كثيرة من العلم، ولد سنة (٤٦٧ هـ) على الأرجح وتوفي سنة (٥٤٨ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٢٠/ ٢٨٦، وطبقات الشافعية للسبكي ، ١٢٨/٦.

التي قامت على أيد العلماء وأهل العلم - كما مر معنا - وقد ازداد هذا النشاط العلمي في عهد علي بن يوسف بن تاشفين حيث عظم في زمانه تعلم الفقه والعلوم المختلفة إذ أقبل الناس عليها متلهفين ليشربوا من معينها العذب ويغرفوا من بحارها الفياضة الزاخرة(١) ، ولم يتوقف هذا النشاط والإقبال على العلم في دولة الموحدين -نتيجة لما جرى فيها من أحداث أليمة- بل واصل سيره وعطاءه، حتى إنه قد وجد من قادة هذه الدولة من يشجع على العلم ويحترم أهله - كما ذكر ذلك عن عبد المؤمن خليفة ابن تومرت(٢) .

وقد كان هذا النشاط العلمي متزايداً على وجه الخصوص في مدينة (سبته) بفتح السين وقيل بكسرها - موطن القاضي عياض- والتي تقع شمال غرب المملكة المغربية في مضيق جبل طارق حيث يلتقي البحر الأبيض المتوسط مع المحيط الأطلسي وهي أقرب مدن المغرب إلى بلاد الأندلس وممر المتنقلين بين البلدين(٣).

وقد خرّجت هذه المدينة عشرات الجهابذة في كل فن ، وجمع أهلها بين العلم والعبادة واليسار ، وقد خصت بالتأليف في القديم والحديث(٤)، وذلك بحكم موقعها الجغرافي المتميز ، فهي مجاز أهل الأندلس إلى المغرب وأفريقيا والمشرق وبالعكس ، سواء كانوا علماء أو حجاجاً أو تجاراً أو مجاهدين، ومقصد كثير من أهل العلم للإستيطان بها ، فما من عالم من أهل الأندلس إرتحل إلى المشرق إلا وقد مر بها وتوقف فيها بما سمعه أثناء رحلته ، وكذلك فإن كثيراً علماء المغرب وأفريقيا وبعض المشارقة ، قد وفدوا إليها عابرين بلاد الأندلس ، فأفادوا واستفادوا .

وبهذا كانت هذه المدينة ملتقى دائماً لأهل العلم في مختلف البلدان وعلى مر الأزمان ، كما نشطت الحركة العلمية في المشرق الإسلامي نشاطاً ملحوظاً في هذا العصر ، ومما شجع على ذلك أيضاً اهتمام الحكام بهذا الجانب

---

١) انظر سير أعلام النبلاء ، ١٢٤/٢٠ .

٢) انظر المرجع السابق ، ٣٧١/٢٠ .

٣) انظر معجم البلدان ، ١٨٢/٣ .

٤) من ذلك كتاب (الفنون الستة في أخبار سبته) للقاضي عياض ، وكتاب (الكوكب الوقّاد فيمن حلّ بسبته من العلماء والصلحاء والعُبَّاد) لمحمد بن أبي بكر الحضرمي المتوفى (٨٨٧ هـ) ومن الكتب المعاصرة (الحركة العلمية في سبته خلال القرن السابع) لاسماعيل الخطيب ، وكتاب (سبته ودورها في اثراء الفكر الاسلامي) وقد طبع الكتابان الأخيران في المغرب .

وتشجيعهم له، وخاصة من قبل السلاجقة(١)، الذين أنشأوا المدارس ودور العلم في مختلف البلاد لينهل منها طلبة العلم ويتخصصوا في شتى العلوم. وقد كان الوزير نظام الملك(٢) ممن له باع طويل في ذلك حتى أطلق اسمه على هذه المدارس فصارت تعرف باسم (المدارس النظامية)(٣).

ولم تكن النهضة العلمية البارزة في تلك الحقبة بسبب تشجيع الحكام والوزراء فقط، بل تعدى ذلك الإهتمام والتشجيع إلى أهل العلم والفضل من الموسرين ، من ذلك ما فعله الإمام البلخي(٤) الذي أنشأ مدرسة بدمشق نسبت إليه فسميت (بالمدرسة البلخية) ، كما قام أحد الموسرين بإنشاء مدرسة (الصادرية) سنة ٤٩١ هـ بدمشق ، وقد كانت أول مدرسة تقام في هذه المدينة وكان الشيخ البلخي يدرس فيها(٥).

وهكذا ازدهرت الحركة العلمية في ذلك العصر ، وبلغت درجة راقية ، وتميزت بإتباع أسلوب جديد للتعليم ، ألا وهو إنشاء دور ومعاهد للعلم مستقلة عن المسجد ومتنوعة الفنون ، وقد زاد من هذا الإزدهار والنمو بروزُ جانب التأليف في شتى أنواع العلوم ، والذي كثر وعظم فخرج بكميات هائلة استفاد منها الناس عبر القرون الماضية ، ومازلنا نكتشف تلك الخيرات ونستفيد منها إلى يومنا هذا .

وهكذا يتبين لنا أن القاضي عياض - رحمه الله - قد عاصر نهضة علمية

---

١) السلاجقة ينتسبون إلى سلجوق بن تقان ، بفتح التاء - أحد رؤساء الاتراك ، كان مسكنهم في بلاد ما وراء النهر قرب بخارى، أقاموا دولتهم بقيادة ركن الدين طغرلبك، وقد اتسعت هذه الدولة حتى وصلت الشام وبغداد عاصمة الخلافة العباسية، وكان في ظهورها خيراً للإسلام والمسلمين، انظر البداية والنهاية ، ٦٦/١٢، وتاريخ دولة آل سلجوق لفتح بن علي الاصبهاني ص ٧ طبع بدون تاريخ.

٢) هو رأس الوزراء وصالحهم، الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الملقب بنظام الملك ، كان عاقلا سائساً خبيراً متديناً محتشماً عامر المجلس بالقراء والفقهاء، وزر للسلطان ألب أرسلان ثم لابنه ملكشاه فدبر ممالكه على أتم ما ينبغي واستمر عشرين سنة ، ولد سنة (٤٠٨ هـ) وقتل صائماً في رمضان بالسكين في فؤاده على يد باطني خبيث فمات وذلك ليلة جمعة سنة (٤٨٥ هـ) بقرب نهاوند، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٩٤/١٩، وشذرات الذهب ، ٣٧٣/٣.

٣) انظر طبقات الشافعية للسبكي ، ٣١٤/٤، وتاريخ الاسلام السياسي لحسن إبراهيم حسن ، ٢١/٤.

٤) هو الامام أبو الحسن، علي بن الحسن البلخي، من أئمة الحنفية كان ذا جلالة ووجاهة كريماً وقد لقب (بالبرهان البلخي) توفي بدمشق سنة (٥٤٨ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ٢٧٦/٢٠، والطبقات السنيه، برقم ١٤٧٥، والبداية والنهاية ، ٢٤٦/١٢.

٥) انظر سير أعلام النبلاء ، ٢٧٦/٢٠.

جبارة، كان له فيها باع طويل ونشاط بارز لمشاركته الإيجابية فيها معلماً ومتعلماً، حتى غدا من أشهر علماء المغرب على الإطلاق ومن أعلام تلك الحقبة المباركة يشار إليه على مر القرون والأعوام.

الفصل الثاني : (حياة القاضي عياض الشخصية)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : اسمه ونسبه .

المبحث الثاني : كنيته ولقبه ونسبته .

المبحث الثالث : مولده .

المبحث الرابع : أسرته ووفاته .

المبحث الأول : (اسمه ونسبه)

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض(١).

وقد اختلف المؤرخون في اسم جده الثاني ، فأكثرهم جعلوا اسمه (عمرو) في حين ذكر بعضهم أنه (عمرون) ، وهذا هو الراجح ، بدليل أن ولده محمداً الذي ترجم له في كتابه التعريف بالقاضي عياض(٢) ، قد أثبت ذلك ، وهو حفيده وأعلم الناس به ، وقد ذكر اسمه أكثر من مرة في ترجمة أبيه ، فالقريب أعلم من البعيد ، وقد تبعه في ذلك من ترجم للأئمة المالكية(٣) فأثبتوا ما ذكره محمد وهذا نص في المسألة ، أما تسمية المؤرخين له (عمرواً) فلعل ذلك جاء على سبيل التخفيف حيث حذفوا (النون) وقلد بعضهم بعضاً في هذا الحذف ، ولاإشكال في القضية فيما يظهر .

المبحث الثاني : (كنيته ولقبه ونسبته):

١:- كنيته:

كنيته - رحمه الله - (أبو الفضل) ،

٢:- لقبه:

أما لقبه ، فيلقب (بالقاضي) وهذا مما لاخلاف فيه بين من ترجم له ، كما يلقب (بالحافظ) و(شيخ الإسلام) و(الإمام) و (المحدث) و(المجتهد) و(الأديب) و (العالم العامل الزاهد المجاهد) و(علامة المغرب)(٤) وغير ذلك .

٣:- نسبته :

ينسب القاضي - رحمه الله - إلى (سَبْته) بكسر السين وقيل بفتحها

---

١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ، ٤٨٥،٤٨٣/٣، وسير أعلام النبلاء ، ٢١٢/٢٠، والبداية والنهاية، ٢٤١/١٢، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٤٨٠، والصلة ، ٤٥٣/٢، والتعريف بالقاضي عياض ص ١، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، ٢٣/١، والنجوم الزاهرة ، ٢٨٥/٥، والإحاطة في أخبار غرناطة ، ٢٢٢/٤، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ٤٦/٢، ومفتاح السعادة ، ١٣٠/٢، وشذرات الذهب، ١٣٨/٤، وغيرها.

٢) انظر التعريف بالقاضي عياض ، ص ١، ٥.

٣) انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، ٤٦/٢، والإحاطة في أخبار غرناطة ، ٢٢٢/٤.

٤) انظر مراجع تراجمه السابقة .

وسكون الباء ، فيقال له (السبتي)، وسبته هي المدينة التي ولد وتربى فيها القاضي، كما ينسب إلى (يحصب بن مالك) فيقال (اليَحْصُبي) بفتح الياء وسكون الحاء وكسر الصاد وفتحها وقيل بضمها أيضاً ، وهي قبيلة من حمْير -بكسر الحاء وسكون الميم - نسبتها إلى يحصب بن مالك(١)، وينسب أيضاً إلى (الأندلس) فيقال (الأندلسي) بإعتبار أنه أندلسي الأصل حيث إن أجداده من هناك، قال ولده محمد (استقر أجدادنا في القديم بالأندلس ثم انتقلوا إلى مدينة فاس(٢) وكان لهم استقرار بالقيروان(٣) ، لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك ، وكان (عمرون) والد جد أبي رجلا صالحاً من أهل القرآن ، وقد انتقل من مدينة فاس إلى مدينة سبته)(٤).

فهو القاضي عياض السبتي اليحصبي الأندلس.

المبحث الثالث : (مولده)

اختلف المؤرخون في تاريخ ولادة القاضي - رحمه الله -

١:- فذهب ابن كثير(٥) - رحمه الله - إلى أنه ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة (٤٤٦ هجرية)(٦).

٢:- وذهب ابن فرحون(٧) وغيره إلى أنه ولد سنة ست وتسعين وأربعمائة

---

١) انظر أزهار الرياض ، ٢٧/١، وجمهرة أنساب العرب ص ٤٣٥، والديباج المذهب ، ٥١/٢.

٢) هي إحدى المدن المغربية الحالية .

٣) هي مدينة عظيمة بأفريقيا وليس بالمغرب مدينة أجل منها، وهي مدينة مصرت في الإسلام في أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، معجم البلدان ، ٤٢٠/٤.

٤) التعريف بالقاضي عياض ص ٢، وانظر سير أعلام النبلاء ، ٢١٣/٢٠، والديباج المذهب، ٤٦/٢، والنجوم الزاهرة ، ٢٨٥/٥.

٥) هو الامام الحافظ المحدث عماد الدين أبو الفداء، إسماعيل بن الخطيب بن كثير القرشي الدمشقي، أحد أئمة الإسلام العظام، من تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية ، وصاحب المصنفات الكثيرة التي تناقلها الناس مثل كتاب التفسير والبداية والنهاية وجامع المسانيد وغيرها ، كان -رحمه الله - زاهداً عابداً ذكياً، كثير الاستحضار قليل النسيان متبحراً في كثير من العلوم ، ولد سنة (٧٠٠ هـ) وقيل (٧٠١ هـ) وتوفي سنة (٧٧٤ هـ) بدمشق ودفن بجوار شيخه ابن تيمية ، انظر ترجمته في شذرات الذهب ، ٢٣١/٦، ٢٣٢، والاعلام ، ٣٢٠/١.

٦) البداية والنهاية ، ٢٤١/١٢.

٧) هو برهان الدين أبو الوفاء، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي ، ولد بالمدينة ونشأ بها وتفقه وبرع وصنف وجمع وحدث وولى قضاء المالكية بالمدينة وكانت وفاته بها سنة ٧٩٩ هجرية، ودفن بالبقيع وقد جاوز التسعين ، انظر ترجمته في شذرات الذهب ، ٣٥٧/٦، والأعلام ٥٢/١.

(٤٩٦ هـ)(١) .

٣:- وذهب جماهير العلماء إلى أنه ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة (٤٧٦ هـ)(٢)،

وهذا القول الأخير هو الصحيح المعتمد والقولان السابقان مردودان للأدلة التالية :

أ : - أن ابنه محمداً قد ذكر عنه أنه ولد في (٤٧٦ هـ) وهو من أعلم الناس بأبيه وقد كان كتابه (التعريف بالقاض عياض) هو العمدة في ترجمته لمن جاء بعده .

ب:- أنه قد ورد نص صريح بذلك من القاضي عياض نفسه ذكره تلميذه ابن بشكوال(٣) فقال (وقد كتب إليّ القاضي بخطه أنه ولد في منتصف شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة)(٤) وهذا النص في المسألة يقطع قول من خالف ذلك .

ج:- ذكر في ترجمة القاضي - رحمه الله - أنه قد رحل إلى الأندلس سنة (٥٠٧ هـ) وأنه قد أخذ كثير من علمائها(٥) ، ولو كانت ولادته سنة (٤٩٦ هـ) لكان صغير السن آنذاك إذ يكون عمره (١١) احدى عشر سنة فقط ، وهذا العمر لا يؤهل صاحبه ليتحمل مشاق السفر، فضلا عن أن يأخذ إجازات كثيرة من كبار العلماء، وفضلا عن أن يهتم به رئيس دولة المرابطين آنذاك ويرسل إلى قاضي قرطبة موصياً به ، ومثنياً عليه بالعلم والفضل(٦) ، ولذا حاول أحد كبار شيوخه منعه لما عزم رحلته للأندلس قائلا له : إن من سيرحل إليه عياض هو أحوج إلى قاضي عياض في العلم من إحتياج عياض له(٧).

د:- ذكر ابنه محمد وتلميذه ابن بشكوال أنه لما عاد من رحلته من الأندلس بعد أن أكمل تكوينه الأساسي واتسعت رواياته ونمت معارفه في مختلف العلوم ، أجلسه أهل بلده للمناظرة عليه في المدونة ومن ثم أجلس للشورى وقد

---

١) النجوم الزاهرة ، ٤٨٥/٥، والديباج المذهب ، ٤٨/٢.

٢) انظر وفيات الأعيان ، ٤٨٥/٣، وسير أعلام النبلاء ، ٢١٣/٢٠، وشذرات الذهب ، ١٣٨/٤، وقلائد العقيان ، ص ٢٢٢، والصلة لابن بشكوال ، ٤٥٣/٢، ٤٥٤، والتعريف بالقاضي عياض ، ص ٣، والإحاطة ، ٢٢٩/٤، وغير ذلك.

٣) ستأتي ترجمته عند ذكر تلاميذه .

٤) الصلة لابن بشكوال ، ٤٥٤/٢.

٥) انظر سير أعلام النبلاء ، ٢١٣/٢٠، والتعريف بالقاضي ص ١٠، ١٤، ومقدمة ترتيب المدارك ص ٤ وغير ذلك .

٦) راجع ص ٢٨-٣٠.

٧) انظر التعريف بالقاضي عياض ص ١٦.

كان عمره بضعاً وثلاثين سنة آنذاك(١) ، ولو كانت ولادته سنة (٤٤٦ هـ) لكان عمره أكثر من ستين سنة حينئذ.

وكفى بهذه الأدلة المتقدمة ، قوة في الرد على من خالف الرأى الثالث .

المبحث الرابع : (أسرته ووفاته)

١:- أسرته :

ينتمي القاضي عياض إلى عائلة كريمة ، عرفت بالعلم والفضل والوجاهة والصلاح واليسار، قدم أجداده - كما تقدم - من الأندلس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، وقد انتقلوا إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى ، وقد كان جده الأعلى (عمرون) من أعيانها ، وكان رجلا خيراً صالحاً من أهل القرآن ، حج احدى عشرة حجة ، وقد أخذ أخواه رهناً من قبل بعض أمراء الأندلس لضمان عدم ثورة المغاربة عليهم، فانتقل عمرون إلى مدينة (سبته) ليقرب من أخبارهما فاستحسن سكنها، وكان موسراً ، فاشترى بها أرضاً - وهي المعروفة بالمنارة- ، وبنى في بعضها مسجداً ، وفي بعضها دياراً أو قفها على المسجد، وجعل باقي الأرض مقبرة للمسلمين ، وقد شارك في الجهاد بالأندلس ، ثم انقطع للعبادة في مسجده بسبته إلى أن توفي سنة (٣٩٧ هـ) وقد ولد له قبل وفاته بيسير ابنه عياض ثم ولد لعياض ابنه موسى ثم لموسى ابنه القاضي عياض وكان أولاده ذوي أخلاق عالية و أصحاب فضل وكرم محببن للعلم و أهله(٢).

وهكذا وفي كنف هذه الأسرة الفاضلة الوجيهة الكريمة ، وفي وسط هذا المجتمع المتميز ولد وتربى القاضي عياض ، واكتسب من أخلاق آبائه وعائلته العفة والنبل والصلاح ، والفهم وحسن الأفعال والأقوال ، والحرص على العلم ، والإجتهاد فيه، حتى غدا أشهر وأعظم رجل في هذه الأسرة ، بل وعالم المغرب في زمانه بلا منازع .

---

١) انظر المرجع السابق والصلة ، ٤٥٤/٢.

٢) انظر التعريف بالقاضي عياض ، ص ٢-٤، والاحاطة في أخبار غرناطة ، ٢٢٢/٤، وسير أعلام النبلاء ، ٢١٣/٢٠، والديباج المذهب ، ٤٦/٢، ومقدمة كتاب المدارك للقاضي عياض ، ص ٤٠٣.

٢:- وفاته

عاش العلامة القاضي عياض - رحمه الله - ثمانية وستين عاماً قضاها في التعليم والتعلم والتأليف والتدريس والدعوة إلى الله عزوجل وفي القضاء والجهاد في سبيل الله، وقد تقدم(١) أنه - رحمه الله - وعلماء المغرب لم يرضوا بالدخول تحت طاعة (دولة الموحدين) لما فيها من المخالفات الشرعية البينة ، وخاصة في مجال العقيدة وقد ذكرت أنه تزعم أهل سبته وصد الموحدين عنها ، ثم دخلوها عنوة فأطاعهم أهلها كرهاً ، ثم أن سبته بقيادة أبي الفضل ثاروا عليهم لما سنحت الفرصة لذلك ، لكنهم لما أدركوا فشل هذه الثورة أرسلوا وفداً إلى أمير الموحدين عبد المؤمن بن علي ببيعتهم واختاروا القاضي رئيساً ومتكلماً باسمهم، فمنعه عبد المؤمن من العودة إلى مدينته وأمره بملازمته ، ثم نفاه إلى قرية نائية تقع بالبادية المغربية هي قرية (داي) حيث ولاه قضاءها، وهذا في الحقيقة نفي وتغريب ، كما صرحت بذلك المصادر التاريخية(٢) فإن القاضي عياضاً كان حينئذ أكبر من أن يُولَى القضاء بالبادية، وقد قال شعراً حزيناً وصف فيه غربته بداي ومما جاء فيه :

أقمْريَّةَ الأدْواح بالله طارحي * أخا شَجنٍ بالنَّوْح أو بغناء
فقد أرَّقَتْني من هَدَيلك رنَّةٌ * تهيِّجُ من بَرْحي ومن بُرَحاء
لعلك مثلي ياحمامُ فإنني * غريب بَدَاي قد بُليتُ بداء(٣) .

وقد اتفقت المصادر على أن القاضي توفي مغرباً عن وطنه وذلك في سنة (٥٤٤ هـ) وذلك يوم الجمعة السابع من جمادى الآخرة ، وقيل في رمضان من نفس السنة ، وأنه دفن بمدينة مراكش بالمغرب الأقصى(٤)، وقد اختلفوا في سبب وفاته ، فقيل إنه قتل بأمر من أمير الموحدين بغية التخلص منه لمعارضته لدولته وخشية من قيادته المعارضين مرة أخرى(٥)، وقيل إنه قتل بالرماح لأنه أنكر عصمة (ابن تومرت) مؤسس دولة الموحدين(٦)، وقيل غير ذلك - والله

---

١) راجع ص ٩ من هذا البحث.

٢) انظر الإستقصاء ، ١١١/٢، وتاريخ ابن خلدون ، ٢٣٠/٦، والتعريف بالقاضي ، ص ١٣ و ٩٨، والصلة، ٤٥٤/٢.

٣) انظر التعريف بالقاضي ص ٩٨، ٩٩، فقد ذكر الأبيات الحزينة كلها ومعنى (بَرْحي) أي شوقي.

٤) انظر المراجع السابقة وسير أعلام النبلاء ،٢١٧/٢٠، ووفيات الاعيان، ٤٨٥/٣، والديباج المذهب ، ١٥٠/٢، والإحاطة ، ٢٣٠/٤.

٥) انظر الإستقصاء ، ١١١/٢، وتاريخ ابن خلدون ، ٢٣٠/٦.

٦) انظر سير أعلام النبلاء ، ٢١٧/٢٠.

أعلم بالصواب - ، رحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته واسكنه فسيح جناته .

الفصل الثالث : (حياته العلمية)

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تكوينه العلمي

المبحث الثاني : رحلته العلمية إلى الأندلس

المبحث الأول : (تكوينه العلمي)

لقد كان القاضي - رحمه الله - يمتاز بذكاء باهر وذهن ثاقب وحافظة قوية ، وقد تربي في كنف أسرة فاضلة ثرية مهتمة بالعلم والتعبد، ونشأ في مدينة تعج بالعلماء في مختلف التخصصات ، وتمثل مركزاً علمياً متميزاً ، يلتقي فيه حملة العلم من أهل المغرب والمشرق ، وذلك بحكم موقعها الجغرافي الهام، فهي مجاز أهل الأندلس إلى المغرب وأفريقيا وإلمشرق وبالعكس، سواء كانوا علماء أو حجاجاً أو تجاراً أو مجاهدين ، ومقصد كثير من أهل العلم للإستيطان بها، وبهذا كانت سبته ملتقى دائماً لأهل العلم في مختلف البلدان، كما أن القاضي قد عاش معظم حياته في ظل دولة المرابطين التي تحترم العلم، وتجل أهله وتقدمهم وتقف عند أحكامهم ومشاوراتهم، - كما تقدم -(١) .

فكانت هذه العوامل مجتمعة سبباً في دفع القاضي إلى أن يقبل على التحصيل العلمي ويهتم به ويجتهد في ذلك ، ويحرص كل الحرص على مجالسة أهل العلم والإستفادة منهم قارئاً ومستمتعاً ، ومتفقها ومذاكراً ومناظراً وسائلا ...، لأنه لم يكن له - وهو الطالب النبيه الحريص على طلب العلم - ليضيع تلك الفرص دون إغتنام.

وقد ذكر ابنه محمد أن والده (نشأ طالباً للعلم حريصاً عليه مجتهداً فيه، معظماً عند الأشياخ من أهل العلم ، كثير المجالسة لهم والإختلاف إلى مجالسهم، إلى أن برع في زمانه ، وساد جملة أقرانه وبلغ من التفنن في فنون العلم ما هو معلوم)(٢).

وقد تم معظم تكوين القاضي العلمي في مدينة سبته ، على يد علمائها ومن يفد إليها ، أو يستوطنها من علماء البلاد الأخرى، حيث بدأ أولا بحفظ القرآن الكريم وختمه عدة مرات بالقراءات المشهورة على يد مقرئين كبار ، فرغوا أوقاتهم لهذا الشأن(٣)، ومن ثم درس بعض الكتب المختصرة في العقيدة والفقه على مذهب الإمام مالك ، ثم أقبل على دراسة اللغة والأدب والبلاغة والنحو والشعر، وبدأ بعد ذلك دراسة أكثر تعمقاً لكتب العقيدة والكلام ، والجدل والفقه وأصوله ، والحديث وعلومه ، والتفسير وعلوم القرآن ، وكانت هذه الدراسة إما عن طريق الإستماع والقراءة على الشيوخ في سبته ومن يمر

---

١) راجع ص ٤-٦و ص ١٢-١٦.

٢) التعريف بالقاضي عياض ، ص ٤، والإحاطة ، ٢٢٢/٤ .

٣) انظر التعريف بالقاضي عياض ، ص ٤، والغنية ، ص ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٤٧، ١٥٧، ١٧٦.

بها، أو عن طريق إجازته بمرويات وكتب الشيوخ في المشرق والمغرب ، أو عن طريق الرسائل والخطابات بينه وبين العلماء خارج سبته(١).

ويبدو أن الإمام الذهبي(٢) - رحمه الله - لم يدرك هذه الخاصية لمدينة سبته ولم يبلغه تفاصيل دراسة القاضي عياض على مشايخها ، ولذلك ذكر أن القاضي (لم يحمل العلم في الحداثة ، وأول شيئ أخذ عن الحافظ أبي علي الغساني إجازة مجرَّدة ، وكان يمكنه السماع منه فإنه لحق من حياته اثنتين وعشرين عاماً)(٣).

والواقع غير ذلك ، فإن القاضي قد بدأ طلب العلم منذ نعومة أظفاره، واستغنى بعلماء مدينته ومن يفد إليها من الشيوخ والعلماء واغتنم مرورهم أو إقامتهم ببلدة لينهل من علومهم ويتتلمذ عليهم ويأخذ مروياتهم وكتبهم وإجازتهم بذلك.

والحقيقة أن من يقرأ كتاب الغنية للقاضي عياض يدرك عن كثب هذا الأمر، ويعلم يقيناً مدى حرص هذا الرجل على طلب العلم وشغفه به منذ صغره وتحينه لكل فرصه للإستزادة منه بواسطة العلماء والشيوخ الذين أخذ عنهم ومما يدل على بيان فضل القاضي وعلو منزلته العلمية ، أن بعض العلماء كان يقصد سبته خصيصاً للقائه وإفادته والإستفادة منه(٤).

وهكذا أخذت مدارك القاضي العلمية تزداد وتخصصاته المتنوعة تنمو وتزدهر شيئاً فشيئاً ، حتى برع في جملة من العلوم قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره ، وأصبح علماً مشهوراً يشار إليه بالبنان من قبل العامة والخاصة، ولكن القاضي - رحمه الله - وجد في نفسه رغبة ملحة في توسيع روايته وتكميل تكوينه العلمي ، وتنمية معارفه في شتى العلوم: وأدرك أن ذلك لن يتأتى له على الوجه الأمثل إلا بالرحلة والسفر إلى جهابذه العلماء وكبار الشيوخ خارج مدينته، فجهز نفسه واستعد لرحلته المشهورة إلى الأندلس .

---

١) انظر الغنية ص ٢٧، ٣٢، ٣٥، ٣٧، ٤١، ٤٤، ٦٨، ٦٩، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٩٠، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٩٥، ٢٢٦.

٢) هو الإمام العلامة شيخ المحدثين وقدوة الحفاظ ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الذهبي ، صاحب التصانيف الكثيرة والنفيسة التي تقارب المائة والتي من أشهرها (سير أعلام النبلاء) و(العلو للعلي الغفار) وغير ذلك ، ولد سنة (٦٧٣ هـ) وتوفي سنة (٧٤٨ هـ) ، انظر ترجمته في البداية والنهاية ، ١٤/٢٢٥، وشذرات الذهب ، ٦/١٥٣.

٣) سير إعلام النبلاء ، ٢٠/٢١٣.

٤) انظر الغنية ص ١٧١.

المبحث الثاني : (رحلته العلمية إلى الأندلس)

بدأ القاضي عياض رحلته إلى الأندلس يوم الثلاثاء في منتصف جمادي الآولى عام (٥٠٧ هـ)(١) وقد كان لرحلته هذه إهتمام بالغ وعناية خاصة من قبل كبار رجالات الدولة - فضلا عن عامة الناس - .

فقد كتب علي بن يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين آنذاك رسالة إلى قاضي قرطبة(٢)، موصياً بالقاضي ، ومبيناً فضله ومكانته ، وما وصل إليه من التقدم في العلوم ، ومما جاء فيها أن عياضاً (ممن له في العلم حظ وافر، ووجه سافر ، وعنده دواوين أغفال لم تفتح لها على الشيوخ أقفال ، وقصد تلك الحضرة ليقيم أوْدَ متونها ...)(٣). كما تحرك لرحلة عياض وأوْلاها الإهتمام الخاص وزير الدولة أيضاً ، فإنه كتب رسالة إلى قاضي قرطبة يوصيه فيها بأبي الفضل ويشيد بفضله ومما جاء فيها، أن عياضاً (رأى أن يقتحم نحوك ظَهْري لَجِّه ومحجِّه ، ويرحل إلى حضرتك المألوفة مهاجراً ، ويعتمدها في طلب العلم تاجراً ، وله في الفضل مذاهب يَبْهَرجُ عندها الذهب، وعنده من النُبل ضرائب لايفارق زَنْدَهَا اللّهبُ، وسَتُقَرِّبُه فَتَستَغْرِبَه، وتَخْتبره فَتُكْبِّره إن شاء الله)(٤).

وقد بدأ القاضي رحلته العلمية بقرطبة حاضرة الأندلس فمكث فيها ثمانية أشهر أخذ فيها عن كبار مشايخها ، مثل ابن رشد(٥) وغيره ومن ثم خرج إلى مُرْسيه (٦) قاصداً الحافظ الواسع الرواية المتفنن الحسين بن محمد الصدفي(٧) فوافق وصوله إليها إختفاء هذا الشيخ خطة منه ليعفى من القضاء فبقي عياض بإنتظار ظهوره شهرين، وقد اغتنم هذه المدة في مقابلة كتبه بأصول الصدفي على يد خاصة من أهله بإذن منه، وقد حرص القاضي على إنتظاره لأنه

---

١) انظر التعريف بالقاضي ، ص ٦، وسير أعلام النبلاء ، ٢١٣/٢٠، الديباج المذهب ، ٤٦/٢، والصلة ، ٤٥٣/٢.

٢) بضم أولها وسكون ثانيها مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت عاصمة ملكها وبها كانت ملوك بني أمية ، معجم البلدان ، ٣٢٤/٤.

٣) راجع تتمة الرسالة ومصدرها في ص ٦.

٤) قلائد العقيان ، ص ١١٥.

٥) انظر ترجمته ص ٣٥.

٦) مُرْسيه بضم أولها وسكون ثانيها وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة ، مدينة بالأندلس من أعمال تُدْمر (بضم التاء وسكون الدال) اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن حفيد عبد الملك بن مروان وسماها تدمر تشبيهاً بتدمر الشام ، انظر معجم البلدان ، ١٠٧/٥.

٧) انظر ترجمته ص ٣٥.

أجل الشيوخ الذين كانوا من أهداف رحلته . فلما أعفي الصدفي من القضاء وخرج للناس، سمع عليه القاضي كثيراً ولازمه وكان له به إختصاص ، وحصل له مسموع كثير في مدة يسيرة ، وقال له الصدفي: (لولا أن الله يسر خروجي بلطفه لكنت عزمت أن أشعرك بموضع يقع عليه الإختيار من بلاد الأندلس ، لا يُؤْبَه لكوني فيه، ترحل إليه وأخرج مختفياً إليه بأصولي، فتجد ما ترغب لما كان في نفسي من تعطيل رحلتك وإخفاق رغبتك)(١) .

وقد واصل القاضي عياض -رحمه الله- رحلته في بلاد الأندلس ، فذهب إلى مدينة إشبيلية(٢) وطاف في شرق البلاد وغربها يأخذ عن كبار علمائها ، الذين وجد منهم كل خفاوة وتكريم حيث وقفوا على سموا مكانته العلمية ، ففرغوا جل أوقاتهم له، وقد استفاد من كثير منهم في مجالسهم للطلبة ، ومن خلال ما خصوه به من السماع في بيوتهم(٣).

وقد صرحوا بالإعجاب به ، فهذا شيخه محمد بن علي بن حَمْدين (المتوفي سنة ٥٠٨ هـ) أجل رجال الأندلس وزعيمها في وقته يقول له : (... يا أبا الفضل إن كنتَ تركتَ بالمغرب مثلك)(٤)، وهذا شيخه عبد الله بن محمد الخشني المتوفي سنة (٥٢٦ هـ) وقد كان شيخ فقهاء وقته بشرق الأندلس يقول: (ما وصل إلينا من المغرب أنبل من عياض)(٥).

ويبدوا أن القاضي انتقى شيوخ هذه الرحلة قبل سفره لذلك فإنه كان يقصد بغيته مباشرة فلم تتجاوز رحلته الثلاثة عشر شهراً ، حيث إنه -رحمه الله- قد عاد إلى سبته ليلة السبت السابع من جمادي الآخرة سنة (٥٠٨ هـ)(٦).

وقد تتلمذ خلال هذه الرحلة على أكثر من ثلاثين من كبار علماء الأندلس وأجازه كثير منهم مروياتهم والتي بلغت العشرات من المراجع والكتب

---

١) انظر التعريف بالقاضي عياض ص ٨، والغنية ص ١٣١.

٢) إشبيلية بكسر أولها وسكون ثانيها وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة، مدينة كبيرة عظيمة من أعظم مدن الاندلس تسمى حمص، وبها قاعدة ملك الاندلس وسريره ، انظر معجم البلدان ، ١٩٥/١.

٣) انظر الغنية ، ص ٤٨،٥٩،٦٢،٦٥،٧٥،٨١،٨٢،٨٨،٨٩،١٠٢، والتعريف بالقاضي ، ص ٨.

٤) انظر التعريف بالقاضي ، ص ١٠٦، والغنية ، ص ٤٦، والاحاطة ، ٤ /٢٢٩.

٥) انظر الاحاطة ، ٢٢٩/٤، والغنية ، ص ١٥٣.

٦) انظر التعريف بالقاضي عياض ، ص ١٠، وأزهار الرياض ، ١٠/٣، ومقدمة كتاب ترتيب المدارك ، ص ٥.

المهمة(١).

وقد امتازت رحلته للأندلس بكثرة العطاء، حيث أسمع الحديث وقرئ عليه واستفاد منه الناس في كثير من العلوم ، كما أنه - رحمه الله - قد أكمل تكوينه العلمي بعد رحلته واتسعت رواياته ونمت معارفه في العلوم المختلفة .

ولم يتمكن القاضي من الرحلة إلى المشرق ، غير أنه قد عوّض عن بعض ما فاته عن طريق من رحل إليها وأخذ عن علمائها من أهل المغرب والأندلس ، وعن طريق ما حصل عليه من الإجازات من بعض كبار علماء المشرق .

---

١) انظر الغنية، ص ٤٦،٤٧،٥٥،٥٩،٦٩،٧٣،٨١،٨٩،٩٢،٩٧،١٠٦،١٠٩،١١٤،١١٧،١١٨،١٣١،١٤٧، ١٤٩،١٦٠،١٦٣،١٦٧،١٧٣،١٧٥،١٩٠، ٢٠١، ٢٠٦، ٢١٧، ٢٢٥، وأزهار الرياض ، ٣/٥٩، والصلة، ٢/٤٥٤.

الفصل الرابع : (شيوخه وتلاميذه)

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : شيوخه

١ - شيوخه بسبتة

٢- شيوخه الأندلسيون

٣- شيوخه بالإجازة

المبحث الثاني : تلاميذه

المبحث الأول : (شيوخه)

تمهيد

لقد تتلمذ القاضي عياض على عدد كبير من العلماء والشيوخ ذوي التخصصات العلمية المختلفة ، انتقى منهم مائة شيخ ضمّهم في فهرسة شيوخه التي سماها (الغنية) ، وقد ذكر تخصص كل منهم وجملة مما سمعه ، أو قرأه عليه ، وإجازاتهم ومكاتباتهم ومناولاتهم له ، كما سرد ابنه محمد أسماءهم في فصل من كتاب (التعريف بالقاضي عياض)(١)، وترجم صاحب أزهار الرياض لجميعهم في فصل من كتابه سماه (روضة البَهَار في ذكر جملة من شيوخه الذين فضلهم أظهر من شمس النهار)(٢)، كما ذكرت المصادر التي ترجمت للقاضي جملة منهم على تفاوت بينها في ذلك(٣).

ونظراً لكثرة شيوخه فإنني سأكتفي بذكر أهم وأبرز شيوخه الذين تأثر بهم في مجري حياته وتكوينه العلمي، آخذاً بعين الإعتبار أبرزهم ممن تأثربهم في كل مجال من نواحي الحديث والفقه والعقيدة والكلام وغير ذلك .

ويمكن تقسيم هؤلاء الشيوخ تقسيماً يستفاد منه في معرفة مشارب القاضي عياض المختلفة وإفادته من مختلف المدارس العلمية الموجودة في عصره شرقاً وغرباً، وذلك بحسب مواطن هؤلاء الشيوخ وطريقة تلقي القاضي عنهم فأبدأ بذكر بعض شيوخه في سبته من أهلها ومن استوطنها والوافدين إليها ، وأثنى بذكر بعض شيوخه الأندلسيين ثم أذكر بعض شيوخه بالإجازة .

ا:- شيوخه في سبته :

من هؤلاء الشيوخ الذين من أهلها وهم كثير .

١- محمد بن عيسى التميمي ، أبو عبد الله ، وهو فقيه محدث لغوي قاضي قال عنه القاضي عياض (أجل شيوخ بلدنا سبته ومقدم فقهائهم ...لازمته كثيراً للمناظرة في المدونة والموطأ وسماع المصنفات فقرأت وسمعت عليه بقراءة غيري كثيراً وأجازني جميع رواياته)(٤)، وقد افتتح عياض به فهرسته . ولد

---

١) ص ١١٩-١٣٣.

٢) أزهار الرياض ، ٥٩/٣ وما بعدها.

٣) راجع صفحة ١٩ .

٤) الغنية ص ٢٧-٤٦.

التميمي سنة (٤٢٩ هـ) وتوفي سنة (٥٠٥ هـ) رحمه الله تعالى(١).

٢- الحسن بن علي بن طريف التاهرتي، أبو علي ، لغوي، محدث، متقدم في النحو والأدب، قال القاضي عياض عنه (شيخ بلدنا في النحو مشهور بالصلاح ، درّس عمره النحو ببلدنا وأخذ عنه جماعة من شيوخنا ، درست عليه كثيراً من كتب الأدب والنحو وقرأت عليه كتاب علوم الحديث للحاكم(٢) ، وحدثني أيضاً بكتاب مشكل الحديث للإمام أبي بكر بن فورك(٣) ، وقرأت عليه كثيراً من كتب النحو والأدب ....

-وذكر عدداً منها-، توفي رحمه الله سنة (٥٠١ هـ))(٤).

٣- عبد الرحمن بن محمد المعافري ، أبو القاسم ، قاضي ، خطيب ، أصولي ، متكلم ، قال عنه القاضي عياض (من أهل بلدنا ولي خطابة منبره غير مرة وولى قضاءه مرتين، لقي بمكة الإمام أبا المعالي الجويني(٥) درس الأصول والكلام ودرّس ذلك ببلدنا حياته، وعليه أخذ ذلك جماعة من شيوخنا وأصحابنا ورحل إليه الناس في دَرْس ذلك عليه، قرأت عليه كتاب المنهاج من تأليف القاضي أبي الوليد الباجي(٦) في الجدل والماظرة وحدثني به عنه، توفي رحمه الله

---

١) المراجع السابق ، وانظر ترتيب المدارك ، ٥٨٤/٣، والمعجم لابن الآبار ص ١٠١،١٠٢، وأزهار الرياض، ١٥٩/٣.

٢) هو الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيّع النيسابوري الشافعي صاحب المستدرك على الصحيحين وغيره من التآليف ، صنف وجرح وصحح وعلل وكان من بحور العلم ، توفي سنة (٤٥٠ هـ)، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٦٢/١٧، وطبقات الشافعية للسبكي ، ١٥٥/٤،١٧١.

٣) هو محمد بن الحسن بن فُوْرك ، بفتح الفاء وسكون الواو يكنى أبا بكر متكلم أصولي ، أديب نحوي واعظ من فقهاء الشافعية، صاحب المصنفات العديدة منها شرح مشكل الحديث الذي سار فيه على منهج الاشاعرة ، توفي سنة (٤٠٦ هـ) ، انظر ترجمته في وفيات الاعيان، ٢٧٢/٤، وطبقات الشافعية للسبكي، ٥٢/٣-٥٦.

٤) الغنية، ص ١٤١،١٤٢، وانظر أزهار الرياض ، ١٥٨/٣.

٥) هو إمام الحرمين عبد الملك بن يوسف بن محمد الجويني أحد الأعلام البارزين في مذهب الاشاعرة ترجم له ابن عساكر في عداد الطبقة الرابعة من الأشاعرة ،لكنه ترك ماكان ينتحله ويقرره كما قال شيخ الإسلام واختار مذهب السلف وقد نهى أصحابه عن علم الكلام وبين مافيه من الضرر ، له مؤلفات كثيرة منها الارشاد والشامل في أصول الدين ، توفي سنة (٤٧٨ هـ)، انظر ترجمته في تبيين كذب المفتري، ص ٢٧٨، ونقض المنطق لشيخ الاسلام ، ص ٦١.

٦) هو الحافظ القاضي أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الأندلسي القرطبي الباجي، أصله من بطليوس فتحول جده إلى باجه بليدة بقرب إشبيلية فنسب إليها، ولد سنة (٤٠٣ هـ) له تصانيف منها الاستيفاء والتسديد إلى معرفة التوحيد ، ولى قضاء أماكن تصغر عن قدره،=

سنة اثنتين وخمسمائة (٥٠٢ هـ)(١).

ومن هؤلاء الشيوخ الذين وفدوا على سبته وسكنوا بها ، وهم جماعة منهم،

٤- عبد الغالب بن يوسف أبو محمد السالمي، متكلم أشعري ، قال القاضي عنه (المتكلم على مذاهب أهل السنة من الأشعرية ، أخذ عنه الناس كثيراً كان خيراً فاضلا مستقلا بعلمه إماماً فيه، له فيه تصانيف كثيرة ملاح ، صحبته كثيراً بسبته مدة مقامه فيها وناولني كثيراً من مجموعاته ثم انتقل إلى المغرب ، فتوفي فيه بمدينة مراكش سنة ٥١٦ هـ وقد كتب هو وأبو الحجاج الضرير(٢) كتابه في إختصار الهداية والشامل المسمى (أنوار الحقائق وأسرار الدقائق)(٣).

٥- يوسف بن موسى الكلبي الحجاج الضرير ، متكلم ، نحوي، أديب، قال عنه القاضي عياض (كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظار أهل السنة عارفاً بالنحو والأدب وله فية تصانيف بعلم الكلام بالمغرب، قرأت عليه أرجوزته الصغرى التي ألفها في الإعتقاد وحدثني بالكبرى وأجازني جميع تواليفه ومروياته)(٤) .

٦- علي بن أحمد بن علي الربعي المقدسي ، أبو الحسن ، دخل سبته تاجراً ،وكان عنده علم الحديث والفقه،وكان يروي صحيح البخاري والموطأ وسنن أبي داود وسنن الدارقطني ،وقد تتلمذ على شيوخ كثيرين مشاهير وأجازوه مروياتهم ، قال عياض عنه (لقيته بسبته وحدثني بأشياء وأجازني جميع رواياته عن شيوخه ، توفي سنة ٥٣١ هـ)(٥).

ب:- شيوخه الأندلسيون :

لقد كثر شيوخ عياض من مختلف مدن الأندلس وأفاد من كثير منهم عند إجتيازهم بسبته ، ممرهم الوحيد إلى المغرب والمشرق وبالعكس، ثم رحل خصيصاً للأندلس للقاء من لم يدخل بلده منهم ، أو من دخلها ولكن القاضي

=توفي سنة (٤٧٤ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٥٣٥/١٨، والديباج المذهب، ٣٧٧/١.

١) الغنية، ص ١٦٥،١٦٦.

٢) ستأتي ترجمته.

٣) الغنية ، ص ١٦٩،١٧٠.

٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٦.

٥) المرجع السابق ، ص ١٨١،١٨٣، وانظر التعريف بالقاضي ، ص ١٣٠، والصلة ٤٣٣/٢.

عياض لم ينل بغيته منه ، ومن أشهر هؤلاء الشيوخ أثراً في تكوينه العلمي ،

١- الحسين بن محمد الصدفي المعروف بابن سُكَّرة ، أبو علي ، وهو محدث حافظ عالم بالرجال وصحيح الأحاديث من سقيمها ، فقيه ، أصولي ، عامل ، فاضل مجاهد ، قاضي ، له رحلة واسعة إلى المشرق سمع خلالها من شيوخ أفريقيا ومصر ومكة والبصرة وبغداد والشام ، وهو أجل شيوخ عياض وأوسعهم رواية وأكبرهم منزلة وأكثرهم أثراً من شخصية القاضي، حيث قصده في رحلته للأندلس وكان يومها مختفياً فانتظره وقتاً طويلا حتى ظهر للناس ، وأخذ عنه وسمع منه أكثر من خمسة وعشرين كتاباً من أمهات الكتب في السنة وعلم الرجال والمصطلح وغيرها، وفي مقدمة ذلك الصحيحان البخاري ومسلم والسنن للدارقطني والسنن والشمائل للترمذي إلى آخر ما هنالك من مراجع ، ولفرط إعجاب القاضي عياض بهذا الشيخ ووفاء لبعض حقه ، فإنه صنف كتاباً ترجم له فيه ترجمة وافية واستقصى فيه ذكر شيوخه ومروياته عنهم وقد سماه (المعجم في شيوخ الصدفي) ولد هذا الشيخ سنة ٤٥٤ هـ وتوفي سنة ٥١٤ هـ(١) .

٢- محمد بن أحمد بن رشد (الجد) أبو الوليد ، وهو فقيه أصولي متكلم نظار ، قاضي ، صاحب تصانيف مفيدة ، مثل كتاب (البيان والتحصيل) و(المقدمات على المدونة) قال عنه القاضي عياض (زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدمهم المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف ودقة الفقه، وكان إليه المفزع في المشكلات وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية ، وكان بصيراً بالأصول والفروع والفرائض والتفنن في العلوم ... جالسته كثيراً وسألته واستفدت منه وسمعت بعض كتبه وأجازني سائرها وجميع رواياته ، توفي سنة ٥٢٠ هـ)(٢).

٣- محمد بن عبد الله بن محمد المعافري المعروف بأبي بكر ابن العربي، قاضي، أديب، شاعر ، حافظ ، كثير الخير ، اتقن مسائل الخلاف والأصول والأحكام على أئمة هذا الشأن ، وقرأ القرآءات ، له رحلة مشهورة إلى مصر أخذ فيها عن خيرة علمائها ثم عاد للأندلس، وقد لقيه القاضي هناك وأخذ عنه جميع مروياته وكتبه وقرأ عليه (مسألة الإيمان اللازمة) من تأليفه ، توفي سنة

---

١) الغنية ، ص ١٢٩-١٣٨ ، وانظر تذكرة الحفاظ للذهبي ، ١٢٥٣/٤ ، والصلة ، ١٤٤/١ .

٢) المرجع السابق ص ٥٤-٥٥ ، وانظر الصلة ، ٥٧٦/٢ ، وأزهار الرياض ، ٥٩/٣ .

٥٤٣ هـ(١) .

٤- عبد الله بن محمد الخشني المعروف بابن أبي جعفر ، أبو محمد ، فقيه، مفسر ، قال عنه القاضي عياض (شيخ فقهاء وقته بشرق الأندلس وأحفظهم للمذهب -أي مذهب مالك- مع المعرفة بالتفسير لكتاب الله والتفنن في المعارف والمشاركة في العلوم ، لقيته ببلده فقرأت عليه جميع صحيح مسلم وكثيراً من الكتب وحضرت عنده مجالسه في المدونة وأجازني جميع رواياته ، توفي سنة ٥٢٦ هـ)(٢) .

ج - شيوخه بالإجازة :

لقد عني القاضي عياض باستجازة أعلام عصره من العلماء الذين لم يستطع الإرتحال إليهم - وخاصة علماء المشرق - من أجل أن يوسّع دائرة مروياته ويكمل تكوينه العلمي في مختلف التخصصات ، وقد بلغ عدد شيوخه بالإجازة عشرين عالماً من مختلف أرجاء العالم الإسلامي ، وذلك بناء على ما جاء في فهرسة شيوخه(٣)، وقد أخترت أربعة منهم لكثرة ثنائه عليهم وتأثره بهم وهم :

١- محمد بن علي بن عمر التميمي المازري ، أبو عبد الله ، الفقيه ، العلامة ، قال عنه القاضي عياض (إمام أفريقيا وما وراءها من المغرب وآخر المستقلين من شيوخ أفريقيا بتحقيق الفقه ورتبة الإجتهاد ودقة النظر،لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض في وقته أفقه منه ولا أقوم لمذهبهم ، كان يفزع إليه في الفتوى في الفقه والطب، كتب إليّ يجيزني كتابه المعلم في شرح مسلم وغيره من تواليفه ، توفي - رحمه الله - سنة ٥٣٦ هـ وقد نيف على الثمانين)(٤).

---

١) المرجع نفسه ص ٧٢،٦٦ ، وانظر سير أعلام النبلاء ، ١٩٧/٢٠.

٢) المرجع السابق ص ١٥٤،١٥٣.

٣) انظر الغنية، ص ٦٢، ٦٥، ٧٥، ٨١، ٨٣، ٨٨، ٨٩، ١٠٢، ١١٥، ١٣٩، ١٤٢، ١٥٨، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٣، ٢١٣.

٤) الغنية ، ص ٦٥، وانظر أزهار الرياض ، ١٦٥/٣.

٢- أحمد بن محمد بن سَلفَة الأصبهاني، أبو طاهر، نزيل الإسكندرية ، الإمام ، الحافظ ، الثبت ، المتفَنن، الناقد ، بقية المسندين ، صاحب المصنفات النفيسة، كان أوحد أهل زمانه في علم الحديث وأعلمهم بقوانين الرواية، درس الكلام والأصول والأدب، أخذ علمه عن مشاهير علماء خراسان والعراق ومصر وغيرها في رحلته الواسعة لطلب العلم، وقد كتب إلى القاضي عياض يجيزيه جميع رواياته ومؤلفاته وطلب من عياض أن يجيزه فنظم القاضي له الإجازة في أبيات من الشعر، توفي سنة ٥٧٦ هـ(١).

٣- الحسين بن محمد الغساني المعروف بالجياني، أبو علي ، الإمام ، الحافظ المحدث ، قال عنه القاضي عياض (شيخ الأندلس في وقته وصاحب رحلتهم وأضبط الناس لكتاب واتقنهم لرواية ، مع الحظ الوافر في الأدب والنسب والمعرفة بأسماء الرجال وسعة السماع ، أتقن كتب اللغة وغريب الحديث، ورحل إليه الناس من الأقطار وحملوا عنه، كتب إليّ يجيزني فهرسته الكبرى وجميع رواياته غير مرّة من ذلك كتابه على الصحيحين المسمى تقييد المُهْمَل وتمييز المشكل، وفهرسته الكبرى ، وصحيح البخاري ومسلم والموطأ والملخص وغيرها ، توفي سنة ٤٩٨ هـ)(٢).

٤- محمد بن الوليد بن أيوب الفهري المعروف بأبي بكر الطرطوشي، الإمام، الفقيه ، الزاهد ، صاحب التصانيف البديعة ، أصله من الأندلس ، رحل منها إلى المشرق وتفقه على أئمتها في بغداد والبصرة والشام ، وسكن في الأخيرة مدة، تقدم في الفقه والأصول والتوحيد حتى حصلت له الإمامة ودرس هناك ولازم الزهد والقناعة ، ثم استوطن أخيراً الأسكندرية وتفقه عليه أهلها حتى نجب عليه عدد منهم ، ألف كتباً كثيرة منها، تعليقه في مسائل الخلاف وفي أصول الفقه وكتابه في البدع والحوادث ، وكتاب المسمى السعود في الرد على اليهود وغيرها ، وقد كتب للقاضي يجيزيه جميع رواياته وتصانيفه ، توفي سنة ٥٢٠ هـ، بالإسكندرية(٣) .

المبحث الثاني : (تلاميذه)

بعد أن كان القاضي عياض - رحمه الله - طالباً يتلقى علومه على أيدي عدد كبير من المشايخ والعلماء الذين جادوا بعلمهم الوفير عليه -عن طريق

---

١) الغنية، ص ٦٥، وانظر أزهار الرياض ، ١٦٥/٣.

٢) المرجع السابق، ص ١٣٨، ١٣٩، وانظر الديباج المذهب ، ٤٧/٢.

٣) انظر المرجع السابق ، ص ٦٢، ٦٤، والديباج المذهب ، ٤٧/٢، والصلة، ٥٧٥/٢.

التتلمذ والسماع والإجازة وغيرها- واستطاع أن يستوعب ذلك ويحققه ويبرز فيه ويصنف ويدون الكتب والرسائل في ذلك ، مالبث أن أصبح شيخاً جليلا وأستاذاً بارزاً ، يشار إليه بالبنان وهو في مرحلة مبكرة من عمره ، حيث بدأ مرحلة التدريس والعطاء العلمي منذ شبابه، وقد أقبل الطلاب عليه يأخذون ولكتبه يستمعونها ويستجيزونها في مدينة سبته وفي أي مكان يحل فيه، حتى كثر تلاميذه في بلاد الأندلس والمغرب، بحيث لا تكاد نجد عالماً من أهل الطبقة التي تلت طبقته في تلك الديار -غير ما ندر- إلا وقد تتلمذ عليه واستفاد منه وأخذ من كتبه .

ونظراً لكثرة هؤلاء التلاميذ ، فإنني سأقتصر على ذكر سبعة من مشاهيرهم ، تنبيهاً بذلك على فضل هذا الإمام الذي تخرج على يديه أمثال أولئك الأئمة الذين أفادوا الأمة بعلومهم وهم :

١- خلف بن عبد الملك بن بَشْكَوَال ، أبو القاسم ، إمام ، حافظ ، محدث، فقيه مؤرخ ، أصولي ، جمع بين علوم الرواية والدراية ، وقد تتلمذ على كبار المشايخ في مقدمتهم والده الذي كان من رجال الحديث ، وكذلك على ابن رشد وابن العربي وطبقتهم، وسمع من القاضي عياض بقرطبة ثم كتب إليه القاضي في سبته مجيزاً له، صاحب مؤلفات كثيرة من أشهرها الصلة - معجم شيوخه - وهو مطبوع في مجلدين وغوامض الأسماء ومعرفة الأفاضل في مجلدين وغيرها، ولد سنة ٤٩٤ هـ، وقيل ٤٩٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٧٨ وقيل ٥٧٩ هـ(١).

٢- محمد بن حسن بن عطية المعروف بابن غازي ، فقيه ، محقق، متقن، شاعر أديب،تتلمذ على كبار مشايخ مدينته سبته،واختص بالقاضي عياض ولازمه زمناً كثيراً وسمع منه جل رواياته وتآليفه،حتى غدا من أشهر وأقرب تلاميذه لديه، توفي سنة ٥٦٠ هـ(٢).

٣- عبد الله بن أحمد العَبْدَري المعروف بابن مَوْجوال، أبو محمد ، إمام ، محدث، مقرئ ، فقيه، بلغ مبلغاً عظيماً في الفقه والحفظ حتى ذاع صيته وكان الإمام أبو بكر ابن العربي يثني عليه ويجله ، تتلمذ على عدد من كبار الشيوخ وفي مقدمتهم أبو علي الجياني الغساني بالإضافة إلى القاضي عياض، له تآليف مفيدة أشهرها (شرح صحيح مسلم) وقد مات قبل إتمامه، توفي سنة (

---

١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان، ١٣/٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي، ١٣٣٩/٤، والمعجم في أصحاب الصدفي للضبي، ص ٨٥.

٢) انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف، ١٦٣/١.

٥٦٦ هـ)(١) .

٤- إبراهيم بن يوسف المَرّي المعروف بابن قرْقول، كان محدثاً جليلا ، واسع الرواية ، فقيهاً لغوياً ، أَصله من الأندلس وقد انتقل إلى فاس ، تتلمذ على القاضي عياض، وشغف به وتأثر به تأثراً بالغاً،ومن مظاهر ذلك أنه ألف على كتاب مشارق الأنوار للقاضي كتاباً سماه (مطالع الأنوار على مشارق الأنوار)، توفي - رحمه الله - في المغرب سنة (٥٦٩) هجرية(٢) .

٥- محمد بن سعيد الأنصاري الإشبيلي المعروف بابن زَرْقون، كان إماماً فاضلا، مقرئاً، محدثاً، أحد مبرزي فقهاء وقته، لغوياً، أديباً، شاعراً، مشاركاً في سائر العلوم، تتلمذ على القاضي عياض ولازمه كثيراً واختص به وكان من المقربين إليه، وقد أجازه القاضي عياض، له مصنفات بديعة منها، كتاب الأنوار، والجمع بين سنن الترمذي وسنن أبي داود ، توفي سنة (٥٨٦) هـ(٣).

٦- عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن حُبَيْش ، أحد أئمة وقته بالأندلس ، كان عالماً بالقرآءات وعلوم القرآن ، بصيراً بالحديث وعلله ورجاله، لغوياً، متفنناً في شتى العلوم ، أجازه القاضي عياض رواياته ومؤلفاته ، صنف كتباً مفيدة منها كتاب المغازي الذي بلغ عدة مجلدات ، توفي سنة (٥٨٤) هـ(٤) .

٧- عبد الرحمن بن أحمد الأزدي المعروف بابن القصير، المحدث الواسع الرواية ، الفقيه ، الأديب، العلامة أصله من الأندلس ، ثم ارتحل إلى المغرب واستقربّها، أخذ العلم عن جملة من كبار المشايخ ومنهم القاضي عياض، وقد ألف عدة مصنفات منها، إختصار الموطأ ، إختصار سنن الترمذي، واستخراج الدرر وعيون الفوائد والخبر، توفي سنة (٥٧٥) هـ(٥).

---

١) انظر شجرة النور الزكية، ١٤٨/١، والمعجم في أصحاب الصدفي ص ٢٣٧، ٢٣٨.

٢) انظر المرجع السابق ، ١٤٦/١، وكشف الظنون، ١٧١٥/٢.

٣) انظر المرجع السابق، ١٥٨/١.

٤) انظر المرجع السابق، ١٥٣/١.

٥) انظر المرجع السابق ، ١٥٣/١، وأزهار الرياض، ١٦/٣.

(الفصل الخامس) : (مكانته العلمية ومؤلفاته)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

المبحث الثاني : مؤلفاته ودراسة الموجود منها

المبحث الثالث : مذهبه وعقيدته

المبحث الأول : (مكانته العلمية وثناء العلماء عليه)

١- مكانته العلمية

لقد بلغ القاضي عياض - رحمه الله - مبلغاً عظيماً في العلم وفاق أقرانه فيه وأصبح ذا مكانة علمية رفيعة ، إماماً في كثير من العلوم كالفقه وأصوله والحديث وعلومه ، والتفسير، واللغة العربية وغير ذلك ، فإذا ذكر المغرب وعلماؤه ، كان اسمه في المقدمة وفضله وسيرته الحميدة في البال .

ولا عجب في ذلك ، فإن هذا الإمام الجليل ، قد ترعرع منذ نعومة أظفاره على طلب العلم والشغف فيه، وتتلمذ على يد عدد غفير من كبار الشيوخ والأئمة من المبرزين في كثير من العلوم وأخذ عنهم - كما سبق بيانه-

والحقيقة : أن القارئ لمؤلفاته - رحمه الله - ليعجب من قوة بيانه وعلوه في العلم ، ومن دقة تخريجاته وضبطه ، وسعة معارفه وفصاحته ، ويدرك أنه يتكلم في كل علم من العلوم حتى كأنه لايعرف غيره، وأكبر دليل على ذلك كثرة مصنفاته المتميزة والمتعددة التخصصات ، وغزارة النقولات في المصادر المختلفة عن كتبه في شتى المسائل والعلوم ، بالإضافة إلى شهادة العلماء والأئمة له بعلو المنزلة ورفعة المكانة والتقدم والإمامة كما سيأتي طرف من ذلك .

٢- ثناء العلماء عليه

لقد طفحت المصادر المترجمة للقاضي عياض بالتنويه بفضله والثناء عليه ، وشهدت له بالإمامة والتقدم في ضروب العلوم المختلفة ، ونوهت بجهوده العلمية الطيبة وبمؤلفاته النفيسة التي أثرى بها العلم وأهله. ولو أردت أن أستقصي كل ما قيل فيه من مدح وثناء وبيان لفضله لطال بنا الحديث؛ لذا أقتصر على ذكر عدد من الأقوال في ذلك بما أظن أن فيه الكفاية .

١- فهذا شيخه الخشني - رحمه الله - يقول عنه: (ما وصل إلينا من المغرب أنبل من عياض)[١].

٢- وقال عنه تلميذه ابن بشكوال : (روى عن كبار المشايخ وعني بلقائهم والأخذ عنهم وجمع من الحديث كثيراً ، وله عناية كثيرة به وإهتمام بجمعه

---

[١] انظر التعريف بالقاضي ص ١٠٦ ، والاحاطة ، ٤/٢٢٢.

وتقييده ، وهو من أهل التفنن والذكاء واليقظة والفهم)(١) .

٣- وقال عنه ابن الأبّار(٢): (القاضي ، المحدث ، الحافظ ، الحافل ، كان لايدرك شأوه ولايبلغ مداه في العناية بصناعة الحديث وتقييد الآثار وخدمة العلم، مع حسن التفنن فيه، والتصرف الكامل في فهم معانيه ... وبالجملة فإنه كان جمال العصر ومفخر الأفق وينبوع المعرفة ، ومعدن الإفادة، وإذا عدت رجالات المغرب - فضلا عن الأندلس- حسب فيهم صدراً ، له تواليف مفيدة كتبها الناس وانتفعوا بها، وكثر إستعمال كل طائفة لها)(٣).

٤- وقال عنه ابن خلكان(٤) : (كان إمام وقته في الحديث وعلومه ، والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، صنف التصانيف المفيدة البديعة)(٥).

٥- وقال عنه الإمام الذهبي : (الإمام العلامة ، الحافظ الأوحد ، شيخ الإسلام ، استبحر في العلوم وجمع وألّف ، وسارت بتصانيفه الركبان واشتهر اسمه في الآفاق)(٦) .

٦- وقال عنه الإمام ابن كثير : (أحد مشايخ العلماء المالكية ، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة ، كان إماماً في علوم كثيرة ، كالفقه و اللغة ، والحديث ، والأدب، وأيام الناس)(٧).

٧- وقال عنه الإمام السيوطي(٨): (بَعُدَ صيتة ، وكان إمام الحديث في وقته

---

١) الصلة ، ٤٥٣/٢.

٢) هو أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، يعرف بابن الابار ، وهو عربي الاصل ، كان أحد أئمة الحديث في وقته ، قرأ القراءات وكان مؤرخاً أديباً ، شاعراً ، إماماً في العربية ، ولد سنة (٥٩٥ هـ) بلنسيه بالاندلس وتوفي سنة (٦٥٨ هـ) انظر ترجمته في تاريخ ابن خلدون ، ٢٨٣/٦،٢٨٥، ونفح الطيب، ٣٤٦/٣،٣٤٧.

٣) المعجم في أصحاب الصدفي ، ٣٠٦،٣٠٧.

٤) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الشافعي ، ولد سنة (٦٠٨ هـ) ولقي كبار العلماء وبرع في الفضائل والآداب،وسكن مصر ثم ولى قضاء الشام عشر سنين، كان إماماً فاضلا متقناً جيد القريحة بصيراً بالعربية،علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، جمع كتاباً نفيساً في وفيات الأعيان، توفي سنة (٦٨١ هـ) انظر ترجمته في شذرات الذهب ، ٣٧١/٥، والاعلام ، ٢٢٠/١.

٥) وفيات الأعيان ، ٤٨٥/٣.

٦) سير أعلام النبلاء ، ٢١٢/٢٠-٢١٥.

٧) البداية والنهاية ، ٢٤١/١٢.

٨) هو الإمام الحافظ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن سابق الدين الحضيري السيوطي، أحد الحفاظ المؤرخين الأدباء، كان بحراً من العلوم في مختلف التخصصات فقد زادت مؤلفاته على (٦٠٠) مؤلف بين مؤلف في عدة مجلدات ومالا يتجاوز الكراسة ، توفي سنة (٩١٠ هـ) . انظر ترجمته=

وأعلم الناس بعلومه، وبالنحو واللغة، وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم)(١).

٨- وقال ابن فرحون عنه (كان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالماً بالتفسير وجميع علومه، فقيها أصولياً، عالماً بالنحو وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيراً بالأحكام، عاقداً للشروط، حافظاً لمذهب مالك، شاعراً مجيداً، خطيباً بليغاً، صبوراً حليماً، جميل العشرة، دؤوباً على العمل، صلباً في الدين، له التصانيف المفيدة البديعة)(٢) .

٩- وقال عنه الأتابكي : (الحافظ الناقد، الحجة، أحد عظماء المالكية، كان إماماً حافظاً محدثاً و فقيهاً، ومتبحراً في العلوم و صنف التصانيف المفيدة وانتشر اسمه في الآفاق وبعد صيته)(٣) .

١٠- وقال عنه طاش كبرى زاده(٤):(هو أحد أركان الإسلام، عالم المغرب، كان ثقة، ورعاً زاهداً عابداً، متصلباً في الدين، قوي العقيدة، بعيداً عن الفتن، من كتبه الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وهو كتاب نفيس لم يؤلف مثله في بابه)(٥) .

١١- وقال عنه ابن العماد الحنبلي(٦): (كان عديم النظير، حسنة من حسنات الأيام، شديد التعصب للسنة والتمسك بها)(٧) .

=في الضوء اللامع للسخاوي ، ١/٥، ٢/٩، ٤/٦٥، والبدر الطالع للشوكاني، ١/٣٢٨، والأعلام للزركلي ، ٣/٣٠١.

١) طبقات الحفاظ ، ص ٤٧٠.

٢) الديباج المذهب، ٢/٤٦،٤٧.

٣) النجوم الزاهرة ، ٥/٢٨٥.

٤) هو أبو الخير، أحمد بن مصطفى بن خليل الشهير بطاش كبرى زاده، مؤرخ تركي الأصل مستعرب نشأ في أنقرة وتأدب وتفقه، قلد القضاء بحلب ثم بالقسطنطينية فأجرى الأحكام الدينية على الناس ، كان منصفاً راضياً بالحق عارياً عن المكابرة من كتبه مفتاح السعادة وغيرها، توفي سنة (٩٦٨ هـ) ، انظر ترجمته في شذرات الذهب ، ٨/٣٥٢، والأعلام ، ١/٢٥٧.

٥) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، ٢/١٢٠.

٦) هو أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي، مؤرخ فقيه عالم بالأدب ولد في صالحية دمشق وأقام في القاهرة مدة طويلة ، له مؤلفات عديدة منها شذرات الذهب في أخبار من ذهب وشرح متن المنتهى في فقه الحنابلة ، مات بمكة حاجاً في سنة (١٠٨٩ هـ) انظر ترجمته الأعلام للزركلي ، ٣/٢٩٠.

٧) شذرات الذهب ، ٤/١٣٩، سيأتي أن للقاضي -غفر الله له- هفوات في العقيدة خالف فيها مذهب السلف.

المبحث الثاني : (مؤلفاته ودراسة الموجود منها)

لقد كان للقاضي عياض - رحمه الله - إنتاج علمي كبير أثرى به المكتبة الإسلامية بفنونها المتعددة ، فأضحى كثير منها من المصادر الأساسية لطلبة العلم بل وللمؤلفين على مر الأجيال ، لما اتسمت به من الإبداع والجودة والدقة والغزازة العلمية ، وقد بلغت مؤلفاته الثلاثين ، وقد أهتم المترجمون له بذكرها على تفاوت بينهم في ذلك، وكان ابنه محمد وصاحب كتاب (أزهار الرياض) أكثرهم عناية بذلك، حيث خصص كل منهما فصلا ذكر فيه مؤلفات القاضي بالتفصيل ، فسمى ابنه محمد هذا الفصل والعنوان (تسمية تواليفه رحمه الله) في حين سماه الآخر (روضة النَسْرين في تآليفه العديمة النظير والقرين) .

وبالنظر إلى تلك المؤلفات فإنه يمكن توزيعها على الموضوعات أو الفنون التالية ،

١- الحديث وعلومه .

٢- العقيدة.

٣- الفقه .

٤- الأحكام والسياسة الشرعية .

٥- المواعظ .

٦- التاريخ .

٧- اللغة والأدب.

وفيما يلي إليك أسماء هذه المؤلفات مع تعريف مختصر بما يمكن التعريف به منها .

أولا : (١) مصنفاته في الحديث وعلومه : ألف في هذا المجال أحد عشر كتاباً موزعة على خمسة جوانب هي :

(أ) **شرح الحديث** : وقد صنف فيه كتابين هما :

(١) (كمال المعلم بفوائد مسلم)[١] وهو من أعظم وأهم ما ألف في شرح (الجامع الصحيح) للإمام مسلم - رحمه الله - وقد نص القاضي على تسميته بهذا الاسم اعترافاً بالفضل لشيخه المازري الذي ألف كتاباً سماه (المعلم بفوائد مسلم) وقد وجد القاضي أن شيخه قد غفل عن أمور كثيرة ولم يتعرض لها من ناحية السند والمتن، فقام بإكمال كتابه فشرح مقدمة صحيح مسلم شرحاً وافياً ، وتوسع في بيان ما فيها من مسائل مصطلح الحديث بمالم يشرحه شيخه ، كما شرح مالم يتعرض إليه المازرني مما رأى القاضي حاجة إلى شرحه - من فنون الأحاديث - وهو كثيراً جداً ، بحيث يندر وجود حديث لم يشرح القاضي عياض بعض ألفاظه ، وذلك ببيان معانيه، وضبط ألفاظه واستنباط الأحكام الفقهية والفوائد المختلفة منه، بالإضافة إلى بيان الغامض وإختلاف ألفاظ الرواة وغير ذلك ، كما قام بالتوضيح والبيان والإستدراك والتعقيب على كلام المازري وغيره في هذا الشأن عند الحاجة إلى ذلك كما نص رحمه الله على ذلك[٢] .

هذا ولا يزال الكتاب مخطوطاً[٣] إلى الآن إلا أنه قد حقق منه جزء قليل من أوله إلى نهاية كتاب الايمان في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد علمت أن مجموعة من الطلاب بجامعة أم القرى تقوم بتحقيقه كاملا .

(٢) (بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد)[٤] ، وقد خصصه القاضي لشرح حديث أم زرع الطويل حيث ساق روايات الحديث بأسانيدها ، منها على إختلاف ألفاظ الرواة ، ومن ثم شارحاً للألفاظ الغريبة ومبيناً الأحكام الفقهية المستنبطة منه مشيراً إلى فنون البلاغة فيه .

ويعتبر هذا الكتاب من أفضل الشروح لهذا الحديث ، وقد طبع الكتاب المذكور أكثر من مرة بعناية وزارة الأوقاف المغربية أولها عام ١٣٩٥ هـ.

---

١) التعريف بالقاضي ، ص ١١٦، وسير أعلام النبلاء، ٢١٥/٢٠، وفيات الأعيان ، ٤٨٥/٣، والديباج المذهب ، ٤٩/٢، وغيرها.

٢) انظر إكمال المعلم ، ١٩،١٢/١.

٣) له عدة نسخ في الجامعة الإسلامية وعندي نسخة مصورة عنها لأكثر الكتاب .

٤) التعريف بالقاضي، ص ١١٧، وفيات الأعيان ، ٤٨٥/٣، والديباج المذهب ، ٤٩/٢.

(ب) **شرح غريب الحديث** وقد صنف فيه كتابين هما :

(١) (مشارق الأنوار على صحاح الآثار)(١)، وموضوعه تقويم الألفاظ الغريبة الواردة في أحاديث الصحيحين والموطأ ، بالإضافة إلى شرح تلك الأحاديث وضبطها وضبط الأسماء والكنى والأنساب وأسماء الأماكن والبلدان ، مع التنبيه على ما يقع في ذلك من وهم أو تصحيف أو لبس ، منبهاً في الوقت ذاته على إختلاف ألفاظ الرواة.

وقد رتبه - رحمه الله - على حروف المعجم بحيث جعل لكل حرف باباً وقد قسّم الباب إلى أربعة فصول ، الأول في ضبط ألفاظ المتون وشرحها ، والثاني في ضبط اسماء الأماكن والبلدان ، والثالث في ضبط المشكل والكنى ، والرابع في ضبط الأنساب ، وهذا الكتاب فريد في بابه عظيم الفائدة، وقد أثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً واعتمدوا عليه(٢)، فقد قال فيه ابن فرحون : (وكتاب مشارق الأنوار ... لو كتب بالذهب أو وزن بالجوهر لكان قليلا في حقه)(٣) .

وقد طبع الكتاب أكثر من مرة بالقاهرة والمغرب وتونس ، ولكنه مازال بحاجة إلى خدمة وتحقيق .

(٢) (غريب الشهاب)(٤)، وهو شرح لغريب الفاظ أحاديث كتاب (شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب) لأبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي(٥)(ت ٤٥٤ هـ) .

وقد صرح القاضي - رحمه الله - بسماعه عن جماعة من شيوخه كما ذكر ذلك

---

١) التعريف بالقاضي ، ص ١١٧، وأزهار الرياض، ٢٧٢/٤، وسير أعلام النبلاء ، ٢١٥/٢٠، ووفيات الأعيان ، ٤٨٥/٣.

٢) انظر أزهار الرياض ، ٣٤٢/٤-٣٤٦.

٣) الديباج المذهب ، ٤٩/٢.

٤) كشف الظنون عن أسامي الفنون لحاجي خليفة ، ١٠٦٧/٢، وهدية العارفين بأسماء المؤلفين لإسماعيل باشاه، ٨٠٥/٥.

٥) هو الفقيه العلامة القاضي أبو عبد الله، محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي المصري الشافعي، قاضي مصر، كان متفنناً في عدة علوم ، ومن الثقات الأثبات شافعي المذهب والإعتقاد مرضي الجملة له تصانيف منها (شهاب الاخبار في الحكم والأمثال والآداب من الاحاديث النبوية) جمع فيه أكثر من ألف حديث وكتاب أخبار الشافعي وغيرها ، توفي سنة (٤٥٤ هـ) بمصر، انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ، ١٥٠/٤، وسير أعلام النبلاء ، ٩٢/١٨، وشذرات الذهب ، ٢٩٣/٣.

في الغنية(١)، ولايزال الكتاب مفقوداً .

(ج) **مصطلح الحديث** : وقد صنف فيه كتاباً واحداً هو :

(١) الإلماع إلي معرفة الرواية وتقييد السماع)(٢)، وهو كتاب مشهور عظيم الفائدة ، وقد اعتمد عليه من جاء بعد القاضي من العلماء.

وقد ضمنه - رحمه الله - تسعة عشر باباً، حرّر في معظمها قواعد دقيقة حول سماع الحديث وروايته ، وأنواع التحمل والأداء وصيغ التعبير عن ذلك، وكتابة الحديث وضبطه وتقيده ، وحكم الرواية بالمعنى وغير ذلك .

وقد طبع الكتاب بتحقيق السيد أحمد صقر أكثر من مرة بالقاهرة وتونس بطباعة جيدة .

(د) **السيرة النبوية** : وقد صنف في هذا المجال ثلاثة كتب هي:

(١) إختصار كتاب شرف المصطفى ﷺ(٣)، والكتاب الأصلي من تأليف عبد الملك بن محمد النيسابوري الواعظ (ت ٤٠٦ هـ)(٤)، وقد شاع هذا الكتاب عن القاضي ورواه عنه طلاب العلم(٥) .

(٢) (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ)(٦) ، وهذا الكتاب هو أشهر كتبه - رحمه الله - وأجلها وأعظها قدراً ، وأكثرها فائدة، وأوسعها إنتشاراً ، ورغم أن الموضوع العام للكتاب هو سيرة الرسول ﷺ مع بيان حقوقه، إلا أن مؤلفه قد تعرض إلى جوانب عقدية وفقهية وأصولية كثيرة ومهمة بأسلوب بليغ ، وبيان غزير، فخرج فريداً من نوعه وبلغ النهاية في بابه ، بحيث لم يصنف مثله - كما نص على ذلك كثير من العلماء - فقد قال ابن فرحون عنه (أبدع فيه كل الإبداع وسلم له أكفاؤه كفايته فيه ولم ينازعه أحد في الإنفراد به)(٧) .

---

١) انظر الغنية ، ص ١٠١، ١٣١، ١٥٤.

٢) التعريف بالقاضي ، ص ١١٦، وأزهار الرياض ، ٣٤٦/٤، والديباج المذهب، ٥٠/٢، وغيرها.

٣) فهرسة ابن خير الاشبيلي ، ص ٥٨٩.

٤) هو شيخ الاسلام أبو سعد، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الواعظ، سمع بدمشق وبغداد ومكة وجاور وصحب الكبار ووعظ وصنف ورزق القبول الزائد وبَعُد صيته، له تفسير كبير وكتاب دلائل النبوة وكتاب الزهد،كان ثقة ورعاً صالحاً ، توفي سنة (٤٠٧ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٢٥٦/١٧، وشذرات الذهب ، ١٨٤/٣.

٥) فهرسة ابن خير ، ص ٥٨٩ .

٦) التعريف بالقاضي ، ص ١١٦، وأزهار الرياض ، ٣٤٧/٤، وغيرها.

٧) الديباج المذهب ، ٤٨/٢.

وقال طاش كبرى زاده (هو كتاب نفيس لم يؤلف مثله في بابه(١))

ومما انتقده العلماء على هذا الكتاب حشوه بالأحاديث والآثار الضعيفة والواهية والتأويلات البعيدة - كما نبه على ذلك الإمام الذهبي(٢) - وكذلك غلوه بمسألة العصمة للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٣) - رحمه الله - وهذا في الحقيقة لاينقص من قيمة الكتاب ولايحط من قَدْر مؤلفه ، لأن النقص والخطأ من سمة البشر ، ولأن ما فيه من الحق والصواب والمسائل الهامة والدقيقة هي الغالبة عليه، وهي مما لا غنى لكل مسلم - فضلا عن طالب العلم- عنها ، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ.

وقد طبع الكتاب مراراً وزادت شروحه على العشرين(٤) .

(٣)- (الصلاة على النبي ﷺ معانيها، أحكامها، فضائلها)(٥) وهو كتاب جيد في بابه ، يتميز بحسن العرض، والتنسيق ، والترتيب، والمناقشة، وقد قسمه مؤلفه إلى ثمانية فصول تحدث فيها عن معنى الصلاة على النبي وعن حكمها وكيفيتها وفضيلتها، وعن المواطن التي تستحب فيها، وقد طبع الكتاب بما يقارب السبعين صفحة من الحجم الصغير في دار المختار الإسلامي بالقاهرة عام ١٩٨٤م .

(هـ) **التراجم والرجال** : وقد ألف - رحمه الله - في هذا الباب أربعة كتب هي :

(١) (أخبار القرطبيين)(٦) وقد ذكر فيه علماء قرطبة ، حاضرة بلاد الأندلس ، والكتاب مفقود .

---

١) مفتاح السعادة ، ١٣٠/٢.

٢) انظر سير أعلام النبلاء ، ٢١٦/٢٠.

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ٣١٩/٤، ١٤٨/٥.

٤) أفضلها (نسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجي) انظر التعريف بكتاب الشفا، ص ١١٣، وأزهار الرياض ، ٣٠٧/٤.

٥) التعريف بالقاضي ، ص ١١٧.

٦) المرجع السابق وكشف الظنون ، ١٠٦٧/٢، وهدية العارفين، ٨٠٥/٥.

(٢) (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك)(١) وهو كتاب في تراجم طبقات المالكية لايوجد لهم مثله ، وقد ابتدأه بترجمة موسعة للإمام مالك ثم ذكر تلاميذه من مختلف البلاد، ثم ذكر من بعدهم إلى طبقة شيوخه، ويعتبر هذا الكتاب أضخم موسوعة في طبقات المالكية ، وقد احتوى على معلومات مفيدة، وعلوم غزيرة في شتى التخصصات ، من عقيدة وفقه وأصول وأدب وغيرها، وقد طبع الكتاب عدة مرات.

(٣) (الغنية)(٢) وهي فهرسة شيوخه - رحمه الله - وقد احتوت على ثمان وتسعين شيخاً انتقاهم القاضي عياض من مجموع شيوخه الذين سمع منهم أو أجازوه، وهذا الكتاب جيد للغاية ، وهو يدل على سعة علم القاضي وكثرة ما أخذه من كتب ورسائل من هؤلاء الشيوخ تربوا على المائتين .

وقد طبع الكتاب عدة مرات بتحقيق جيد آخرها طبعة دار الغرب الإسلامي في بيروت بتحقيق ماهر جرار ، عام ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م .

(٤) (المعجم في ذكر أبي علي الصدفي وأخباره وشيوخه)(٣) وقد ذكره القاضي عياض - رحمه الله - في الغنية حيث قال في معرض حديثه عن الصدفي (ضمنته ذكره وأخباره وشيوخه وأخبارهم ، وهم نحو مائتي شيخ)(٤) .

(٢) ثانياً : (مصنفاته في العقيدة): لم يؤلف في العقيدة سوى كتابين اثنين هما:

(١) (السيف المسلول على مَنْ سَبَّ أصحاب الرسول ﷺ)(٥) وهو مفقود .

(٢) (كتاب العقيدة) المسمى (منهاج العوارف إلى روح المعارف في شرح مشكل الحديث(٦)، وهذا الكتاب سلك فيه القاضي - غفر الله له - مسلك الأشاعرة في تأويل آيات وأحاديث الصفات وأبعد فيه كثيراً عن منهج السلف في هذا الجانب، ولايزال الكتاب مخطوطاً وتوجد له عدة نسخ ، منها واحدة في دار الكتب المصرية برقم (١٢٨٥ حديث) وأخرى في جامعة أم القرى برقم ٥/٦٣٠ وقد صورتها وأهديتها للجامعة الإسلامية واحتفظت بنسخة لي بعد أن

---

١) التعريف بالقاضي ، ص ١١٦، سير أعلام النبلاء ، ٢١٤/٢٠، وغيرها .
٢) التعريف بالقاضي ، ص ١١٧، وأزهار الرياض ، ٦/٥ .
٣) المرجع السابق ، ص ١١٨، والديباج المذهب، ٤٩/٢، الغنية، ص ١٣٠، ٢٣١.
٤) الغنية ، ص ١٣٠، ٢٣١.
٥) هدية العارفين ، ٨٠٥/٥.
٦) سير أعلام النبلاء ، ٢١٤/٢٠، والنجوم الزاهرة ٢٨٥/٥.

جئت بالميكروفيلم من جامعة أم القرى .

(٣) **ثالثاً : (مصنفاته في الفقه) :** صنف في هذا المجال سبعة كتب ، هي :

(١) (أجوبة القرطبيين)(١)وهو مفقود.

(٢) (الإعلام بحدود قواعد الإسلام)(٢) وهو كتيب صغير يربو على السبعين صفحة ، وقد ألفه إستجابة لرغبة أحد معلمي الأطفال الذي طلب منه أن يجمع فصولا سهلة مفسرة لقواعد حدود الإسلام لكي يدرسها لصغار الطلبة، ففعل جزاه الله خيراً ، والكتاب جيد سهل الأسلوب ، وقد طبع أكثر من مرة آخرها بتحقيق ومراجعة الشيخ أحمد حسن رجب عام ١٤١٠ هـ ، وقد أهدي مع مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ، ١٤١٠ هـ .

(٣) (الأجوبة المحبَّرة عن المسائل المتخيِّرة)(٣) وقد توفي رحمه الله قبل أن يتمه ، والكتاب مفقود .

(٤) (التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة)(٤) وقد جمع فيه عجائب جمة لذلك يعوّل عليه المغاربة في حل مشكلات المدونة وضبط ألفاظها، وفي الإهتمام بما فيها من أحاديث وآثار وجوانب فقهية.

ولايزال الكتاب مخطوطاً ، وله نسخ عديدة جيدة في الخزانة الحسنية بالرباط بالمغرب برقم (٥٣٤ و ٩٨١٨) وخزانة القرويين بفاس برقم (٣٣٣/٤-٣٣٣٦ - و ١١٩١/٨٠).

(٥) (المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان)(٥) وهو مما لم يكمله أيضاً ، والكتاب مفقود .

(٦) (نظم البرهان على صحة جزم الأذان)(٦) ولا يعرف له مكان الآن.

(٧) (مسألة الأهل المشترط بينهم التزاور)(٧) وهو مفقود.

---

١) التعريف بالقاضي ، ص ١١٨ ، وأزهار الرياض ، ٦/٥ ، والديباج المذهب ، ٥٠/٢ .

٢) المرجع السابق، ص ١١٦ ، وأزهار الرياض ، ٦/٥ .

٣) المرجع السابق، ص ١١٨ ، وأزهار الرياض،٦/٥ ، والديباج المذهب ،٥٠/٢ .

٤) التعريف بالقاضي ، ص ١١٦ ، وسير أعلام النبلاء ، ٢١٥/٢٠ .

٥) التعريف بالقاضي ، ص ١١٨ ، والديباج المذهب ، ٥٠/٢ ، ووفيات الأعيان ، ٣٨٤/٣ .

٦) التعريف بالقاضي ، ص ١١٧ ، وأزهار الرياض ، ١٠/٥ ، والديباج المذهب ، ٥٠/٢ .

٧) التعريف بالقاضي، ص ١١٧ ، والديباج المذهب ، ٥٠/٢ .

(٤) **رابعاً : (مصنفاته في الأحكام والسياسة الشرعية)** : له في هذا الجانب ثلاثة كتب هي :

(١) (أجوبته فيما نزل في أيام قضائه من نوازل الأحكام)(١)، وهو مفقود، لكن ولده محمداً ضمه مع أجوبة أخرى لأبيه في كتاب سماه (مذاهب الحكام في نوازل الأحكام) وهو موجود مخطوط وله نسخة في المغرب الرباط بالخزانة الحسنية برقم (٤٦٤٢) وقد طبع أخيراً بتحقيق الدكتور محمد بن شريفه عضو أكاديمية المملكة المغربية سنة ١٩٩٠ م بدار الغرب الإسلامي بيروت .

(٢) (مطامح الأفهام في شرح الأحكام)(٢) وهو مفقود أيضاً .

(٣) (سر السراه في آداب القضاة)(٣) وهو مفقود كذلك .

(٥) **خامساً : (مصنفاته في المواعظ)** لم يؤلف في هذا سوى كتاب واحد هو:

(١) (كتاب خطبة)(٤)وهو عبارة عن مجموعة من خطبه التي كان - رحمه الله - يخطبها ، والتي اشتملت على مواضع متعددة في الوعظ والإرشاد ، وقد ضم هذا الكتاب خمسين خطبة مختارة جاءت في سفر كامل ، وكان (خطيباً فصيحاً ، لا يخطب إلا بما يصنع ، وكانت خطبته فصيحة ذات رَوْنق، عذبة الألفاظ، سهلة المأخذ)(٥).

ومن المؤسف أنه لا يعرف لهذا الكتاب مكان الآن .

(٦) **سادساً : (مصنفاته في التاريخ)** له في هذا الشأن ثلاثة مؤلفات هي :

(١) (تاريخ المرابطين) وقد انتهى فيه إلى سنة ٥٤٠ هـ(٦) ، وهو مفقود .

(٢) (الجامع في التاريخ)(٧) وهو كتاب نفيس حيث إنه - رحمه الله - قد (جمع فيه أخبار ملوك الأندلس والمغرب منذ دخول الإسلام إليها ، واستوعب

---

١) التعريف بالقاضي، ص ١١٧، والديباج المذهب ، ٥٠/٢.
٢) هدية العارفين ، ٨٠٥/٥.
٣) التعريف بالقاضي، ص ١١٨، والديباج المذهب ، ٥٠/٢.
٤) التعريف بالقاضي ، ص ١١٧، وأزهار الرياض ، ٣٤٩/٤.
٥) التعريف بالقاضي ، ص ٥، وص ٨٧.
٦) أزهار الرياض ، ٥/٥.
٧) المرجع السابق ، ٦/٥، وسير أعلام النبلاء ، ٢١٤/٢٠.

فيه أخبار سبته وقضاتها وفقهائها ، وقد أربى على جميع المؤلفات في بابه)[1].
ولا يعرف لهذا المرجع مكان الآن .

(٣) (الفنون الستة في أخبار سبته) وبعضهم يسميه (العيون الستة)[2]، وقد خص هذا الكتاب لذكر أخبار مدينته - سبته - وعلمائها، فاستوعب ذلك جيداً ، وقد قام بترجمة مفصلة لعلماء هذه المدينة العامرة ، فغدا الكتاب مرجعاً أساسياً موثوقاً لمن أراد أن يعرف شيئاً عن سبته وعلمائها، ولكن من المحزن أن هذا الكتاب مفقود.

(٧) سابعاً (مصنفاته في اللغة والأدب) : له في هذا الشأن كتابان هما :

(١) (سؤالات وترسيل)[3] وهو مفقود .

(٢) (غنية الكاتب وبغية الطالب في الصُدور والترسيل)[4] وهو مفقود أيضاً .

هذه مؤلفات القاضي عياض - رحمه الله - وقد بلغت ثلاثين كتاباً ، وهي تدل على سعة علمه وتنوع تخصصاته ، وقد أسهم بها في إثراء التراث الإسلامي والمكتبة الإسلامية بحظ وافر.

وكم كنا نتمنى وجودها بين أيدي طلاب العلم لينهلوا من معينها، ولكن من المؤسف حقاً أن أكثرها موجود، فلم يصل منها إلينا سوى القليل جداً ، ولعل السبب في ذلك - والله أعلم - أن القاضي كان مجاهراً بالحق ومن أشد الناس معارضة لدولة الموحدين المنحرفة ، حيث إنه قد عاش زمناً طويلا تحت حكمها ونفوذها، وقد كان من نتيجة ذلك أنها نفته عن مدينة ومن ثم قتلته - كما سبق ذكره[5]، فلا يستبعد أن تخفي هذه الدولة الجائرة كتبه وتراثه الثمين -بعد أن قضت على شخصه - ، وذلك لتنسي الناس ذكره، وبالتالي تحرمهم من

---

١) سير أعلام النبلاء ، ٢١٤/٢٠، ٢١٥.

٢) التعريف بالقاضي ، ص ١١٧، والديباج المذهب ، ٥٠/٢، والإحاطة ، ٨٣/١.

٣) أزهار الرياض ، ٥/٥، ومعنى الترسيل : التمهل والتحقيق وعدم العجلة ، تقول رسل في القراءة أي رسل وحقق بلا عجلة وفي الحديث (كان كلامه ﷺ ترسيل) رواه أبو داود ، وهو حسن ، أنظر صحيح الجامع برقم ، ٤٦٩٩، وتقول ترسل الكاتب أي أتى بكلامه مرسلا من غير سمع ، راجع المعجم الوسيط ، ٣٤١/١.

٤) التعريف بالقاضي ، ص ١١٧، والديباج المذهب ، ٥٠/٢.

٥) راجع ص (٢٣) فيما تقدم .

التأثر به والإستفادة منه، وهذا سلاح الطغاة والجبابرة في كل زمان ومكان .

المبحث الثالث : (مذهبه وعقيدته) وفيه مطلبان :

المطلب الأول: مذهبه

نشأ القاضي عياض - كما سبق القول(١) - في أسرة محبة للعلم والعلماء ، وترعرع في ظل علماء وفقهاء من المالكية أحبهم وتتلمذ على أيديهم و حفظ متون مذهبهم الذي كان منتشراً في تلك الديار المغربية ، ومالبث أن أصبح - وفي فترة وجيزة- متعلقاً في هذا المذهب ، متمكناً فيه يتصدر للفتوى ، بل وللقضاء ولمّا يتجاوز الثلاثين من عمره .

ومن شدة شغفه بمذهبه نجده يؤلف كتاباً خاصاً بتراجم طبقات المالكية ، ابتدأه بترجمة مطولة للإمام مالك(٢) ومن ثم تلاميذه ، فمن بعدهم إلى طبقة شيوخه ، وقد سماه (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك)، وقد تقدم القول عنه أنه يعتبر أهم وأعظم مرجع لطبقات المالكية، لايوجد لهم مثله. هذا بالإضافة إلى كتبه الفقهية وشروحاته الحديثية العديدة التي خدمت المذهب المالكي خدمة كبيرة.

ومما يدل أيضاً على مذهبيته المالكية ترجيحه لمذهب مالك وتقديمه له على غيره من الأئمة وجعل مذهبه هو الأرجح والواجب إتباعه ومبالغته في الإستدلال على ذلك(٣)، وكذلك عنايته الخاصة بتقرير مذهب مالك وأصحابه في المسائل الفقهية المختلفة ، والإستدلال لمذهبه ، وبيان ما تأوله أصحاب المذهب من الأحاديث ، والإعتذار لهم فيما لم يأخذوا به ، بالإضافة إلى إهتمامه ببيان مشهور مذهب مالك ، واختلاف أقواله في المسألة الواحدة ، واختلاف الرواة عنه، وتنبيهه إلى ما نسبه العلماء لمالك خطأ . والأمثلة على ذلك كثيرة

---

١) راجع ص ٢٦ من هذا البحث .

٢) هو شيخ الاسلام وحجة الامة ، إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الحميري الأصبحي المدني حليف بني تميم من قريش ، كان رحمه الله صلباً في الدين متبعاً للسنن محباً لها بعيداً عن الأهواء والملوك، وأحد الأئمة الأربعة وإليه تنسب المالكية وهو من سادات تابع التابعين وجلة الفقهاء الصالحين ، ولد سنة (٩٣ هـ) وتوفي سنة (١٧٩ هـ) وعمره ٨٩ سنة ، انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٤٠، وترتيب المدارك، ١٠٢/١-٢٥٤ وسير أعلام النبلاء ٤٨/٨.

٣) انظر للتدليل على ذلك ترتيب المدارك ، ٦٦/١-١٠٢، فقد ملأ جل كل هذه الصفحات بالأدلة والإعتبارات لترجيح مذهبه غفر الله له.

أكتفي بذكر بعض منها .

١- فقد قال عند ذكره أحاديث التشهد (أختار مالك تشهد عمر بن الخطاب (١) -رضي الله عنه- الذي ذكره في مؤطئه ، وهو وإن كان غير مسند للنبي ﷺ فملحق بمعنى المسند ، ويقوي قوته ، ويترجح على غيره من المسانيد، لتعليم عمر رضي الله عنه ، له الناس على المنبر ، حيث روى أنه جمعهم علماء وعامّة فلم ينكر عليه أحد منهم ، فدل سكوتهم له واستمراره على تعليمه الناس أن ذلك عندهم معلوم وأن التشهد غير مقصور على رواية غيره)(٢). وهذا يدل على تقريره لمذهب مالك واستدلاله له .

٢- ومن الأمثلة على ذكره لمشهور مذهبه ، قوله عند كلامه على حديث « أن النبي ﷺ جهر في صلاة الكسوف)(٣) ، اختلف العلماء في ذلك ، فأخذ بالجهر بالنهار لهذا الحديث جماعة من السلف وفقهاء الحديث ، ومالك فيما روى عنه، ومشهور قوله الإسرار فيها(٤).

٣- ومن الأمثلة التي ذكرها على إختلاف أقوال مالك في المسألة الواحدة، قراءة الجنب والحائض للقرآن حيث قال : (اختلف العلماء في قراءة الجنب والحائض القرآن ، ظاهراً بالمنع لهما، والإباحة لهما، ومنع الجنب لملكه طهره دون الحائض لأن أمرها يطول ، والأقوال الثلاثة لمالك - رحمه الله -)(٥).

٤- وقال عند كلامه على أحكام المخيَّرة : (اختلفوا إذا أختارت زوجها، فكافَّتُهم على أنه لايلزم فيه شيئ، وهو قول جماعة من السلف وأئمة الفتوى

---

١) هو أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين أبو حفص، عمر بن الخطاب بن فضل بن عبد العزى القرشي العدوي من أيد الله به الإسلام وفتح به الامصار، الصادق المحدث الملهم، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم وكانت السفارة إليه فيهم وكان شديداً على الاسلام والمسلمين عند مبعث الرسول ﷺ، ثم دخل الإسلام قبل الهجرة بخمس سنين فكان إسلامه عزاً وقوة للمسلمين وفرجاً من الضيق ، هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وبويع له بالخلافة يوم وفاة أبي بكر رضي الله عنهما سنة ١٣ هـ بعهد منه فكان يضرب بعدله المثل وهو أول من أرخ بالتاريخ الهجري، استشهد بيد أبي لؤلؤه المجوسي الذي قتله غدراً وهو في صلاة الفجر وذلك سنة (٢٣ هـ) رحمه الله ورضي عنه ، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد ، ١٦٧/٥، أسد الغابة ٥٢/٤، والإصابة ٥١١/٢.

٢) إكمال المعلم ، ١٤٧/١، وانظر نماذج أخرى ، ١١٣/١، ١١٩، ١٣٢، ١٣٣.

٣) رواه البخاري في الكسوف باب الجهر بالقراءة في الكسوف ، ٦٣٨/٢، برقم ١٠٦٥و ومسلم في ك الكسوف ، باب صلاة الكسوف ، ٦٢٠/٢، برقم ٩٠١.

٤) إكمال المعلم ، ٤٣/١، وانظر أمثلة لذلك في، ١٨/١، ٥٥، ١١٠.

٥) المرجع السابق ، ١٢٣/١، وانظر نماذج أخرى على ذلك ، ١٢٨/١، ١٣٦، ٢١٥/٢.

ومشهور مذهب مالك ، وروى عن علي(١) وزيد بن ثابت(٢) والليث(٣) أن نفس الخيار طلقة واحدة بائنة وإن اختارت زوجها، وحكى ذلك عن مالك ولايصح هذا عنه، والأحاديث الصحيحة ترده)(٤) ، وهذا يدل على عنايته في التنبيه لما نسب لمالك خطأ.

٥- أما الأمثلة على إعتنائه بذكر إختلاف فقهاء مذهبه فكثيرة ، من ذلك قوله عند الكلام عمن ترك قضاء رمضان حتى دخل رمضان آخر (واختلف مذهبنا بما يكون به مفرطاً حتى يلزمه ، فالذي عليه البغداديون منهم ومعظم الشيوخ أنه ليس بمفرط إلا أن يترك ذلك عند آخر السنة وبقية عدد تلك الأيام من شعبان وخالفهم غيرهم)(٥).

---

١) هو أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين وصهر رسول الله ﷺ زوج فاطمة رضي الله عنها أبو الحسن، علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف، أول من أسلم من الأولاد حيث أسلم وعمره عشر سنين، بات في فراش رسول الله يوم الهجرة، بويع له بالخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، فسار على نهج الخلفاء من قبله على الطريقة النبوية الواضحة، لكنه ابتلي بالمحن والحوادث كمحاربة الخوارج وغيرهم ، قتله غدراً بسيف مسموم عند قيامه إلى الصلاة بالكوفة عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وذلك سنة ٤٠ هـ وله ٦٢ سنة رضي الله عنه وأرضاه ، انظر ترجمته في مشاهير علماء الامصار ، ص ٦، أسد الغابة ١٦/٤، والإصابة ، ٥٠١/٢.

٢) هو الصحابي الجليل، زيد بن ثابت بن الضحاك بن حارثة الخزرجي الانصاري من بني سلمة، يكنى أبا مسلمة وأبا خارجة ، كان من فقهاء الصحابة وجلة الانصار ، استُصغر في بدر وأحد فلم يشهد هما وشهد غيرهما وهو أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ فكلف بجمعه وكتابته هو وغيره في عهد أبي بكر رضي الله عنه ، توفي سنة ٤٥ هـ، انظر ترجمته في مشاهير علماء الامصار ص١٠، وأسد الغابة ٢٢١/٢، والإصابة ، ٥٤٣/١.

٣) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن، الإمام الحافظ شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية في عصر تابعي التابعين وأحد الأئمة الاربعة في ذلك الوقت ، كان زاهداً ثقة ثبتاً ولد سنة (٩٤ هـ) وتوفي سنة (١٧٥ هـ) ، انظر ترجمته في تاريخ خليفة بن خياط، ص٤٤٩، والجرح والتعديل ، ١٧٩/٧، وسير أعلام النبلاء ، ١٣٦/٨.

٤) إكمال المعلم ، ٢٧٥/٢.

٥) المرجع السابق ، ١٢٣/١.

وقال عن الحديث في خطبة عرفة (الخطبة من سنن الحج بقول الأئمة عندنا في قول جميع المدنيين والمغاربة ، وقال الشافعي(١) وأبو حنيفة(٢) ، ليست عرفة بموضع خطبة ، وهو قول العراقيين من أصحابنا ، وزعموا أن خطبته ﷺ يوم عرفة إنما هي خطبة تعليم)(٣).

ونجده يعتذر لمالك - رحمه الله - إذا ترك الأخذ ببعض الأحاديث في مسألة من المسائل الفقهية بقوله (قد يكون السبب عدم بلوغه الحديث ، أو أنه تأوله بالخصوصية ونحو ذلك)(٤).

ولكن مع كون القاضي يختار المذهب المالكي ويستدل له من حيث الجملة، إلا أنه لايتعصب له ولايرد قول المخالف إذا كان مدعماً بالدليل الصحيح البين الدلالة ، ولذا نجده يحرص على ذكر أقوال الأئمة والفقهاء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأربعة وغيرهم ، ويرجح ماتشهد له النصوص بالصواب في المسألة ، وإن خالف مذهبه ، حيث (كان رحمه الله شديد التعصب للسنة والتمسك بها)(٥). وله في ذلك إجتهادات وآراء فقهية عديدة تخالف مذهبه ، وتدل على أنه ليس مقلداً ولا متعصباً له ، والأمثلة على ذلك كثيرة.

من ذلك مخالفته للمالكية في قولهم بكراهة أكل السباع ورده عليهم بأن أكلها محرم ، مستدلا لذلك بحديث صحيح قال عنه (هو نص في التحريم وكان أصحابنا تعلقوا بالكراهة بقوله سبحانه ﴿ **قل لا أجد فيماأوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه ...**﴾(٦) الآية ، وليس فيها ذكر السباع ، وهذا منهم نظر ، لأنه إنما أخبر عن أنه لايجد محرماً إلا ماذكر ، وقد يمكن أنه يوجد فيما بعد،

---

١) هو الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عباس ابن عثمان بن شافع بن السائب القرشي ثم المطلبي الشافعي، أحد الأئمة الأربعة وإليه ينسب الشافعية ، كان -رحمه الله - كثير المناقب، جم المفاخر حافظاً ، منقطع النظير، انظر ترجمته في حلية الأولياء ، ٦٣/٩، وتذكرة الحفاظ ،٣٦١/٢، وسير أعلام النبلاء ، ٥/١٠.

٢) هو النعمان بن ثابت التميمي بالولاء الكوفي ، الفقيه المحقق وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة وأحد أئمة الإسلام ، أدرك عصر الصحابة ورأى أنس بن مالك وغيره، روى عن جماعة من التابعين، قال فيه الثوري وابن المبارك ، كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه ، ولد سنة (٨٠ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ١٧٧/١٩، البداية والنهاية ،١٠٧/١٠.

٣) إكمال المعلم ، ١٦٦/١.

٤) المرجع السابق ، ١٥٤/٤/١، ٢٠١، وغيرها.

٥) شذرات الذهب ، ١٣٩/٤.

٦) سورة الأنعام آية ١٤٥.

وقد ذكر أن الحديث ورد بعد لأن الآية مكية وهو مدني)(١).

ومما خالف فيه المذهب أيضاً تجويزه تقديم دفع الزكاة قبل حولها بمدة طويلة ، تقديم زكاة عامين وأكثر ، وقد نبه إلى أن هذا مذهب عامة السلف والفقهاء خلافاً للمالكية(٢).

وهذا يدل في الحقيقة على إنصاف القاضي مع مخالفي مذهبه وحرصه على معرفة الحق بدليله وعلى عدم تعصبه المذهبي ، وهذا ما يجب على طالب العلم فعله، وهو أن يأخذ القول بدليله دون التعصب لأحد ، أو الطعن بأحد، بل يسير مع النصوص حيث سارت، ويكون هدفه الوصول إلى الحق من أي فريق جاء. ولايخفى على عاقل خطر التعصب المذموم على دين العبد وعلى المجتمع المسلم عامة، فقد جنى على الأمة الإسلامية من الويلات والنكبات مالا يعلمه إلا الله ، فحري بكل مسلم أن يبتعد عنه وأن يتمسك بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ففي ذلك النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة .

المطلب الثاني : عقيدته

عرفنا مما سبق أن القاضي عياض - رحمه الله - كان مالكي المذهب في الفروع غير متعصب له، فماذا كان ياترى مذهبه في الأصول ، أو الإعتقاد ؟! حيث إن هذا الأمر هو المهم في الحقيقة.

أقول وبالله التوفيق : بعد دراستي المستفيضة عن القاضي عياض من خلال ماوجدته من كتبه أو مانقل عنه في أمور الإعتقاد ، وجدت أنه على مذهب أهل السنة والجماعة في أبواب الايمان وتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية في الغالب الأعم .

أما في الصفات فهو أشعري ، يمدح الأشاعرة ويثني عليهم ويفضل طريقتهم ويسير على منهجهم ويسميهم (أهل السنة والجماعة)(٣) وقد ألف كتاباً على مذهبهم شرح فيه كتاب أحد أئمة الأشاعرة وهو أبو بكر بن فورك وأثنى عليه في مقدمة كتابه بقوله (لما قرأت كتاب تفسير الحديث للإمام أبي بكر بن فورك وكان رضي الله عنه ركناً من أركان الملة ممن دفع الله به الشبهات عن الدين ، وأقامه سبحانه في مناظرة طوائف المبتدعين ... ألفيته

---

١) إكمال المعلم ، ١٢٤/١ .

٢) المرجع السابق ، ٧٠/١، وانظر أمثلة أخرى لذلك ، ١٣٦،١٣٢/١ .

٣) انظر إكمال المعلم ، ٦١/٦، والغنية ، ص ١٩، ١٧٠، ٢٢٦، وغير ذلك .

مشتملا على جملة جليلة في العلم ، يجب على ذي الهمة العكوف علي فهمه ولزوم النظر في معناه ، فقرأت ما فيه وتفهمت معانيه ، فعرض من بادة الكلام على تلك الأحاديث مما عرض فجعلت كلام الإمام أبي بكر أصلا آتياً عليه ماورد على لساني عن اللطيف الفتاح العليم فكمل الكتب مشتملا على أنواع جليلة من الأسرار والرسوم ... وسميته منهاج العوارف إلى روح المعارف في شرح مشكل الحديث)(١)، وقد سبقت الإشارة عند الحديث عن مؤلفات عياض أن كتاب (مشكل الحديث) قد سار فيه مؤلفه على منهج الإشارة في تأويل الصفات، لأنه كان أحد أركانهم، وقد ذكر القاضي في كتابه الغنية(٢) أنه أخذ هذا الكتاب السابق عن شيخه التاهرتي.

ويبدو أن السبب في إعتناق القاضي عياض للعقيدة الأشعرية يكمن -والله أعلم- في تتلمذه على عدد كبير من أئمة الأشاعرة الذين أخذ عنهم وأحبهم وتأثربهم ، وكان لهم النصيب الأكبر في تنمية معارفه وتخصصاته ، وكان معظم هؤلاء على المذهب المالكي في الفروع وقد ذكرهم في كتابه الغنية وترجم لهم في ترتيب المدارك.

ومن هؤلاء الشيوخ الذين تأثر بهم ، عبد الرحمن المعافري ، الأصولي المتكلم الذي لقي أبا المعالي الجويني (رأس الأشاعرة) بمكة المكرمة ودرس عليه علم الأصول والكلام فعاد إلى مدينته سبته فدرسهما طيلة حياته وكان أبو الفضل ممن يلازم درسه(٣) .

ومنهم القاضي أبو الوليد الباجي صاحب كتاب (المنهاج في الجدل والمناظرة) وقد كان إماماً في الأشعرية وذا تأثير كبير في نشر عقيدته لمجادلته ابن حزم(٤) في الفقه والعقيدة على طريقة الأشعرية(٥) .

ومنهم عبد الغالب السالمي وأبو الحجاج الضرير اللذان كتبا (أنوار الحقائق وأسرار الدقائق) في علم الكلام وكانا من أئمة الأشاعرة وفطاحل

---

١) منهاج العوارف ، ص ٢٠١.

٢) الغنية ص ١٤١.

٣) المرجع السابق، ص ١٦٥،١٦٦.

٤) هو أبو محمد، علي بن أحمد بن حزم الاندلسي القرطبي الإمام المحدث الفقيه ، كان شافعياً ثم ترك المذهب إلى القول بالظاهر ، له مؤلفات عديدة منها المحلى والفصل في الأهواء والملل والنحل وغير ذلك ، ولد سنة (٣٨٤ هـ) وتوفي سنة (٤٥٦ هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ١٨٤/٨، وشذرات الذهب ، ٢٩٩/٣.

٥) انظر الغنية ، ص ١٦٦، ومقدمة قانون التأويل لابن عربي ، تحقيق محمد السليماني ، ص ٤٠، ط. ١. ١٤٠٦ هـ.

المتكلمين(١) .

ومنهم محمد بن رشد (الجد) الأصولي المتكلم ، وأبو بكر بن العربي الذي انتصب لتعليم العقيدة الأشعرية ببلاد الأندلس، وقد رحل القاضي إليهما ودرس عليهما مدة من الزمن وأجيز بمؤلفاتهما وماليهم من كتب ومرويات(٢) .

قال ابن تاويت(٣) (صلة القاضي عياض بعلم الكلام وما يتبعه من جدل ومناظرة ومعرفته بدقائق آراء المخالفين لأهل السنة ، تصل بنا إلى أن المدرسة التي أخرجته وشيوخه الذين تعلم عليهم الكلام وأصول الدين وكثير من العلماء المغاربة الذين اشتغلوا بعلم الكلام واشتهروا به وترجم لهم في ترتيب المدارك ، نقول هذه المدرسة كانت على علم تام بالجدل والمناظرة وأصول الدين والكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري(٤) ، وإن كتب الأشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجالها وكانوا يتدارسونها في كافة أنحاء المغرب(٥).

وبالإضافة إلى تمسك القاضي بأشعريته فإننا نجده قد تأثر ببعض الخرافات والآراء الصوفية، مثل روايته للأحاديث والآثار الواهية في إستحباب زيارة قبر الرسول ﷺ وحثه

---

١) انظر الغنية ، ص ١٦٩، ١٧٠، ٢٢٦.

٢) انظر المرجع السابق ، ص ٥٤، ٥٥، ٦٦، ٧٢.

٣) هو محمد بن تاويت الطنجي أديب بحّاثة من أهل طنجة بالمغرب ، ولد بها وتعلم بالقاهرة، وعمل مدرساً في اسطنبول وتزوج بها وأحسن التركية ، عمل بوزارة الثقافة المغربية مدة فنشر الجزء الأول من ترتيب المدارك للقاضي عياض ، كان مهتماً بتراث ابن خلدون في تاريخه ومقدمته فحقق نسخه متقنة من تاريخه (العبر) هيأها للطبع لكن وافته المنية ، وقد كان ذلك عام ١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م وذلك في اسطنبول - رحمه الله - ، انظر ترجمته في الأعلام ، ٦٢/٦، ومجلة المجمع بدمشق ، العدد ٥٠، ص ٤٦٧.

٤) هو الإمام النظار المتكلم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري البصري من سلالة الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، توفي أبوه وهو صغير فتتلمذ على رأس المعتزلة أبي علي الجبائي حوالي أربعين سنة، ثم ترك الإعتزال وأثبت بعض الصفات وأول الباقي، وتبعه على ذلك خلق كثير، ثم هداه الله فاعتنق مذهب السلف الصالح ودعا إليه بقوة وألف في ذلك عدة كتب تدل على توبته ، أشهرها كتاب الابانة عن أصول الديانة ورسالة إلى أهل الثغر، مؤلفاته كثيرة تزيد على الخمسين بل قيل على الثلاثمائة ، ولد سنة (٢٦٠ هـ) على الأرجح، وتوفي سنة (٣٢٤ هـ) على الصحيح ، انظر ترجمته في تبيين كذب المفتري لابن عساكر ، ص ٣٢، وما بعدها، وطبقات الشافعية للسبكي ، ٣٤٧/٣، وشذرات الذهب ٣٠٣/٢ ومقدمة كتاب الابانة ص ٩-١٩٢.

٥) دورة القاضي عياض لمجموعة من المؤلفين ، ٢٢٧/٢، ٢٢٨، بنشر وزارة الأوقاف في المغرب.

على ذلك[1] ، وإباحته تقبيل الجدران والأماكن التي ضمّت جسد النبي ﷺ وتجويزه التبرك بها، وإدعاؤه أنها أفضل بقاع الأرض[2]، ومثل إطلاقه لفظ الحضرة على الله عزوجل[3]، إلى غير ذلك من الخرافات التي ذكرها -غفر الله له- وسيأتي تفصيل هذه الأمور وغيرها والرد عليها -إن شاء الله- ولكن مع هذه الأخطاء والمخالفات الجوهرية ، فإننا نجد له جهوداً يشكر عليها في نشر السنة والذب عنها وفي الدعوة إلى توحيد العبادة والتحذير من الشرك والكفر بالله ، وفي التصدي لأهل الأهواء والبدع والمذاهب والفرق المختلفة.

هذا بإختصار خلاصة مذهبه العقدي ، وهو ما سأفصل الحديث عنه في هذا البحث بإذن الله .

---

1) انظر الشفا ، ٨٣/٢، ٨٤، وإكمال المعلم ، ٦٧٣/٢.

2) المرجع لسابق ، ٥٨/٢، ٥٩، وإكمال المعلم ، ٦٧٣/٣، وانظر نيل الأوطار للشوكاني ، ٣١/٥، مطبعة الحلبي ط الثالثة ، ١٩٥٢م .

3) انظر منهاج العوارف ، ص ٢٩، ٥٢، ٩٥، وغير ذلك .

الباب الثاني
(منهج القاضي عياض في توحيد الله عزوجل)

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : تعريف التوحيد وبيان أنواعه والعلاقة فيما بينها

الفصل الثاني: منهجه في توحيد الربوبية

الفصل الثالث: منهجه في توحيد الألوهية

الفصل الرابع : منهجه في توحيد الأسماء والصفات

الفصل الخامس : منهجه في التكفير ونواقض التوحيد

الفصل الأول : (تعريف التوحيد وبيان أنواعه والعلاقة فيما بينها)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريف التوحيد لغة وشرعاً

المبحث الثاني : أنواع التوحيد

المبحث الثالث : العلاقة بين أنواع التوحيد

المبحث الأول : تعريف التوحيد لغة وشرعاً .

أ - تعريف التوحيد لغة :

التوحيد مصدر وحّد يوحّد توحيداً ، أي جعله واحداً ، وكلمة (التوحيد) مصدر الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه وهي تعني (الوحدة والإنفراد).

قال ابن فارس(١) : الواو والحاء والدال أصل واحد ، يدل على الإنفراد من ذلك الوحدة ، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله(٢) .

وقال الجوهري(٣) : الوحدة : الإنفراد تقول رأيته وحده(٤).

وقال الراغب الأصبهاني(٥) : الوحدة ، الإنفراد ، والوحدة في الحقيقة هو الشيئ الذي لا جزء له البته ثم يطلق على كل موجود حتى إنه ما من عدد إلا ويصح أن يوصف به فيقال عشرة واحدة ومائة واحدة وألف واحد... ثم قال : وأحد مطلقاً لايوصف به غير الله تعالى(٦) .

وقال أبو هلال العسكري(٧) : الواحد يفيد الإنفراد في الذات أو الصفة ، تقول : الله واحد تريد أن ذاته منفردة عن المثل والشبه... وقال : والوحدانية تفيد نفي الأشكال والنظراء ولا يستعمل في غير الله تعالى(٨).

والفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط، والأحد يفيد بالذات والمعاني ، وعلى هذا جاء التنزيل ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾(٩) أراد

---

١) هو أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي، اللغوي الأديب المشهور ، له تصانيف عدة منها معجم مقاييس اللغة، والمجمل ، توفي سنة ٣٩٥ هـ ، انظر معجم الأدباء ، ٨٠/٤، وفيات الاعيان ، ١١٨/١.

٢) معجم مقاييس اللغة ، ٥٨/٦.

٣) هو أبو نصر ، إسماعيل بن حماد الجوهري، إمام من أئمة اللغة وأول من حاول الطيران ومات في سبيله، وهو صاحب كتاب الصحاح في اللغة ، توفي سنة ٣٩٣ هجرية ، انظر ترجمته في معجم الادباء ، ١٥١/٦، وسير أعلام النبلاء ، ٨٠/١٧.

٤) الصحاح ، ٥٤٧/٢.

٥) هو أبو القاسم، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب ، اشتهر في عصره وكان من المتكلمين ، له كتب في الإعتقاد والتفسير منها المفردات في غريب القرآن ، توفي سنة (٥٠٢ هـ)، انظر سير أعلام النبلاء ، ١٢٠/١٨، وبغية الوعاء ٢٩٧/٢.

٦) المفردات في غريب القرآن ، ص ٥١٤.

٧) هو أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري عالم بالادب له مؤلفات كثيرة في اللغة منها الفروق اللغوية، توفي سنة (٣٨٢ هـ) ، انظر معجم الادباء، ٢٥٨/٨ والاعلام ١٩٦/٢.

٨) الفروق اللغوية ، ص ١١٤،١١٥.

٩) سورة الإخلاص آية ، ١.

سبحانه أنه المنفرد بواحدانيته في ذاته وصفاتـــه تعـــالى اللـــه علـــوا كبيـــراً(١) .

فهذه مجمل أقوال أهل اللغة في المعنى اللغوي لكلمة (التوحيد) والتي يدور معناها حول شيئ واحد، ألا وهو الوحدة والإنفراد بالشيئ ، فالله عزوجل واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك ولامثيل ولانظير له كما قال تعالى ﴿**قل هو الله أحد﴾الله الصمد﴾لم يلد ولم يولد﴾ولم يكن له كفواً احد**﴾(٢) .

ب : تعريف التوحيد شرعاً

تبين لنا مما سبق في التعريف اللغوي للتوحيد أن الله واحد في ذاته وأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته ، وعلى هذا فتوحيد الله معناه ، علم العبد وأعترافه وإعتقاده بتفرد الرب تعالى بصفات الكمال وأنه لا شريك له ، وأنه سبحانه هو الخالق المدبر المتصرف في الكون - دون سواه - وأن له الكمال المطلق وأنه المتفرد بالألوهية وحده على خلقه أجمعين .

قال الإمام التيمي - رحمه الله - قال بعض العلماء : (التوحيد نفي التشبيه عن الله الواحد. وقيل : التوحيد نفي التشبيه عن ذات الموحَّد وصفاته و قيل : التوحيد العلم بالموحَّد واحداً لانظير له، فإذا ثبت هذا فكل من لم يعرف الله هكذا فإنه غير موحِّد له)(٣) .

وقال الشيخ سليمان(٤) حفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - (سمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لاشريك له ، وواحد في ذاته وصفاته لانظير له وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له)(٥) .

---

١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ، ص ٥٧.

٢) سورة الاخلاص آية ١- ٤

٣) الحجة في بيان المحجة ، ٣٠٦/١.

٤) هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الفقيه المحدث ، كان من أئمة الدعوة السلفية المجاهدين، آية في العلم في العقيدة والتفسير والحديث والفقه الخ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لايخاف في الله لومة لائم ، له مؤلفات مفيدة أنفسها وأعظمها (تيسير العزيز الحميد) قتله إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣ هجرية ، انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ، ٢١٢/١ والاعلام ١٢٩/٣.

٥) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٢،٣٣.

ج - بعض الأدلة على هذا التوحيد

لقد تضافرت آيات الكتاب العزيز ودلت على هذه المعاني ، من ذلك قوله تعالى ﴿**الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم هل مِنْ شركائكم مَنْ يفعلُ من ذلكم من شيئٍ سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾(١).

فقد بينت هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه هو المتفرد والمستقل وحده بالخلق والرزق والإماته والإحياء دون سواه ، فلا ينبغي ولا يجوز أن يتوجه إلى أحد غيره في جلب نفع أو دفع ضر ، لأن كل من عداه عاجزون عن فعل شيئ من ذلك ، ولهذا قال بعد هذا كله ﴿ **سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ أي تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعزّ أن يكون له شريك أو نظير أو مساوٍ أو ولد أو والد،بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له كفواً أحد(٢)

وقال تعالى ﴿ **قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّـا مسلمون** ﴾(٣)، فقد أمر عزوجل خليله ونبيه محمداً ﷺ أن يقول لأهل الكتاب - وهم اليهود والنصارى - تعالوا : أي هلموا (إلى كلمة سواء) يعني إلى كلمة عدل بيننا وبينكم والكلمة العدل : هي أن نوحّد الله فلا نعبد غيره ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيئاً(٤) . فدلت الآية على وجوب إفراد الله بالعبادة وأنه لايجوز أن يصرف شيئ منها لغيره .

وقال تعالى : ﴿ **هو اللهُ الذي لا إلهَ إلا هو عالمُ الغيبِ والشهادةِ هو الرحمنُ الرحيمُ هو اللهُ الذي لا إلهَ إلا هو الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبارُ المتكبرُ سبحانَ الله عما يُشركون * هو اللهُ الخالقُ البارئُ المصورُ له الأسماءُ الحسنى * يُسَبّحُ له ما في السموات والأرض وهو العزيزُ الحكيمُ** ﴾(٥).

فدلت هذه الآيات الكريمة على تفرده عزوجل بذاته وأسمائه وصفاته التي لا نظير ولامثيل له فيها ، فذاته تعالى لاتشبه الذوات وكذلك أسماؤه وصفاته

---

١) سورة الروم آية ، ٤٠.
٢) انظر تفسير ابن كثير ، ٣/٤٣٤،٤٣٥.
٣) سورة آل عمران آية ٦٤.
٤) انظر ابن جرير ، ٣/٣٠١،٣٠٢، وتفسير ابن كثير، ١/٣٧١.
٥) سورة الحشر الآيات ، ٢٢-٢٤.

كما قال تعالى ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[1] .
والآيات الدالة على هذه المعاني كثيرة جداً سيأتي الحديث عنها فيما بعد -بإذن الله- .

المبحث الثاني : (أنواع التوحيد)

أ- تقسيم أهل السنة للتوحيد :

قسم علماء السلف التوحيد إلى أنواع ، مستدلين لذلك التقسيم بنصوص الكتاب والسنة .

فمنهم من قسمه إلى قسمين ، وذلك بالنظر إليه من جهة العبد الموحِّد ، وهما:

١- توحيد في المعرفة والإثبات، أو توحيد المعرفة والإثبات ويقال له التوحيد العلمي الإعتقادي الخبري ، لأنه لايعرف إلا عن طريق الخبر (الوحي) وهو مختص بالإعتقاد المحض ، ويشمل (توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

٢- والقسم الثاني : (توحيد في الإرادة والقصد والطلب)، ويقال له أيضاً توحيد العبادة والعمل، لأنه يتعلق بالقصد والإرادة ، وهذا هو توحيد الألوهية.

ودرج أكثر العلماء على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ، وذلك بالنظر إليه من جهة الموحَّد سبحانه وتعالى .

فمن جهة انفراده عزوجل بالرزق الخلق والإماتة والإحياء والتدبير والعظمة وغير ذلك يسمى (توحيد الربوبية) ، وهذا هو النوع الأول.

ومن جهة انفراده عزوجل بالأسماء الحسنى والصفات العليا على الوجه اللائق بجلاله وعظمته يسمى هذا التوحيد (توحيد الأسماء والصفات) ، وهو النوع الثاني .

ومن جهة إستحقاقه تعالى وحده للعبادة واخلاصها له يسمى (توحيد الألوهية أو توحيد العبادة) ، وهذا هو النوع الثالث.

وبعضهم يجعل توحيد الأسماء نوعاً وتوحيد الصفات نوعاً فيصير المجموع أربعة أنواع ، وهما في الحقيقة نوع واحد، وعلى جعلهم قسماً واحداً جرى تقسيم أكثر العلماء - كما أسلفت - .

---

١) سورة الشورى آية ١١.

وزاد بعض العلماء قسماً رابعاً سماه (توحيد المتابعة)(١).

والحقيقة أن الخلاف بين العلماء في تقسيم التوحيد لفظي، لاضَيْر فيه، لأنهم مجمعون على أن أنواع التوحيد لاتخرج عما ذكرنا ، فبعضهم جعلها قسمين ، وبعضهم جعلها ثلاثة ، وبعضهم جعلها أربعة ، ومن زاد توحيد المتابعة فلأنه نظر إلى أنه من مستلزمات الأقسام السابقة .

ب- موقف القاضي عياض من تقسيم التوحيد :

وافق القاضي عياض - رحمه الله - مذهب السلف في تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع وأوصى بالإهتمام بها، وجعلها أول وصاياه لمن يريد الفوز بالآخرة فقال في آخر كتابه منهاج العوارف(٢) (ونحن نختم كتابنا هذا بوصية تنفع السالكين للآخرة ، والمنقطعين لها، والعاملين على لقاء الله . فأول ذلك إحكام أساس توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ومعرفة الله سبحانه بما يعرف به إلى خلقه ، ووصفه بما وصف به نفسه(٣) والتبري من أقوال الزائغين المتكلمين بعقولهم القاصرة ، وأفهامهم المتفرقة المختلفة).

وقد عرّف هذه الأنواع الثلاثة من التوحيد مبيناً أنها تفسير لمعنى (لا إله إلا الله محمد رسول الله)(٤) ،

ووضح بذلك منهجه في هذا الأمر كما سيأتي الحديث عن ذلك مفصلا - إن شاء الله - .

المبحث الثالث : العلاقة بين أنواع التوحيد :

بعد أن عرفنا - فيما سبق - التوحيد وأنواعه يجدر بنا معرفة العلاقة بين هذه الأنواع وصلتها ببعضها، وهل هي متلازمة في الوجود ، بمعنى أن

---

١) انظر لمزيد من التفصيل في هذا الشأن اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص٤٦٤، ٤٦٦، ومدارج السالكين لابن القيم ، ٤٦٧/٣، ٤٦٨، وشرح الطحاوية ، ص ٢٨، ٢١٧، وتيسير العزيز الحميد ، ص ٣٣، ومعارج القبول لحافظ الحكمي ٥٧/١و٢٥٥، والقول المفيد في أدلة التوحيد للعبدلي ، ص ٢٠، ومقدمة كتاب التوحيد لابن منده بتحقيق د. علي ناصر فقيهي ، ٣٣/١.

٢) ص ٢٦٠.

٣) قلت ليت القاضي سار على هذا النهج في إثبات الصفات لله تعالى كما أوصى بذلك ولم يتأثر بالمتكلمين الذين ذمهم ، ولكنه للأسف قلدهم وأخذ بآرائهم الفاسدة في باب الصفات وغيرها وجانب الحق في ذلك ، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ.

٤) انظر الإعلام بحدود وقواعد الإسلام ، ص ١٥، ١٧.

بعضها لا يوجد بدون الآخر أم أنها غير متلازمة ؟ وهل يغني إعتقاد بعضها دون بعض؟ أم أنه لابد من إعتقاد جميعها؟

والحقيقة أنه بالنظر إلى النصوص الواردة في هذه الأنواع، نجد أن بينها علاقة متينة وصلة قوية ، وأن بعضها مستلزم ومتضمن لبعضها الآخر. فإن من أقر بربوبية الله واعترف بأنه الخالق المدبر المحيي المميت الرازق ... لزمه أن يعبده ولايشرك به شيئاً ، لأنه هو الذي بيده ملكوت كل شيء والمستحق للعبادة دون سواه، وبالتالي وجب عليه أن يثبت له صفات الكمال والجلال التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ ، ولزمه أن ينزهه عن كل نقص وعيب ، لذلك نجد الآيات الواردة في الكتاب العزيز في توحيد الربوبية ، تأمر وتحث على عبادته وحده عزوجل وترك عبادة ما سواه كائناً من كان .

من ذلك قوله تعالى في أول أمر في القرآن الكريم **﴿ يا أيها الناس أعبدوا ربَّكمُ الذي خلقكم والذين من قبلكمْ لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرضَ فراشاً والسماءَ بناءً وأنزل من السماءِ ماءً فأخرجَ به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تَعلمون ﴾**(١) . يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله(٢) - (شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود واسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، بأن جعل لهم **﴿الأرض فراشاً﴾** أي مهداً كالفراش مقررة موطئة مثبتة بالرواسي الشامخات **﴿والسماء بناء﴾** وهو السقف كما قال تعالى في الاية الأخرى **﴿وجعلنا السماء سَقفاً محفوظاً وهمْ عن آياتها معرضون﴾** (٣) **﴿وأنزل من السماء ماء﴾** والمراد به السحاب ههنا في وقته عند إحتياجهم إليه ، فأخرج به من أنواع الزروع والثمار ما هو مشاهد رزقاً لهم ولأنعامهم كما قرر هذا في غير موضع من القرآن ، كما في قوله تعالى **﴿الله الذي جعل لكمُ الأرضَ قراراً والسماءَ بناءً ، وصَوَّركم فأحسن صوَركم ، ورزقكم من الطيبات ، ذلكمُ اللهُ ربُكمْ فتبارك الله ربُّ العالمين﴾**(٤)، ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم ، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولايشرك به . ولهذا قال **﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم**

---

١) سورة البقرة آية ٢١، ٢٢.
٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٥٧/١.
٣) سورة الانبياء آية ٣٢.
٤) سورة غافر آية ٦٤.

تعلمون﴾ وفي الصحيحين(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال «أن تجعل لله نداً وهو خلقك ... » الحديث﴾.

فمن أقر بتوحيد الربوبية ولم يأت بلازمه من توحيد الألوهية، فإن إقراره لاينفعه شيئاً،لأن المشركين كانوا مقرين بهذا النوع - كما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم - ولكن إقرارهم هذا لم يدخلهم في الإسلام ،قال تعالى حاكياً عنهم **﴿قل مَنْ يرزُقكمْ من السماءِ والأرضِ أمَّن يملك السمع والأبصار ومَنْ يُخرجُ الحيَّ من الميتِ ويُخرِج الميتَ من الحَيِّ ومن يدّبر الأمرَ فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون ﴾**(٢) وقال تعالى أيضاً **﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُنَّ الله﴾**(٣) ، وقال تعالى أيضاً فيهم **﴿ وما يؤمنُ أكثرُهمْ بالله إلا وهمْ مشركون﴾**(٤) قال غير واحد من السلف في تفسير هذه الآية إيمانهم بالله قولهم إن الله خلقنا ورزقنا ويمتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره(٥).

فتبين إذاً أن من اعترف بتوحيد الربوبية يلزمه إخلاص العبادة لله وحده ، فإن ترك ذلك لم ينفعه إقراره واعترافه كما لم ينفع إقرار المشركين من قبل .

وكذلك فإن توحيد الألوهية - أو العبادة - متضمن لتوحيد الربوبية مستلزم له ، ومعنى كونه متضمناً له ، يعني أن توحيد الربوبية داخل في ضمن توحيد الألوهية ، لأن من عبد الله وحده ولم يشرك به ، فلا بد أن يكون قد اعتقد بأنه تعالى رب كل شيء ومليكه وبيده ملكوت كل شيء ... فهو يعبده لأنه يعلم أنه المستحق للعبادة وحده دون سواه ، لذا شدد الله عز وجل في النكير على المشركين الذين اتخذوا لهم آلهة من دون الله لاتنفعهم ولاتضرهم .

من ذلك قوله تعالى **﴿ والذينَ يَدْعُونَ من دون الله لايَخْلُقُونَ شيئاً وهم يُخْلَقُون*أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يَشعرون أيَّان يُبعثون﴾**(٦) ، ومنه قوله عزوجل أيضاً **﴿ويعبُدون مِنْ دون الله مالا يَملكُ لهم رزقاً مِنَ السموات**

---

١) رواه البخاري في ك التفسير باب قوله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ ، ١٣/١، برقم ٤٤٧٧، ومسلم ك الايمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب ، ١/٩٠-٩١، برقم ٨٦.

٢) سورة يونس آية ٣١.

٣) سورة الزخرف آية ٨٧.

٤) سورة يوسف آية ١٠٦.

٥) انظر تفسير ابن كثير، ٢/٢٩٤، وتفسير البغوي ، ٢/٤٥٢.

٦) سورة النحل آية ٢٠،٢١.

والأرضِ شيئاً ولا يَستطيعون﴾(١).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ أن يقول للمشركين **﴿قل أفَغيرَ الله تَأمُرونّي أعبدُ أيها الجاهلون * ولقد أوحيَ إليك وإلى الذين من قبلكَ لَئنْ أشركتَ ليَحْبِطَنَّ عَمَلُك ولَتكونَنَّ من الخاسرين * بـلِ اللـهَ فـاعبدْ وكُـنْ مـنَ الشـاكرين﴾**(٢).

فقد بينت هذه الآيات الكريمة أن الآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لا تستحق العبادة، لأن الذي يستحق ذلك في الحقيقة إنما هو الذي بيده الخلق والرزق والإحياء والإماتة والضر والنفع ، وليس أحد يستحق ذلك إلا الله عزوجل فوجب أن يعبد وحده.

كما أن توحيد الأسماء والصفات مستلزم للنوعين السابقين - أعني توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية- لأن من اعترف بأن لله أسماء حسنى وصفات عليا تليق بجلاله ، لاشبيه له فيها ولانظير ولامثيل ، لزمه أن يعترف بأنه الرب الواحد الذي لا شريك له وأنه على كل شيء قدير ، الخالق الرازق المدبر المحيي المميت ... وبالتالي يلزمه أن يعبده ولايشرك به شيئاً .

وهكذا يتبين لنا أن التوحيد الحقيقي الصحيح هو أن يأتي المرء بأنواع التوحيد جميعها لأنها مرتبط بعضها ببعض ، ويستلزم بعضها بعضاً ، ولا يتحقق للعبد توحيد كامل صحيح مالم يأت بها جميعها. وهذا هو المعنى الذي جاءت به النصوص من الكتاب والسنة ، -كما مر معنا طرف منها-، وهو ما قرره علماء السلف رحمهم الله قديماً وحديثاً(٣) .

---

١) سورة النحل آية ٧٣.

٢) سورة الزمر آية ٦٤ ٦٦.

٣) انظر على سبيل المثال مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ١/٢٣-٣٢،١٥٠، و١٠/١٥٤-١٦٠، ١٤/٦٧١ وغيرها ومدارج السالكين لابن القيم ، ٣/٤٦٨،٤٦٩، وشرح العقيدة الطحاوية ، ص٢٣-٢٩، وتيسير العزيز الحميد ، ص٣٣-٣٦، وشرح القصيدة النونية للهراسى ، ٢/٥٤،٥٥، وغير ذلك .

الفصل الثاني : منهج القاضي عياض في توحيد الربوبية

ويشتمل على المباحث الآتية

المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية وبعض الأدلة عليه:

وفيه مطلبان

المطلب الأول : تعريفه

المطلب الثاني : بعض الأدلة عليه

المبحث الثاني : فطرية توحيد الربوبية وموقف المشركين منه:

وفيه مطلبان

المطلب الأول : فطرية توحيد الربوبية وأدلته

المطلب الثاني : موقف المشركين منه

المبحث الثالث : منهج المتكلمين في الإستدلال على وجود الله وبطلانه

المبحث الرابع : منهج القاضي عياض في الإستدلال على وجود الله وعلاقته بمنهج المتكلمين:

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : ذكر منهجه

المطلب الثاني : بطلان هذا المنهج والرد عليه

المطلب الثالث : أول واجب على المكلف واختلاف الناس فيه

المبحث الخامس : منهج أهل السنة والجماعة في الإستدلال على توحيد الربوبية وبعض الأدلة على ذلك

المبحث السادس : منهج القاضي عياض في الإيمان بالقضاء والقدر:

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول : تعريف القضاء والقدر ومعنى الإيمان به وأهمية ذلك وثماره

المطلب الثاني: اختلاف الناس في القضاء والقدر

المطلب الثالث : مذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر

المطلب الرابع : منهج القاضي عياض في القضاء والقدر

المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية وبعض الأدلة عليه

المطلب الأول : تعريفه

أ- معنى كلمة الرب لغة : الرب اسم من اسماء الله تعالى. والرب في الأصل التربية ، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام ، يقال ربَّه وربَّاه وربَّبه . ويطلق الرب على المالك والسيد والمربِّي والقيِّم والمنعم وعلى المتصرف للإصلاح ، وجمع الرب أرباب ورُبُوب ، ولا يقال (الرب) مطلقاً إلا لله تعالى ، ولا يطلق على غيره إلا بالإضافة نحو رب الدار ورب الفرس .. اي صاحبها ، ويطلق اسم الرب مضافاً إلى الله تعالى أيضاً نحو رب العالمين وربكم ورب آبائكم الأولين(١).

ولفظ الرب فيه معنى التوحيد ، لأنه عزوجل اختص بالربوبية دون سواه ، فجميع الخلق مربوبون له ، قال سبحانه ﴿الحمد لله رب العالمين﴾(٢) .

فهو سبحانه وتعالى الخالق الموجد لعباده ، القائم بتربيتهم وإصلاحهم ، المتكفل برزقهم الذي بيده إصلاحهم وعافيتهم في دينهم ودنياهم ، المنعم المتفضل عليهم ، فكل خير بهم فمنه تعالى وحده، وإن أضيف شيء من النعم والملك إليهم فإنما هي إضافة نسبية ، لأنه عزوجل هو المالك الحقيقي الذي إعانهم وأعطاهم وتفضل عليهم .

ب : المعنى الإصطلاحي لتوحيد الربوبية

عرف العلماء هذا النوع من أنواع التوحيد بأنه (الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه ، وأنه المحيي والمميت ، النافع الضار ، المتفرد بإجابة الدعاء عند الإضطرار ، الذي بيده الأمر كله ، وبيده الخير كله ، القادر على مايشاء ، ليس له في ذلك شريك ، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر)(٣)، أي بأن كل شيء في الكون صادر عن علم الله وإرادته وقدرته ، لايحصل في ملكه مالا يشاء ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن .

ج - تعريف القاضي لهذا التوحيد :

لقد بين القاضي عياض معنى هذا التوحيد بقوله : هو أن تعتقد أن الله

---

١) انظر الصحاح للجوهري ، ١/١٣٠، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني ، ص ١٨٤، والمعجم الوسيط ، ١/٣٢١.

٢) سورة الفاتحة آية ١.

٣) تيسير العزيز الحميد ، ص ٣٣.

واحد غير منقسم(1) في ذاته، وأنه ليس معه ثان في إلهيته، وأنه حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنه إله كل شيء وخالقه، وأنه على كل شيء قدير، وأنه عالم بما ظهر وما بطن **﴿لايَعْزُبُ عنه مِثْقالُ ذَرَّةٍ في السموات ولا في الأرض﴾**(2) وأنه مريد لكل كائن من خير أو شر، ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، وأنه مستغن عن جميع خلقه غير محتاج إلى ظهير في ملكه، وأنه لا يشغله شأن عن شأن في قضائه، وليس شيء من أفعال خليقته بغير قضائه وخلقه وإرادته، وأنه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحشرهم يوم القيامة كما بدأهم يعودون، ليجزي الأبرار الجنة والكفار النار(3).

المطلب الثاني : بعض الأدلة على هذا التوحيد

هذا التوحيد معناه إذاً: الإقرار بصفات الربوبية الحقة لله تعالى، والتي تشمل الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير، والأمر والتربية، ونفي الشريك عنه تعالى في ذلك، وقد أشار الله تعالى إلى هذه المعاني في كثير من آيات كتابه الحكيم، من ذلك قوله عزوجل **﴿الذي له مُلكُ السموات والأرض ولم يَتَّخِذْ وَلَداً ولم يَكُنْ له شَريكٌ في المُلكِ وخلقَ كُلَّ شيءٍ فَقَدَّرَهُ تقديراً﴾**(4)، فقد أخبر عزوجل من قائل في هذه الآية أن له التصرف المطلق في السموات والأرض، الذي تنزه عن الولد والشريك، الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، أي كل شيء سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه وكل شيء تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره(5).

وقال تعالى **﴿ألا لَهُ الخَلْقُ والأمرُ تباركَ اللهُ ربُّ العالَمين﴾**(6) أي له الملك والتصرف فالخلق له لأنه خلقهم، وله الأمر يأمر في خلقه بما يشاء(7)، فإذا كانت السموات والأرض وما فيها والخلق والأمر له، فماذا بقي لغيره عزوجل ؟! لاشيء البتة.

وهذا النوع من التوحيد هو كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى،

---

1) هذا تقسيم بدعي قال به المتكلمون وقلدهم عياض فيه، وليس من مذهب أهل السنة قول ذلك.
2) سورة سبأ آية ٣.
3) انظر الإعلام بحدود قواعد الاسلام، ص ١٦، ١٧.
4) سورة الفرقان آية ٢.
5) انظر تفسير ابن كثير، ٣٠٨/٣.
6) سورة الأعراف آية ٥٤.
7) انظر تفسير البغوي، ١٦٥/٢، وتفسير ابن كثير، ٢٢١/٢.

لأن الخالق المالك المدبر هو المستحق للعبادة وحده دون من سواه وهو الموصوف بصفات الكمال والجلال والعظمة الذي ليس كمثله شيء .

المبحث الثاني : (فطرية توحيد الربوبية وموقف المشركين منه)

المطلب الأول : فطرية توحيد الربوبية وأدلته : إن معرفة الخالق سبحانه وتعالى والإقرار بربوبيته أمر فطري فطر الله الخلق عليه ، يجده ويقربه كل مخلوق في هذا الكون ، لا ينكره إلا مَنْ تمرد على الفطرة، وانحرف عن الطبيعة البشرية واجتالته الشياطين عن الحق.

ومن الأدلة على هذه الحقيقة قوله تعالى ﴿**كان الناسُ أمةً واحدةً فبَعث الله النبيينَ مُبَشّرين ومُنْذِرين وأنزلَ معهمُ الكتابَ بالحقِ لِيَحكُمَ بين الناس فيما اختَلفوا فيه**﴾(١) وقوله أيضاً ﴿**وما كانَ الناسُ إلا أمـــةً واحـــدةً فاختَلفـــوا**﴾(٢) ، فقد بين عزوجل في هاتين الآيتين الكريمتين أن الناس كانوا على الفطرة والتوحيد أمة واحدة ، غير مشركة بالله ، ثم طرأ عليهم الشرك واختلفوا ، فأرسل الله إليهم الأنبياء والرسل ، وأنزل معهم الكتب ليعيدوهم إلى الفطرة السليمة والتوحيد الخالص، بعد أن أجتالتهم الشياطين عنهما.

قال ابن عباس(٣) رضي الله عنهما (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على الإسلام ، فاختلفوا وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) فكان أول رسول أرسل إليهم نوح عليه السلام(٤) .

وقال الله تعالى أيضاً ﴿**فَأَقِمْ وَجهَكَ للدينِ حَنيفاً ، فطرةَ اللهِ التي فَطر**

---

١) سورة البقرة آية ٢١٣.

٢) سورة يونس آية ١٩ .

٣) هو الصحابي الجليل حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عم رسول الله ﷺ ، أبو العباس عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، ولد في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين ولازم النبي ﷺ ، دعا له بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل فكان الصحابة يكرمونه ويجلونه لعلمه، وقرابته من النبي ﷺ ، وكان عمر يجله ويدنيه ويستشيره في المعضلات، وكان تلميذه مجاهد يسميه البحر لكثرة علمه ، شهد مع علي رضي الله عنهما موقعتي الجمل وصفين وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف وتوفي بها سنة (٦٨ هـ) ، انظر ترجمته في حلية الأولياء ، ٣١٤/١، والاستيعاب ، ٣٥٠/٢، أسد الغابة ١٩٢/٣ والإصابة ٣٢٢/٢.

٤) انظر مختصر تفسير الطبري للتجيبي ، ص ٢١، وتفسير البغوي ، ١٨٦/١، ٣٤٨/٢، وتفسير ابن كثير، ٢٥٠/١، ٤١١/٢، وقال ابن كثير عن أثر ابن عباس إسناده صحيح ، وانظر أيضاً فتح القدير ، ٢١٤/١.

الناسَ عليها لا تبديل لِخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكنَّ أكثـرَ النـاس لا يعلمـون﴾(١) ، قال جمهور علماء السلف إن الفطرة هنا هي الإسلام والتوحيد(٢) .

وكما قرر عزوجل هذه الحقيقة في كتابه العزيز ، فكذلك قررها رسوله الأمين ﷺ وزاد هذا المعنى تأكيداً حيث قال «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء» ثم يقول أبو هريرة(٣) راوي الحديث -رضي الله عنه - فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله) متفق عليه(٤) .

قال القاضي عياض بعد أن ذكر أقوالا في معنى الفطرة ، (والمراد بالفطرة فطرة الإسلام وملة الإسلام ، حيث جاء في بعض الطرق (وهو على هذه الفطرة) وفي رواية (وهو على هذه الملة) فالإشارة إلى فطرة معينه وملة معينة)(٥) .

فالحديث ظاهر الدلالة على أن كل مولود يولد على التوحيد وأن الذي يغير هذه الفطرة المجتمع والأهل وفي مقدمتهم الأبوان ، وقد ضرب رسول الله ﷺ لذلك مثلا فقال «كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء» (يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة فلو ترك كذلك كان بريئاً من العيب لكن أهله تصرفوا فيه بقطع أذنه أو غير ذلك فخرج عن الأصل، وهو تشبيه واقع ووجهه واضح)(٦).

وقال رسول الله ﷺ أيضاً فيما يرويه عن ربه عزوجل «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم» وفي رواية «حنفاء

---

١) سورة الروم آية ، ٣٠.

٢) انظر تفسير الطبري ، ٤٠/٢، وتفسير البغوي ، ٤٨٢/٣، وتفسير ابن كثير، ٤٣٢/٣، وفتح الباري لابن حجر ، ١٩٧/٣، وغيرها.

٣) هو الصحابي الجليل وحافظ الصحابة ، أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي -على الأصح في اسمه- قدم مع قومه في السنة السابعة من الهجرة ولازم النبي ﷺ وكان يحفظ مالا يحفظ غيره ، لذا كان أكثرهم حديثاً عن رسول الله ، توفي آخر خلافة معاوية سنة (٥٨ أو ٥٩ هـ) وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، انظر أسد الغابة ٣١٥/٥، والإصابة ، ٢٠٠/٤.

٤) أخرجه البخاري في ك الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ، ٢٩٠/٣ برقم ١٣٥٨، ومسلم في ك القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، ٢٠٤٧/٤، برقم ٢٦٥٨.

٥) إكمال المعلم ، ٦٧/٦، ١٠٣.

٦) فتح الباري ، ٢٩٣/٣.

مسلمين»(١) .

وهذا الحديث نص ظاهر على أن العباد مفطورون على التوحيد والإيمان بالله تعالى وأن الذي يغيّر هذه الفطرة هم الشياطين ، حيث لبّست عليهم الحق وأبعدتهم عنه . ولاتعارض بين الحديثين ، لأن كل شر وكفر في هذه الحياة بسبب الشياطين ، ولا يخفى على عاقل عداوة هؤلاء للإنسان. قال أصدق القائلين عزوجل **﴿إنَّ الشيطانَ لكمْ عدوٌ فاتخِذوه عدواً إنما يدعو حزبَه ليكونوا من أصحاب السعير﴾**(٢). وهذه العداوة لبني البشر وذلك المكر به يشتد ويقوى كلما وجد العدو (الشيطان) مناخاً مناسباً ، وذلك عندما تضعف ، أو تنعدم صلة العبد بربه ، والعكس بالعكس .

وبالإضافة إلى هذه النصوص من الكتاب والسنة على فطرية عقيدة التوحيد، فإننا نجد مشاهير علماء الغرب وباحثيه(٣) قد اثبتوا أن عقيدة الخالق الأكبر، هي أكبر ديانة ظهرت على البشر ، مستدلين بأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم في القديم والحديث، فتكون الوثنيات أمراضاً متطفلة وأعراضاً طارئة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة.

فإذا كان هذا موقف الشعوب والأمم القديمة من عقيدة الايمان بالله ، فما هو ياترى موقف المجتمع الجاهلي الذي بعث فيه رسول الله ﷺ من هذه القضية ؟!

وهل أغنت عنهم تلك العقيدة في حال وجودها فيهم ؟!

---

١) رواه مسلم في ك الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل النار وأهل الجنة ، ٢١٩٧/٤ برقم ٢٨٦٥، واللفظ له ، وأحمد في المسند ، ١٦٢/٤، ومعنى (إجتالتهم الشياطين)، أي استخفتهم وذهبت بهم فجالوا معهم في الضلال ، يقال أجتال الرجل الشيئ ، أي ذهب به، وإجتال أموالهم أي ساقها وذهب بها، انظر شرح النووي لصحيح مسلم ، ١٩٧/١٧ .

٢) سورة فاطر آية ٦.

٣) من أمثال (لانج) الذي أثبت عقيدة الاله الاعلى عند القبائل الهمجية الأسترالية والأفريقية والأمريكية ، ومنهم (شريدر) الذي أثبتها عند الأجناس الآرية القديمة ، (وبروكلمان) الذي وجدها عند الساميين قبل الاسلام (ولرواه وكاترفاج) الذين أثبتا هذه العقيدة عند أقزام أواسط أفريقيا ، (وشميدت) الذي أثبتها عند الاقزام وعند سكان أستراليا الجنوبية الشرقية وانتهى ببحثه إلى أن فكرة الاله الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية، لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع يراجع كتاب الدين للدكتور محمد عبد الله دراز، ص ١٠٧،١٠٨، ط دار القلم الكويت عام ١٤٠٠ هـ.

المطلب الثاني : موقف المشركين من توحيد الربوبية :

لقد اعترف مشركو العرب بهذا النوع من التوحيد وسجل القرآن الكريم إقرارهم بذلك في كثير من الآيات المباركات ، من ذلك قوله عزوجل حاكياً عنهم **﴿قل مَنْ يرزُقكُم من السماءِ والأرضِ أمَّن يَملكُ السمعَ والأبصار ومن يُخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي ومن يُدبّر الأمرَ؟! فسيقولون الله، فَقُلْ أفلا تتقون ؟!﴾**(١) ، وقوله سبحانه **﴿قل مَنْ ربُّ السموات السبع وربُّ العرش العظيم* سيقولون لله، قل أفلا تتقون﴾**(٢)، ومنه قوله تعالى أيضاً **﴿ولَئِنْ سألتَهم مَنْ خلقَ السموات والأرضَ ليقولُنَّ خلقهنَّ العزيزُ العليم﴾**(٣)، وقوله كذلك **﴿ولَئِنْ سألتَهم من خلقهمْ ليقولُنَّ اللهُ فأنَّى يُؤفكون﴾**(٤).

ومثل هذا الإقرار كثير في كتاب الله لا مجال لذكره ههنا ، وهو يدل على أن مشركي العرب كانوا معترفين بأصل توحيد الربوبية ، ولم يكونوا يعتقدون أن الأصنام التي يعبدونها من دون الله خالقة أو مشاركة لله في الخلق والرزق والإحياء والأمانة ... وغير ذلك ، بل إنما كانوا يتخذونها شفعاء ووسائط لتقربهم إلى الله - كما يزعمون - قال الله تعالى عنهم **﴿ويعبدون من دون الله مالايضرُهم ولا ينفعهُم ويقولون هؤلاء شفعاؤُنا عند الله ﴾**(٥) وقال أيضاً **﴿ما نعبدُهم إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلْفَى﴾**(٦) ، ولكن هل نفعهم هذا الإقرار شيئاً، أو أدخلهم في الإسلام ؟! كلا وربي لم ينفعهم ولم يدخلهم في الإسلام ، لأنهم لم يأتوا بلازمه من توحيد الألوهية أو العبادة الذي جاءهم به رسول الله ﷺ ، بل بالعكس من ذلك فإنهم أنكروه أشد الإنكار وأبوا أن يخلصوه لله عزوجل وقالوا - كما حكى الله عنهم - **﴿أجَعلَ الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لَشيءٌ عُجَابٌ * وانطلقَ الملأ منهم أنِ امْشوا واصبروا على آلهتِكم إنّ هذا لشيءٌ يُرادُ * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرةِ إنْ هذا إلا إختلاق﴾**(٧).

---

١) سورة يونس آية ٣١.

٢) سورة المؤمنون آية ٨٦،٨٧.

٣) سورة الزخرف آية ٩.

٤) سورة الزخرف آية ٨٧.

٥) سورة يونس آية ١٨.

٦) سورة الزمر آية ٣.

٧) سورة ص آية ٥-٧.

فاعتراف المشركين بربوبية الله عزوجل مع إنكارهم وتركهم لعبادته لم يجعلهم مسلمين، ولم يحقن دمائهم وأموالهم وأعراضهم ولم يغن عنهم من الله شيئاً، لأن الله لم يبعث رسله وأنبياءه وينزل كتبه ليعرِّف خلقه بأنه الخالق الرازق المحيي المميت ... ونحو ذلك ، لأنه عزوجل فطرهم على ذلك وهم معترفون به قبل بعث الرسل إليهم ، بل إنما أرسل سبحانه الرسل وأنزل الكتب ليأمر عباده بإخلاص التوحيد والعبادة له كما قال تعالى **﴿ولقد بَعثنَا في كل أمَّة رسولا أنِ اعبُدوا اللهَ واجتنبوا الطاغوتَ فمنهم من هدى اللهُ ومنهم من حَقتْ عليه الضلالة﴾**(١). فتبين إذاً أن (توحيد الربوبية هو من التوحيد الواجب ، لكن لا يحصل به الواجب ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر والذي لايغفره الله بل لابد أن يخلص لله الدين فلا يعبد إلا إياه فيكون دينه لله)(٢) .

فمن أقر بتوحيد الربوبية ولم يأت بلازمه من توحيد العبادة لم ينفعه إقراره شيئاً ، كما لم ينفع المشركين من قبل .

من هنا يتبين خطأ المتكلمين الضالين ، الذين بذلوا قصارى جهدهم لتقرير توحيد الربوبية ، متجاهلين معرفة الله الفطرية ، ظانين - ويا للحسرة - أن مشكلة البشرية تكمن في كونها أنها لا تعرف وجود الله وأنه الخالق البارئ المحيي المميت ... الخ ، فقد غفلوا عن هذه المعرفة الفطرية والتي أقرَّ بها المشركون ، وضلوا عندما لم يعرفوا أن مشكلة الخلق الحقيقية ، هي بعدهم وانحرافهم عن توحيد العبادة الذي خلق الله خلقه لأجله كما قال تعالى **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾**(٣).

المبحث الثالث : (منهج المتكلمين في الإستدلال على وجود الله)

تمهيد :

سبق القول أن الايمان بوجود الله وربوبيته أمر فطري ، لكنه قد يحتاج إلى دليل عند فساد هذه الفطرة أو تغييرها ، لتقام الحجة على المخالف لعله يثوب إلى رشده .

---

١) سورة النحل آية ٣٦.

٢) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الاسلام ابن تيمية، ص ٣٢٣.

٣) سورة الذاريات آية ٥٦-٥٨.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(١) - رحمه الله - (الإقرار بالخالق وكماله يكون فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته ، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة ، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغيير الفطرة وأحوال تعرض لها)(٢).

لذا اهتم علماء الإسلام من مختلف الطوائف والفرق بقضية الإستدلال على وجود الله ، وتباينت طرقهم وآرائهم في ذلك بسبب اختلاف مشاربهم ومناهجهم .

وقد رأيت من المناسب المهم أن أذكر نبذة موجزة عن مسلك المتكلمين في هذه القضية قبل أن أورد مسلك القاضي عياض في ذلك لكي يتضح منهجه في هذا الأمر ونعرف مدى تأثره بهم في هذه المسألة فأقول:

أ- ذكر منهجهم

اعتمد المتكلمون في الإستدلال على وجود الله على أساس حدوث العالم وإحتياجه إلى محدث - هو الله عزوجل - وقد بذلوا في ذلك جهوداً كبيرة تكلموا فيها بكلام طويل ملئت به كتبهم ليحتجوا به لماذهبوا إليه في هذا الشأن ، ويردوا به على من قال بقدم العالم(٣) .

وقد سلكوا في منهجهم هذا أساليب عدة يمكن حصرها في أربعة طرق -كما

---

١) هو الإمام العلامة وحيد عصره وفريد دهره ، تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي ، بل المجتهد المطلق ، كان آية في التفسير والأصول والفقه وغيرها من العلوم، إذا تكلم في علم فكأنه لايعرف غيره، ولهذا برز في جميع العلوم وكان فصيح اللسان قوي الحجة شديد التمسك بالسنة وبمنهج السلف داعية إلى ذلك، ومحارباً لأهل الفساد والانحراف في الدين بقلمه ولسانه وسيفه. وقد لاقى في سبيل ذلك شتى أنواع البلاء من سجن وتغريب وغير ذلك ، ولد سنة (٦٦١ هـ) وتوفي في السجن سنة (٧٢٨ هـ) - رحمه الله تعالى - انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ، ١٤٩٦/٤، وطبقات الحفاظ ، ص ٥١٦، والبداية والنهاية ، ١٦٣/١٤، والنجوم الزاهرة ، ٢٧١/٩.

٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ٧٣/٦.

٣) انظر على سبيل المثال : الإنصاف للباقلاني ، ص ٢٨،٢٧، بتحقيق عماد الدين حيدر ، ط دار الكتب ، ١٤٠٧ هـ ، وأصول الدين لعبد القاهر البغدادي ، ص ٦٩،٥٩، ط دار الآفاق الجديدة عام ١٤٠١ هـ ، والتبصير في الدين للأسفراييني ، ص ١٥٤،١٥٣، بتحقيق كمال الحوت ، دار الكتب ، عام ١٤٠٣ هـ ، والعقيدة النظامية لأبي المعالي الجويني ، ص ١٧،١٦، وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ، ص ٤٢،٤١، ط دار الكتب ، ١٤٠٣ هـ ، وغيرها .

لخص ذلك الايجي(١) - حيث قال : (قد علمت أن العالم إما جوهر(٢) وإما عَرَض(٣) ، وقد يستدل بكل واحد منهما ، أو بإمكانه ، أو بحدوثه ، فهذه أربعة وجوه :

الأول : الإستدلال بحدوث الجوهر ، وهو أن العالم حادث ، وكل حادث فله محدث .

الثاني : بإمكانها ، وهو أن العالم ممكن لأنه مركب وكثير ، وكل ممكن فله علة مؤثرة .

الثالث : بحدوث الأعراض ، مثل ما نشاهد من انقلاب النطفة علقة ، ثم مضغة ، ثم لحماً ودماً ، إذ لابد من مؤثر صانع حكيم .

الرابع : بإمكان الأعراض ، وهو أن الأجسام مماثلة ، فاختصاص كل بما له من الصفات جائز ، فلابد في التخصص من مخصص له(٤) .

وقد شرح المتكلمون(٥) طريقة الحدوث بقولهم : أن العالم مركب من جواهر فردة وأعراض وإن الأعراض لاتبقى زمانين متتاليين ، وإنما يطرأ عليها التحول والتغيير ، فهي حادثة بحدوثها ، لأن مالايخلو من الحوادث فهو حادث ، وحيث إن العلم مكون من الجواهر والأعراض - وقد ثبت حدوثها- فهو حادث ، وإذا ثبت حدوث العالم كان لابد له من محدث يخرجه من حيِّز العدم إلى حيز الوجود .

ب- بطلان هذا المسلك :

والحق أن هذه الطريقة التي سار عليها المتكلمون مما يعلم بالإضطرار أن رسول الله ﷺ لم يدع الناس بها إلى الإقرار بالخالق جل جلاله ، ولهذا اعترف حذّاق أهل الكلام - كالأشعري وغيره - بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ، ولاسلف الأمة وأئمتها ، وذكروا بأنها طريقة محرمة ، بل المحققون على أنها باطلة ، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدَّعى بها

---

١) هو عضد الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الايجي ، عالم بالأصول والمعاني والعربية وعلم الكلام ، له تصانيف عديدة منها المواقف في علم الكلام والعقائد العضدية ، توفي سنة (٧٥٦ هـ) ، انظر مفتاح السعادة ، ١٥/١٩٥، والاعلام للزركلي ، ٣/٢٩٥.

٢) الجوهر هو المتحيز وكل ذي جسم متحيز/ الارشاد للجويني ص ٣٩.

٣) العرض هو الموجود الذي يحتاج إلى موضع أي محل يقوم به. التعريفات للجرجاني ص ١٦٢.

٤) المواقف في علم الكلام ، الموقف الخامس ، ص ٢٦٦.

٥) انظر مراجع المتكلمين التي سبق ذكرها في الهامش الأخير من الصفحة السابقة .

مطلقاً ، لأنها سبب كل ما التزم به المتكلمون من متناقضات عقلية في الصفات الإلهية وغيرها ، وقد التزموا لأجلها نفي صفات الرب عزوجل مطلقاً أو بعضها ، والقول بخلق القرآن ، وإنكار رؤية الله في الآخرة ، وعلوه على عرشه إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي التزموها(١).

وبالإضافة إلى هذه اللوازم والمحاذير . فإن هذا المنهج شاق ومعقد يصعب فهمه وتصوره على المتخصصين ، فضلا عن جمهور الناس ، وفيه من الغموض واللبس مالا يخفى ، فلا يجوز أن يكون سبيلا لتحصيل أشرف العلوم وهو علم التوحيد والايمان بالله عزوجل ، ولذا أنكره علماء السنة والجماعة وذموه وحذروا منه .

المبحث الرابع : (منهج القاضي عياض في الإستدلال على وجود الله وعلاقته بمنهج المتكلمين) وفيه عدة مطالب

المطلب الأول : (منهج القاضي عياض)

لقد نهج القاضي عياض - غفر الله له - في الإستدلال على وجود الله منهج المتكلمين ، حيث جعل قضية حدوث العالم هي الدليل على وجود الله، وقد صدّر بها كتابه العقيدة المسمى (منهاج العوارف) حيث قال : (وها أنا أبتدئ الكلام على المسائل الإعتقادية (مسألة حدوث العالم) العالم عند المتكلمين كل موجود سوى الله وصفاته ، والحادث هو المسبوق بالعدم ، وقال الفلاسفة : هو المسبوق بالغير وهو منحصر في الجواهر والأعراض ، قال : والحق أنه حادث بجميع ما فيه مبتدأ بعد العدم المحض، كان الله ولا شيئ معه، وهو الآن على ما عليه كان ، **والدليل على ذلك** : أنه متغير ، وكل متغير حادث ، فالعالم حادث ، أما أنه متغير ، فالدليل عليه مانشاهد لاحق لبعضه ، والجائز على البعض بالذات ، جائز على الكل ، فالتغير جائز على جميعه .

وأما المقدمة الثانية: وهو أن كل متغير حادث فبينت أن دعوى العدم مستحيل على من هو بالقدم ، والتغير يقتضي عدم شيئ وطريان غيره ، كعدم الحركة عند طريان السكون وبالعكس فالتخير يفضي بالحدوث ، لأن كل ما ثبت

---

١) انظر درء تعارض العقل والنقل ، ٣٨/١-٤٥ و١٠٠-١١٢.

قدمه ، إستحال عدمه)(١).

إننا نرى أن المقدمات والنتائج ، وكذلك الأدلة هي نفسها التي أعتمد عليها المتكلمون ، بل صرح بأنه قد سلك مسلكهم وسماهم أئمة وتابع إستدلالاته على هذا المنهج قائلا (وقد سلك الأئمة في إثبات حدوث الجواهر إليها لإختصاصها بأزمان معلومة وأقران خاصة(٢) ، وكل ما يتطارق إليه الجواز بالذات ، لزم أن ينظر إلى أحكامه ، فمما يجب له ، الوجود بالذات والكمال المطلق ، وقد علمت أن معقول الوجود مفهوم ضروري ، وهو تحقق الماهية ، والدليل على أنه موجود لنسبة الأثر إليه ، والعدم المحض لا يعقل أن يكون مؤثراً ، وهذا الوجود الثابت للحق سبحانه، يجب تنزيهه عن البداية والنهاية، وإلا لكان حادثاً والحادث مفتقر إلى محدث ، ولو جاز عليه الإفتقار لخرج عن حقيقة الألوهية ... وكل ما ثبت له القدم ، إستحال عليه العدم، فهو الموجود الأزلي القديم السرمدي)(٣).

المطلب الثاني : بطلان هذا المنهج والرد عليه

ا- بطلانه لمخالفته منهج السلف ومشابهته لمنهج المتكلمين :

لقد أخطأ القاضي عياض - غفر الله له - في منهجه عند إستدلاله على وجود الله فخالف منهج السلف ووقع فيما ضل به المتكلمون في هذه القضية فقلدهم في الأمور الآتية :

ا- التركيز على مسألة (حدوث العالم) وجعلها الأساس في الإستدلال على هذه القضية والتغاضي عما عداها من الآيات والدلائل الشرعية والفطرية الواضحة ، ولايخفى على عاقل ما تتضمنه هذه المسألة (حدوث العالم) من مقدمات ونتائج خطيرة كنفي الصفات عن الرب تعالى أو بعضها والقول بخلق القرآن وغير ذلك من المحاذير .

---

١) منهاج العوارف ، ص ٤.

٢) هكذا في المخطوطة ولم يتضح لي معناها .

٣) المرجع السابق ، ص ٤،٥، ومعنى السرمدي:(ما لا أول له ولا آخر) التعريفات للجرجاني ص ١٣١.

٢- الإستدلال بالجواهر والأعراض التي ما جاء بها كتاب ولا سنة ولا قال بها سلف هذه الأمة المشهور لهم بالخيرية والصلاح ، فهذه الطريقة الكلامية وأدلتها منطقية عقيمة دخيلة على الإسلام ، وقد حملت في طياتها شتى أنواع البلايا والمحن على عقائد المسلمين ، فرد كثير منهم بسببها نصوص الكتاب والسنة بحجة أنها تخالف هذه القواعد .

٣- ترك الإستدلال على هذه القضية (وجود الله) بنصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف والتي فيها الغنية لكونها تتصل بعلم التوحيد - أشرف العلوم - والإستعاضة عنها بكلام منطقي جدلي معقد بمرض ويقسّي القلب لمناقضته العقل السليم والفطرة السليمة ، فضلا عن مخالفته للنصوص الشرعية .

وقد جنت هذه القواعد الكلامية على المسلمين شتى أنواع الشر والفساد الفكري والإجتماعي وفرقتهم شيعاً وأحزاباً حتى صار يلعن ويكفر بعضهم بعضاً بسببها ، فيجب ردها وعدم الإعتداد بها لمخالفتها نصوص الكتاب والسنة ولخطرها العظيم على الإسلام والمسلمين .

ب- رد مشاهير المتكلمين لهذا المنهج :

لقد ردّ وبين خطر هذه القواعد الكلامية وفسادها وحال أهلها وتخطبهم وحيرتهم بسببها كثير من المتكلمين . فهذا الجويني(١) -أحد أركانهم- يقول: (ركبت البحر الأعظم ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمة فالويل لفلان ، وها أنا أموت على عقيدة أمي)، وأوصي عند موته أصحابه قائلا (يا أصحابنا لاتنشغلوا بالكلام ، فلو عرفت أنه يبلغ بي ما بلغت ما تشاغلت به)(٢) .

وهذا الشهرستاني(٣) - أحد أئمتهم - يذكر ندمه ويصف حاله التي سببتها له تلك الطرق الكلامية وما انتهى إليه أمره فيقول :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيّرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعاً كف حائر على ذَقنٍ أو قارعاً سن نادم(٤).

---

١) تقدمت ترجمته ص ٣٣.

٢) الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٧، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني ، ٣٦٣/١٣، وشرح الطحاوية ، ص ١٦٨.

٣) تقدمت ترجمته ص ١٤.

٤) الفتوى الحموية ، ص ٧، وشرح الطحاوية ، ص ١٦٨.

أما الفخر الرازي[1] - أحد أقطابهم - فيوضح الصورة الحقيقية لحال المتكلمين ، وماهم فيه من اضطراب وتخبط ، ويكشف فساد تلك القواعد النتنة ، و يثني على طريقة القرآن الكريم ويوصي بها فيقول :

نهاية إقدام العقول عقالُ　　　　و أكثرُ سعي العالمين ضلالُ

و أرواحُنا في وحشة من جسومنا　　　　وغاية دنيانا أذىً ووبالُ

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا　　　　سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن ، أقرأ في الإثبات **﴿الرحمن على العرش استوى﴾**[2] **﴿إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيب﴾**[3] وأقرأ في النفي **﴿ليس كمثله شيء﴾**[4] **﴿ولايُحيطونَ به عِلْماً﴾**[5] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)[6].

فإذا كان أقطاب المتكلمين يتنصلون من قواعد الكلام الباطلة ويذمونها ، فهل يليق بعاقل - فضلا عن عالم جليل - كالقاضي عياض أن يقول بها؟! ولكنه التقليد للشيوخ وعدم التوفيق من الله تعالى ، فالحمد لله على سلامة المعتقد ونسأله الثبات عليه لنا ولإخواننا المؤمنين .

المطلب الثالث : (أول واجب على المكلف واختلاف الناس فيه)

بعد أن عرفنا تأثر القاضي عياض بمسلك المتكلمين في الإستدلال على وجود الله ، نريد أن نعرف هل تأثر بهم أيضاً في هذه المسألة وهي (أول واجب على المكلف) .

وقبل أن أجيب على هذا السؤال أحب أن أذكر قولهم أولا .

---

1) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي العالم المفسر ، كان إماماً من أئمة الفلسفة والكلام فمن الله عليه بالهداية إلى مذهب السلف آخر حياته ، له مؤلفات عديدة منها مفاتيح الغيب في التفسير وشرح الاسماء الحسنى ، ولد سنة ٥٤٤ هـ، وتوفي سنة (٦٠٦ هـ)، انظر ترجمته في البداية والنهاية ، ١٣/٥٥، وسير أعلام النبلاء ، ٢١/٥٠٠.

2) سورة طه آية ٥.

3) سورة فاطر آية ١٠.

4) سورة الشورى آية ١١.

5) سورة طه آية ١١.

6) الفتوى الحموية ، ص ٧، وشرح الطحاوية ، ص ١٦٧.

أ- رأي المتكلمين في هذه القضية :

اختلف المتكلمون في هذه المسألة ، فرأى بعضهم أن أول واجب على المكلف هو معرفة الله تعالى، وقال بعضهم : هو النظر فيها، وقال آخرون : هو أول النظر ، أي المقدمة الأولى منه نحو قولك العالم حادث وكل حادث لابد من محدث ، فمجموع المقدمتين هو النظر ، والمقدمة الأولى هو أول النظر ، وقال بعضهم، بل أول الواجبات هو القصد إلى النظر، وقالوا من آمن بغير طريق النظر فهو مقلد .

واختلفوا في حكمه ، فرجّح بعضهم تكفيره واكتفى بعضهم بتفسيقه(١).

قلت : ولا شك أن هذه الأقوال كلها باطلة معلومة الفساد لمناقضتها لنصوص الكتاب والسنة - كما سيأتي - .

ب- رأي القاضي عياض في ذلك :

خالف القاضي -رحمه الله- المتكلمين في هذه القضية ووافق مذهب السلف ، ورأى أن أول واجب على المكلف ، هو الإقرار بالشهادتين ، وفي ذلك يقول عند شرحه لحديث الجارية التي سألها رسول الله ﷺ «أين الله ؟!» قالت : في السماء ، قال «من أنا ؟!» قالت ؛ أنت رسول الله ، فقال لصاحبها «أعتقها فإنها مؤمنة»(٢) . (فيه دليل على أن الأكتفاء في ذلك (أي الايمان) بصريح الشهادتين وصحة العقيدة ، وإن لم يكن عن برهان ونظر واستدلال ، اذ لم يسألها النبي ﷺ من أين علمت ذلك)(٣) . قلت صدق القاضي عياض في ذلك حيث التزم بحديث رسول الله وقال به ، وهذا الحديث كما هو ظاهر يحكم للإنسان بالايمان إذا نطق بالشهادتين وعرف ربه ورسوله ﷺ ، وأقر بعلوه تعالى على خلقه واعتقد بأنه سبحانه فوق سمواته إذ كل ما علا فهو سماء ،

---

١) لمزيد من التفصيل في المسألة راجع المواقف في علم الكلام للايجي ، ص ٣٢-٣٣، وشرح جوهرة التوحيد، ص ٣٢-٣٧.

٢) رواه مسلم في ك المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ، ٣٨٢،٣٨١/١، برقم ٥٣٧، وأبو داود في ك الأيمان والنذور باب في الرقبة المؤمنة ، ٢٣٠/٣، برقم ٣٢٨٢، والنسائي في ك السهو باب الكلام في الصلاة ، ٢٢/٣، برقم ١٢١٧، ومالك في الموطأ ك العتق والولاء باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ، ٥٩٥/٢، برقم ٨، وأحمد في المسند ، ٤٥٢/٣ و٢٢٢/٤، ٢٨٨، والشافعي في الرسالة فقرة (٢٤٢) وابن أبي عاصم في السنة ، ٢١٥/١، برقم ٤٨٩، وابن خزيمة في ك التوحيد ، ص ١٢١، ١٢٣، واللالكائي في شرح أصول إعتقاد أهل السنة ، ٣٩١/٣، ٣٩٢، برقم ٦٥٢ وابن أبي شيبة في الايمان ، ص ٣٦.

٣) إكمال المعلم ، ٣٠٦/١.

حيث أخبرنا عزوجل عن نفسه في سبعة مواضع في كتابه أنه على العرش استوى من ذلك قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾(١)، وفي الحديث أيضاً رد على من نفى عن الله صفة العلو ، وفيه أيضاً جواز إطلاق لفظ (أين) في السؤال على الله ، إذ لو كان ذلك لايجوز - كما زعم المؤولون الضالون - لما سأل رسول الله ﷺ بأين .

وفي موضع آخر يؤكد القاضي عياض أيضاً أن النطق بالشهادتين مع الايمان بها هو أول واجب على الإنسان ولايحكم له بالإيمان بدون ذلك ويستدل على ذلك بأحاديث منها : حديث معاذ بن جبل(٢) - رضي الله عنه - حيث قال له عليه الصلاة والسلام عندما أرسله لليمن «إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله»(٣) وفي رواية «فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»(٤) .

فقد قال عند شرحه لهذا الحديث (فيه دليل على إن الايمان لا يصح إلا بالمعرفة وانشراح الصدر والنطق بالشهادتين ، ولايكفي فيه نطق اللسان كما

---

١) سورة طه آية ٥.

٢) هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن، معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الانصاري الخزرجي من أعيان وكبار الصحابة ، شهد بدراً والمشاهد كلها وكان إليه المنتهى في علم الحلال والحرام، وكان من أجمل الرجال وأفضل شباب الانصار حلماً وحياء وسخاء، لايسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه، أرسله النبي ﷺ إلى اليمن وأمّره على أهلها ، فقدم من اليمن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، روى أحاديث عن النبي ﷺ ، توفي بالطاعون في الشام في سنة (١٧ أو ١٨ هـ) ، وعمره (٣٤ سنة) ، انظر ترجمته في مشاهير علماء الامصار ، ص ٥، وأسد الغابة ٣٧٦/٤ والإصابة ٤٠٦/٣.

٣) رواه البخاري في ك التوحيد باب ماجاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله ، ٣٥٩/١٣، برقم ٧٣٧٢، ومسلم في ك الايمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، ٥١/١، برقم ١٩.

٤) رواه البخاري في ك الزكاة باب أخذ الصدقة من الاغنياء ، ٤١٨/٣، برقم ١٤٩٦، ومسلم في ك الايمان باب الدعاء إلى الشهادتين ، ٥٠/١، برقم ١٩ مكرر.

تقول الجهمية(١) ، ولا التقليد المجرد(٢) ، كما تظنه الجهلة ، وفيه أن قول لاإله إلا الله محمد رسول الله يعصم الدم ، وان أحدهما دون الآخر لا يعصم لأنه ﷺ قد شرطهما جميعاً)(٣).

ومن الأحاديث التي استدل بها القاضي عياض أيضاً قوله ﷺ «أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لايلقى الله بها عبد غير شاك فيهما إلا

---

١) الجهمية فرقة ضالة تنتسب إلى الجهم بن صفوان السمرقندي المتوفى سنة (١٢٨ هـ) والقائل بالإجبار والإضطرار إلى الأعمال ، والذي أنكر الإستطاعات كلها،وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الكفر هو الجهل به،وزعم أن الجنة والنار تفنيان ،ونفى أسماء الله تعالى وصفاته وقال بخلق القرآن وغير ذلك ، انظر مقاولات الإسلاميين للأشعري ، ٣٣٨/١، والملل والنحل للشهرستاني ص ٨٦،٨٧، وأما ما نسبه القاضي عياض إلى الجهمية فإنما هو قول الكرامية نسبة إلى محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة (٣٨٣ هـ) القائلين بأن الايمان هو النطق باللسان فقط ، انظر شرح الطحاوية ، ص ٣١٣.

٢) أي التقليد الخالي من أي معرفة ويشير بقوله هذا إلى المذهب القائل بأن طريق معرفة الحق هو التقليد وأن ذلك هو الواجب، وقد اختلف أهل الاسلام في جواز التقليد في العقائد ، فذهب عامة المتكلمين إلى أن الواجب على كل أحد معرفة الله بالأدلة الدالة عليه ولايجوز التقليد في العقائد، وغلا بعض هؤلاء فقصر الأدلة على الطرق الكلامية وحكم بكفر المقلد في الايمان، وفي هؤلاء يقول الإمام الغزالي (أسرفت طائفة فكفروا عوام المسلمين وزعموا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها فهو كافر، فضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا الجنة مختصة بشرذمة يسيرة من المتكلمين) ، وذهب آخرون إلى كفاية التقليد المحض في الايمان وبه قال جماعة من الحنابلة والظاهرية ، ومن هؤلاء من بالغ فحرّم النظر في الادلة مستندين إلى ماثبت عن الأئمة في ذم الكلام . والمذهب المختار الذي عليه عامة السلف ومن تبعهم وأهل التحقيق والتوسط والإعتدال، القول بالتفصيل في ذلك فيقولون : إن التقليد جائز في حق العوام ومن هو قاصر عن إدراك الأدلة ، فلا يجوز تكليف هؤلاء إعتقاد الأصول بأدلتها ، لأن في ذلك من المشقة مالا يطيقون ، ولأن الايمان يوجد في أصل الفطرة ثم إن مَن صدّق الرسول ﷺ لايعتبر مقلداً لأننا أمرنا بإتباعه، ثم إن الناس يختلفون في التصديق وإنشراح الصدر فمن انشرح صدره واطمئن قلبه ولم يكن عنده شبهة أو ضرورة للدليل فلا يجب عليه ، أما من توقف وكانت عنده شبهة ولم تسكن نفسه إلى التصديق فيجب عليه طلب الادلة حتى ينشرح صدره ويذهب مابه من شبهات ولايشترط أن يكون ذلك بالطرق الكلامية ، بل يكفي في حق كل أحد بحسب ما يقتضيه فهمه ، وبأي طريق يوصلُ إليه، ولو كان عن تقليد محض إذا أسلم من التنزيل قال القرطبي، (وهذا الذي عليه أئمة الفتوى ومن قبلهم من أئمة السلف) لأن الصحابة حكموا بإسلام من أسلم من جفاة العرب ونحوهم عندما أقروا بالشهادتين ولم يطالبوهم بالادلة ولم يلزموهم بتعلمها وأما من توقف عن الايمان فقد نبهوه وأقاموا عليه الأدلة ، انظر مجموع فتاوى ، ٢/١-٢،٦٠،٧٢، ١٩٧/٤-١٩٩، ودرء تعارض العقل والنقل ، ٤٠٥/٧-٤٢٠، وشرح الطحاوية ، ص ٤-١٢، وفتح الباري ، ٣٦١/١٣-٣٦٧، وشرح النووي لصحيح مسلم ، ٢١٠/١،٢١١، وغيرها.

٣) إكمال المعلم ، ٣٥٢/٢.

دخل الجنة»(١) وقوله ﷺ لأبي هريرة - رضي الله عنه - «من لقيت يشهد أن لاإله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة»(٢) ، فقد قال عند شرحه لهما (في ذلك دليل أن الايمان لايصح إلا بالمعرفة وانشراح الصدر لقوله (غير شاك فيهما) وقوله (مستيقناً بها قلبه) ومذهب أهل السنة أن المعرفة مرتبطة بالنطق بالشهادتين لاتنفع إحداهما ولاتنجي من النار دون الأخرى إلا لمن لم يقدر عليها من آفة بلسانه أو لم تمهله المدة لقولها حتى أختُرم(٣))(٤).

ج - مذهب السلف في أول الواجبات :

الحق الذي عليه سلف هذه الأمة ومن سار على منهجهم ، أن أصل الإسلام هو توحيد الله عزوجل وأن أول ما يؤمر به العباد هو شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله لا المعرفة ولا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله، كما هي أقوال أهل الكلام المذموم ، الذين ضلوا وأضلوا وخالفوا النصوص الشرعية. وقد ردّ عليهم وفند مذاهبهم وبيِّن ضلالهم وبعدهم عن الحق في ذلك كثير من أئمة أهل السنة والجماعة(٥) ، مستدلين لما يقولون به بنصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الذين اتفقوا أن من نطق بالشهادتين قبل بلوغه لم يؤمر بتجديد ذلك عقب بلوغه لكونه قد أدى الواجب قبل ذلك. فالشهادتان هما أول واجبات الإسلام بهما يصير الكافر مسلماً معصوم الدم والمال ، فإن كان صادقاً كان مسلماً ظاهراً وباطناً وإن كان كاذباً في الباطن فهو منافق لقوله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» متفق

---

١) رواه مسلم في ك الايمان باب من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، ٥٥/١، برقم ٢٧.

٢) رواه مسلم في ك الايمان باب من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، ٥٩/١، برقم ٣١.

٣) أي توفي يقال : أخترمته المنية أي أخذته ، انظر المعجم الوسيط ، ٢٣٠/١.

٤) إكمال المعلم ، ٣٧٧/٢.

٥) من هؤلاء الأئمة شيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع من كتبه من ذلك : درء تعارض العقل والنقل ، ٤٠٥/٧-٤٦٤، ومجموع فتاوى ، ١/١٩-١٢، ومنهم الإمام ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين ، ٤٦٢/٣، وإغاثة اللهفان ، ٣٠/١، وكذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، ٣٦١/١٣، وقد نقل أقوالا كثيرة في الرد عليهم ، ومنهم أيضاً الإمام الشوكاني في إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، ص ٢٦٦،٢٦٧، وكذلك ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية ، ص ١٥، وغيرهم .

عليه(١) .

وبهذا يعلم أن النجاة والخير والسعادة فيما جاءت به النصوص ، وأن الضلال والشر والشقاء فيما سوى ذلك، نسأل الله أن يثبتنا على الحق إنه سميع مجيب .

المبحث الخامس : منهج أهل السنة في الإستدلال على توحيد الربوبية وبعض الأدلة على ذلك

سبق الحديث فيما مضى عن منهج المتكلمين في قضية الإستدلال على وجود الله، وظهر لنا تأثر القاضي عياض بهم في هذا الشأن ، وإتماماً للفائدة في هذا الموضوع سأذكر في هذا البحث المنهج الحق - منهج أهل السنة والجماعة- ليسير المرء عليه ، فأقول وبالله التوفيق :

لقد سلك أهل السنة والجماعة في الإستدلال على وجود الله مسلك القرآن الكريم والسنة المطهرة - وكفى بذلك حجة وبرهاناً - وذلك عن طريق إثبات وجود الله تعالى ببيان عظمته وآياته المتنوعة ، وتدبيره المحكم وقدرته على كل شيئ ، وعنايته بكل ما في هذا الكون صغيره وكبيره، وبعثه لأنبيائه ورسله وما جرى على أيديهم من المعجزات الخارقة الدالة على صدقهم وعلى مرسلهم عزوجل ، بالإضافة إلى إقرار الفطرة السليمة بربوبيته تعالى ووحدانيته وشهادتها له بذلك ، وأبدأ الحديث عن هذه الأدلة بشيئ من التفصيل .

١- الدليل الأول : الفطرة والميثاق المعقود بينها وبين الله عزوجل :

تعتبر الفطرة أول وأعظم الأدلة التي ذكرها القرآن ونبه عليها، وقد ذكرت فيما سبق(٢) أن الايمان بوجود الله أمر فطري لايحتاج لدليل ، لأن النفوس جبلت عليه ، ولأن الايمان به تعالى مغروس في قلب كل مخلوق ، وهذا الايمان الفطري هو في الحقيقة دليل على وجود الله ، قال الله تعالى : **﴿فِطْرَةَ اللـّه التي فَطَرَ الناسَ عليها لاتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللـّه ، ذلك الدّينُ القَـيّمُ ولَكنَّ أكثرَ الناس لا يَعْلَمُونَ﴾**(٣) فقد قال جمهور علماء أهل السنة والجماعة إن الفطرة

---

١) رواه البخاري في ك الايمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة فخلوا سبيلهم ، ٩٥/١ برقم ٢٥، ومسلم في ك الايمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقول لا إله إلا الله ، ٥١/١،٥٢، برقم ٢٠.

٢) راجع فطرية توحيد الربوبية ، ص ٧٤.

٣) سورة الروم آية ٣٠.

هنا الإسلام والتوحيد(١) .

وقال سبحانه أيضاً : ﴿صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾(٢) فصبغة الله هي دين الله الإسلام كما قال أئمة السلف - رحمهم الله(٣) - وإنما سمّاها الله صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب ، أو لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه كالصبغ يلزم الثوب(٤) .

وقد نبه النبي ﷺ إلى هذا الدليل الفطري بقوله «مامن مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يُهَوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه»(٥) وقوله فيما يرويه عن ربه عزوجل «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم - وفي رواية - «حنفاء مسلمين» وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»(٦) .

ولهذا أرسل الله الرسل والأنبياء لتذكير البشر بتوحيد الفطرة وتطهيره من الشوائب التي علقتها به الشياطين ، ولدعوتهم لعبادته عزوجل وحده ولاشريك له كما قال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٧) يقول الإمام ابن القيم(٨) - رحمه الله - (إن النفوس فطرت على معرفة الله ومحبته والإخلاص له والإقرار بشرعه وإيثاره على غيره ، فهي تعرف ذلك وتشعربه مجملا ومفصلا بعض التفصيل ، فجاءت الرسل تُذكّرها بذلك وتنبهها عليه وتفصّله لها وتبينه ، وتعرّفها الأسباب المعارضة لموجب الفطرة المانعة من اقتفاءها أثرها)(٩).

---

١) انظر تفسير الطبري ، ٤٠/٢، وتفسير ابن كثير ، ٤٣٢/٣، ودرء تعارض العقل والنقل ، ٤١٠/٨، وفتح القدير ، ٢٢٤/٤.

٢) سورة البقرة آية ١٣٨.

٣) انظر تفسير البغوي ، ١٢١/١، وتفسير ابن كثير، ١٨٨/١، وفتح القدير ، ١٤٨/١، ١٤٩، وتفسير السعدي، ١٥٠/١، وغيرها.

٤) تفسير البغوي، ١٢١/١.

٥) تقدم تخريجه ص ٧٥.

٦) تقدم تخريجه ص ٧٦.

٧) سورة النحل آية ٣٦.

٨) هو الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أيوب الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق، المفسر النحوي الاصولي، صاحب التصانيف الكثيرة والعظيمة الفائدة، سمع الحديث واشتغل بالعلم فبرع في شتى العلوم، ولما رجع شيخ الإسلام ابن تيمية من مصر سنة ٧١٢ هـ لازمه حتى مات فأفاد منه علماً جماً، ولد رحمه الله سنة (٦٩١ هـ) وتوفي سنة (٧٥١ هـ) ، انظر ترجمته في الوافي للوفيات ، ٢٧١/٢، والبداية النهاية، ٢٣٤/١٤.

٩) شفاء العليل لابن القيم ، ص ٥٩٢، ط دار التراث العربي .

وبالإضافة إلى شهادة الفطرة بالوحدانية لله ودلالتها على ذلك ، فإن هناك شيئاً آخر يتصل ويرتبط إرتباطاً وثيقاً بها قد دل وشهد له عزوجل بهذا الأمر ، ذلكم هو العهد والميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم وهم في صلبه ، حيث أقروا له بالربوبية والألوهية ، قال الله تعالى مبيناً هذه الحقيقة **﴿وإذ أخذَ ربُّكَ من بني آدمَ من ظُهورهم ذُريَتَهم وأشهدَهم على أنفسهم ألَسْتُ بربّكم؟! قالوا بلى شَهدنا أن تقولوا يومَ القيامةِ إنا كُنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشركَ آباؤُنا من قَبْلُ وكنا ذريةً من بعدهم أفتهلكُنَا بما فَعَلَ المبطلون﴾**(١) فقد أخبر عزوجل في هاتين الآيتين - كما ذكر أئمة التفسير من أهل السنة(٢). أنه تعالى استخرج ذرية بني آدم من ظهره حين كانوا في عالم الذر ، واستنطقهم فشهدوا على أنفسهم وأقروا بأن الله تعالى ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو فأخذ عليهم العهد بذلك. وقد أيد هذا التفسيرَ الصحيحَ أحاديثُ صحيحةٌ كثيرةٌ عن رسول الله ﷺ منها:

مارواه ابن عباس رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله أخذ الميثاق من آدم عليه السلام بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنشرها بين يديه ثم كلّمهم فقال : ألست بربكم ؟! قالوا : بلى شهدنا إلى قوله المبطلون»(٣).

ومنها قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه(٤) « أن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به ؟ قال : لقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لاتشرك بي فأبيت إلا الشرك».

فهذا العهد والميثاق المأخوذ على بني البشر حجة الله على خلقه يوم القيامة ، ولهذا قال سبحانه **﴿أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا﴾** الآية فبين الله عزوجل في الآيات السابقة

---

١) سورة الأعراف آية ١٧٢، ١٧٣.

٢) انظر تفسير الطبري ، ٦/١١٠-١١٧، وتفسير البغوي ، ٢/٢١٢، ٢١٣، وتفسير ابن كثير ، ٢/٢٦١-٢٦٣، وفتح القدير ، ٢/٢٦٣، وتفسير السعدي ، ٣/١١٣-١١٥، وغيرها.

٣) رواه أحمد في المسند ، ١/٢٧٢، وقال عنه أحمد شاكر إسناده صحيح، (انظر المسند بتحقيقه برقم ٢٤٥٥) وابن أبي عاصم في السنة ، ١/٨٩، برقم ٢٠٢، والحاكم في المستدرك ، ١/٢٧، ٢/٥٤٤، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وقال الشوكاني في فتح القدير ، ٢/٢٦٣، اسناده لا مطعن فيه ، وقال الالباني بعد سرد الشواهد والمتابعات للحديث - وجملة القول أن هذا الحديث صحيح بل متواتر المعنى ، انظر الأحاديث الصحيحة ، ٤/١٦٢، برقم ١٦٢٣.

٤) رواه البخاري في ك الانبياء باب خلق آدم وذريته ، ٦/٤١٩ برقم ٣٣٣٤ ومسلم في ك صفات المنافقين باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً ، ٤/٢١٦١، برقم ٢٨٠٥.

وكذلك وضح رسوله ﷺ في الحديثين السابقين الحكمة التي لأجلها أخرج الله بني آدم من ظهره حيث أشهدهم على أنفسهم وفعل ذلك لئلا ينكروا هذا الإقرار يوم القيامة، أو يحتجوا بالعلة الباطلة - وهي شرك آبائهم - لأنها حجة داحضة ومعذرة لا يلتفت إليها بعد إقرارهم وإقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل إليهم، كما قال تعالى **﴿رُسُلاً مُبَشّرِينَ ومُنـْذِرين لئلا يكونَ للناسِ على الله حجة بعدَ الرسل﴾**(١) لأنه تعالى لايعذب عباده إلا بعد أن ينذرهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى **﴿وما كنا مُعَذّبين حتى نبعثَ رسولا﴾**(٢) ، فتبين مما سبق أن الفطرة السليمة والإشهاد الذي شهده الخلق - وهم في عالم الذر - لباريهم تعالى بالوحدانية والربوبية ، من أعظم الأدلة على وجوده تعالى وعظمته وقيومته والهيته .

ب - الدليل الثاني: (النظر والإستدلال بآيات الخلق الكونية وغيرها):

إن مما لاشك فيه أن النظر والتفكير في مخلوقات الله تعالى الكثيرة والعظيمة في خلقها والعجيبة في إحكامها وجمالها ، لمن أهم الأسباب المفضية إلى الايمان به عزوجل ومحبته وتعظيمه ، فإن الإنسان إذا نظر في هذا الكون العظيم واستعرض ما فيه من الآيات البينات ، أيقن بأن هذه الكائنات لم تخلق صدفة - كما زعم الملاحدة والدهريون - بل لابد لها من موجد عظيم أوجدها هو الله سبحانه وتعالى ، ولذلك لما سئل بعض الأعراب بم عرفت ربك ؟ قال : ياسبحان الله !! إن البعرة تدل على البعير ، وإن أثر الاقدام لتدل على المسير ، فسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!(٣) وإلى هذا أشارت الرسل عليهم السلام - فيما حكى الله عنهم **﴿أفي الله شكٌ فاطرِ السمواتِ والأرضِ﴾**(٤) ، فقولهم (فاطر السموات والأرض) إشارة إلى استنكار الشك فيمن هذا صنيعه وأثره ، والأثر الحقير يدل على صاحبه ، فكيف لايدل هذا الأمر العظيم بما اشتمل عليه من الآيات والأعاجيب على صانعه تعالى ؟!(٥).

لذا جاء الحث والأمر في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز للإنسان

---

١) سورة النساء آية ١٦٥.
٢) سورة الإسراء آية ١٥.
٣) تفسير ابن كثير ، ٥٨/١.
٤) سورة إبراهيم آية ١٠.
٥) انظر ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير اليماني ، ص ٨٣.

بالتفكير والنظر في هذا الكون،بسمائه وأراضيه وما فيها من عجائب مخلوقاته تعالى ، ليدعم العبد إيمانه ويطرد الشك من نفسه ، من ذلك قوله سبحانه ﴿**قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تُغني الآياتُ والنُذُرُ عن قوم لايؤمنون**﴾(١) . يقول الإمام الشوكاني(٢) عند تفسيره لهذه الآية (المراد بالنظر، التفكر والإعتبار، أي تفكروا واعتبروا بما في السموات والأرض من المصنوعات الدالة على الصانع ووحدته وكمال قدرته ، فإن في كل مخلوقاته عبرة للمعتبرين وموعظة للمتفكرين ، سواء كان من جلائل مصنوعاته كملكوت السموات والأرض ، أو من دقائقها من سائر مخلوقاته)(٣).

والآيات الواردة في هذا الشأن ، إما تتعلق بالكون وما فيه من مخلوقات ، وهو ما يسمى بدلائل الآفاق ، وإما تتعلق بالإنسان وهو ما يسمى بدلائل الأنفس، وقد جاء الجمع بينهما في قوله تعالى ﴿**وفي الأرض آيات للمُوقنين وفي أنفسكم أفلا تُبصرون**﴾(٤) ، وقوله ﴿ سَنُريهم آياتنا في الآفاقِ وفي أنفسهم حتى يَتبين لهم أنه الحق ﴾(٥) ، وإليك الحديث عن كلٍ منهما على حدة .

ا - **دلائل الآفاق** : إن من ينظر إلى هذا العالم المحسوس علويه وسفليه ، يجده مترابطاً ترابطاً عجيباً ويسير بنظام محكم دقيق ، ولاشك أن مثل هذا الأمر لايمكن أن يكون إلا بصنع الحكيم العليم وتدبيره.

فهذه الآفاق العظيمة - أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغير ذلك - كلها أدلة شاهدة على الباري جل جلاله .

١- (فإن من تأمل السموات في إرتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة، من الثوابت ومن السيارة وشاهدها كيف تدور مع

---

١) سورة يونس آية ١٠١.

٢) هو الإمام العلامة، والبحر الفهامة، الشيخ محمد بن علي الشوكاني - نسبة إلى شوكان قرية من قرى السحامية باليمن - ثُم الصنعاني قاضي قضاة اليمن، وأحد العلماء الجهابذة الاعلام، فقيه محدث أصولي، مفسر صاحب المؤلفات النافعة التي تربوا على المائة والتي من أشهرها فتح القدير ونيل الاوطار ، ولد سنة (١١٧٣ هـ) وتوفي سنة (١٢٥٠ هـ) ، انظر ترجمته في البدر الطالع له ، ٢/٢٠٤-٢٢٥، والأعلام للزركلي ، ٦/٢٩٨.

٣) فتح القدير ، ٢/٢٧١،٢٧٢.

٤) سورة الذاريات آية ٢٠،٢١.

٥) سورة فصلت آية ٥٣.

الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كل جانب ، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع إختلاف أشكالها وألوانها كما قال سبحانه **﴿ومن الجبال جُدَدٌ بِيض وَحُمْرٌ مُخْتَلفٌ ألوانُها وغَرَابِيْبُ سُودٌ * ومن الناسِ والدوابّ والأنعامِ مختلفٌ ألوانُه كذلك﴾**(١).

وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والأراييج والأشكال والألوان مع إتحاد طبيعة التربة والماء، استدل على وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وبره بهم لا إله غيره ولارب سواه)(٢).

٢ - وقد أشار عزوجل إلى هذه الدلائل العظيمة في آيات كثيرة من كتابه العزيز ، من ذلك قوله سبحانه **﴿إن في خَلْقِ السموات والأرضِ واختلاف اللّيلِ والنّهارِ والفُلْك التي تَجْرِي في البَحْرِ بما يَنْفَعُ الناسَ وما أنزلَ اللهُ من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرضَ بَعْدَ مَوْتها وبثَّ فيها من كل دابةٍ وتصريفِ الرّياحِ والسّحابِ المسخَّرِ بين السماءِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾**(٣)، فقد أخبر عزوجل أن في هذه المخلوقات العظيمة التي ذكرها أدلة باهرة على واحدانيته وإلهيته وعظيم سلطانه ، ففي خلق السموات وإرتفاعها وإتساعها وإحكامها وتزيينها بالكواكب من الشمس والقمر والنجوم لصالح العباد ، وفي خلق الأرض مهاداً للخلق ليمكنهم القرار عليها والإنتفاع بها فيها، واختلاف الليل والنهار يتعاقبهما على الدوام ، وطول هذا وقصر ذاك ، وفي اختلافهما في الحر والبرد والتوسط وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم وجميع ما على الأرض من أشجار ونبات وغير ذلك ، وفي جريان الفلك - وهي السفن ونحوها - في البحر على ضخامتها وكبرها وهي تحمل الركاب والأموال والبضائع التي تنفع الناس في حياتهم ومعايشهم، فمن الذي إلهمهم صنعتها وأقدرهم عليها ،وخلق لهم آلاتها وسخر لهم البحر لتجري فيه غير رب العالمين ؟ وفي إنزاله عزوجل المطر من السماء لحياة الأرض بالنباتات والزروع بعد جدبها وموتها ، وفي تصريف الرياح حارة وباردة، ملقّحه وغير ملقّحة، شرقية وغربية وشمالية وجنوبية، وبين ذلك بحسب حاجة الخلق وما تطلبه حياتهم ، وفي السحاب المسخر بين السماء

---

١) سورة فاطر آية ٢٧، ٢٨.

٢) تفسير ابن كثير ، ١/٥٩.

٣) سورة البقرة آية ١٦٤.

والأرض تكوينه وسوقه من بلد إلى آخر، ليمطر هنا ولايمطر هناك حسب إرادة العزيز الحكيم، ففي هذه الآيات أكبر برهان وأقوى دليل على وجود الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته ورحمته وأنه رب العالمين لارب غيره ، ولا معبود بحق سواه(١) .

وقال تعالى أيضاً **﴿إنَّ في السموات والأرضِ لآياتٍ للمؤمنين * وفي خَلْقكُم وما يَبُثُّ من دابّةٍ آياتٌ لقومٍ يوقنون * واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيابه الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون * تلك آياتُ اللهِ نتلوها عليك بالحقِ فبأي حديثٍ بَعْدَ اللهِ وآياته يُؤمنون﴾**(٢).

فأخبر عزوجل أن في هذه الآيات المذكورة حججاً وأدلة وبراهين على وجوده عزوجل ووحدانيته وربوبيته وعلمه وقدرته(٣) .

٣- وقال تعالى **﴿وفي الأرضِ قِطَعٌ مُتَجاوِراتٌ وجَنّاتٌ من أعْنابٍ وَزَرْعٌ ونَخيلٌ صِنْوَانٌ وغَيْرُ صِنوانٍ يُسْقى بماء واحد ونُفَضّل بعضها على بعض في الأكُلِ إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون﴾**(٤).

في هذه الآية أيضاً من الأدلة على بديع صنع الله وعظيم قدرته وإلهيته مالايخفى على من له عقل ، فإنك تجد القطع المتجاورة من الأرض بعضها إلى جنب بعض متلاحقات ، هذه تربتها طيبة ، وهذه تربتها خبيثة ملح سبخة ، وفي الأرض (جنات) بساتين من أعناب وفيها زرع ونخيل (صنوان) النخلتان والثلاث في أصل واحد (وغير صنوان) كل نخلة قائمة على أصلها ، وهذه الأنواع من الثمار والزروع والأعناب تشرب من ماء واحد، ومع ذلك تجدها مختلفة الجودة والطعم، فمنها الحلو ومنها الحامض، ومنها اللذيذ ومنها الردئ ومنها الفائق في الحسن ، ومنها بخلاف ذلك ، فمن ذا الذي غَيَّرَ الطعم والشكل، مع أن الماء الذي شربت منه واحد ، والأرض التي خرجت منها متجاورة ؟! لاشك أن الذي فعل ذلك هي قدرة الله الباهرة وصنعه العجيب ولهذا قال **﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعلمون﴾** أي فيماذكر الله دلائل وعلامات باهرات على وجوب الإيمان به تعالى وتوحيده ولقائه لمن لـه عقـل وتـفكر

---

١) انظر تفسير ابن كثير ، ٢٠٢،٢٠١/١، وفتح القدير ، ١٦٣/١، وتفسير السعدي ، ١٨٩/١-١٩٥، وأيسر التفاسير للجزائري ، ١١٧،١١٦/١.

٢) سورة الجاثية آية ٣-٦.

٣) انظر فتح القدير ، ٥/٤، وتفسير السعدي ، ١٨/٧، وأيسر التفاسير ، ٢٠٦،٢٠٤/٤.

٤) سورة الرعد آية ٤.

وإعتبــــار(١) .

٤- ولهذا لما سئل الإمام الشافعي - رحمه الله - عن وجود الصانع قال : (هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الأبريسم(٢) وتأكله النحل فيخرج منه العسل ، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعراً وروثاً ، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك وهو شيء واحد)(٣) .

فآيات الله تعالى في هذا الكون أكثر من أن تحصى ، وأدلة وجوده تعالى قد بثها في كل شيء، وهي تظهر للخلق دائماً تشير إلى خالقها عزوجل كما قال الشاعر

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ب - **دلائل الأنفس** : تعتبر دلالة الأنفس من أوضح الأدلة وأعظمها على وجود الله تعالى لأنها تتعلق بنفس الإنسان وخلْقَته العجيبة وتكوينه المعجز، ومايعرض له في حياته من أحوال وأعراض ، ولهَذا حث الله عباده ودعاهم للتفكير في هذا المخلوق العجيب فقال **﴿فَلينـْظُرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِقَ * خـُلِقَ من ماءٍ دافق * يَخْرُج من بين الصُلْبِ والتّرائِب * إنه على رجعه لقادر﴾**(٤). وقال **﴿وفي أنفسكم أفلا تُبْصرون﴾**(٥) أي وفي أنفسكم آيات تدل على توحيد الله تعالى وصدق ماجاءت به الرسل ، فإنه تعالى خلقكم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً إلى أن ينفخ فيكم الروح ثم يختلف بعد ذلك صوركم وألوانكم وطبائعكم والسنتكم ثم خلقكم على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودم وأعضاء وحواسى ومجاري ومنافس وغير ذلك **﴿أفلا تبصرون﴾** أي أفلا تبصرون كيف خلقكم فتسدلون بذلك على أنه عزوجل هو الخالق الرازق المتفرد بالألوهية والربوبية فإنه لا شريك ولا ند له، وتعرفــوا قدرتــه علـى الـــبعث(٦) .

وقد بين عزوجل الأطوار التي يمربها الإنسان بقوله **﴿ولقد خَلـَقْنا الإنسانَ من سُلالة من طين * ثم جعلناه نُطْفةً في قـَرَارٍ مَكِينْ * ثم**

---

١) انظر فتح القدير ، ٦٥/٣، وأيسر التفاسير ، ٤٣٨/٢.
٢) الابريسم هو الحرير ، انظر القاموس المحيط ، ص ١٣٩٥.
٣) تفسير ابن كثير ، ٥٩/١.
٤) سورة للطارق الآيات ٥-٨.
٥) سورة الذاريات آية ٢١.
٦) انظر تفسير البغوي ، ٤٣١/٤ ، وفتح القدير ، ٨٥/٥، والاعتقاد للبيهقي ، ص ٨.

خَلَقْنا النُّطْفة عَلَقَةً فَخَلقنا العَلَقَةَ مُضْغةً فَخَلقْنا المُضْغَةَ عظاماً فكسونا العِظامَ لحماً ثم أنْشأناه خلقاً آخرَ فتباركَ اللهُ أحْسَنُ الخالقين﴾(١)، ومن دلائل الأنفس الدالة على وحدانية الله أيضاً ، اختلاف بني آدم في الأجناس من عرب وعجم وترك وروم وغير ذلك ، وتعدد لغاتهم ولهجاتهم ، وفي إختلافهم أيضاً في الصفات اللونية من البياض والسواد والصفرة والحمرة والزرقة ... مع أن أباهم واحد وأمهم واحدة ، وفي هذا من بديع قدرة الباري مالا يعقله إلا العالمون ولايفهمه إلا المتفكرون ، لذلك قرن الله تعالى هذه الآيات العظيمة بخلق السموات والأرض فقال ﴿ومن آياته خَلْقُ السمواتِ والأرضِ واختلافُ ألسنتِكم وألوانِكم إنَّ في ذلك لآياتٍ للعالمين﴾(٢).

والحقيقة أن الدلائل على وجود الله في الأنفس كثيرة جداً لايبلغها الحصر وكلها تشهد لله بالوحدانية. فهذا الإنسان المخلوق في أحسن صوره وأكمل هيأة، تتجلى فيه عظمة القدرة الإلهية في الإبداع والإحكام والعناية كما قال تعالى ﴿لقد خَلَقْنا الإنسانَ في أحسنِ تَقْويم﴾(٣)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (الإستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والإستقامة ، وهي طريقة عقلية،فإن كون نفس الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن ومولوداً ومخلوقاً من نطفة ثم من علقة هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم ، سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر ، لكن الرسول أمر أن يستدل به ودلّ عليه وبيّنه واحتج به ، فهو دليل شرعي لأن الشارع استدل به وأمر بالإستدلال به ، وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته)(٤).

الدليل الثالث : الإستدلال بالمعجزات :

استدل أهل السنة والجماعة على وجود الله أيضاً بدلائل المعجزات واعتبروا هذا الأمر من أقوى الأدلة وأوثقها على إثبات ربوبية الله ووحدانيته وعلى صدق الأنبياء والرسل - عليهم السلام - .

---

١) سورة المؤمنون آية ١٢-١٤.
٢) سورة الروم آية ٢٢.
٣) سورة التين آية ٥.
٤) النبوات ، ص ٧١،٧٢.

قال القاضي أبو يعلى(١)- رحمه الله - (مثبتوا النبوات حصل لهم المعرفة بالله تعالى بثبوت النبوة من غير نظر واستدلال في دلائل العقول خلافاً للأشعرية في قولهم لاتحصل حتى تنظر وتستدل بدلائل العقول . وقال نحن لا نمنع صحة النظر ولا نمنع حصول المعرفة به وإنما خلافنا هل تحصل بغيره ، واستدل بأن النبوة إذا اثبتت بقيام المعجزة علمنا أن هناك مرسلا أرسله إذ لايكون هناك نبي إلا وهناك مرسِل، وإذا ثبت أن هناك مرسِلا أغنى ذلك عن النظر والإستدلال في دلائل العقول على إثباته)(٢) .

وقال الإمام البيهقي(٣) - رحمه الله - (سلك بعض مشايخنا في بحث إثبات الصانع وحدوث العالم طريق الإستدلال بمقدمات النبوة ومعجزات الرسالة، لأن دلائلها مأخوذة من طريق الحس لمن شاهدها ومن طريق استفاضة الخبر لمن غاب عنها، فلما ثبتت النبوة صارت أصلا في وجوب قبول مادعا إليه النبي ، وعلى هذا الوجه كان إيمان أكثر المستجيبين للرسل عليهم السلام . وذكر بعض القصص على ذلك)(٤) .

والحق أن هذه الطريقة في الاستدلال على وجود الله صحيحة إذا حررت - كما قال شيخ الإسلام(٥) -رحمه الله- لورودها في القرآن الكريم في قصة فرعون الذي كان منكراً للرب تعالى قال عزوجل مخاطباً موسى و هارون ﴿**فَأْتِيا فرعون فقولا إنا رسولُ ربِّ العالمين * أن أرسل معنا بني إسرائيل * قال ألَـم نُربِّك فينا وليداً**﴾ - إلى قوله - ﴿ **قال فرعونُ ومارَبُّ العالمين * قال رَبُّ السموات والأرضِ وما بينهما إن كنتم مُوقنين * قال لِمَنْ حَولَه**

---

١) هو الإمام العلامة شيخ الحنابلة، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي الحنبلي ابن الفراء، صاحب التعليقة الكبرى والتصانيف المفيدة في المذهب الحنبلي وغيرها من المؤلفات النافعة المختلفة التي تربو على الستين ، كان شديد التمسك بالسنة منافحاً عن مذهب السلف، زاهداً في الدنيا يكره مخالطة السلطان والتردد على أبوابه، ولد سنة (٣٨٠ هـ)، وتوفي سنة (٤٥٨ هـ) انظر ترجمته في طبقات الحنابلة ، ١٩٣/٢، ٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ، ٨٩/١٨، وشذرات الذهب ٣٠٦/٣.

٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٣٧٧/١١.

٣) هو الإمام الحافظ شيخ خراسان، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، كان فقيهاً جليلا حافظاً كبيراً ، حيث كتب الحديث وحفظه من صباه وصنف التصانيف الكثيرة من أشهرها ، السنن الكبرى والجامع لشعب الايمان ومعرفة السنن والآثار، ولد سنة (٣٨٤ هـ) ، وتوفي سنة (٤٥٨ هـ) ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ، ٨/٤، وسير أعلام النبلاء ، ١٦٣/١٨.

٤) انظر الإعتقاد للبيهقي ص ١٠،١٢و١٢٧.

٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ٣٧٨/١١،٣٨٩.

ألا تَستمعون * قال رَبُكم وربُّ آبائكم الأولين * قال إن رسولكم الذي أرسلَ إليكم لـمَجْنـون * قال ربُّ المَشْرِقِ والمَغـرِبِ وما بينهما إن كُنتم تَعْقِلون * قال لـئِنْ اتخذتَ إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين * قال أولو جئتك بشيء مبين * قال فأت به إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مبينٌ * ونزع يده فاذا هي بيضاءُ للناظرين﴾(١).

فنحن نرى أن موسى - عليه السلام - عرض على فرعون الحجة البينة التي جعلها دليلا على صدقه في كونه رسول رب العالمين، وفي أن له إلهاً غير فرعون يتخذه ويعبده وحده دون سواه .

وقال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ وأمته من بعده ﴿ **فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنْزِلَ بِعِلمِ الله وأنْ لا إلهَ إلا هُوَ فَهَلْ أنتم مُسْلمون** ﴾(٢).

فتبين أن المعجزة - والتي هي فعل خارق للعادة - تدل بنفسها على الله تعالى كسائر الحوادث، بل هي أخص من ذلك ، لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة ، ولهذا يُسَبِّح الله تعالى عندها ويعظم ويمجد مالايكون للمعتاد ، إذهي آيات جديدة فتعطي حقها ، وتدل بظهورها على الرسول، واذا تبين أنها تدعو إلى الإقرار بأنه رسول الله فتقرر بها الربوبية والرسالة.

هذه أهم الأدلة التي استدل بها علماء أهل السنة والجماعة على توحيد الربوبية وردوا بها على من أنكر ذلك ، أو أشرك مع الله تعالى غيره في أفعاله وملكه أو في ألوهيته ، وهي كما ترى أدلة شرعية دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وفيها الغنية لمن أراد الحق في ذلك ، ولايحتاج المرء إلى ما سلكه المتكلمون الضالون وغيرهم من الطرق المعقدة التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي لاتزيد من سار عليها إلا حيرة ولا تشفي له غليلا، لأن كل خير في إتباع من سلف وكل شر في إبتداع من خلف .

---

١) الآيات ، ١٦-٣٣ من سورة الشعراء .

٢) سورة هود آية ، ١٤.

المبحث السادس: (منهج القاضي عياض في الإيمان بالقضاء والقدر)

وفيه عدة مطالب :

المطلب الأول:(تعريف ومعنى الإيمان بالقضاء والقدر وأهمية وثمار ذلك).

بعد دراستي لمنهج القاضي في توحيد الربوبية أود أن أنهي هذا الأمر بالحديث عن منهجه في الإيمان بالقضاء والقدر - والذي هو من متعلقات توحيد الربوبية- كما تقدم معنا في تعريف هذا التوحيد وأبدأ أولا بتعريفهما.

أ- **معنى القضاء في اللغة** : قال ابن الأثير(١) (تكرر في الحديث ذكر القضاء ، وأصله القطع والفصل يقال قضى يقضي قضاء فهو قاضى إذا حكم وفصل ، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق)(٢).

وقال الجوهري : (القضاء الحكم ، وأصله قَضَاى لأنه من قضيتُ والجمع الأقضية . والقضية مثله والجمع القضايا ، وقضى أي حكم ، ومنه قوله تعالى ﴿وقضى ربُكَ ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدينِ إحساناً(٣) ﴾(٤).

وقال الأزهري(٥) : القضاء في اللغة على وجوه ، ومرجعها إلى الإنقطاع الشيء وتمامه وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدّي أداء ، أو أوجب أو علم أو نفذ، أو أمضِ فقد قضى ، وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث ، ومنه القضاء المقرون بالقدر)(٦).

---

١) هو الإمام أبو السعادات، المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، قرأ الحديث والعلم والأدب وبرع فيها، وكان ذا بر وإحسان وخلق، له مؤلفات كثيرة منها النهاية في غريب الحديث وجامع الاصول ، توفي سنة (٦٠٦ هـ) ، انظر ترجمته في مفتاح السعادة ، ١٢٤/١، وشذرات الذهب، ٢٢/٥.

٢) النهاية في غريب الحديث ، ٧٨/٤، وانظر لسان العرب لابن منظور ، ١٨٦/٥.

٣) سورة الإسراء آية ٢٣.

٤) الصحاح للجوهري ، ٢٤٦٣/٦.

٥) هو أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري الهروي أحد الأئمة المشهورين في اللغة والادب، كان رأساً في اللغة والفقه ، ثقة ثبتاً ديناً عاش ثمانية وثمانين سنة ، وله تهذيب اللغة ، توفي سنة (٣٧٠ هـ) ، انظر ترجمته في ومعجم الأدباء ١٦٤/١٧، وسير أعلام النبلاء ، ٣١٥/١٦، ومفتاح السعادة ١١٠/١.

٦) لسان العرب ، ١٨٦/١٥.

ب - **معنى القدر في اللغة:** قال الراغب الأصبهاني (القَدَر وقت الشيء المقدور له والمكان المقدر له ، قال تعالى **﴿إلى قَدَرٍ مَعْلوم﴾**(١) ، وقال **﴿فسالت أودية بقَدَرِها﴾**(٢) أي بقدر المكان المقدر لأن يسعها)(٣).

وقال ابن منظور(٤) : (القدر القضاء الموافق يقال أقدر الإله كذا تقديراً ، وإذا وافق الشيء الشيء ، وقال ابن سيدة(٥) : القَدَر والقَدْر - بسكون الدال وفتحها- القضاء والحكم وهو ما يقدره الله عزوجل في القضاء، ويحكم به من الأمور ، وفي الحديث ذكر ليلة القدر ، وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى)(٦).

وقيل القدر : مقدار الشيء وحالاته المقدَّرة له ، وفي التنزيل **﴿إنَّا كُلَّ شيءٍ خَلَقْناه بقَدَرٍ ﴾**(٧)، وكذلك وقت الشيء أو مكانه المقدر له(٨) .

ج - **القضاء والقدر في المعنى الإصطلاحي الشرعي:** اختلفت عبارات العلماء -رحمهم الله - في تعريف القضاء والقدر ، فمنهم من فرق بينهما ، فعرّف القضاء تعريفاً مغايراً للقدر ومنهم من أعتبرهما شيئاً واحداً.

فممن ذهب للتفريق بينهما الجرجاني(٩) حيث قال : (القضاء : في الإصطلاح عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ماهي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد .

---

١) سورة المرسلات آية ٢٢.

٢) سورة الرعد آية ١٧.

٣) المفردات ص ٤٠٦.

٤) هو جمال الدين أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي بن أبي القاسم الانصاري الأفريقي المعروف بابن منظور ، أديب لغوي ، شارك في كثير من العلوم وله مصنفات عديدة، منها لسان العرب ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، توفي سنة (٧١١ هـ) ، انظر ترجمته في شذرات الذهب ، ٢٦/٦، والاعلام ، ١٠٨/٧.

٥) هو أبو الحسن، علي بن إسماعيل المعروف بابن سيدة، إمام في اللغة العربية وآدابها ، توفي سنة (٤٥٨ هـ) ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ، ٣٤٢/١.

٦) لسان العرب ، ٧٤/٥، وانظر أيضاً النهاية لابن الاثير ، ٢٢/٤.

٧) سورة القمر آية ٤٩.

٨) المعجم الوسيط ، ٧١٨/٢.

٩) هو علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي المعروف بالشريف الجرجاني ، من كبار العلماء بالعربية ، له نحو خمسين مؤلفاً من أشهرها (التعريفات) ، توفي سنة (٨١٦ هـ) ، انظر ترجمته في مفتاح السعادة ، ١٩٢/١،١٩٣، والبدر الطالع للشوكاني ، ٤٨٨/١.

والقَدَر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء، والقضاء في الأزل ، والقدر فيما لايزال ، والفرق بين القضاء والقدر، هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها)(١).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني(٢) - رحمه الله - (قال العلماء القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل ، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله) وقال في موضع آخر (القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل،والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل)(٣) إلى غير ذلك من الأقوال .

وعكس بعض العلماء فجعلوا القضاء هو الخلق والقدر هو الحكم السابق ، قال ابن بطال(٤) (القضاء هو المقضي)(٥) ومراده بالمقضي المخلوق ، وهذا قول الخطابي(٦) أيضاً حيث قال (القدر اسم لما صار مقدَّراً عن فعل القادر كالهدم والنشر والقبض ، أسماء لما صدر من فعل الهادم والناشر والقابض ، والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾(٧) أي

---

١) التعريفات للجرجاني ص ١٧٧-١٧٨ و١٩١.

٢) هو شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث، وإمام الحفاظ في زمانه أبو الفضل شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المشهور بابن حجر العسقلاني ، ولد سنة ٧٧٣ هـ ، وتوفي أبوه وهو صغير فنشأ يتيماً ، كان شديد الذكاء فاشتغل أولا بالتجارة بعد قراءة القرآن ثم حبب إليه طلب العلم فأقبل عليه واجتهد فيه حتى بلغ الغاية فيه ، له مؤلفات عظيمة ومفيدة جداً أهمها وأعظمها شأناً فتح الباري بشرح صحيح البخاري الذي لم يؤلف مثله في بابه قط، ومن كتبه أيضاً لسان الميزان ، وتهذيب التهذيب وغيرها توفي سنة (٨٥٢ هـ) ، انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ، ٣٦/٢، البدر الطالع للشوكاني ، ٨٧/١.

٣) فتح الباري ، ١٥٣/١١، ٤٨٦.

٤) هو أبو الحسن، علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي، ويعرف بان اللجام قال عنه ابن بشكوال كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية التامة وشرح صحيح البخاري في عدة أسفار رواه الناس عنه ، توفي سنة ٤٧٤ وقيل (٤٤٩ هـ) ، انظر ترجمته في ترتيب المدارك ، ٨٢٧/٤، والديباج المذهب ، ١٠٥/٢، وسير أعلام النبلاء ، ٤٧/١٨.

٥) فتح الباري ، ١٥٣/١١ و٤٨٦.

٦) هو أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي ، الفقيه المحدث الإمام صاحب المؤلفات الكثيرة في الحديث وغيرها من أشهرها (معالم السنن) ، توفي سنة (٣٨٨هـ) ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، ٢٣/١٧، والبداية والنهاية ٢٣٦/١١.

٧) سورة فصلت آية ١٢.

خلقـهن(١) - كما قال الأصبهاني - .

وبناء على هذا القول يكون (القضاء من الله تعالى أخص من القدر، لأنه الفصل بين التقديرين فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعدّ للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل، وهذا كما قال أبو عبيدة(٢) لعمر -رضي الله عنهما- لما أراد الفرار من الطاعون بالشام، (أتفرُّ من القضاء؟ قال: أفرُّ من قضاء الله إلى قدر الله)(٣) تنبيهاً على أن القدر مالم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله فإذا قضي فلا مدفع له ، ويشهد لذلك قوله سبحانه ﴿**كان على ربك حَتْماً مَقْضيّاً**﴾(٤) وقوله ﴿**وقُضِيَ الأمرُ**﴾(٥) أي فصل تنبيهاً أنه صار بحيث لايمكن تلافيه)(٦).

القول الراجح : وخلاصة القول : في هذا هو ماقاله الإمام الخطابي -رحمه الله - (إن القضاء والقدر أمران متلازمان لاينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس ، وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء ، وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه)(٧).

أما من جعل للقضاء والقدر مدلولا واحداً مشتركاً - كما ذهب إليه كثير من أهل العلم(٨) - فمعناه تعلق علم الله تعالى بالكائنات وإرادته لها قبل وجودها ، فلا حادث إلا وقد قدره الله ، أي سبق علمه به وتعلقت به إرادته ، وهذا مايبدو من ظاهر الإستعمالات الإصطلاحية لهما ، إذ قد يجتمعان في الإستعمال وقد

---

١) معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي ، ٧٧/٥.

٢) هو الصحابي الجليل، السابق إلى الإسلام، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها وولاه عمر قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد رضي الله عنه، فتم له فتح الديار الشامية لقبه النبي ﷺ بأمين هذه الأمة ، توفي بطاعون عمواس بالشام سنة (١٨ هـ) رضي الله عنه وأرضاه ، انظر ترجمته في حلية الأولياء ، ١٠٠/١، وصفة الصفوة ، ٣٦٥/١، وأسد الغابة ، ٨٤/٣.

٣) إخرجه البخاي في ك الطب باب ما ذكر في الطاعون ، ١٨٩/١٠، برقم ٥٧٢٩.

٤) سورة مريم آية ٧١.

٥) سورة البقرة آية ٢١٠.

٦) المفردات في غريب القرآن للأصبهاني ، ص ٤٠٦،٤٠٧.

٧) معالم السنن للخطابي ، ٧٧/٥، وانظر النهاية في غريب الحديث ، ٧٨/٤، وجامع الاصول ، ١٠٤/١.

٨) انظر الفصل في الأهواء والملل والنحل لابن حزم بتحقيق عميرة، ٧٨/٣، وفتح الباري ، ٤٨٧/١١، وعقيدة المؤمن لابي بكر الجزائري ، ٣٤٥.

ينفردان والمدلول واحد.

تعريف الإمام أحمد للقدر

عرّف الإمام أحمد بن حنبل(١) - رحمه الله - القدر فقال : (القدر قدرة الله على العباد)(٢) .

وقد استحسن الشيخ ابن عقيل(٣) هذا الكلام جداً وقال : (هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين)(٤). وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله - معلقاً على كلام ابن عقيل (وهو كما قال أبو الوفاء،فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الله على خلق أفعال العباد وكتابتها وتقديرها، وسلف القدرية كانوا ينكرون علمه تعالى بها، وهم الذين اتفق سلف الأمة على تكفيرهم، لأن القدر عند أهل السنة قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته وخلقه ، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته)(٥).

والحق أن تعريف إمام أهل السنة - أحمد بن حنبل - للقدر جامع مانع ومختصر جميل لأنه مستمد من نور القرآن الكريم كما بينه الله عزوجل في كتابه في آيات كثيرة كقوله تعالى ﴿ **قل إنّ الأمرَ كُلّه لله** ﴾(٦) وقول ﴿**بيده مَلَكُوتُ كُلِّ شيءٍ**﴾(٧) وقوله ﴿**يُدَبِّر الأمرَ مامِنْ شَفيعٍ إلا مِنْ بعدَ إذْنه**﴾(٨) ، وغير ذلك من الآيات الدالة على أن الأمور كلها بيده عزوجل صغيرها وكبيرها، وأنه

---

١) هو الإمام حقاً ، وشيخ الإسلام صدقاً ، وإمام أهل السنة والجماعة بلاريب ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ، أحد الأئمة الأربعة المشهورين وإليه تنسب الحنابلة،بلغ الآفاق علمه وزهده وتقواه وجهاده في حمل راية السنة والذب عنها ، وابتلى في ذلك ابتلاء عظيماً ، ولد سنة (١٦٤ هـ) وتوفي سنة (٢٤١ هـ) ، انظر ترجمته في حلية الأولياء ، ١٦١/٩، وسير أعلام النبلاء ، ١٧٧/١١، وشذرات الذهب ، ٩٦/٢..

٢) مسائل ابن هاني ، ١٥٥/٢، نقلا عن المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة جمع وتحقيق عبد الإله الأحمدي ، ١٣٥/١.

٣) هو أبو الوفاء ، علي بن عقيل بن محمد البغدادي ، عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في زمنه، له مؤلفات عديدة منها الفنون والفرق والرد على الأشاعرة وغير ذلك توفي سنة (٥١٣ هـ) ، انظر ترجمته في لسان الميزان لابن حجر ، ٢٤٣/٤، والذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ، ١٤٢/١.

٤) شفاء العليل لابن القيم ، ص ٥٩.

٥) المرجع السابق ، ص ١١٣،٦٠،٥٩.

٦) سورة آل عمران آية ١٥٤.

٧) سورة يس آية ٨٣.

٨) سورة يونس آية ٣.

لايحدث في الكون شيء إلا بإرادته ومشيئته عزوجل ..

(ج) (معنى الإيمان بالقضاء والقدر ومراتبه وبعض الأدلة على ذلك):

١- معنى الإيمان بالقضاء والقدر وبعض الأدلة على ذلك

يتضح لنا مما تقدم لتعريف القضاء والقدر معنى الايمان بهما والذي يتلخص بالإعتقاد والتصديق الجازم بأن كل خير وشر هو بقضاء الله وقدره ، وأنه عزوجل سبق علمه بكل شيء مخلوق وشاء وجوده وأوجده وفق ماقدره له، وأنه تعالى هو الفعال لما يريد ، لايكون شيء إلا بإذنه وإرادته ، ولايخرج شيء عن مشيئته وتقديره ، لا أفعال العباد ولا غيرها ، لأنه تعالى هو الخالق للعباد وأفعالهم كلها سواء، كانت خيراً أم شراً ، ومع ذلك فقد أمرهم سبحانه ونهاهم وجعلهم مختارين لجميع أفعالهم فليسوا بمجبورين عليها، بل هي تحصل منهم بقدرتهم وإرادتهم، وأنه سبحانه يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشا بحكمته، لايسأل عما يفعل وهم يسألون ، وبهذا كله يجب الايمان ، وبه يتحقق للعبد الايمان الشرعي المطلوب بالقضاء والقدر الذي جاء الأمر به .

ذكر بعض النصوص على ذلك

لقد دل على وجوب الايمان بالقضاء والقدر ، أدلة كثيرة من الكتاب والسنة. من ذلك : قوله سبحانه ﴿**إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر**﴾(١) أي خلقنا كل شيء بتقدير سابق لخلقنا له، وذلك بكتابته سبحانه في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض فهو يقع كما كتب كمية وصورة وزماناً ومكاناً لايتخلف في ذلك شيء(٢) .

وقوله تعالى أيضاً ﴿**ولم يَكنْ له شَريكٌ في الملكِ وخلق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً**﴾(٣) أي خلق كل شيء مما يطلق عليه صفة المخلوق في العالَمين العلوي والسفلي فسوّاه وهيأه لما يصلح له بحكمة على ما أراد سبحانه وتعالى دون خلل فيه ولا تفاوت(٤) .

ومنها قوله تعالى أيضاً ﴿**وكانَ أمرُ الله قَدَراً مقدوراً** ﴾(٥) أي قضاء

---

١) سورة القمر آية ٤٩.

٢) انظر تفسير البغوي ، ٢٦٥/٤، وتفسير ابن كثير ٢٦٧/٤، وأيسر التفاسير ، ٣٧٠/٤.

٣) سورة الفرقان آية ٢.

٤) انظر تفسير البغوي ، ٣٦٠/٣، وفتح القدير للشوكاني ، ٦١/٤، وتفسير السعدي، ٤٥٦/٥.

٥) سورة الاحزاب آية ٣٨.

مقضياً(١) .

ومن النصوص الواردة في السنة على هذا الأمر:

١- حديث جبريل المشهور حيث جاء إلى النبي ﷺ بصورة أعرابي فسأله عن الايمان والإحسان فأجابه النبي ﷺ بقوله «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره»(٢).

٢- وقوله ﷺ «لايؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطأه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»(٣).

٣- ومنها حديث ابن الديلمي(٤) قال : أتيت أبي بن كعب(٥) فقلت له ، وقع في نفسي شيئ في القدر فحدثني بشيئ لعل الله أن يذهبه عن قلبي قال : لو أن الله عذّب أهل سمواته وأهل أرضه عذّبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطأك، وما أخطاك لم يكن ليصيبك،ولو مت على غير هذا لدخلت النار ، ثم قال : أتيت عبد الله بن

---

١) فتح القدير ، ٢٨٥/٤.

٢) رواه مسلم في ك الايمان باب بيان الإيمان والإسلام ، ٣٧/١، برقم ٨، وأبو داود في ك السنة باب في القدر ، ٦٩/٥، برقم (٤٦٩٥).

٣) أخرجه الترمذي في ك القدر باب الايمان بالقدر خيره وشره ، ٣٩٣/٤، برقم (٢١٤٤) وقد صححه الألباني ، انظر صحيح الجامع ، ٢٠٨/٦، برقم (٧٤٦١).

٤) هو أبو بسر عبد الله بن فيروز الديلمي أخو الضحاك ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة، أبوه صحابي معروف روى عن عدد من الصحابة، انظر الإصابة ١٣٨/٣،وتقريب التهذيب ، ٥٢٢/١.

٥) هو الصحابي الجليل أبو المنذر، أبي بن كعب بن قيس من بني جديلة وكان يقال له أبو الطفيل أيضاً ، كان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة وخيار وجلة الانصار وهو ممن جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله ﷺ وقد أمر الله نبيه عليه السلام أن يقرأ عليه القرآن وسماه باسمه ليكون أوكد لحفظ أبي وأنشط له في وعيه والمحافظة عليه ، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه سنة (٢٢ هجرية) وقيل توفي في خلافة عثمان والأول أصح ، انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ، ص ١٢، وأسد الغابة ، ٤٩/١، والإصابة ٣١/١.

مسعود(١) فقال مثل ذلك ، ثم أتيت حذيفة بن اليمان(٢) فقال مثل ذلك ، قال : ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك(٣) .

فهذه بعض النصوص التي توجب على المرء الإيمان بالقضاء والقدر وهناك نصوص كثيرة جداً حول هذا الموضوع لم أذكرها خشية الإطالة فلتراجع في مظانها(٤).

٢- مراتب أو أركان الإيمان بالقدر وبعض الأدلة على ذلك

الإيمان بالقدر يقوم على أربعة مراتب أو أركان(٥) ، من أقرَّ بها جميعاً فإن إيمانه بالقدر يكون مكتملا ، من انتقص واحداً منها أو أكثر فقد اختل إيمانه بذلك ، وهذه الأركان هي :

(١) الأول : الإيمان بعلم الله الأزلي الشامل المحيط لكل شيء من الموجودات والمعدومات ، فعلمه تعالى محيط بكل شيء، فهو عزوجل يعلم ما كان ومايكون ومالم يكن لوكان كيف يكون ، ويعلم الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل، وهو تعالى عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم وحركاتهم

---

١) هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي،من أكابر الصحابة ومن السابقين إلى الإسلام،ومن المشهود لهم بالجنة ، خادم رسول الله ﷺ وأحد فقهاء الصحابة ، روى مايزيد على ثمانمائة حديثاً عن النبي ﷺ ، وتوفي سنة (٣٢ هـ) ودفن بالبقيع بالمدينة، وله بضع وستون سنة رضي الله عنه ، انظر ترجمته في أسد الغابة ، ٢٥٦/٣، ٢٦٠، والإصابة ٣٩٠/٢، وسير أعلام النبلاء ٤٦١/١ .

٢) هو الصحابي الجليل كاتم سر رسول الله ﷺ، أبو عبد الله حذيفة بن اليمان العبسي حليف بني عبد الأشهل ، كان رضي الله عنه من كبار المهاجرين روى كثيراً من الاحاديث، إستعمله عمر رضي الله عنه على المدائن فلم يزل بها حتى مات سنة (٣٦ هـ) رضي الله عنه وأرضاه ، أنظر ترجمته في مشاهير علماء الامصار ، ص ٤٣، والإصابة ، ٣١٨/١، وسير أعلام النبلاء ٣٦١/٢ .

٣) أخرجه أحمد في المسند ، ١٨٢/٥، ١٨٥، ١٨٩، وأبو داود في ك السنة باب في القدر ، ٧٥/٥، برقم ٤٦٩٩، وابن ماجه في المقدمة باب في القدر ، ٢٩/١، برقم ٧٧ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، ٦١٢/٤، ٦١٣، برقم (١٩٠٢، ١٩٠٣) وقال الشيخ الالباني عنه إسناده صحيح ورجاله ثقات ، انظر السنة لابن أبي عاصم ، ١٠٩/١، برقم ٢٤٥، ومشكاة المصابيح ٤١/١، برقم (١١٥).

٤) راجع المصادر التي تحدثت عن هذا الموضوع مثل شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٤/٤، وما بعدها ، والشريعة للآجري، ص ١٤٩ ومابعدها، وكتاب القدر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام وغير ذلك .

٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ١٤٨/٣، ١٤٩، وشفاء العليل لابن القيم، ص٦١، ١٤٠، وطريق الهجرتين له ، ص ٩٠، وشرح الطحاوية، ٣٤٥، ٣٤٦، وتفسير السعدي، ٣٩٦/٢ وغيرها .

وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ومن منهم من أهل الجنة ومن منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ويخلق السموات والأرض ، وكل ذلك مقتض إتصافه سبحانه بالعلم ومقتض كونه العليم الخبير السميع البصير .

وقد كثر في الكتاب والسنة تقرير هذا الأمر ، قال سبحانه **﴿هو اللهُ الذي لاإله إلا هو عالمُ الغيبِ والشهادةِ﴾**(١)، وقال تعالى **﴿لِتَعلَموا أنَّ اللهَ على كلِ شيءٍ قديرٍ وأنَّ اللهَ قد أحاط بكل شيءٍ علماً﴾**(٢)، وقال **﴿ألم تَعلمْ أنَّ اللهَ يعلم ما في السماءِ والأرضِ إنَّ ذلك في كتاب﴾**(٣)، وقال تعالى أيضاً **﴿إن ربكَ هو أعلمُ بمنْ ضَل عنْ سبيله وهو أعلمُ بمنِ اهتدى﴾**(٤)، وقال سبحانه مقرراً علمه بما لم يكن كيف يكون **﴿ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه وإنهم لكاذبون﴾**(٥) في حق الكفار الذين يتمنون العودة للدنيا في الآخرة.إلى غير ذلك من الآيات .

٢- الركن الثاني : الايمان بأن الله قد كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ، فما من شيء في الكون إلا وقد علمه عزوجل وكتبه قبل حدوثه ، قال سبحانه وتعالى مقرراً هذه الحقيقة **﴿ومايعزب عن ربك منْ مثقالِ ذرةٍ في الأرض ولا في السماءِ ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلا في كتاب مبين﴾**(٦) أي في اللوح المحفوظ الذي اشتمل على معلومات الله سبحانه(٧) .

وقال سبحانه **﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نَبْرَأها إن ذلك على الله يسير﴾**(٨)، وقال رسول الله ﷺ «كتب الله مقادير الخلائق كلهم قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»(٩).

٣- الركن الثالث: الايمان بمشيئة الله الشاملة وقدرته التامة النافذة على كل شيء فما شاء كان، ومالم يشأ لم يكن، فلا حركة ولاسكون في السموات

---

١) سورة الحشر آية ٢٢.

٢) سورة الطلاق آية ١٢.

٣) سورة الحج آية ٧٠.

٤) سورة النجم آية ٣٠.

٥) سورة الأنعام آية ٢٨.

٦) سورة يونس آية ٦١.

٧) انظر تفسير البغوي ، ٣٥٩/٢.

٨) سورة الحديد آية ٢٢.

٩) رواه مسلم في ك القدر باب حجاج آدم موسى ، ٢٠٤٤/٤، برقم ٢٦٥٣ وأحمد ١٦٩/٢، والترمذي في ك القدر باب (١٨) ، ٣٩٨/٤-٣٩٩ برقم ٢١٥٦.

ولا في الأرض إلا بمشيئته، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد، قال عزوجل ﴿**وما تشاؤن إلا أنْ يشاءَ الله**﴾(١)، وقال ﴿**إنما أمرَه إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كُنْ فيكونُ**﴾ (٢) وقال ﴿**من يشأ اللهُ يضلله ومن يشأ يجعلْهُ على صراطٍ مستقيم**﴾(٣).

ومشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة تجتمعان فيما كان وما سيكون ، وتفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن ، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة ، ومالم يشأه عزوجل لن يكون ، ليس لعدم قدرته عليه فإنه على كل شيئ قدير ، بل لعدم مشيئته إياه قال سبحانه ، ﴿**ولو شاءَ اللهُ لجعلكمْ أمةً واحدةً**﴾ (٤) وقال ﴿**ولو شاء الله مااقتَتَلوا ولكنَّ الله يفعلُ ما يريدُ**﴾(٥) وقال ﴿**ولو شاء ربُكَ لآمن مَنْ في الأرضِ كُلُهم جميعاً**﴾(٦) وقال ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظلّ ولو شاءَ لجَعَلَه ساكناً**﴾(٧) إلى غير ذلك من الآيات.

٤- الركن الرابع : الايمان بأن الله خالق كل شيئ ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا والله خالقه ، لاخالق غيره ولارب سواه ، فهو سبحانه خالق وما سواه مربوب مخلوق ، قال عزوجل ﴿**الله خالقُ كلِ شيئٍ وهو على كل شيئٍ وكيل**﴾(٨) وقال ﴿**بلى وهو الخلاّقَ العليم**﴾(٩) وقال ﴿**الحمد لله الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنورَ**﴾(١٠) والآيات في هذا المعنى كثيرة .

هـ - أهمية وثمار الإيمان والرضا بالقضاء والقدر:

١- أهمية الإيمان بالقضاء والقدر

إن للإيمان بالقدر أهمية عظمى في الاسلام ، فهو الركن السادس من أركان الايمان كما جاء في حديث جبريل الآنف الذكر ، فلن يذوق عبد طعم

---

١) سورة التكوير آية ٢٩.
٢) سورة يس آية ٨٢.
٣) سورة الأنعام آية ٣٩.
٤) سورة المائدة آية ٤٨.
٥) سورة البقرة آية ٢٥٣.
٦) سورة يونس آية ٩٩.
٧) سورة الفرقان آية ٤٥.
٨) سورة الزمر آية ٦٢.
٩) سورة يس آية ٨١.
١٠) سورة الأنعام آية ١.

الإيمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ، ويعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطأه كما وضح ذلك رسول الله ﷺ(١) ، وفي الإيمان بالقدر يكمل إيمان العبد وتوحيده لبارئه لأن هذا الركن داخل في الإيمان بربوبية الله تعالى على خلقه ، إذ إن من آمن بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المتصرف في شئون خلقه كلهم فهو مؤمن بالقضاء والقدر ، وعلى هذا فلا يتم توحيد الربوبية إلا بإثبات القدر(٢) والإيمان به إيماناً صحيحاً كما جاء في الكتاب والسنة وكما فهمه علماء السلف الصالح - رحمهم الله -، ولهذا قال ابن عباس - رضي الله عنهما - (القدر نظام التوحيد فمن وحّد الله وآمن بالقدر فقد تمَّ توحيده ومن وحّد الله وكذّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده)(٣).

ونظراً لدخول القضاء والقدر في توحيد الربوبية فقد جعلت الحديث عنه عقب الكلام عن توحيد الربوبية .

٢- ثمار الإيمان بالقضاء والقدر

للإيمان بالقضاء والقدر ثمار كثيرة وعظيمة كانت ولا زالت سبباً في صلاح الفرد والمجتمع ، ومن تلك الثمار :

أولا : أن الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك . فقد زعم كثير من الفلاسفة أن الخير من الله والشر من صنع آلهة من دونه ، وقد حملهم على هذا القول الفرار عن نسبة الشر إلى الله - كما يزعمون - .

وقال المجوس إن النور خالق الخير والظلمة خالقة الشر، وزعم فريق ممن ينتسب إلى الإسلام أن الله لم يخلق أفعال العباد، أو لم يخلق الكفر والضلال منها، فأثبتوا مع الله خالقين وزادوا على شرك المجوس والفلاسفة.

أما المؤمنون الموحدون ، فقد آمنوا بالقدر وأيقنوا بأن هذا الكون ومافيه صادر عن الإله الخالق لكل شيء المعبود دون سواه عزوجل الذي ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، لأنه لايتم إيمان بالله وتوحيد له إلا بذلك ، فسلم هؤلاء الموحدون من الشرك ، في حين وقع فيه كل من كذب بالقدر أو نسب الخلق لغيره عزوجل ، فاتضح إذاً أن الإيمان بالقدر طريق التوحيد والنجاة من الشرك.

ثانياً : الإيمان بالقضاء والقدر طريق الإستقامة على المنهج الحق السويّ في السراء والضراء : فالمؤمن بالقضاء والقدر يمضي في حياته على منهج

---

١) راجع لفظ الحديث ص ١٠٦.

٢) انظر تيسير العزيز الحميد ، ص ٦٨٥، والفتاوى السعدية ، ١١/١.

٣) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٢١٥ وذكره شيخ الإسلام أنظر مجموع فتاويه، ٢٥٨/٨.

سوي، لاتبطره النعمة ولا تيئسه المصيبة، لأنه يعلم علم اليقين أن كل ما أصابه من نعم وحسنات فإنما هي من الله لابذكائه وحسن تدبيره كما قال تعالى **﴿وما بِكُمْ مِنْ نعمةٍ فَمِنَ الله﴾**(١) فلا يكون حاله كحال المترفين المتكبرين الزاعمين أن ما بأيديهم من غنى ونعم إنما هو بمحض إجتهادهم وتدبيرهم،كما قال ذلك إمامهم قارون في معرض إجابته للناصحين من قومه عندما أمروه بالمعروف ونهوه عن المنكر كما حكى الله عنه **﴿قال إنما أوتيتُه على علمٍ عندي﴾** (٢)، وكذلك فإن المؤمن بالقدر إذا أصابه الضراء والبلاء علم أن هذا بتقدير الله ابتلاء منه ، فلا يجزع ولا ييأس بل يحتسب ويصبر ويسلم أمره لله ، فيكسب ذلك في قلبه الرضا والطمأنينة قال سبحانه **﴿ما أصابَ من مصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفسِكمْ إلا في كتابٍ من قبلِ أن نبْرَأها إنّ ذلك على الله يسير * لكيلا تأسَوا على مافاتَكم ولاتفرحوا بما آتاكم﴾**(٣)، وقد امتدح الله عباده المؤمنين بذلك فقال **﴿وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتْهمْ مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلواتٌ مِنْ ربهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون﴾**(٤)، كما أثنى رسول الله ﷺ عليهم بقوله "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن"(٥).

ثالثاً : الإيمان بالقضاء والقدر يجعل العبد دائماً على حذر : فإن المؤمن بالقضاء والقدر تجده دائماً على حذر ، فهو لايأمن مكر الله، كما قال الله سبحانه **﴿أفأمِنُوا مَكْرَ الله فلايأمَنْ مكرَ الله إلا القوم الخاسرون﴾**(٦)، وتجده خائفاً من أن يتقلب قلبه أو ينقلب على وجهه، لأن القلوب دائمة التقلب والتغيير وهي بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف يشاء ، لذا تجده دائم الإتصال بالله معلق القلب بربه يدعوه ويرجوه ويستعينه ويسأله الثبات على الحق والرشد والسداد، ويخاف أن تؤثر فيه الفتن ، وله في ذلك كله قدوة بإمام الموحدين رسول الله ﷺ فقد "كان أكثر دعائه اللهم يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك" فسألته زوجته حفصة - رضي الله عنها- عن سبب كثرة دعائه

---

١) سورة النحل آية ٥٣.

٢) سورة القصص آية ٧٨.

٣) سورة الحديد آية ٢٢-٢٣.

٤) سورة البقرة آية ١٥٥-١٥٧.

٥) رواه مسلم في ك الزهد باب المؤمن أمره كله خير ، ٢٢٩٥/٤ برقم ٢٩٩٩.

٦) سورة الاعراف آية ٩٩.

بهذا الدعاء فقال لها «إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»(١).

وهذا الحذر والخوف لايؤدي بالإنسان إلى التكاسل والخمول بل يدفعه إلى المجاهدة الدائمة والإستقامة على منهج الله والإكثار من الصالحات ومجانبة المعاصي والموبقات ، لأن العبد لا يدري بما يختم له .

رابعاً : الايمان بالقضاء والقدر يعين العبد على مواجهة الصعاب والأخطار بقلب ثابت: فالمؤمن بالقضاء والقدر يؤمن بأن كل ما يصيبه مكتوب عليه، وأن أجله ورزقه بيد الله وحده وأنه لن يموت العبد حتى يستوفيها ، لذا تجده يقتحم الصعاب والأهوال مهما عظمت بقلب ثابت وهمة عالية ، وقد كان هذا الايمان من أعظم ما دفع المجاهدين إلى الإقدام في ميادين الوغى والنزال غير هيّابين ولا وجلين، فكان الواحد منهم يطلب الموت في مظانه ، ويرمي بنفسه في سبيل الله في أماكن يظن أن فيها نهاية حياته، ثم تراه يموت على فراشه فيبكي حيث لم يسقط شهيداً في ميادين الجهاد وهو الذي كان يقتحم الأخطار والأهوال .

وكان هذا الايمان من أعظم ما ثبّت قلوب الصالحين والأئمة المهديين في مواجهة الظلمة والطغاة والمنحرفين، لا يخافون في الله لومة لائم ، لأنهم يعلمون أن الأمر كله بيد الله وأن ما قدّر عليهم سيأتيهم ، فكانوا لا يخافون من قول كلمة الحق خشية انقطاع الرزق أو العمر فإن الرزق بيد الله سيصل العبد، ولن يستطيع أحد رده إن كان قدره الله له، وإن منعه الله لعبد فلن يستطيع أحد إيصاله إليه قال رسول الله «ياأيها الناس اتقوا الله واجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله واجملوا في الطلب خذوا ماحل ودعوا ما حرم»(٢) وكذلك فإن الأجل مكتوب لن يتقدم على العبد أو يتأخر لحظة واحدة قال سبحانه وتعالى ﴿**فإذا جاءَ أجلُهم لا يَستأخرون ساعةً ولا يَستقدِمُون** ﴾(٣).

---

١) رواه مسلم في ك القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ، ٢٠٤٥/٤، برقم ٢٦٥٤، والترمذي في ك القدر باب ماجاء في أن القلوب بين أصبعي الرحمن ، ٣٩٠/٤-٣٩١، برقم ٢١٤٠ وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ، ٧٢٨/١ برقم ١٩٩،وأحمد ١٦٨/٢،١٧٣، ١٨٢/٤،١٨٢/٦، ٢٥١، ٣٠٢، ٣١٥.

٢) رواه ابن ماجه في ك التجارات باب الإقتصاد في طلب المعيشة، ٧٢٥/٢، برقم ٢١٤٤، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع ، ٤٠٢/٢، برقم ٢٧٣٩.

٣) سورة الأعراف آية ٣٤ وسورة النحل آية ٦١.

المطلب الثاني : (اختلاف الناس في القدر)

انقسم الناس في القدر إلى فريقين على طرفي نقيض .

الفريق الأول : وهم المنكرون للقدر الزاعمون أن الله لايعلم الأشياء إلا بعد وقوعها وأن الإنسان هو خالق فعل نفسه ، والفريق الثاني : وهم المحتجون بالقدر (أو الجبرية) الذين يزعمون أن العبد مجبور على فعل المعاصي والآثام .

وإليك الحديث عن كل فريق مع توضيح موقف القاضي عياض منه.

أ - (مذهب القدرية النفاة).

١- حقيقة مذهبهم : ذهب بعض الضالين في أواخر عهد الصحابة - رضي الله عنهم - إلى نفي القدر فأطلق عليهم اسم القدرية(١) .

وحقيقة مذهبهم أنهم يقولون إن أفعال العباد ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، وأنه تعالى لايعلم الأشياء إلا بعد وقوعها ، فأثبتوا قدرة الله على أعيان المخلوقات وأوصافها ونفوا قدرته على أفعال المكلفين، حتى جعلوا الإنسان هو خالق فعل نفسه، ولهذا سمّاهم علماء السلف (مجوس هذه الأمة) لأن المجوس يقولون بالأصلين الخالقين النور والظلمة زاعمين أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة ، وهؤلاء القدرية كذلك - بل يزيدون عليهم - حيث زعموا أن العباد يخلقون أفعالهم بدون إرادة الله ومشيئته بل يستقلون بخلقها، فأثبتوا وجود خالقِين مع الله تعالى .

---

١) كان أول من تكلم بالقدر معبد الجهني المتوفى سنة (٨٠ هـ) وقيل بل أول من ابتدعه رجل مجوسي يسمى (سيسويه) أو (سوسن) من أهل البصرة بالعراق، وقد تلقاه عنه معبد وأخذه عنه غيلان الدمشقي المتوفي سنة (١٠٥ هـ) وقد سمي هؤلاء قدرية لإنكارهم القدر. وهم فرقتان الأولى: الغلاة المتقدمون الذين ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها ويزعمون أن الله لم يقدر الامور أزلا وقالوا (الامر أُنُف) أي مستأنف مبتدأ بقدرة الإنسان نفسه، وقد كفّر السلف الصالح هؤلاء ، الفرقة الثانية : المتأخرون منهم الذين أقروا بعلم الله عزوجل وأنكروا خلقه لافعال العباد، وزعموا أن العباد هم الخالقون لأفعالهم على جهة الإستقلال، ومن أشهر فرقهم المعتزلة الذين تبنوا هذا المذهب حتى أصبحوا معروفين عند أهل السنة بهذا الاسم (القدرية) ، انظر السنة للخلال ، ٥٥٧/٣، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٦٢٤/٤-٦٢٦،٦٩٤،٧٠٦، والتبصرة في الدين للإسفرائيني ، ص ٢١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ٨٩/٨-٩٢،٤٢٩-٤٣٠،٤٥٢، و كتاب الايمان له ، ص ١٣١، وشرح الطحاوية ، ص ٢٤٤، والفرق بين الفرق للبغدادي ٤٥/١، ومعارج القبول لحافظ الحكمي، ٢٤٠/٢ وغيرها.

وقد تلقف المعتزلة(١) هذا المذهب وتبعهم الزيدية(٢) ومن سار على نهجهم، ومذهبهم هذا ناتج عن قولهم إن الله لايفعل القبيح بل أفعاله كلها حسنة، لذا نفوا أن يكون الله خالقاً لأفعال العباد، لأن منها الحسن والقبيح فلو كان سبحانه هو خالقها لكان فاعلا للقبيح ، وقد استدلوا لمذهبهم ببعض النصوص التي يظنون بأنها توافق هواهم ، مثل قوله تعالى ﴿**الذي أحسَنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَه**﴾(٣) وقوله ﴿**فتبارك اللهُ أحسنُ الخالِقين**﴾(٤) وقوله ﴿**جزاءً بما كانوا يعملون**﴾(٥) وغيرها وأوّلوا النصوص التي لاتتفق مع مذهبهم والتي تدل على شمولية خلق الله تعالى لجميع المخلوقات وإضافة فعل عباده إليه ، أولوها بتأويلات سخيفة بعيدة كل البعد عن الحق تتناقض مع المذهب الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة(٦).

---

١) المعتزلة فرقة من الفرق الضالة ، مؤسسها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد سموا كذلك لاعتزالهم مجلس الحسن البصري لما لم يكفر مركتب الكبيرة، وقيل لاعتزالهم منهج أهل السنة والجماعة ويسمون أيضاً القدرية لنفيهم قضاء الله وقدره في معاصي العباد وإضافة خلقها إلى فاعلها، وهم فرق كثيرة تجمعهم الأصول الخمسة، التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن عقائدهم نفي جميع الصفات، ونفي رؤية الله في الآخرة، والقول بخلق القرآن، وتقديم العقل على النقل، وجواز الخروج على السلطان (إذا جار) وغير ذلك، انظر مقالات الإسلامين ، ٢٣٥/١، والتبصير في الدين للإسفراييني ، ٦٣-٦٧، والملل والنحل ، ص٤٥.

٢) الزيدية فرقة من فرق الشيعة تنسب لزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٧٩ - ١٢٢ هـ) بويع له بالكوفة في خلافة هشام بن عبد الملك فقتل، وكان يفضل علياً على أبي بكر وعمر وسائر الصحابة ويرى جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، ولا يتبرأ من الخلفاء الثلاثة ويرى الخروج على ائمة الجور، وقد تتلمذ على يد واصل بن عطاء المعتزلي وأخذ مذهبه في الأصول وتبعه في ذلك أتباعه ، وجوز الزيدية أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أو الحسين، وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل منهم واجب الطاعة إلا بعض فرقهم فمنعت ذلك، وقد مالت أكثر الزيدية عن القول بجواز إمامة المفضول وطعنت بالصحابة كطعن الرافضة، انظر مقالات الإسلاميين ١٣٦/١ والفرق بين الفرق ص ٢٥ والملل والنحل ص١٥٤.

٣) سورة السجدة آية ٧.

٤) سورة المؤمنون آية ١٤.

٥) سورة السجدة آية ١٧ والأحقاف آية ١٤ والواقعة آية ٢٤.

٦) انظر لمزيد من شرح مذهبهم شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص٣٥٧-٣٦٢، والبحر الزخار للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى من علماء الزيدية ٦١/١ وانظر أيضاً مقالات الإسلاميين للأشعري ٢٣٨/١-٢٤٠ و٢٩٨-٣٠٠ والفرق بين الفرق ٤٤/١-٤٧ ومعارج القبول ٢٤٠/٢-٢٤١ وغيرها.

٢ - موقف القاضي عياض من القدرية : اختلف القاضي عياض - رحمه الله - في حكمه على أصحاب هذا المذهب ، فمرة كفّرهم وأخرى فسّقهم وضلّلهم فقد قال: (وبالحقيقة فالقدرية التي وسمهم عليه الصلاة والسلام بما وسمهم به وأنهم «مجوس هذه الأمة»(١) هم معتزلة هذا الوقت وقدريته ، لأنهم جعلوا أفعال العباد بين فاعلين وأن الخير من الله والشر من عبيده ، فأدخلوا مع الله شركاء في قدرته وضاهَوا المجوسَ والثنوية في كفرهم والقدرية الأولى القائلون بأن الأمر أنف داخلون في هذه الرذيلة زائدون عليهم بتلك الأشنوعة. وقد قال ابن عمر(٢) فيهم (إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله حتى يؤمن بالقدر)(٣).

وهذا يصحح أن براءته منهم لاعتقاده تكفيرهم إذ لايحبط العمل عند أهل السنة شيئ سوى الكفر ، والقائل بذلك القول كافر بلا خلاف وإنما الخلاف في القدرية الآن ، قال الخطابي في تبري ابن عمر منهم دليل على أن الخلاف إذا وقع في أصول الدين وتعلق بالمعتقدات يوجب البراءة بخلاف ما تعلق بأصول الأحكام وفروعها)(٤).

وقال القاضي -في موضع آخر:- (اختلف الناس في تكفير أهل التأويل، والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران، وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحتهم ودياتهم والصلاة عليهم، ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم ، لكنهم يُغَلَّظ عليهم بوجيع الأدب

---

١) يشير إلى حديث (لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لاقدر إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم) وقد رواه أحمد ٨٦/٢، ٢٥ و٤٠٧/٥ وابن ماجه في المقدمة باب في القدر (٣٥/١) برقم: ٩٢ وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٥٠٣٩.

٢) هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ،أحد العبادلة الاربعة ومن أشهر وأكثر من روى عن النبي ﷺ ، ولد سنة ثلاث من البعثة النبوية وأسلم مع أبيه وهاجر إلى المدينة وعرض على النبي ﷺ ببدر فاستصغره وأجازه في الخندق فشهدها وهو ابن (١٥ سنة) وشهد فتح مكة وغيرها،له فضائل جمة أفتى الناس في الإسلام ستين سنة ولما استشهد عثمان رضي الله عنه عرض نفر أن يبايعوه بالخلافة فأبى وغزا إفريقيا مرتين،كف بصره في آخر عمره،توفي سنة (٧٣ هـ) بمكة حاجاً انظر ترجمته في مشاهير علماء الامصار ص ١٧ وأسد الغابة ٢٢٧/٣ والإصابة ٣٤٧/٢.

٣) روى هذا الأثر الامام مسلم في صحيحه في ك الايمان باب الايمان والاسلام ٣٧/١ برقم (٨).

٤) إكمال المعلم ٢٧١/٢-٢٧٣، بقليل من التصرف.

وشديد الزجر والهَجْر حتى يرجعوا عن بدعهم ، وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم ، فقد نشأ في زمن الصحابة وبعدهم من التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والإعتزال فما أزاحوا لهم قبراً، وما قطعوا لأحد منهم ميراثاً لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم، لأنهم فساق ضُلاّل عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافاً لمن رأى غير ذلك،والله الموفق للصواب)(١).

وقد رأى النووي(٢) - رحمه الله - أن تكفير القاضي عياض إنما هو لغلاة القدرية فقط، وهم الذين نفوا تقدم علم الله بالكائنات وقالوا بأن الأمر أنف مستشهداً بأثر ابن عمر في تكفيرهم(٣). قلت: قول الإمام النووي يتفق مع رأى القاضي المذكور أولا فلعله هو الأخير والمعتمد عنده والله أعلم .

ب - (مذهب الجبرية(٤) المحتجين بالقدر) :

١- حقيقة مذهبهم :

وهؤلاء هم الذين غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته وإختياره وزعموا أنه لا فعل للإنسان أصلا وأن حركاته بمنزلة حركة الجمادات لا قدرة له عليها ولا قصد ولا إختيار. فالعبد عندهم مجبور على فعله لا إختيار له فيه، فهو كالريشه المعلقة في مهب الهواء تقلبها كيف تشاء ، وأما إسناد الفعل للعبد فهو على سبيل المجاز على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى

---

١) كتاب الشفا بحقوق المصطفى ٢/٢٩٤-٢٩٥.

٢) هو الإمام الحافظ محيي الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري الحوراني الشافعي ، كان إماماً بالفقه والحديث وغيرهما، له تصانيف كثيرة نافعة ومهمة منها شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين والمنهاج وغيرها ولد سنة (٦٣١ هـ) وتوفي سنة (٦٧٦ هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١٤٧٠/٤ والبداية والنهاية ٣٧٨/١٣ وطبقات الحفاظ ص ٥١٠.

٣) انظر شرح صحيح مسلم ١٥٦/١.

٤) سمي هؤلاء بذلك نسبة إلى الجبر وهو نفي الفعل عن العبد ونسبته إلى الله،وكان الجهم بن صفوان الهالك سنة (١٢٨ هـ) أول القائلين بذلك وكان ينكر الاستطاعات كلها، والجبرية طائفتان الأولى: الخالصة وهم الجهمية الذين يقولون بالاجبار والاضطرار وأن العبد مجبور على فعله، كالريشة في مهب الريح ليس له إرادة ولاقدرة على الفعل ، والطائفة الثانية: الجبرية المتوسطة : وهم الذين يثبتون للعبد قدرة غير مؤثرة ويثبتون له ما يسمونه بالكسب في الفعل وهم الأشاعرة ومن نحا نحوهم، انظر لمزيد من التفصيل مقالات الإسلاميين ٣٣٨/١ والتعريفات للجرجاني ص ٨٨ ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٦٣/١ والملل والنحل للشهرستاني ص٨٥-٨٦ ومعارج القبول ٣٤٢/٢-٣٤٥ وغيرها.

محصّله(١)، لأن الفعل - كما زعموا - إنما هو فعل الله أجراه على يد العبد بدونَ إرادة منه ولا إختيار . وقالوا إن مشيئة الله و إرادته بمعنى واحد وقد شاء ما وقع من المعاصي فهو يحبها ويرضاها،فاحتجوا بإثبات القدر على إبطال الأمر والنهي، ونفوا الحكمة والتعليل في أفعال الله كما نفوا الرحمة والقوى والأسباب ، وأوّلوا النصوص التي تثبت للعبد العمل تأويلات بعيدة ما أنزل الله بها من سلطان يتجلى فيها التعسف الظاهر(٢) .

وقد تعمقت هذه الضلالة عند طوائف من العباد والزهاد وأهل التصوف، وكان ولا يزال هذا القول على ألسنة كثير من جهال المسلمين وأهل الزيغ والزندقة. ويمثل هذا المذهب المنحرف الجهمية ومن تبعهم من الأشاعرة وأمثالهم(٣).

٢- الرد على هذا المذهب:

الحق أن هذا المذهب ظاهر الفساد والبطلان، وهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة من السلف والخلف، بل ومخالف للعقول والفطر السليمة والمحسوس(٤)، وهو من أشنع البدع وأنكرها وأصحابه شر ممن أثبت الأمر والنهي ولم يثبت القدر - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٥) رحمه الله - وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل ، بل بين جميع الخلق ، فإن مَنْ احتج بالقدر وشهود الربوبية العامة لجميع العامة المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحظور والمؤمنين والكفار وأهل الطاعة وأهل المعصية، لم يؤمن بأحد من الرسل ولا بشيء من الكتب، وكان عنده آدم وإبليس سواء ونوح

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٨/٤٤٤-٤٤٩ وشرح الطحاوية ص ٤٣٣ ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/٣٠٦.

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/٩٨ و ٣٤٠-٣٤١،٤٦٦-٤٦٨،٤٧٥ وشرح الطحاوية ص ٤٣٤-٤٤٢.

٣) خالف الأشاعرة الجهمية في هذه المسألة خلافاً لفظياً فقالوا : العبد لافعل له البتة بل الله هو الفاعل القادر، وللعبد كسب وفعل ولا تأثير لقدرته في وجود فعله، وقالوا إن الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارناً لها وأن الله يفعل عند الأسباب لا بها. انظر المواقف في علم الكلام للايجي ص ٣١٢ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ٨٦-٩٠ وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ٩٩-١٠٤ وكذلك مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/٥٩-٦٢ و٩٩و٢٥٦و٤٦٦-٤٦٨.

٤) انظر للرد عليهم كتاب السنة للخلال ٣/٥٤٩-٥٥٥ وشرح أصول إعتقاد أهل السنة ٤/٧٠٠ والحجة في بيان المحجة ٢/٧٥-٧٦ وشفاء العليل ١٥-١٦.

٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/١٠٠-١٠٦و٢٥٦-٢٥٧ وغيرها.

وقومه سواء وموسى وفرعون والسابقون الأولون والكفار سواء.

ويقول أيضاً: (من يقر بتقدم علم الله وكتابه ولكنه يزعم أن ذلك يُغني عن الأمر والنهي والعمل وأنه لايحتاج إلى العمل ، بل من قضي بالسعادة دخل الجنة بلا عمل أصلا ومن قضي بالشقاوة شقي بلا عمل ، فهؤلاء أكفر من المكذبين بالقدر وأضل سبيلا ، ومضمون قولهم تعطيل الأمر والنهي والحلال والحرام والوعد والوعيد ، وإذا أصروا على هذا الإعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى ، فإن اليهود والنصارى يؤمنون بالأمر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب لكن حرفوا وبدّلوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض)(١).

٣- موقف القاضي عياض من الجبرية :

وافق القاضي عياض - رحمه الله - أهل السنة في رفضهم لهذا المذهب المنحرف فقال عند شرحه لقوله ﷺ «اعملوا فكل عمل ميسر لما خلق له»(٢) (قوله ﷺ في هذا الحديث واحتجاجه بالآية ﴿فَسَنُيَسِّره لليُسرى﴾(٣) الحجة القاطعة على الجبرية وشرح لقوله ﷺ «إلا وكتبت في الجنة أو النار»(٤)و قوله في الحديث الآخر «بل شيئ قضي ومضى فيهم»(٥) وقد قال أئمتنا المحققون إن هذه الأحاديث أقتضت أن الله لم يزل عالماً من يطيعه فيدخل الجنة ، ومن يعصيه فيدخل النار ، وليس استحقاق من استحق الجنة أو النار من أجل سابق علمه فيه ودلائل عليه ، ولا أجبر عليه تعالى أحداً منهم للعمل الموجب لذلك من طاعة أو معصية تعالى جل جلاله تقدم فيهم علمه وإرادته بما هم عاملون، وماهم صائرون إليه قبل خلقهم وقال في أهل الجنة ﴿**جزاءً بما كانوا يعملون**﴾ (٦) وفي أهل النار ﴿**جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحُدُون**﴾(٧) و﴿**ليجزيَ الذين أساؤا بما عَمِلُوا ويجزيَ الـذين أحسنــوا**

---

١) المرجع السابق ٢٦٢/٨و ٢٨٨.

٢) رواه مسلم في ك القدر باب كيفية خلق الآدمي ٢٠٣٩/٤ برقم ٢٦٤٧.

٣) سورة الليل آية ٧.

٤) جزء من حديث رواه البخاري في ك الجنائز باب موعظة المحدّث عند القبر ٢٦٧/٣ برقم ١٣٦٢ ومسلم في ك القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ٢٠٣٩/٤ برقم ٢٦٤٧.

٥) جزء من حديث رواه مسلم في ك القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله ٢٠٤١/٤- ٢٠٤٢ برقم ٢٦٥٠.

٦) سورة السجدة آية ١٧، والأحقاف آية ١٤، والواقعة آية ٢٤.

٧) سورة فصلت آية ٢٨.

بـالحسنـى﴾ (١) فأخبر أن ثوابه وعقابه على أعمالهم ، وكل ذلك في سابق علمه ، فمن يرحمه فبرحمته وهدايته وتيسيره ، وخذلان من خذله منهم بعصيانه وكفره، فأمر تعالى ونهى ليطيع المطيع فيدخل الجنة، أو يعصي العاصي فيدخل النار ، إبتلاء منه تعالى عباده لينظر كيف يعملون ويبلوهم أيهم أحسن عملا ، وليقيم حجته على خلقه بأمره ونهيه وتيسيره لهم سبل هداه أو ضلالته ، وقد بين ذلك لهم كما قال تعالى **﴿فأما مَنْ أعطى واتقى*وصدَّق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما مَنْ بخِلَ واستغنى*وكذَّب بالحسنى * فسنيسره للعسرى﴾**(٢) وكما قال في الكافرين **﴿إنَّ الذينَ لايؤمنونَ بالآخرة زَيَّنا لهم أعمالَهم فهم يَعمَهُون﴾**(٣) وقال **﴿أفَمَنْ زُيِّن له سوءُ عمله فرآهُ حسناً فإنّ اللهَ يُضلُ مَنْ يشاءُ ويهدي مَنْ يَشاء﴾**(٤) ولم يضطر أحداً منهم إلى عمل ذلك - كما تقول الجبرية - لأنه يسقط عنهم اللوم والحجة ، فهو تعالى العدل الذي لايحيف ولا يعلو ويحصل مالم يقدره ولم يشاؤه، ولاسبق في علمه - كما تقول القدرية- فيكون في ملكه مالا يريد ويفعلون مالم يقدره تعالى)(٥).

ومع قوة هذا الرد على الجبرية وموافقته لمنهج أهل السنة فإننا نجد -وللأسف الشديد- أن القاضي عياض قد وقع في الجبر من حيث يشعر أو لا يشعر لقوله بالكسب الذي قالت به الأشاعرة وذلك في معرض رده على المعتزلة - كما سيأتي تفصيل ذلك قريباً .

المطلب الثالث : (منهج أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر)

بعدما بينت مذاهب المنحرفين في القدر أحب أن أذكر مذهب أهل الحق في ذلك وهو ماكان عليه السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن تبعهم بإحسان فأقول :

١- **ذكر منهجهم:** إن منهج أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر هومادلت عليه نصوص الكتاب والسنة وهو الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء ومليكه ، وأنه ما شاء تعالى كان ومالم يشأ لم يكن ، وأنه سبحانه يعلم

---

١) سورة النجم آية ٣١.
٢) سورة الليل الآيات من ٥ - ١٠.
٣) سورة النمل آية ٤.
٤) سورة فاطر آية ٨.
٥) إكمال المعلم ٦/٦١-٦٢.

ماكان ومايكون من الآجال والأرزاق والأعمال وماهم صائرون إليه من سعادة أو شقاوة قبل أن يخلقهم ، وأنه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء لايُسئل عما يفعل وهو يسئلون وأنه قد جعل لعباده مشيئة وقدرة ولكنهم لا يشاؤن إلا أن يشاء سبحانه ، فهو تعالى الذي أوجد وأفنى وأفقر وأغنى ، وأضل وهدى، وأمات وأحيا ، وهو على كل شيئ قدير .

وقد دوّن مذهب السلف هذا كثير من أئمتهم وعلمائهم(١)، ويقول الإمام ابن القيم الجوزية - رحمه الله - ملخصاً هذا المذهب.

معنى القدر :

(فإنهم - أي السلف - يثبتون قدرة الله على جميع المخلوقات من الأعيان والأفعال ومشيئته العامة ، وينزهونه عن أن يكون في ملكه ما لايقدر عليه ولاهو واقع تحت مشيئته،ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون ما قدره الله وقضاه وفرغ منه، وأنهم لايشاؤن إلا أن يشاء الله ولايفعلون إلا من بعد مشيئته ، وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ولاتخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه ، والقدر عندهم قدرة الله وعلمه ومشيئته وخلقه فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته)(٢).

وقال عن مذهبهم **في الهداية الإضلال:**

(ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأنه هو الذي يجعل المسلم مسلماً والكافر كافراً والمصلي مصلياً ، والمتحرك متحركاً وهو المقيم والعبد القائم ، وهو الهادي والعبد المهتدي ، وأنه هو المُطعم والعبد الطاعم ، وهو المحيي المميت والعبد الذي يحيى ويموت)(٣).

وعن مذهبهم **في أفعال الله وأفعال العباد** يقول:

(ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وإرادته وإختياره وفعله حقيقة لا مجازاً ، وهم

---

١) انظر أقوالهم في بيان هذا المذهب الشريعة للآجري ص١٥٠-١٥٢ وشرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/٥٣٤-٥٧٤ و٤/٥٧٧-٦٢٣ وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ٧٥-٨٢ ولمعة الإعتقاد للمقدسي ص٢٤-٢٥ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/٤٤٩،٤٥٢،٤٥٩ ومنهاج السنة له ٣/١٢-١٣ ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص٥٨٨ وشرح الطحاوية ص ٨٨ و٢١٧-٢١٨ ولوامع الانوار البهية للسفاريني ١/٢٧٦-٣٤٨ وغيرها.

٢) شفاء العليل في القضاء والقدر والتعليل لابن القيم ص ١١٣ .

٣) المرجع السابق.

متفقون على أن الفعل غير المفعول. فحركاتهم وسكناتهم واعتقادهم أفعال لهم حقيقة، وهي مفعولة لله مخلوقة له حقيقة ، والذي قام بالرب عزوجل علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه ، والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم، فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة، وهو سبحانه المقدر لهم على ذلك القادر عليه ، الذي شاءه منهم وخلقه لهم ومشيئتهم وفعلهم بعد مشيئته ، فما يشاؤن إلا أن يشاء وما يفعلون إلا أن يشأ)(١).

هذا بإختصار مذهب السلف الإيمان بالقضاء والقدر ، وهو كما ترى وسط بين الإفراط والتفريط ، فهو وسط بين غلو القدرية وتفريط الجبرية ، وهو المذهب الحق الواجب إتباعه لأنه مستمد من نور الكتاب والسنة.

٢- كراهية السلف الخوض والجدال في القدر:

لقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان يكرهون الخوض والجدال في القدر، ويذمون من خاض فيه محذرين من ذلك بشدة، مقتدين بذلك برسول الله ﷺ الذي ثبت عنه كراهيته وبغضه لهذا الأمر ، لما يترتب عليه من نتائج سيئة ، لأن البحث عن سر القدر والنظر في دقائقه من الأمور التي استأثر الله بعلمها فلم يُطلع عليها احداً من خلقه، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً .

فعن عمرو(٢) بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يُفقأ في وجهه حب الرمان(٣) من الغضب فقال: « أفبهذا أمرتم ؟ أو ألهذا خلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض ، بهذا هلكت الأمم قبلكم» قال عبد الله بن عمرو ما غبطت(٤) نفسي

---

١) المرجع السابق.

٢) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص يكنى أبا إبراهيم السهمي، اضطرب قول أئمة الجرح والتعديل فيه وغالبهم على توثيقه وإنما أنكروا عليه بعض رواياته عن أبيه عن جده قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في التقريب أخرج له الأربعة توفي سنة (١١٨ هـ) انظر ميزان الإعتدال للذهبي ١٨٣/٤ برقم ٦٣٨٣ والتقريب لابن حجر ص ٤٢٣ برقم ٥٠٥٠.

٣) أي فغضب فاحمر وجهه من أجل الغضب إحمراراً يشبه فقأ حب الرمان في وجهه انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٦١/٣.

٤) أي ما استحسنت فعل نفسي ، يقال غبطت الرجل أغبطه غبطاً إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ماله (النهاية في غريب الحديث ٣٣٩/٣.

بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ما غبضت نفس بذلك المجلس وتخلفي عنه(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (باب شرك فتح على أهل الصلاة التكذيب بالقدر فلا تجادلهم فيجري شركهم على أيديكم)(٢) . وقال أيضاً (ماغلا رجل في القدر الا خرج من الإسلام)(٣).

وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال أخبرني عن القدر قال: (طريق مظلم فلا تسلكه ، قال : أخبرني عن القدر ، قال : بحر عميق فلا تلجه ، قال أخبرني عن القدر ، قال: سر الله فلا تكلفه، أو فلا تكشفه)(٤).

وعن وهب بن مَنبِّه(٥) - قال : (نظرت في القدر فتحيرت ، ثم نظرت فيه فتحيرت ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه وأجهل الناس بالقدر أنطقهم به)(٦) .

وعن أبي إدريس الخولاني(٧) أنه رأى رجلا يتكلم في القدر فقام إليه فوطئ بطنه ثم قال : إن فلاناً لايؤمن بالقدر فلا تجالسوه فخرج الرجل(٨).

وقد سار على هذا المنهج علماء أهل السنة - رحمهم الله - فهذا الإمام الآجري(٩) يقول (إنه لايحسن بالمسلمين التنقيح والبحث عن القدر لأن القدر

---

١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة باب في القدر ٣٣/١ برقم ٨٥ وأحمد في المسند ١٩٥/٢ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٦٢٧/٤ برقم (١١١٩) والحديث حسن كما قال العلامة الألباني في مشكاة المصابيح ٣٦/١ برقم ٩٩.

٢) رواه الآجري في الشريعة ص ٢١٥ والالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٦٣٠/٤ برقم ١١٢٦.

٣) رواه الالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٦٣٢/٤ برقم ١١٣١.

٤) رواه الآجري في الشريعة ص ٢٠٢ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٦٢٩/٤ برقم ١١٢٩.

٥) هو أبو عبد الله، وهب بن منبه الأنباوي الصنعاني الذماري ، ثقة من التابعين،كان كثير الأخبار عن الكتب القديمة،لزم العبادة والزهد وطلب العلم إلى أن توفي سنة (١١٣ هـ) وقيل (١١٤ هـ) انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١٢٣ وحلية الأولياء ٢٣/٤.

٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٩٥.

٧) هو عائذ بن عبد الله من كبار التابعين بالشام ، كان من عباد أهل الشام وقرانهم ، ولد عام حنين في حياة النبي ﷺ ولا صحبة له،سكن الشام وولاه عبد الملك بن مروان القضاء بدمشق وتوفي بها سنة (٨٠ هـ) انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١١٢، وتهذيب التهذيب ٨٥/٥.

٨) رواه ابن بطة في الابانة ٤٥٠/٢.

٩) هو أبو بكر محمد بن الحسين الآجري نسبة إلى آجر من قرى بغداد ، كان فقيهاً شافعياً محدثاً إماماً عاملا صاحب سنة واتباع صاحب التصانيف الكثيرة التي من أشهرها الشريعة توفي سنة=

سر من سر الله عزوجل بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به ، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية فيضل عن طريق الحق)(١) ويقول الإمام الطحاوي(٢) -وقوله من أحسن ماقيل في هذا الشأن - (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسُلّم الحرمات ودرجة الطغيان ، فالحذر من ذلك نظراً أو فكراً أو وسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى ﴿لايَسألُ عمَّا يَفعلُ وهم يُسألونَ﴾(٣) فمن سأل لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين)(٤).

٣- رأي القاضي عياض في ذلك:

أحب أن أشير ههنا إلى أن القاضي عياض - رحمه الله - قد سلك هذا المسلك ودعا إليه مقتدياً بذلك بمنهج السلف الصالح ، حيث قال في معرض شرحه وكلامه على حديث احتجاج موسى على آدم وغلبة آدم له: (فإذا كان موسى قد علم في التوراة أن الله شاء وأراد إخراج آدم من الجنة إلى الأرض ليكون له نسل وأبناء سعداء وأشقياء ، فلا بد من وقوع ذلك منه ففيم اللوم؟ وهذا سر القدر الذي أمرنا بالإمساك عنه ، فهذا وجه في غلبة آدم بحجته موسى)(٥).

وعند حديثه عن المقتول وما يفترضه المتكلمون من افتراضات عند هذه القضية مثل قولهم لو لم يقض الله عليه بالقتل ماذا يكون حكمه وشأنه ؟ قال إن مثل هذه التساؤلات لاوجه للتشاغل بها ولامعنى لها، بل نكل علمها إلى الباري جلت قدرته مع يقيننا بأن المقتول مات بأجله(٦).

=(٣٦٠ هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٩٣٦/٣ وطبقات الشافعية للسبكي ١٤٩/٣.

١) الشريعة للآجري ص ١٤٩.

٢) هو أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي نسبة إلى قرية (طحا) بصعيد مصر ، كان إماماً حافظاً محدثاً فقيهاً ، ثقة ثبتاً من كبار جهابذة أهل السنة ، صاحب المصنفات الكثيرة التي من أشهرها العقيدة الطحاوية ومعاني الآثار وبيان السنة ، توفي سنة (٣٢١ هـ) انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ١٧٤/١١ وسير أعلام النبلاء ٢٧/١٥.

٣) سورة الأنبياء آية ٢٣.

٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٦.

٥) إكمال المعلم ٦٥/٦.

٦) المرجع السابق ٩٦/٦.

المطلب الرابع : (منهج القاضي عياض في الإيمان بالقضاء والقدر)

لقد نهج القاضي عياض منهج السلف في القضاء والقدر إلا ماندر من المسائل وهأنذا استعرض آراءه وأقواله في هذا الشأن ليستبين منهجه وذلك من خلال النقاط أو المسائل الآتية :

أ - الهدى والضلال:

يعتقد أبو الفضل -كأهل السنة والجماعة - أن الهدى والضلال بيد الله وحده، فهو سبحانه الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فمن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

يقول رحمه الله - مقرراً ذلك: (من أصول هل السنة أن الله يهدي من يشأ ويضل من يشأ ويجعل الران والطبع والأكنة في قلوب أهل الكفر والضلال ، والحق الذي لا شك فيه أن الله يفعل ما يشاء من الخير والشر ، لايسأل عما يفعل وهم يسألون ، وكما قال تعالى في الذّر: «هؤلاء للنار ولا أبالي وهؤلاء للجنة ولا أبالي»(١) فالذين قضي لهم بالنار طبِع على قلوبهم وختم عليها وغشاها وأكنّها، وجعل من بين أيديها سداً ومن خلفها سداً وحجاباً مستوراً ، وجعل في آذانهم وقراً ، وفي قلوبهم مرضاً لتتم سابقته فيهم وتمضي كلمته لا راد لحكمه ولا معقب لأمره)(٢).

وقال : (فمن يرحمه فبرحمته وهدايته وتيسيره ،وخذلان من خذله منهم بعصيانه وكفره)(٣).

وهذا الذي قرره القاضي في معنى الهداية والاضلال ونسبتها إلى الله موافق لما عليه أهل السنة والجماعة(٤) ، يقول الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله :- (وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم، وكتب الله المنزلة عليهم، على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأن الهدى والضلال بيده تعالى لابيد العبد ، وأن العبد هو الضال أو المهتدي ، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدرته .

---

١) جزء من حديث قدسي رواه أحمد ٤/١٧٦-١٧٧ و ٥/٦٨،٢٣٩.

٢) إكمال المعلم ٦/٥، وشرح النووي لصحيح مسلم ١٥/١٤٥.

٣) إكمال المعلم ٦/٦٢.

٤) انظر تقرير ذلك في كتاب الشريعة ص١٥١-١٥٧، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٨/٧٨،٧٩ وشرح الطحاوية ص٩٥-٩٦ وغيرها.

والإهتداء والضلال فعل العبد وكسبه)(١).

أنواع الهدى:

بعد أن تقرر أن الهداية والإضلال من الله تعالى، ينبغي أن يعلم أن الهدى نوعان :

(١) هدى دلالة : وهو الذي يقدر عليه الرسل وأتباعهم كما قال تعالى ﴿**ولكلِ قَومٍ هادٍ**﴾(٢) وقال تعالى مخاطباً رسول الله ﷺ ﴿**وإنكَ لَتَهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ**﴾(٣).

(٢) هدى هو عبارة عن خلق الايمان في القلب والتأييد والتوفيق . وهذا الذي لايقدر عليه إلا الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى ﴿**إنك لا تهدي من أحببتَ ولكنَّ اللهَ يهدي من يشاء**﴾(٤) ومنه قوله تعالى ﴿**أولئك على هدىً منْ ربِّهم**﴾(٥) في وصفه للمؤمنين.

والهدى بالمعنى الأول حجة الله على خلقه لايعذب أحداً حتى يقيمها عليهم، كما قال سبحانه ﴿**وما كُنا مُعذِّبينَ حتى نَبعثَ رسولا**﴾(٦) وهو عام لمن أحبه تعالى وأبغضه ، أما الهدى بالمعنى الثاني فهو لمن أحبه تعالى تكميلا للحجة وإظهاراً للإستغناء عن خلقه وهذا من مشيئته عزوجل(٧).

وقد يرد الهدى ويراد به الهدى العام، كما في قوله تعالى ﴿**والذي قَدَّر فَهَدَى**﴾ (٨) ومعناه أنه عزوجل قدر أجناس الأشياء ، وأنواعها وصفاتها وأفعالها وأقوالها وآجالها ، فهدى كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له ويسّره لما خلق له وألهمه إلى أمور دينه ودنياه(٩).

وقد يأتي الهدى بمعنى الهداية إلى الجنة أو النار يوم القيامة كما قال تعالى ﴿**والذين قُتِلوا في سبيل الله فلن يُضلَّ أعمالَهم * سيهدِيْهِمْ ويصلحُ**

---

١) شفاء العليل ص١٤١.
٢) سورة الرعد آية ٧.
٣) سورة الشورى آية ٥٢.
٤) سورة القصص آية ٥٦.
٥) سورة البقرة آية ٥.
٦) سورة الإسراء آية ١٥.
٧) انظر فتح القدير للشوكاني ٤٣٨/٢.
٨) سورة الأعلى آية ٣.
٩) انظر تفسير البغوي ٤٧٥/٤ وفتح القدير ٤٢٣/٥ وتفسير السعدي ٦١١/٧ وشفاء العليل ص١٨٠.

بَالَهُم﴾(١) وقال تعالى عن أهل النار ﴿فاهدُوهُمْ إلى صراطِ الجحيم(٢) ﴾(٣).

ب - منهجه في أفعال الله وأفعال العباد:

١- أفعال الله تعالى:

وافق القاضي عياض منهج السلف في الإعتقاد بأن الله تعالى فاعل مختار ويتصرف في ملكه كيف يشاء بمقتضى حكمته ومشيئته ، لأنه سبحانه خالق الخلق وموجدهم من العدم ، فهم ملكه وعبيده يتصرف بهم كيف يشاء ، يهدي ويضل ويشقي ويُسعد ويرفع ويخفض ويبتلي ويعافي من يشاء منهم ، ولايظلم أحداً مثقال ذرة ، ويفعل ما يريد من الخير والشر، سبحانه وتعالى لايسأل عما يفعل وهم يسألون.

وقد أشار إلى ذلك بقوله (والحق الذي لاشك فيه أن الله يفعل ما يشاء من الخير والشر ﴿لايُسألُ عمَّا يَفعلُ وهم يُسألون﴾(٤) وأنه لايليق به الظلم بل قضاؤه كله حكمة وعدل كما قال تعالى في الذَّر "هؤلاء للنار ولا أبالي وهؤلاء للجنة ولا أبالي"(٥) فالذين قضى لهم بالنار طبع على قلوبهم، وختم عليها وغشاها وأكنها، وجعل من بين أيديها سداً ومن خلفها سداً وحجاباً مستوراً، وجعل في آذانهم وقراً وفي قلوبهم مرضاً، لتتم سابقته فيهم وتمضي كلمته لاراد لحكمه ولا معقب لأمره)(٦).

قال سبحانه مقرراً هذه الحقائق ﴿وربك يَخلقُ ما يشاءُ ويختارُ ماكانَ لهمْ الخيرةُ سبحانَ الله وتعالى عما يُشْرِكون﴾(٧) فقد أخبر عزوجل في هذه الآية أنه المتفرد بالخلق والإختيار ، وأنه ليس له في ذلك منازع ولامعقب فهو تعالى يخلق ما يشاء كما يشاء ، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه ، فمشيئته نافذة بجميع البريات، وخلقه عام لجميع المخلوقات وهو عزوجل منزه عن كل مايشركون به من الشريك والظهير

---

١) سورة محمد آية ٤و٥.

٢) سورة الصافات آية ٢٣.

٣) انظر شفاء العليل لابن القيم ص١٧٩-١٨٠ فقد فصل فيه مراتب الهدى والضلال في القرآن الكريم وتكلم عن كل منها بالتفصيل بما لا مجال لذكره ههنا فلتراجع من ص١٤١- ١٨٠.

٤) سورة الانبياء آية ٢٣.

٥) تقدم تخريجه ص ١٢٤.

٦) إكمال المعلم ٥/٦ والاعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٦.

٧) سورة القصص آية ٦٨.

والولد والصاحبة ونحو ذلك مما أشرك به المشركون(١).

وقال عزوجل أيضاً ﴿قل اللّهمَّ مالكَ المُلك تُؤتيْ المُلكَ من تَشاءُ وتَنْزِعُ الملكَ ممَّنْ تشاءُ وتُعزُّ من تشاءُ وتُذل من تشاء بيدك الخيرُ إنك على كل شيءٍ قَدير﴾(٢) فقد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة أنه مالك جنس الملك على الإطلاق، فهو مالك العباد وماملكوا، ومالك الدنيا والآخرة والمال والعبيد، وهو الذي يعطي الملك من النبوة أوالحكم أو غير ذلك من أنواع الملك العام من يشاء وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء بأي نوع من أنواع العز ويذل من يشاء بأي نوع ، بيده عزوجل الخير والشر ، وقد ذكر سبحانه الخير دون الشر فاكتفى بذكر أحدهما كما في قوله تعالى ﴿سَرابِيْلَ تَقِيْكُمُ الحرَّ ﴾(٣) أي والبرد فاكتفى بذكر أحدهما وذلك لأن الشر لايضاف إلى الله وصفاً ولا اسماً ولكنه يدخل في مفعولاته ويندرج في قضائه وقدره ، ولأن الخير بفضل محض بخلاف الشر فإنه يكون جزاء لعمل وصل إليه ، أو لأن كل شر من حيث هو كونه من قضائه وقدره فهو متضمن للخير لأن أفعاله تعالى كلها خير(٤) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (فالشر ليس إلى الله بوجه من الوجوه ، فإنه وإن كان الله عزوجل خالقاً لأفعال العباد فخلقه للطاعات نعمة ورحمة، وخلقه للسيئات له فيه حكمة ورحمة ، وهو مع هذا عدل فما ظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون)(٥).

قلت: قد نبه الله عزوجل في أكثر من موضع في كتابه إلى أنه لايظلم شيئاً كما قال تعالى ﴿وماظَلمهمُ اللهُ ولكنْ أنفُسَهم يظلمون﴾(٦) وقال أيضاً ﴿وأنّ اللهَ ليس بِظَلاّمٍ للعبيد﴾(٧) وقال ﴿ إنَّ الله لايظلمُ الناسَ شيئاً ولكنَّ الناسَ أنفسَهم يَظلمون﴾(٨)، فأفعاله تعالى كلها خير لاشر فيها، وكلها عدل لاظلم فيها، لأنه سبحانه الحكم العدل الذي يضع الأمور مواضعها حسبما تقتضيه حكمته وعدله، وهو تعالى لايسأل عما يفعل، ولا عما يخلق ويشاء وجوده أو عدمه، لأنه رب

---

١) انظر تفسير ابن كثير ٣٩٧/٣، وتفسير السعدي ٥٢/٦ .
٢) سورة آل عمران آية ٢٦ .
٣) سورة النحل آية ٨١ .
٤) انظر تفسير البغوي ٢٩٠/١ وفتح القدير ٣٢٩/١-٣٣٠ وتفسير السعدي ٣٧٠/١ .
٥) الحسنة والسيئة لشيخ الإسلام ص ٩٢ ط دار الكتب العلمية بيروت .
٦) سورة آل عمران آية ١١٧ .
٧) سورة آل عمران آية ١٨٢ والانفال آية ٥١ .
٨) سورة يونس آية ٤٤ .

العالمين .

٢- أفعال العباد

أ- رأي القاضي عياض في ذلك :

قرر القاضي عياض مذهب السلف في هذه المسألة مبيناً أن أفعال العباد خيرها وشرها مخلوقة لله تعالى ومقدرة على أصحابها وليسوا هم لها بخالقين - كما زعم المعتزلة - لأنه لا خالق إلا الله تعالى ، فهو سبحانه خالق العباد وأفعالهم .

وقد أشار إلى هذا بقوله (من أصول أهل السنة أن العبد لا قدرة له إلا ما أراده الله ويسرّه تعالى له وخلقه خلافاً للمعتزلة والقدرية القائلين بأن للعبد فعلا من قبل نفسه ، وقدرة على الهدى والضلال والخير والشر والإيمان والكفر)(١) .

وقال أيضاً: (ليس شيئ من أفعال خليقته بغير قضائه وخلقه وإرادته بل **﴿تمَّتْ كلمة ربك صدْقاً وعَدْلا لامُبَدِّل لكلماته﴾**(٢) **﴿ يُضلُّ مَنْ يشاءُ ويهدي مَنْ يشاء﴾**(٣) **﴿ لا يُسألُ عمَّا يَفعلُ وهُمْ يُسألون**(٤) **﴾**(٥).

ب- موافقة القاضي عياض لمذهب السلف في هذه المسألة وتفصيل مذهبهم في ذلك :

إن الذي قرره القاضي عياض آنفاً موافق لمذهب السلف ، يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله - : (أفعال العباد مخلوقة بإتفاق سلف الأمة وأئمتها كما نص على ذلك أئمة الإسلام الإمام أحمد بن حنبل ومن قبله وبعده حتى قال بعضهم من قال أفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال إن السماء والأرض غير مخلوقة)(٦).

---

١) إكمال المعلم ٥/٦ وشرح صحيح مسلم ١٤٥/١٦.

٢) سورة الأنعام آية ١١٥.

٣) سورة فاطر آية ٨.

٤) سورة الأنبياء آية ٢٣.

٥) الاعلام بحدود قواعد الاسلام للقاضي عياض ص ١٦.

٦) مجموع الفتاوى ٤٠٦/٨ وانظر شرح أصول إعتقاد أهل السنة ٥٣٤/٣-٥٧٦ وشرح الطحاوية ص ٤٤٢ وغيرها.

١ - ذكر بعض الأدلة على أن أفعال العباد مخلوقة:

والأدلة على ذلك كثيرة جداً منها :

١- قوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[1] فإن ما موصولة أي: وخلق الذي تصنعونه على العموم ويدخل فيها الأصنام التي ينحتونها دخولا أوليا ، ويجوز أن تكون (ما) مصدرية أي: خلقكم وخلق عملكم ، وجعلها موصولة أولى بالمقام وأوفق بسياق الكلام ، ففيها دليل على أن أفعال العباد مخلوقة[2] ، وهذه الآية تدل أيضاً على أن المنحوت مخلوق لله وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم فيكون ماهو من آثار فعلهم مخلوقاً لله ، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله لم يكن المنحوت مخلوقاً بل الخشب أو الحجر لاغير[3] ، ومن الأدلة أيضاً .

٢- قوله تعالى ﴿الله خالق كل شيء﴾[4] فقد أخبر عزوجل في هذه الآية أنه خالق الأشياء كلها وأنه ربها ومليكها والمتصرف فيها وكل شيء تحت تدبيره وقهره وكلاءته[5] ، فدخلت أفعال العباد في عموم كل . وما أفسد قول المعتزلة الذين يدخلون كلام الله - والذي هو صفة من صفاته - يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً وكذا جميع أسمائه وصفاته في حين يخرجون أفعالهم التي هي مخلوقة لله! وهل يدخل في عموم كل إلا كل مخلوق ؟[6].

٣- ومن الأدلة كذلك ، قوله ﷺ «المعروف كله صدقه وإن الله صانع كل صانع وصنعته - وفي رواية - إن الله خلق كل صانع وصنعته» وتلا بعض الصحابة عند ذلك ﴿والله خلقكم وما تعملون[7]﴾[8] فأخبر عليه الصلاة والسلام أن الصناعات وأهلها مخلوقة لله تعالى. وللإمام البخاري[9] - رحمه

---

١) سورة الصافات آية ٩٦.

٢) انظر تفسير البغوي ٣١/٤ وتفسير ابن كثير ١٥/٤-١٦ وفتح القدير ٤٠٢/٤.

٣) شرح الطحاوية ص ٤٣٦.

٤) سورة الزمر آية ٦٢.

٥) انظر تفسير ابن كثير ٦١/٤ وتفسير السعدي ٤٨٩/٦.

٦) انظر شرح الطحاوية ص ٤٣٦ وتفسير السعدي ٤٨٩/٦.

٧) سورة الصافات آية ٩٦.

٨) رواه البخاري في أفعال العباد ص ٢٥، وابن أبي عاصم ١٥٨/١ برقم ٣٥٧ والحاكم في المستدرك ٣١/١-٣٢ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال الألباني حديث صحيح انظر السلسلة الصحيحة برقم ١٦٣٧.

٩) هو شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي مولاهم البخاري صاحب التصانيف العظيمة التي أشهرها وأعظمها (الصحيح) الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى ، ولد سنة (١٩٤ هـ) وتوفي سنة (٢٥٦ هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ=

الله - كتاب نفيس بهذا الصدد سماه (خلق افعال العباد والرد على الجهمية وأهل التعطيل) جمع فيه الآيات والأحاديث والآثار الواردة بهذا الشأن ورد فيه على المعتزلة وغيرهم فليراجع.

٢- للعباد إرادة وقدرة حقيقية غير خارجة عن مشيئة الله :

ومما ينبغي الإشارة إليه ههنا إلى أنه لايعني إعتقادنا كون أفعال العباد مخلوقة لله أن يكون العبد مسلوب المشيئة والإرادة - كما تزعم الجبرية - بل العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة غير خارجة عن مشيئة الله وتقديره ، بل هي تابعة لمشيئة الرب جل جلاله .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (ومما ينبغي أن يعلم أن مذهب السلف مع قولهم الله خالق كل شيء ومليكه وربه ، وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه هو الذي خلق العبد هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً ونحو ذلك ، أن العبد فاعل حقيقه وله مشيئة وقدرة ، قال الله تعالى ﴿**لِمَنْ شاءَ منكمْ أنْ يستقيمَ * وما تَشاؤونَ إلا أن يَشاءَ اللهُ ربُّ العالمين**﴾ (١) وقال ﴿**إنْ هذه تذكرةٌ فمنْ شاءَ اتخذَ إلى ربه سبيلا * وما تَشاؤنَ إلا أن يَشاءَ الله**﴾(٢) وقال تعالى ﴿**كلا إنه تذكرةٌ فَمَنْ شاءَ ذَكَره * وما يَذْكُرون إلا أنْ يشاءَ اللهُ هو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة**(٣) ﴾(٤).

٣ - الإرادة نوعان:

والخلاصة : أن أفعال العباد تنسب إليهم فعلا وكسباً وإختياراً وتنسب إلى الله خلقاً وقدراً وإيجاداً ، وأن للعباد مشيئة وإرادة حقيقية ولكنها تابعة لمشيئة الله سبحانه ليست مستقلة عنها ، ولا سابقة لها ، ولكن هذا لايعني أن الله عزوجل يرضى ما يقع من العباد من الكفر والمعاصي - تعالى الله عن ذلك - فإنه عزوجل يقول ﴿**إنْ تكفُرُوا فإن اللهَ غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفرَ وإنْ تَشكرُوا يَرْضَهُ لكم**﴾(٥) ويقول ﴿**والله**

=٢/٥٥٥ وسير أعلام النبلاء ٢٩١/١٢ وتهذيب التهذيب ٤٧/٩.

١) سورة التكوير الآية ٢٨-٢٩.

٢) سورة الإنسان الآية ٢٩-٣٠.

٣) سورة المدثر الآيات من ٥٤ - ٥٦.

٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١٧/٨ - ١١٨.

٥) سورة الزمر آية ٧.

لايحبُّ الفساد﴾(١) وقال عقيب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر ﴿كلُّ ذلك كان سَيِّئُهُ عندَ ربِّك مَكْرُوهاً﴾(٢). فالمعاصي وإن كان الله يريدها قدراً فهو لايحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها بل يبغضها ويسخطها وينهي عنها ، وهذا هو قول السلف قاطبة ومنهجهم في ذلك، ولذا يقول المحققون(٣) منهم : إن الإرادة نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية ، وإرادة دينية شرعية أمرية ، وهذه الأخيرة هي المتضمنة للمحبة والرضا بخلاف الإرادة الكونية فهي المشيئة الشاملة لجميع المخلوقات، ومنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا - كما قال شارح الطحاوية (٤) - فسوّى بينهما الجبرية والقدرية ثم اختلفوا فقالت الجبرية الكون كله بقضائه وقدره فيكون محبوباً مرضياً ، وقالت القدرية النفاة ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له فليست مقدرة ولا مقضية ، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه وقدرته ، وقد دلّ على الفرق بين المشيئة والمحبة الكتاب والسنة والفطرة السليمة وقد تقدم ذكر بعض هذه الأدلة آنفاً.

ج - رد القاضي عياض على المعتزلة في قضية أفعال العباد وموافقته للأشاعرة في قولهم بالكسب.

شنع القاضي عياض على المعتزلة الذين يزعمون بأن أفعال العباد غير مقدرة وغير مخلوقة لله تعالى، وقد حكم عليهم بالكفر مرة والضلال والفسق أخرى - كما تقدم معنا(٥) - ومع كونه قد أصاب الحق ووافق مذهب السلف في الإعتقاد بأن أفعال العباد مخلوقة ومقدرة لله تعالى خيرها وشرها ، وأن العباد لايشاؤن إلا ماشاء الله ، إلا أنه - غفر الله له - قد قلّد الأشاعرة ومن وافقهم ممن قال بالكسب في هذه القضية .

فقد قال عند شرحه لحديث «ما منكم من أحد، أو ما من نفس منفوسة إلا قد كتبت أنها من أهل الجنة أو من أهل النار ، وقد كتبت شقية أو سعيدة ، فقال رجل : ألا نمكث على كتابنا وندع العمل -وفي رواية أفلا نتكل- ؟! فقال : من

---

١) سورة البقرة آية ٢٠٥.
٢) سورة الإسراء آية ٣٨.
٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٨/٤٤٠-٤٤١ والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان له من ٦٠ - ٦٤ وشرح الطحاوية ٤٤٥-٤٤٦.
٤) انظر شرح الطحاوية ص ٢١٩ فإنه قد أجار وأفاد بما لا غنى عنه في هذا الشأن جزاه الله خيراً.
٥) انظر ص ١١٥-١١٦.

كان من أهل السعادة فسيعمل بعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيعمل بعمل أهل الشقاوة» الحديث وفيه «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»(١)
قال : (شنعت علينا المعتزلة بقولهم : إذا قلتم بأن الله سبحانه خلق معصية العاصي فَلِمَ يعذبه على ما خلقه فيه وقدره ؟ وما فائدة العمل ؟! قلنا : قد وقع في نفس هذا الرجل - يقصد الصحابي - شبهة من فائدة العمل وأراد أنْ يؤكد صفاءه بسؤاله للنبي ﷺ فأجابه به عليه الصلاة والسلام بهذا الجواب ودفع اعتراضه، ولم يقل له إنه صحيح، بل أخبره بأن الله جلت قدرته صيّر أهل السعادة لعمل أهل السعادة وأهل الشقاوة لعمل أهل السقاوة، وتلا ﷺ القرآن مصدقاً لما قال ، فأخبر أن الله سبحانه إذا أنفد قدرته بشقاوة عبد يسرَ له عمل أهل الشقاوة وهيأه له وسهله عليه وأتاح له أسبابه التي تعنيه وتبعثه على إكتساب المعاصي ، فالإنسان عندنا يكتسب بفعله ليس مجبوراً عليه ، وتحقيق القول في الكسب يتسع وصفه في كتب الأصول، ولا يبعد في العقل أن يجعل الله سبحانه هذه الأعمال أمارة على استحقاق الجنة أو النار ويسهّل لكل عبد ما قضى له أو عليه في ذلك. والغرض ههنا الإشارة إلى ما قلنا من أن الأسلوب الذي يقدح به المعتزلة قد وقع ما يلحظه من هذا السائل ولم يصححه عليه الصلاة والسلام بل أجاب عنه بما ذكر ونقل السائل له ﷺ أراد أن يعلم حقيقة الانفصال أو تأكيد ما وقع في نفسه منه، ولم يقصد الإعتراض على قول النبي ﷺ بالرد والتشكيك فيه كما يقصد المعتزلة بإعتراضهم القدح في الحق الذي بيناه ، ولذلك قول الرجلين من مُزَيْنة(٢) بعد هذا يا رسول الله . أرأيت ما يعمل الناس ويكدحون فيه أشـيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سابق أو فيما يستقبلون به مما آتاهم ؟! فنبههم عليه الصلاة والسلام وثبّت الحجة عليهم فقال «بل شـيء قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿**ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها**(٣) ﴾»(٤)، وهذا مطابق لقول الأشعرية ، وأهل السنة في أن كل شـيء بقضاء الله وقدره وأن المعاصي قدرها الله وقضاها ، ألا ترى قول السائل أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه؟! ولم يفرّق بين خير وشر ولا طاعة ومعصية ، ولذلك أجابه ﷺ ولم يفرق فيه، بل قال

---

١) رواه البخاري في ك التفسير باب تفسير سورة الليل ٥٧٨/٨ برقم ٤٩٤٥ ومسلم في القدر باب كيفية خلق الآدمي ٢٠٣٩/٤ برقم ٢٦٤٧.
٢) قبيلة عربية مشهورة .
٣) سورة الشمس آية ٧-٨.
٤) رواه مسلم في ك القدر باب كيفية خلق الآدمي ٢٠٤١/٤ برقم ٢٦٥٠.

«بل شيء قُضي عليهم ومضى فيهم» وتلا كتاب الله مصدقاً لما قال، ومُسوٍ بين الفجور والتقوى بقوله **﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾** فأخبر سبحانه وتعالى عن النفس وما فعل فيها ولذلك قول النبي ﷺ «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»(١) مطابق أيضاً لقول الأشعرية في هذا، ولذلك لما جاء قوم مشركون يخاصمون النبي ﷺ في القدر نزل قوله تعالى **﴿يوم يُسحَبون في النارِ على وجوههمْ ذُو قُوامَسَّ سَقر إنَّا كُلَّ شيءٍ خَلَقْنَاه بقَدَرٍ(٢)﴾**(٣) وهكذا الأحاديث كلها مطابقة لقول أهل الحق وإنما سميت الأشعرية أهل السنة(٤) لإتباعهم السنة وموافقتهم لها)(٥).

د- الرد على القاضي عياض في قوله بالكسب الأشعري

لقد خالف القاضي عياض - غفر الله له - منهج السلف في أهم عنصر من عناصر قضية أفعال العباد ألا وهو قدرة الله وهل لها تأثير في فعل العبد أم لا؟ فنحا منحى الأشاعرة القائلين بالكسب.

١ - تفسير معنى الكسب الأشعري:

أحب قبل الرد على القاضي عياض لقوله بالكسب أن أوضح معنى هذا الكسب عند الأشاعرة مدعماً ذلك بكلامهم أنفسهم، فأقول: الكسب عند هؤلاء القوم هو: صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل، وإيجاد الله الفعل عقيب ذلك هو الخلق، فالفعل الواحد مقدور الله بجهة الإيجاد ومقدور العبد بجهة الكسب. يقول الآمدي(٦) حاكياً مذهب الأشاعرة في هذا الأمر: (وذهب أهل

---

١) رواه مسلم في ك القدر باب كل شيء بقدر ٢٠٤٥/٤ برقم ٢٦٥٥.

٢) سورة القمر آية ٤٨-٤٩.

٣) رواه مسلم ك القدر باب كل شيء بقدر ٢٠٤٦/٤ برقم ٢٦٥٦.

٤) قلت: إدعاء القاضي عياض بأن الأشاعرة هم أهل السنة لموافقتهم واتباعهم للسنة، قول غير صحيح فإنهم قد خالفوا السنة في كثير من أصول الإعتقاد، وفي مقدمة ذلك باب الأسماء والصفات وباب الإيمان وغيرهما ، فوصفهم بهذا الوصف يرده واقعهم العقدي المنحرف، فلا يلتفت إلى ما يسمون به أنفسهم هم وغيرهم من أهل البدع والإنحراف من أسماء وأوصاف حسنة وبراقة فإن أهل السنة بحق هم المتبعون للمنهج السلفي الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ومن سار على نهجهم بإحسان.

٥) إكمال المعلم ٦٠/٦-٦١.

٦) هو سيف الدين أبو الحسن، على بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي من كبار ومشاهير المتكلمين وله باع في الفقه وأصوله مصنفاته تقرب من العشرين منها: الإحكام في أصول الأحكام وغاية=

الحق (قلت يقصد الأشاعرة) إلى أن أفعال العباد مضافة إليهم بالإكتساب وإلى الله تعالى بالخلق والإختراع وأنه لا أثر للقدرة الحادثة فيها أصلا)(١).

ويقول الايجي أيضاً: (المقصد الأول في أفعال العباد الإختيارية وأنها واقعة بقدرة الله تعالى وحدها وليس بقدرتهم تأثير فيها بل الله تعالى أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة وإختياراً، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً ومكسوباً للعبد، والمراد بكسبه إياه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون منه تأثير)(٢).

٢ - بطلان هذا المذهب:

لا شك أن هذا المذهب ظاهر البطلان ، ومخالف لمنهج السلف ، وقد أراد أتباعه - والله أعلم - محاولة التوسط بين مذهب الجبرية ومذهب القدرية بجعلهم للعبد قدرة حادثة غير مؤثرة في فعله بخلاف ما ذهب إليه الجبرية من نفي القدرة أصلا، وما ذهب إليه القدرية من إثبات قدرة بها يخلق الإنسان فعل نفسه، إلا أن هذه المحاولة خاطئة ، لأن إثبات قدرة لا أثرلها إنما هو نفي للقدرة أصلا، حيث إن وجودها حينئذ كعدمها، وكان اقترانها بالفعل كاقتران سائر صفات الفاعل في طوله وعرضه ولونه - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -(٣)ولهذا أنكر علماء السلف هذا المذهب وردوا عليه، وبينوا ما فيه من تناقض غير معقول، وأنه من محالات الكلام ووضحوا ما فيه من شبه بمذهب الجبرية وإن خالفوه خلافاً لفظياً أو بشكل لا يعقل(٤).

وقد اعترف كبار الأشاعرة - أنفسهم - بعدم وجود فرق بين مذهبهم ومذهب الجبرية كما فعل ذلك الايجي ولهذا التزم القول بالجبر عند مناقشته للمعتزلة في موضوع الحسن والقبح العقليين فقال : (لنا أن الحسن والقبح ليسا

=المرام في علم الكلام ، توفي سنة (٦٣١ هـ) انظر ترجمته في لسان الميزان ١٤٣/٣ ومفتاح السعادة ١٦٠/٢ .

١) غاية المرام في علم الكلام للآمدي ص ٢٠٧ بتحقيق حسن عبد الهادي القاهرة ١٣٩١ هـ .

٢) المواقف في علم الكلام ص ٢٣٧ .

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٦٧/٨ .

٤) انظر للرد على هذا المذهب مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤٠٣/٨-٤٠٤ و ٤٦٦- ٤٦٧ وشفاء العليل لابن القيم ص ٢٥٦ وما بعدها ، وشرح الطحاوية ٢٢٦- ٢٣١، و٤٣٣-٤٣٥ وخلق أفعال العباد للبخاري ص ٢٥ وما بعداها .

عقليين وجوهاً الأول : أن العبد مجبور في أفعاله ...)(١).

فيكفي إذاً في بطلان هذا المذهب مجرد تصوره في العقل، حيث إنه لا يعقل بل هو من مستحيلات الكلام ، هذا فضلا عن مخالفته لمذهب أهل الحق - أهل السنة والجماعة - الذين اثبتوا للعبد قدرة حقيقية غير خارجة عن قدرة الله ولم يسلبوه القدرة بأن جعلوه مجبوراً - كما تعتقد الجبرية - ولا مستقلا بقدرته وفعله - كما زعمت القدرية - فمذهب السلف هو الوسط بين هؤلاء وأولئك - كما تقدم توضيح ذلك - وفي الأدلة التي بني عليها الرد على كل من الفريقين .

هـ - الإحتجاج بالقدر وبيان معنى حديث فحج آدم موسى

١- بطلان الإحتجاج بالقدر

إن من رحمة الله تعالى بعباده أنه وهبهم العقل ليميزوا به الضار من النافع والخير من الشر وأرسل إليهم الأنبياء والرسل ليدلوهم على طريق السعادة ويحذروهم من طريق الشقاوة ، وقد بين الله تعالى لهم طريق الفوز والخسران ، فأمرهم بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم ، وجعل لكل منهم حرية الإختيار في العمل والترك ، مرتباً حسابهم على ما قدموا لأنفسهم من خير أو شر دون أن يظلم عزوجل أحداً منهم مثقال ذرة .

وهذه الحرية في العمل يحس ويُقّربها كل ذي عقل رشيد وفطرة سليمة . ولايجحدها إلا كل مكابر عنيد. يشهد لهذه الحقيقة الخالدة ما أخبربه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح أنه(مامن ميت إلا ويرى مكانه في الجنة أو النار، فإن كان من أهل الجنة يقال له انظر إلى يسارك هذا مقعدك من النار لوعصيت الله، وإن كان من أهل النار يقال له انظر إلى يمينك هذا مقعدك من الجنة لو اطعت الله)(٢). فكل إنسان جعل الله له مكاناً في الجنة وآخر في النار وهو سيدخل أحدهما حسب ما قدمت يداه كما قال تعالى ﴿**أدْخُلُوا الجَنَّةَ بما كنتم تَعملُون**﴾(٣) في خطابه لأهل السعادة وقال عن أهل الشقاوة ﴿**وما ظَلمْناهم ولكنْ كانوا أنفسَهم**

---

١) انظر المواقف في علم الكلام ص ٣٠٢.

٢) رواه أحمد بهذا اللفظ ٢٩٦/٤ وأصل الحديث في البخاري في ك الجنائز باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ٢٨٦/٣ برقم ١٣٧٩ وابن ماجه بنحو لفظ البخاري في ك الزهد باب ذكر القبر والليل ١٤٢٧/٢ برقم ٤١٧٠.

٣) سورة النحل آية ٣٢.

يَظلِمُـــون﴾ (١) إلى غير ذلك من النصوص الصريحة الكثيرة ، فلا يجوز إذاً لأحد أن يحتج بالقدر لأنه تعالى لم يجبر أحداً من عباده على العمل بل جعل لهم حرية الإختيار ، وقد علم عزوجل أزلا ما سيكون من خلقه فكتبه عليهم فهو واقع كما علمه وكتبه ، فمن استحق منهم العقاب أو الثواب فبسبب ما قدمت أنفسهم وجزاء بما عملوا .

ا - رد القاضي عياض على المحتجين بالقدر

ردّ القاضي عياض - رحمه الله - على من احتج بالقدر بقوله (إن الله لم يزل عالماً من يطيعه فيدخل الجنة ومن يعصيه فيدخل النار ، وليس استحقاق من استحق منهم الجنة أو النار من أجل سابق علمه فيه ودلائل(٢) عليه ، ولا أجبر عليه تعالى أحداً منهم للعمل الموجب لذلك من طاعة أو معصية ، تعالى الله جل جلاله تقدم فيهم علمه وإرادته بما هم عاملون ، وما هم صائرون إليه قبل أن يخلقهم وبعد خلقهم وقال في أهل الجنة **﴿جزاءً بما كانوا يَعْمَلُون﴾**(٣) وفي أهل النار **﴿جزاءً بما كانُوا بآياتنا يَجْحَدون﴾**(٤) و**﴿ليَجْزيَ الذين أساؤوا بما عَملوا ويَجْزيَ الذين أحسنُوا بالحُسنى﴾**(٥) فأخبر أن ثوابه وعقابه على أعمالهم ، وكل ذلك في سابق علمه ، فمن يرحمه فبرحمته وهدايته وتيسيره ، وخذلان من خذله منهم بعصيانه وكفره ، فأمر تعالى ونهى ليطيع المطيع فيدخل الجنة ، أو يعصي العاصي فيدخل النار ، ابتلاء منه تعالى عباده لينظر كيف يعملون وليبلوهم أيهم أحسن عملا ، وليقيم حجته على خلقه بأمره ونهيه وتيسيره لهم سبل هداه أو ضلالته ، وقد بين ذلك لهم كما قال تعالى **﴿فأما مَنْ أعطى واتقَى﴾﴿وصدَّقَ بالحُسنى﴾﴿فَسَنُيَسِّرُه لليُسرى * وأما مَنْ بَخِلَ واستغْنَى * وكَذَّبَ بالحسنى * فسنُيَسِّره للعُسْرى﴾**(٦) ولم يضطر أحداً منهم إلى عمل ذلك لأنه يسقط عنهم اللوم والحجة فهو تعالى العدل الذي لا يحيف)(٧).

---

١) سورة النحل آية ١١٨.

٢) هكذا في المخطوط ولعل المراد بها (وحجة عليه).

٣) سورة السجدة آية ١٧، والأحقاف آية ١٤، والواقعة آية ٢٤.

٤) سورة فصلت آية ٢٨.

٥) سورة النجم آية ٣١.

٦) سورة الليل الآيات من ٥ - ١٠.

٧) إكمال المعلم ٦/٦١ - ٦٢.

ب - الرد على المحتجين بالقدر

إن من يحتج بالقدر فحجته داحضة ، ومَنْ اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول ، ولو كان الإحتجاج بالقدر مقبولا لقبل من إبليس وغيره من العصاة ، ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب الله أحداً من الخلق لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولا أقيم حدّ على صاحب جريمة ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ولا جوهد في سبيل الله ، ولو كان الإحتجاج بالقدر مقبولا للزم أن يكون إبليس وفرعون وقوم نوح وكل من اهلكه الله بذنوبه معذوراً ، ولما كان هناك فرق بين أولياء الله وأعداء الله ، ولابين المؤمنين والكفار وأهل الجنة وأهل النار ، ولايخفى معتقد ذلك ، قال الله تعالى **﴿أمْ حَسِبَ الذين اجتَرحُوا السيئات أن نجعلَهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهُمْ ومماتُهمْ ساءَ ما يحكمُون﴾**(١) وقال تعالى **﴿لايستويْ أصحابُ النارِ وأصحابُ الجنة أصحابُ الجنة همُ الفائزون﴾**(٢) وقال أيضاً **﴿أم نجعلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمُفسدينَ في الأرضِ أم نجعلُ المتقينَ كالفُجَّار﴾**(٣) إلى غير ذلك من الآيات .

لذا من أصر على الإحتجاج بالقدر على فعل المعاصي وترك الواجبات، زاعماً أنه لا قدرة له على العمل ولا فائدة منه ، لأن الشقى قد كتب شقياً وهو في بطن أمه والسعيد كذلك كان - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٤) - أكفر من اليهود والنصارى فإن هؤلاء يؤمنون بالأمر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب ، لكن حرّفوا وبدّلوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى **﴿إن الذين يكفُرونَ بالله ورُسُلِه ويريدون أن يُفرِّقوا بينَ اللهِ ورُسُله ويقولون نُؤمنُ ببعضٍ ونكفُر ببعضٍ ويريدون أن يتَّخذوا بين ذلك سَبيلا * أولئكَ همُ الكافرونَ حقاً وأعتَدْنا للكافرين عذاباً مهيناً * والذينَ آمنوا بالله ورُسُله ولم يفرِّقوا بينَ أحدٍ منهم أولئكَ سوف يُؤتيهمْ أجورَهمْ وكان اللهُ غفوراً رحيماً﴾**(٥) فإذا كان من آمن ببعض وكفر ببعض كافراً حقاً فكيف بمن كفر بالجميع ، ولم يقر بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده بل ترك ذلك محتجاً بالقدر ، فهو أكفر ممّن آمن ببعض وكفر ببعض، وهذا القول ظاهر البطلان .

---

١) سورة الجاثية آية ٢١.

٢) سورة الحشر آية ٢٠.

٣) سورة ص آية ٢٨.

٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٦٢/٨- ٣٦٤.

٥) سورة النساء الآيات ١٥٠- ١٥٢.

٢ - بيان معنى حديث فحج آدم موسى:

قد يستدل المحتجون بالقدر على فعل المعاصي بالحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ حيث قال «احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم : ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، فقال رسول الله فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثاً» متفق عليه(١) .

والحديث ليس فيه حجة للذين يحتجون بالقدر على القبائح والمعايب ، فإن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وموسى لم يلم أباه على ذنب تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه ، وإنما وقع اللوم من موسى على المعصية التي أخرجت آدم وأولاده من الجنة ، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعايب -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أئمة السلف-(٢) فموسى لام آدم من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بسبب فعله، ولم يلمه على المعصية نفسها ، ولهذا قال لآدم أخرجتنا من الجنة ولم يقل لماذا خالفت الأمر وعصيت الله ؟ لأن الناس مأمورون بالتسليم للقدر عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم كما قال تعالى **﴿ما أصاب من مصيبةٍ إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾**(٣) قال ابن مسعود(٤) - رضي الله عنه -: (هو الرجل تصيبه فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم)(٥) ، وقال سبحان مادحاً عباده الصابرين **﴿وبشّر الصابرين * الذينَ إذا أصابتْهمْ مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعونَ * أولئك عليهم صلواتٌ منْ ربهمْ ورحمةٌ وأولئك همْ المهتدون﴾**(٦) .

وأما من أذنب فليس له أن يحتج بالقدر بل الواجب عليه أن يستغفر

---

١) رواه البخاري في ك القدر باب تحاج آدم موسى عند الله ٥١٣/١١ برقم ٦٦١٤ ومسلم في ك القدر باب حجاج آدم موسى ٢٠٤٢/٤-٢٠٤٣ برقم ٢٦٥٢.

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣١٩/٨ وشفاء العليل ص ٣٥ وشرح الطحاوية ص ٩٤ وفتح الباري ٥١٨/١١.

٣) سورة التغابن آية ١١.

٤) تقدمت ترجمته ص١٠٧.

٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣١٩/٨.

٦) سورة البقرة الآيات ١٥٥- ١٥٧.

ويتوب كما قال تعالى ﴿فاصبرْ إنَّ وعدَ اللهِ حقّ واسْتَغفِر لذنْبِك﴾(١) فأرشد سبحانه إلى الصبر في المصائب والإستغفار من الذنوب والمعايب.

وقد قيل في بيان غلبة آدم لموسى لأن موسى لام أباه بعد أن مات واللوم إنما يتوجه على المكلف مادام في دار التكليف ، فإن الأحكام جارية عليهم فيلام العاصي ويقام عليه الحد والقصاص وغير ذلك . وأما بعد أن يموت فقد ثبت النهي عن سب الأموات لأن مرجعهم إلى الله ، وقد ثبت أنه ﷺ تُثّنى العقوبة على من أقيم عليه الحد ، وإذا كان كذلك فلوم موسى لآدم إنما وقع بعد انتقاله عن دار التكليف وثبت أن الله قد تاب عليه فسقط عنه اللوم فلذلك عدل إلى الإحتجاج بالقدر السابق، وقيل: لما تاب الله على آدم صار ذكر ما صدر منه إنما هو كالبحث عن السبب الذي دعاه إلى ذلك فأخبر هو أن الأصل في ذلك القضاء السابق فلذلك غلب موسى بالحجة (٢).

وقال بعض العلماء إنما غلب آدم موسى بالحجة لأن موسى علم في التوراة أن الله تاب عليه فكان لومه على ذلك نوع جفاء، كما يقال ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء، ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتى كأنه لم يكن فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ محلا(٣).

رأي القاضي عياض في ذلك:

رأى القاضي عياض أن غلبة آدم موسى بالحجة ، لأن موسى قد علم بالتوراة أن الله قدّر على آدم أن يأكل من الشجرة فيخرجه الله من الجنة إلى الأرض ليكون له نسل فيها وأبناء سعداء وأشقياء ، وأن الله قد شاء ذلك كله وأراده فلم يكن ذلك منه بُدٌ، وهذا إنما كان لتقرير الله إخراجه من الجنة وإرادته ذلك تعالى ، ولو شاء الله لم يخرج آدم من الجنة ولا فعل سبب خروجه من الجنة ، لم يكن من ذلك شيء ، ولكن لما كان لابد من كونه ، كان لابد من خروجه عليه السلام من الجنة وتحقق سببه الموجب لذلك ، فإذا كان موسى قد علم هذا من التوراة ففيم اللوم ؟ قال : وهذا سر القدر الذي أمرنا بالإمساك عنه فهذا وجه في غلبة آدم بحجته موسى، وأيضاً فإن اللوم على الذنب شرعي وليس للعبد فيه مجال، وإذا تاب الله على آدم وغفر له ورفع اللوم عنه فمن لام فيه فمحجوج

---

١) سورة غافر آية ٥٥.

٢) انظر فتح الباري ١١/٥١٨- ٥١٩ وشرح النووي لصحيح مسلم ١٦/٢٠٣.

٣) فتح الباري ١١/٥١٩.

شرعاً(١) .

قلت: رأي القاضي عياض ههنا جيد ، لأن مضمونه أن آدم قد احتج بابتلاء الله له بالمصيبة التي قدرها عليه ، وهي خروجه من الجنة -بسبب معصيته لله- إلى الأرض التي خلقه الله للسكن فيها كما قال تعالى **﴿وإذْ قال ربكَ للملائكة إنّي جَاعِلٌ في الأرضِ خليفةً قالوا أتَجْعَلُ فيها من يُفسدُ فيها ويَسفكُ الدماءَ ونحن نُسبِّح بحمدِك ونقدّسُ لك قال إني أعلمُ مالا تعلمون﴾**(٢) ، فوجود آدم في الجنة إذاً كان مؤقتاً إلى أجل ولم يكن دائماً ، وخروجه منها كان لحكمة بالغة من الله ألا وهي وجود ذرية له صالحة سعيدة و أخرى طالحة شقية ، وهذا لن يتأتى لو بقي آدم في الجنة فقوله لموسى (اصطفاك الله بكلامه) كأن فيه -كما قال ابن حجر(٣) - إشارة إلى أن موسى قد اطلع على عذر أبيه وعرفه بالوحي فلو استحضر ذلك مالامه مع وضوح عذره ، وفيه إشارة أيضاً إلى الفضل الذي حصل لموسى بسبب خروج أبيه من الجنة ألا وهو اصطفاء الله له وتكليمه إياه وإرساله لفرعون وغير ذلك ، فكأنه قال له ، لو لم يقع إخراجي الذي رتب على أكلي من الشجرة ما حصلتْ لك هذه المناقب لأني لو بقيت في الجنة واستمر نسلي ، ماوجد من تجاهر بالكفر الشنيع بما جاهر به فرعون حتى أرسلت أنت إليه وأعطيت ما أعطيت ، فإذا كنتُ أنا السبب في حصول هذه الفضائل لك فكيف يسوغ لك أن تلومني ؟.

و - الآجال هل تتقدم أو تتأخر :

١- رأي القاضي عياض في ذلك

يرى القاضي عياض أن لكل مخلوق أجلا يموت فيه لا يتقدم عنه ولا يتأخر وأن المقتول مات بأجله الذي قتل فيه ولم يقطع القاتل عليه الأجل كما يزعم المعتزلة (٤) ، ويرى عدم الخوض في الإفتراضات التي يفترضها بعض

---

١) إكمال المعلم ٦/٦٤-٦٥.

٢) سورة البقرة آية ٣٠.

٣) انظر فتح الباري ١١/٥٢٠.

٤) زعم المعتزلة - إلا من شذ منهم - أن المقتول مات بغير أجله الذي ضرب له ، وأنه لو لم يقتل لعاش وحيي ، فجعلوا العباد قادرين على أن ينقصوا ما أجله الله ووقته ولو جاز ذلك لجاز أن يزيدوا في أجل مِنْ قضى الله له أجلا محدوداً،ولذا قال أكثرهم المقتول ميت وفيه معنيان أحدهما موت من فعل الله والثاني هو من فعل القاتل واحتجوا ببعض الآيات التي ظنوا أنها توافق مذهبهم كقوله تعالى ﴿ وما يُعَمَّر من مُعَمَّرٍ ولا يُنْقَصُ من عُمْرِه إلا في كتاب﴾ سورة فاطر آية ١١، ولاشك بأن قولهم هذا باطل لا يلتفت إليه لمخالفته الكتاب والسنة وجماهير السلف وأما معنى=

المتكلمين في قضية المقتول ، كقولهم هل المقتول لو لم يقض الباري عزوجل عليه الأجل بالقتل يزيد أجله ؟ وماذا يكون شأنه ؟ فيقول : إن هذه التساؤلات لاجدوى منها ولا وجه للتشاغل بها، بل يجب إحالة أمرها إلى الله عزوجل فإنه تعالى يعلم ما كان ومايكون وما لم يكن كيف يكون، ونحن لا نعلم كل ما هو كائن ، فكيف نعلم ما يكون ؟! ولأنه عزوجل قد علم أن لكل مخلوق أجلا سيموت فيه وقد قدّره له تعالى وكتبه عليه وعلمه سبحانه وتعالى لايتغير ولايتبدل(١) .

٢ - موافقته لمنهج السلف في هذا الأمر

إن الذي قرره القاضي عياض موافق لمذهب السلف الصالح ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - المقتول كغيره من الموتى لا يموت أحد قبل أجله ولا يتأخر أحد عن أجله ، بل سائر الحيوانات والأشجار لها آجال لا تتقدم ولا تتأخر، فإن أجل الشيء هو نهاية عمره ، وعمره مدة بقائه ، فالعمر مدة البقاء والأجل نهاية العمر بالإنقضاء ، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال «قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»(٢) وثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : «كان الله ولم يكن شيءٌ قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض - وفي لفظ - ثم خلق السموات والأرض»(٣) وقد قال تعالى ﴿فإذا جاءَ أجلُهم لا يستأخِرونَ ساعةً ولا يَستقدِمُون﴾(٤) والله يعلم ماكان قبل أن يكون، وقد كتب ذلك فهو يعلم أن هذا يموت بالبطن أو ذات الجنب أو الهدم أو الغرق أو غير ذلك من الأسباب وهذا يموت مقتولا إما بالسم وإما بالسيف ، وإما بالحجر وإما بغير ذلك ، وعلم الله بذلك وكتابته له مشيئته وخلقه لكل شيء لا يمنع المدح والذم والثواب والعقاب ، فالقاتل بحق كالمجاهد في سبيل الله يثاب ويمدح والقاتل بغير حق يقتص منه

=الآية: فالراجح عند المحققين أن المراد بالمعمر جنس المعمر الذي هو مطلق الشخص فيصدق بالذي لم ينقص من عمره وبالذي نقص من عمره ، فصار المعنى لايزاد في عمر شخص ولا ينقص من عمر شخص إلا في كتاب. انظر مجموع الفتاوى شيخ الإسلام ١٤/٤٩٠ ودفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطي ص ٢٤٦ .

١) انظر إكمال المعلم ٦/٩٦.

٢) تقدم تخريجه ص ١٠٨.

٣) رواه البخاري في ك بدء الخلق باب ما جاء في قوله تعالى ﴿ وهو الذي يَبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهونُ عليه﴾ ٦/٣٣٠- ٣٣١ برقم ٣١٩١.

٤) سورة الأعراف آية ٣٤ وسورة النحل آية ٦١.

ويذم(١).

٣ - معنى الزيادة في العمر الواردة في الحديث لمن وصل رحمه

جاء في الحديث المتفق عليه(٢) أن رسول الله ﷺ قال «من سره أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في(٣) أثره فليصل رحمه».

وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - في معنى هذه الزيادة في العمر المذكورة في هذا الحديث :

١- فقال بعضهم : المراد بها البركة فيه بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة العبد وقته بما ينفعه في الآخرة وحصول القوة في الجسد لأن صلة الأقارب صدقة ، والصدقة تربّي المال وتزيد فيه فينمو ويزكو، لأن أجل المرء مكتوب عليه وهو في بطن أمه فلا يزيد ولا ينقص .

٢- وقال بعضهم : المراد بالزيادة في العمر نفي الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله .

٣- وقيل المراد بقاء ذكره الجميل بعد الموت فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم.

٤- وزعم بعضهم أن المراد بذلك قلة البقاء في البرزخ .

٥- وقال بعضهم إن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر ، أما العلم الأول الذي دل عليه قوله تعالى **﴿فاذا جاءَ أجلُهم لا يستأخرون ساعةً ولا يَستقْدِمُون﴾**(٤) فذلك بالنسبة إلى علم الله، كأن يقال للملك مثلا : إن عمر فلان مائة سنة إن وصل رحمه وستون إن قطعها ، وقد سبق في علم الله أنه سيصل أويقطع ، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقصان وإليه الإشارة بقوله تعالى **﴿يَمحُو اللهُ ما يشاءُ ويُثبتُ وعنده أمُّ الكتاب﴾**(٥) فالمحو والإثبات بالنسبة

---

١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٨/٥١٦-٥١٧.

٢) رواه البخاري في ك البيوع ٤/٣٥٣ برقم ٢٠٦٧ وفي ك الادب ١٠/٤٢٩ برقم ٥٩٨٥ ومسلم في ك البر والصلة باب صلة الرحم وتحريم قطعها ٤/١٩٨٢ برقم ٢٥٥٧.

٣) ينسأ بضم أوله وسكون النون بعدها أي يؤخر له ، والأثر هنا الأجل وسمي كذلك لانه يتبع العمر أو لانه تابع للحياة في أثرها كما قال الشاعر زهير

المرء ما عاش ممدود له أمل   لاينقضي العمر حتى ينتهي الأثر ،

انظر فتح الباري ٤/٣٥٣ وشرح النووي لمسلم ٦/١١٤.

٤) سورة الأعراف آية ٣٤، وسورة النحل آية ٦١.

٥) سورة الرعد آية ٣٩.

لما في علم الملك، وما في أم الكتاب فهو في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة ويقال له القضاء المبرم ويقال للأول القضاء المعلق، والحكمة من ذلك إبلاغ المكلف ليعلم فضل البر وشؤم القطيعة(١) .

رأي القاضي عياض في معنى الزيادة في العمر ههنا

اختار القاضي - رحمه الله - الرأي الأخير من الأقوال السابقة فقال عند شرحه للحديث الآنف الذكر (هذا على ما سبق به العلم والقدر أي أنه إن وصل رحمه فأجله كذا وإن لم يصل فكذا ، وفي علم الله أنه لابد له من أحد الحاليتن على ما سبق في أم الكتاب ، وهذا مثل ما ثبت من السعادة والشقاوة مع تكليف العمل والطاعة والنهي عن المعصية وقد سبق للعبد في أم الكتاب ما سبق من سعادة أو شقاوة ولذلك قال العامل ففيم العمل يارسول الله ؟! فقال عليه الصلاة والسلام «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»(٢)، وهذا هو الوجه الصحيح في الحديث(٣) .

الرأي الراجح في المسألة

يظهر - والله أعلم - أن الرأي الأخير الذي إختاره عياض في زيادة العمر هو الراجح المختار ، لأن الحديث لا يتعارض مع الآية الكريمة التي تنص على أن الأجل إذا جاء لا يزيد ولا ينقص لمن تأمل ذلك،فالله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ لكل عبد أجله الذي لايتغير ولا يتبدل ، وعلم من سيصل رحمه ممن يقطعها فكتب له الأجل على ما قد سبق به علمه الذي لايعتريه شك البتة، فالأجل ينتهي كما قدره الله عزوجل فإن كان العبد واصلا للرحم زيد له في عمره كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ وإن كان قاطعاً للرحم لم يزد له في أجله .

فإن الأجل نوعان - كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية(٤) -رحمه الله - (أجل مطلق) يعلمه الله (وأجل مقيد) يوضحه حديث «من سره أن يبسط

---

١) انظر فتح الباري ٣٥٣/٤-٣٥٤ و ٤٣٠/١٠ وشرح صحيح مسلم ١١٤/١٦-١١٥، وشرح الطحاوية ص ٨٩-٩٢.

٢) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه ص١٣٢.

٣) إكمال المعلم ٤٣/٦ وانظر شرح صحيح مسلم ١١٤/١٦.

٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥١٧/٨.

له في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه»(١) فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلا وقال: إن وصل رحمه زدته كذا كذا، والملك لا يعلم أيزاد أم لا لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر فاذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر.

ح - حكم تمني الموت وعلاقته بالقضاء والقدر

إن المؤمن بالله عزوجل وقضائه وقدره يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطأه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فهو يسلم أمره لله تعالى على ما ينزل به من مصائب وكروب وغيرها ويوقن أن ذلك ابتلاء من الله له وامتحان لتكفير السيئات ورفع الدرجات، لأنه يعلم أن ربه عزوجل لايقدر لعبده المؤمن إلا الخير، وهو سبحانه يعلم -وحده- ما يصلح ويتناسب لأولياءه المؤمنين، من سراء وضراء يوصلهم لهذا الخير العظيم الذي هم عاجزون عن إدراك كنهه وأسبابه، لضعفهم وجهلهم كما قال تعالى ﴿**وعسى أن تَكرهُوا شيئاً وهو خيرٌ لكمْ وعسى أن تُحبوا شيئاً وهو شر لكم واللهُ يعلمُ وأنتم لا تعلمون**﴾(٢).

لذا كان موقف المؤمن بالقضاء والقدر أنه يزداد شكراً إنْ حلّت به نعمة وفضل، ويزداد صبراً إن نزلت به مصيبة أو فقر ويسلم لله امره فيجد عندئذ حلاوة الايمان في قلبه وقد أشار ﷺ إلى حالة المؤمن هذه وأمتدحها بقوله «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»(٣).

لذا نهى الرسول ﷺ المؤمن وكره له أن يتمنى الموت إن حلت به مصيبة أو بلاء، لأن في ذلك نوع اعتراض ومراغمة للقضاء والقدر وتقصيراً بواجب الصبر على البلاء الذي أمرنا الله به ورسوله. فقد قال ﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنياً للموت فليقل اللهم أحيني ماكانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» متفق عليه(٤).

١ - رأي القاضي عياض في حكم تمني الموت

بين القاضي عياض - رحمه الله - حكم تمني الموت فأجازه إذا كان لضرر

---

١) متفق عليه وقد تقدم تخريجه.

٢) سورة البقرة آية ٢١٦.

٣) تقدم تخريجه ص ١١١.

٤) رواه البخاري في كتاب المرضى باب تمني الموت ١٠/١٣٢ برقم (٥٦٧١) ومسلم في ك الذكر باب كراهية تمني الموت لضر نزل به ٤/٢٠٦٤ برقم ٢٦٨٠.

ديني ومنعه إذا كان لضرر دنيوي فقال عند شرحه للحديث المتقدم: (في هذا الحديث كراهية الدعاء بالموت في حاله وجوازه في أخرى ، ففيه أولا كراهية الدعاء للعلة التي ذكر ﷺ من الضر ويحتمل أن يكون من جراء فاقة أو محنة من عدو وشبه ذلك من المضار، لأنه إنما يدعو به ههنا بمعنى الضيق والضجر والسخط لما قدر الله ، وأمالو كان لضر ديني يخشاه فمباح وعليه يدل قوله ﷺ في آخر الحديث «وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي» وقد قال عليه الصلاة والسلام «وإذا أردت بالناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون(١)»)(٢).

٢- رأي أهل السنة في حكم تمني الموت والدعاء به أو بغيره من الأمور

لقد نص العلماء(٣) - رحمهم الله - أنه يجوز للمرء أن يدعو بالموت ويتمناه إذا خشي على نفسه فتنة في دينه أو ضرراً فقد فعل ذلك جماعة من السلف الصالح - رحمهم الله - منهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد قال (اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيِّع ولا مفرِّط)(٤)، أما تمني الموت لسبب ضر دنيوي من نزول مصيبة أو فقر أو مرضى أو غير ذلك فإنه لا يجوز كما جاء النهي عن ذلك في الحديث الذي تقدم معنا ، لما في ذلك من نوع الإعتراض على القضاء والقدر وعدم التسليم لله تعالى في ذلك .

فاتضح بما ذكرت حكم تمني الموت وعلاقة هذا الأمر بالقضاء والقدر. وبقي أن أشير هنا إلى أنه لم يشرع لنا الدعاء بتغيير الأعمال لأنها قد قدرت وفرغ منها إذ لافائدة من ذلك ، ولذا أنكر النبي ﷺ على زوجته أم حبيبه(٥)

---

١) رواه الترمذي في ك التفسير ومن تفسير سورة ص ٣٤٢/٥ برقم ٣٢٣٣ وذكره مالك في المؤطأ بلاغاً في ك القرآن باب العمل في الدعاء ١٩٠/١ برقم ٤٠ .

٢) إكمال المعلم ٧٤/٦ .

٣) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٨/١٦ وفتح الباري ١٣٣/١٠ .

٤) فتح الباري ١٣٣/١٠ .

٥) هي أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، تزوجها النبي ﷺ قبل إسلام أبيها أبي سفيان صخر بن حرب وذلك بعد وفاة زوجها عبيد الله بن جحش الأسدي الذي هاجر معها إلى الحبشة فمات مرتداً هناك، فأرسل النبي ﷺ إلى النجاشي يخطبها فأصدقها من عنده أربعمائة (٤٠٠) دينار فلما بلغ أباها ذلك قال ذلك الفحل (يعني ﷺ) لا يقرع أنفه، أي كفء كريم لايرد، روت رضي الله عنها أكثر من ستين حديثاً،وهي أقرب زوجاته ﷺ نسباً إليه لأنها ابنة عمه، وهي أكثر نسائه صداقاً والوحيدة التي تزوجها وهي نائية الدار عنه، كان لها رضي=

-رضي الله عنها- عند ما قالت (اللهم متعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وأخي معاوية فقال لها ﷺ «قد سألت الله تعالى لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئاً قبل أجله ، ولن يؤخر شيئاً عن أجله ، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل»(١).

ولهذا كان الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - يكره أن يدعي له بطول العمر ويقول هذا أمر قد فرغ منه(٢).

أما الدعاء بغير طول العمر، مثل طلب الوقاية من عذاب النار والفوز بالجنة وغير ذلك مما فيه الخير في الدنيا والآخرة وليس فيه اعتداء أوإثم أو قطيعة رحم ، فإنه مشروع ومرغب فيه لأنه من أنواع العبادة ، فقد قال النبي ﷺ « الدعاء هو العبادة»(٣) وأخبر عليه الصلاة والسلام أن القدر لا يرده إلا الدعاء فقال «لايرد القدر إلا الدعاء ، ولايزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»(٤).

وقد ذم الله عزوجل ورسوله التاركين لهذه العبادة - الدعاء- فقال تعالى **﴿وقالَ ربُكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يَستكبرون من عبادتي سَيدْخُلون جهنمَ دَاخِرين﴾**(٥). وقال رسول الله ﷺ «من لم يسأل الله يغضب عليه»(٦).

وقد صدق الشاعر المسلم حيث قال :

=الله عنها حرمة وجلالة ولا سيما في دولة أخيها معاوية ولمكانه منها قيل له خال المؤمنين، توفيت سنة (٤٢ هـ) انظر ترجمتها في الاستيعاب ٢٩٦/٤-٢٩٩ والإصابة ٢٩٨/٤.

١) رواه مسلم في ك القدر باب بيان أن الأرزاق والآجال لاتزيد ولا تنقص ٢٠٥٠/٤ برقم ٢٦٦٣ وأحمد ٣٩٠/١، ٤١٣.

٢) شرح الطحاوية ص ٩١.

٣) رواه أحمد ٢٧١/٤ وأبو داود في ك الصلاة باب الدعاء ٦١/٢ برقم (١٤٧٩)، والترمذي في ك تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة ١٩٤/٤ برقم (٢٩٦٩) وقال حديث صحيح، وابن ماجه في ك الدعاء باب فضل الدعاء ١٢٥٨/٢ برقم (٣٨٢٨) والحاكم ١٩٤/١ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

٤) رواه أحمد ٢٧٧/٥، ٢٨٠، ٢٨٢ والترمذي في ك القدر باب ماجاء لايرد القدر إلا الدعاء ٣٩٠/٤ برقم ٢١٣٩ وابن ماجه في ك الفتن باب العقوبات ١٣٣٤/٢ برقم ٤٠٢٢ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٠/٦ برقم ٧٥٦٤.

٥) سورة غافر آية ٦٠.

٦) رواه الترمذي في ك الدعوات باب (٢) ٤٢٦/٥ برقم ٣٣٧٣ وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٣٠٤/٢ برقم ٢٤١٤.

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبُني آدم حين يسأل يغضبُ

وأحب أن أنبه - أخيراً إلى أني لم أجد للقاضي عياض كلاماً بهذا الصدد سوى تنبيهه أن الدعاء من أنواع العبادة التي أمرنا الشارع الحكيم بها - كما سيأتي ذكره لاحقاً إن شاء الله في توحيد العبادة - من غير أن يذكر شيئاً مما أشرت إليه فيما سبق .

ط - حكم أولاد المسلمين والمشركين ممن مات صغيراً

في ختام الحديث عن مسائل القضاء والقدر، أود أن أتكلم عن حكم من مات من أولاد المسلمين والكافرين دون سن البلوغ، لما لهذا الموضوع من صلة وثيقة بما نحن بصدده منبهاً في الوقت نفسه إلى رأي القاضي عياض في ذلك ، وأبدأ أولا بالكلام عن أولاد المسلمين .

١- حكم أولاد المسلمين

اختلف العلماء رحمهم الله في حكم من يموت من أطفال المسلمين .

١- فذهب جماهير أهل العلم إلى أنهم في الجنة ، وهو الراجح للأدلة البينة التي سأذكرها.

٢- وتوقف فيهم بعض العلماء لحديث عائشة(١) - رضي الله عنها - قالت : دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت : يارسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، قال : « أو غير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لهاوهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم وهم في أصلاب آبائهم»(٢).

---

١) هي أم المؤمنين وحبيبة رسول الله وزوجته، وبنت أبي بكر الصديق أم عبد الله، أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالادب والدين، والمبرأة من فوق سبع سماوات، ولدت رضي الله عنها بمكة قبل الهجرة وتزوجها رسول الله ﷺ وهي في السادسة من عمرها، ودخل بها وهي في التاسعة في السنة الثانية من الهجرة، كانت من أذكى نساء العالمين حفظت لامة محمد ﷺ كثيراً من أمور دينها، وكان فقهاء الصحابة يرجعون إليها في المعضلات والمسائل، وهي من أكثر الصحابة رواية لحديث رسول الله ﷺ، فضائلها كثيرة جداً من أشهرها أن القرآن نزل ببراءتها من قصة الافك، مكثت مع رسول الله ثمانية أعوام وخمسة أشهر توفيت سنة (٥٧ هـ وقيل ٥٨) انظر ترجمتها في الاستيعاب ٣٥٦/٤، تذكرة الحفاظ ٢٧/١ والاصابة ١/٤.

٢) رواه مسلم ك القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٢٠٥٠/٤ برقم ٢٦٦٢ وأحمد ٤٠٨،٤١/٦ وابن ماجه في المقدمة باب (١٠) ٣٢/١ برقم ٨٢ وغيرهم .

الراجح في المسألة

والرأي الأول هو الراجح والصحيح وعليه المعوّل عند المحققين من أهل العلم(١) للأدلة الكثيرة، ومنها :

١- قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه(٢) «ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم» واللفظ للبخاري .

٢- وقوله ﷺ أيضاً في الحديث المتفق عليه(٣) كذلك عن أبي سعيد الخدري (٤) - رضي الله عنه - أن النساء قلن للنبي ﷺ اجعل لنا يوماً فوعظهن وقال « أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً من النار» فقالت امرأة: واثنين واثنين فقال «واثنين واثنين واثنين».

٣- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن امرأة أتت النبي ﷺ بصبي لها فقالت : يانبي الله أدع الله له فلقد دفنت ثلاثة ، قال : «دفنت ثلاثة ؟!» قالت نعم ، قال : «لقد احتظرت(٥) بحظار شديد من النار»(٦).

لذا يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : أن من يكون سبباً في حجب النار عن أبويه أولى بأن يحجب هو لأنه أصل الرحمة وسببها(٧).

وقد وردت أحاديث تصرح بدخول صغار المسلمين الجنة ممن مات ، ومن ذلك،

٤- مارواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلا جاءه فقال له : إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟!

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٢٧٨/٤، ٢٨١، ٣١٠، وشرح النووي لصحيح مسلم ٢٠٧/١٦ وفتح الباري ١٤٩/٣.

٢) رواه البخاري في ك الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسب ١٤٢/٣ برقم (١٢٤٨) ومسلم في ك البر والصلة باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ٢٠٢٩/٤ برقم ٢٦٣٤.

٣) رواه البخاري في ك الجنائز باب فضل من مات له ولد فاحتسب ١٤٢/٣ برقم (١٢٤٩) ومسلم في ك البر والصلة باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ٢٠٢٩/٤ برقم ٢٦٣٣.

٤) هو الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك بن سنان الخزرجي، من سادات الأنصار استصغر بأحد فلم يشهدها وشهدها أبوه، ثم شهد ما بعدها، كان رضي الله عنه من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ،فقد روى أكثر من ألف ومائة حديثاً توفي سنة ٦٤ هـ وقيل غير ذلك/ انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١١ وأسد الغابة ٢٨٩/٢-٢٩٠، والإصابة ٣٢/٢-٣٣.

٥) يعني امتنعت بمانع وثيق فأصل الحظر المنع ، وأصل الحِظار - بكسر الحاء وفتحها - ما يجعل حول البستان وغيره من قضبان وغيرها كالحائط، انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٨٢/١٦.

٦) رواه مسلم في ك البر والصلة باب فضل من مات له ولد فيحتسبه ٢٠٣٠/٤ برقم ٢٦٣٦.

٧) فتح الباري ٢٨٨/٣.

فقال نعم . قال رسول الله ﷺ «صغارهم دعاميص(١) الجنة يتلقى أحدهم أباه -أو قال أبويه- فيأخذ بثوبه -أو قال بيده - كما آخذ أنا بصَنفة(٢) ثوبك هذا فلا يتناهى - أو قال فلا ينتهي - حتى يدخله الله وأباه الجنة»(٣).

٥- وجاء رجل إلى النبي ﷺ ومعه ابن له فقال : «أتحبه ؟!» قال أحبك الله كما أحبه، فمات الطفل ففقده رسول الله فسأله عنه فقال لأبيه : «ما يسرك أن لا تأتي باباً من أبواب الجنة إلا وجدته عنده يسعى يفتح لك»(٤).

وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - عمن مات من أطفال المسلمين فقال : (ليس فيهم اختلاف(٥) إنهم في الجنة وإنما اختلفوا في أطفال المشركين) وقال غير مرة (واحد يشك أنهم في الجنة ؟ ثم أملى الأحاديث في ذلك(٦) .

ولهذا قال الإمام النووي رحمه الله (أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفاً ، وتوقف فيه بعض من لايعتد به لحديث(٧) عائشة وأجاب العلماء بأنه لعله ﷺ نهانا عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص(٨) - رضي الله عنه - في قوله لرسول الله ﷺ : أعطه إني

---

١) واحدها دُعموص - بضم الدال - أي صغار أهلها ، وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لاتفارقه ، أي أن هذا الصغير في الجنة لايفارقها ، انظر شرح صحيح مسلم ١٨٢/١٦ .

٢) بصَنِفة - بفتح الصاد وكسر النون · وهو طرفه ويقال لها أيضاً صنيفة انظر شرح صحيح مسلم ١٨٢/١٦ .

٣) رواه مسلم في ك البر والصلة باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ٢٠٢٩/٤ برقم ٢٦٣٥ .

٤) رواه النسائي في ك الجنائز باب الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة ٣٢٢/٤ - ٣٥٣ برقم ١٨٦٩ قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٢١/٣ إسناده صحيح .

٥) قلت كلام الإمام أحمد محمول - والله أعلم - على إجماع من يعتد بقولهم من الجمهور وإلا فقد حصل فيهم اختلاف كما بينت .

٦) انظر أحكام أهل الملك للخلال ، مخطوط ص ٣٦ نقلا عن المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ١٧٠/١ .

٧) تقدم ص ١٤٧ .

٨) هو الصحابي الجليل أبو إسحاق، سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتاً ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد الستة أهل الشورى الذين سماهم عمر رضي الله عنه ليختار منهم خليفة من بعده، كان رضي الله عنه رأس من فتح العراق وولى الكوفة في عهد عمر وعثمان ثم عزله فعاد إلى المدينة وكان مستجاب الدعوة بدعوة رسول الله ﷺ له وفضائله كثيرة ، توفي سنة (٥٥ هـ) على خلاف في ذلك انظر ترجمته في أسد الغابة ٢٩٠/٢ والإصابة ٣٣١/٢ .

لأراه مؤمناً قال (أو مسلماً) الحديث(١) ، ويحتمل أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك في قوله «ما من مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»(٢). وغير ذلك من الأحاديث.

رأي القاضي عياض في أطفال المسلمين

وافق القاضي عياض جماهير العلماء في كون أطفال المسلمين في الجنة فقال : وجمهور العلماء أن أطفال المؤمنين ممن يموتون صغاراً هم في الجنة ، وهو الصحيح لأنهم ليسوا مكلفين ، ووقف فيهم بعض العلماء(٣).

حكم أولاد الأنبياء ممن مات صغيراً

أما من مات من أولاد الأنبياء وهو صغير فإنهم في الجنة بإجماع المسلمين كما حكى ذلك غير واحد من العلماء(٤) - رحمهم الله - ومنهم القاضي عياض .

٢- حكم من مات من أطفال المشركين

اختلف العلماء - رحمهم الله - اختلافاً كبيراً فيمن مات من أطفال المشركين على عشرة أقوال :

١- أنهم في النار(٥)، وبه قالت طائفة من أهل الحديث وروى ذلك عن الإمام أحمد، لكن شيخ الإسلام ابن تيمية نفى ذلك عنه وقال هذا غلط عليه(٦).

٢- وقالت طائفة إنهم في الجنة(٧) ، وقد نصر هذا المذهب جماعة من العلماء منهم الإمام النووي - رحمه الله - حيث قال (وهو الصحيح المختار

---

١) رواه البخاري في ك الإيمان باب ١٩ إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ١/٩٩- ١٠٠ برقم ٢٧ ومسلم في ك الزكاة باب إعطاء من يخاف على إيمانه ٢/٧٣٢-٧٣٣ برقم ١٥٠.

٢) تقدم تخريجه ص١٤٨

٣) انظر إكمال المعلم ٦/٦٧.

٤) انظر إكمال المعلم ٦/٦٧ وشرح صحيح مسلم ١٦/١٨٣ وفتح الباري ٣/٢٨٨ .

٥) انظر الإعتقاد للبيهقي ص ٧٤ وطريق الهجرتين لابن القيم ص ٣٨٩ وشرح النووي لصحيح مسلم ١٦/٢٠٨ وفتح الباري ٣/٢٩٠.

٦) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤/٣٠٣.

٧) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤/٣٠٣ وطريق الهجرتين ٣٩١ وشرح النووي لصحيح مسلم ١٦/٢٠٨ وفتح الباري ٣/٢٩٠.

الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى ﴿وما كُنَّا مُعذبِين حتى نَبعَثَ رَسُولاً﴾(١) وإذا كان لايعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة ، فلأن لايعذب غير العاقل من باب أولى ، ولحديث إبراهيم الخليل ﷺ حين رآه النبي ﷺ في الجنة وحوله أولاد الناس قالوا يارسول الله وأولاد المشركين قال : «وأولاد المشركين» رواه البخاري(٢) في صحيحه واحتج كذلك بغيره من الأحاديث(٣) .

٣- وقالت طائفة إنهم تحت مشيئة الله يجوز أن يعمهم الله بعذاب وأن يعمهم برحمته، أو يرحم بعضهم ويعذب بعضهم بمحض الإرادة والمشيئة له تعالى(٤).

٤- وقال جماعة من أهل العلم : إن حكمهم حكم آبائهم في الدنيا والآخرة فلا يفردون عنهم بحكم في الدارين فكما هم منهم في الدنيا فهم منهم في الآخرة ، والفرق بين هذا المذهب وبين من يقول أنهم في النار ، أن صاحب هذا المذهب يجعلهم تبعاً لهم حتى لو أسلم الأبوان بعد موت أطفالهما لم يحكم لأولادهما بالنار ، بخلاف من يقول إنهم في النار لكونهم ليسوا بمسلمين ، وهذا قول طائفة من الخوارج(٥).

٥- وقالت طائفة : إنهم خدم أهل الجنة ومماليكهم(٦) مستدلين بحديث « أولاد المشركين خدم أهل الجنة»(٧).

٦- ورأى جماعة من المفسرين وغيرهم أنهم في منزلة بين المنزلتين بين الجنة والنار ، فإنهم ليس لهم حسنات يدخلون بها الجنة، ولا لآبائهم فوز حتى يلحق بهم أطفالهم تكميلا لثوابهم ، وليس للأطفال سيئات يدخلون بها النار فهم أصحاب الأعراف(٨).

---

١) سورة الإسراء آية ١٥.

٢) رواه البخاري في ك الجنائز باب (٩٣) ٣/٢٩٥ برقم ١٣٨٦ بدون سؤال الصحابة عن أولاد المشركين وقوله ﷺ وأولاد المشركين.

٣) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٦/٢٠٨.

٤) انظر الاعتقاد للبيهقي ص ٧٣ وطريق الهجرتين ص ٣٩٤ وفتح الباري ٣/٢٩٠.

٥) انظر طريق الهجرتين ص ٣٩٤ مع تعليق ابن القيم على هذا المذهب ، وانظر فتح الباري ٣/٢٩٠.

٦) طريق الهجرتين ص ٣٩٤ وفتح الباري ٣/٢٩٠.

٧) رواه الطبراني في الأوسط ٣/٣٠ برقم ٢٠٦٦، ٢٩٩٦ . وهو حديث ضعيف كما قال ابن القيم وابن حجر انظر المرجعين السابقين ومجمع الزوائد ٧/٢١٩.

٨) طريق الهجرتين ص ٣٩٣ وقد قال ابن القيم عن هذا الرأي إن أريد بأن مستقرهم هكذا فهذا القول باطل ، وإن أريد بأنهم يكونون هكذا مدة ثم يقضي فيهم فجائز ، وانظر أيضاً فتح الباري ٣/٢٩٠.

٧- وقيل: إنهم يصيرون ترابا(١) ، وبه قالت فرقة من المعتزلة(٢) .

٨- وقال جماعة من العلماء : إنهم يمتحنون في عرصات القيامة ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من لم تبلغه الدعوة ، فمن أطاع الرسول دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار وهو قول جماعة من السلف(٣) .

٩- ورأى جماعة الإمساك عن هذا الموضوع فكرهوا أن يتكلم فيه ، وهو مذهب بعض السلف(٤) .

١٠- وذهب جماعة إلى الوقف فيهم وترك الشهادة بأنهم في الجنة أو في النار ، بل يوكل علمهم إلى الله ويقال: الله أعلم بما كانوا عاملين ، لايَجزي سبحانه على علمه بما سيكون حتى يكون فيمتحنهم يوم القيامة ويمتحن سائر من لم تبلغه الدعوة، فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار(٥) .

وقد رجح المحققون من أئمة السلف كشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره هذا المذهب فقد قال : إنه أجود ما قيل في أطفال المشركين لأنه جواب رسول الله ﷺ عند ما سئل عنهم فقال «الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين»(٦)، وعليه تتنزل جميع الأحاديث وعلى معنى هذا الحديث يحتمل قوله ﷺ «إذا كان يوم القيامة فإن الله يمتحنهم ويبعث إليهم رسولا في عرصة القيامة ، فمن أجابه أدخله الله الجنة ومن عصاه أدخله الله النار»(٧) ، فهنالك يظهر فيهم ماعلمه الله ويجزيهم على ما ظهر من العلم وهو إيمانهم أو كفرهم لا على مجرد العلم،وهذا أجود ماقيل في أطفال المشركين وعليه تتنزل جميع الأحاديث(٨).

---

١) فتح الباري ٢٩٠/٣-٢٩١.

٢) هي فرقة الثمامية نسبة إلى ثمامة بن أشرس ، انظر الملل والنحل للشهرستاني ص٧١.

٣) فتح الباري ٢٩٠/٣-٢٩١.

٤) فتح الباري ٢٠١/٣.

٥) الحجة في بيان المحجة ٣٩/٢ وطريق الهجرتين ص ٣٨٧ وفتح الباري ٢٠١/٣ وشرح النووي لصحيح مسلم ٢٠٨/١٦.

٦) رواه البخاري في ك الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ٢٨٩/٣ برقم (١٣٨٣) ومسلم في ك القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٢٠٤٩/٤ برقم ٢٦٦٠.

٧) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول كما في الدر المنثور ٤/ ١٦٩

٨) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٤٦/٤ - ٢٤٧و ٢٨١و ٣٠٣ و٣١٢، ٣٧٣/٢٤-٣٧٤ ودرء تعارض العقل والنقل ٤٣٥/٨-٤٣٦ وانظر أيضاً الإعتقاد ص ٧٣ وطريق الهجرتين ص ٣٩٦ - ٤٠٢ وتهذيب سنن أبي داوود ٨٧/٧ وتفسير ابن كثير ٣٠/٣-٣١.

الراجح في المسألة :

ويبدو - والله أعلم - أن هذا الرأي هو الأقرب للصواب ، حيث إنه يمكن جمع النصوص عليه كما نبه إلى ذلك شيخ الإسلام ولهذا ذكر الإمام الأشعري أنه القول المشهور لأهل السنة والجماعة واختاره وبه قال عدد من الصحابة والتابعين وأهل الفقه والحديث(١).

رأي القاضي عياض في أطفال المشركين

ذهب القاضي عياض إلى عدم القطع بشيء من الآراء المتقدمة في حكم أطفال المشركين نظراً لاختلاف ظواهر الأحاديث في شأنهم . إلا أنه مال إلى من يرى بأنهم يمتحنون بنار في الآخرة لأنه يحصل بذلك الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الشأن،فقد قال -رحمه الله- : (اضطرب العلماء فيهم والأحاديث وردت ظواهرها مختلفة واختلاف هذه الظواهر سبَّب اضطراب العلماء في ذلك ، فمنهم من توقف فيهم،ومنهم من قال هم في النار مثل آبائهم ومنهم من قال يمتحنون،ومنهم من قال هم في الجنة ، والقطع هنا يبعد وقد تُأجَّجُ لهم نار ويقال لهم اقتحموها فيكون من عصى ولم يقتحمها هو المراد بقوله ﷺ «لو شئت اسمعتك تضاغنهم في النار»(٢) وبقوله «مع آبائهم»(٣) ويكون قوله ﷺ « الله أعلم بما كانوا عاملين»(٤) يشير إلى عملهم إيذاناً من الإقتحام أو الإحجام)(٥).

---

١) انظر الإبانة ص ٣٣، وانظر أيضاً المراجع السابقة .
٢) عند سؤاله ﷺ عن أطفال المشركين والحديث رواه أحمد ٢٠٨/٦.
٣) رواه أحمد ٤١٠/٥.
٤) متفق عليه وقد تقدم تخريجه .
٥) إكمال المعلم ٦٧/٦.

الفصل الثالث : (منهج القاضي عياض في توحيد الألوهية)

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريفه وتضمنه لأنواع التوحيد الأخرى، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريفه وأدلته

المطلب الثاني: تضمنه لأنواع التوحيد الأخرى

المبحث الثاني : مكانة توحيد الألوهية وعناية القاضي عياض به وفيه مطلبان:

المطلب الأول : مكانته

المطلب الثاني : عناية القاضي عياض به.

المبحث الثالث : العبادة وذكر شيء من أنواعها وفيه مطلبان:

المطلب الأول : معنى العبادة وشروطها

أ- معنى العبادة لغة وشرعاً

ب- شروط صحة العبادة وتنبيه القاضي عياض عليها

المطلب الثاني : ذكر جملة من أنواع العبادة التي ذكرها القاضي عياض

أولا- المحبة

١- ذكر بعض الأدلة على وجوب محبة الله ورسوله

٢- تفسير القاضي لمعنى محبة العبد لله ولرسوله و الرد عليه في ذلك

ثانياً- الدعاء

١- بعض الأدلة على أنه عبادة

٢- إستحباب الصلاة على النبي ﷺ قبل وبعد الدعاء

ثالثاً- التوبة

١- معناها وشروطها وحكمها

٢- بعض الأدلة على أنها عبادة

رابعاً - التوكل

١- بعض الأدلة على أنه عبادة

٢- أهمية ومعنى التوكل عند القاضي عياض

٣- حقيقة مذهب الصوفية في التوكل وبطلانه

٤- الرأي الراجح في معنى التوكل

٥- هل الخوف ينافي التوكل

٦- لايجوز الإعتماد على الأسباب ولا نفيها

خامساً- الخوف والرجاء

١- أهمية الخوف والرجاء

٢- الرد على من يزعم أنه يعبد الله لذاته لا خوفاً من ناره ولا رجاء في جنته

٣- متى يغلب الخوف ومتى يغلب الرجاء

سادساً- النذر

١- ذكر بعض الأدلة على أنه عبادة

٢- أقسام النذر وحكم الوفاء بكل منها

٣- هل في نذر المعصية كفارة

٤- نهي النبي ﷺ عن النذر

٥- خطر النذر لغير الله

المبحث الرابع : التوسل وأنواعه وموقف القاضي عياض منه وفيه مطلبان:

المطلب الأول : معنى وأنواع التوسل

أ- معنى التوسل لغة وإصطلاحاً

ب- أنواع التوسل : ١- أنواع التوسل المشروع ٢- أنواع التوسل المذموم

المطلب الثاني : رأي القاضي عياض في التوسل

أ- رأيه في التوسل بأسماء الله وصفاته

ب- رأيه في التوسل بذات النبي ﷺ ومناقشته في ذلك

المبحث الخامس : التبرك وموقف القاضي عياض منه وفيه مطلبان:

المطلب الأول : معنى التبرك وأنواعه

أ- معنى التبرك وحقيقته

ب- أنواع التبرك: ١- أنواع التبرك المشروع ٢- أنواع التبرك المذموم

المطلب الثاني : موقف القاضي عياض من التبرك

أ- موافقته للسلف في جواز التبرك بذات النبي ﷺ في حال حياته

ب- تأثره بالصوفية في تجويزه التبرك بمواضعه ﷺ وبآثار المدينة وتقبيل ذلك ومناقشته في هذا الأمر

المبحث الأول : تعريف توحيد الألوهية وتضمنه لأنواع التوحيد:

المطلب الأول: تعريفه وأدلته:

أ- **تعريفه** : هو الإعتقاد الجازم بأن الله هو المستحق وحده لجميع أنواع العبادة، مع القيام بصرف ذلك له وحده لاشريك له ظاهرها وباطنها، لا يجعل فيها شيء لغيره لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما ، فهذا التوحيد مبني على إخلاص العبادة لله بحيث لايكون شيء منها لغيره ، لأن من صرف شيئاً لغير الله فقد أشرك كما قال تعالى ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصينَ له الدين**﴾(١) وقال عزوجل ﴿**قل إنَّ صلاتي ونُسكي ومَحْيَايَ ومماتِيْ لله رب العالمين * لاشريكَ له وبذلكَ أمرتُ وأنـــا أوَّلُ المسلميـــن**﴾(٢) .

ب- **أدلته** : لقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على وجوب إفراد الله عزوجل بجميع أنواع العبادة وتنوعت أساليبها في ذلك ، فتارة تأتي النصوص لبيان أن هذا الأمر هو المقصود من خلق الجن والإنس ، وتارة تأتي لبيان أنه المقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وأخرى تأتي للأمر به والحث عليه والتحذير من مخالفته ، وتارة لبيان ثواب من عمل به وعقاب من تركه. وعلى هذا فإن النصوص الواردة في الكتاب والسنة لا تخلوا جميعها من ذكر هذا النوع والإشارة إليه. ومن هذه الأدلة :

١- قول تعالى في أول أمر في كتابه العزيز ﴿**يا أيها الناسُ اعبُدوا ربَكم الذي خلقَكمْ والذين من قبلِكُمْ لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماءَ بناءً وأنْزَلَ مِنَ السماء ماءً فأخرجَ به من الثمراتِ رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾(٣).

٢- وقوله تعالى أيضاً ﴿ **وقَضَى ربُكَ ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً** ﴾(٤).

٣- وقوله عزوجل كذلك ﴿ **واعبُدوا اللهَ ولاتُشْرِكُوا به شيئاً** ﴾(٥).

---

١) سورة البينة آية ٥.

٢) سورة الانعام آية ١٦٢-١٦٣.

٣) سورة البقرة آية ٢١-٢٢.

٤) سورة الإسراء آية ٢٣.

٥) سورة النساء آية ٣٦.

٤- وقوله سبحانه ﴿ **وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبُدُون**﴾(١).

٥- وقوله تعالى أيضاً ﴿**وما أرسلنا منْ قبلِك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنّه لاإله إلا أنا فاعبدون**﴾(٢).

٦- وقوله عزوجل أيضاً ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمّةٍ رسولا أن اعبُدوا الله واجتنبوا الطاغُوْت**﴾(٣) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا الأمر .

وأما النصوص الواردة في السنة النبوية والتي تدل على توحيد الألوهية فهي كثيرة أيضاً منها :

١- قوله ﷺ لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - لما أرسله إلى اليمن: "إنك تقدم قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لاإله إلا الله -وفي رواية- إلى أن يوحدوا الله ... الحديث" متفق عليه(٤) .

٢- ومنها أيضاً حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : "أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد؟ وماحق العباد على الله ؟" قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لايعذب من لايشرك به شيئاً" متفق عليه(٥) .

المطلب الثاني: تضمن توحيد الألوهية لأنواع التوحيد الأخرى

إن توحيد الألوهية متضمن لجميع أنواع التوحيد ، ومعنى كونه متضمناً لها بمعنى أنها داخلة فيه ، فهو متضمن لتوحيد الربوبية ، لأن من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً لزمه أن يعتقد أن الله هو ربه ومالكه لارب غيره ولا إله سواه، فالمؤمن يعبد الله لاعتقاده أن أمره كله بيده عزوجل، وأنه سبحانه هو الذي يملك نفعه وضره والمستحق للعبادة دون سواه، ولذلك أنكر عزوجل على المشركين في كثير من الآيات الكريمة عبادتهم ماسواه مما لا يملك ضراً ولا نفعاً له ولا لغيره فقال ﴿ **قُلْ أتَعبُدونَ مِنْ دونِ اللهِ مالايملِكُ لكم ضَراً ولا**

---

١) سورة الذاريات آية ٥٦.

٢) سورة الأنبياء آية ٢٥.

٣) سورة النحل آية ٣٦.

٤) رواه البخاري في ك التوحيد باب ماجاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله ٣٥٩/١٣ برقم (٧٣٧٢) ومسلم في ك الايمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الاسلام ٥٠/١ برقم ١٩.

٥) رواه البخاري في ك التوحيد باب ماجاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله ٣٥٩/٣ برقم (٧٣٧٣) ومسلم في ك الايمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ٥٨/١ برقم ٣٠.

نَفْعاً والله هو السميع العليم ﴾[1] وقال ﴿ **والذين يَدْعُون من دون الله لايَخْلُقون شيئاً وهم يُخْلَقون * أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يشعُرون أيّان يُبعَثون**﴾[2]، وقال تعالى أيضاً ﴿ **ويعبدون من دونِ الله مالا يَملِكُ لهم رِزْقاً منَ السموات والأرضِ شيئاً ولا يَستَطيعون**﴾[3] ، فهذه الآيات تبين أن الآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لاتستحق العبادة، لأنها لاتملك لنفسها ولا لغيرها شيئاً من النفع والضر، بل هي مخلوقة لله تعالى الذي بيده وحده الخلق والرزق والإحياء والإماتة والضر والنفع وغير ذلك. فهو عزوجل المستحق للعبادة وحده .

كما أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الأسماء والصفات، لأن من اخلص العبادة لله وحده لزمه أن يعتقد أن الله واحد في أسمائه وصفاته لاشبيه له فيها ولا نظير، وأنه عزوجل متصف بها كما يليق بجلاله.

المبحث الثاني : مكانة توحيد الألوهية وعناية القاضي عياض به.

المطلب الأول : مكانته:

إن لتوحيد العبادة مكانة عظمى ومنزلة عليا في الإسلام ، لأنه رأس الدين وأساسه، وأوله وآخره ، وظاهره وباطنه ، وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول (لا إله إلا الله) فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة ، ولأجل هذا التوحيد خُلقت الخليقة وأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار ، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار ، فهذا التوحيد هو السبب في منع الخلود في النار لصاحبه إذا كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل ، وإذا كمل منع دخول النار بالكلية ، وهو السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، فـ «إن أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبله » كما صح بذلك الحديث الشريف[4] ، وهو السبب الأعظم لتفريج الهموم والكربات في الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما ، وهو الذي يحرر العبد من رق المخلوقين

---

1) سورة المائدة آية ٧٦.

2) سورة النحل آية ٢٠-٢١.

3) سورة النحل آية ٧٣.

4) رواه البخاري في ك العلم باب الحرص على الحديث ٢٣٣/١ برقم (٩٩) وأخرجه أيضاً برقم (٦٥٧٠) ورواه أحمد في مسنده ٣٧٣/٥ بلفظ (شفاعتي لمن يشهد أن لاإله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه).

والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم ، وهذا هو الشرف العالي والعز الحقيقي أن يكون المرء عبداً لله وحده لايخشى سواه متحرراً من عبودية ما عداه ، وهذا التوحيد يحصل به أيضاً الهدى الكامل والأمن التام لصاحبه في الدنيا والآخرة ، وعلى هذا التوحيد يتوقف قبول جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ، فبه يجد العبد في قلبه حلاوة الإيمان وكره الكفر والفسوق والعصيان ، وبسببه يضاعف الثواب للأعمال والأقوال، ففضائله كثيرة لايمكن حصرها، ومكانته عالية لا يتسع المجال للحديث المفصل عنها، وحسبه شرفاً أن (كل سورة في القرآن الكريم بل كل آية فهي داعية إليه شاهدة به متضمنة له - كما قال الشيخ سليمان(١) بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب - رحمهم الله - لأن القرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو توحيد الربوبية وتوحيد الصفات فذاك مستلزم لهذا متضمن له ، وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، أو أمر بأنواع من العبادات ونهي عن المخالفات فهذا هو توحيد الإلهية والعبادة ، وهو مستلزم للنوعين الأولين متضمن لهما أيضاً ، وإما إخبار عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من الوبال فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد ، وهذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه كما قال النبي ﷺ "بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم

---

١) هو المحدث الفقيه الحافظ المجتهد تاج عصره، حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، ولد بالدرعية بضواحي الرياض سنة ١٢٠٠ هـ وتتلمذ على والده الشيخ عبد الله والشيخ حمد بن معمر وغيرهما كثير وأجازه الشيخ الشوكاني، برع في كثير من العلوم مثل التفسير والفقه والحديث والتوحيد، وكان آية في الحفظ والعلم والحلم والذكاء، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر لاتأخذه في الله لومة لائم فأكرمه الله بالشهادة حيث وشىبه بعض المنافقين إلى إبرهيم باشا عندما غزا الدرعية، فأحضره وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظة له،ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر جنده بأن يطلقوا عليه الرصاص جميعاً فمزقوا جسده وذلك سنة ١٢٣٣ هـ، رحمه الله رحمة واسعة ، انظر عنوان المجد في تاريخ نجد ٢١٢/١-٢١٣، والاعلام ١٢٩/٣.

رمضان وحج البيت» رواه البخاري(١) ومسلم(٢)، (٣) ، فأخبر أن دين الإسلام مبني على هذه الأركان الخمسة ، وهي الأعمال فدل على أن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بفعل المأمور وترك المحظور ، والإخلاص في ذلك لله . وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة ، فيجب إخلاصها لله تعالى ، فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في شيئ منها فليس بمسلم»(٤).

المطلب الثاني : عناية القاضي عياض بتوحيد الألوهية

لقد عُني القاضي عياض عناية كبيرة بتوحيد الألوهية، فبين أهميته العظمى بكونه أساس الإسلام وأعظم أركانه العظام ، وأنه سبيل السعادة والنجاة في الدارين ، منبهاً إلى أنه قد فضّلت سور وآيات لتضمنها لهذا التوحيد ، مشيراً إلى ما يناقضه من أمور، وما يدخل فيه من أنواع العبادة المختلفة .

أ - فعن مكانة هذا التوحيد في الإسلام يقول عند شرحه لقوله تعالى: ﴿إنني أنا اللهُ لا إله إلا إنا فَاعبُدْني﴾(٥)(هذه كلمة التوحيد التي هي مناط السعادة الأبدية، ومفتاح الخزائن العلمية وسر البعثة النبوية، ظاهرها إيمان ثم إيقان ، وباطنها تحقق وعيان، وثمرتها في الظاهر وقاية المال والنفس، وفي الحقيقة سعادة النفس، وهي جامعة الأقوال وبها كمال خاتمة الأعمال ، فهي أول الأقوال، مفتاحها إلى باب السعادات وآخر الأعمال التي بها الوصول إلى الخيرات كما قال ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على

---

١) تقدمت ترجمته ص ١٢٩.

٢) هو الامام الكبير، الحافظ المجود والحجة أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صاحب الصحيح الذي يعتبر مع صحيح البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله،تتلمذ على الامام البخاري وأبي بكر بن أبي شيبة وأبي زرعة الرازي وغيرهم كثير، وأخذ عن الامام أحمد وجلة من المحدثين، اشتهر بشدة الذكاء والحفظ والتقى ولد سنة (٢٠٦ هـ) على الصحيح وتوفي سنة (٢٦١ هـ) انظر ترجمته في الجرح والتعديل ١٨٢/٨ وطبقات الحفاظ ص ٢٦٠ وسير أعلام النبلاء ٥٥٧/١٢.

٣) رواه البخاري في ك الايمان باب دعاؤكم إيمانكم ٤٩/١ برقم (٨) ومسلم في ك الايمان باب بيان أركان الإسلام ٤٥/١ برقم ١٦ بمعناه.

٤) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب ص ٣٨ - ٣٩.

٥) سورة طه آية ١٤.

الله»(١) «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٢)، وقد ورد في فضلها والتنبيه على شرفها وجامعيتها مالا يحصى كثرة ولا يبلغ قدره،وقد أجمعت الأمة إجماعاً علم من دين الإسلام ضرورة أن من قال بعد بلوغه بلسانه مطابقاً لقلبه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فهو مسلم مؤمن، مسلم بنطقه مؤمن باعتقاده)(٣).

ب- وعن **تفضيل بعض السور والآيات لتضمنها للتوحيد** : يقول -يرحمه الله -: (إعلم أن الرسول ﷺ قد نص على سور وآي من القرآن وخصصها بمزيد خير كقوله ﷺ «إن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»(٤) وقوله في آية الكرسي «إنها سيدة آي القرآن»(٥) وقوله في يس «إنها قلب القرآن»(٦) وهي أخبار صحيحة، وإنما جاء التفضيل من جهة متعلق الكلام والمعنى المفهوم منه لامن جهة نفس الكلام ، وإلا فجميعه كلام الله وصفاته القديمة ، فالذي يقتضي التوحيد منه أفضل وأشرف مما يقتضي ذكر الكفار وأحوالهم، من الطبع على القلب وإثبات الكفر والجهل لهم، وغير ذلك من جهة متعلق الكلام لا من حقيقته في نفسه ، وقد خصص رسول الله ﷺ ما ذكرناه من الآي والسور تنبيهاً على عظم متعلقاتها وشرف المعنى المفهوم منه، لأن آية الكرسي وقل هو الله أحد إنما مقتضاهما توحيد محض وإخبار للخلق بصفة الألوهية التي لا تنبغي إلا لله جل جلاله، وخصت سورة يس بأنها قلب القرآن لإشتمالها على جملة معاني القرآن إجمالا لا تفصيلا من ذكر التوحيد والمعاد والقصص وغير ذلك)(٧) .

---

١) تقدم تخريجه ص ٨٩ .

٢) رواه أحمد ٢٣٣/٥ وأبو داود في الجنائز باب في التلقين ٤٨٦/٣ برقم ٣١١٦ وهو حديث صحيح كما قال الألباني في صحيحه الجامع ٣٤٢/٣ برقم ٦٣٥٥ وأخرجه مسلم بمعناه في ك الايمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ٥٥/١ برقم ٤٣.

٣) منهاج العوارف ص ١٦٩-١٧٠.

٤) رواه البخاري في ك فضائل القرآن باب فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ٦٧٥/٨ برقم ٥٠١٣ ومسلم في ك صلاة المسافرين باب فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ٥٥٦/١ برقم ٨١١.

٥) رواه مسلم في ك صلاة المسافرين باب فضل آية الكرسي ٥٥٦/١ برقم ٨١٠ والترمذي في ك فضائل القرآن باب ماجاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ١٤٥/٥ برقم ٢٨٧٨.

٦) رواه أحمد في المسند ٢٦/٥.

٧) منهاج العوارف ص ١٠٦-١٠٧.

ج- وعن **حماية الرسول ﷺ لجناب التوحيد لله تعالى** نبَّه القاضي عياض عند حديثه عن قوله ﷺ: "لا يقل أحدكم عبدي و أمتي وليقل فتاي وفتاتي"(١) فيقول : (إنما نهى ﷺ عن ذكر لفظ العبودية المحضة ، إذ العبودية حقيقة لله وحده ، ولفظ الفتوة مشترك للملك ولفتاء السن، و الفتى مقصور معناه: الشاب ، و الفتاة ممدودة بمعنى الشباب كما قال تعالى ﴿**وقال لفتيَانه اجعلوا بضاعتَهم في رِحَالِهم**﴾(٢) أي وقال لعبيده)(٣).

قلت: إنما نهى النبي ﷺ عن قول (عبدي و أمتي) للملوك حماية لجناب التوحيد لله تعالى فقد كان عليه الصلاة و السلام شديد الحرص على ذلك، ولأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله وحده ، ولأن في قول السيد لمملوكه (عبدي و أمتي) تعظيم لا يليق بالمخلوق، وقد بين ﷺ العلة في ذلك كما جاء في رواية أخرى "لا يقولن أحدكم عبدي و أمتي و لايقولن المملوك ربي وربتي وليقل المالك فتاي وفتاتي ، وليقل المملوك سيدي وسيدتي فإنكم المملوكون و الرب الله عزوجل"(٤) ، فهذه علة له ، فأرشد ﷺ إلى ما يؤدي المعنى مع السلامة من الإيهام و التعاظم وقول مالا ينبغي .

ومن شدة حرصه ﷺ على جناب التوحيد غضبه على الرجل الذي قال : ماشاء الله وشئت فقال له عليه الصلاة و السلام " أجعلتني لله نداً بل ماشاء الله وحده":(٥) فهذا القول ونحوه مما جرى على ألسنة الناس كقولهم ما لي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ونحو ذلك ، هذا من الشرك بالله في الألفاظ وهو شرك أصغر كما نبه على ذلك علماء السلف رحمهم الله(٦)، فيجب على العبد تجنبها ، وإذا كان لابد فليقل ما شاء الله ثم شئت ومالي إلا الله ثم أنت، لأن الواو تفيد الترتيب والتعقيب بخلاف (ثم) فهي تفيد الترتيب على

---

١) رواه البخاري في ك العتق باب كراهية التطاول على الرقيق ٢١٠/٥ برقم ٢٥٥٢ ومسلم في ك الألفاظ من الأدب، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد ١٧٦٤/٤ برقم ٢٢٤٩.

٢) سورة يوسف آية ٦٢.

٣) مشارق الانوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ١٤٦/٢.

٤) رواه أبو داود بإسناد صحيح في ك الأدب باب لايقول المملوك ربي وربتي ٢٥٦/٥- ٢٥٧ برقم ٤٩٧٥ وأحمد ٤٤٤/٢،٤٩٦.

٥) رواه أحمد ٢١٤/١،٢٢٤،٢٨٣،٣٤٧، والبخاري في الأدب المفرد برقم ٧٨٣ والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٩٩٥ وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٣٩ وتحذير الساجد ص ١٥٨ وكذا حسنه الشيخ أشرف عبد المقصور في تخريجه لفتح المجيد ص ١٠٧ طبع مؤسسة قرطبة.

٦) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٦٠١-٦٠٢.

التراخي ، فإذا كان النبي ﷺ ينهانا عن مثل هذا النوع من الشرك في الألفاظ وينكره أشد الإنكار مع أنه لا يخرج من الملة، فهو ﷺ أعظم إنكاراً ونهياً وأشد خوفاً علينا من الوقوع بالشرك الأكبر الذي لاينفع صاحبه معه عمل. وهذا منه ﷺ رحمة وشفقة بأمته وحرصه على التوحيد وحماية منه لجنابه لئلا يخلط ماهو حق للمخلوق بما هو حق الله تعالى.

د - ومن عناية القاضي بتوحيد الألوهية **تنبيهه إلى أن التوحيد نور والشرك والكفر ظلمات** :

فقد قال عند شرحه لقوله عزوجل ﴿ **الله وليُّ الذين آمَنوا يُخرجُهم مِنَ الظلمات إلى النور**﴾(١) (المراد به ظلمات الكفر والجهل بالله والشرك به ، والمراد بالنور نور العلم والإيمان والتوحيد ، فكأن الجهل والكفر ظلام وموت كما قال تعالى ﴿**أوَمَنْ كان مَيْتاً فأحييناه وجعَلْنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثلَهُ في الظلمات ليس بخارج منها**(٢) ﴾(٣).

وقد صدق القاضي - والله - فإنه لايوجد هناك أظلم وأعظم إجراماً ممن أشرك بالله ولم يفرده بالعبادة والرغبة والرهبة وغير ذلك ، ولذلك كان الشرك بالله الذنب الذي لا يغفره الله أبداً كما قال تعالى ﴿ **إن الله لايغفرْ أنْ يُشركَ به ويَغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء**﴾(٤).

وقد وضح القاضي عياض عدداً من أنواع العبادة التي لايجوز صرفها لغير الله وذكر ما يخرج من الملة من الأعمال والأقوال والإعتقادات - كما سيأتي توضيح ذلك لا حقاً -إن شاء الله - وهذا منه إهتمام بهذا التوحيد فرحمه رحمة واسعة.

المبحث الثالث : العبادة وذكر شيء من أنواعها

المطلب الأول : معنى العبادة وشروطها

بعد أن ذكرت معنى توحيد الألوهية وأهميته في الإسلام ونبهت إلى عناية القاضي عياض به،أبدأ الحديث بالكلام عن معنى العبادة والشروط الواجب توفرها لتكون مقبولة عند الله،ومن ثم أذكر جملة من العبادات التي ذكرها

---

١) سورة البقرة آية ٢٥٧.
٢) سورة الأنعام آية ١٢٢.
٣) منهاج العوارف ص ٢٠٨.
٤) سورة النساء آية ٤٨ وآية ١١٦.

القاضي عياض ونبه عليها.

أ- معنى العبادة : ١- العبادة في اللغة

العبادة في اللغة الخضوع و الذل و الطاعة و الإنقياد ، يقال عبد الله عبودية إذا خضع له وذلّ وإنقاد له و أطاعه ، و التعبيد التذليل ، يقال عبّد الطريق وعبّد البعير أي ذلّله ، و التعبيد أيضاً الإستعباد وهو أن يتخذه عبداً يقال تعبّد اللهَ أي انفرد بالعبادة له ، وتعبد فلاناً أي اتخذه عبداً ودعاه للطاعة ، و العابد الموحّد ، وجمعه عبدة وعُبَّد وعباد ، و العبد: الرقيق ، و الإنسان حراً كان أو رقيقاً لأنه مربوب لله عزوجل وجمعه : عبيد وعُبد وعبدان و أعبد، فالعبادة إذاً : هي الخضوع للإله على وجه التعظيم(١).

٢- العبادة شرعاً

عرف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بتعريف جامع مانع فقال (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال و الأعمال الظاهرة و الباطنة)(٢).

وضرب لذلك بعض الأمثلة بقوله (فالصلاة و الزكاة و الصيام و الحج، وصدق الحديث وبر الوالدين وصلة الرحم، و الوفاء بالعهود و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الجهاد للكفار و المنافقين، و الدعاء و الذكر و القراءة، و الإحسان للجار و اليتيم و المسكين وغيره، و أمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله وخشيته تعالى و الإخلاص له و الإنابة إليه، و الصبر لحكمه و الشكر لنعمه و الرضا بقضائه و التوكل عليه، و الرجاء لرحمته و الخوف من عذابه ... و أمثال ذلك هي من العبادة)(٣).

فهذا التعريف كما ترى يدخل فيه جميع أنواع العبادة، ويشمل أوامر الإسلام جميعها واجبها وسننها ومستحبها، كما يشمل ترك النواهي ، وهو يبين خطأ تصور كثير من الناس الذين يفهمون أن العبادة مقتصرةعلى المباني الخمسة للإسلام ، فتعريف شيخ الإسلام للعبادة دقيق وجامع مانع فريد يدل على سعة فقهه وعلمه رحمه الله وطيب ثراه و أدخله جنات عدن.

---

١) انظر الصحاح للجوهري ٥٠٢/٢ والقاموس المحيط ص ٣٧٨ والمعجم الوسيط ٥٧٩/٢.

٢) العبودية لشيخ الإسلام ص ٣٨ وانظر تفسير ابن كثير ٢٧/١ فقد فسّر العبادة بنحو ذلك.

٣) المرجع السابق ص ٣٨.

٣- الحب والذل ركنا العبادة

ينبغي أن يعلم أن للعبادة ركنين أساسيين متى فقد أحدهما أو كلاهما لم يوصف العبد بها ، ولم تكن عبادته حقيقية وهذان الركنان هما : المحبة والذل ، ولذا لا يسمى الإنسان عبداً للشيء وإن خضع له وذلّ حتى يحبه ، لأن المألوه المعبود هو المحبوب المطاع، فكل عبادة لله فهي محبوبة له كما بين شيخ الإسلام - رحمه الله - في تعريفه السابق ، لذا كان من أدى العبادة بدون محبة لله عزوجل فيها فلا يطلق عليها اسم العبادة وبالتالي فلا تقبل منه، لأن من شرط العبادة أن تكون بغاية الحب مع غاية الذل لله تعالى ، لأن الحب الخَلي عن الذل والذل الخلي عن الحب لايكون عبادة ، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين ولهذا كانت العبادة لاتصلح إلا لله عزوجل وحده(١).

فأهل التوحيد هم الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لاشريك له ، وأهل الشرك هم الذين اتخذوا من دونه أولياء في هذه المحبة وغيرها من أنواع العبادات ، ولهذا كان جماع القرآن الكريم هو الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عما يضاد هذه المحبة ولوازمها من ضرب الأمثال والقصص وغير ذلك(٢).

ب - شروط صحة العبادة:

إن العبادة أياً كان نوعها وأياً كانت صفتها لاتقبل من فاعلها إلا بشرطين، فإن عدما أو عدم أحدهما فلن تقبل بل يكون صاحبها ممن قال الله فيهم ﴿ **قلْ هَلْ نُنبّئُكم بالأخْسَرين أعمالا * الذين ضَل سعيُهم في الحياة الدنيا وهم يَحْسَبُون أنهم يُحْسِنون صُنْعاً** ﴾(٣).

ولأهمية هذين الشرطين ولتحتم معرفتهما على كل مسلم فقد اهتم بهما علماء الإسلام قديماً وحديثاً. وهذان الشرطان هما:

١- الإخلاص لله تعالى في العمل : بأن لايكون منه لغيره تعالى نصيب وأن يكون لوجهه عزوجل وحده لا رياء فيه ولا سمعة، والأدلة على ذلك كثيرة. منها قوله تعالى ﴿ **وما أمِرُوا إلا ليعبُدوا الله مُخلصِين له الدين**﴾(٤) وقوله تعالى أيضاً

---

١) انظر جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٩٦/٢.

٢) لقد استوفيت الحديث عن محبة الله تعالى وأهميتها ولوازمها وأسبابها وثمراتها في رسالتي الماجستير التي هي بعنوان محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة) فلتراجع .

٣) سورة الكهف آية ١٠٣-١٠٤.

٤) سورة البينة آية ٥.

﴿ **فادعُوا اللهَ مُخلصين له الدين ولو كره الكافرون**﴾(١) وقوله كذلك ﴿ **قل إني أمرتُ أنْ أعبدَ الله مخلصاً له الدين**﴾(٢) وقال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ مانوى»(٣) وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه عزوجل «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»(٤).

٢- المتابعة والموافقة لرسول الله ﷺ: بأن يكون العمل موافقاً لسنته ﷺ، لأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ عن الله وهو القدوة للمؤمنين كما قال تعالى ﴿**لَقَد كانَ لكمْ في رسول الله أسْوَةٌ حَسَنة**﴾(٥) وقال تعالى أيضاً ﴿ **قل إنْ كنتم تُحبُّون اللهَ فاتَّبعُوني يُحْبِبْكمُ الله ويغفرْلكم ذنوبكم والله غفورٌ رحيم * قل أطيعوا اللهَ والرسولَ فإن تَوَلَّوا فإنَّ اللهَ لايحب الكافرين**﴾(٦) وقال ﴿**وما آتاكمُ الرسولُ فخُذوه ومانَهاكمْ عنه فانتهوا**﴾(٧) وفي الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ»(٨) وفي رواية لمسلم «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»(٩) إلى غير ذلك من النصوص.

وقد اجتمع الشرطان في قوله عزوجل ﴿ **بَلَى مَنْ أسْلَم وجهَهُ لله وهو مُحْسِنٌ فله أجرُه عند ربه ولا خوفٌ عليهمْ ولاهم يَحزنون**﴾(١٠) فإن قوله ﴿**بلى من أسلم وجهه لله**﴾ أي من أخلص دينه وعمله لله وحده لاشريك له، وقوله ﴿**وهو محسن**﴾ أي اتبع فيه الرسول ﷺ(١١)، وقال الفضيل بن

---

١) سورة غافر آية ١٤.

٢) سورة الزمر آية ١١.

٣) رواه البخاري في ك بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي ١٥/١ برقم (١) وفي ك الايمان باب ماجاء أن الأعمال بالنية ١٦٣/١-١٦٤ برقم ٥٤ ومسلم في ك الإمارة باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنيات ١٥١٥/٣ برقم ١٩٠٧.

٤) رواه مسلم في ك الزهد باب من أشرك في عمله غير الله ٢٢٨٩/٤ برقم ٢٩٨٥ وأحمد ٣٠١/٢،٤٣٥ وابن ماجه في ك الزهد باب الرياء والسمعة ١٤٠٥/٢ برقم ٤٢٠٢- ٤٢٠٣ بنحوه.

٥) سورة الأحزاب آية ٢١.

٦) سورة آل عمران آية ٣١-٣٢.

٧) سورة الحشر آية ٧.

٨) رواه البخاري في ك الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣٥٥/٥ برقم ٢٦٩٧ ومسلم ك الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ١٣٤٣/٣ برقم ١٧١٨.

٩) رواه مسلم في ك الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ١٣٤٤/٣ برقم ١٧١٨ وأحمد ١٤٦/٦.

١٠) سورة البقرة آية ١١٢.

١١) انظر تفسير ابن كثير ١٥٤/١.

عياض(١) - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾(٢) (دين الله أخلصه وأصوبه) قالوا : يا أبا علي ، ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، فالخالص أن يكون لله وحده والصواب أن يكون على السنة(٣) ذلك لأن الإسلام مبني على أصلين أن لا نعبد إلا الله وحده ، وأن نعبده بما شرعه وفق سنة رسوله ﷺ(٤).

ومن الايات الجامعة لهذين الشرطين أيضاً قوله تعالى ﴿ **قُلْ إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إليّ أنما إلهُكُمْ إلهٌ واحدٌ فمَنْ كان يرجو لقاءَ ربه فلْيَعمل عملاً صالحاً ولايشركْ بعبادةِ ربه أحداً**﴾(٥).

تنبيه القاضي عياض على شرطي صحة العبادة

لقد نبه القاضي عياض إلى الشرطين السابقين لصحة العبادة فقال : (إنه لاينفع من العمل إلا ما حضر له القلب وصحبته النية)(٦) وقال أيضاً: (الطاعة عندنا موافقة الأمر أي الشرع)(٧) ، وقال: (لصحة العمل شرطان : أولهما تجريد العمل من الشرك بالله بخالص التوحيد ، والآخر تجريده بخالص السنة لقوله تعالى ﴿ **وما أُمِرُوا إلا ليعبُدُوا اللهَ مُخلصِيْنَ له الدين**﴾(٨) وقوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات(٩) »(١٠).

---

١) هو الإمام القدوة أبو علي التميمي اليربوعي المروزي، شيخ الحرم سكن مكة، وكان إماماً ربانياً همدانياً قانتاً لله تعالى ثقة كبير الشأن ولد سنة (١٠٥ هـ) وتوفي سنة (١٨٧ هـ) انظر ترجمته حلية الأولياء ٨/ ٨٤ وتذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٥ وسير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١-٤٤٢.

٢) سورة هود آية ٧ وسورة الملك آية ٢.

٣) انظر تفسير البغوي (٤/ ٣٦٩) واقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ٤٥١-٤٥٢.

٤) انظر جامع الرسائل لشيخ الإسلام ٢/ ٢٢٦.

٥) سورة الكهف آية ١١٠.

٦) إكمال المعلم ٣/ ٨٦٧.

٧) المرجع السابق ٢/ ٦١.

٨) سورة البينة آية ٥.

٩) تقدم تخريجه .

١٠) إكمال المعلم ٥/ ١١٨.

المطلب الثاني : ذكر جملة من أنواع العبادة التي ذكرها القاضي عياض.

أنواع العبادة كثيرة جداً لا يتسع المجال لذكرها، لذا سأقتصر على جملة مما ذكره القاضي عياض من هذه الأنواع وأبدأ بذكر المحبة.

أولا- المحبة : إن محبة الله ورسوله ﷺ من أعظم الفرائض على العباد ، ومن أهم أنواع العبادة التي جاء الأمر بها والحث عليها ، والتحذير من التهاون أو التفريط بشأنها في كثير من نصوص الكتاب والسنة.

أ- ذكر بعض الأدلة على وجوب محبة الله ورسوله

١- بعض الأدلة من القرآن الكريم : قال الله عزوجل ﴿ **قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكم وأبناؤُكُمْ وإخوانُكُمْ وأزواجُكُمْ وعشيْرَتُكُمْ وأموالٌ اقتَرَفْتُمُوها وتجارةٌ تخشَوْنَ كسَادها ومساكنُ تَرضَوْنها أَحبَّ إليكمْ مِنَ الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فَتَربَّصُوا حتى يأتيَ اللهُ بأمرِه واللهُ لا يهدي القومَ الفاسقين**﴾ (١) فهذه الآية فيها نص صريح على وجوب محبة الله ورسوله وتقديمهما على كل محبوب مهما كان نوعه وأياً كان جنسه ، كما أن فيها التهديد والوعيد الشديدين لمن قدم محبة غير الله ورسوله على محبته عزوجل ورسوله من أهل وعشيرة وأموال وغير ذلك. وكفى بهذه الآية حضاً -كما قال القاضي عياض - وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبة الله ورسوله ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاق الله لها ورسوله ، إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده ... أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله ﴿**فتربصوا حتى يأتي الله أمره**﴾ ثم فسّقهم بتمام الآية واعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله(٢) .

ومن الأدلة أيضاً على وجوب محبة الله ورسوله قول الله تعالى ﴿**ومِنَ الناس من يَتَّخِذُ من دونِ الله أنْدَاداً يُحبونهم كَحُبِ اللهِ والذين آمنوا أشَدُّ حباً لله**﴾(٣) فقد أخبر عزوجل في هذه الآية أن المشركين قد أحبوا أندادهم وأولياءهم كما يحبون الله خالقهم، وفي هذا الذم لهم والنهي الصريح والتحذير الكبير من فعلهم، كما أخبر سبحانه أن المؤمنين هم أكثر حباً لله من هؤلاء، لأن المؤمن الحق من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وفي هذا الإخبار الثناء على فعل هؤلاء المؤمنين والأمر به كما لا

---

١) سورة التوبة آية ٢٤.

٢) انظر الشفا بحقوق المصطفى للقاضي عياض ١٨/٢.

٣) سورة البقرة آية ١٦٥.

يخفى. فتبين الشاهد من الآية على كون محبة الله من أوجب الواجبات وأول الفرائض على كل عبد ، وأن من لم يحقق ذلك فقد نقص إيمانه ووقع في الشرك والعياذ بالله .

ب- بعض الأدلة من السنة :

إن الأحاديث الواردة في السنة المطهرة بشأن هذه المحبة كثيرة جداً أذكر بعضاً منها مما ذكره القاضي عياض ومن ذلك :

١- قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه(١) «ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يُحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله ، وان يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله عنه كما يكره أن يقذف في النار» - وفي رواية - «لايجد طعم الايمان عبد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ...» الحديث ، فتبين الشاهد في الحديث على وجوب محبة الله ورسوله وهو قوله «حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» إذ من المعلوم أنه لا يحصل للعبد إيمان بغير هذه المحبة لكونها أول الواجبات وأعظمها ، ولذا كان الناس متفاوتين فيها تفاوتاً عظيماً فمنهم من أخذ منها بالحظ الأوفر - وهم الذين كمل إيمانهم ومحبتهم- نسأل الله أن نكون منهم ، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى ومنهم من هو بين الأمرين.

٢- وعن أنس بن مالك(٢) - رضي الله عنه - أن رجلا من الأعراب أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله متى الساعة ؟ فقال له رسول الله ﷺ "وما أعددت لها ؟ " قال : حب الله ورسوله ، قال : «فإنك مع من أحببت» قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ «فإنك مع من أحببت» قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم

---

١) رواه البخاري في ك الايمان باب حلاوة الايمان ٦٠/١ برقم (١٦) وباب من كره أن يعود في الكفر ٧٢/١ برقم (٢١) ورواه مسلم في ك الايمان باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الايمان ٦٦/١ برقم ٤٣.

٢) هو الصحابي الجليل أبو حمزة، أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الخزرجي النجّاري الانصاري، قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن عشر فأهدته أمه لرسول الله كي يخدمه فخدمه عشر سنوات، وروى عنه ﷺ كثيراً من الاحاديث حتى كان من أشهر رواة الحديث، دعاله النبي بطول العمر وكثرة الاموال والاولاد فعاش أكثرمن مائة سنة وله أكثر من مائة ولد ومال كثير، انتقل إلى البصرة أيام عمر وتوفي سنة ٩١ وقيل ٩٣ هـ رضي الله عنه انظر ترجمته في مشاهير علماء الامصار ص ٣٧ والإصابة ٨٤/١.

أعمل بأعمالهم(١) .

٣- وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله كيف ترى رجلا أحب قوماً ولما يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب»(٢).

٢- تفسير القاضي عياض لمعنى محبة العبد لله ورسوله:

قال القاض عياض عند شرحه لهذين الحديثين السابقين: (يؤخذ من هذين الحديثين أن محبة الله ومحبة نبيه ﷺ هي الإستقامة على طاعتهما وترك مخالفتهما ، واذا أحبهما تأدب بأدب شريعتهما ووقف عند حدودهما ، وفي حبه لله ولنبيه ولمن أحبه الله من الصالحين وميله بقلبه إليهم إنما ذلك كله لله تعالى وطاعة له وثمرة صحة إيمانه وشرح قلبه، وهو من أعظم الدرجات وأرفع منازل الطاعات، ومن أعمال القلوب التي الأجر عليها أعظم من أجر أعمال الجوارح، فأثابه الله على ذلك أن رفعه إلى منزلة من أحبه فيه وإن لم يكن له أعمال مثل أعماله، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء ، وفي حبه لله ورسوله بما ذكرناه من أعظم العبادة وأفضل أعمال الطاعات وهو عمل من أعمال القلب ومحبة الله تعالى من أفضل مقامات الأولياء وأعلى درجات الأصفياء)(٣).

وقال في موضع آخر: (ومعنى محبة العبد لله إستقامته على طاعته والتزامه لأوامره ونواهيه ولهذا قال بعضهم المحبة مواطأة القلب على مايرضي الرب فتحب ما أحب وتكره ما كره ... وبالجملة فالمحبة الميل لما يوافق المحب والله منزه عن أن يميل أو يمال إليه)(٤).

٣- تعقيب على القاضي عياض في تفسيره لمعنى محبة العبد لله(٥):

لقد نحى القاضي - غفر الله له - منحى الأشاعرة ومن تبعهم بتفسيره محبة العبد لله تعالى بأنها الإستقامة على طاعة الله وترك مخالفته ، ولاشك بأن هذا التفسير لمحبة الله مخالف لمذهب السلف الصالح. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والحديث

---

١) رواه مسلم في ك البر والصلة باب المرء مع من أحب ٢٠٣٢/٤ برقم ٢٦٣٩.

٢) رواه مسلم في ك البر والصلة باب المرء مع من أحب ٢٠٣٤/٤ برقم ٢٦٤٠.

٣) إكمال المعلم ٥٨/٦.

٤) المرجع السابق ٤٢٧/٢.

٥) أما التنبيه على القاضي عياض في تفسيره لمعنى محبة الله تعالى لعباده فسيأتي الحديث عنه لاحقاً إن شاء الله عند الكلام عن الصفات .

وجميع مشايخ الدين المتبعون وأئمة التصوف أن الله سبحانه محبوب لذاته محبة حقيقية، وكذلك هو سبحانه يحب عباده المؤمنين محبة حقيقية . وأصل المحبة هو معرفة الله سبحانه وتعالى ولها أصلان : أحدهما : وهو الذي يقال له محبة العامة وهي محبته لأجل إحسانه إلى عباده وهذه المحبة على هذا الأصل لا ينكرها أحد ، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها ، والله سبحانه هو المنعم المحسن إلى عباده بالحقيقة، فإنه المتفضل بجميع النعم وإن جرت بواسطة غيره، إذ هو ميسر الوسائط ومسبب الأسباب ، ولكن هذه المحبة في الحقيقة إذا لم تجذب القلب إلى محبة الله نفسه فما أحب العبد في الحقيقة إلا نفسه ، وهذا ليس بمذموم بل محمود.

والأصل الثاني : هو محبته تعالى لما هو أهل له ، وهذا حب من عرف الله مايستحق أن يحب لأجله ، ومامن وجه من الوجوه التي يعرف الله بها مما دلت عليه أسماؤه وصفاته إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه حتى جميع مفعولاته ، إذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل، ولهذا استحق أن يكون محموداً على كل حال يستحق أن يحمد في السراء والضراء وهذا أعلى وأكمل وهذا حب الخاصة)(١) .

وأما الإستقامة على الطاعة وترك المخالفة فإنها من شرط المحبة ولوازمها وليست هي نفس المحبة - كما ادعى القاضي عياض - والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ **قل إنْ كنتم تحبون الله فاتَّبِعُوني يحبِبْكُمُ الله ويَغفرْ لكم ذنوبكم**﴾(٢)، وهذه الآية - كما قال الإمام ابن كثير رحمه الله -: (حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ولهذا قال ﴿ **إن كنتم تبحون الله فاتَّبعوني يحبِبْكم الله** ﴾ أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء ليس الشأن أن تُحبَّ إنما الشأن أن تُحَبَّ. قال غير واحد من السلف زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية)(٣).

فتبين مما سبق أن الله تعالى ورسوله يُحَبَّان محبة حقيقية يجد حلاوتها المؤمنون الصادقون ويعيشون في نعيمها ورَوْحها، فتتجسد هذه المحبة طاعة لله

---

١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦٦/١٠.

٢) سورة آل عمران آية ٣١.

٣) تفسير ابن كثير ٣٥٨/١.

ورسوله وإمتثالا لأوامرهما وبعداً عن نواهيهما.

وإن المحروم حقاً من حرم هذه المحبة كما قال بعض الصالحين: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وماذاقوا أحلى ما فيها، قيل: وما هو؟ قال: محبة الله ورسوله ﷺ. وصدق والله فإن من لم يكن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما لم يجد طعم وحلاوة الإيمان ولم يعرف طعماً لهذه الحياة.

ثانياً - الدعاء

قال القاضي أبو الفضل - رحمه الله -: (الدعاء دليل الحاجة إلى الله تعالى وسمة العبودية له)(١) وقد استشهد لذلك بقول الرسول ﷺ وفعله وتعليمه للمسلمين هذا النوع من أنواع العبادة فقال: (دعا النبي ﷺ ربه يوم بدر فقال: «اللهم أنجزلي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم أن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر(٢) - رضي الله عنه - فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ** ﴾(٣)(٤) قال القاضي: (... مازال رسول الله ﷺ يهيب بالدعاء لله والإستغاثة به، وإنما فعل ذلك ليراه أصحابه بتلك الحال فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه، وقد كان وعده ربه تعالى إحدى الطائفتين إما العير وإما الجيش وكانت العير قد ذهبت وفاتت فكان على ثقة من حصول الأخرى، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق بالمسلمين)(٥).

---

١) إكمال المعلم ٨٢/٦.

٢) هو خليفة رسول الله، واسمه عبد الله بن أبي قحافة المشهور بأبي بكر الصديق، أول رجل آمن برسول الله ﷺ واتبعه، وأحب الرجال إليه ورفيقه ومؤنسه في الهجرة، وأفضل الأمة بعد نبيها شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ واحتمل في سبيل الله الشدائد وبذل أمواله كلها، بويع له بالخلافة يوم وفاة الرسول ﷺ فحارب المرتدين ومانعي الزكاة وفضائله لا تحصى، توفي رضي الله عنه سنة (١٣ هـ) وهو ابن ٦٣ سنة، كانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً، انظر ترجمته في الإستيعاب ٢٤٣/٢ وحلية الأولياء ٢٨/١ والإصابة ٣٣٣/٢-٣٣٦.

٣) سورة الأنفال آية ٩.

٤) رواه مسلم في ك الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ١٣٨٤/٣ برقم ١٧٦٣.

٥) إكمال المعلم ٧٦/٥.

١- بعض الأدلة على أن الدعاء عبادة

لقد فاضت نصوص الكتاب والسنة على كون الدعاء من أعظم أنواع العبادة،

- من ذلك قوله عزوجل ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**﴾(١) فقد أمر سبحانه وتعالى في هذه الآية العظيمة عباده بدعائه وطلب الحاجات منه، ووعدهم بالإجابة إن هم فعلوا ذلك ، وحذرهم وتوعدهم بنار جهنم يدخلونها أذلة صاغرين إن هم استكبروا عن هذه العبادة وتركوها.

- وقال سبحانه أيضاً ﴿**أدعوا ربكم تضرّعاً وخُفيةً إنه لايحب المعتدين * ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إنّ رحمة الله قريبٌ من المحسنين**﴾(٢).

- وقال عزوجل كذلك ﴿ **قل ادعُوا اللهَ أوادعوا الرحمن أياً ماتدعوا فله الأسماءُ الحسنى**﴾(٣)، فقد دلت هذه الآيات البينات على الأمر بدعاء الله تعالى - المتصف بالأسماء الحسنى- تذللا واستكانة، لا جهراً وعلانية يخاف منه الرياء ، بل خفية وسراً واخلاصاً لله تعالى خوفاً من عذابه ورد دعائه وطمعاً في جناته وإجابة دعائه(٤)، فكيف إذا انضم إلى ذلك النهي عن دعاء غيره كائناً من كان كما قال سبحانه ﴿ **وأنّ المساجدَ لله فلا تَدعُوا مع الله أحداً**﴾(٥).

أما السنة النبوية فقد دلت أبلغ دلالة على كون الدعاء من العبادة ، بل هو أعلاها وأعظمها ، يوضح ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام " الدعاء هو العبادة"(٦).

فهذه الصيغة المقتضية للحصر تدل على أن الدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأشرفها وأرفعها ، لأنه دليل العبودية والذل لله تعالى والحاجة والفقر إليه ، فهو سبحانه الذي بيده وحده ملكوت كل شيئ ، فهو يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ، يهدي ويضل من يشاء ، ويرفع ويذل من يشاء ، لايحدث في ملكه إلا ما يريد ، فمن استكبر عن دعائه وأعرض عنه استحق أن يمقته الله

---

١) سورة غافر آية ٦٠.
٢) سورة الاعراف آية ٥٥-٥٦.
٣) سورة الإسراء آية ١١٠.
٤) انظر تفسير البغوي ١٦٦/٢، ١٤٢/٣ وتفسير السعدي ٤٠/٣-٤١.
٥) سورة الجن آية ١٨.
٦) تقدم تخريجه ص ١٤٦.

ويغضب عليه ، ويجعل مصيره الصغار والذل والعذاب في نار جهنم - والعياذ بالله - .

فدل الحديث السابق على كون الدعاء من أعظم أنواع العبادة التي يجب أن يخلص فيها العبد لله وحده فلا يشرك فيها معه غيره ، لأن الله عزوجل أنزل كتبه وأرسل رسله إلى خلقه ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

٢- إستحباب الصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء

نبه القاضي عياض - رحمه الله - إلى أمر مهم يستحب للعبد المؤمن فعله ألا وهو الصلاة والسلام على الرسول عليه الصلاة والسلام قبل الدعاء وذكر بعض الأحاديث والآثار على ذلك فقال : (من المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ﷺ قبل الدعاء فعن فَضَالة بن عبيد(١) - قال سمع النبي ﷺ رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ «عجل هذا» ثم دعاه فقال له ولغيره «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد ذلك بما شاء»(٢) ويروى هذا السند بتمجيد الله وهو أصح.

- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض فلا يصعد إلى الله منه شيئ حتى يصلي على النبي ﷺ).

- وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بمعناه وروى عنه أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي ﷺ .

- وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: إذا أراد أحدكم أن يسأل شيئاً فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم ليصل على النبي ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح.

---

١) هو أبو محمد، فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الانصاري الاوسي، شهد أحداً والمشاهد كلها ثم خرج إلى دمشق، فولاه معاوية رضي الله عنه إمرة الغزاة ثم القضاء له، وكان من شهد فتح مصر، ويعد من كبار القراء ومن الزاهدين الواعظين، روى عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث وكان من أهل بيعة الرضوان توفي رضي الله عنه بدمشق فحمل معاوية نعشه وصلى عليه وذلك في سنة (٥٣ هـ) وقيل (٥٩ هـ) انظر أسد الغابة ٣٦٤/٤ وسير أعلام النبلاء ١١٣/٣ والإصابة ٢٠٦/٣.

٢) رواه أحمد ١٨/٦ وأبو داود في ك الوتر باب الدعاء ١٦٢/٢ برقم ١٤٨١ والترمذي في ك الدعوات باب ٦٥ ٤٨٢/٥ برقم ٣٤٧٥ وقال هذا حديث حسن والنسائي في ك الافتتاح باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ ٥١/٢-٥٢ برقم ١٢٨٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٧/١ برقم ٦٦١.

- وقال ابن عطاء(١) : للدعاء أركان و أجنحة و أسباب و أوقات ، وإن وافق أركانه قوى ، وإن وافق اجنحته طار في السماء ، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح،فأركانه حضور القلب والرقة والإستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب، وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ)(٢).

قلت: صدق ابن عطاء ولكن نسي شيئاً مهماً من أسباب الدعاء ألا وهو تقوى الله والرزق الحلال فقد سأل سعد بن أبي وقاص رسول الله الله ﷺ أن يجعله مستجاب الدعوة فقال: «أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة»(٣)، «وذكر رسول الله الرجل أشعث أغبر يطيل السفر يرفع يديه ياربِّ يارب ومأكله حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»(٤) فعلى العبد أن يجتنب المعاصي والحرام ليستجاب دعاؤه.

ثالثاً - التوبة

١- معناها وشروطها وحكمها

من أنواع العبادة التي ذكرها القاضي عياض التوبة فقد قال - رحمه الله-: (والتوبة عبادة ونعمة أنعم الله بها على هذه الأمة وهي الندم على الذنب وأصلها الرجوع ، يقال تاب وآب وأناب بمعنى رجع، فاستعمل منه في الرجوع عن الذنب ، وشروطها : الإقلاع عن الذنب والندم على ماسبق والعزم على أن لا يفعله مرة أخرى ، فإن تعلق بالذنب تبعه للناس فيرد حقهم إليهم على خلاف بين العلماء ، وحكمها أنها فرض واجب على كل من علم من نفسه مخالفة صغرت أو كبرت)(٥).

قلت: لقد أجاد أبو الفضل رحمه الله وأفاد في كلامه عن التوبة وشروطها

---

١) هو أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي، من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم، من أقران الجنيد، كان زاهداً مشهوراً بالإجتهاد في العبادة، قيل إنه كان يختم القرآن كل يوم، من أقواله من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه ، توفي سنة (٣٠٩ هـ). انظر ترجمته في الرسالة القشيرية ص ٢٣- ٢٤ وسير أعلام النبلاء ٢٥٥/١٤ وشذرات الذهب ٢٥٧/٢-٢٥٨.

٢) الشفا بحقوق المصطفى ٦٥/٢-٦٦.

٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٩١/١٠ وعزاه للطبراني في الصغير .

٤) رواه مسلم في ك الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ٧٠٣/٢ برقم ١٠١٥ وأحمد ٣٢٨/٢ والترمذي في كتاب التفسير باب تفسير سورة البقرة ٢٠٥/٥ برقم ٢٩٨٩.

٥) إكمال المعلم ٨٣/٦.

وحكمها ولخص الحديث عنها بكلمات موجزة مختاراً الرأي الراجح من أقوال أهل العلم الذين عنوا بهذا النوع من أنواع العبادة وفصلوا الكلام في ذلك بما لاداعي لذكره ههنا(١).

٢- بعض الأدلة على أن التوبة عبادة

لقد جاء الأمر بالتوبة والحث عليها والثناء على أهلها في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة من ذلك:

- قوله سبحانه آمراً عباده المؤمنين ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾(٢).

-وقوله عزوجل أيضاً ﴿**ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتهاالأنهار...**﴾(٣).

وقال سبحانه مثنياً على التوابين ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾(٤).

فقد دلت هذه الآيات الكريمة على أن التوبة إلى الله من جميع الذنوب، بالإقلاع عنها والعزم على عدم العودة إليها وتخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده - كما يشير إلى ذلك معنى (نصوحاً)(٥) ، دلت على أنها طريق الفلاح والسعادة وسبب لمغفرة الذنوب ورفع الدرجات والفوز بمحبة الله ورضوانه ودخول جناته.

- ولهذا ندب إليها رسول الله ﷺ وأوصى بها المؤمنين وحث عليها بقوله وفعله وأخبر أن الله تعالى يقبل التوبة من العبد مالم يغرغر ، أو تطلع الشمس من مغربها وأنه عزوجل يفرح بالتوبة أشد الفرح ويبسط يده بالليل والنهار ليتوب المسيئون فيها.

- فمما قاله عليه الصلاة والسلام في الأمر بها قوله : «ياأيها الناس توبوا

---

١) انظر فتح الباري ١١/١٠٦-١٠٧.

٢) سورة النور آية ٣١.

٣) سورة التحريم آية ٨.

٤) سورة البقرة آية ٢٢٢.

٥) انظر تفسير البغوي ٤/٣٦٧ وتفسير السعدي ٧/٤٢٤ وتفسير الجزائري ٤/٥١٤.

إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة»(١).

- وعن وقت إنتهاء التوبة يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله عزوجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر(٢)»(٣). ويقول أيضاً: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم(٤).

- وعن فرح الله تعالى بتوبة عبده يقول ﷺ: «لَلَّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في فلاة» متفق عليه، وفي رواية لمسلم «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها(٥) ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»(٦).

يقول القاضي عياض: يؤخذ من الحديث أن ما قاله الإنسان من مثل هذا في حال دهشته وذهوله لا يؤاخذ به وكذا حكايته عنه على طريق علمي وفائدة شرعية، لا على الهزل والمحاكاة والعبث يدل على ذلك حكاية النبي ﷺ ذلك إذ لو كان منكراً ما حكاه(٧). قلت: صدق عياض فيما ذكر فإنه الحق والصواب.

رابعاً - التوكل

ومن أنواع العبادة التوكل على الله تعالى، وهو اعتماد القلب عليه

---

١) رواه مسلم في ك الذكر والدعاء باب استحباب الدعاء والاستكثار منه ٢٠٧٥/٤ برقم ٢٧٠٢ وأحمد ٤٥٠/٢ وأبو داود في ك الصلاة باب في الاستغفار ١٧٧/٢- ١٧٨ برقم ١٥١٥.

٢) أي مالم تبلغ روحه الحلقوم فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض كما قال تعالى ﴿وليستِ التوبةُ للذين يعملون السيئاتِ حتى اذا حضر أحدَهم الموتُ قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ سورة النساء آية ١٨.

٣) رواه أحمد ١٣٢/٢و١٥٣و ٤٢٥/٣ والترمذي في ك الدعوات باب فضل التوبة والإستغفار ٥١١/٥ برقم ٣٥٣٧ وقال حديث حسن غريب وابن ماجه في ك الزهد باب ذكر التوبة ١٤٢٠/٢ برقم ٤٢٥٣ قال الألباني في صحيح الجامع ١٥١/٢ برقم ١٨٩٩ حسن.

٤) في ك التوبة باب قبول التوبة من الذنوب ٢١١٣/٤ برقم ٢٧٥٩.

٥) الخطام بكسر الخاء المعجمة يعني الحبل الذي يقاربه البعير، انظر القاموس المحيط ص ١٤٢٦ والمصابح المنير ص ٥٤.

٦) رواه البخاري في ك الدعوات باب التوبة ١٠٥/١١ برقم (٦٣٠٩) ومسلم في ك التوبة باب الحض على التوبة ٢١٠٤/٤ برقم ٢٧٤٧.

٧) فتح الباري ١١١/١١.

وحكمها ولخص الحديث عنها بكلمات موجزة مختاراً الرأي الراجح من أقوال أهل العلم الذين عنوا بهذا النوع من أنواع العبادة وفصلوا الكلام في ذلك بما لاداعي لذكره ههنا(١).

٢- بعض الأدلة على أن التوبة عبادة

لقد جاء الأمر بالتوبة والحث عليها والثناء على أهلها في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة من ذلك :

- قوله سبحانه آمراً عباده المؤمنين ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيُّها المؤمنون لعلكم تُفلحون**﴾(٢).

-وقوله عزوجل أيضاً ﴿**ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله تَوبَة نَصُوحاً عسى ربُّكم أن يُكَفِّر عنكم سيئاتِكمْ ويدخِلَكمْ جناتٍ تجري من تحتهاالأنهارُ...**﴾(٣).

وقال سبحانه مثنياً على التوابين ﴿ **إنَّ اللهَ يحبُّ التَوَّابينَ ويحبُّ المُتَطَهّرين**﴾(٤).

فقد دلت هذه الآيات الكريمة على أن التوبة إلى الله من جميع الذنوب، بالإقلاع عنها والعزم على عدم العودة إليها وتخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرهبة مما عنده - كما يشير إلى ذلك معنى (نصوحاً)(٥) ، دلت على أنها طريق الفلاح والسعادة وسبب لمغفرة الذنوب ورفع الدرجات والفوز بمحبة الله ورضوانه ودخول جناته.

- ولهذا ندب إليها رسول الله ﷺ وأوصى بها المؤمنين وحث عليها بقوله وفعله وأخبر أن الله تعالى يقبل التوبة من العبد مالم يغرغر ، أو تطلع الشمس من مغربها وأنه عزوجل يفرح بالتوبة أشد الفرح ويبسط يده بالليل والنهار ليتوب المسيئون فيها.

- فمما قاله عليه الصلاة والسلام في الأمر بها قوله : «ياأيها الناس توبوا

---

١) انظر فتح الباري ١١/١٠٦-١٠٧.

٢) سورة النور آية ٣١.

٣) سورة التحريم آية ٨.

٤) سورة البقرة آية ٢٢٢.

٥) انظر تفسير البغوي ٤/٣٦٧ وتفسير السعدي ٧/٤٢٤ وتفسير الجزائري ٤/٥١٤.

إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة»(١).

- وعن وقت إنتهاء التوبة يقول عليه الصلاة والسلام : «إن الله عزوجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر(٢)»(٣) . ويقول أيضاً : «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم(٤).

- وعن فرح الله تعالى بتوبة عبده يقول ﷺ: «لَلّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في فلاة» متفق عليه، وفي رواية لمسلم «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها(٥) ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»(٦).

يقول القاضي عياض : يؤخذ من الحديث أن ما قاله الإنسان من مثل هذا في حال دهشته وذهوله لا يؤاخذ به وكذا حكايته عنه على طريق علمي وفائدة شرعية ، لا على الهزل والمحاكاة والعبث يدل على ذلك حكاية النبي ﷺ ذلك إذ لو كان منكراً ما حكاه(٧) . قلت: صدق عياض فيما ذكر فإنه الحق والصواب.

رابعاً - التوكل

ومن أنواع العبادة التوكل على الله تعالى ، وهو اعتماد القلب عليه

---

١) رواه مسلم في ك الذكر والدعاء باب استحباب الدعاء والإستكثار منه ٢٠٧٥/٤ برقم ٢٧٠٢ وأحمد ٤٥٠/٢ وأبو داود في ك الصلاة باب في الاستغفار ١٧٧/٢- ١٧٨ برقم ١٥١٥.

٢) أي مالم تبلغ روحه الحلقوم فيكون بمنزلة الشيئ الذي يتغرغر به المريض كما قال تعالى ﴿وليستِ التوبةُ للذين يعملون السيئاتِ حتى اذا حضر أحدَهم الموتُ قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ سورة النساء آية ١٨.

٣) رواه أحمد ١٣٢/٢و١٥٣و ٤٢٥/٣ والترمذي في ك الدعوات باب فضل التوبة والاستغفار ٥١١/٥ برقم ٣٥٣٧ وقال حديث حسن غريب وابن ماجه في ك الزهد باب ذكر التوبة ١٤٢٠/٢ برقم ٤٢٥٣ قال الالباني في صحيح الجامع ١٥١/٢ برقم ١٨٩٩ حسن.

٤) في ك التوبة باب قبول التوبة من الذنوب ٢١١٣/٤ برقم ٢٧٥٩.

٥) الخطام بكسر الخاء المعجمة يعني الحبل الذي يقاربه البعير ، انظر القاموس المحيط ص ١٤٢٦ والمصابح المنير ص ٥٤.

٦) رواه البخاري في ك الدعوات باب التوبة ١٠٥/١١ برقم (٦٣٠٩) ومسلم في ك التوبة باب الحض على التوبة ٢١٠٤/٤ برقم ٢٧٤٧.

٧) فتح الباري ١١١/١١.

سبحانه وثقته به مع الأخذ بالأسباب.

١- بعض الأدلة على أن التوكل على الله عبادة

إن التوكل على الله من أعظم وأهم أنواع العبادة التي أمر الله بها عباده المؤمنين ومدحهم بها، والأدلة على ذلك كثيرة، منها :

١- قوله تعالى ﴿ **وعلى الله فَلْيَتَوكل المؤمنون**﴾(١).

٢- وقوله عزوجل أيضاً ﴿ **وعلى اللهِ فَتَوكَّلوا إنْ كُنتم مؤمنين**﴾(٢).

٣- وقال تعالى آمراً خليله محمداً ﷺ بهذه العبادة ومخبراً إياه بأنه يحب المتوكلين فقال ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾(٣).

٤- وقال تعالى - حاكياً عن الرسل عليهم السلام ومثنياً عليهم - ﴿ **وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وما لنا ألا نَتوكلَ على الله وقد هدانا سبُلَنا ولنصبرنَّ على ماآذ يتُمُونا وعلى الله فليتوكلِ المُتوكلون**﴾(٤).

٥- ومدح عزوجل نبيه ﷺ وصحابته الكرام الذين لم تفزعهم كثرة المشركين وعددهم لاعتمادهم وتوكلهم عليه سبحانه وثقتهم به فقال : ﴿ **الذين قال لهمُ الناسُ إنَّ الناسَ قد جَمعوا لكمْ فاخشَوْهمْ فزادَهُم إيماناً وقالوا حسْبُنا الله ونِعْم الوكيل * فانقَلَبُوا بنِعمةٍ منَ الله وفضلٍ لم يمْسَسْهمْ سوءٌ واتَّبعوا رضوانَ الله واللهُ ذو فضلٍ عظيم**﴾(٥).

٦- وقال رسول الله ﷺ مرغباً المؤمنين وحاثاً إياهم للعمل بهذه العبادة "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً"(٦).

---

١) سورة آل عمران آية ١٢٢.

٢) سورة المائدة آية ٢٣.

٣) سورة آل عمران ١٥٩.

٤) سورة إبرهيم آية ١١-١٢.

٥) سورة آل عمران آية ١٧٣-١٧٤.

٦) رواه أحمد ٣٠/١ والترمذي في ك الزهد باب في التوكل على الله ٤٩٥/٤ برقم (٢٣٤٤) وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه في ك الزهد باب التوكل واليقين ١٣٩٤/٢ برقم (٤١٦٤)، والحاكم في المستدرك ٣١٨/٤ وقال حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٠/٥ برقم ٥١٣٠، ومعنى (تغدو خماصاً وتروح بطاناً) أي تغدو بكرة وهي جياع وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف ، انظر غريب الحديث لابن الأثير ٨٠/٢.

٢- أهمية ومعنى التوكل عند القاضي عياض

يقول القاضي - رحمه الله - مبيناً أهمية التوكل: (التوكل أصل من أصول الشريعة وهو من أرفع درجات المتقين المؤمنين)(١).

وعن معنى التوكل يقول : (اختلف الناس في التوكل ما هو ، فقالت طائفة لا يستحق اسمه إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله من سبع أو عدو حتى يترك السعي في طلب الرزق لضمان رزقه ، وقالت طائفة : حَدُّه الثقة بالله والإيقان بأن قضاء الله ماضي، وإتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لابد منه من مطعم ومشرب والتحرز من العدو، كما فعل رسول الله ﷺ والأنبياء عليهم السلام ، فقد نص الله عنهم الخوف والكسب والتحرز من عدوهم كما ادخر ﷺ قوت سنته(٢) وتطبب هو وجلة أصحابه ، وهذا إختيار عامة الفقهاء ، والأول مذهب المتصوفة وغيرهم وذهب المحققون إلى مذهب الجمهور ولكن لا يصح عندهم اسم التوكل مع الإلتفات والطمأنية إلى الأسباب ، بل فعل الأسباب سنة وحكمته والثقة بأنه لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضراً سبب ولا أحد والكل من الله وحده)(٣).

٣- حقيقة مذهب الصوفية في التوكل وبطلانه

أشار القاضي - رحمه الله - إلى اختلاف الناس في حقيقة التوكل ، فذكر قول المتصوفة الذين يرون أن حقيقة التوكل تعني تخليص القلب من علة التوكل وهو ما يسمونه - بتجريد التوكل - وهو أن يعتقد المرء أن الله سبحانه فرغ من الأسباب وقدرها وهو سبحانه يسوق المقادير إلى المواقيت ، فالمتوكل حقيقة عندهم هو من أراح نفسه من كدّ النظر ومطالعة السبب سكوناً إلى ما سبق له من القسمة مع استواء الحالينَ عنده ، وهو أن يعلم أن الطلب لايجمع والتوكل لايمنع، ومتى طالع بتوكله عرضاً كان توكله مدخولا وقصده معلولا، فإذا خلص من رق هذه الأسباب ومطالعة العوارض ولم يلاحظ في توكله سوى خالص حق الله كفاه الله كل هم. ولاشك أن هذا المذهب ظاهر البطلان ، لذا ردّ عليه علماء أهل السنة والجماعة وبينوا ما فيه من مخالفة صريحة للكتاب

---

١) إكمال المعلم ٩٢٣/٣ و ١٩٥/٥.

٢) يشير إلى ماورد في حديث عمر الطويل في الفئ وفيه (فكان رسول الله ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ الباقي فيجعله مجعل مال الله ...) أخرجه البخاري في ك النفقات باب (٣) ٤١٢/٩ برقم (٥٣٥٨).

٣) إكمال المعلم ٩٢٧/٣-٩٢٨.

والسنة والعقل السليم بما لا مجال لذكره هـهنا[1] ويكفي في بطلانه أنه يلغي الأخذ بالأسباب الشرعية التي أمر الله بها عباده مثل قوله تعالى ﴿ **فامشوا في مَناكِبِها وكُلُوا من رزقه وإليه النُشُور**﴾[2] حيث أمر سبحانه بالأخذ بأسباب الرزق أولا - وهو المشي في مناكب الأرض - قبل أن يأمر بالأكل من رزقها الحلال .

وقد وجد أعداء الإسلام في هذا المذهب المنحرف وأمثاله ذريعة للطعن بسماحة الإسلام وشرائعه العظيمة التي ترفض مثل هذه الأقوال والمذاهب الخرافية الضالة، والتي تدعو إلى التواكل والكسل والإتكال على الغير باسم التوكل على الله والإعتماد عليه.

وقد كذبوا -والله- في إدعائهم التوكل على الله إذ لوكانوا صادقين لاقتدوا بإمام المتوكلين محمد ﷺ وساروا على نهجه واستنوا بسنته ولما ابتدعوا في دينه مالم يأذن به الله.

٤- الرأي الراجح في معنى التوكل على الله

الرأى الراجح في معنى التوكل على الله هو: مذهب جمهور العلماء والفقهاء والذي عليه العمل عند المحققين من أهل العلم والذي خلاصته وحقيقته : الثقة بالله وإعتماد القلب عليه سبحانه واليقين الجازم بأن كل شيئ بقضاء الله وقدره مع الأخذ بالأسباب والسعي فيما لابد منه من المطعم والمشرب وغير ذلك وهكذا كان حال رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان وكذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام - كما سبقت الإشارة إلى ذلك -.

٥- هل الخوف ينافي التوكل

ينبغي أن يعلم أن الخوف الطبيعي الذي يؤدي بصاحبه إلى الإستعداد والأخذ بالأسباب مما لاينافي التوكل، فقد أمرنا الله تعالى بأخذ الحيطة والحذر خوفاً من مكر العدو فقال ﴿ **يأيها الذين آمنوا خُذُوا حِذْرَكم فانفروا**

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/١٧-٤٠ وطريق الهجرتين لابن القيم ص٢٥٤-٢٧٤ ومدارج السالكين ٤٩٨/٣ وما بعدها.

٢) سورة تبارك آية ١٥.

ثُبَاتٍ أو انفروا جميعاً﴾(١) وقال أيضاً ﴿ **وأعدُّوا لهم مااستَطَعْتُم مِنْ قوةٍ ومِنْ رباط الخيلِ تُرهبُون به عدوَّ الله وعدوَّكم**﴾(٢).

وقال عن كليمه موسى عليه السلام ﴿ **ولهم عليَّ ذنبٌ فأخافُ أنْ يقتُلُون**﴾(٣).

أما خوف السر المؤدي إلى الضعف والخور، فذاك مما ينافي التوكل ويدل على ضعف الإيمان، بل هو من أنواع الشرك -والعياذ بالله - لذا نهى الله عنه عباده المؤمنين فقال ﴿ **إنما ذلكُمُ الشيطانُ يخوِّفُ أولياءَه فلا تخافُوهمْ وخافونِ إنْ كنتُم مؤمنين**﴾(٤).

وقال أيضاً ﴿ **فلا تخْشَوُا الناسَ واخْشَوْنِ**﴾(٥) وأثنى سبحانه على من خصه عزوجل بالخوف والرهبة دون سواه فقال ﴿ **الذين يُبلّغُون رسالات الله ويخْشَوْنَه ولا يَخْشَونَ أحداً إلا اللهَ وكفى بالله حَسيباً**﴾(٦) وقال أيضاً ﴿**يخافُونَ ربَّهم من فوقهم**﴾(٧) وقال ﴿ **وهم مِنْ خشيته مُشْفِقُون**﴾(٨) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

٦- لايجوز الإعتماد على الأسباب ولا نفيها

أحب أن أنبه أخيراً إلى شيء مهم ذكره القاضي - رحمه الله - ألا وهو حرمة الإعتماد والإطمئنان إلى الأسباب وحدها وتناسي مسبِّب الأسباب سبحانه وتعالى ، فإن الالتفات إلى الأسباب والإعتماد عليها واعتبارها مؤثرة في المسببَّات شرك في التوحيد - كما قال علماء السلف(٩) - رحمهم الله - كما أن محو ونفي الأسباب نقص في العقل ، والأعراض عن الأسباب المأمور بها بالكلية قدح في الشرع .

والتوكل في المفهوم الشرعي هو ما يشمل ويضم وجوب التوحيد والعقل والشرع.

---

١) سورة النساء آية ٧١.
٢) سورة الأنفال آية ٦٠.
٣) سورة الشعراء آية ١٤.
٤) سورة آل عمران آية ١٧٥.
٥) سورة المائدة آية ٤٤.
٦) سورة الأحزاب آية ٣٩.
٧) سورة النحل آية ٥.
٨) سورة الأنبياء آية ٢٨.
٩) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٥٢٨/٨ وشرح الطحاوية ص ٤٦٠.

وهو ما سبقت الإشارة إليه آنفاً ، فعلى المؤمن أن يكون قلبه معتمداً على الله وحده مع الأخذ بالأسباب لأنه سبحانه هو الميسر لعبده ما يصلحه في الدنيا والآخرة وهو أرحم الراحمين.

خامساً - الخوف والرجاء

١- أهمية الخوف والرجاء:

إن الخوف والرجاء أصلان عظيمان من أصول العبادة ونوعان من أنواعها - كما قال القاضي عياض(١) - قلت : ولهذا امتدح الله عزوجل خواص خلقه لاتصافهم بالخوف والرجاء وأثنى عليهم في غير موضع من كتابه العزيز.

فقد قال عزوجل مادحاً أنبياءه ورسله بعد أن تكلم عن دعوتهم وأحوالهم مع أنبيائهم ﴿ **إنَّهم كانوا يُسارعُونَ في الخَيْراتِ ويدعُونَنَا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لنا خاشعين**﴾(٢)، فمدحهم سبحانه وتعالى لمسارعتهم في عمل الخيرات من القربات والطاعات وحرصهم على إغتنام الفرص في ذلك ، ولكونهم يعبدونه تعالى ويدعونه رغبة في رضوانه وجناته ورهبة وخوفاً من غضبه ونيرانه ، ولتواضعهم لله وخوفهم منه سبحانه ولتذللهم بين يديه وهذا لكمال عبوديتهم لله ومعرفتهم به سبحانه(٣).

- ويقول عزوجل واصفاً أعظم خلقه وأشدهم له طاعة ومحبة وخشية - وهم الملائكة المقربون - ﴿ **يخافُونَ ربَّهم من فوقهم ويفعلونَ ما يُؤمَرون**﴾(٤)، فأثنى عليهم سبحانه ووصفهم بأنهم يخافونه ويخشونه ولا يعصون أمره ، بل هم دائماً مثابرون على طاعته وإمتثال أمره وترك نهيه(٥).

- كما أثنى سبحانه على عباده المؤمنين الصادقين بقوله ﴿**تتجافى جُنُوبُهم عن المضاجعِ يَدعُونَ ربَّهم خوفاً وطَمَعاً ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم مِنْ قُرَّةِ أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون**﴾(٦)، فمدحهم عزوجل بأن جنوبهم ترتفع وتنبو عن المضاجع والفرش لانشغالهم

---

١) انظر إكمال المعلم ١١٥/٦.

٢) سورة الأنبياء آية ٩٠.

٣) انظر تفسير البغوي ٢٦٧/٣ وتفسير ابن كثير ١٩٣/٣ وتفسير السعدي ٢٥٩/٥.

٤) سورة النحل آية ٥٠.

٥) انظر تفسير ابن كثير ٥٧٢/٢ وتفسير السعدي ٢٠٩/٤.

٦) سورة السجدة ١٦-١٧.

بالتهجد والذكر، ودعاء الله تعالى واستغفاره، خوفاً من عقابه ورجاء في جنته وثوابه ، وأنهم ينفقون مما أعطاهم الله ، ثم بشرهم سبحانه بالأجر العظيم في جنات النعيم والذي لا يعلم أحد عظمته وحقيقته بسبب أنهم أخفوا أعمالهم وأخلصوها لله ، فأخفى الله لهم مالم تر عين ولم يخطر بقلب بشر(١) ، نسأل الله أن نكون منهم .

- وأما خاتم المرسلين وإمام المتقين وسيد ولد آدم أجمعين وأعلم الناس بربه - ﷺ - فيقول عن نفسه «والله إني لأتقاكم لله وأشدكم له خشية»(٢)متفق عليه.

والنصوص في هذا الباب كثيرة جداً.

٢- الرد على من يزعم أنه يعبد الله لذاته لا خوفاً من ناره ولارجاء في جنته

ضل فريق ممن ينتسب إلى الإسلام والزهد والعبادة من الصوفية فزعموا أن عبادة الله خوفاً من عذابه وطمعاً في جناته هي من صفات عوام المحبين السالكين ، وقالوا : إن أعلى درجات المحبين هي عبادة الله ومحبته لذاته لا خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة ، وإن هذه الدرجة تسمى مقام خاصة الخاصة(٣).

ويكفي في رد هذا المذهب وبطلانه أنه مبتدع باطل ما أنزل الله به من سلطان لمخالفته الصريحة لنصوص الكتاب والسنة - التي تقدم طرف منها - والتي أثنت على خيار الخلق من الملائكة والأنبياء والمؤمنين الصادقين ومدحتهم ووصفتهم بأنهم يدعون الله تعالى ويعبدونه خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه ، ولم تصفهم بأنهم يعبدون الله لذاته لا خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة ، فهل يعقل أن يكون من يعتقد هذا المذهب الفاسد أفضل وأعبد لله تعالى من الملائكة والنبين وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ؟! سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم ، ثم إن أصحاب هذا المذهب ليس لهم عليه دليل من كتاب ولا سنة بل إن الكتاب والسنة بخلاف ذلك ، وهم أيضاً لم يسيروا بمذهبهم هذا على

---

١) انظر تفسير البغوي ٣/٥٥٠-٥٠٢ وتفسير ابن كثير ٣/٤٥٩-٤٦١.

٢) رواه البخاري في ك النكاح باب ما جاء في النكاح ٩/١٠٤ برقم (٥٠٦٣) ومسلم في ك الصيام باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ٢/٧٧٩ برقم ١١٠٨.

٣) انظر مشارق أنوار القلوب لابن الدباغ ص ٧٧ وقوت القلوب لابي طالب المكي ٢/٥٦-٥٧ وحياة القلوب لعماد الدين الاموي ٢/١٦٧-١٦٨.

منهج السلف الصالح الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالخيرية، وإنما افتروا بهذا المذهب على الله وقالوا عليه بلا علم، بل بمجرد أهوائهم وشطحاتهم وما رأوه من منامات ورُأى شيطانية خطها لهم كبراؤهم ، وكذبوا بها على بعض الأنبياء والصالحين، وهل الدين يؤخذ بالأحوال والمنامات الشيطانية ؟! كلا والله.فالحقيقة أن هذا المذهب خطير جداً لأنه محض كذب على الله ودينه ، ولهذا أنكره السلف الصالح - رحمهم الله - أشد إنكاراً ورموا من يعتقده بالزندقة ، فقد أثر عن عدد من علماء السلف قولهم: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري(١)، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن)(٢) وقال بعضهم: (الخوف والرجاء كجناحي طائر، إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع في النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت)(٣) ، لأنه ما حفظت حدود الله عزوجل ووصل إليه الواصلون بمثل حبه وخوفه ورجائه ، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فساداً لا يرجى صلاحه أبداً، ومن ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بالله وحبه له عزوجل(٤).

٣- متى يغلب الخوف ومتى يغلب الرجاء؟!

على العبد المسلم أن يكون قلبه بين الخوف والرجاء طالما بقي على هذه الحياة بصحة وعافية ، ويستحب له أن يغلب جانب الخوف مادام في حال العمل والكدَ لئلا يغتر بعمله فيتكاسل عن عمل الطاعات ، فإذا انقطع العمل لنزول المرض ودنو الأجل يستحب له أن يغلب جانب الرجاء الذي هو أحب الأحوال إلى الله عندئذ(٥)،وقد نبه على ذلك القاضي عياض فقال : (يستحب الخوف للإنسان مادام في حالة العمل ، فإذا دنا الأجل وذهب المهل وانقطع العمل، استحب حينئذ الرجاء ليلقى الله تعالى على حالة هي أحب الأحوال إليه -جل اسمه- إذ هو الرحمن الرحيم ويحب الرجاء وأثنى على نبيه -عليه السلام-

---

١) أي خارجي فإن الخوارج يسمون حرورية.

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/٨١-٨٢ و ١٥/٢١ وجامع الرسائل ١/١١٢-١١٣ وشرح الطحاوية ص ٣١٢.

٣) شرح الطحاوية ص ٣١١.

٤) لمزيد من التفصيل تراجع رسالتي الماجستير (محبة الله ورسوله) يسر الله طباعتها وذلك في الباب الرابع بعنوان محبة الله ورسوله عند الصوفية ص ٤٨٧ وما بعدها.

٥) انظر شرح الطحاوية ٣١٢.

بذلك، يؤيد ذلك قوله ﷺ: «لايموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عزوجل»(١) إذ فيه تحذير من القنوط المهلك وحض على الرجاء عند الخاتمة لئلا يغلب عليه الخوف حينئذ فيخشى عليه غلبة اليأس والقنوط فيهلك ، ولقوله ﷺ في الحديث بعد هذا «يبعث الله كل عبد على مامات عليه»(٢) فهذا جامع لهذا ولغيره وأن العبد يبعث على الحالة التي مات عليها)(٣). فعلى العبد المؤمن أن يحذر الأمن من مكر الله وكذا القنوط من رحمته وأن يحرص على أن يموت وهو محسن ظنه بالله راجياً مغفرته ورحمته ، وأن يحذر أن يموت على معصية من معاصيه فإن العبد يبعث على مامات عليه كما أخبر الرسول ﷺ نسأل الله أن يحسن ختامنا إنه سميع مجيب.

سادساً - النذر

١- ذكر بعض الأدلة على كون النذر عبادة

من أنواع العبادة التي يجب اخلاصها لله تعالى النذر، والدليل على كونه عبادة -كما قال قاضي عياض-: (أنه قد جاء في كتاب الله وسنة رسوله كثيراً وأمرا بالوفاء به وأثنيا على فاعل ذلك، وذم رسول الله ﷺ من لم يف به)(٤)، وقد ذكر - رحمه الله - بعض الأدلة على ذلك وهي :

١- قوله تعالى ﴿**وليُوفوا نذورَهم**﴾(٥) حيث جاء الأمر في هذه الآية بالإيفاء بالنذر.

٢- حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة(٦) - رضي الله عنه- استفتى رسول الله ﷺ في نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه فقال

---

١) رواه مسلم في ك الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله ٢٢٠٥/٤ برقم ٢٨٧٧.
٢) رواه مسلم في ك الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله ٢٢٠٦/٤ برقم ٢٨٧٨.
٣) إكمال المعلم ١٠٥/٦.
٤) المرجع السابق ١٥/٥-١٧.
٥) سورة الحج آية ٢٩.
٦) هو الصحابي الجليل، سعد بن عبادة بن دُليم الخزرجي الانصاري، يكنى أبا قيس وأبا ثابت وأبا الحباب، هو سيد الخزرج كان نقيبهم في بيعة العقبة، شهد بدراً، كان حامل راية الانصار وعلي حامل راية رسول الله. وهو الذي قال للرسول في بدر لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، كان جواداً كريماً ، روى أحاديث يسيرة عن رسول الله ﷺ ، توفي بحوران بالشام سنة (١٤ هـ) في عهد عمر ، انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١٠ والاستيعاب ١٥٢/٤ والإصابة ١٥٢/٤.

«اقضه عنها»(١) قال القاضي عياض: ففي الحديث جواز النذر للطاعة.

٣- ومن الأدلة أيضاً قوله ﷺ «من نذر أن يطيع الله فليطعه»(٢).

٤- ومن الأدلة قوله ﷺ ذاماً الذين لم يفوا بنذورهم «وينذرون ولايوفون»(٣)

٥- قلت: ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى مثنياً على عباده الصالحين ﴿**يوفون بالنذر**﴾(٤). ووجه الدلالة من الآية على كون النذر عبادة ، أنه سبحانه وتعالى مدح المؤمنين بالوفاء بالنذر والله عزوجل لايمدح إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم لايمدح على فعل المباح المجرد(٥) ، إلى غير ذلك من الأدلة.

٢- أقسام النذور وحكم الوفاء بكل منها

النذور قسمان: نذر طاعة، ونذر معصية .

وحكم الوفاء بنذر الطاعة الوجوب ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (النذر لله يجب الوفاء به إذا كان في طاعة)(٦) وقال النووي - رحمه الله - (أجمع المسلمون على صحة النذور ووجوب الوفاء بها إذا كان الملتزم طاعة)(٧)، وقال القاضي عياض - رحمه الله -: (نذر الطاعة لازم لقوله ﷺ «من نذر أن يطيع الله فليطعه»(٨).

أما الوفاء بنذر المعصية فإنه لايجوز بإتفاق المسلمين - كما قال شيخ الإسلام (٩)- وإنما اختلفوا هل فيه بدل أو كفارة يمين لقوله ﷺ (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا

---

١) رواه البخاري في ك الايمان والنذور باب من مات وعليه نذر ٥٩٢/١١ برقم ٦٦٩٨ ومسلم في ك النذور باب الامر بقضاء النذر ١٢٦٠/٣ برقم ١٦٣٨.

٢) رواه البخاري في ك الايمان والنذور باب النذر فيما لايملك وفي معصية ٥٩٤/١١ وأبو داود في ك الايمان باب ماجاء في النذر في المعصية ٥٩٣/٥ برقم ٣٢٨٩ ومالك في الموطأ في ك الأيمان والنذور باب ما لايجوز من النذور في معصية الله ٣٧٩/٢ برقم ٨.

٣) رواه البخاري في ك الأيمان والنذور باب إثم من لايفي بالنذر ٥٨٩/١١ برقم ٦٦٩٥ ومسلم في ك فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ١٩٦٤/٤ برقم ٢٥٣٥.

٤) سورة الإنسان آية ٨.

٥) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٢٠٣.

٦) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٨١/١.

٧) شرح صحيح مسلم ٩٦/١١.

٨) إكمال المعلم ١٧/٥ والحديث تقدم تخريجه .

٩) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٨١/١-٨٢ وشرح صحيح مسلم ٩٦/١١.

يعصــه) (١)، ويقول القاضي عياض (إذا كان النذر نذر معصية فلا وفاء له ولايصح لأن النذر المقصود به التقرب إلى الله والمعصية تنافيه ، فهو منهي عنه وعن الوفاء به كما قال رسول ﷺ "لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لايملك العبد(٢)"(٣).

٣- هل في نذر المعصية كفارة

اختلف العلماء - رحمهم الله - في وجوب الكفارة على من نذر نذر معصية بعد إتفاقهم على عدم جواز الوفاء به على قولين:

الأول : وجوب الكفارة وهو المشهور من مذهب أحمد وبه قال أبو حنيفة وأصحابه وغيرهم وحجتهم قوله ﷺ "لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين"(٤).

وقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً "كفارة النذر كفارة اليمين"(٥)، وهذا القول هو الراجح .

القول الثاني : أنه لا كفارة في نذر المعصية وهو مذهب مالك والشافعي وغيرهما، وبه قال القاضي عياض(٦) وحجتهم حديث عائشة - رضي الله عنها - في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"(٧) قالوا: الحديث لم يذكر فيه كفارة.

وجوابه: أن عدم ذكر الكفارة لايدل على عدم النذر المطلق أو على نذر اللجاج وهو أن يقول الإنسان شيئاً يريد الاهتناع من شيئ آخر فهو بالخيار بين

---

١) تقدم تخريجه ص ١٨٦

٢) رواه مسلم في ك النذر باب لاوفاء لنذر في معصية الله ١٢٦٢/٣ برقم ١٦٤١.

٣) إكمال المعلم ١٧/٥.

٤) رواه أحمد ٢٤٧/٦ وأبو داود في ك الأيمان والنذور باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية ٥٩٤/٣-٥٩٥ برقم ٣٢٩٠ والترمذي في ك النذور والأيمان باب لانذر في معصية ٨٧/٤ برقم ١٥٢٥ والنسائي في ك الأيمان والنذور باب كفارة النذور ٣٣/٧ برقم ٣٨٤٣ وابن ماجه في ك الكفارات باب النذر في المعصية ٦٨٦/١ برقم ٢١٢٤ وقال الألباني في صحيح الجامع ٢٠١/٦ برقم ٧٤٢٢ صحيح.

٥) رواه مسلم في ك النذر باب في كفارة النذر ١٢٦٥/٣ برقم ١٦٤٥.

٦) انظر إكمال المعلم ١٧/٥.

٧) تقدم تخريجه.

الكفارة وبين ما التزمه(١).

٤- نهي النبي ﷺ عن النذر

تنبغي الإشارة إلى أن النبي ﷺ قد كره لأمته النذر ونهاهم عنه مع أمره بالوفاء به - كما سبق بيانه - إذا كان نذر طاعة لله تعالى، فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لاتنذروا فإن النذر لايغني من القدر شيئاً وإنما يُستخرج به من البخيل»(٢). وقد اختلف في سبب نهيه ﷺ عن النذر. فقيل: يحتمل أن سبب كراهيته لذلك لكون الناذر يصير ملتزماً له فيأتي به تكلفاً بغير نشاط، وقيل يحتمل لكون الناذر يأتي بالقربة التي التزمها في نذره على صورة المعاوضة للأمر الذي طلبه فينقص أجره، وشأن العبادة أن تكون متمحضة خالصة لله تعالى(٣).

رأي القاضي عياض في ذلك :

قال القاضي - رحمه الله -: (يحتمل أن النهي عن النذر لكونه قد يظن بعض الجهلة أن النذر يرد القدر ويمتنع من حصول المقدور، فنهى النبي ﷺ عنه خوفاً من جاهل يعتقد ذلك وسياق الحديث يؤيد هذا والله أعلم)(٤).

وأرى - والله أعلم - أن جميع الإحتمالات السابقة واردة ، وحسب المسلم أن يكره ما كره الرسول ﷺ سواء علم الحكمة من النهي أو لم يعلمها، لأنه مأمور بإتباعه عليه السلام.

٥- خطر النذر لغير الله تعالى

أرى من الضروري أن أنبه -في ختام الحديث عن النذر- إلى أمر خطير يقع فيه كثير ممن ينتسب إلى الإسلام من الصوفية وغيرهم، ألا وهو النذر لغير الله من الأولياء والصالحين والأشجار والأحجار وأصحاب المقامات -كما يسمونها- وغير ذلك، ولاشك بأن هذا الفعل شرك أكبر يجب على العبد الحذر منه كل الحذر، لأنه صرف عبادة لغير الله لايجوز أن تصرف لغيره عزوجل.

---

١) انظر لمزيد من التفصيل مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨٢/١ وشرح صحيح مسلم ٩٦/١١-١١٤ وتيسير العزيز الحميد ص ٢٠٢.

٢) رواه مسلم في ك النذر باب النهي عن النذر ١٢٦١/٣ برقم ١٦٤٠.

٣) أنظر شرح النووي لصحيح مسلم ٩٩/١١.

٤) إكمال المعلم ١٥/٥-١٦ وشرح النووي لصحيح مسلم ٩٩/١١.

وقد نبه علماء السلف الصالح - رحمهم الله - على هذا الأمر وبينوا خطره ، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية - طيب الله ثراه - يقول : (إذا كان النبي ﷺ قد نهى عن النذر لله وأخبر أنه لايأتي بخير ، فكيف إذا كان للمخلوق ؟! لذلك من ظن بأن النذر للمخلوقين يجلب لهم منفعة أو يدفع مضرة ، فهو من الضالين الذين يظنون أن عبادة المخلوقين تنفع وتضر ، ولقد نهى النبي ﷺ عن الحلف بغير الله وأخبر أنه شرك بالله فقال «من حلف بغير الله فقد أشرك»(١) فكيف بمن نذر لغير الله ؟! والنذر أعظم من الحلف)(٢).

ويقول - رحمه الله - أيضاً: (النذر للأشجار والأحجار والقبور وغيرها وتعليق الخِرَق عليها وأخذ أوراقها للتبرك والصلاة عندها من البدع المنكرة، ومن أعمال الجاهلية ومن أسباب الشرك ، ولهذا لما بلغ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - أن قوماً يأتون الشجرة التي تحتها بيعة الرضوان فيقصدون الصلاة فيها ، أمر بقطعها فقطعت سداً للذريعه ، وكذلك من نذر مالا من النقد أو غيره للسدنة التي على القبور ونحوها أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فنذره باطل بإتفاق العلماء لايجوز الوفاء به ، لأن هؤلاء السدنة فيهم شبه من السدنة التي كانت للآت والعزى ومناة، وهؤلاء يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، وفيهم شبه أيضاً بسدنة الصلبان وغيرهم من المشركين)(٣).

قلت : رحم الله شيخ الإسلام وجزاه خيراً على هذا التوضيح الجلي، فإن كلامه دُرَر قيمة مستمدة من نور الكتاب والسنة ، وقد كان رحمه الله حريصاً أشد الحرص على جناب التوحيد أن يخدش فبينه واعتنى به في مؤلفاته أشد الإعتناء وحذر مما يناقضه، وكلامه في هذا معروف مشهود ، وهكذا كان حال علماء السلف الصالح - رحمهم الله - فتحذيرهم من هذا الفعل وغيره مما يناقض التوحيد مشهور وكلامهم عنه كثير لامجال لذكره هـهنا(٤).

هذه بعض أنواع العبادة التي نص عليها القاضي عياض وهناك أنواع

---

١) رواه الترمذي في ك الأيمان والنذور باب ماجاء في كراهية الحلف بغير الله ٩٣/٤ برقم (١٥٣٥) وقال حديث حسن صحيح ، وأبو داود في ك الأيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء برقم (٣٢٥١).

٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨١/١-٨٢.

٣) المرجع السابق ١٣٦/٢٧-١٣٧.

٤) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٢٠٣-٢٠٩ فقد اهتم بهذا الموضوع إهتماماً بالغاً وبين خطر هذا الفعل على إيمان العبد ودينه.

كثيرة جداً مثل السجود والركوع والذبح والإستغاثة وغير ذلك مما يدخل في تعريف العبادة ، فيجب على المرء المسلم أن يخلصها لله وحده وأن تكون بغاية الحب والذل له سبحانه رغبة وطمعاً في رضوانه وجناته ورهبة وخوفاً من غضبه وناره.

المبحث الرابع : (التوسل وأنواعه وموقف القاضي عياض منه)

المطلب الأول : معنى وأنواع التوسل :

أ- معنى التوسل

١- التوسل لغة: التوسل مأخوذ من الوسيلة ومعناها القربة والواسطة (والوسيلة في الأصل مايتوسل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائل يقال وسل إليه وسيلة وتوسل)(١).

وقال الراغب الأصبهاني: (الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة ، وهي أخص من الوصيلة لتضمنها لمعنى الرغبة. قال تعالى ﴿**وابتغوا إليه الوسيلَة**﴾(٢). وحقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعمل والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي القربة، والواسل الراغب إلى الله)(٣).

٢- معنى التوسل في الإصطلاح الشرعي :

لقد ورد لفظ الوسيلة في القرآن الكريم في موضعين الأول : في سورة المائدة حيث جاء الأمر بها قال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون**﴾(٤). والموضع الثاني في سورة الإسراء حيث مدح الله المتصفين بها فقال عزوجل ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهمُ الوسيلةَ أيُّهم أقربُ ويرجُون رحمتَه ويخافون عذابَه إن عذابَ ربك كانَ محذوراً**﴾(٥). وقد اتفق أئمة المفسرين

---

١) النهاية في غريب الحديث ١٨٥/٥.
٢) سورة المائدة آية ٣٥.
٣) المفردات للراغب الاصفهاني ٥٢٣-٥٢٤.
٤) سورة المائدة آية ٣٥.
٥) سورة الاسراء آية ٥٧.

على أن المراد بالوسيلة القربة بالطاعة والعبادة إلى الله تعالى(١) .

وللوسيلة معنى آخر وهو المنزلة العليا في الجنة والتي اختص الله بها رسول الله ﷺ، ولقد وضح ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله «إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»(٣).

فاتضح مما سبق أن الوسيلة التي هي القربة تصدق على التقوى وعلى غيرها من خصال الخير التي يتقرب العباد بها إلى الله، لذا لايجوز أن يتقرب الخلق إليه تعالى إلا بما شرعه في كتابه أو في سنة رسول الله ﷺ.

ب- أنواع التوسل

التوسل قسمان: -كما وضح ذلك علماء السلف الصالح-(٤). توسل مشروع وتوسل مذموم .

١- أنواع التوسل المشروع

التوسل المشروع : هو مادلت عليه نصوص الكتاب والسنة وجرى عليه عمل السلف الصالح رحمهم الله وأجمعوا عليه وهو أنواع :

الأول : التوسل بأسماء الله وصفاته، والدليل على ذلك قول الله تعالى

---

١) انظر تفسير الطبري ٢٢٦/٦ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٤٨/٢ وتفسير البغوي ٣٣٤/٢ وتفسير ابن كثير ٥٢/٢ وفتح القدير ٣٨/٢ وغيرها.

٢) رواه مسلم في ك الصلاة باب إستحباب القول مثل قول المؤذن ٢٨٨/١ برقم ٣٨٤.

٣) رواه البخاري في ك الاذان باب الدعاء عند الاذان ١١٢/٢ برقم (٦١٤) .

٤) انظر قاعدة جليلة في التوسل لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٣و١٧و٨٢ وغيرها، والتوسل أنواعه وأحكامه للشيخ الألباني فهما من أنفس ما كتب في هذا الشأن وانظر أيضاً تفسير السعدي ٣٦٣/١.

﴿ولله الأسماءُ الحسنى فادعُوه بها وذرُوا الذين يُلحِدُون في أسمائه﴾(١).

ولا شك بأن صفاته عزوجل داخلة في هذا الأمر لأن أسماءه متضمنة لمعاني الصفات فهي صفات له.

وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ماعلمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»(٢).

النوع الثاني : التوسل إلى الله بعمل من الأعمال الصالحة التي قام بها العبد الداعي. كأن يقول : اللهم بإيماني بك ومحبتي لك ولنبيك واتباعي له وفقني واغفر لي... ونحو ذلك .

ومنه أن يذكر الداعي عملا صالحاً ذا بال كان يعمله طاعة واخلاصاً لوجه الله الكريم فيتوسل به إلى الله في دعائه ليكون أرجى في القبول والإجابة.

ومن الأدلة على ذلك : - قول الله تعالى ﴿ **الذين يقولُون ربنا إنَّنا آمنا فاغْفر لنا ذنوبَنا وقنا عذابَ النار**﴾(٣).

- وقوله عزوجل حكاية عن الحواريين ﴿ **ربنا آمنا بما أنزلتَ واتَّبعنا الرسولَ فاكتُبْنا مع الشاهدين**﴾(٤).

- ويدل على هذا النوع أيضاً ماورد في قصة أصحاب الغار الذين آوهم المبيت إلى ذلك الغار وما جرى لهم من إنسداد بابه بصخرة فدعا كل منهم بصالح أعماله حتى انفرجت الصخرة وخرجوا وهم يمشون وهي قصة طويلة صحيحة مشهورة(٥).

النوع الثالث : التوسل إلى الله بدعاء من ترجى إجابته من أهل الصلاح والتقوى والعلم بالكتاب والسنة : والأدلة على ذلك كثيرة منها.

- مارواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب

---

١) سورة الأعراف آية ١٨٠.

٢) رواه النسائي في ك السهو باب الدعاء بعد الذكر ٣/٥٤-٥٥ برقم (١٣٠٥-١٣٠٦) والحاكم ١/٥٢٤ وصححه ووافقه الذهبي وقال الألباني إسناده جيد انظر مشكاة المصابيح ٢/٧٧٠ برقم ٢٤٩٧.

٣) سورة آل عمران آية ١٦.

٤) سورة آل عمران آية ٥٣.

٥) أخرجها البخاري في مواضع منها ك الإجارة باب من استأجر أجيراً فترك أجره ٤/٥٢٥ برقم (٢٢٧٢) ومسلم في ك الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال ٤/٢٠٩٩ برقم (٢٧٤٣).

كان وجاء المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول ﷺ قائماً فقال : يارسولَ الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : «اللهم اسقنا اللهم اسقنا» قال أنس : والله مانرى في السماء من سحاب ولا قزعة(١) ولا شيئاً، وما بيننا وبين سَلْع(٢) من بيت ولا دار (٣) قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم امطرت، قال: والله مارأينا الشمس سبتاً(٤) ، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله قائم يخطب فاستقبله قائماً فقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها قال : فرفع رسول الله يديه ثم قال : «أللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب(٥) والأودية ومنابت الشجر، قال : فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس»(٦).

هكذا كان صحابة رسول الله ﷺ يتوسلون بدعاء رسول الله في حياته حيث يطلبون منه الدعاء فيدعو لهم، ولكن بعد موته عليه السلام وانتقاله إلى الرفيق الأعلى لم يعد من الممكن أن يدعولهم لذا نجدهم يتوسلون بدعاء بعضهم بعضاً.

فقد روى البخاري -رحمه الله- عن أنس -رضي الله عنه- أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب(٧)

---

١) أي قطعة من الغيم وجمعها قزع انظر النهاية في غريب الحديث ٥٩/٤.

٢) يعني جبل سلع وهو جبل معروف بالمدينة.

٣) أي يحجبنا عن رؤيته وأشار بذلك إلى أن السحاب كان مفقوداً لا مستتراً ببيت ولا غيره انظر فتح الباري ٥٨٥/٢.

٤) المراد به الأسبوع من السبت إلى السبت وهو من تسمية الشيء باسم بعضه كما يقال عشرون خريفاً ويراد عشرون سنة انظر النهاية ٣٢١/٢.

٥) فيه بيان المراد بقوله (حوالينا) والآكام بالكسر جمع أكمه وهي الرابية (أي مالرتفع من الارض) وتجمع الاكام على أكم والأكم على آكام. انظر النهاية في غريب الحديث ٥/١ والظراب الجبال الصغار واحدها ظرب بوزن كتف (المصدر السابق ١٥٦/٣).

٦) رواه البخاري في مواضع منها ك الاستسقاء باب الاستسقاء في المسجد الجامع ٥٨١/٢ برقم (١٠١٣) ورواه مسلم في ك الصلاة الإستقاء باب الدعاء في الاستقاء ٦١٢/٢ برقم ٨٩٧.

٧) هو عم رسول الله ﷺ، أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين وقيل بثلاث، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، حضر بيعة العقبة مع الانصار قبل أن يسلم، شهد بدراً مع المشركين مكرهاً فأسره المسلمون فافتدى نفسه ورجع إلى مكة، ويقال إنه أسلم وكتم إسلامه وصار يكتب للرسول بالاخبار، ثم هاجر قبل فتح مكة بقليل وشهده وثبت مع النبي ﷺ في غزوة حنين، كان النبي ﷺ يحبه ويجله وكذا المسلمون، توفي بالمدينة (٣٢ هـ) وقيل غير ذلك وصلى عليه عثمان رضي الله عنه. انظر ترجمته في مشاهير علماء الامصار ص ٩ والاستيعاب ٩٤/٣ والاصابة ١٠٩/٣.

فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا ، قال فيسقون)[1]ومعنى قول الفاروق رضي الله عنه (وإنا نتوسل إليك بعم نبينا) أي بدعائه وشفاعته لابذاته. وقد بين الحافظ ابن حجر رحمه الله صيغة الدعاء الذي دعا به العباس رضي الله عنه وهي (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب فاسقنا الغيث) فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس)[2].

- وقد فعل معاوية بن أبي سفيان[3] رضي الله عنهما مثل ما فعل عمر بن الخطاب بحضرة من معه من الصحابة والتابعين عندما أجدب الناس بالشام حيث استسقوا بيزيد بن الأسود الجرشي[4] وتوسلوا به كما توسل عمر بالعباس فقال معاوية : (اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا ، اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي ، يايزيد ارفع يديك إلى الله)، فرفع يديه ورفع الناس أيديهم فما كان بأوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح فسقتنا حتى كاد الناس أن لايبلغوا منازلهم واستسقى

---

1) رواه البخاري في ك الإستسقاء باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ٥٧٤/٢ برقم (١٠١٠) وأيضاً في ك الفضائل الصحابة باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ٩٦/٧ برقم (٣٧١٠) وابن سعد في طبقاته ٢٨/٤-٢٩ والبيهقي في السنن الكبرى ٨٨/٣.

2) فتح الباري ٥٧٧/٢ ونقله عنه الشوكاني في نيل الأوطار ٢٠٥/٤.

3) هو الصحابي الجليل، معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أبي أمية بن عبد بن مناف القرشي الأموي، ولد قبل الهجرة بخمس سنين وقيل غير هذا، وذكر أنه أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح سنة ٨ هـ، كان من كتاب الوحي ، ولاّه أبو بكر قيادة جيش تحت امرة أخيه يزيد وولاه عمر على الأردن ودمشق، وولاه عثمان الديار الشامية كلها، تولى الخلافة بعد استشهاد علي واجتمع الناس عليه وسمي ذلك العام عام الجماعة بعد مبايعة الحسن له، فتحت في عهده أمصار كثيرة، أوصى بالخلافة لولده يزيد فكان رضي الله عنه أول ملك في المسلمين، توفي بدمشق سنة ٦٠ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب ٣٩٥/٣ وأسد الغابة ٣٨٥/٤ وسير أعلام النبلاء ١١٩/٣-١٦٢.

4) هو يزيد بن الأسود الجرشي من سادة التابعين بالشام، أسلم في حياة النبي ﷺ توفي سنة (٧١ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣٦/٤-١٣٧ والبداية والنهاية ٣٢٤/٨.

بيزيد أيضاً الضحاك[1] بن قيس الفهري[2].

فتبين مما سبق أن الصحابة رضي الله عنه كانوا يتوسلون بدعاء الرسول ﷺ ويستقون به في حياته ، فلما توفي عليه الصلاة والسلام عدلوا عن التوسل به فتوسلوا بعمه العباس كما فعل ذلك الفاروق رضي الله عنه، وكما فعل أيضاً معاوية والضحاك رضي الله عنهما بيزيد ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن التوسل به ﷺ بعد موته أمر محرم غير مشروع، إذ لو كان خيراً لسبقونا إليه رضي الله عنهم أجمعين ، اذ كيف تسّول لهم أنفسهم - وهم من هم في التقى والصلاح ومحبة الله ورسوله - أن يتوسلوا بغيره كائناً من كان ويتركوا التوسل به لو كان ذلك جائزاً؟! فدل تركهم رضي الله عنهم لذلك على عدم جواز التوسل به ﷺ بعد مماته ، وعلى أن توسلهم به حال حياته إنما هو بدعائه وذاته وشفاعته عليه الصلاة والسلام.

٢- أنواع التوسل المذموم

تقدم فيما سبق الحديث عن أنواع التوسل المشروع ، وبقي الكلام عن التوسل المذموم وأنواعه ، وقبل أن أذكر هذه الأنواع أحب أن أنبه إلى أن التوسل المذموم هو ماعدا الأنواع الثلاثة للتوسل المشروع ، والتوسل المذموم نوعان :

أحدهما : أن يكون بوسيلة أبطلها الشرع كتوسل المشركين بآلهتهم بالدعاء والخوف والرجاء والطمع ونحو ذلك من أنواع العبادة كما قال تعالى في وصف حالهم ﴿ **والذين اتّخذوا من دونه أولياءَ مانعبُدُهم إلا ليقرّبونا إلى الله زُلفى**﴾[3]، وهذا النوع شرك أكبر والعياذ بالله.

الثاني : أن يكون التوسل بوسيلة لم يرد فيها دليل من الشرع،وهذا كالتوسل إلى الله بذوات الملائكة والأنبياء والصالحين وسؤال الله بحقهم أو ذاتهم أو جاههم أو حرمتهم أو مقامهم ونحو ذلك ، فيقول العبد مثلا اللهم

---

١) هو الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب الفهري، أبو أنيس الامير المشهور من صغار الصحابة قتل في وقعة مرج راهط سنة (٦٤ هـ) انظر مشاهير علماء الامصار ص ٥٤ وأسد الغابة ٣٧/٣ وتقريب التهذيب لابن حجر ٤٤٣/١ برقم ٢٩٨٧.

٢) روى إستسقاء معاوية والضحاك بيزيد أبو زرعة في تاريخه ٦٠٢/١ برقم (١٧٠٢ - ١٧٠٤) وابن سعد في الطبقات ٤٤٤/٧ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢٢/١٨ - ١٢٤ والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣٧/٤ وصححه الألباني في التوسل أنواعه وأحكامه ص ٤٥.

٣) سورة الزمر آية ٣.

إني أسألك بجاه نبيك أو حرمته أن تقضي حاجتي أومايشابه ذلك ، وهذا توسل بدعي محرم لأنه وسيلة إلى الشرك بالله لذا لايجوز للعبد فعله ، لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا فعله سلف هذه الأمة الكرام من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، وإن كان بعض علماء أهل السنة أباح التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الصالحين - كما قال ذلك الشوكاني(١) وغيره- لكن الذي ندين الله به - كما قال العلامة الألباني(٢) - حفظه الله - أن هذا ممنوع ومذموم، لأنه يجب على المسلم أن يدور مع الدليل حيث دار وأن لايتعصب ولايغضب للرجال، بل عليه أن ينحاز ويتعصب للحق فقط، ولأنه لايوجد لمن قال بالتوسل بالنبي ﷺ بعد موته وكذا غيره من الأموات دليل صحيح صريح يجيز ذلك ، بل ما استدل به المجيزون إن كان صحيحاً فهو رد عليهم بحمد الله وإلا فهو ضعيف لا يحتج به. وقد صدق إمام دار الهجرة عندما قال: كلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ.

المطلب الثاني : رأي القاضي عياض في التوسل

أ- رأيه في التوسل بأسماء الله وصفاته

لم أجد للقاضي عياض كلاماً حول التوسل المشروع سوى بعض العبارات القليلة التي يجيز فيها التوسل بأسماء الله وصفاته مستشهداً لذلك بفعل رسول الله ﷺ فقد قال رحمه الله عند شرحه لقول النبي ﷺ في دعائه ربه يوم الخندق على المشركين: «اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب أهزمهم وانصرنا عليهم»(٣) قال : (هذا توسل منه ﷺ بما أنزل عليه من كتابه العزيز فخالفه أعداؤه، فطلب من ربه أن ينزل عليهم بطشه وعذابه وأن ينصر المؤمنين عليهم)(٤).

ب- رأيه في التوسل بذات النبي ﷺ بعد موته ومناقشته في ذلك

يرى القاضي عياض - غفر الله له - جواز التوسل برسول الله ﷺ بعد موته مستشهداً لذلك بقصة واهية رواها عن الإمام مالك -رحمه الله- ، فقد ذكر

---

١) انظر الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد للشوكاني ص ٧-٩ ط مكتبة الصحابة ،والتوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ص ٢٨٥.

٢) التوسل أنواعه وأحكامه ص ٤٥.

٣) رواه مسلم في ك الجهاد باب كراهية تمني لقاء العدو ١٣٦٢/٣ برقم ١٧٤٢.

٤) إكمال المعلم ٦٤/٥.

بسنده إلى محمد بن حميد قال : ناظر أبو جعفر المنصور(١) أمير المؤمنين مالك ابن أنس في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لاترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدّب قوماً فقال ﴿ **لاترفعوا أصواتَكم فوقَ صوتِ النبي**﴾(٢) الآيَة ومدح قوماً فقال ﴿ **إن الذين يغُضُّون أصواتَهم عند رسولِ الله أولئك الذين امتحن اللهُ قلوبَهم للتقوى**﴾(٣) وذم قوماً فقال ﴿ **إن الذين ينادونك من وراءِ الحُجُراتِ أكثرُهُم لايعقلُون**﴾(٤) وإن حرمته ﷺ ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر وقال : يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة ؟! بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله، قال الله تعالى ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفُسَهم جاؤك فاستغفرُوا اللهَ واستغفر لهمُ الرسولُ لوجدوا اللهَ تواباً رحيماً**(٥)﴾(٦).

مناقشة القاضي فيما ذهب إليه

الحقيقة أن ما ذهب إليه القاضي عياض من جواز التوسل برسول الله ﷺ بعد موته قد جانب الحق والصواب فيه وأن ما أستدل به من القصة المنسوبة لمالك فهو مما لايصح نسبتها إليه ، ولهذا رد شيخ الإسلام(٧) ابن تيمية - رحمه الله على القاضي عياض في ذلك، وعلى تلك القصة رداً علمياً دقيقاً وبين أنها حكاية منقطعة، لأن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكاً لاسيما في زمن أبي جعفر المنصور، فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة (١٥٨ هـ)، وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة (١٧٩ هـ)، وتوفي ابن حميد سنة ثمان وأربعين ومائتين (٢٤٨ هـ)، ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم

---

١) هو أبو جعفر، عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور، كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة ورأياً وحزماً ودهاء، وجبروتاً وحسن مشاركة في الفقه والأدب والعلم، ولد سنة (٩٥ هـ) أو نحوها وتوفي سنة ١٥٨ هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٧٣/٧) والبداية والنهاية (١٢١/١٠) وشذرات الذهب (١٨٥/١) وغيرها.

٢) سورة الحجرات آية ٢.

٣) سورة الحجرات آية ٣.

٤) سورة الحجرات آية ٤.

٥) سورة النساء آية ٦٤.

٦) الشفا بحقوق المصطفى ٤١/٢ وذكرها أيضاً بدون سند في ترتيب المدارك ٢١١/١-٢١٢.

٧) انظر التوسل الوسيلة لشيخ الاسلام ص ١٢٠ وما بعدها والمجروحين لابن حبان ٣٠٣/٢ وتهذيب التهذيب ١٣١/٩.

إلا وهو كبير مع أبيه ، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث ، وقالوا فيه كثير المناكير وليس بثقة ، بل كذّبه بعضهم وقالوا مارأينا أحداً أجرأ على الله وأحذق بالكذب منه، ثم إن في إسناد القصة مجاهيل لايعرف حالهم ، وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه، وابن حميد - كما تقدم - ضعيف عند أهل الحديث اذا أسند فلا تقبل روايته، فكيف إذا أرسل حكاية لاتعرف إلا من جهته هي بخلاف المشهور عن مالك ، فإن أصحابه متفقون على أنه بمثل هذا النقل لايثبت عن مالك قول له في الفقه فكيف في العقيدة ؟!! فإن المعتمد عندهم إنما هي رواية المدنيين والمصريين،فهم لايعتمدون رواية الشاميين فكيف تعتمد حكاية تناقض مذهب مالك المعروف عنه من وجوه أحدهما أن الذي رواها هو ابن حميد أحد الخراسانيين الذين لم يدركوه وهو مع هذا ضعيف منكر الحديث ؟!

فهذه إذاً حكاية مكذوبة على الإمام مالك وعلى فرض صحتها لم يكن المراد بالتوسل به ﷺ بعد موته - كما يظن من أجاز ذلك - بل هو التوسل بشفاعته يوم القيامة ، وهذا حق كما جاءت به الأحاديث الصحيحة التي بلغت حد التواتر حين يأتي الناس يوم القيامة إلى آدم ليشفع لهم فيردهم إلى نوح ثم يردهم نوح إلى إبراهيم وإبراهيم إلى موسى وموسى إلى عيسى ويردهم عيسى إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع لهم.

ومن جهة أخرى فإن هذه القصة - الآنفة الذكر- تناقض مذهب مالك المعروف المشهور في كيفية السلام على النبي ﷺ ، فإن مذهبه رحمه الله هو وغيره من الأئمة بالإضافة إلى سائر السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، أن المرء إذا سلم على الرسول ﷺ وأراد أن يدعو فإنه يستقبل القبلة ويدعو في مسجده ﷺ ولا يستقبل القبر ويدعو -كما جاء بتلك القصة - وإنما يستقبل القبر عند السلام على النبي ﷺ والدعاء له،هذا قول أكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم وعند أصحاب أبي حنيفة لا يستقبل القبر وقت السلام عليه ، ومنهم من قال يجعل القبر على يساره وهو مروي أيضاً عن مالك ، ومنهم من قال بل يستدبر الحجرة ويسلم عليه وهذا هو المشهور عندهم ، ومع هذا فقد كره مالك رحمه الله أن يطيل المرء القيام عند قبره ﷺ أو يمسه كما روى عنه القاضي عياض نفسه قوله: (لا أرى أن يقف

عند قبر النبي ﷺ يدعو ولكن يمضي ويسلم)(١) بل كره مالك أن يقال زرنا قبر النبي ﷺ وقد رأى القاضي عياض أن سبب كراهية مالك لذلك إنما سداً للذريعة وحسماً للباب لئلا يشبه من فعل ذلك بفعل الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد(٢)، قلت صدق القاضي عياض فيما قال فالأمر كما بين.

وروى القاضي عياض عن مالك أنه كان يكره زيارة قبر النبي ﷺ والسلام عليه إلا للغرباء، أو من أراد سفراً من أهل المدينة أو جاء منه، فقد قال -رحمه الله-: (ليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء) وقال أيضاً: (لابأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له : إن أناساً من أهل المدينة لايقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة ، فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع، ولايصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده)(٣).

فانظر رحمك الله إلى أقوال مالك الكثيرة والتي ينقلها القاضي عياض عنه في نفس كتابه الشفا وكيف أن مالك يكره أن يقف المرء عند القبر الشريف أو يستقبله بدعاء ، وكيف أنه كره لأهل المدينة أن يأتوا القبر للسلام على النبي ﷺ إلا لمن أراد السفر أو جاء منه وجعل ذلك للغرباء فقط. فمذهبه رحمه الله كما هو مذهب السلف أنه لايستقبل العبد القبر بالدعاء بل إنما يستقبل القبلة كما كان يفعل ذلك الصحابة رضي الله عنهم،فإنه لم ينقل عن أحد منهم أنه استقبل القبر بالدعاء أو أطال الوقوف عنده ولافعل ذلك أحد من السلف الصالح ممن جاء بعدهم ، وقد صدق الإمام مالك حيث قال لايصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، فلله دره ما أفقهه وما أشد تمسكه بالسنة وما أحرصه على إقتفاء آثار الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان!!

---

١) انظر الشفا ٢/٨٥-٨٨.

٢) المرجع السابق .

٣) المرجع السابق .

فهو رحمه الله بريء مما نسب إليه في هذه القصة ومما شابهها من قصص وأقوال تخالف منهج السلف الصالح -رحمهم الله، لعلمنا أنه من أشد الأئمة تمسكاً بالسنة ومحاربة للبدع وأهلها، فكيف يقال إنه أرشد المنصور ليتوجه إلى قبر النبي ﷺ بالدعاء ويدع التوجه إلى القبلة التي هي قبلة الدعاء متشبهاً بما يفعله الخرافيون والمبتدعة القدامى والمحدثون ؟!

فرحم الله القاضي عياض وغفر له على مانسبه لإمامه، وقد صدق مالك حيث قال كل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ.

المبحث الخامس : التبرك وموقف القاضي عياض منه

المطلب الأول : معنى التبرك وأنواعه

أ- معنى التبرك وحقيقته: التبرك مأخوذ من البركة، وهي النماء والزيادة والسعادة والتبريك الدعاء بها. ومعنى (تبارك الله) أي تقدس وتنزه وهي تحميد وتعظيم لله تعالى ، وتبارك بالشيء تفاءل به ، (والمبارك) مايأتي من قبله الخير الكثير، وتبركت به تيمنت به، (والبركة) ثبوت الخير الإلهي في الشيء(١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : البركة نوعان : أحدها: بركة هي فعل الله تبارك وتعالى والفعل منها (بارك) وهو يتعدى بنفسه تارة وبأداة (على) وبأداة (في) ، والمفعول منها مبارك وهو ماجعل كذلك فكان مباركاً بجعله تعالى.

النوع الثاني : بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة ، والفعل منها (تبارك) ولهذا لا يقال لغيره ذلك ولايصلح إلا له عزوجل ، فهو سبحانه المبارك وعبده ورسوله ﷺ المبارك كما قال تعالى على لسان المسيح عليه السلام **﴿وجعَلَني مباركاً أينَما كنتُ﴾**(٢)، فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك ، وأما صفته تبارك فمختصة به عزوجل كما أطلقها على نفسه في كثير من آيات كتابه العزيز مثل قوله تعالى **﴿تبارَك الذي بيده الملك﴾**(٣) (**فتبارك الله أحسنُ الخالقين﴾**(٤) **﴿تبارك الذي نزّلَ الفُرقانَ على عبده﴾**(٥) **﴿تبارك الذي**

---

١) انظر لسان العرب ٣٩٦/١٠ والقاموس المحيط ص ١٢٠٤ والمعجم الوسيط ٥٢/١.

٢) سورة مريم آية ٣١.

٣) سورة تبارك آية ١.

٤) سورة المؤمنون آية ١٤.

٥) سورة الفرقان آية ١.

جعل في السماءِ بُرُوجاً﴾(١) أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لاتطلق على غيره وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوها، فجاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمها وسعتها، فحقيقة اللفظة أن البركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفاً وفعلا منه تعالى ، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين وهما متلازمان ، لكن الأليق باللفظة معنى الوصف لا الفعل ، فالبركة كلها لله ومنه فهو المبارك، ومن ألقى عليه بركته فهو المبارك، ولهذا كان كتابه مباركاً ورسوله مباركاً والأزمنة والأمكنة التي شرفها واختصها عن غيرها مباركة(٢).

فالتبرك : إذاً هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر وكل ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه، بسبب ذات مباركة أو زمان مبارك، ويشترط أن تكون هذه البركة قد ثبتت لذلك السبب ثبوتاً شرعياً وثبتت الكيفية التي تنال بها البركة عن النبي ﷺ(٣).

ب- أنواع التبرك

يتضح مما سبق أن التبرك نوعان ، مشروع : وهو ماثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة وفعل السلف الصالح ، وممنوع وهو مالم تثبت مشروعيته في الكتاب والسنة ولا ولم يفعله سلف هذه الأمة الصالحون(٤).

١- أنواع التبرك المشروع

التبرك المشروع خمسة أنواع :

الأول : التبرك بذات النبي ﷺ في حياته.

الثاني : التبرك بالأقوال والأفعال والهيئات الشرعية رغبة في الأجر والثواب.

---

١) سورة الفرقان آية ٦١.

٢) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢/١٨٥-١٨٦.

٣) انظر التبرك المشروع والتبرك الممنوع للدكتور على العلياني ص ٢١-٢٢.

٤) انظر المرجع السابق فإنه قد أجاد مؤلفه فيه وأفاد وفصل الكلام فيه معتمداً على النصوص الشرعية الصحيحة بمالم أجد له مثيلا في بابه وبما لامجال لذكره ههنا.

الثالث : التبرك بالأمكنة الفاضلة كالمساجد ومكة والمدينة وغيرها، وذلك بالقيام فيها وذكر الله فيها على الوجه المشروع، بشرط المتابعة لرسول الله وعدم التمسح بترابها أو جدرانها ونحو ذلك.

الرابع: التبرك بالأزمنة التي خصها الله بزيادة فضل وبركة ، فمن تحرى الخير فيها وتبرك بحلولها عليه وقام بما يشرع له فيها من العبادات على الوجه الشرعي نالته البركات العظيمة ، ومن هذه الأزمنة شهر رمضان المبارك وليلة القدر وعشر ذي الحجة ويوم عرفة ويوم الجمعة والثلث الأخير من الليل وغير ذلك .

الخامس: التبرك بالمطعومات وما في حكمها مما ثبت عليه الدليل وجاء الأمر بالتداوي به وأكله والتماس البركة منه، كزيت الزيتون والحبة السوداء والعجوة والكمأة والعسل وماء زمزم وغير ذلك.

فهذه المطعومات والمشروبات المباركات فيها بركة خصها الله بها من بين سائر الأنواع الأخرى، غير أن استعمالاتها لايتعدى بها الوجه المشروع والمباح.

أنواع التبرك الممنوع

التبرك الممنوع ثلاثة أنواع:

الأول: التبرك بالأمكنة والجمادات الفاضلة، بأن تقبل نوافذها وأعتابها أو يتمسح بها، أو يستشفى بترابها سواء كانت مساجد أو أماكن مقدسة كمكة والمدينة أو يوقف بالمشاعر المقدسة في غير الأوقات المشروعة التماساً للبركة، وذلك لأن التبرك عبادة، والعبادة مبناها على الإتباع لرسول الله والتوقيف عليه، لكن أهل البدع والغلو من الصوفية وغيرهم لم يقتصروا على الإتباع في التبرك بالأمنكة المباركة، بل تبركوا بقبور الصالحين وغيرهم وبكل مكان ارتبط بحدث مبارك، كمكان مولده ﷺ والأمكنة التي مر بها أو صلى فيها إتفاقاً من غير قصد لبقعة معينة أو جلس فيها اتفاقاً كغار ثور وحراء ونحو ذلك.

النوع الثاني: التبرك بالأزمنة المباركة، بالقيام فيها بعمل غير مشروع، كأن يخص أمرؤ هذه الأزمنة بصيام، مثل أن يصوم أيام الجمع والعيدين إلتماساً للبركة، أو يخصها بالإحتفالات كأن يحتفل بيوم مولد النبي ﷺ ويوم الإسراء والمعراج ويوم الهجرة ويوم بدر وغير ذلك، متقرباً بذلك إلى الله متوخياً الأجر منه على فعله ذلك،ولا شك أن هذه الأمور منكرة لايجوز فعلها، إذ تخصيص شيء من الأزمنة أو الأمكنة بالعبادة وكذا الإحتفال بها مما لايعلم إلا بالشرع، فلو كان ديناً لبينه رسول الله ﷺ ولفعله أصحابه -رضي الله عنهم- ومن جاء بعدهم بإحسان ، ومالم يكن على عهد رسول الله ﷺ وصحابته ديناً فلن يكون ديناً، وبالإضافة إلى هذا فإن الإحتفالات التي يقيمها من ينتسب إلى الإسلام في تلك الأزمنة أو الأمكنة فيها مشابهة بمناسبات الكافرين، ومن المعلوم أن أول من سن هذه الإحتفالات بالمولد النبوي ونحوه هم الباطينيون العبيديون أعداء الإسلام فكيف يجوز تقليدهم فيها(١).

النوع الثالث: التبرك بذوات الصالحين وآثارهم، لأن التبرك بالذات خاص برسول الله ﷺ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بوضوئه وعرقه وشعره وملابسه وغير ذلك مما يتعلق به - بأبي هو وأمي- ولم يفعلوا رضي الله عنهم أجمعين ذلك مع غيره، لامع الخلفاء الراشدين ولا مع بقية العشرة المبشرين بالجنة ولا غيرهم ، لذا لايجوز أن يقاس عليه ﷺ أحد من الصالحين، إذ لو كان ذلك جائزاً لفعله الصدر الأول -رضي الله عنهم- فإنه لم يؤثر عن أحد منهم أنه فعل ذلك قط. وما أثر عن تبرك بعض الأئمة ببعضهم فهو من الكذب عليهم، ومعلوم أن التبرك عبادة والعبادة مبنية على التوقيف والإتباع لرسول الله، فلما لم يفعل الصحابة وتابعوهم بإحسان هذا الأمر، دل على عدم جوازه وأنه خاص برسول الله ﷺ، ولأن في ترك التبرك بغيره عليه الصلاة والسلام سداً لذرائع الغلو المذموم المؤدي إلى الشرك والبدع، وفيه أيضاً محافظة على سلامة عقيدة المتبرِك بحيث لا يعلق قلبه إلا بالله وحده الضار النافع المانع المعطي ، وفيه محافظة أيضاً على دين المتبرَّك به لئلا يخالطه الغرور والعجب بسبب المتبركين به، فيظن بنفسه الظنون. لذا كان السلف الصالح -رحمهم الله- من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم بإحسان

---

١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٥-٢٩٦ وزاد المعاد لابن القيم ٥٧/١-٥٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٤.

من أعظم الناس سداً لهذا الباب ومن أشد الناس إنكساراً له(١).

المطلب الثاني : موقف القاضي عياض من التبرك

أ- موافقته للسلف في جواز التبرك بذات النبي ﷺ في حال حياته

وافق القاضي عياض منهج السلف الصالح في جواز التبرك بذات الرسول ﷺ وما يتصل به من آثار في حال حياته ، وقد استدل بما فعله الصحابة رضي الله عنهم معه عليه الصلاة والسلام ، فقد قال -رحمه الله- : فصل في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره وإجلاله ، وقال عروة بن مسعود(٢) حين وجهته قريش إلى رسول الله ﷺ زمن الحديبية ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسامهم، ولا يسقط منه شعرة إلا ابتدروها ، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له ، فلما رجع إلى قريش قال: (يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه - وفي رواية - إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه مايعظم محمداً أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً)(٣).

وعن أنس رضي الله عنه : (لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلق وأطاف به الصحابة فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد(٤) رجل)(٥).

ب- تأثر القاضي عياض بالصوفية في تجويزه التبرك بمواضعه ﷺ وبآثار المدينة وتقبيل ذلك ومناقشته في هذا الأمر .

لقد خالف القاضي عياض -غفر الله لنا وله- منهج السلف في التبرك حيث

---

١) انظر الإعتصام للشاطبي ص ٨ وجاؤا يركضون للشيخ أبي بكر الجزائري ص ٦٧ والتبرك المشروع والممنوع ص ٨١ وما بعدها.

٢) هو عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، صحابي مشهور، كان كبير قومه في الطائف، لما أسلم استأذن النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فقال أخاف أن يقتلوك قال لو وجدوني نائماً ما ايقظوني فأذن له فرجع، فدعاهم إلى الاسلام فخالفوه فرماه أحدهم بسهم فقتله سنة ٩ هـ انظر ترجمته في أسد الغابة ٣/٤٠٥-٤٠٦ والإصابة ٢/٤٧٠.

٣) أخرجه البخاري في كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ٥/٣٨٨-٣٩٢ وأحمد ٤/٣٢٩-٣٣٠.

٤) اخرجه مسلم في ك الفضائل باب قرب النبي ﷺ من الناس ٤/١٨١٢ برقم ٢٣٢٥.

٥) انظر الشفا ٢/٣٩-٤٠.

أجاز تقبيل تربة قبر النبي ﷺ والجدران والمواضع التي جلس عليها ونزل فيها الوحي عليه، فقد قال: (وجدير لمواطن عُمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عَرْصاتها(١) بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس آيات ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبين حيث انفجرت النبوة وفاض عُبَابها(٢)، ومواطن طويت فيها الرسالة، وأول أرض مس جلدَ المصطفى ﷺ ترابُها أن تُعظَّم عرصاتها، وتُتَنسم نفحاتها وتُقَبَّل ربوعها وجدرانها، وأنشد غفر الله له قائلا:

يا دارَ خير المرسلينَ ومَنْ به ... هُدِىَ الأنــامُ وخُصَّ بالآيـــات
عندي لأجْلك لَوْعةٌ وصَبَابَةٌ(٣) ... وتَـــشوُّقٌ مُتَوقـــدُ الجَمَـــرات
وعليَّ عهدٌ إن ملأتُ محاجري ... من تلكمُ الجُدران والعرصـــات
لأعْفِرنَّ مَصونَ شَيْبي بينها ... من كثرة التقبيل والرَشَفـــات
لولا العوادي والأعادى زرتها ... أبداً ولو سحباً علـــى الوجنـــاتَ
لكن سأهدي من حفيل(٤)تحيتي ... لقطين(٥) تلك الدار والحجرات
أزكى من المسك المفتح نفحةً ... تغشاه بالآصـــال والـــبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ... ونـــوامي التسليـــم والـــبركات(٦).

وقال أيضاً (رُئي ابن عمر- رضي الله عنهما- واضعاً يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا خلا المسجد حسوا رمانة المسجد التي تلي القبر بميامنهم، ثم استقبلوا القبلة

---

١) العَرْصات بفتح العين وسكون الراء جمع عرصة، وهي البقعة الواسعة بين الدور لابناء فيها، والعرصتان كبرى وصغرى بعقيق المدينة انظر المصباح المنير ص ١٥٣ والقاموس المحيط ص٨٠٣ والمعجم الوسيط ٥٩٣/٢.

٢) أي عظم خيرها إذ (العباب -بضم العين وفتح الباء- أول الشيئ وكثرة السيل وإرتفاعه)، انظر القاموس المحيط ٥٧٩/٢ والمعجم الوسيط ٥٧٩/٢.

٣) الصبابة هي الشوق أو رقته ، انظر القاموس المحيط ص ١٣٣ والمعجم الوسيط ٥٠٥/٢.

٤) أي من جميع تحيتي يقال حفل القوم واحتفلوا إذا اجتمعوا انظر القاموس المحيط ص ١٢٧٣ والمحجم الوسيط ١٨٦/١.

٥) القطين بفتح القاف وكسر الطاء أي المقيم ، انظر المرجع السابق ص١٥٨١ و ٧٤٨/٢.

٦) الشفا بحقوق المصطفى ٥٨/٢-٥٩.

يدعون)(١).

١- الرد على القاضي عياض فيما ذهب إليه من التبرك الممنوع:

الحقيقة إن المرء ليعجب كل العجب كيف أن القاضي عياض - وهو من هو في العلم والفقه - يجيز مثل هذه الأمور الخرافية المبتدعة، والتي هي من علامات الصوفية الضالين.

ولعله ظن -رحمه الله- أن ماذكره وقرره إنما هو علامة على صدق محبته لرسول الله ﷺ، ونحن لانطعن بصدق هذه المحبة للرسول ﷺ، فإن كتبه ودفاعه عن السنة مشهور معروف به ، ولكن تقبيل الجدران والأماكن التي جلس أو دفن فيها ﷺ أو نزل عليه التنزيل فيها ، ليس من علامات محبته ولا دليل عليها، بل الإتباع لهذا الرسول ولما جاء به من عند الله والسير على نهج صحابته الكرام -وخاصة الخلفاء الراشدين- الذين أمرنا بإتباع سنتهم هي العلامة الظاهرة، والدليل الصادق على صدق هذه المحبة كما قال أصدق القائلين ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم اللهُ ويغفر لكم ذنوبَكم**﴾(٢) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي، في جميع أقواله وأفعاله، ولهذا قال ﴿**إن كنتم تُحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ أي يحصل لكم فوق ماطلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تُحَبَّ . قال غير واحد من السلف:زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية)(٣).

وقال رسول الله ﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(٤).

---

١) المرجع السابق ٨٦/٢.

٢) سورة آل عمران آية ٣١.

٣) تفسير ابن كثير ٣٥٨/٢.

٤) رواه أحمد ١٢٦/٤-١٢٧ وأبو داود في ك السنة باب في لزوم السنة ٢٠٠/٤-٢٠١ برقم ٤٦٠٧، والترمذي في ك العلم باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٤٤/٥-٤٥ برقم ٢٦٧٦، وابن ماجه في المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١٥/١-١٧ برقم ٤٢-٤٤، والدارمي في المقدمة باب اتباع السنة ٥٧/١ برقم ٩٥. والحديث صحيح كما قال الألباني في صحيح=

فهل كان الخلفاء الراشدون وبقية الصحابة رضي الله عنهم يقبلون تربة قبر النبي ﷺ وجدارنها والمواضع التي جلس عليها ونزل الوحي عليه فيها؟! كلا وربي ، إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك، ولو كان هذا من الدين ومن علامات محبته ﷺ لفعلوه، لأنه لا أحد أتقى لله ولا أكثر حباً لله ولرسوله من هؤلاء الأطهار الكرام، فلما لم يفعلوا من ذلك شيء دل على أنه غيرمشروع.

وأما ما ذكره القاضي عنهم من أنهم كانوا يحسون رمانة المسجد التي تلي قبره الشريف، فيكفي في رده أنه لا إسناد له ، ولولا الإسناد في الدين لقال من شاء ماشاء كما قال أحد السلف ، وأما ما ذكره عن ابن عمر -رضي لله عنهما- فإنما ذكره بصيغة التمريض، ومعلوم أن أمراً مهماً من أمور العقيدة لا يؤخذ بطريق ضعيف أو واه، بل ما ثبت عن كبار الصحابة رضي الله عنهم في هذا الشأن يرد ما ادعاه القاضي وغيره من العلماء على هؤلاء ، فهذا الفاروق الملهم ثاني الخلفاء الراشدين -رضي الله عنه وأرضاه- يقول عندما جاء إلى الحجر الأسود وقبله (إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)(١). فلو علم رضي الله عنه هو وبقية الصحابة أن القبر وما في حكمه من آثار تتصل بالنبي مما يستحب أو يجوز تقبيله لسارع إلى ذلك، وهم المحبون الصادقون للحبيب ﷺ ، بل على العكس من ذلك، فإننا نرى عمر -رضي الله عنه- ينهى أشد النهي عن تتبع آثار النبي وينكر الصلاة عندها كما ثبت ذلك عنه، فإنه لما حج رأى في طريقه من مكة إلى المدينة أناساً يذهبون مذهباً فقال : أين يذهب هؤلاء؟ ، فقيل : يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه الرسول ﷺ هم يأتون يصلون فيه فقال : (إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعاً، فمن أدركته الصلاة في هذا المسجد فليصل ومن لا فليمض ولا يتعمدها)(٢).

ولما بلغه -رضي الله عنه- أن الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها فأوعدهم فيها وأمر بقطعها(٣).

فإذا كان ينهى عن تعمد الصلاة في الأماكن التي صلى فيها رسول الله

=الجامع ٣٤٦/٢ برقم ٢٥٤٦.

١) رواه البخاري في ك الحج باب ما ذكر في الحجر الأسود ٤٦٢/٣ برقم ١٥٩٧، ومسلم في ك الحج باب استحباب تقبيل الحجر الأسود ٩٢٥/٢ برقم ١٢٧٠.

٢) رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ٤١.

٣) المرجع السابق ص ٤٣ والطبقات لابن سعد ١٠٠/٢ وهذا الأثر صحيح انظر مرويات غزوة الحديبية ص ١٣٧.

ﷺ أو التي ثبت فيها فضل ومزية ، فكيف يرضى بتقبيلها و التمسح بها؟!.

ولهذا حكى شيخ الإسلام ابن تيمية - تغمده الله برحمته -إجماع العلماء على حرمة تقبيل حجرة النبي ﷺ أو حجرة الخليل عليه السلام أو غيرهما من المدافن التي فيها رجل صالح أو التمسح بها(١) ، ونص -رحمه الله- أيضاً أن قصد الذهاب إلى قبره ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء و الصالحين لا لغرض الزيارة، بل لأجل بركتها وكذا تتبع آثاره ﷺ مثل الذهاب و السفر إلى غار ثور وحراء وغيرهما من الملائكة و الصلاة فيها و الدعاء عندها ، كل ذلك مما لم يشرع في الدين إذ لو كان خيراً لبينه ﷺ ولفعله أصحابه الكرام رضي الله عنهم(٢).

وقد نبه الإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله ورعاه- وردَ على مجموعة من الكتاب الذين طالبوا بإحياء آثار النبي ﷺ ووضح أن ذلك يؤدي إلى تعظيمها أو الصلاة عندها، وبالتالي يفضي إلى الشرك بالله العظيم(٣).

وهكذا يظهر بعد كل ما ذكرت أن تقبيل الحجرة الشريفة وغيرها من آثار النبي ﷺ أو تخصيصها بالصلاة أو الدعاء عندها، - فضلا عن آثار غيره عليه السلام - مما لا يجوز شرعاً ، بل هو من البدع المنكرة التي يجب محاربتها، لأنه لوكان ذلك جائزاً لما قطع الفاروق -رضي الله عنه- شجرة الرضوان ولما نهى عن تحري الصلاة عندها وفي المكان الذي صلى فيه رسول الله ﷺ في الطريق بين مكة و المدينة.

ففي فعله -رضي الله عنه- وقوله أبلغ ردِّ على من زعم أن بقايا الأنبياء و الصالحين يمكن التوسل و التبرك بها في استجلاب الخير و استدفاع الشر، وقد ثبت عن الصادق ﷺ أنه قال «إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣٦/٢٧ .

٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٣٣٤و ٤٢٤-٤٢٦.

٣) انظر مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبدالله بن باز ٣٣٤/٣ .

وقلبه»(١) وقال أيضاً «اقتدوا بالّذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر»(٢) وغير ذلك من النصوص .

٢- التنبيه على مافعله ابن عمر من تتبعه للأماكن التي صلى فيها الرسول ليصلي هو فيها

قد يحتج من يجيز تتبع آثار النبي ﷺ بما فعله عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- حيث كان يتتبع المساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ فيصلي فيها(٣) ، والحقيقة أن فعله ذلك لا يدل على أنه كان يفعل ذلك من باب التبرك ، فهو لم يصرح بذلك قط ، وإنما كان يفعله من باب الإقتداء فقد كان -كما قال الإمام الذهبي - رحمه الله - معروفاً بشدة مبالغته في التأسي برسول الله ﷺ(٤) ، ومن ثم إنه -رضي الله عنه- لم يكن يسافر لأجل أن يصلي في تلك المواطن - كما يفعل ذلك المبتدعة - وإنما كان إذا سافر من المدينة إلى مكة تحرى النزول في مكان نزول رسول الله والصلاة في المواضع التي صلى فيها عليه الصلاة والسلام، لينال ثواب التأسي والإقتداء به ﷺ، وهذا إجتهاد منه. وأما غيره من الصحابة -وخاصة من هم أفضل منه كالخلفاء الراشدين وبقية العشرة المبشرين بالجنة- فلم يفعلوا ذلك خشية الفتنة -، كما تقدم من صنيع والده الفاروق عمر- فلم ينقل عن أحد من الصحابة أنه تحرى آثار الرسول ﷺ ليصلي فيها ويدعو، ولو فعلوه أو أحد منهم لنقل كما نقل عن ابن عمر ، فدل على أن فعله -رضي الله عنه- إنما هو اجتهاد منه خاص لم يوافقه عليه بقية الصحابة، فإنه قد كان له بعض الإجتهادات الخاصة به التي لم يوافقوه عليها، ومنها هذا الأمر وفعله رضي الله عنه ههنا كان مبالغة منه في التأسي برسول الله ﷺ، فليت الذين يستدلون بفعل ابن عمر يحرصون على شدة التمسك والإقتداء برسول الله كما كان حاله رضي الله عنه .

---

١) رواه أحمد ٢/٥٣،٩٥،٤٠١، ٥/١٤٥-١٦٥،١٧٧ والترمذي في ك المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب ٥/٥٧٦-٥٧٧ برقم ٣٦٨٢ وقال هذا حديث حسن وابن ماجه في المقدمة باب في فضائل أصحاب النبي ﷺ ١/٤٠ برقم ١٠٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/١٠٣ برقم ١٧٣٢.

٢) رواه أحمد ٥/٣٨٢،٣٨٥،٣٩٩،٤٠٢ والترمذي في ك المناقب باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٥/٥٦٩ برقم ٣٦٦٢ وقال هذا حديث حسن، وابن ماجه في المقدمة باب في فضائل أصحاب النبي ﷺ ١/٣٧ برقم ٩٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/٣٧٣ برقم ١١٥٥.

٣) انظر صحيح البخاري كتاب الصلاة باب المساجد على طرق المدينة ١/٦٧٦ برقم ٤٨٣،٤٨٤ ومسند أحمد ٢/٨٦.

٤) انظر سير أعلام النبلاء ٣/٢١٣.

الفصل الرابع : (منهج القاضي عياض في توحيد الأسماء والصفات)

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: (تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلته وموقف الناس منه)

وفيه مطلبان

المطلب الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلته

أ- تعريفه

ب- أدلته

المطلب الثاني : موقف الناس من توحيد الأسماء والصفات

المبحث الثاني: منهج السلف الصالح في توحيد الأسماء والصفات

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: خلاصة مذهب السلف في توحيد الأسماء والصفات

المطلب الثاني: الأسس التي بني عليها مذهب السلف الصالح

المطلب الثالث: نماذج من أقوال السلف في ذكر منهجهم في توحيد الأسماء والصفات

المبحث الثالث: أسماء الله تعالى

وفيه خمس نقاط

أ- أسماء الله كلها حسنى

ب- الإلحاد في أسماء الله

ج- طريق إثبات أسماء الله

د- عدد أسماء الله سبحانه

هـ- حقيقة الاسم والمسمى

المبحث الرابع: منهج القاضي عياض في صفات الله عزوجل

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول : تقسيم الصفات

المطلب الثاني : العلاقة بين الصفات والذات

المطلب الثالث : طريقة إثبات الصفات عند القاضي عياض

المطلب الرابع : ذكر جملة من الصفات الذاتية وكلام القاضي عياض عليها

أولا- صفة العلم

ثانياً- صفة القدرة

ثالثاً- صفة الإرادة

رابعاً- صفة الحياة

خامساً- صفتا السمع والبصر

سادساً- صفة الكلام

سابعاً- صفة العلو

ثامناً- صفة الوجه

تاسعاً- صفة العينين

عاشراً- صفة اليدين

حادي عشر- صفة الأصابع

ثاني عشر- صفة الساق

ثالث عشر- صفة القدم والرجل

رابع عشر- صفة النفس

خامس عشر- صفة الجمال

المطلب الخامس : ذكر جملة من الصفات الفعلية وكلام القاضي عياض رحمه الله

أولا- صفة الإستواء

ثانياً- صفة المجيء والإتيان

ثالثاً- صفة النزول

رابعاً- صفة المحبة

خامساً- صفة الغضب

سادساً- صفة الرحمة

سابعاً- صفة الفرح

ثامناً- صفة الضحك

تاسعاً- صفة الحياء

عاشراً- صفة الشوق

حادي عشر- صفة العجب

ثاني عشر- صفة المعية

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلته وموقف الناس منه

المطلب الأول : تعريف توحيد الأسماء والصفات وأدلته

أ- تعريفه :

توحيد الأسماء والصفات هو الإيمان بأن الله عزوجل متصف بجميع صفات الجلال والكمال ومنزه عن جميع صفات النقص ، وإفراده سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي وردت في الكتاب والسنة وإثباتها له على ما يليق بجلاله من غير تحريف(١) لألفاظها أو معانيها ، ولاتعطيلها(٢) بنفيها أو نفي بعضها، ولاتكييفها(٣) بتحديد كنهها أو إثبات كيفية معينة لها ، ولا تمثيلها(٤) ، ولاتشبيهها(٥)، بل تمر كما وردت مع اعتقاد مدلولها ومعانيها على مايليق بجلاله الله وعظمته.

فهذا التوحيد قائم على تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق ، وإثبات ما أثبت تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، مع قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات ، لأن إدراكها مستحيل كما قال تعالى ﴿ **ليسَ كمثلِه شيءٌ وهو**

---

١) التحريف : لغة التغيير وإصطلاحاً : تغيير النص لفظاً أو معنى ، وتحريف أسماء الله وصفاته هو تغيير ألفاظها أو معانيها إلى معان باطلة لايدل عليها الكتاب والسنة. ومن أمثلة التحريف اللفظي نصب لفظ الجلالة في قوله تعالى ﴿ وكلم اللهُ موسى تكليماً ﴾ (سورة النساء ١٦٤) كما قرأه بعض المبتدعة بالفتح، ليكون التكلم من موسى فينفي كلام الله تعالى ، ومن أمثلة التحريف المعنوي، تحريف معنى استوى إلى معنى استولى، وتحريف صفة اليدين إلى النعمة والقوة ونحو ذلك ، وتحريف صفة الوجه إلى الذات وما أشبه ذلك .

٢) التعطيل : لغة التفريغ والتخلية، وإصطلاحاً : إنكار ونفي ما يجب إثباته لله تعالى من الأسماء والصفات.

٣) التكييف: هو بيان الهيئة والكيفية التي تكون عليها صفات الله ، مثل أن يقال: إن الصفة الفلانية على هيئة كذا أو كيفية كذا.

٤) التمثيل : هو إثبات المثل والنظير للشيء، كمن يقول يد الله كيدي وما أشبه ذلك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٥) التشبيه : هو إثبات المشابه للشيء، فالمشبِّه هو الذي يشبِّه صفات الخالق بصفات المخلوقين، أو يتعرض لمعرفة كنهها وحقيقتها التي لا يعلمها إلا الله، والفرق بين التمثيل والتشبيه: أن التمثيل يقتضي المماثلة والمساواة من كل وجه ، أما التشبيه فيقتضي المشابهة في أكثر الوجوه أو الصفات. (استقيت معاني هذه المصطلحات من التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ص ٢٦-٢٧ وفتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ ابن عثيمين ص ٥٤-٥٥ وشرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح الفوزان ص ١٣-١٤.

السميعُ البصيرُ﴾(١) **﴿ولا يحيطون به علماً﴾**(٢).

وقد فسر الشيخ العلامة سليمان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله جميعاً - هذا التوحيد بقوله : (توحيد الأسماء والصفات هو الإقرار بأن الله بكل شيئ عليم ، وعلى كل شيئ قدير ، وأنه الحي القيوم الذي لاتأخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة ، وأنه سميع بصير رؤوف رحيم ، على العرش استوى وعلى الملك احتوى ، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى)(٣).

ب- تعريف القاضي عياض لتوحيد الأسماء والصفات:

لقد بين القاضي عياض معنى توحيد الأسماء والصفات في أكثر من موضع من كتبه - فعرفه مرة بأنه : (معرفة الله سبحانه بما تعرَّف به إلى خلقه ووصفه بما وصف به نفسه)(٤).

وعند شرحه لمعنى الشهادتين بين معناه بقوله : هو أن تعتقد بأن الله واحد غير منقسم في ذاته، وأنه حي قيوم لاتأخذه سنة ولا نوم ، سميع بصير متكلم بغير جارحة ولا آلة(٥)، بل سمعه وبصره وكلامه صفات له ، لاتشبه صفاته الصفات كمالاتشبه ذاته الذوات **﴿ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير﴾**(٦)، وأن تعتقد أنه تعالى يستحيل عليه الحدوث والعدم ، بل هو تعالى بصفاته وأسمائه قديم باق دائم الوجود، و **﴿قائمٌ على كلِ نفسٍ بما كسَبَتْ﴾**(٧) ليس له أول ولا آخر، بل **﴿ هو الأولُ والآخرُ﴾**(٨) وأنه لا إله سواه **﴿ لو كان فيهما آلهةٌ إلا**

---

١) سورة الشورى آية ١١.

٢) سورة طه آية ١١٠.

٣) تيسير العزيز الحميد ص٣٤-٣٥.

٤) منهاج العوارف ص ٢٦٠ قلت: رغم أن هذا التعريف لا غبار عليه إلا أننا نجد القاضي عياض قد قلد الأشاعرة في باب الأسماء والصفات كما سيأتي الحديث عن ذلك مفصلا في المبحث الرابع إن شاء الله.

٥) هذا الكلام مما قلد فيه عياض المتكلمين إذ ليس من منهج السلف وصف كلام الله بهذه الألفاظ التي تؤدي في الحقيقة إلى نفيه وجعله كلاماً نفسياً - كما هو مذهب الأشاعرة- كما أن القاضي قد قلد هؤلاء في قوله السابق (واحد غير منقسم في ذاته) إذ ليس هذا من قول السلف.

٦) سورة الشورى آية ١١.

٧) سورة الرعد آية ٣٣.

٨) سورة الحديد آية ٣.

اللهُ لَفَسَدَتَا﴾(١)، وأنه لا يحويه مكان في سموات ولا أرضه ، بل هو كما كان قبل خلق المكان(٢)، وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا على صورة ولا شكل(٣)، ولا له شبيه ولا مثيل، بل هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ، وأنه لا تحله الحوادث والتغيرات(٤) ولا تلحقه النواقص والآفات(٥).

وارتضى القاضي عياض مرة هذا التعريف (التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات، بمعنى أنه ليس كذاته تعالى ذات، ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلا من جهة موافقه اللفظ اللفظ، وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة(٦) ، كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة ، وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم)(٧).

ج - بعض الأدلة على توحيد الأسماء والصفات:

لقد فاضت نصوص الكتاب والسنة الدالة على هذا النوع العظيم من أنواع التوحيد، بل إنه لاتكاد تخلو سورة من الكتاب العزيز ولا صفحة من صفحاته من ذكر أسماء الله وصفاته.

---

١) سورة الأنبياء آية ٢٢.

٢) هذه من الألفاظ المبهمة، التي يرددها مؤولو الصفات قديماً وحديثاً ، ويريدون بها نفي العلو لله عزوجل والاستواء على عرشه، وغير ذلك من الصفات، وليس من منهج السلف ذكر مثل هذه الألفاظ المبتدعة ، ومع هذا فإن العرش ليس بمكان لله كما يزعم المبتدعة، لأنه سقف الجنة وسقف المخلوقات كما هو معروف من عقيدة أهل السنة والجماعة.

٣) هذه أيضاً من الالفاظ المبتدعة التي قلّد فيها عياض المتكلمين، وقد ذم السلف وبدّعوا الكلام في مثل هذه الأمور. انظر درء تعارض العقل والنقل ٢٩٦،٤٥/١ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣١٢/١٧-٣١٣ وأما الصورة لله فقد ثبتت فيها أحاديث صحيحة كما سيأتي بيانها، فلا يجوز ردها وإنكارها كما فعل أبو الفضل مقلداً بذلك الاشاعرة وغيرهم.

٤) هذا الكلام مبهم لم يرد عن السلف، وقد أراد به قائلوه إنكار الصفات الإختيارية لله كصفة الكلام لله متى شاء وكيف شاء، ونزوله عزوجل إلى السماء الدنيا كل ليلة وغير ذلك ، لذا يستفسر عن مراد قائله به فإن أراد إنكار الصفات أو بعضها رد كلامه ، وإن لم يرد ذلك فالأولى البعد عن مثل هذه الكلمات التي لم تعهد عن السلف ولم يتكلموابها.

٥) الأعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٦-١٧.

٦) هذا الكلام موهم يشم منه إنكار الصفات الإختيارية لله تعالى ، كما هو مذهب الاشاعرة ، وقد قلدهم القاضي عياض في ذلك ، لذا لا نوافقه عليه والاولى أن يقول لها صفة مخلوقة ، لان الكلام عند السلف صفة قديمة النوع حادثة الآحاد بمعنى أن الله يتكلم متى شاء كيف شاء.

٧) الشفا ٢٤٣/٢-٢٤٤.

فمن السور التي تحدثت عن هذا التوحيد سورة الإخلاص، تلكم السورة العظيمة التي تعدل ثلث القرآن كما ثبت بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ(١)، والتي تضمنت إثبات كل كمال الله ونفي كل نقص عنه. قال سبحانه ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد**﴾(٢).

ومعنى **الأحد**: المنفرد بالكمال الذي لانظير له، ولا وزير ولا نديد، ولا شبيه ولا عديل، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال المقدسة، ولا يطلق هذا اللفظ ﴿**الأحد**﴾ على أحد في الإثبات إلا عليه تعالى، لأنه الكامل في جميع صفاته و أفعاله(٣).

ومعنى ﴿**الصمد**﴾ أي الذي لا جوف له، أو الذي يُصْمد إليه في الحاجات، أي يُقْصَدُ لكونه القادر على قضائها، والسيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد، والكامل في جميع صفاته وأفعاله، والباقي بعد فناء خلقه الذي ليس فوقه أحد(٤).

ومعنى ﴿**لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد**﴾ أي لم يصدر عنه ولد ولم يصدر عن شيء، لأنه ليس له صاحبة ولا ولد ولا والد، لأنه لايجانسه شيء، ولاستحالة نسبة العدم إليه سابقاً ولاحقاً، وإذا كان متصفاً بالصفات المتقدمة كان متصفاً بكونه لم يكافئه أحد، ولا يماثله ولا يشابهه ولا يشاركه في شيء سبحانه وتعالى، لأنه ليس كمثله شيء(٥).

- ومن الآيات الجامعة الدالة على هذا التوحيد آية الكرسي التي أخبر رسول الله ﷺ أنها أعظم آية في كتاب الله(٦)، وهي قوله سبحانه ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في**

---

١) فقد قال أبو سعيد الخدري إن رجلا سمع رجلا يقرأ ﴿ قل هو الله أحد﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك - وكأن الرجل يتقالها- فقال الرسول ﷺ (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) الحديث متفق عليه، وقد تقدم تخريجه ص ١٦١.

٢) سورة الإخلاص الآيات ١-٤.

٣) انظر تفسير ابن كثير ٥٧٠/٤ وتفسير السعدي ٥٨٦/٧.

٤) انظر تفسير البغوي ٥٤٤/٤-٥٤٥ وتفسير ابن كثير ٥٧٠/٤ وتفسير السعدي ٥٨٦/٧ وتفسير الجزائري ٧١٣/٤.

٥) انظر تفسير ابن كثير ٥٧١/٤ وفتح القدير /٥١٦ وأيسر التفاسير ٧١٢/٤.

٦) فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟»: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «ياأبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟» قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال: فضرب على صدري وقال (ليهْنك العلم أبا المنذر) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه ص ١٦١.

الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾(١).

فهذه الآية العظيمة اشتملت على صفات وأسماء لله كل منها يمثل قاعدة من قواعد العقيدة الإسلامية(٢).

- ومن الآيات أيضاً قوله تعالى **﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾**(٣).

- ومن الايات كذلك قوله تعالى **﴿ سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك السموات والأرض يُحيي ويميت وهو على كل شئ قدير * هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم * هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير* له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور* يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور﴾**(٤) والآيات في هذا الباب كثيرة جداً.

أما النصوص الواردة في السنة في إثبات هذا التوحيد فهي كثيرة جداً أيضاً يصعب حصرها. منها حديث ثوبان(٥) رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام»(٦).

---

١) سورة البقرة آية ٢٥٥.

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٧/ ٥٠،٥١، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٢، ١٩٥.

٣) سورة الحشر آية ٢٢-٢٤.

٤) سورة الحديد الآيات من ١-٦.

٥) هو أبو عبد الرحمن، ثوبان بن يحدد الهاشمي مولى رسول الله ﷺ، أصله من اليمن أصابه سبي فاشتراه النبي ﷺ فأعتقه ، توفي رضي الله عنه بحمص سنة (٥٤ هـ) انظر ترجمته في أسد الغابة ١/ ٢٥٠ والاصابة ١/ ٢٠٥ .

٦) رواه مسلم في ك المساجد باب إستحباب الذكر بعد الصلاة ١/ ٤١٤ برقم ٥٩١.

- وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب «لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم»(١).

- وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول «اللهم رب السموات، ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذبك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر»(٢).

ومنها الأحاديث الصحيحة الواردة في إثبات صفة العينين والأصابع واليدين والقدمين والنزول والكلام والضحك والفرح لله تعالى(٣) ، وغير ذلك من الصفات التي وصف الرسول ﷺ بها ربه في الأحاديث الصحيحة التي تلقاها أهل السنة والجماعة بالقبول، وآمنوا بها وأثبتوا أنها صفات لله تعالى حقيقة، لا تشبه صفات المخلوقين - كما سيأتي تفصيل ذلك-.

المطلب الثاني : موقف الناس من توحيد الأسماء والصفات

اختلفت الأمة الإسلامية في باب توحيد الأسماء والصفات اختلافاً مبيناً، فأصبحت فرقاً ومذاهب متعددة مخالفة بذلك للمذهب الحق الذي كان عليه سلف هذه الأمة ومن تبعهم بإحسان ، وتتمثل هذه المذاهب والفرق المخالفة للإعتقاد الصحيح في الآتي:

١- **مذهب الممثلة:** وهم الذين مثلوا الله بخلقه في الصفات والأفعال، وضربوا له الأمثال، وهؤلاء قلدوا اليهود والنصارى - قبحهم الله- الذين وصفوا الله بصفات النقص الدنيئة من التعب والراحة والفقر وغير ذلك.

---

١) رواه البخاري في ك الدعوات باب الدعاء عند الكرب ١٤٩/١١ برقم (٦٣٤٥).

٢) رواه مسلم في ك الذكر باب مايقال عند النوم ٢٠٨٤/٤ برقم ٢٧١٣.

٣) سيأتي إن شاء الله تخريج هذه الأحاديث وغيرها والتي تثبت الصفات لله وذلك في المبحث الرابع.

ويمثل هذا المذهب الكرامية(١) وغلاة الرافضة(٢) وهو مذهب ظاهر البطلان معتقده كافر(٣).

٢- **مذهب المشبهة:** وهم الذين زعموا أن صفات الله تشبه صفات المخلوقين - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- وقال بهذا المذهب جماعة من الناس وزعموا أنهم يجرون النصوص على ظاهرها دون تأويل أو تعطيل، ويقولون نعتقد بأن صفاته تعالى تشبه صفاتنا فيقولون مثلا له يد كأيدينا وعينان كأعيننا ونحو ذلك ولاشك بأن معتقد هذا المذهب كافر لأنه قد انتقص الله تعالى وشبهه بخلقه وقد قال تعالى ﴿**ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير**﴾(٤).

٣- **مذهب المعطلة:** التعطيل هو عدم إثبات الصفات أو بعضها لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه وهو أنواع أربعة كما قال شيخ الإسلام(٥) -

---

١) الكرامية طائفة من المرجئة وهم أصحاب محمد بن كرام من أهل سجستان المتوفى سنة (٢٥٥ هـ) وهؤلاء يثبتون صفات الله، إلا أنهم ينتهون فيها إلى التجسيم، ومن عقيدتهم أن الايمان هو الاقرار باللسان دون تصديق القلب ، فالمنافقون عندهم مؤمنون لانهم يقرون بألسنتهم ، انظر مقالات الإسلاميين ٢٥٠/١ والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٢ والملل والنحل للشهرستاني ص ١٠٨.

٢) الرافضة : هم جماعة غلاة الشيعة الذين يتبرؤن من الصحابة إلا قليلا منهم، ويغالون في بغضهم وتبرئتهم من الشيخين أبي بكر وعمر، ويقدمون علياً على سائر الصحابة، ويزعمون أنه وصي رسول الله وخليفته من بعده، وأن الخلفاء الثلاثة قبله قد اغتصبوا حقه في ذلك، ولهم مذاهب وعقائد خارجة عن الاسلام لا مجال لذكرها ههنا ، وأول ما أطلق عليهم هذا الاسم (الرافضة) في عهد هشام بن عبد الملك، عندما بويع لزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة، والذي كان يتولى الشيخين أبا بكر وعمر، فسمع من أصحابه الذين بايعوه من يطعن بهما، فأنكر ذلك عليهم وتولاهما لما سئل عنها فتفرقوا عنه، فقال لهم رفضتموني فسموا رافضة من ذلك الحين ، انظر مقالات الإسلامين ٦٦/١-١٣٦ والفرق بين الفرق ص١٥-١٦،٢٢-٥٤ والملل والنحل ص١٤٧-١٩١ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٦/١٣ وغير ذلك.

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٠/٣ وما بعدها.

٤) سورة الشورى آية ١١ ولهذا قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: (من شبه الله بشيئ من خلقه فقد كفر ، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه). وقال إسحاق بن راهويه: (من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨٤/٣-٨٧ وشرح الطحاوية بتحقيق د التركي والارناؤط ٨٥/١.

٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨٠٧/٣.

طيب الله ثراه-.

الأول : سلب النقيضين عنه تعالى كقول أصحاب هذا المعتقد الفاسد -وهم الباطنية(١) والجهمية ومن شابههم - الله لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ، وهذا المذهب لا يتصور وجوده في الذهن والواقع وأصحابه من أكفر وأجهل الناس بربهم وأكثرهم لدينه عداوة.

النوع الثاني: وصف الله بالسلوب(٢)والإضافات (٣) دون صفات الإثبات ، وجعله سبحانه وتعالى هو الوجود المطلق(٤)، ويقول بهذا المذهب الفلاسفة(٥) وملاحدة الصوفية(٦).

---

١) الباطنية لقب إصطلاحي تندرج تحته إتجاهات وفرق مختلفة، يجمع بينها تأويل النص الشرعي الظاهر عن المعنى المراد إلى معنى باطن ادعوه وزعموه هو المراد، فجعلوا للنصوص ظاهراً وباطناً، مبطلين أحكام الإسلام، وهم فرق شتى كالقرامطة والخرّمية والبابكية والإسماعيلية والدروز والنصيرية وغيرهم، وكل هذه الفرق متفقة على عداء الاسلام والكيد لاهله، وعلى إعتقاد الإمامة والعصمة لإمام لا يخلو منه عصر قائم بالحق يرجع إليه، واتفقوا أيضاً على القول بأبدية الكون وقدمه، وعلى إنكار المعاد والجنة والنار وغير ذلك من الامور الغيبية، مأولين ذلك تأويلا غريباً فهي فرق عدوة للإسلام خارجة عنه انظر فضائح الباطنية للإمام الغزالي ص ٨ وما بعدها بتحقيق عبد الرحمن البدوي والملل والنحل للشهرستاني ص ١٩١-١٩٨.

٢) الصفات السلبية : هي الصفات الذاتية في سياق النفي ، والمراد بها المذمومة، وهي التي لا تتضمن كمال ضدها وإلا فقد وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله كقوله تعالى ﴿ لاتأخذه سنة ولا نوم﴾ (البقرة ٢٥٥) وقوله ﴿ وما مسنا من لُغُوب﴾ (سورة ق ٣٨) فالاول يتضمن كمال حياته والثاني يتضمن كمال قدرته.

٣) الاضافة كل صفة يتوقف فهمها على فهم غيرها، كالفوقية والتحتية والانفصال والدخول والخروج، وكذلك قولهم ليس فوق العرش ولا تحته ولا داخل العالم ولا خارجه ، لان هذه المعاني يتوقف تصورها على تصور ما يقابلها.

٤) الوجود المطلق هو الوجود الذهني الذي لا يتحقق في الخارج.

٥) الفلسفة باليونانية - كما قال الشهرستاني - محبة الحكمة، والفيلسوف محب الحكمة -هكذا زعموا - والحكمة نوعان (١) قولية عقلية وقد اختلف فيها إختلافاً لا يحصى (٢) وحكمة فعلية وهي كل ما يفعله الحكيم لغاية كماله. والفلاسفة أنواع وفرق كثيرة ، فمنهم الدهريون والصابئة والباطنيون والقائلون بقدم الأفلاك والقائلون بقدم العالم ومنهم الفلاسفة القدماء والمتأخرون والالهيون وغيرهم، وكل هذه الانواع وغيرها كافرة بالله العظيم عدوة لدينه ، فالمنتسبون منهم للإسلام مثلا كابن سينا وغيره، يسمون الله العقل الفعال أو علة العلل ويجردونه من الصفات ويقولون بقدم العالم ويجيزون الكذب على الأنبياء إلى غير ذلك ، انظر الملل والنحل ص ٣١٢-٤٤٩ ودرء تعارض العقل والنقل ١/٨،١٢٦ ، ٢/٢٩٢ ، ٦/٢١١،٢٣٨ ، ٨/٣٠٩ وغيرها والرد على الاخنائي لشيخ الإسلام أيضاً ص ٢٩٦-٢٩٧ وغير ذلك.

٦) الصوفية: نسبة إلى الصوف على أرجح الأقوال ، وهي فرقة تنتسب إلى الاسلام تقوم على جملة من العقائد الغيبية والاخلاق الفلسفية، معتمدة بذلك على التأمل والتعبد والتقشف والزهد في=

النوع الثالث : إثبات الأسماء دون الصفات وهذا مذهب المعتزلة فيقولون : الله سميع بلا سمع عليم بلا علم بصير بلا بصر وهكذا فيثبتون الاسم دون ما يتضمنه من الصفة ، أو يخرجون الصفة من ظاهرها المراد إلى غير المراد ، كتأويلهم الوجه بالذات، واليد بالقدرة، والإستواء بالإستيلاء، وغير ذلك وهذا مذهب باطل بل ومن أخبث المذاهب.

النوع الرابع : إثبات بعض الصفات دون بعض، كمن يثبت سبع صفات لله تعالى أو أكثر وينفي ويؤل غيرها. ويمثل الأشاعرة ومن نحانحوهم هذا المذهب، وهو باطل وحجة على أصحابه لأن إثبات بعض الصفات يستلزم إثبات ما عداها إذ المتصف بها واحد، ولأن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

٤- **مذهب المفوضة:** التفويض هو التوقف وعدم الخوض أو الكلام في صفات الله، وأصحاب هذا المذهب يقولون لا ندري هل ظاهر الصفات هو المراد اللائق بجلال الله أم لا ، لذا نفوض الأمر لله ، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم ، وبعض الناس ينسب هذا المذهب للسلف الصالح وهو كذب عليهم، لأن مذهبهم -رحمهم الله- هو إثبات الصفات لله على المعنى اللائق بجلاله - كما سيأتي بيانه-.

ومن المفوضة من يمسك عن الكلام نهائياً فلا يزيد على تلاوة الآية وقراءة الحديث معرضين بألسنتهم وقلوبهم عن هذه التقديرات(١).

ولا شك بأن كل هذه المذاهب والطوائف ضالون في باب الأسماء والصفات، بعيدون كل البعد عن مذهب السلف الصالح ، لأن إثبات الصفات لله على الوجه اللائق به لا يستلزم أي محذور من التشبيه أو التمثيل أو التعطيل أو التحريف وغير ذلك من المحاذير ، بل فيه التسليم التام لله ولرسوله، لأنه لا أحد أعلم بالله من الله ، ولا أحد أعلم به من رسوله ﷺ ، ولو كانت ظواهر الصفات غير مرادة لله - كما يزعم الضالون- لما وردت في الكتاب

=الدنيا والإنصراف إلى الروح ، وما إلى ذلك من المجاهدات والرياضيات الروحية مما لم يقم على صحة ذلك دليل في الشرع ولافي العقل، وذلك بهدف الوصول إلى الغاية المنشودة وهي التجرد من الدنيا وما فيها ، والإتصال بالذات الإلهية والفناء فيها، حسب زعمهم- على تفاوت في الضلال والإنحراف في طريقهم ومسالكهم، انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١/٧ والتصوف بين الحق والخلق لمحمد شقفة ص ٧ وأضواء على التصوف لطلعت غنام ص ٢٨ وغيرها.

١) لمزيد من التفصيل في هذا الأمر يراجع فتاوى شيخ الاسلام ٣/٧-٩ والفتوى الحموية له ص ٨٦-٨٨.

والسنة، ولما تركها الناصح الأمين ﷺ بدون تبيينه للناس وهو المبلغ عن ربه عزوجل، إذ كيف يبين لأمته ويعلمهم كل شيء حتى دخول الخلاء(١) ويترك هذه المسألة التي هي من أهم أركان ومسائل الدين لأنها من التوحيد الذي لا يقبل الله من العبد دينه مالم يحققه، وتوحيد الأسماء والصفات أحد أقسام هذا التوحيد ومن أجلّها، لأنه يصف الباري جلت قدرته بصفات الكمال والجلال، فهل يعقل أن يصف الله نفسه أو يصفه رسوله ﷺ بما لايجوز، أو بما ظاهره كفر أو ضلال ؟ كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به نبيه ﷺ ولم يفهم معاني الكتاب والسنة ؟! سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم، نبرأ إليك مما يقول هؤلاء.

ولهذا شن سلفنا الصالح وعلماء أهل السنة السائرون على نهجهم حرباً شعواء على من حرف الصفات أو أولها أوعطلها، وألفوا في ذلك مئات الكتب والرسائل(٢)، مبينين عقيدة أهل الحق. ولا شك أن كل خير في إتباع من سلف وكل شر في إبتداع من خلف.

المبحث الثاني : منهج السلف الصالح في توحيد الأسماء والصفات:

عرفنا أن أهدى الطرق وأعدلها في كل أمر من الأمور - ومنها توحيد الأسماء والصفات- هو ما سلكه السلف الصالح - رحمهم الله - من فهمٍ لها على مراد الله ورسوله ﷺ منها، ولذلك أصبح منهجهم هو الواجب إتباعه والسير على طريقهم.

---

١) كما قال سلمان الفارسي رضي الله عنه : (لقد علمنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراءة لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول، أو أن نستنجى باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع (أي الروث والعذرة)أو عظم .رواه مسلم في ك الطهارة باب الإستطابة ٢٢٣/٢ برقم ٢٦٢، وأبو داود في ك الطهارة باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة ١٧/١-١٨ برقم ٧.

٢) من ذلك كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد والسنة له والرد على الجهمية والرد على المريسي للدارمي، والتوحيد لابن خزيمة، والسنة للخلال، والإبانة للأشعري، والشريعة للآجري، والايمان والتوحيد لابن منده، والإبانة لابن بطة، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني، وشرح الطحاوية لابن أبي العز، والرسالة التدمرية والفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرها، والصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة في هذا الباب..

المطلب الأول : خلاصة مذهبهم في ذلك

يتلخص مذهب السلف في النقاط التالية :

- أنهم يقرون ويعتقدون بجميع مافي الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته وأفعاله.
- أنهم يثبتون لله جميع ما أثبت لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال.
- أنهم ينفون عن الله جميع مانفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

هذا هو المذهب الحق الذي لا مرية فيه ، فهو النور الهادي إلى السواء السبيل ، وهو المنقذ من ظلمات الباطل وغياهب الشرك والجهل والابتداع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - أسكنه الله فسيح جناته - في رسالته القيمة المسماة (الرسالة التدمرية)[١] ملخصاً مذهب السلف في هذا الأمر: (فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته الله من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك ينفون ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات، من غير إلحاد في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى **﴿ولله الأسماءُ الحسنى فادعوه بها وذَرُوا الذين يلحدون في أسمائه سيُجزون ما كانوا يعملون﴾**[٢] وقال تعالى **﴿إن الذين يُلحدون في آياتنا لا يَخْفَوْنَ علينا﴾**[٣] فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى **﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير﴾**[٤] ففي قوله **﴿ليس كمثله شيء﴾** رد للتشبيه والتمثيل ، وفي قوله **﴿ وهو السميع البصير﴾** رد للإلحاد والتعطيل) ا.هـ.

هذا هو منهج السلف الصالح في باب الأسماء والصفات وقد بني على أسس متينة راسخة.

---

١) ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/٣-٤.

٢) سورة الأعراف آية ١٨٠.

٣) سورة فصلت آية ٤٠.

٤) سورة الشورى آية ١١.

المطلب الثاني : الأسس التي بني عليها مذهب السلف الصالح

لقد بنى السلف الصالح منهجهم في باب الأسماء والصفات على ثلاثة أسس عظيمة ، من جاء بها كلها فقد وافق الحق والصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن سار على نهجهم بإحسان ، ومن لم يأخذ بها أو أخذ ببعضها وترك الآخر فقد ضل.

وهذه الأسس تتلخص فيما يلي(١):

الأول: الإثبات:

فهم يثبتون لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على مايليق بجلال الله وعظمته، ويعتقدون أنها دالة على معان ثابتة كاملة عظيمة لله، من غير أن يحرفوا هذه المعاني أو يعطلوها أو يشبهوها أو يكيفوها بشيء، وأقوالهم - رحمهم الله - في هذا الشأن أكثر من أن تحصى سيأتي طرف منها في المطلب اللاحق. ومذهبهم أنهم يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن ذاته وأسمائه وصفاته، وما أخبر عنه رسوله ﷺ ولا يفرقون بين الذات والصفات -كما فعلت الجهمية والمعتزلة- كما أنهم لايفرقون بين الصفات فيثبتون البعض ويؤولون البعض -كما فعلت الأشاعرة وأتباعهم- ، ومنهج السلف في الإثبات يرتكز على قاعدتين عظيمتين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية(٢) رحمه الله وهما:

القاعدة الأولى: أن القول في الصفات كالقول في الذات:

فكما أن لله تعالى ذاتاً حقيقية ثابتة في نفس الأمر لا يشبهها شيء فكذلك له تعالى صفات حقيقية ثابتة لا يشبهها شيء، فيلزم على من أقر بهذه الذات الحقيقية الثابتة لله أن يقر أيضاً بأن له صفات حقيقية لاتشبه شيئاً، لأنه تعالى هو الذي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، إذ لا أحد أعلم به منه، ولا أحد أعلم به بعده من رسول الله ﷺ. فإذا قال قائل: أنا أنفي الاستواء لله خشية من تشبيهه بخلقه، فيقال له : انف وجود الله وذاته لأنه يلزم من ذلك تشبيه الله بخلقه ، فإن قال: لله وجود يخصه وذات تخصه، لا تشبه ذاته الذوات، قلنا: وكذلك استواؤه ونزوله وغير ذلك من الصفات.

---

١) انظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ١٣ وما بعدها.

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/١٧-٢٧.

القاعدة الثانية : أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر:

فإن من أثبت بعض الصفات وأول الباقي قد وقع في تناقض ، فيقال مثلا لمن أثبت الحياة والقدرة والإرادة لله، وأول المحبة والرضا والغضب وغير ذلك وجعل ذلك مجازاً ، يقال له : ما الفرق بين ما أثبته وما نفيته ؟! بل القول في أحدهما كالقول في الآخر ، فإن قال: إن إرادته كإرادة المخلوقين ، قل له فكذلك رضاه ومحبته وغضبه ، وهذا هو التمثيل ، وإن قال: إن لله إرادة تليق بجلاله كما أن للمخلوق إرادة تليق به ، قيل له فكذلك له محبة ورضا وغضب تليق به، كما أن ذلك للمخلوق ولاتشابه بين صفات الخالق والمخلوق ، فإن قال: الغضب غليان دم القلب لطلب الإنتقام ، يقال له الإرداة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن قال: هذه إرادة المخلوق ، قيل وهذا غضب المخلوق، وكذلك يلتزم القول في بقية الصفات فيجب أن تثبت الكل كما أثبت البعض ويقال له في الكل كما يقال في البعض.

الأساس الثاني : التنزيه

هذا هو الأساس الثاني من أسس وقواعد المنهج السلفي وهو تنزيه الله عن مشابهة أي شيء من مخلوقاته كما قال تعالى ﴿**ليس كمثله شيء**﴾(١) فأهل السنة يعتقدون أنه سبحانه لا يشبهه شيء لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله ، لأن من شبه الله بخلقه وألحد في أسمائه وصفاته فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيه أو تمثيل، لأنه سبحانه لاسمي ولا كفوء ولا ند له، ولايقاس بخلقه عزوجل كما قال سبحانه ﴿**ولم يكن له كفواً أحد**﴾ (٢) وكما قال أيضاً ﴿**هل تعلم له سَمِياً**﴾(٣) وكما قال كذلك ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾(٤) إلى غير ذلك من الآيات على هذا الأمر.

فمن المستحيل عقلا أن يصف رب السموات والأرض نفسه بما يلزمه منه محذور أو محال، أو يؤدي إلى نقص، لأنه سبحانه لايصف نفسه إلا بوصف بالغ في الشرف والعلو والكمال وما يقطع جميع علائق المشابهة بينه وبين صفات

---

١) سورة الشورى آية ١١.
٢) سورة الإخلاص آية ٤.
٣) سورة مريم آية ٦٥.
٤) سورة النحل آية ٧٤.

المخلوقين(١).

يقول شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني(٢)- رحمه الله - مبيناً عقيدة السلف أصحاب الحديث: (إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة - حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم - يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ويعرفون ربهم عزوجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى سنة رسوله ﷺ، ولايعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه فيقولون إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه في قوله عز من قائل ﴿ **قال يا إبليسُ مامنعك ألا تسجدَ لما خلقتُ بيدَيَّ**﴾ (٣) ولايحرفون الكلم عن مواضعه، بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة والجهمية - أهلكم الله - ولا يكيفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة - خذ لهم الله - ، وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه واتبعوا قول الحق عزوجل ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾(٤) وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح، من السمع والبصر والوجه وغيرها من غير تشبيه بشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ ، من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل، ولا تغيير ولا إزلة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ، ويجرونه على الظاهر ويكلون علمه إلى الله تعالى ، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى ﴿**والراسِخُونَ في العِلْمِ**

---

١) انظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي ص ٢١.

٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني ، كان أبوه من كبار الواعظين بنيسابور، ففُتك به لاجل التعصب والمذهب، فتولى الوعظ بعد أبيه وعمره عشر سنوات ، وكان يحضر وعظه كبار أئمة عصره، ارتفع شأنه فأصبح مقدم أهل الحديث في بلاده خراسان ، لقب بشيخ الاسلام، وكان بالغاً في العفاف والسداد وصيانة النفس، مشهوراً بالعبادة يضرب به المثل في ذلك. ولد سنة (٣٧٢ هـ) وتوفي سنة ٤٤٩ هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤٠/١٨ وشذرات الذهب ٢٨٢/٣.

٣) سورة ص آية ٧٥.

٤) سورة الشورى آية ١١.

يَقُولُونَ آمَنّا به كُلّ منْ عنْدِ رَبّنا وما يَذّكّرُ إلا أولوا الألْبَاب(١)﴾(٢).

الأساس الثالث : قطع الأطماع من إدراك الكيفية والكنه:

السلف رحمهم الله يقطعون أطماعهم عن إدراك كيفية وكنه الصفات ، لأن ذلك مستحيل وليس في إمكان البشر الإحاطة بذاته سبحانه، كما قال تعالى **﴿يَعْلَمُ مابَيْنَ أيديهم وما خَلْفَهُم ولايُحِيْطُون بِهِ عِلْماً﴾**(٣). أي لا تحيط علومهم بذاته ولا بمعلوماته(٤)، فمعرفة كيفية صفاته لا سبيل إليها البتة ، فلا بد إذاً من اليأس من إدراكها ، وذلك لأن معرفة إدراك الصفة متوقف على كيفية الذات، لأن الصفات تختلف بإختلاف موصوفاتها، وذات الله لا يسأل عن كنهها وكيفيتها فكذلك صفاته سبحانه لا يصح السؤال عن كيفيتها ، ولهذا لما سئل رجل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن قوله تعالى **﴿ الرَّحمنُ على العَرْشِ استوى﴾** (٥) كيف استوى فأطرق مالك رأسه ثم قال : (الكيف مجهول - وفي رواية- غير معقول والإستواء منه غير مجهول - وفي رواية معلوم - والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني لأخاف أن تكون ضالا) وأمر به فأخرج(٦).

وقد سبق كلام الإمام الصابوني في بيان مذهب السلف، حيث ذكر أنهم يمرون الصفات على ظاهرها المراد ويكلون علم حقيقتها إلى الله تعالى ويقرون بأنه لايعلم ذلك إلا هو عزوجل(٧).

---

١) سورة آل عمران آية ٧.

٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٣-٥ وانظر كتاب ابطال التأويلات لأبي يعلى ٤٣/١-٤٤ فقد قال نحواً من هذا الكلام.

٣) سورة طه آية ١١٠.

٤) انظر تفسير البغوي ٢٣٢/٣ وفتح القدير ٥٢٨/٤.

٥) سورة طه آية ٥.

٦) روى هذا الأثر الدارمي في الرد على الجهمية ص ٥٦، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣٩٨/٣ برقم ٦٦٤، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٨ والبغوي في شرح السنة ١٧١/١ وأورده الذهبي في العلو انظر مختصر العلو للألباني ص ١٤١ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكر قول مالك ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك ، انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٦٥/٥ وقد ذكر القاضي عياض هذا الأثر أيضاً في منهاج العوارف ص ١٨٣،٨٦،٤ وترتيب المدارك ١٧١/١.

٧) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٥.

كلام جيد للقاضي عياض في هذا الشأن

لقد أعجبني في هذا المقام كلام جيد للقاضي عياض - رحمه الله - حيث قال : (أذكر نكتة أزيح بها الإشكال عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم، تخلصه من مهاوي التشبيه، وتزحزحه عن شبه التمويه، وهو أن يعتقد أن الله تعالى جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسن أسمائه وعليِّ صفاته، لايشبه شيئاً من مخلوقاته ولا يُشَبَّهُ به ، وأن ماجاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي ، إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق، فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات ، كذلك صفاته لاتشبه صفات المخلوقين، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض وهو تعالى منزه عن ذلك[1] ، بل لم يزل بصفاته وأسمائه وكفى هذا قوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**[2]﴾)[3]، قلت ليت القاضي عياض سار في باب الصفات على هذه القاعدة الجيدة، فأثبت ما أثبت الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ ولم يلتزم مذهب الأشاعرة في هذا الأمر، ولكن لم يفعل ذلك - رحمه الله وغفر له - إنه سميع مجيب.

وهكذا يتبين لنا بعد ذكر أسس منهج السلف في باب الصفات ، أنه يقوم على إثبات الصفات لله تعالى إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ، فيمرونها - رحمهم الله - كما جاءت مع اعتقاد معناها اللائق بجلال الله، ويفوضون كيفيتها إلى الله عزوجل وهذا هو المنهج القويم وهو الصواب الذي يجب على كل مسلم الأخذ به وترك ما عداه، وإليك بعض أقوالهم في هذا الأمر.

المطلب الثالث : نماذج من أقوال السلف في ذكر منهجهم في توحيد الأسماء والصفات:

لو أردنا أن نستقصي أقوال السلف الصالح - رحمهم الله - في إثبات منهجهم الحق في باب الصفات، لاحتجاج الأمر إلى رسالة خاصة ، لذا سأقتصر على ذكر نماذج من أقوالهم بما أظن أن فيه الغنية والكفاية إن شاء الله.

- فهذا الإمام الجليل الأوزاعي[4] - رحمه الله - يحكي إجماع التابعين

---

1) القول بالاعراض مما لم يتكلم به السلف الصالح فينبغي تركه.

2) سورة الشورى آية ١١.

3) الشفا بحقوق المصطفى ١/٢٤٣-٢٤٤.

4) هو أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الاوزاعي، شيخ الاسلام وعالم وإمام أهل الشام ، كان من كبار تابعي التابعين، والأوزاع التي ينتسب إليها هي قرية من قرى دمشق خارج باب=

على إثبات الصفات لله تعالى ومنها علو الله على خلقه ، فيقول (كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات)(١).

وقد وصف شيخ الإسلام(٢) الأوزاعي بأنه أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك بن أنس إمام أهل الحجاز المتوفى سنة (١٧٩ هـ) والأوزاعي إمام أهل الشام المتوفى سنة (١٥٧ هـ) والليث بن سعد إمام أهل مصر ، المتوفى سنة (١٧٥ هـ) والثوري(٣) إمام أهل العراق ، المتوفى سنة (١٦١ هـ).

وإنما حكى الأوزاعي -رحمه الله- شهرة القول في زمن التابعين بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية وقال ذلك بعد ظهور مذهب جهم(٤) بن صفوان الذي ينفي فيه صفات الله، وينكر أن الله تعالى فوق عرشه، وذلك ليعلم الناس أن مذهب السلف يخالف هذا المذهب الفاسد.

=الفراديس، كان أحد أئمة الدنيا، فقهاً وعلماً وورعاً وحفظاً وفضلا وعبادة وضبطاً مع زهد في الدنيا وله مذهب مستقل في الفقه عمل به فقهاء الشام والأندلس مدة، ولد ببعلبك سنة (٨٨ هـ) وقيل سنة (٨٠ هـ) ومات ببيروت بلبنان مرابطاً سنة (١٥٧ هـ) وقيل (١٥١ هـ) انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١٨٠ وحلية الأولياء ١٣٥/٦ وسير أعلام النبلاء ١٠٧/٧.

١) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥١٥ وذكره ابن تيمية وصححه في الفتوى الحموية ص ٢٥، والذهبي في تذكرة الحفاظ ص ١٨١ وسير أعلام النبلاء ٣٥٥/٨، وفي العلو كما في مختصره للألباني ص ١٣٨، وكذا ذكره ابن قيم الجوزية في إجتماع الجيوش الإسلامية ص ٤٣ ط المكتبة السلفية، وذكره ابن حجر في الفتح ٤٠٦/١٣ وقال أخرجه البيهقي بسند جيد عن الاوزاعي.

٢) انظر الفتوى الحموية ص ٢٣-٢٤.

٣) هو أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث وأحد أئمة المسلمين وأعلام الدين وفقهائه، لزم الحديث والفقه وواظب على العبادة والورع حتى أصبح مرجعاً يقتدى به في الأمصار، ولد سنة (٩٥ هـ) وتوفي سنة (١٦١ هـ) انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ١٦٩ وتذكرة الحفاظ ٢٠٣/١.

٤) هو جهم بن صفوان السمرقندي، رأس الجهمية وإليه ينتسبون، لانه أول من نشر المذهب قال عنه الذهبي الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شراً عظيماً قتله سلمة بن أهوز سنة (١٢٨ هـ) انظر ميزان الإعتدال ٢٤٦/١ والكامل في التاريخ ٣٤٣/٥.

- وقال الأوزاعي رحمه الله كان الزهري(1) ومكحول(2) يقولان: أمروا الأحاديث (أي أحاديث الصفات كما جاءت بلاكيف)(3)- وقد ثبت مثل هذا الكلام عن وكيع بن الجراح(4) ومالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن عيينة(5) وغيرهم(6).

ومراد السلف بهذا الكلام إثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة على مايليق بجلال الله مع تفويض الكيفية في ذلك إلى الله تعالى، كما أجاب الإمام مالك بن أنس من سأله عن قوله تعالى ﴿**الرَّحمنُ على العَرْش استوى**﴾(7) كيف استوى فقال مالك : (الكيف غير معقول، والإستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني لأخاف أن تكون ضالا) فأمر به فأخرج(8).

- وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله- (كل شيء وصف الله به نفسه في

---

1) هو أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، الإمام العلم الحافظ، كان فقيهاً محدثاً من أئمة التابعين، ومن أحفظ أهل زمانه للسنن وأحسنهم لها سياقاً ، كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق (عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه) توفي سنة (١٢٤ هـ) انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ٦٦ ووفيات الأعيان ٣١٧/٣.

2) هو أبو عبد الله، مكحول بن عبد الله الدمشقي، التابعي الجليل، كان من فقهاء أهل الشام وصالحيهم ، قال أبو حاتم فيه (ما بالشام أحد أفقه من مكحول) توفي سنة (١١٣ هـ) وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١١٤ ووفيان الأعيان ٢٨٠/٥.

3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤٣١/٣ برقم (٧٣٥) وابطال التأويلات ٤٧/١ وأورد هذا ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٩٦/٢.

4) هو أبو سفيان، وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، الإمام الحافظ محدث العراق ، كان من كبار اتباع التابعين قال فيه الإمام أحمد بن حنبل (وكيع بن الجراح إمام المسلمين في وقته) ولد سنة (١٢٩ هـ) وتوفي سنة (١٩٦ هـ وقيل ١٩٧ هـ) انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١٧٣ وسير أعلام النبلاء ١٤٠/٩.

5) هو أبو محمد، سفيان بن عيينة بن عمران الهلالي الكوفي، كان من كبار أتباع التابعين ومن الحفاظ المتقنين وأهل الورع والدين، قال فيه الشافعي (ما رأيت أحداً أحسن تفسيراً للحديث منه) حج نيفاً وسبعين حجة واشتهر بكثرة تلاوة القرآن والسهر في ذلك توفي سنة (١٩٨ هـ) انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١٤٩ وسير أعلام النبلاء ٤٥٤/٨.

6) ابطال التأويلات ٤٧/١-٥٤ وكتاب الصفات للدارقطني ص ٦٩-٧١ وجامع بيان العلم وفضله ٩٦/٢.

7) سورة طه آية ٥.

8) سبق تخريجه قريباً ص ٢٢٦

القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل)(١).

- وقال أبو حنيفة النعمان بن ثابت -رحمه الله- (وما ذكر الله في القرآن من الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف)(٢).

- وقال محمد بن الحسن(٣) صاحب أبي حنيفة (اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الايمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عزوجل من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا)(٤).

- وقال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله: (أحاديث الصفات تمر كما جاءت، نؤمن بها ونصدق بها، ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أن ماقاله الرسول ﷺ حق إذا كانت بأسانيد صحيحة)(٥).

وقال أيضاً: (ولايوصف الله بشيئ أكثر مما وصف به نفسه عزوجل ووصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث)(٦). وقال كذلك: (صفات الله له ومنه كما وصف نفسه لاتدركه الأبصار بحدّ ولا غاية وهو يدرك الأبصار، نؤمن به ولانرد على رسول الله ﷺ ماقال، بل نؤمن بالله وبما جاء به الرسول ﷺ قال الله عزوجل ﴿**وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوه وما نهاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا**(٧)﴾)(٨).

وقال -رحمه الله- أيضاً: (ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه، قد أجمل الله الصفة فحدّ لنفسه صفة ليس يشبهه شيء وصفاته غير محدودة ولا

---

١) رواه الدارقطني في ك الصفات ص ٧٠ برقم ٦١ بتحقيق د علي ناصر الفقيهي وكذلك اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٣١/٣ برقم ٧٣٦ والبغوي في شرح السنة ١٧١/١.

٢) شرح كتاب الفقه الاكبر لابي حنيفة ص ٥٨-٥٩ بشرح ملا علي القاري.

٣) هو أبو عبد الله، محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، الإمام الفقيه الأصولي، ولد بواسط سنة (١٣١ هـ) ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة، وغلب عليه مذهبه وعرف به فكان من أشهر من نشره بين الناس، له مصنفات عدة منها الجامع الكبير والجامع الصغير توفي سنة (١٨٩ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٣٤/٩ وشذرات الذهب ٣٢١/١.

٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٣٢/٣ برقم ٧٤٠.

٥) ابطال التأويلات ٤٤/١-٤٥.

٦) ذكر محنة الامام أحمد لحنبل بن إسحاق ص ٦٨ نقلا عن المسائل والرسائل المروية عن الامام أحمد ٢٧٦/١ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٢٦/٥ ولمعة الاعتقاد ص ٩.

٧) سورة الحشر آية ٧.

٨) طبقات الحنابلة ١٤٤/١ واجتماع الجيوش الإسلامية ص ٨٣.

معلومة إلا بما وصف به نفسه، فهو سميع بصير بلا حد ولا قدْر، ولا يبلغ الواصفون صفته ولايتعدى القرآن والحديث كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه ولا يتعدى ذلك ولايبلغ صفته الواصفون، نؤمن بالقرآن كله محكمه(١) ومتشابهه ولا نزيل عنه تعالى صفة من صفاته بشناعة شنعت ، وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة، ووضعه كنفه عليه، فهذا كله يدل على أنه يرى في الآخرة ، والتحديد في هذا كله بدعة ، والتسليم فيه بغير صفة ولا حد، إلا ما وصف به نفسه، سميع بصير لم يزل متكلماً عالماً غفوراً رحيماً، عالم الغيب والشهادة علام الغيوب، فهذه صفات وصف الله بها نفسه، لاندفع ولانرد وهو على العرش بلاحد ، كما قال تعالى ﴿ثُمَّ استوى على العَرْشِ﴾(٢) كيف شاء ، والمشيئة إليه والإستطاعة إليه ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء تعالى عما يقول الجهمية والمشبهة)(٣).

وقال الإمام الدارمي(٤) -رحمه الله- ذاكراً عقيدة السلف التي يعتقدها ويدعو إليها في مقدمة كتابه الرد على الجهمية(٥) (... نحمده تعالى بجميع

---

١) اختلف العلماء رحمهم الله في معنى المحكم والمتشابه على أقوال كثيرة، فقال جماعة المحكم ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك فهو متشابه يشبه بعضه بعضاً في الحق ويصدق بعضه بعضاً،وقال الآخرون: المحكم هو الناسخ الذي يعمل به، والحلال والحرام والفرائض، ومايؤمن به ويعمل به. والمتشابه منسوخه ومقدمه، ومؤخره وأمثاله وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به، وقال جماعة المحكم هو: أوقف الله الخلق على معناه، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه. ولعل الراجح والله أعلم أن المحكم هو البين المعنى الذي لايشتبه بغيره وتكون حجته واضحة، ودلائله لائحة، والمتشابه هو غير الظاهر الدلالة بل المحتمل لمعان يصعب على غير الراسخين في العلم القول فيها، وقد ابتلى الله به العباد كما ابتلاهم بالحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ويحرفن عن الحق، وقيل غير ذلك انظر تفسير البغوي ٢٧٨/١-٢٧٩ تفسير ابن كثير ٣٤٥/١ وتفسير السعدي ٣٥٧/١.

٢) سورة السجدة آية ٤.

٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٣٨.

٤) هو أبو سعيد، عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني ، محدث هراة وأحد الحفاظ الاعلام الثقات ، كان إماماً من أئمة السنة يقتدى به. قال فيه أبو داود صاحب السنن (منه تعلمنا الحديث)، له مصنفات عديدة منها الرد على الجهمية والرد على بشر المريسي، قال فيها ابن قيم الجوزية (وكتاباه من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ماكان عليه الصحابة والتابعون والائمة أن يقرأ كتابيه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمها جداً) اجتماع الجيوش ص ٩٠،ولد الدارمي سنة (٢٠٠ هـ) وقيل قبلها بيسير وتوفي سنة (٢٨٠ هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٦٢١/٣-٦٢٢ وشذرات الذهب ١٧٦/٢.

٥) الرد على الجهمية ص ١٣-١٤ بتحقيق بدر البدر.

محامده، ونصفه بما وصف به نفسه ووصفه به الرسول ﷺ، فهو الرحمن الرحيم قريب مجيب متكلم، فعال لما يريد، الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء، له الأمر من قبل ومن بعد، وله الخلق والأمر فتبارك الله رب العالمين، وله الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم يقبض ويبسط، ويتكلم ويرضى، ويسخط ويغضب ، ويحب ويبغض، ويكره ويضحك، ويأمر وينهى ، ذو الوجه الكريم، والسمع السميع، والبصر البصير ، والكلام المبين، واليدين والقبضتين، والقدرة والسلطان، والعظمة والعلم الأزلي، لم يزل كذلك ولا يزال استوى على عرشه فبان من خلقه، لا تخفى عليه خافية، وعلمه بهم محيط وبصره فيهم، نافذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فبهذا الرب نؤمن، وإياه نعبد وله نصلي ونسجد، فمن قصد بعبادته إلهاً بخلاف هذه الصفات فإنما يعبد غير الله، وليس معبوده بإله كفرانه لا غفرانه).

وقال إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة(١) - رحمه الله - عند كلامه على صفة الوجه (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا أننا نثبت لله ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألستنا ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا أن يشبه المخلوقين ، وجلَّ ربنا عن مقالة المعطلين، وعزَّ أن يكون عدماً كما قال المبطلون، لأن مالا صفة له عدم ، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم كتابه وعلى لسان نبيه محمد ﷺ)(٢).

- وقال الإمام أبو الحسن الأشعري موضحاً عقيدة أهل السنة التي استقر عليها وهداه الله إليها بعد طول انحراف وضياع: (قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب ربنا عزوجل وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون ، ولما خالف قوله مخالفون ، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال، وأوضح

---

١) هو أبو بكر، محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري الإمام الحجة الحافظ الفقيه، أحد أئمة الشافعية في عصره، كان محدثاً جليلا شديد التمسك لمذهب السلف، قوياً على خصومه له مصنفات عظيمة مفيدة من أشهرها كتاب التوحيد وصحيح ابن خزيمة توفي سنة (٣١١ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٣٦٥/١٤ وطبقات الشافعية ١٠٩/٣-١١٠.

٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٢٥٥،٢٥٦ ضمن عقائد السلف.

به المنهاج ، ودفع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمه الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم وكبير مفهم، وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاؤا به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله لا نرد من ذلك شيئاً)(١).

قلت: ليت الأشاعرة الذين يدعون الإنتساب إلى هذا الإمام الجليل يدعون ماهم عليه من انحراف في العقيدة ويلتزمون بمذهب السلف الصالح الذي ارتضاه إمامهم وأوصى به بعد أن منَّ الله عليه بالهداية.

- وقال إمام أهل السنة في عصره أبو محمد البربهاري(٢) - رحمه الله -: (اعلم رحمك الله أنه لايتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه عزوجل في القرآن، وما بيّن رسول الله ﷺ لأصحابه فهو جل ثناؤه واحد **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**(٣) ربنا أول بلا متى، وآخر بلا منتهى، يعلم السر وأخفى، وهو على عرشه استوى ، وعلمه في كل مكان، ولا يخلو من علمه مكان ولايقول في صفات الرب تعالى لِمَ إلا شاك في الله تبارك وتعالى، والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره، ليس مخلوقاً لأن القرآن من الله وما كان من الله فليس بمخلوق)(٤).

وقد سار على هذا المنهج السلفي ووضحه ودعا إليه جماهير المحققين من المحدثين والفقهاء والمجتهدين قديماً وحديثاً(٥).

---

١) الابانة عن أصول الديانة للأشعري ص ٢٠-٢١.

٢) هو أبو محمد، الحسن بن علي بن خلف البربهاري (نسبه إلى بربهار وهي الأدوية التي تجلب من الهند) كان إماماً حافظاً متقناً ثقة فقيهاً، قوالا بالحق داعية إلى السنة، لايخاف في الله لومة لائم، شديد الانكار على أهل البدع والأهواء، شديد المباينة لهم باليد واللسان ، وكان صاحب هيبة عند السلطان وعند الناس، زاهداً في الدنيا لا يأبه بها، من كتبه شرح السنة توفي سنة (٣٢٩ هـ) عن عمر يناهز السبعين، وقيل التسعين انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩٠/١٥ والبداية والنهاية ٢٠١/١١ وشذرات الذهب ٣١٩/٢.

٣) سورة الشورى آية ١١.

٤) شرح السنة للبربهاري ص ٢٤-٢٥.

٥) منهم على سبيل المثال، الامام ابن بطة المتوفى سنة (٣٨٧ هـ) في كتبه الابانة الصغرى والكبرى وغيرها، والإمام ابن منده المتوفى سنة (٣٩٥ هـ) انظر كتاب التوحيد له ٧/٣، والإمام اللالكائي المتوفى سنة (٤١٨ هـ) في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وشيخ الإسلام الصابوني المتوفى سنة (٤٤٩ هـ) في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث، والإمام البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨ هـ) في كتابه الاعتقاد -وإن كان عليه بعض المآخذ-، وابن عبد البر إمام المغرب المتوفى سنة (٤٦٣ هـ) في كتابه التمهيد ١٤٥/٧، والإمام الهروي المتوفى سنة ٤٨١ هـ في كتابه الاربعين في دلائل التوحيد ص ٤٥ مثلا، والحافظ التيمي المتوفى سنة (٥٣٥ هـ) في كتابه الحجة في بيان المحجة، والإمام ابن قدامة المقدسي المتوفى سنة (٦٢٠ هـ) في كتابه=

- يقول الإمام ابن قدامة(1) المقدسي رحمه الله: (وكل ماجاء في القرآن، أو صح عن النبي ﷺ من صفات الرحمن، وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل...، وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف(2) رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار والامرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا بالإقتداء لآثارهم والإهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات وأخبرنا أنها من الضلالات)(3).

وبعد: فهذا هو منهج السلف الصالح على سبيل الإجمال، وهذه بعض من أقوالهم -وما أكثرها- في توحيد الأسماء والصفات، فحري بمن يريد النجاة لنفسه، والسعادة في دنياه وآخرته، أن يقتدي بهؤلاء الأخيار ويسير على نهجهم على الهدى المستقيم، نسأل الله الهداية لنا ولجميع المسلمين.

المطلب الرابع : خصائص ومميزات المنهج السلفي

في ختام الحديث عن منهج السلف الصالح في باب الأسماء والصفات -والذي سبق بيانه- أحب أن أشير إلى أهم الخصائص والمميزات التي

=لمعة الإعتقاد وغيره، وشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى سنة (٧٢٨ هـ) انظر مثلا مجموع الفتاوى المجلد الثالث والسادس، والإمام الذهبي المتوفى سنة (٧٤٨ هـ) في كتابيه العلو والأربعين في صفات رب العالمين، والإمام ابن القيم المتوفى سنة (٧٥١ هـ) في كتابيه الصواعق المرسلة وإجتماع الجيوش الإسلامية، وابن أبي العز الحنفي المتوفى سنة (٧٩٢ هـ) انظر شرح الطحاوية له ص ٩٩-٣١٣، والإمام ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة (٧٩٢ هـ) في فضل علم السلف على علم الخلف ص ١١٩-١٤٠، والشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المتوفى سنة (١٠٣٣ هـ) في كتابه أقاويل الثقات، والشيخ السفاريني المتوفى سنة (١١٨٨ هـ) في لوامع الانوار البهية ١/٢٠-٢٢ والشيخ محمد صديق حسن خان المتوفى سنة (١٣٠٧ هـ) في كتابه قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، والشيخ حافظ الحكمي المتوفى سنة (١٣٧٧ هـ) في معارج القبول وغيرهم كثير.

1) هو أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ، عالم الشام في زمانه، الثقة الحجة ، الفقيه، كان نبيلا عزيزاً صاحب فضل وكرم، ورعاً من أئمة السلف في عصره ، له مؤلفات كثيرة عظيمة منها المغني ولمعة الاعتقاد وإثبات صفة العلو وغيرها ولد سنة (٥٤١ هـ) وتوفي سنة (٦٢٠ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦٥/٢٢ وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١٣٣/٢ وشذرات الذهب ٨٨/٥.

2) يقصد رحمه الله من جاء بعد السلف من الخلف ممن سار على منهج أهل السنة والجماعة (منهج السلف الصالح).

3) لمعة الإعتقاد لابن قدامة ص ٤-٧ ط المكتب الإسلامي ١٣٩٥ هـ.

انفرد بها في هذا الأمر، وذلك ليطمئن قلب المتمسك به ويزداد رسوخاً وتعلقاً به، وليدرك الباحثون عن الحق صحة وعظمة و أهمية هذا المنهج فأقول:

أولا: إن أول هذه الخصائص **(أنه منهج قائم ومعتمد على الكتاب والسنة)**، ولاشك أن التمسك بالكتاب والسنة هو طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وعصمة للعقول من الضلال، وللنفوس من الزيغ، وللقلوب من الإنحراف، قال سبحانه ﴿**وَأَنَّ هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيْماً فاتَّبِعُوه ولا تَتَّبِعُوا السُبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِه**﴾(١). وقال رسول الله ﷺ "تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي"(٢).

ولهذا كان علماء السلف رحمهم الله يقولون الإعتصام بالسنة نجاة، فقد صح عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله قوله (السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)(٣).

ثانياً: أنه هو المذهب الأكمل والأعلم والأسلم والأحكم

لأنه الحق الذي لا ريب فيه، والنور الهادي إلى سواء السبيل، والمنقذ من ظلمات الباطل والإنحراف وغياهب الجهل والشرك، وقد كان كذلك لأنه مستمد من نصوص الوحي -الكتاب والسنة- ويقف أهله حيث وقف الدليل، فلا يتقدمون بين يدي الله ورسوله في شيء، بل يسلمون وينقادون ويثبتون ما أثبت الله لنفسه وما أثبته له خليله محمد ﷺ على ما يليق بجلال الله، فلم يتعرضوا للصفات بتأويل أو تحريف أو تشبيه أو تمثيل أو تعطيل، بل أمروها كما جاءت على ظاهرها بلا كيف، لتيقنهم أنه لوكان ظاهرها غير لائق أو غير مراد -كما يدّعي من يبطل الصفات أو يؤولها- لما سكت رسول الله ﷺ عن بيانها وهو الذي علّم صحابته كل شيئ حتى أدب الخراءة وقال فيما صح عنه «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما

---

١) سورة الانعام آية ١٥٣.

٢) رواه مالك في ك القدر باب النهي عن القول بالقدر ٦٨٦/٢ برقم ٣ والحاكم ٩٣/١ وهو حديث حسن كما قال الألباني انظر مشكاة المصابيح برقم ١٨٦ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٦١/٤ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ.

٣) ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٣٧/٤.

يعلمه لهم»(١)، ومعلوم أنه لا خير أشرف و أعظم من علم التوحيد المتصل بالله عزوجل فلما ترك ﷺ بيان هذا الأمر دلّ يقيناً على أن ظاهر الصفات هو المراد على مايليق بجلال الله ، فوسع السلف الصالح ما وسع رسول الله ﷺ، فسلم بذلك منهجهم واستقامت طريقتهم وكمل علمهم، لأنه يستحيل أن يكون أفراخ المتفلسفة وضلال أهل الكلام ممن خالف منهجهم، أعلم بالله وبما جاء عن رسول الله من ورثة الأنبياء وحملة القرآن والعاملين به.

ثالثاً : أنه مذهب الإعتدال والتوسط:

فالسلف أهل الإعتدال والتوسط في الأمور كلها -وأعظمها باب الإعتقاد- فهم وسط بين المذاهب الجافية والمذاهب الغالية، فهم في باب الأسماء والصفات وسط بين أهل التمثيل الذين مثلوا الله بخلقه ، وبين النفاة أهل التعطيل الذين عطلوا الباري عزوجل عن صفاته. ولقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عندما وصف منهجهم بقوله: (فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة هم الوسط في الفرق، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم ، فهم وسط في صفات الله بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، وهم وسط في أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية (الخوارج) والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وفي أصحاب رسول الله بين الرافضة والخوارج)(٢).

رابعاً: أنه مذهب سهل ميسر في أسلوبه ومعانيه لاتعقيد فيه ولا تناقض، لأنه مستمد من نصوص الوحي، ومن المعلوم أن أسلوب القرآن والسنة يمتاز بالسهولة واليسر والوضوح، ويخلو من التناقضات والمعارضات، مما يجعل إدراك العقيدة والأحكام وغيرهما سهلا ميسوراً، ليس للعلماء فحسب، بل لكافة مستويات المجتمع على إختلاف مداركهم وفطرهم يأخذ كل منهم حسب طاقته من الفهم والتفكير، بخلاف المناهج الكلامية والفلسفية المعقدة المليئة بالمصطلحات، التي لايدركها إلا القلة المتخصصون من الناس، وهي مع ذلك

---

١) رواه مسلم في ك الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ٣/١٤٧٢-١٤٧٣ برقم ١٨٤٤، وابن ماجه في ك الفتن باب مايكون من الفتن ٢/١٣٠٦-١٣٠٧ برقم ٣٩٥٦ وأحمد ١٦١/٢و١٩١.

٢) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بشرح الشيخ صالح الفوزان ص ١٢٤.

لاتشفي غليلا، وقد تقدم كيف أن كبار المتكلمين تبرؤا منها وذموها، ومدحوا منهج السلف السهل الميسور الملائم للفطرة(١).

خامساً: أنه منهج تطمئن إليه القلوب وتسكن باعتقاده: وهذه الميزة لا يعلمها ولا يحس بها ولا يجد حلاوتها إلا من وفقه الله باعتقاد هذا المنهج أو خالط المخالفين له، رأى ما هم فيه من خبط واضطراب وعدم اطمئنان لما يعتقدون،وكيف لايكون هذا المنهج السلفي كما أسلفت، وأهله هم المتبعون لهداه ووحيه الذي ضمن الله سعادة المتمسك به حيث قال **﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فلا يَضِلُّ ولايَشْقَى * ومَنْ أعْرَضَ عن ذِكْرِي فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا وَنَحْشُرُه يومَ القيامة أعمى﴾**(٢)، ومن المعلوم أن النفوس السليمة المؤمنة لا تطمئن ولا تسكن لأقوال البشر، لأنها تبقى محل نظر وبحث، أما نصوص الكتاب والسنة، فإن القلوب تخضع لها، وتطمئن لخبرها، وتسكن لهداها، لأنها من الله رب العالمين أصدق القائلين الذي يعلم السر وأخفى.

المبحث الثالث : أسماء الله تعالى

أسماء الله تعالى هي أعلام وأوصاف له سبحانه سمى بها نفسه وسماه بها رسوله ﷺ، فهي أعلام بإعتبار دلالتها على ذات الله تعالى، وأوصاف بإعتبار مادلت عليه من المعاني، وهي بالإعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد وهو (الله عزوجل)، وبإعتبارها أوصافاً فهي متباينة المعاني، إذ كل اسم له معنى خاص يدل عليه ، فالعليم غير معنى السميع، والقدير غير معنى الحكيم والغفور غير معنى الجبار... وهكذا(٣).

وهذه الأسماء الحسنى لله تعالى كثيرة جداً لا يعلم عددها إلا الله تعالى، ومعلوم أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى بها، وكل اسم من هذه الأسماء مشتق من مصدره، فالعليم مثلا مشتق من العلم، وهو يدل على صفة العلم لله وهكذا بقية الأسماء.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع وما يتصل به من مسائل فقد أفردت الحديث عنه في النقاط الآتية:

---

١) راجع ص ٨٣-٨٤
٢) سورة طه آية ١٢٣-١٢٤.
٣) انظر كتاب التوحيد لابن منده ١٩/٢ بتحقيق شيخنا الدكتور علي ناصر فقيهي فقد نص فضيلته على هذا الأمر.

أ- أسماء الله كلها حسنى

لقد ورد في الكتاب العزيز عدة نصوص تدل على أن أسماء الله تعالى كلها حسنى.

- من ذلك قوله تعالى ﴿**ولله الأسماءُ الحسنى فادعوه بها وذَرْوا الذين يُلْحِدُون في أسمائه سَيُجْزَوْنَ ما كانوا يَعْمَلون**﴾(١).

- وقوله أيضاً ﴿ **قل ادعُوا اللهَ أوادعوا الرحمنَ أياً ماتَدعُوا فلَهُ الأسماءُ الحُسْنى**﴾(٢).

- وقوله سبحانه كذلك ﴿ **اللهُ لا إلهَ إلا هُوَ له الأسماءُ الحسنى**﴾(٣).

- وقوله عزوجل أيضاً ﴿**هو اللهُ الخالقُ البارئُ المُصَوِّرُ له الأسماءُ الحسنى**﴾(٤).

فقد دلت هذه الآيات المباركات على أن الله عزوجل قد اتصف بالأسماء الحسنى على الجملة دون التفصيل، والحسنى تأنيث الأحسن، ومعناها: أي التي هي أحسن الأسماء لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول من الصفات الكاملة العظيمة لله تعالى وبذلك كانت حسنى، فإنها لو لم تدل على الصفات، بل كانت أعلاماً محضة أو دلت على صفات، ولكنها ليست بصفات كمال، لم تكن حسنى، ومن تمام كونها حسنى أنه لايدعى إلا بها، ولذلك قال سبحانه ﴿**فادعوه بها**﴾ وهذا شامل لجميع أنواع الدعاء، فيُدعى سبحانه في كل مطلوب بما يناسب ذلك، فيقول الداعي مثلا، اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم وتب عليَّ ياتواب وارزقني يا رازق ونحو ذلك، فإنه سبحانه إذا دعي بهذه الأسماء كان ذلك من أسباب الإجابة(٥).

ب- الإلحاد في أسماء الله

لقد نهى الله عزوجل عن الإلحاد في أسمائه الحسنى وذم الذين يفعلون ذلك وتوعدهم بالعذاب الأليم فقال سبحانه ﴿**ولله الأسماءُ الحسنى فادعوه بها**

١) سورة الاعراف آية ١٨٠.
٢) سورة الإسراء آية ١١٠.
٣) سورة طه ٨.
٤) سورة الحشر آية ٢٤.
٥) انظر فتح القدير ٣٦٨/٢ وتفسير السعدي ١٢٠/٣-١٢١.

وذَرَوا الذين يُلْحِدُون في أسمائه سَيُجْزَوْنَ ما كانوا يَعْمَلون﴾(١).

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أن رجلا مسلماً دعا الله في صلاته ودعا الرحمن، فسمعه بعض مشركي مكة فقال: إن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعو اثنين، فأنزل الله هذه الآية(٢).

معنى الإلحاد في أسماء الله

الإلحاد لغة: هو الميل والعدول عن القصد والجور والإنحراف، يقال ألحد يلحد إلحاداً، ولحد يلحد لحوداً إذا مال، والإلحاد أيضاً هو العدول عن الحق وإدخال ما ليس منه فيه، يقال ألحد في الدين ولحد به(٣).

ومعنى الإلحاد في أسماء الله، الشرك فيها، والتكذيب بها، واشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الاله الحق سبحانه، كاشتقاق المشركين العزى من اسمه العزيز ومناة من المنان واللات من الله -كما قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره من أئمة السلف-، ومن الإلحاد في أسماء الله أيضاً تسمية الأصنام آلهة، وكذلك تسميته تعالى بمالم يتسمَّ به ولم ينطق به كتاب ولا سنة، فإن أسماءه عزوجل مبنية على التوقيف، فإنه تعالى يسمى جواداً ولا يسمى سخياً، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى عالماً ولا يسمى عاقلا فيدعى سبحانه بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم فيقال يا الله يارحمن يارحيم ونحو ذلك(٤).

ولا شك أن نفي معاني أسماء الله الحسنى -كما هو مذهب المعتزلة كقولهم سميع بلا سمع عليم بلا علم بصير بلا بصر الخ...- من أعظم الالحاد فيها، لأنها لو لم تدل على معاني وأوصاف لم تكن حسنى -كما تقدم- ولم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها، لذا نجد أن الله قد أخبر عن نفسه بمصادر هذه الأسماء وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، من ذلك قوله سبحانه ﴿إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذو القوَّةِ المَتِينُ﴾(٥) فعلم أن المتين من أسمائه ومعناه الموصوف بالقوة.

---

١) سورة الأعراف آية ١٨٠.

٢) انظر تفسير البغوي ٢/٢١٧.

٣) انظر القاموس المحيط ص ٤٠٤ والمصباح المنير ص ٢١٠ وتفسير البغوي ٢/٢١٧ وتفسير ابن كثير ٢/٢٦٩.

٤) انظر تفسير البغوي ٢/٢١٧-٢١٨ وتفسير ابن كثير ٢/٢٦٩.

٥) سورة الذاريات آية ٥٨.

ومن ذلك قوله تعالى أيضاً ﴿ **فَلله العِزَّةُ جَميعاً** ﴾(١) فالعزيز من له العزة، ولولا ثبوت العزة و القوة له تعالى لم يُسَمَّ قوياً ولا عزيزاً.

وأيضاً لو لم تكن أسماؤه عزوجل مشتملة على معان وصفات لم يسغ أن يخبر عنها بأفعالها، فلا يقال يسمع ويرى ويعلم ويقدر وغير ذلك، لأن ثبوت أحكام الصفات فرع من ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت حكمها، وأيضاً فإنه لو لم تكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف لكانت جامدة كالأعلام المحضة التي لم توضع لمسماها بإعتبار معنى قام فتكون كلها سواء، ولم يكن فرق بين مدلولاتها، ولا شك أن هذه مكابرة صريحة وبهتان بيّن عظيم، فإن من جعل اسم (القدير) هو بمعنى اسم (السميع) ومعنى اسم (التواب) هو بمعنى (المنتقم) ومعنى اسم (المعطي) هو بمعنى اسم (المانع)، فقد كابر العقل واللغة والفطرة، بل وكان فيه شبه بالباطنية القرامطة، فإن الله قد أنكر على المشركين الذين امتنعوا عن تسميته بالرحمن فقال ﴿**وإذا قِيلَ لَهُمْ اسجُدُوا للرَّحمن قالوا وما الرَّحمنُ أنَسْجُدُ لما تَأمُرُنَا وزادهُم نُفُوراً**﴾(٢) فاتضح إذاً أن نفي معاني أسماء الله من أعظم أنواع الالحاد فيها(٣).

ومن أنواع الالحاد أيضاً، إنكارها بالكلية كما هو مذهب الجهمية الذين نفوا ثبوت الأسماء والصفات، زاعمين أن إثباتها يستلزم تشبيه الخالق بالمخلوق، مدّعين تصور ذات مجردة عن الأسماء والصفات، وهذا من أعظم أنواع الإلحاد في أسماء الله سبحانه وصفاته، بل وضرب من المحال أيضاً(٤).

ج - طريق إثبات أسماء الله تعالى

إن طريق إثبات أسماء الله عزوجل عند أهل السنة والجماعة هو التوقيف، بمعنى أنها توقيفية لا تعرف إلا عن طريق الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهذا الأمر من المسلمات التي تحتاج إلى إمعان نظر ولاتقبل الجدال والمراء(٥).

---

١) سورة فاطر آية ١٠.

٢) سورة الفرقان آية ٦٠.

٣) انظر شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٧٦-٧٨ ومدارج السالكين ١/٣٧-٣٨.

٤) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٢٨ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/٣ ومختصر الصواعق المرسلة ص ٢٩٧-٢٩٨.

٥) انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤١٣/٣ و٥/٥٧ وبدائع الفوائد لابن القيم ١٨٣/١ وفتح الباري ٢٢٦/١١.

فلا يجوز إذاً لأحد أن يشتق من الأفعال الثابتة لله تعالى أسماء إلا إذا ورد بها نص من كتاب أو سنة.

وقد نبه القاضي عياض -رحمه الله- إلى ذلك ورجح هذا المذهب بقوله: (اختلف أهل العلم والنظر من أهل السنة في تسمية الله ووصفه في أوصاف الكمال والجلال والمدح بما لم يرد به شرع ولا منعه، فأجازه بعضهم، ومنعه آخرون إلا أن يرد به شرع من نص كتاب أو سنة أو أجمعت الأمة على إطلاقه، وهذا هو الرأي الراجح)(١).

قلت: يشير القاضي رحمه الله ههنا إلى الخلاف الذي وقع حول هذه المسألة بين السلف وجماهير الأشاعرة من جهة، وبين بعض الأشاعرة كالباقلاني (٢) والكرامية والمعتزلة من جهة أخرى، حيث قال السلف ومن وافقهم إن أسماء الله تعالى توقيفية لا تثبت إلا بالكتاب أو السنة، في حيث جوّز الآخرون اطلاق اسم على الله إذا دلّ العقل على معنى ثابت في حقه تعالى، سواء ورد التوقيف فيه أو لم يرد، وهو ما يسمى عند علماء الكلام بالطرق القياسية(٣).

ولا شك أن مذهب السلف هو الحق الراجح، لأن الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته مما لا يعلم بالعقل، بل هو متوقف على الوحي، ولأنه لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم به تعالى من رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، فالمؤمن يقف حيث وقف الوحي ولا يقول على الله بغير علم.

د - عدد أسماء الله تعالى

أما عن عدد أسماء الحسنى فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»(٤).

وقد اختلف العلماء رحمهم الله هل أسماء الله محصورة بهذا

---

١) إكمال المعلم ٥٤٩/٢.

٢) هو القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد المعروف بالباقلاني البصري من كبار علماء الكلام بل انتهت إليه الرياسة في مذهب الاشاعرة في عصره، من كتبه اعجاز القرآن، والانصاف توفي سنة (٤٠٣ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤٣/١١ والبداية والنهاية ٣٥٠/١١-٣٥١.

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤١٣/٣، ٥٧/٥ وبدائع الفوائد ١٨٣/١ وفتح الباري ٢٢٦/١١ وجوهرة التوحيد ص ٨٩ وشرح الأسماء والحسنى للرازي ص ٣٦.

٤) رواه البخاري في ك التوحيد باب إن لله مائة اسم مائة إلا واحداً ٣٨٩/١٣ برقم (٧٣٩٢) ومسلم في ك الذكر باب في أسماء الله ٢٠٦٢/٤-٢٠٦٣ برقم ٢٦٧٧، والترمذي في ك الدعوات باب ذكر أسماء الله ٤٩٦/٥ برقم ٣٥٠٧ وأحمد ٢٥٨/٢، ٢٦٧ وغيرهم.

١- أسماء الله غير محصورة في عدد معين

يكاد ينعقد الإجماع على أن العدد الوارد في الحديث السابق لا مفهوم له يقتضي الحصر لأسماء الله تعالى في تسعة وتسعين، ولم يخالف في ذلك سوى ابن حزم الظاهري -رحمه الله- الذي أخذه بظاهر الحديث من غير أن يأخذ بالأحاديث الأخرى الواردة في هذا الشأن، فقد قال في دفاعه عن رأيه هذا: (إن له عزوجل تسعة وتسعين اسماً مائة غير واحد وهي أسماؤه الحسنى، من زاد شيئاً من عنده فقد ألحد في أسمائه، وهي الأسماء المذكورة في القرآن والسنة... وقد صح أنها تسعة وتسعون اسماً فقط، ولا يحل لأحد أن يجيز أن يكون له تعالى اسم زائد لأنه عليه السلام قال «مائة غير واحد» فلو جاز أن يكون له اسم زائد لكان مائة اسم، ولوكان هذا لكان قوله عليه السلام «مائة غير واحد» كذباً ومن أجاز هذا فهو كافر)(١).

٢- الرد على ابن حزم في زعمه أن أسماء الله محصورة

الحقيقة أن ابن حزم -رحمه الله- قد أخطأ وخالف المذهب الصحيح في هذه المسألة، لأنه ليس في الحديث السابق ماينفي أسماء الله تعالى غير التي ذكر (مائة إلا واحداً) وإنما وقع التخصيص بذكرها، لأنها أشهر الأسماء وابينها معاني، وفيها ورد الخبر (أن من أحصاها دخل الجنة) سواء أحصاها مما ورد في الحديث السابق -كما في بعض طرقه- أو من سائر مادل عليه الكتاب والسنة، إذ معنى الحديث أن في أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل إن لي ألف درهم أعددتها للصدقة وإن كان ماله أكثر من ذلك، والله تعالى قال في كتابه **﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾**(٢) فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقاً، ولم يقل ليست أسماؤه الحسنى إلا تسعة وتسعين اسماً والحديث قد سلم معناه(٣).

وأيضاً فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ مايدل على أن العدد ليس محصوراً في تسعة وتسعين. من ذلك قوله ﷺ «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن، فقال اللهم

---

١) المحلى لابن حزم ١/٣٦-٣٧ والفصل في الأهواء والملل والنحل له أيضاً ٢/١٦٥.

٢) سورة الأعراف آية ١٨٠.

٣) أنظر الاعتقاد للبيهقي ص ١٥ والأسماء والصفات له ص ٦ وشرح السنة للبغوي ٥/٣٥ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٢/٤٨٦ وشرح صحيح مسلم ١٧/٥ وفتح الباري ١١/٢٢٣.

إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً، -وفي بعض النسخ فرحاً بالحاء المهملة- فقيل يارسول الله: ألا نتعلمها؟ قال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»(١).

فهذا الحديث نص ظاهر على أن العدد غير محصور بتسعة وتسعين فقط.

- ومن ذلك أيضاً قوله ﷺ في حديث الشفاعة «فأقوم فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عزوجل، ثم يفتح الله عليَ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي...»(٢) الحديث، ففي هذا الحديث دليل أيضاً على أن أسماءه وصفاته غير محصورة لأن الذي استأثر به في علم الغيب عنده غير هذا الوارد المعروف بدليل قوله ﷺ «لم يفتح على أحد قبلي» ومعلوم أن الدعاء لا يكون بغير أسمائه تعالى وصفاته ، فهي زائدة على تسعة وتسعين ولا يجوز حصرها عليها، لأنها محامده تعالى ومدائحه وفواضله وهي غير متناهية، فبطل بهذا قول ابن حزم رمن وافقه.

٣- رأي القاضي عياض في حصر أسماء الله

وافق القاضي عياض رحمه الله جمهور العلماء في كون أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين، وقد ضعف الحديث الذي رواه الترمذي(٣)والذي فيه ذكر تسعة وتسعين اسم وقال هو ضعيف لايؤخذ به(٤).

---

١) رواه أحمد في المسند ٤٥٢،٣٩١/١ والحاكم في المستدرك ٥٠٩/١ وغيرهما وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٦/١٠ أيضاً لابي يعلى والبزار والطبراني ثم قال (ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان)، وقد صحح الحديث الالباني في السلسلة الصحيحة ٣٣٦/١ برقم ٩٩ وفي تخريج الكلم الطيب ص ٧٣ وكذلك صححه أحمد شاكر في شرح المسند ٢٦٦/٥-٢٦٨، ١٥٣/٦.

٢) رواه البخاري في ك التفسير (١٧) سورة الإسراء باب ذرية من حملنا مع نوح ٢٤٧/٨ برقم ٤٧١٢ ومسلم في ك الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٤/١ برقم ٣٢٧ وأحمد ٤٣٦/٢.

٣) هو الحافظ الإمام البارع، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي، مصنف (الجامع) وكتاب العلل وغيرهما ولد في حدود سنة ٢١٠ هـ وتوفي سنة ٢٧٩ هـ بترمذ انظر سير أعلام النبلاء ٢٧٠/١٣ وتذكرة الحفاظ (٦٣٣/٢) وتهذيب التهذيب ٣٨٧/٩ وطبقات الحفاظ ص ٢٧٨.

٤) انظر إكمال المعلم ٥٤٨/٢-٥٥٠.

قلت: قد أصاب القاضي عياض -رحمه الله- في رده لحديث الترمذي الذي ذكر فيه الراوي تسعة وتسعين اسماً، فقد بيّن ضعف هذا الحديث وأعله غير واحد من العلماء، وبينوا بأن سرد الأسماء إدراج من بعض الرواة وليس من كلام النبي ﷺ، وقد تفرد بعض الرواة بذكر الأسماء مطولا، وقد خالف غيره من الثقات بذلك، وعليه فالحديث ضعيف بذكر الأسماء التسعة والتسعين أما بدون ذكر الأسماء فهو متفق عليه(١).

فاتضح مما سبق أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد، لأن أسماءه عزوجل أكثر من أن تحصر، وأما ما ورد عن بعض العلماء أنها ألف وخمسمائة، فتلك دعوى لا دليل عليها، لأن من أسمائه سبحانه ما استأثر عزوجل بعلمه، فكيف لنا أن نصل إلى حصرها وعدّها.

٤- معنى الإحصاء في حديث «من أحصاها دخل الجنة»

اختلف العلماء رحمهم الله في معنى الإحصاء الذي ورد في الحديث "من أحصاها دخل الجنة" فذهب الكثير منهم إلى أن المراد به حفظها(٢) مستدلين برواية البخاري "لايحفظها أحد إلا دخل الجنة"(٣)، وقيل: أحصاها أي قرأها كلمة كلمة كأنه يعدها، وقيل علمها وتدبر معانيها واطلع على حقائقها، وقيل: أطاق القيام بحقها، وقيل: عرفها، وقيل: عدها وحفظها، وقيل: هو العمل والتعقل بمعانيها والإيمان بها، وقيل: عرفها،وقيل: عدها وحفظها، ويتضمن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها، والرغبة فيها، والإعتبار بمعانيها، إذ ليس المراد بالاحصاء عدها، لأنه قد يعدها الفاجر، وإنما المراد العمل بها والقيام بعبوديتها(٤).

ولعل هذا الرأي الأخير هو الراجح -والله أعلم- أما عن رأي القاضي عياض في هذا الأمر فإني لم أجد له كلاماً في ذلك فيما اطلعت عليه من كتبه.

---

١) انظر شرح السنة ٥/٣٥ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/٣٧٩، ٢٢/٨٤٢ وبدائع الفوائد ١/١٦٦ وميزان الإعتدال ٢/٦٢٧ والجرح والتعديل ٥/٣٨٠ وفتح الباري ١١/٢١٨-٢٢٢ وغيرها.

٢) انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ١٧ وشرح صحيح مسلم ١٧/٥ وفتح الباري ١١/٢٢٩.

٣) رواه البخاري في ك الدعوات باب لله مائة اسم غير واحدة ١١/٢١٨ برقم ٦٤١٠.

٤) انظر فتح الباري ١١/٢٢٩-٢٣٠.

هـ - حقيقة الاسم والمسمى

هذه القضية من القضايا الرئيسية التي كثر النزاع فيها بين المسلمين، وقد تعرض القاضي عياض لها بإيجاز شديد، وقبل بيان رأيه في ذلك أرى أن أذكر أولا وبصورة مجملة هذه الآراء التي فصلها شيخ الإسلام ابن تيمية(١) -رحمه الله- منبهاً إلى أن هذا الخلاف قد وقع بعد عصر الأئمة الأربعة ، وتتلخص المذاهب في ذلك بخمسة أقوال هي:

١- اختلاف الناس في ذلك

المذهب الأول: أن الاسم هو المسمى (أو عين المسمى) وهو رأي أكثر المنتسبين إلى السنة كاللالكائي(٢)والبغوي وغيرهم، وهو أحد قولي أصحاب أبي الحسن الأشعري والذي اختاره ابن فورك(٣) وغيره(٤).

المذهب الثاني : أن الاسم غير المسمى: وهو رأي الجهمية والمعتزلة وتابعهم في ذلك جماعة من الأشاعرة كالغزالي(٥) والرازي(٦).

وقد بني الجهمية رأيهم هذا على أن أسماء الله مخلوقة، ومادامت كذلك فهي غيره، وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف - كما قال شيخ الإسلام - وغلظوا القول فيهم، لأن أسماء الله من كلامه وكلامه غير مخلوق بل هو المتكلم به وهو

---

١) انظر تفصيل هذه الأقوال و أسماء القائلين بها وأدلتهم في مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٨٥/٦-١٨٩.

٢) هو أبو القاسم، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي، الإمام الحافظ المجود المفتي، محدث بغداد، صنف كتاب شرح السنة وغيره وعاجلته المنية، خرج إلى الدِّينور فأدركه أجله بها في شهر رمضان سنة ٤١٨ هـ أنظر سير أعلام النبلاء ٤١٩/١٧ وشذرات الذهب ٢١١/٣.

٣) تقدمت ترجمته ص٣٢ .

٤) عزا البيهقي هذا الرأي للإمام الشافعي، والحارث المحاسبي، وأبي عبيد القاسم بن سلام انظر الاعتقاد للبيهقي ص ٢٢ وشعب الايمان له ١٢٥/١-١٢٦ بتحقيق زغلول.

٥) هو أبو حامد، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أحد علماء المسلمين، كان فيلسوفاً متصوفاً، له كثير من المصنفات،من أشهرها إحياء علوم الدين والمنقذ من الضلال،توفي سنة (٥٠٥ هـ) وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث الرسول ﷺ ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين، قال عنه شيخ الإسلام ناقلا عن ابن الصلاح (أبو حامد كثر القول فيه ومنه فأما هذه الكتب -يعني المخالفة للحق- فلا يلتفت إليها، وأما الرجل فيسكت عنه ويفوض أمره إلى الله) انظر نقض المنطق لشيخ الإسلام ص ٥٥-٦١ وطبقات الشافعية للسبكي ١١١/٤.

٦) تقدمت ترجمتهص ٨٤

المسمى لنفسه بما شاء من الأسماء(١).

وقد ناصر هذا المذهب بشدة ابن حزم -غفر الله له- وبالغ في تأييده والتشنيع على أصحاب القول الأول(٢).

المذهب الثالث : التوقف، وهو قول جماعة من السلف منهم الإمام الحربي(٣) وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله عن أصحاب هذا المذهب أنهم توقفوا في ذلك نفياً وإثباتاً، أي أنهم لايقولون إن الاسم هو المسمى ولا غيره إذ كل من الإطلاقين بدعة بنظرهم، لأنه لايعرف في ذلك قول لأحد من الأئمة كما قالوا.

المذهب الرابع : أن الاسم للمسمى، وهو إختيار أكثر المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيره.

المذهب الخامس : التفصيل، فتارة يراد بالاسم المسمى، وتارة يكون غيره، وتارة لا يكون هو ولا غيره. وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذا المذهب هو المشهور عن أبي الحسن الأشعري وفصل طريقته في ذلك(٤).

ولسنا بحاجة إلى الإطالة في بيان هذه الأقوال وأدلتها إذ المراد هو معرفة رأي القاضي عياض في ذلك ومدى موافقته للصواب في ذلك.

٢- رأي القاضي عياض في حقيقة الاسم والمسمى

اختار القاضي عياض -رحمه الله- المذهب الأول من الأقوال السابقة فقال: (مذهبنا في ذلك هو مذهب أهل السنة وجماهير اللغة أن الاسم هو المسمى وخالف المعتزلة في ذلك فقالوا الاسم غير المسمى)(٥).

قلت: ما اختاره القاضي عياض ونسبه لأهل السنة مردود، فإن جمهور أهل

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٨٦/٦.

٢) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢٧/٥-٣٦.

٣) هو الإمام الحبر، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحربي، كان حافظاً ثقة ثبتاً، تفقه على الإمام أحمد بن حنبل وبرع في العلم، من كتبه غريب الحديث ولد سنة (١٩٨ هـ) وتوفي سنة (٢٨٥ هـ) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٢٧/٦ وشذرات الذهب ١٩٠/٢.

٤) انظر تفصيل هذا المذهب في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٨٨/٦-١٨٩.

٥) إكمال المعلم ١٨/٦.

السنة لم يختاروا هذا المذهب بل إنما التفصيل في هذا الأمر هو مذهبهم كما سيأتي، ثم إن القول بأن الاسم هو المسمى لا دليل صريح عليه، بل إنما عليه مآخذ كثيرة لا مجال لذكرها ههنا(١).

٣- الراجح في المسألة

الراجح في هذه المسألة هو ما اختاره جمهور أهل السنة والمحققون منهم -كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وشارح الطحاوية وغيرهم- وهو التفصيل في ذلك (فإن الاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت قال الله كذا أو سمع الله لمن حمده ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت الله اسم عربي والرحمن اسم عربي والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم ههنا هو المراد لا المسمى ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله)(٢).

وهذا التفصيل كما ترى سليم بعيد عن التعقيد، وهو موافق لصريح الكتاب والسنة وللمعقول أيضاً لأن الله تعالى قال عن نفسه **﴿ولله الأسماء الحسنى﴾**(٣) وقال **﴿أياً ماتدعوا فله الأسماء الحسنى﴾**(٤). وقال رسول الله ﷺ «إن لله تسعة وتسعين اسماً»(٥).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن أصحاب هذا الرأى -وهم جمهور أهل السنة- إنما يلجأون إلى التفصيل الآنف الذكر عندما يسألون هل الاسم هو المسمى أم غيره، وقد ردّ على الذين زعموا بأن الاسم هو المسمى رداً علمياً دقيقاً وبيَّن بأنه لادليل لهم فيه ودحض ما استدلوا به بكلام نفيس يطول ذكره(٦).

ولا شك أن في التفصيل الوارد عن جماهير السلف عند الحاجة إليه

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٩٠/٦-٢٠٢ وفتح القدير ١٨/١.
٢) شرح الطحاوية ص ٧١.
٣) سورة الاعراف آية ١٨٠.
٤) سورة الاسراء آية ١١٠.
٥) تقدم تخريجه ص ٢٤١.
٦) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٩١/٦-٢٠٦.

الغنية عن كل قول سواه لأنه هو الصواب المستند إلى الشرع والعقل معاً.

المبحث الثالث: منهج القاضي عياض في صفات الله عزوجل وفيه عدة مطالب:

سبق الحديث عن أسماء الله عزوجل وعن موقف القاضي عياض منها، وفي هذا المبحث سأتعرض لموقفه من صفات الباري عزوجل، مقتصراً بذلك على ذكر جملة من الصفات التي تعرض لها في مؤلفاته، وقبل أن أبين منهجه في ذلك أرى من المناسب أن أتكلم عن تقسيم الصفات عند كل من السلف والخلف.

المطلب الأول : تقسيم الصفات

أ- **أنواع الصفات عند السلف الصالح:** لم يتوسع السلف الصالح -رحمهم الله- في تقسيم الصفات وتنويعها، إذ ليس من عادتهم الإسراف في الكلام في المطالب الالهية، بل إنهم لايكادون يتجاوزون الكتاب والسنة في مبحث الصفات، إلا أن أولئك الذين حضروا زمن الفتنة بعد نشأة علم الكلام وابتلوا بمناقشة علماء الكلام والرد عليهم فاضطروا للخوض في تقسيم الصفات.

وقد قسموها إلى قسمين من حيث العموم، صفات ذاتية وصفات فعلية تنقسم كل منها إلى قسمين:

١- **الصفات الذاتية:** وهي الصفات المتعلقة بذاته المقدسة التي لم يزل ولايزال متصفاً بها ولا تنفك عنه ولا تتعلق به مشيئته وقدرته، كالوجه واليدين وغيرها وهي قسمان:

١- سمعية عقلية: وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي والفطرة السليمة، كصفة الحياة والعلم والقدرة والإرادة والقوة وغيرها.

٢- خبرية: وهي التي لا سبيل للعقل على إنفراده إلى إثباتها إلا بطريق السمع والخبر عن الله ورسوله ﷺ كالوجه والعينين واليدين وغيرها.

٢- **الصفات الفعلية:** وهي الصفات المتعلقة بمشيئته وقدرته إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها كصفة النزول والإستواء، وهي قسمان أيضاً:

١- سمعية عقلية، كالخلق والرزق والإعطاء والإحياء والإماتة.

٢- خبرية كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا والمجيئ والإتيان يوم القيامة، والغضب والمحبة وغيرها(١).

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية بإعتبارين كصفة الكلام مثلا، فإنها صفة ذاتية لا تنفك عنه تعالى لأنه عزوجل لم يزل ولا يزال متكلماً، وبإعتبار آحاد الكلام هي صفة فعلية لأن الكلام متعلق بمشيئته عزوجل فإنه يتكلم متى شاء كيف شاء بما شاء كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(٢).

ولا شك أن تقسيم السلف الصالح للصفات هو الراجح لأنه يشمل جميع أنواع الصفات الثابتة للباري سبحانه فلا تخرج عن القسمين (الذاتية والفعلية) ولأن نصوص الكتاب والسنة تدل عليها حيث إنه قد ورد بعضها بإثبات صفات لازمة للذات وبعضها الآخر ورد بإثبات صفات تتعلق بها مشيئته وإختياره.

ب- أنواع الصفات عند المتكلمين

لقد أولع المتكلمون بتقسيم الصفات وتنويعها، ولهم في ذلك طريقة خاصة بهم، وقد درجوا على تقسيم صفات الله إلى أربعة أقسام، نفسية وسلبية وصفات معان وصفات معنوية.

١- **الصفة النفسية:** هي الحال الواجبة للذات مادامت الذات غير معللة بعلة وهي الوجود.

٢- **الصفة السلبية:** وهي التي سلبت أمراً لا يليق بالله سبحانه، وهي خمس صفات، القدم، والبقاء، والوحدانية، ومخالفته تعالى للحوادث، والغنى المطلق المعروف (بالقيام بالنفس).

٣- **صفات المعاني:** وهي كل صفة قائمة بموصوف زائدة على الذات موجبة له حكماً، وهي سبع: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر،

---

١) أنظر الاسماء والصفات للبيهقي ص ١١ والاعتقاد له ص ٢١ وشرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص ١٥ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/٥٢،٦٨،٢٦٨،٣٤٨، و١٢/٤٣٦-٤٣٧، ١٦/٣٦٤-٣٧٠ وشرح الطحاوية ٦٢-٦٤،٦٧ وشرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ١١-١٢ وشرح الواسطية للهراس ص ٩٨-٩٩ والحق الواضح المبين للشيخ السعدي ص ١٣،١٤،٢٣ وتفسيره أيضاً ١/٢٥٦ والكواشف الجلية للسلمان ص ٢٥٨.

٢) سورة يس آية ٨٢.

والكلام، وإنما سميت بذلك لأن كل صفة منها زائدة على ذاته تعالى، وهي ما يسمونه أيضاً (بالصفات الوجودية).

٤- **الصفات المعنوية:** وهي ملازمة للصفات السبع الأولى، وهي الحال الواجبة للذات مادامت المعاني قائمة بالذات، وقد عللوا تسمية هذه الصفات بهذا الاسم، بأن الإتصاف بها فرع عن الإتصاف بالسبع الأولى، فإن إتصاف محل من المحال بكونه عالماً أو قادراً مثلا لايصح إلا إذا قام به العلم أو القدرة ... وهكذا قس على ذلك، فصارت السبع الأولى صفات معنوية، وهذه الصفات المعنوية هي كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسمعياً وبصيراً ومتكلماً(١).

ولا يخفى أن هذا التقسيم الذي قال به المتكلمون الصفاتية مبني على اعتقادهم إثبات بعض الصفات دون بعض، وعلى التفويض في بعضها الآخر أو إرجاعه إلى معان فيها تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقات كما قالوا، وذلك بتأويل الصفة عن ظاهرها إلى معنى آخر، ولايخفى خطؤهم في ذلك وموقف السلف منهم في هذا كله.

ج- رأي القاضي عياض في تقسيم الصفات

لم أجد للقاضي عياض كلاماً يقسم فيه الصفات، سوى إشارات عابرة يفهم منها ميله إلى تقسيم المتكلمين لها، من ذلك قوله بعد ذكره للصفات السبع وهي العلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر والحياة (هذه الصفات تستحيل عقلا أن تقوم بغير الحي سبحانه، وهذه الصفات كلها صفاته القائمة بذاته المعللة بالمعاني القديمة التي هي صفاته في الحقيقة والاصطلاح)(٢).

ومن ذلك قوله في معرض رده على الغزالي إنه سبحانه خالق بالأزل بالقوة قال: (أما صفات الأفعال فلا يثبت منها شيئ أزلا(٣) وما قاله الإمام الغزالي

---

١) انظر شرح أم البراهين للسنوسي ص ٢٥-٣٣ مطبعة الإستقامة ١٣٥١ هـ وحاشية الدمشقي على أم البراهين ص ٩٣ مطبعة الحلبي وحاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية ص ٧٦،٥٩ مطبعة الإستقامة، وانظر أيضاً أضواء البيان للشنقيطي ٣٠٦/٢ فقد زاد على هذه الصفات صفتين هما الصفة الفعلية والصفة الجامعة وأخبر أن هذا هو تقسيم الصفات عند المتكلمين.

٢) منهاج العوارف ص ٦.

٣) أحب أن أشير ههنا إلى مسألة مهمة وهي أن صفات الله تعالى ثابتة أزلا وأبداً ليس فيها صفة حادثة، سواء في ذلك صفات الذات أو صفات الفعل، فلا يجوز أن يقال إنه تعالى اتصف بصفة=

رضي الله عنه أنه سبحانه خالق في الأزل بالقوة فكلام غير مرضي عندنا، لأن كل ما بالقوة لا يخرج إلى الفعل إلا المخرج، فإن رد معنى كونه خالقاً في الأزل إلى القدرة فهو حق، مع أن لفظ القوة لا يعرف أهل الشرع استعماله في حق الباري سبحانه)(١).

ومن ذلك قوله أيضاً في معرض رده لمن فسر الإستواء بالإستيلاء والقهر (لا يصح ذلك لأن القدرة من صفات الذات ولا يدخل فيها دخول ثم إذ هي لما لم يكن بخلاف صفات الأفعال)(٢).

فبهذا يعلم أنه يقسم الصفات إلى عقلية وذاتية وفعلية وصفات معانى من غير أن يعرف تلك الأقسام.

المطلب الثاني: العلاقة بين الصفات والذات

الإيمان بالله تعالى إنما يعني الإيمان بالذات العلية المقدسة، وما اتصفت به من أسماء حسنى وصفات عليا، فالمؤمن عندما يقول آمنت بالله إنما يعني هذا الإيمان الشامل بذات لا تشبه الذوات، متصفة بصفات الكمال التي لاتشبه صفات خلقه، بل لصفاته تعالى حقائق ومعاني تليق بجلاله كما أن لخلقه صفات تناسب حالهم.

أ- الذات والصفات يستلزم كل منها الآخر

وبناء على هذا الإيمان الشامل فإن العلاقة بين الصفات والذات علامة

=كان فاقدها أو ممتنعة في حقه، كما يقول أهل الكلام المذموم، بل الفعل ممكن في حقه تعالى في كل وقت من الاوقات، لان الفعل كمال وعدمه نقص، وإن كانت هذه الافعال تحدث في وقت دون وقت كما في حديث الشفاعة «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) متفق عليه رواه البخاري في ك الأنبياء باب (٣) ٣٧١/٦ برقم ٣٣٤٠ ومسلم في ك الايمان باب (٨٤) ١٨٤/١-١٨٦ برقم ١٩٤، وهذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن، ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلماً بالامس لايقال إنه حدث له الكلام فالساكت لغير آفة يسمى متكلماً بالقوه، بمعنى أنه يتكلم إذا شاء وفي حال تكلمه يسمى متكلماً بالفعل، انظر درء تعارض العقل والنقل ٣/٢-١٠ وشرح الطحاوية ص١٢٧-١٢٨ وعليه أقول إن تأويل القاضي لكلام الغزالي في غير محله فالصحيح ما أثبته والله أعلم.

١) منهاج العوارف ص ٦.

٢) مشارق الانوار ٢٣١/٢-٢٣٢ يقصد القاضي ثم في قوله سبحانه ﴿ثم استوى على العرش﴾ فإن ثم دخلت على فعل استوى ولو كان بمعنى القدرة فلا يصح هذا كما قال وهو صحيح فإن استوى بمعنى علا وارتفع كما نص على ذلك علماء السلف.

التلازم الضرورية، فالإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات وكذلك العكس.

فكما أن الصفة تدل على الذات، فالذات أيضاً دليل على الصفة، بمعنى أن الصفة إذا ذكرت منفردة فهي تدل بطريق اللزوم على الاسم أو الذات، والذات إذا ذكرت منفردة دلت بطريق اللزوم على الصفة التي اشتقت منها، لأنه لا يتصور وجود ذات مجردة من الصفات في الخارج، كما لا يتحقق وجود صفة من الصفات في الخارج إلا وهي قائمة بالذات، فتصور (ذات) على حدة وتصور (صفة) على حدة إنما هو تصور ذهني.

ولقد سبق أن أشرت في المبحث السابق عند الحديث عن أسماء الله إلى مذهب المعتزلة الذين يثبتون الأسماء وينفون الصفات ويجعلون الاسم غير المسمى وبينت أن ذلك من نوع الإلحاد في أسماء الله.

ب- هل الصفات عين الذات أم غيرها

مما له صلة بهذا الأمر مسألة هل الصفات هي عين الذات أو غيرها؟

١- رأي القاضي عياض في ذلك

ذهب القاضي عياض رحمه الله إلى منع القول في الصفات هي عين الذات أو غيرها، ورأى أن سبب المنع في الأول (عين الذات) لأنه مخالف لمقتضى الحكم العقلي، وأما سبب المنع في الثاني (غير الذات)، فلكونه لم يرد فيه نص، بل الأمر فيه على التوقيف والإصطلاح الشرعي، قد قال رحمه الله: (ولا يطلق على الصفات عين الذات ولا غيره، أما الأول فلأنه على خلاف الحكم العقلي البديهي، وأما الغيرية فلا مانع من إطلاقه إلا التوقيف والإصطلاح)(١).

٢- منهج السلف في ذلك

لا شك أن هذا القول (الصفات عين الذات أم غيرها) مما أحدثه علماء الكلام ولا عهد لعلماء السلف الأوائل بهذا الأسلوب، بل إنهم -رحمهم الله- كانوا يكرهون مثل هذه الألفاظ المجملة، رغبة منهم في الوقوف مع النصوص الشرعية، لكن المتأخرين من أتباع السلف الذين اضطروا إلى الخوض مع أهل الكلام للذود عن العقيدة السلفية والحفاظ عليها، ففصلوا الكلام في ذلك فقالوا: إن مثل هذه الألفاظ مجملة تحتمل معنيين صحيح وباطل ولا ينفصل

---

١) منهاج العوارف ص ٦.

النزاع ويتضح وجه الصواب إلا بالتفصيل، فإن أريد بقولهم إن الصفة (غير الذات) أو زائدة عن الذات، بمعنى أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح وإن أريد أن الصفات زائدة على الذات بمعنى أن للذات معنى غير معنى الصفة ومفهوم الصفات زائد على مفهوم الذات، بيد أنها لا تنفك عن الذات، فهذا صحيح(١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (ويرى القوم في لفظة (الغير) أنه يراد بها معنيان، أحدهما المغايرة لتلك الذات المسماة بـ(الله) وكل ما غاير الله مغايرة محضة بهذا الإعتبار فلا يكون إلا مخلوقاً، ويراد به -أي لفظ الغير- مغايرة الصفة للذات إذا خرجت عنها، فإذا قيل: علم الله وكلام الله غيره، بمعنى أنه غير الذات المجردة من العلم والكلام كان المعنى صحيحاً، لكن الإطلاق باطل، وإن أريد أن العلم والكلام مغايران لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره كان باطلا لفظاً ومعنى)(٢).

قلت: لأن الحقيقة المختصة به تعالى والتي لا يشاركه أحد فيها، هي اتصافه بصفات الكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه غيره، من العلم المحيط بجميع المعلومات وبكلماته التامات التي لا نفاذ لها، وبقدرته الكاملة التي لا يعجزها شيئ بل هو سبحانه على كل شيئ قدير.

وهكذا يتضح أنه لا ينبغي إطلاق المغايرة بين الصفات والذات، ويتضح أيضاً أن صفات الله تعالى ملازمة لذاته ولا تنفك عنها، فلا يقال عن الصفات هي عين الذات لأنه من المعلوم بداهة أن صفة الرحمة مثلا ليست هي نفس اسم الرحيم، بل هي ملازمة له لا تنفك عنه، هذا هو المفهوم الصحيح الذي فهمه السلف الصالح وسلموا به من الخوض في بحث العلاقة بين الصفات والذات، وهو الذي تؤيده النصوص الشرعية -فضلا عن تأييد الأدلة العقلية- فإن صفة الله تعالى داخلة في مسمى أسمائه، فمن استعاذ بصفة من صفات الله أو حلف بها فإنما استعاذ بالله وحلف به تعالى، ويشهد لهذا تعليمه ﷺ لأمته الإستعاذة بعزة الله وقدرته -وهما صفتان من صفاته- عندما يصيب عبداً ألم أو مرض فيضع يده موضع الألم ويقول "بسم الله ثلاثاً أعوذ بعزة الله وقدرته من

---

١) استقيت معنى هذا الكلام من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/٣٢٥-٣٢٦، ٦/٩٨-١٠١، ٣٤٧-٣٥٠ ودرء تعارض العقل والنقل ١/٢٢٩-٢٣٠ وشرح الطحاوية ص ٦٩.

٢) بدائع الفوائد لابن القيم ١/٢١.

شر ما أجد وأحاذر»(١)، ومنه قوله ﷺ في دعائه «أعوذ برضاك من سخطك»(٢) فقد استعاذ ﷺ برضا الله وهو صفة من صفاته، وليس هذا من الإستعاذة بغير الله.

فتبين إذاً أن أسماء الله تعالى مشتملة على صفاته ظاهراً ومضموناً، وصفاته ليست خارجة عن مسمى اسمه وذاته.

المطلب الثالث: طريقة القاضي عياض في إثبات الصفات لله تعالى

لقد تخبط القاضي عياض -غفر الله له- تخبطاً كبيراً في باب الصفات، ففي حين نجده يقول إننا لانصف الله إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ وننزهه عن الشبيه والنظير والمثيل، لأن ذاته لاتشبه الذوات وصفاته لاتشبه الصفات، لأنه لاتشابه بين الخالق والمخلوق في الذات والصفات(٣)، نجده مع هذا القول يختار مذهب المتكلمين الأشاعرة وغيرهم الذين يعظمون العقل أيما تعظيم فيؤولون صفات الباري عزوجل ولا يثبتون منها إلا النزر اليسير مما ارتضته عقولهم، والذين يخالفون طريقة القرآن فيبالغون في النفي ويفصلون فيه، بحجة تنزيه الباري عنه، ويجملون في الإثبات زاعمين أن طريقتهم التي ساروا عليها من التأويل والمجاز وغير ذلك هي من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، والقاضي عياض مع هذا كله يقلدهم ويسير على منوالهم في باب الصفات، وأحياناً نجده يتردد فيقع في التفويض في بعض الصفات ويزعم أنه مذهب المحققين(٤).

هذه بإختصار الطريقة أو المنهج الذي سار عليه القاضي عياض في إثباته للصفات وهو ما سأفصله في النقاط الآتية:

---

١) الحديث رواه مسلم في ك السلام باب استحباب وضع يده على موضع الالم مع الدعاء ١٧٢٨/٤ برقم ٢٢٠٢، وأبو داود في ك الطب باب كيف الرقى ٢١٧/٤-٢١٨ برقم ٣٨٩١، والترمذي في ك الطب باب (٢٩) ٣٥٥/٤-٣٥٦ برقم ٢٠٨٠ وأحمد ٢١٧/٤، ٣٩٠/٦.

٢) رواه مسلم في ك الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٢/١ برقم ٤٨٦، وأبو داود في ك الصلاة باب الدعاء في الركوع والسجود ٥٤٧/١ برقم ٨٧٩، والترمذي في ك الدعوات باب (٨٦) برقم ٣٤٩٣، وابن ماجه في ك إقامة الصلاة باب ما جاء في القنوت في الوتر ٣٧٣/١ برقم ١١٧٩.

٣) انظر منهاج العوارف ص ٢٦٠ وإكمال المعلم ٥٤٩/٢ والشفا ٢٤٣/١-٢٤٤.

٤) انظر مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ٢٣١/٢-٢٣٢.

أ- القاضي عياض يعظم العقل ويجعله الحكم في إثبات الصفات أو ردها

إن مما يؤسف له أن نجد عالماً جليلا كالقاضي عياض يعظم العقل ويقدمه على الشرع ويجعله الحكم في ذلك إذا اختلفا، بحجة أن العقل هو أصل الشرع، وقد بنى على هذه القاعدة الباطلة تأويل كثير من الصفات التي زعم أن العقل يحيل أن يكون ظاهرها مراداً لله تعالى، جرياً بذلك على عادة المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم. فاسمع إليه يقول: (العقل والرسل رسولان من الله دليلان إلى الله دالان على الله، أحدهما مرسل في عالم الشهادة، والآخر مرسل في عالم الغيب ظهر، وكلاهما صادق بالحقائق عن الله سبحانه ناطق، فلذلك استحال تناقض معلومات العقل والشرع، إذ كل واحد منهما مرتبط بالآخر إرتباط حكمه ليس له دافع، فإذا استحالت المضادة وجب النظر فيما كان ظاهراً من الصادر عن الأنبياء ومضاداً لذلك المعقول فحينئذ اقتضى الحق أقساماً، أما أن نقبل الطريقين العقلي والشرعي وهو محال، أو نبطل الجميع وهو محال أيضاً، إذ لا يبقي لنا بعد إلا الجهالة والعماية، أونبطل دلالة العقل لتصحيح دلالة السمع وهو باطل، لأن العقل هو أصل الشرع، فلو أبطلنا الأصل لتصحيح الفرع للزم ابطال الفرع، فوجب قبول دلائل العقول وتأويل ظواهر الشرع، لأنه يستحيل أن يصدر نص قاطع بمناقضة حكم العقل، وإلا لزمت المكابرة بين العقل والشرع)(١).

مناقشته في هذا الأمر:

نحن نوافق القاضي عياض أولا في أن العقل والشرع دليلان على الله وأنهما لا يتناقضان لأنه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على الرازي القائل بهذه المقولة (تقديم العقل على النقل) والذي كان أحد أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال، فقال له لا يمكن أن نجد تعارضاً بين صحيح المنقول وصريح المعقول(٢)، وهذه قاعدة مسلم بها بين العقلاء، ولكنا نخالف القاضي عياض في قوله إذا تعارض فيما يظهر لنا نصوص الشرع والعقل، أننا نقدم العقل لأنه أصل الشرع إذ لو أبطلنا الأصل لبطل الفرع وهو الشرع. فنقول له هذه القاعدة التي قعدها وقلّد فيها شيوخه

---

١) منهاج العوارف ص ٣-٤.

٢) انظر كتاب درء تعرض العقل والنقل ١/٤ وما بعدها لشيخ الاسلام فانه من أنفس ما كتب في هذا الشأن.

الأشاعرة لم يأت بها كتاب ولا سنة، بل هي مخالفة للكتاب والسنة ولمنهج السلف الصالح، فإن الله تعالى أمرنا إذا اختلفنا في شيئ أن نرده إلى الكتاب والسنة، ولم يأمرنا برده إلى عقولنا قال تعالى **﴿فَإنْ تَنَازَعْتُم في شَيْءٍ فَرُدُوه إلى اللهِ والرسولِ إن كُنْتُم تُؤْمِنُونَ بالله واليومِ الآخرِ ذلكَ خَيْرٌ وأحسنُ تأويلا﴾** (١) فالرد إلى الله ورسوله دليل الايمان إذ به يحصل الخير وينتفي الخلاف والشر، ولأنه لو رد الأمر إلى عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم لم يزدهم هذا الرد إلا اختلافاً وشكاً وإرتياباً لأنه لا يمكن الحكم بين الناس إلا بوحي منزل تطمئن إليه النفوس، ثم إن الله عزوجل قد أنكر أشد الإنكار من لم يكتف بالكتاب والسنة فابتغى الهدى من غيرهما فقال **﴿أوَلَمْ يَكْفِهِمْ أنَّا أنْزَلنا عَلَيْكَ الكتابَ يُتْلَى عَلَيْهِم إنَّ في ذلكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤمنونَ﴾**(٢).

فالمؤمن حقاً يكتفي بما أنزل الله، وما جاء به رسول الله، ولا يتقدم عليهما شيئاً كائناً ماكان، سواء كان شيخاً أو عقلا أو مذهباً أو غير ذلك، فإن من قدم شيئاً على النصوص الشرعية كان مقدماً بين يدي الله ورسوله، وقد نهى الله عن ذلك فقال **﴿ياأيها الذين آمنوا لا تُقَدّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله ورسُولِه واتَّقُوا الله﴾**(٣)، فكيف يجوز أن نقدم العقل إذا اختلف مع الشرع وهو مخلوق من مخلوقات الله، ونجعله يتطاول ليتدخل في خصائص الخالق العظيم وينصب نفسه حكماً عدلا لايرجع عن حكمه ولا يعترض على قراره؟!! إن تلك والله بلية البلايا وأعجوبة الأساطير، فهل يقع الإنسان في ضلال أبعد من هذا الضلال؟!! وصدق الله إذ يقول **﴿ومَنْ أضَلُّ ممَّن اتَّبَعَ هواه بِغَيرِ هُدى من الله﴾**(٤).

فنصوص الكتاب والسنة هي المقدمة عند المؤمنين الصادقين في كل أمور حياتهم لأنها وحي من الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أما العقل الضعيف المخلوق لله فليس كذلك لأنه من المسلم به أن للعقل قدرة محددة في معرفة ما يصلحه وما يضره، وفي معرفة الحسن من القبيح -هذا إذ لم يمسخ أو تغيره طوارئ- فكيف يكون حكماً ومقدماً على الوحي؟!، ثم إذا قدمنا العقل فعلى أي العقول نعتمد؟! أعلى عقول المعتزلة الذين كانوا أول من ابتدع بدعة تعظيم العقل في الإسلام، فجعلوه هو الحكم والفيصل، واسندوا إليه مهمة الكشف في عالم الغيب، فتدخلت عقولهم باحثة عن خصائص اليوم الآخر فأثبتت

---

١) سورة النساء آية ٥٩.
٢) سورة العنكبوت آية ٥١.
٣) سورة الحجرات آية ١.
٤) سورة القصص آية ٥٠.

ما أرادت ونفت ما شاءت، منتهكة بذلك حرمة النصوص فنفت عن الذات الإلهية الصفات التي اثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسله بحجة معارضتها للعقل، فهل يجوز أن نعتمد على عقول هؤلاء؟! أم هل يجوز أن نتشبه بهم وهم أول من قالوا بهذه المقولة المنتنة؟!!.

أم نعتمد على عقول الأشاعرة ومن تبعهم الذين أخذوا هذه البدعة (تقديم العقل) من المعتزلة كما صرح بذلك أئمتهم كالجويني والرازي والبغدادي والغزالي والآمدي والايجي وابن فَوْرك وشراح جوهرة التوحيد وسائر أئمتهم ومن سار على نهجهم من المعاصرين(١)، أنعتمد على عقول هؤلاء الضالين ونترك نصوص الكتاب والسنة!! شتان شتان بين العلم المأخوذ عن الوحي المنزل من رب العالمين وبين الشبه المأخوذة عن آراء المتهوكين الحائرين!! وياللعجب كيف يعارض قول الله وقول رسوله ﷺ بقول أو عقل أي مخلوق كائناً من كان؟!!.

إن دين الإسلام قائم على التسليم لله تعالى ولرسوله فقد قال بعض السلف رحهم الله: (الإسلام قنطره لا تُعْبَرُ إلا بالتسليم لله تعالى)(٢) وقد امتدح الله عزوجل المؤمنين بأنهم يؤمنون بالغيب فقال **﴿ألم * ذلكَ الكتابُ لارَيْبَ فيْه هُدَى للمتقين * الذين يُؤْمِنُونَ بالغيب ويُقيْمُون الصلاة ومما رزقناهُم يُنْفِقُون * أولئك على هُدَى من رَبِّهِم وأولئك هُمُ المفلحُون﴾**(٣) ولا يشك عاقل أن صفات الباري عزوجل من الغيب الذي لاتدرك حقيقته وكنهه، بل العقل قاصر كل القصور عن معرفة ذلك، فعلينا أن نسلم لله تعالى ونثبت له ما أثبت لنفسه وما أثبت له رسوله ﷺ من الصفات العلى وننزهه عن مشابهة خلقه.

هذا هو طريق التسليم والإنقياد لله، أما تقديم العقل وتقليد الشيوخ في الضلال والباطل فذاك خطر عظيم على دين المرء والعياذ بالله.

---

١) انظر أساس التقديس للرازي ص ١٦٨-١٧٣ والشامل للجويني ص ٥٦١ والارشاد ص ٣٥٩-٣٦٠ والمواقف للإيجي ص ٣٩-٤٠ وشرح عقيدة التوحيد الكبرى للسنوسي ص ٥٠٢ ومشكل الحديث لابن فورك ص وأصول الدين للبغدادي ص ١٢، وانظر مختصر الصواعق لابن القيم فقد رد عليهم رداً قوياً وكذلك منهج الأشاعرة في العقيدة للشيخ سفر الحوالي ص ٣١ وما بعدها فقد أجاد في الرد عليهم وعلى مجمل أقوالهم في العقيدة وكتيبه نفيس في هذا الشأن فليراجع.

٢) الحجة في بيان المحجة ٣٢٢/١.

٣) سورة البقرة آية ١-٤.

ب- القاضي عياض يقول بالتأويل[1] في الصفات ويزعم أنه مذهب المحققين:

لقد اختار القاضي عياض - غفر الله لنا وله- مذهب التأويل وارتضاه ومدح من قال به وزعم أنه مذهب المحققين، يدل على ذلك تأويله لأكثر الصفات -كما سيأتي بيانه- وكذلك شرحه لكتاب يعتبر من عمدة الأشاعرة في هذا الباب وثناؤه على صاحبه ثناءً كبيراً. فقد قام بشرح كتاب (مشكل الحديث وبيانه) لابن فورك -كما تقدم عند ذكر مؤلفاته- وافتتح شرحه بقوله: (لما قرأت كتاب تفسير الحديث للإمام أبي بكر بن فورك وكان رضي الله عنه ركناً من أركان الملة، ممن دفع الله به الشبهات عن الدين وأقامه سبحانه في مناظرة المبتدعين، ألحقه الله وإيانا برضوانه وعاملنا جميعاً بفضله وإحسانه، ألفيته مشتملا على جمل جليلة في العلم يجب على ذي الهمة العكوف على فهمه، ولزوم النظر في معناه ورسمه، فقرأت مافيه وتفهمت معانيه، فعرض في بادئ الكلام على تلك الأحاديث مما عرض فجعلت كلام الإمام أبي بكر أصلا آتياً عليه ماورد على

---

1) أحب أن أشير هنا إلى أن التأويل نوعان: مذموم وممدوح، فالمذموم: هو الذي قال به القاضي عياض تبعاً للأشاعرة وغيرهم ومعناه عندهم (صرف اللفظ عن الإحتمال الراجح إلى الإحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك) أو هو (صرف اللفظ عن حقيقته وظاهره إلى معنى آخر يوجبه) وهذا التأويل هو الذي أنكره السلف ونفوه وذموا أهله. أما التأويل الممدوح الذي جاء في الكتاب والسنة فهو قسمان. الأول : (الحقيقة التي يؤول إليها اللفظ) فتأويل الخبر هو عين المخبر به وتأويل الامر هو نفس الفعل المأمور به كما قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي) يتأول القرآن، رواه البخاري في ك الأذان باب الدعاء في الركوع ٣٢٨/٢ برقم ٧٩٤ ومسلم في ك الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٠/١ برقم ٤٨٤، ومنه قوله تعالى ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ (سورة الأعراف آية ٣٥) ومنه تأويل الرؤيا وتأويل العمل كقوله تعالى حكاية عن يوسف ﴿هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ (سورة يوسف آية ١٠٠) وقوله ﴿ويعلمك من تأويل الاحاديث﴾ (يوسف آية ٦) وقوله تعالى في قصة موسى والخضر ﴿ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبراً﴾ (الكهف ٨٢) وغير ذلك. والقسم الثاني : (التأويل هو تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه) وهذا اصطلاح كثير من المفسرين كابن جرير الطبري وغيره وهو اصطلاح معروف، وهذا التأويل كالتفسير يحمد حقه ويرد باطله. ومن الأدلة على هذا القسم قوله تعالى ﴿وما يعلم تأويلَه إلا اللهُ﴾ (آل عمران ١٧) ومنه قوله ﷺ في دعائه لحبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما «اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل» رواه أحمد ٢٦٦/١، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥ والطبراني في الكبير ٨٤/١ وهو صحيح كما قال الالباني في هامش الطحاوية ص ١٧٤ انظر لزيادة في البحث مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٥/٥ وشرح الطحاوية ١٧٤-١٧٦ والقواعد المثلى لابن عثيمين ص ٤٠.

لساني -إلى أن قال- وسميته منهاج العوارف إلى روح المعارف في شرح مشكل الحديث)(١).

ويدل على اختياره مذهب التأويل أيضاً قوله: (إعلم أن العلماء قد اختلف مسلكهم في الآثار المتلوة والأخبار المشكلة الواردة في هذا الباب (أي الصفات) عن رسول الله، فكثير من السلف أمروها على ماجاءت عليه ولم يتعرضوا فيها لنوع من التأويل، مع اعتقادهم أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وعلى ذلك درج كثير من التابعين كابن شهاب وغيره، ومنهم من سلك مسلك التأويل وهو مذهب علماء الأصول، وهم أجمعون قد تمسكوا بحبل الله المتين، وعلى التأويل عوّل المحققون)(٢).

قلت: ياسبحان الله كيف يكون مسلك المؤولين هو الراجح وعليه الإعتماد وأصحابه هم الذين قالوا في صفات الله بما لم يأذن به الله؟! ثم أليس الأسلم لدين المرء أن يسلك مسلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وأن يسعه ماوسع هؤلاء الكرام الذين أمروا الصفات كما جاءت مع إثباتهم لمعانيها بلا كيفية لله تعالى؟!!.

أما قول القاضي عياض إن كلاً من السلف والخلف الذين ذكرهم آنفاً متمسكون بحبل الله المتين فهو زعم باطل في وصف الخلف به، إذ كيف يكون هؤلاء متمسكين بحبل الله، وهم الذين قالوا في نصوص الكتاب والسنة بعقولهم وخالفوا فيهما في أعظم باب (وهو التوحيد ومنه توحيد الأسماء والصفات) سلف هذه الأمة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه!!؟. فالسلف وحدهم ومن سار على نهجهم هم المتمسكون بالكتاب والسنة ومن خالفهم ونهج غير منهجهم فليس كذلك كائناً من كان.

١- القاضي عياض لا يقطع بالتأويل رغم قوله به

مما ينبغي التنبيه إليه ههنا أن القاضي عياض رغم اختياره لمذهب التأويل إلا أنه لايقطع به. فاسمع إليه يقول: (نحن نؤمن بالله تعالى وصفاته ولانشبه شيئاً به ولانشبهه بشيء ﴿**ليسَ كَمثْلِه شَيْءٌ وهو السميعُ البصيرُ**﴾(٣) وما قاله الله وما قاله رسوله ﷺ وثبت عنه فهو حق وصدق، فما أدركنا علمه فبفضل الله تعالى، وما خفي علينا آمنا به وَوَكَلْنَا علمه إليه سبحانه وتعالى وحملنا لفظه على ما

---

١) منهاج العوارف ص ٢.

٢) المرجع السابق ص ٤.

٣) سورة الشورى آية ١١.

احتمل من لسان العرب الذي خوطبنا به، ولم نقطع على أحد معنييه بعد تنزيهه سبحانه عن ظاهره الذي لا يليق به عزوجل)(١).

قلت: إن إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله تعالى ليس فيه تشبيه ولا تمثيل للخالق بالمخلوق ولا العكس، لأن كل ماثبت عن الله فهو حق وصدق كما قال القاضي عياض، وأما زعمه -غفر الله لنا وله- أن من النصوص من ظاهره لايليق بجلال الله فهو زعم باطل، وقول على الله بغير علم لأنه لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم به بعده من رسوله ﷺ، فلو كان من النصوص ما ظاهرها لا يليق بالله لما جاءت في الكتاب ولا في السنة ولما ترك تأويل هذا الذي لا يليق إلى عقولنا القاصرة المتناقضة، بل كان بيّنه الناصح الأمين ﷺ، ولهذا يجب على المرء أن يعتقد أن الله لا يصف نفسه ولايصفه رسوله ﷺ إلا بما يليق به عزوجل، لأن الأمر غيبي لا يدرك بالعقل بل بالنصوص الشرعية الثابتة، فما صح منها قلنا به وما لم يصح لم نقل به فنقف حيث وقف الدليل.

٢- القاضي عياض يبرر لمن قال بالتأويل

برّر القاضي عياض -غفر الله له- لمن أول الصفات من الخلف الذين خالفوا منهج السلف وذلك من خلال سؤال طرحه وأجاب عنه بقوله: (فإن قلت إذا وقف عن الكلام في تأويلها (الصفات) السلف فلم خاض فيها الخلف؟! قلت: لأن الرسول ﷺ قد خاطبنا بها وأرسلها إلينا، فإما أن يتعين لذلك فائدة أم لا؟ والقسم الأول صحيح لفساد الثاني إذ فيه إغناء لكلام الشارع ﷺ عن الفائدة والحكمة، والمقام النبوي يُجلُّ عن ذلك، فإذا تعينت الفائدة وجب البحث عنها، ولن تحصل إلا لمن استكمل القوانين العربية وعرف اللسان ومجازاته واستعاراته واستبصر في ذلك وأمدّه الله بمادة توفيقه)(٢).

ابطال ما ادعاه القاضي عياض

الحق أن تبريره هذا لتأويل الخلف ساقط ليس بشيء، لأننا لا نختلف في أن ما أخبر به ﷺ وما جاء في الكتاب فيه الحكمة والفائدة وإلا لما كان لوروده معنى، ولكن نقول هل يتصور مسلم فضلا عن عاقل أن التأويلات البعيدة للصفات والتي قال بها الخلف هي مما أراده الله ورسوله وسكتا عنه؟ وهل

---

١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٣٣/١٧.

٢) منهاج العوارف ص ٧.

الخلف أعلم بمراد الله من الله ورسوله؟!! حاشا وكلا ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾(١) فإذاً ألا يسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان!!! ثم هل يعقل أن يخاطبنا الله وروسوله بما لا يليق أو بما لا نفهمه؟!! حاشا وكلا، ثم إن الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين ومن تبعهم بإحسان- هم أعلم الناس باللغة العربية وأساليبها ومعانيها، فلو كانت معاني الصفات التي أولها الخلق غير مرداه لله لبينها هؤلاء الكرام ووضحوها لنا.

فإذا لم يفعلوا ذلك، بل أقروه وقالوا: (أمروا الصفات كما جاءت بلا كيف) كما اشتهر عن كثير من أئمتهم، دل على أن ظاهر الصفات مراد الله على ما يليق بجلاله، فما بقي عذر لأحد كائناً من كان لكي يترك سبيلهم ويقول في كتاب الله وسنة رسوله بما يخالفهما ويخالف سلف هذه الأمة الكرام.

ولقد جنى التأويل على هذه الأمة الويلات وفتح باب الشر على مصراعيه، فصار حجة لكل من سولت له نفسه رأياً من الآراء، أو مذهباً من المذاهب المخالفة للحق، أن يقول فيه ما شاء. فالتأويل مسلك خطير وطريقة المبتدعة الضالين، وليس من منهج سلف هذه الأمة الكرام، فيجب تركه ونبذه وتحذير الناس منه.

والحقيقة أن الذين سلكوا التأويل بحجة أنهم فروا من التجسيم والتشبيه قد وقعوا في التعطيل، ولو أثبتوا ظواهر النصوص على حقيقتها بمعنى معلوم يليق بجلال الله وكيف مجهول لسلموا من ذلك كله.

فاتضح إذاً أن حجة الخلف في التأويل وتبرير القاضي عياض لها داحضة بحمد الله.

ج- القاضي عياض يفصِّل في النفي ويجمل في الإثبات

اعتمد المتكلمون -كما سبق بيانه- على عقولهم في تأويلهم للصفات وجعلوها حجتهم الكبرى لهذا التأويل، فوصفوا الله بالصفات التي قالوا إن العقل دلّ على إتصاف الله بها. وقد توسعوا في هذا الأمر وبالغوا فيه حتى وصفوه بما لا يليق، ومن ذلك مبالغتهم وتفصيلهم في نفي النقائص عن الله بما لم يأت في الكتاب والسنة ولا قاله السلف الصالح، وكذلك إجمالهم في الإثبات ظانين أنهم بذلك ينزهون الله عزوجل.

---

١) سورة البقرة آية ١٤٠.

ومما يؤسف له أن القاضي عياض قد وقع في هذا الأمر، فاسمع إليه يقول في وصف الله عزوجل: (وهذا الموجود (أي الله) ليس بجسم ولا جوهر فرد(١) ولا عرض(٢)، لأن ذلك كله في العالم، وقد ثبت حدوثه، وإذا استحالت الجسمية فيه تعالى استحال كل ما يلزمها من الجهة وقبول الإنقسام وصفات الأجسام، كالضحك والفرح واللذة والغضب، وغير ذلك مما لايكون إلا للجسم أو في جسم)(٣).

وقال أيضاً عند شرحه لمعنى توحيد الأسماء والصفات بعض الألفاظ المبتدعة مثل قوله: (أن تعتقد بأن الله واحد غير منقسم في ذاته... متكلم بغير جارحة ولا آلة، وأن تعتقد أنه تعالى يستحيل عليه الحدوث والعدم، وأنه لا يحويه مكان في سمواته ولا أرضه، بل هو كما كان قبل خلق المكان، وأنه ليس بجوهر ولاجسم ولا على صورة ولا شكل وأنه لا تحله الحوادث والتغيرات ولا تلحقه النواقص والآفات)(٤).

الرد على القاضي عياض فيما سبق

الحقيقة أن ماذهب إليه الشيخ عياض -غفر الله له- من القول بأن من التوحيد ونفي التشبيه عن الله نفي الجسمية والعرضية والمكانية والشكل والحركة والجهة والحوادث... الخ نفياً مطلقاً مفصلا، الحق أن هذا ليس من التوحيد الذي جاء به رسول الله ﷺ، بل هذه الطريقة عكس طريقة القرآن الذي جاء بالنفي المجمل الذي يتضمن كمال ضده من الصفة المنفية وكذلك جاء بالإثبات المفصل، فأين طريقة المتكلمين التي سار عليها القاضي عياض من قولهم، الله ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا على شكل إلى آخر تلك السلوب الكثيرة التي تمجّها الأسماع وتأنف من ذكرها النفوس، والتي تتنافى مع تقدير

---

١) الجوهر الفرد: هو الموجود الذي لا يقبل التجزئة لا في الواقع ولا في التصور وهو في الحوادث الجزء الذي لا يتجزأ. ضوابط المعرفة لعبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٣٣٩ وكشف اصطلاحات الفنون للتهانوني ٢٦٥/١.

٢) العرض: هو الموجود الذي يحتاج إلى موضع أي محل يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يقوم يحله ويقوم هو به، والأعراض نوعان قار الذات وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد، وغير قار الذات وهو الذي لا تجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون. التعريفات للجرجاني ص ١٦٢.

٣) منهاج العوارف ص ٦.

٤) الاعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٦-١٧.

الله حق قدره، وهي بالإضافة إلى ذلك ليس فيها مدح بل فيها إساءة أدب مع الله تعالى.

فإنك لو قلت لسلطان أو ملك لست بزبّال ولا حدّاد ولا حجام ولا حائك لأدّبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت في النفي فقلت له مثلا أنت لست مثل أحد من رعيتك، أو أنت أعلم منهم وأشرف وأجل، فإنك إذا أجملت في النفي أجملت في الأدب، فمن باب أولى أن يكون هذا الإجمال في النفي مع ملك الملوك وخالق الأرض والسموات جل في علاه.

فأين هذه الطريقة الكلامية من طريقة القرآن الكريم الذي يجمل في النفي، فاسمع إليه في قوله تعالى ﴿**ليس كَمِثْلِه شَيْءٌ**﴾(١) حيث نفت هذه الآية عنه المثلية والمشابهة لأي شيء في خلقه وذلك لكمال جماله وألوهيته وفي قوله تعالى ﴿**ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَداً**﴾(٢) حيث نفى سبحانه عن نفسه الظلم لكمال عدله، وفي قوله عزوجل ﴿**لايَعْزُبُ عنه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ في السموات ولا في الأرضِ**﴾(٣) حيث نفى سبحانه عن نفسه الجهل لأدنى شيء وذلك لكمال علمه، وفي قوله سبحانه ﴿**وما مَسّنا من لُغُوب**﴾(٤) حيث نفى عزوجل عن نفسه التعب لكمال قوته، وفي قوله سبحانه ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**﴾(٥)، حيث نفى عن نفسه النوم ومقدماته لكمال قيوميته، وفي قوله عزوجل ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأبصارُ**﴾(٦) حيث نفى إدراك الأبصار له وذلك لكمال جلاله وعظمته وكبريائه، وذلك لأن النفي المحض لامدح فيه، ولهذا لم يأت في القرآن بل جاء بالنفي المجمل وكذلك بالإثبات المفصل، كقوله تعالى ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو المَلِكُ القُدُوسُ السلامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجبّارُ المتكبِّرُ**﴾(٧) وكقوله عزوجل أيضاً ﴿**وهو السّميعُ البصيرُ**﴾ (٨) وكقوله ﴿**هو العَلِيُّ الكبيرُ**﴾(٩) وكقوله ﴿**والله ذُو الفَضلِ العظيمُ**﴾(١٠) وكقوله ﴿**غافِرِ الذَنْبِ وقابِلِ التَوْبِ شَدِيدِ العِقابِ ذي الطَوْلِ لا**

---

١) سورة الشورى آية ١١.
٢) سورة الكهف آية ٤٩.
٣) سورة سبأ آية ٣.
٤) سورة ق آية ٣٨.
٥) سورة البقرة آية ٢٥٥.
٦) سورة الأنعام آية ١٠٢.
٧) سورة الحشر آية ٢٢.
٨) سورة الشورى آية ١١.
٩) سورة الحج آية ٦٢.
١٠) سورة البقرة آية ١٠٥.

إِلَهَ إِلا هُوَ﴾(١)، إلى آخر الآيات في هذا الباب. فاتضح إذاً أن طريقة المتكلمين تخالف طريقة القرآن، ولهذا أنكر علماء السلف الصالح مثل هذه الألفاظ التي جرت عليها عادة المتكلمين في باب الصفات وبدّعوها، ولم يتكلموا فيها بنفي أو إثبات، لما فيها من التلبيس والإيهام، لذا لابد من الإستفسار والإستفصال عند إطلاقها فاذا كان المعنى المراد صحيحاً موافقاً لما ورد في الكتاب والسنة قبل وإلا رُدّ(٢).

ولهذا أجاب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل -رحمه الله- أبا عيسى برغوث(٣)حيث ناظره في القرآن الكريم وألزمه، حيث قال برغوث: إذا أثبت لله كلاماً غير مخلوق لزم أن يكون جسماً، فأجابه الإمام أحمد بأن هذا اللفظ لايدري مقصود المتكلم به، وليس له أصل في الكتاب والسنة والإجماع، فليس لأحد أن يلزم الناس أن ينطقوا به ولا بمدلوله، وقال له: إني أقول هو سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وقال له أحمد أيضاً: إني لا أقول القرآن هو جسم ولا ليس بجسم، لأن كلا الأمرين بدعة محدثة في الإسلام، فليست هذه من الحجج الشرعية التي يجب على الناس إجابة من دعا إلى موجبها، فإن الناس إنما عليهم إجابة الرسول ﷺ فيما دعاهم إليه، وإجابة من دعاهم إلى ما دعا إليه الرسول ﷺ، لا إجابة من دعاهم إلى قول مبتدع لايعرف مقصود المتكلم به إلا بعد الإستفصال والإستفسار، فلا هي معروفة في الشرع ولا معروفة بالعقل إن لم يستفسر المتكلم بها(٤).

لذا لا أتعرض لنقض مانفاه القاضي في الجسم والعرض والمكان والشكل... الخ، لأنا لا نقول بإثبات تلك الأشياء، وإنما نلتزم في ذلك مايوافق الكتاب والسنة، ونترك الألفاظ المبتدعة التي تحتمل أكثر من معنى، فإن تبين أن المراد من ذلك اللفظ صحيح قبل وإن تبين خلاف ذلك رد.

---

١) سورة غافر آية ٣.

٢) انظر درء تعارض العقل والنقل لشيخ الاسلام ٢٢٩/١، ٢٣٢-٢٣٣ وبيان تلبيس الجهمية له ٣٩٧/١، ٤٠٠، ٥٣٢، ونقض المنطق له ص ١٢٣-١٢٥.

٣) هو أبو عيسى، محمد بن عيسى الملقب برغوث وإليه تنسب البرغوثية، وهي من فرق النجارية الاعتزالية، كان برغوث من حذاق المتكلمين على مذهب النجار، فانفرد عنه ببعض المسائل كالاستطاعة التي يكون بها الفعل بأنها لا تكون إلا معه، وكان يقول في التوحيد بقول المعتزلة إلا في باب الارادة والقدر، وكان يقول بالارجاء ويزعم أن كلام الله مخلوق إلى آخر ضلالاته أما عن ولادته ووفاته فلم يعلم له تاريخ في ذلك. انظر ترجمته في الملل والنحل ص ٨٨-٩٠ والفصل ٢٢/٣ والفرق بين الفرق ١٢٦و٢٠٩.

٤) انظر درء تعارض العقل والنقل ٢٣٠/١-٢٣١.

فإذا كان مراد عياض بنفي الجسم مثلا مايدل عليه اللفظ لغة، وهو البدن الكثيف الذي لايسمى في اللغة جسم سواه، أو أنه المركب من الأجزاء المنفرده، أو من المادة والصورة، أو مما يقبل الإنقسام، فهو سبحانه أحد صمد لم يلد ولم يولد وكل هذه المعاني السابقة منفية عنه.

وإن كان المراد بالجسم ما يشار إليه أو مما يرى بالأبصار، أو ماكان ذاتاً متصفة بصفات الكمال من العلم والقدرة واالحياة والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات، فهذا غير صحيح ولا يقبل نفي الجسمية بهذا المعنى(١).

وعلى هذا النحو يقال في المكان والجوهر والشكل وغير ذلك من الألفاظ المبتدعة مما هو محتمل، فيستفصل عن المراد منها، فإن كان مما ثبت لله عنه أو عن رسول الله ﷺ قبل، وإن كان بخلاف ذلك لم يقبل.

د- القاضي عياض يثبت بعض الصفات ويؤول الباقي

إن مما جرى عليه القاضي عياض أيضاً في طريقته لإثبات الصفات، أنه يثبت بعض الصفات ويؤول الباقي، بحجة أن ظاهرها غير مراد فوجب تأويلها -كما سبق وأشرت- وذلك جرياً على طريقة الأشاعرة وغيرهم. ومما يدل على ذلك أنه لم يثبت سوى بعض الصفات كما سيأتي تفصيل ذلك.

والحقيقة أن من يثبت بعض الصفات وينفي ويؤول البعض قد وقع في التناقض، لأن المتصف بها كلها واحد، وهو الله سبحانه. فيقال لمن هذه طريقته: ما المانع أن تثبت جميع الصفات الثابتة لله بالأدلة النقلية دون أن تفرق بينها على حد قوله تعالى **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**(٢) ؟! والآية قد جمعت بين التنزيه والإثبات كما ترى ومعها آيات أخرى كثيرة في هذا المعنى، هل لعدم الثقة في كلام الله وكلام رسوله ﷺ، مع الثقة الكاملة في كلام المذهب وفيما يقوله الشيوخ الذين ادعوا وجوب التأويل فيما لم يثبتوه من الصفات، كالضحك والمجيء والنزول والإستواء وغيرذلك ولم يوجبوا التأويل في قوله **﴿وهو السميع البصير﴾**(٣) **﴿وهو على كل شيء قدير﴾**(٤)

---

١) انظر الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ص ٢٢٣-٢٢٧ وشرح حديث النزول له ص ٦٩،٧٤-٧٥ طبع المكتب الاسلامي عام ١٣٩٧هـ ومنهاج السنة النبوية له ١/١٨٠،١٨٣،١٩٨-٢٠٦ ومختصر الصّواعق المرسلة ص٣٦٩.

٢) سورة الشورى آية ١١.

٣) سورة الشورى آية ١١.

٤) سورة الشورى آية ٩.

وغيرها من النصوص التي بينت نوعاً خاصاً من الصفات وهي صفات المعاني على الإصطلاح الخاص عند المتكلمين. إن هذه الدعوى وهذا التصرف الذي جرى عليه من أثبت بعض الصفات وأول البعض الآخر، إنما هو تصرف لا يستند إلى دليل نقلي أو عقلي مقبول لدي غيرهم من العقلاء، بل هو مجرد التقليد للشيوخ وللمذهب، وهذا هو سر تناقض هؤلاء القوم في تفريقهم بين إثبات بعض الصفات وتأويل البعض، والذي يقتضيه المنطق السليم، إما أن يثبت هؤلاء جميع الصفات الثابتة بالكتاب والسنة، دون أن يفرقوا بين صفة وصفة، وهذا هو المنهج السلفي الذي سار عليه علماء الحديث والسنة قديماً وحديثاً، وهو الذي يساير العقل والنقل، وفيه الطمأنينة والنجاة -كما أسلفت عند ذكر منهجهم- وإما أن ينفوا جميع الصفات دون التفريق بينها -كما فعل المعتزلة-، ولكن الواقع بخلاف ذلك، فاتضح أنهم قد ضلوا وأخطأوا كما ضل المعتزلة من قبل، فعلى الدعاة المصلحين من أتباع المنهج السلفي أن يتوجهوا إليهم جميعاً بالنصح وإقامة الحجة عليهم، ليتركوا ماهم فيه من باطل وليتمسكوا بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ومن سار على نهجهم بإحسان، فإن كلا الفريقين قد ضل سواء السبيل نسأل الله الهداية للجميع.

هـ - القاضي عياض يقول بالمجاز

إن القاضي عياض يثبت المجاز في باب الأسماء والصفات فقد قال عند شرحه لحديث «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه» (١) متفق عليه. قال: (كانت العرب تستعمل في كلامها، الإستعارة كثيراً وهو أحد أنواع مجازات كلامها وأرفع أنواع بديع فصاحتها وإيجازها، وهو التجوز باللفظة ونقلها عن أصل موضوعها، وإستعمالها في غيره مما له شبهُ إستعمال الموضوع، ونحا الرماني(٢) إلى أنها نوع من التشبيه إلا أنه بغير

---

١) رواه البخاري في ك التوحيد باب قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ٤٣٣/١٣ برقم ٧٤٤٤، ومسلم في ك الايمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه ١٦٣/١ برقم ١٨٠.

٢) هو علي بن عيسى الرماني، النحوي المتكلم صاحب التصانيف، كان إماماً في العربية، علاّمة في الأدب بصيراً بالمقالات. وكان أيضاً معتزلياً شيعياً يمزج النحو بالمنطق حتى قال أبو علي الفارسي إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء وإن كان النحو مانقوله فليس معه منه شيء، من كتبه التفسير وشرح الصفات ومعاني الحروف. توفي سنة (٣٨٤ هـ) انظر ترجمته في الأنساب ١٦٥/٥ وشذرات الذهب ١٠٩/٣، وطبقات المفسرين للداودي ٤٢٣/١.

أداة، فالعرب تستعملها في كلامها إستعمال غيرها وتَفْهم المقصد بها كما قال تعالى ﴿واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُلِ مِن الرّحْمَةِ﴾(١) فمخاطبة النبي ﷺ برداء الكبرياء على وجه الله وشبهه من المشكلات في هذا المعنى، ومن لم يفهم مقاصد العرب وكلامها ممن غلبت عليهم العجمة تاه في هذا المعنى، فمن بليد محض أجرى الأمر على ظاهره فقال بالتجسيم والتشبيه(٢)، وممن خضرم في النباهة استهول ظواهرها ولم تتضح له وجوهها لجهله بكلام العرب ومنازعهم، فإما كذب بالأصل كالمعطلة، أو كذب بهذه الآثار واطرحها وجهّل نقلتها كالمعتزلة)(٣).

قلت: ماذكره القاضي عياض من القول بالمجاز والإستعارة في لغة العرب، هو مستند الأشاعرة في تأويل ماعدا الصفات السبع التي اثبتوها وأخرجوا بقية الصفات عن ظاهرها وحقيقتها إلى المجاز، تنزيهاً لله تعالى عن مشابهة الخلق وبعداً عن التجسيم، -كما زعموا- إن هم أثبتوا ظواهر الصفات وحقائقها، والحق أن ماذهبوا إليه من التأويل والقول بالمجاز باطل، فإنه لم ينقل عن السلف الصالح القول بالمجاز كما أكد ذلك محققوا علماء أهل السنة كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما(٤)، حيث قالوا إن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيماً شرعياً ولا لغوياً ولاعقلياً، وإنما هو إصطلاح محض محدث حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة. فإنه لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا يعرف لدى أوائل المصنفين في أصول الفقه، وإنما كان منشؤه من جهلة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين. وقد أبطل شيخ الإسلام رحمه الله المجاز من وجوه عديدة دقيقة، أما ابن القيم رحمه الله فقد أبطله من خمسين وجهاً، ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع كلامهما.

---

١) سورة الإسراء آية ٢٤.

٢) غفر الله للقاضي عياض كيف يصف من يجري النصوص على ظاهرها حيث يتهمه بأنه بليد محض مشبه ومجسم، وهذه الإتهامات التي يطلقها مؤولوا الصفات -قديماً وحديثاً- ويوجهونها لاصحاب المنهج السلفي معروفة مشهورة، ولكن حسب هؤلاء شرفاً أنهم على الحق والصواب، وعلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام.

٣) إكمال المعلم ٣/٨١٧-٨١٨.

٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٧/٨٨-٩٢،٩٦-٩٧،١٩/٢٣٥-٢٣٦،٢٠/٤٠٣-٤٠٥، ٤٥٢-٥٤٦ والايمان له ص ٧٩-٩١ وانظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٢٨٤-٣٤١ وذم التأويل للمقدسي ١١-٢٧ وغير ذلك.

التهمة كل البراءة، وقد سبق ذكر إجماعهم على إثبات معاني الصفات وامرارها على ظاهرها بدون كيف.

والحق أن نسبة التفويض إلى السلف فضلا عن كونه افتراءً عليهم يترتب عليه محاذير خطيرة جداً(١) منها:

أن يكون الله عزوجل قد أنزل كلاماً لامعنى له، ومنها أن لايكون الكتاب العزيز هداية للعالمين، ومنها نسبة الجهل للنبي ﷺ إن لم يعلم ذلك، وإن علمه ففيه إتهام له بكتمان العلم والوحي عن أمته لكونه لم يبينه لهم، ومنها رمي الصحابة والتابعين ومن تبعهم من السلف الصالح بالجهل، وجعلهم أميين لا يعلمون الكتاب والسنة، وتفضيل علماء الكلام الهالكين المتهوكين الحيارى، الضالين على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، لكون أهل الكلام أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من هؤلاء الصالحين، إلى غير ذلك من الأمور والمحاذير التي من المحال أن تكون صحيحة أو أن يرضى بها مؤمن بالله واليوم الآخر.

فتلخص مما سبق أن السلف قاطبة بريئون من التفويض الذي نسبه إليهم القاضي عياض وغيره، لأنهم -رحمهم الله- يثبتون ما أثبت الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ على ما يليق بجلال الله، من غير تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل، فمذهبهم هو الأسلم والأعلم والأحكم الذي يجب على كل مؤمن اعتقاده والعمل به.

المطلب الرابع : ذكر جملة من الصفات الذاتية وموقف القاضي عياض منها

ذهب القاضي عياض إلى إثبات بعض الصفات الذاتية وتأويل بعضها الآخر، فالتي أثبتها هي بعينها التي أثبتها الأشاعرة وهي الصفات السبع، العلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والحياة، وقد قال إن العقل قد أوجب إتصاف الله بها، لأنه يلزم من عدم أتصافه تعالى بها أتصافه بنقائصها، والنقائص آفات، والنقائص تناقض الألوهية عقلا وسمعاً، أما التي أولها

١) انظر مجموع فتاوى لشيخ الإسلام ٣/٦-١٢ وعلاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين للدكتور رضا نعسان معطي ص ٤٨-٧٦.

فادعى بأن ظاهرها لايليق بجلال الله تعالى لذا وجب تأويلها(١).

وسأقتصر ههنا على ذكر الصفات التي أوردها القاضي عياض وظهر فيها مذهبه إثباتاً أو تأويلا وأبدأ بصفة العلم.

أولا- صفة العلم

ذهب أبو الفضل -رحمه الله- إلى أن لله تعالى علماً حقيقياً بذاته تعالى دقيقاً شاملا لكل شيء فهو سبحانه عالم بما ظهر وما بطن كما قال تعالى ﴿لايَعْزُبُ عنه مثقالُ ذَرَّةٍ في السمواتِ ولا في الأرض﴾(٢) والدليل على ذلك من وجوه: الأول: أن أفعاله سبحانه محكمة متقنة، وكل من كان فعله متقناً محكماً فهو عالم، فالإله عالم والمقدمة الأولى حسية والثانية بديهية، والدليل الثاني: أن العالم كله مخلوق بقدرته موجود باختراعه على حسب مشيته، ومالم يوجد فهو جائز الوجود بالذات ويستحيل أن يخلق مالا يعلم، أو يقدر على خلق مالا يعلم ﴿ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللطيفُ الخبيرُ﴾(٣) فالعلم صفة يكشف بها المعلومات(٤).

قلت: ما استدل به القاضي عياض آنفاً على إتصاف الله عزوجل بالعلم صحيح قوي الدلالة، لأنه قد ثبت أن الله عليم عقلا وسمعاً، أما دلالة العقل على ذلك فهو خلقه سبحانه لهذا الكون على أحسن صور الجمال والإتقان، وهذا يستحيل أن يحدث مع الجهل بالمخلوقات، ولأن من المخلوقات من هو عالم، والعلم صفة كمال وكل كمال اتصف به المخلوق من غير استلزام نقص فالخالق تعالى أحق به وأكمل فيه منه(٥).

أما دلالة الشرع فهي أكثر من أن تحصى، فقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن علمه تعالى أزلي سبق كل شيء وأنه تعالى بكل شيء عليم، فهو سبحانه محيط بكل شيء يعلم الكليات والجزئيات لاتخفى عليه خافية، يعلم ماكان وما يكون وما لم يكن كيف كان يكون، قال الله تعالى ﴿إنَّ اللهَ بكل شيء عليم﴾(٦) وقال ﴿يَعْلَمُ ما بَيْنَ أيديهم وما خَلْفَهُم ولا يُحِيطُونَ بشيءٍ من عِلْمِه إلا بما

---

١) انظر منهاج العوارف ص ٥.

٢) سورة سبأ آية ٣.

٣) سورة الملك آية ١٤.

٤) انظر منهاج العوارف ص ٦ والاعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٥.

٥) انظر رسالة الارادة والأمر لشيخ الاسلام ابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١/٣٨٢.

٦) سورة العنكبوت آية ٦٢.

شاءَ﴾(١) وقال ﴿وعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغيبِ لايعلمُها إلا هو ويَعْلَمُ ما في البرّ والبحرِ وما تَسْقُطُ من وَرَقَةٍ إلا يَعلمُها ولا حَبَّةٍ في ظُلُماتِ الأرض ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إلا في كِتابٍ مبينٍ﴾(٢) وقال ﴿يَعلَمُ ما في السمواتِ والأرضِ ويعلمُ ما تُسِرونَ وما تُعْلِنُونَ والله عليم بذاتِ الصُدُورِ﴾(٣) وقال ﴿عَالِمُ الغيبِ والشهادة﴾(٤) . فهذه الآيات وغيرها كثيرة جداً دلت على أنه سبحانه قد أحاط علمه بكل شيء صغيراً كان أم كبيراً في الدنيا والآخرة.

ثانياً - صفة القدرة

أثبت القاضي عياض صفة القدرة لله تعالى على ما يليق بجلاله، بدلالة العقل وشهادته للباري بذلك، فإنه سبحانه قادر بقدرة قديمة، فلا يخرج شيء من العدم إلى الوجود إلا بقدرته عزوجل، وهذه القدرة صفة من صفاته يحصل بها الإيجاد، والدليل على ذلك أنه لايخرج شيء من العدم إلى الوجود إلا بقدرته، فإن حقيقة الإمكان واحده فالقادر على واحد قادر على كل الممكنات، فإذ فرضنا مقدوراً أو واقعاً فإما أن يقع بقدرة الله أو بقدرة العبد أو بهما، فوقوعه بقدرة العبد دون الرب مستحيل،وإلا لكان العبد أقدر من الرب،ووقوعه بهما مستحيل لاستحالة مقدور واحد من قادرين ووقوعه لأنهما محال وإلا للزم وقوع الممكن بنفسه فتيقن أنه واقع بقدرة الله سبحانه(٥).

بعد عرض مذهب القاضي عياض في صفة القدرة أرى أن الموافق للصواب فيه هو إثباته قدرة قديمة لله تعالى، وهذه الصفة من الصفات السمعية العقلية لأن العقل يثبت أن لله قدرة وأنه تعالى على كل شيء قدير، إذ لو لم يكن تعالى كذلك لكان عاجزاً وهذا مستحيل بدليل ظهور الأفعال منه تعالى في هذا الكون، وهي لا تظهر إلا من عليم قدير. وقد تقرر بالأدلة السمعية من الكتاب والسنة أنه سبحانه على كل شيء قدير وأنه لكمال قدرته لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والنصوص في ذلك كثيرة جداً منها قوله سبحانه ﴿ولله مُلْكُ السمواتِ والأرضِ وما بينهما يَخْلُقُ ما يشاءُ والله على كلِ شيءٍ

---

١) سورة البقرة آية ٢٥٥.

٢) سورة الانعام آية ٥٩.

٣) سورة التغابن آية ٤.

٤) سورة الحشر آية ٢٢.

٥) انظر منهاج العوارف ص ٥.

قدير﴾ (١)، وقوله عزوجل راداً على منكري البعث ﴿أوَ لَيْسَ الذي خَلَقَ السموات والأرضَ بقادرٍ على أن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بلى وهو الخلاّقُ العليمُ﴾(٢) وقوله ﴿وما كان الله ليُعجِزَهُ من شيءٍ في السمواتِ ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾(٣).

ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام في تعلميه الإستخارة لأمته «اللهم إني استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر...»(٤) إلى غير ذلك من النصوص.

أما ما نخالف فيه القاضي عياض، فهو زعمه أن وقوع الفعل بقدرة الله وقدرة العبد معاً مستحيل، لاستحالة مقدور واحد من قادرين ووقوعه منهما، لأنهما محال وإلا للزم وقوع الممكن بنفسه، فتيقن أنه واقع بقدرة الله سبحانه، والرد عليه: نقول: مع إعتقادنا بأنه لا يحدث شيء في الكون إلا بقدرة الله ومشيئته وإرادته، إلا أن هذا لايعني كون العبد مسلوب القدرة والإرادة فيما يفعله كما تقول الجبرية، فإننا نشم -وللأسف- رائحة الجبر من كلام القاضي عياض الآنف الذكر ولا غرابة في ذلك فهو ممن يقول بالكسب الأشعري الذي تقدم ذكره والرد عليه(٥)، والذي هو نوع من أنواع الجبر.

ويكفي في بطلان هذا المذهب (الكسب) أنه لا يتصور وجوده فهو مما لا يعقل كما تقدم، أما بطلان الجبر الخالص فيكفي في بطلانه أيضاً أنه ظلم، والله سبحانه وتعالى منزه عنه، لأنه عزوجل لايظلم مثقال ذرة وهو أرحم الراحمين، فكيف يجبر عبده على شيء ثم يعاقبه عليه؟!! إن هذا لمن المحال في حقه تعالى. وأما العبد فإذا فعل شيئاً بحريته وإختياره وقدرته فلا يعني ذلك أنه خلق ذلك الفعل حاشا وكلا لأنه تعالى هو خالق كل شيء كما قال سبحانه ﴿اللهُ خالِقُ كُلِّ شيء﴾(٦).

---

١) سورة المائدة آية ١٧.
٢) سورة يس آية ٨٢.
٣) سوَرة فاطر آية ٤٤.
٤) رواه البخاري في ك الدعوات باب الدعاء عند الإستخارة ١٨٧/١١ برقم (٦٣٨٢).
٥) راجع ص ١٣٤-١٣٥.
٦) سورة الزمر ٦٢.

ففعل الله وقدرته على الحقيقة، وكذلك فعل العبد وقدرته على الحقيقة، هذا مايعتقده أهل السنة والجماعة وهو الحق الذي لا محيص عنه، وهو الذي ضل فيه الناس وانقسموا فريقين قسم جعلوا العبد مجبوراً، وقسم جعلوه خالقاً نفسه كما سبق توضيحه(١).

ثالثاً - صفة الإرادة

أثبت القاضي عياض صفة الإرادة لله عزوجل بدلالة العقل على ذلك، لأنه سبحانه يفعل ما يشاء ويريد، وهو تعالى مريد لكل كائن من خير أو شر، وما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، ولو لم يتصف عزوجل بالإرادة لاتصف بضدها كالسهو والإكراه والغلبة... وهذا محال في حقه عزوجل بدليل ما ظهر من أفعاله من تخصيص وترتيب ووضعها في مواضعها(٢).

قلت: الإرادة من الصفات السمعية العقلية، أما ثبوتها لله عن طريق العقل فهو كما ذكر القاضي عياض، أما الأدلة عليها من الشرع فإنها قد وردت في كتاب الله تعالى في كثير من المواضع وأثبتت إتصاف الله بها وأنه عزوجل يريد ويفعل ما يشاء، فله إرادة ومشيئة(٣) تليق بجلاله، قال سبحانه **﴿إن رَبَّكَ فعّالٌ لما يُريد﴾**(٤) وقال أيضاً **﴿وربُّك يَخْلُقُ مايشاءُ ويَخْتَارُ﴾**(٥) وقال أيضاً **﴿إن الله يحكُمُ مايُرِيدُ﴾**(٦) وقال أيضاً **﴿إنما أمْرُهُ إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له كُنْ فيكون﴾**(٧) وقال كذلك **﴿وما تشاؤون إلا أن يشاءَ اللهُ ربُّ العالمين﴾**(٨) والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

---

١) راجع ص ١١٣ – ١٢١

٢) انظر منهاج العوارف ص ٦ والإعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٥.

٣) الإرادة والمشيئة بمعنى واحد، غير أن السلف يقسمون الإرادة إلى قسمين كونية خلقية وهي المستلزمة لوقوع المراد عموماً في العالم، وإرادة دينية أمرية شرعية وهي المتضمنة للمحبة والرضا، والمشيئة هي الإرادة بالمعنى الأول فما شاء الله سبحانه كان وما لم يشأ لم يكن، وعلى هذا فلا تتضمن المشيئة المعنى الثاني للإرادة، حيث إن مراد لم يكن داخل في معناها الأول كإيمان أبي جهل فإنه تعالى شاءه كوناً ولم يرده شرعاً، وهكذا سجود إبليس لآدم ونحوه انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/٤٤٠-٤٤١ وشرح الطحاوية ص ٢١٩و٤٤٥-٤٤٦.

٤) سورة هود آية ١٠٧.

٥) سورة القصص آية ٦٨.

٦) سورة المائدة آية ١.

٧) سورة يس آية ٨٢.

٨) سورة التكوير آية ٢٩.

رابعاً - صفة الحياة

أثبت القاضي عياض -رحمه الله- صفة الحياة لله تعالى وقال إن الله عزوجل حي قيوم وهذه الحياة قديمة له والدليل على ذلك، أن العقل يثبت أن الله متصف بالحياة إذ لو لم يتصف بها لاتصف بضدها، وهو محال بدليل ظهور الأفعال منه سبحانه ولاستحالة ظهورها ممن يجهلها ويعجز عنها، فهو عزوجل عالم وقادر ويستحيل قيام العلم والقدرة بغير الحي سبحانه(١). قلت: ولأن الحياة من صفات الكمال بل هي مستلزمة لجميع صفات الكمال وكل كمال لانقص فيه ثبت لمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق فهو أولى به كما قال العلماء(٢).

أما الأدلة من السمع (الكتاب والسنة) على إتصاف الله بالحياة فهي كثيرة، منها قوله سبحانه ﴿**الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم**﴾(٣) وقوله ﴿**وتوكل على الحيّ الذي لايموتُ وسبّح بحمده**﴾(٤) وقوله ﴿**وَعَنَتِ الوُجُوهُ للحي القيّومِ وقد خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً**﴾(٥).

وأما الأدلة من السنة فمنها ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لايموت والجن والإنس يموتون»(٦) إلى غير ذلك من النصوص.

خامساً - صفتا السمع والبصر

أثبت القاضي عياض صفتي السمع والبصر لله تعالى بنفس الأسلوب الذي أثبت به الصفات المتقدمة مستدلا على ذلك بأدلة العقل والشرع، أما دلالة العقل فهي كونه سبحانه يستحيل أن يكون غير متصف بصفة السمع والبصر وهو الحي العليم القدير، إذ لو لم يتصف بهما لاتصف بضدهما وهذا محال، فهو

---

١) انظر منهاج العوارف ص ٦ والاعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٥.

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٤١/٩ وشرح العقيدة الواسطية للهراس ص ٢٣-٢٤.

٣) سورة البقرة آية ٢٥٥.

٤) سورة الفرقان آية ٥٨.

٥) سورة طه آية ١١١.

٦) رواه مسلم في ك الذكر باب التعوذ من شر ما عمل ٢٨٠٦/٤ برقم ٢٧١٧.

سبحانه سميع بسمع قديم بصير ببصر قديم(١).

قلت: إن السمع والبصر من صفات الكمال، فإن الحي السميع البصير أكمل من الحي الذي ليس بسميع ولا بصير، كما أن الموجود الحي السميع البصير أكمل من الموجود الذي لم يتصف بذلك، وكل كمال اتصف به المخلوق فالله تعالى أولى بالإتصاف به كما تقدم.

أما دلالة الشرع على كونه تعالى سميعاً بصيراً فهي كثيرة، وقد استدل لذلك القاضي عياض بقوله تعالى **﴿ليس كَمِثْلِه شيءٌ وهو السميع البصير﴾**(٢).

قلت: ومن الأدلة أيضاً قوله عزوجل **﴿لقَدْ سَمِعَ اللهُ قولَ التي تُجادِلُكَ في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمعُ تحاوُرَكُما إن الله سميعٌ بصير﴾** (٣) وقوله أيضاً **﴿قد سَمِعَ اللهُ قولَ الذين قالوا إنَّ اللهَ فقيرٌ ونحن أغنياء﴾**(٤) وقوله **﴿له غيبُ السموات والأرضِ أبْصِرْ به وأسمِعْ﴾**(٥).

ومن السنة قوله ﷺ «إرْبِعُوا على أنفسكم، فإنكم لاتَدْعُون أصَمَّ ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً»(٦) وقوله ﷺ «إن جبريل ناداني فقال "إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك»(٧) والنصوص في ذلك كثيرة جداً.

سادساً - صفة الكلام

أثبت القاضي عياض صفة الكلام لله تعالى مستدلا على ذلك بأدلة العقل والسمع. أما الدليل العقلي فهو كونه سبحانه قد علم الأشياء كلها وقدرها فهو رب كل شيء ومليكه، يخبر عباده ويأمرهم وينهاهم، وهذا يستدعي أن يكون متكلماً إذ لو لم يكن متكلماً لاتصف بضد الكلام من آفة الخرس ونحوه، والآفات

---

١) انظر منهاج العوارف ص ٦ والأعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٥.

٢) سورة الشورى آية ١١.

٣) سورة المجادلة آية ١.

٤) سورة آل عمران آية ١٨١.

٥) سورة الكهف آية ٢٦.

٦) رواه البخاري في ك التوحيد باب وكان الله سميعاً بصيراً ٣٨٤/١٣ برقم (٧٣٨٦) ومسلم في ك الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٢٠٧٦/٤ برقم ٢٧٠٤ ومعنى «اربعوا على أنفسكم» أي ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الانسان لبعد من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله، وهو ليس بأصم ولاغائب بل هو سميع قريب، شرح صحيح مسلم ٢٦/١٧.

٧) رواه البخاري في ك التوحيد باب وكان الله سميعاً بصيراً ٣٨٤/١٣ برقم ٧٣٨٩.

مستحيلة في حقه تعالى وتُنَاقِضُ الألوهية(١).

قلت: ومن المعلوم أن صِفة الكلام كمال فالله متصف بكل كمال كما تقدم.

أما الدليل الشرعي الذي ذكره القاضي عياض على إتصاف الله بالكلام فهو قوله تعالى ﴿وكلمَّ اللهُ موسى تكليماً﴾(٢)، قال: (لا خلاف بين أهل السنة في حمل هذا على ظاهره وحقيقته لتأكيده بالمصدر وأن لله كلاماً هو صفة من صفاته لايشبه كلام غيره)(٣).

١- بعض الأدلة على إثبات صفة الكلام

قلت ماستدل به القاضي عياض -رحمه الله- على إتصاف الله بالكلام صحيح والأدلة على ذلك لايبلغها الحصر، منها قوله تعالى ﴿تلكَ الرُسُلُ فضّلنا بعضهم على بعضٍ منهم مَنْ كلّمَ اللهُ ورفع بَعْضَهُم درجاتٍ﴾(٤) وقوله أيضاً ﴿وإنْ أحَدٌ من المشركين استجارك فأجِرْهُ حتى يَسْمَعَ كلامَ الله﴾(٥) وقوله حكاية عن موسى ﴿ولما جاءَ موسى لميقاتنا وكلّمَهُ ربُّه قال ربِّ أرني انْظُرْ إليك﴾(٦) وقوله عزوجل ﴿وتَمَّتْ كلمةُ ربكَ صدقاً وَعَدْلا لامُبَدّل لكَلماته وهو السميعُ العليمُ﴾(٧) وقوله ﴿وقد كان فَرِيْقٌ منهم يَسمعون كلامَ اللَه ثم يُحَرِّفُوْنَهُ من بعدِ ماعَقَلُوه وهم يَعلمون﴾(٨).

١- ومن السنة قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه قال «إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لانرضى ياربِّ وقد أعطيتنا مالم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟! فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟! فيقول: أحِلُّ عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده أبداً»(٩).

٢- وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه أيضاً « قال الله: أعددت لعبادي الصالحين

---

١) انظر منهاج العوارف ص ٦.
٢) سورة النساء آية ١٦٤.
٣) إكمال المعلم ٣/٨٩٥-٨٩٦.
٤) سورة البقرة آية ٢٥٣.
٥) سورة التوبة آية ٦.
٦) سورة الأعراف آية ١٤٣.
٧) سوَرة الانعام آية ١١٥.
٨) سورة البقرة آية ٧٦.
٩) رواه البخاري في ك التوحيد باب كلام الله مع أهل الجنة ١٣/٤٩٦ برقم ٧٥١٨ ومسلم في ك الجنة وصفة نعيمها باب إحلال الرضوان على أهل الجنة ٤/٢١٧٦ برقم ٢٨٢٩.

مالا عين ر أت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(١).

٣- وقوله ﷺ «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة»(٢).

٤- وقوله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل وفيه « ثم أخِرّ له (يعني لله) ساجداً فيقال: يا محمد أرفع ر أسك، وقل يسمع، وسل تعط، و اشفع تشفع، فأقول: يارب أئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله»(٣).

٥- وقوله ﷺ أيضاً «يحشر الله الناس فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان(٤)»(٥). إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تثبت لله صفة الكلام على ما يليق به.

٢- موقف الناس من صفة الكلام

اختلف الناس اختلافاً كبيراً في صفة الكلام، وتفرقوا فيها أكثر من تفرقهم في صفة الإستواء، حيث بلغت مذاهبهم وفرقهم تسعة أقوال(٦) في ذلك كلها تائهة عن الحق والصواب إلا واحدة، وهي التي تمسكت بنصوص الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح. وكل هذه الفرق الضالة عن الحق برغم اختلافهم الشديد فيما بينهم متفقون على عدم إيمانهم بكلام الله الحقيقي اللفظي الذي يسمعه المخاطب والذي من جملته القرآن الكريم.

وحتى لا أطيل الكلام في هذا الموضوع أرى أن أختصر الحديث بذكر

---

١) رواه البخاري في ك التوحيد باب قول الله عزوجل يريدون أن يبدلوا كلام الله ٤٧٣/١٣ برقم ٧٤٩٨، ومسلم في ك الجنة وصفة نعيمها ٢١٧٤/٤ برقم ٢٨٢٤.

٢) رواه البخاري في ك التوحيد باب كلام الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٤٨٢/١٣ برقم ٧٥١٢، ومسلم في ك الزكاة باب الحث على الصدقة ٧٠٣/٢ برقم ١٠١٦.

٣) رواه البخاري في ك التوحيد باب كلام الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٤٨٢/١٣ برقم ٧٥١١، ومسلم بنحوه في ك الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة ١٨١/١-١٨٢ برقم ١٩٣.

٤) الديان مأخوذ من قوله تعالى ﴿مالك يوم الدين﴾ (الفاتحة ٣) وهو المحاسب المجازي الذي لا يضيع عمل عامل، فتح الباري ٤٦٦/١٣.

٥) رواه البخاري في ك التوحيد باب قول الله ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ ٤٦١/١٣ برقم ٧٤٨١ وأحمد ٤٩٥/٣ والحاكم٤٣٧/٢-٤٣٨، ٥٧٤/٤-٥٧٥.

٦) انظر هذه الأقوال مفصلة في جامع الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ٣/٢-١٣ ومجموع الفتاوى له ٥١٤/٦-٢٨و ١٤٩/١٢-١٦٢، ٢٤٤-٢٤٥ ومختصر الصواعق ص ٥٠٩-٥١٨.

منهج السلف الصالح أولا، ومن ثم أذكر مذهب الأشاعرة لكونهم أقرب من غيرهم نسبياً إلى منهج السلف -ولو في بعض المواقف- مع أن مذهبهم في الكلام غريب جداً، ولكونهم أيضاً لهم وجود كبير بين المسلمين، فضلا عن كونهم يتشدقون دائماً بالقول أنهم (أهل السنة والجماعة) وأما بقية الفرق فكلامهم ظاهر البطلان وخاصة في صفة الكلام.

أ- مذهب السلف الصالح في صفة الكلام

ذهب السلف الصالح -رحمهم الله- إلى الإعتقاد بأن كلام الله تعالى صفة ذاتية قديمة قائمة بذات الله تعالى بإعتبار نوع الكلام، وهي صفة فعلية، لأنها تتعلق بها مشيئة الله بإعتبار أفراد الكلام، وقالوا إن كلامه تعالى حقيقي غير مخلوق، وهو تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، متى شاء وكيف شاء، وكلامه بصوت وحرف، وكلامه تعالى يليق بجلاله لاينفد ولا ينتهي، كما قال سبحانه ﴿**قل لو كان البحرُ مِداداً لكلمات ربي لنفد البحرُ قبل أن تنفد كلماتُ ربي**[1]﴾[2]وقد استدل السلف لهذا المذهب بنصوص الكتاب والسنة والتي تقدم طرف منها.

ب- مذهب الأشاعرة والرد عليهم: ذهب الأشاعرة إلى أن كلام الله هو معنى واحد قائم بذات الله غير منفصل عنه، وهو الأمر والنهي والخبر والإستخبار، إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، بمعنى أنه كلام نفسي قديم منزه عن الحرف والصوت(٣).

شبهتهم في ذلكلقد أنكر الأشاعرة -ومن نحا نحوهم- إتصاف الله تعالى بالكلام اللفظي بحجة تنزيهه تعالى عن الحوادث إن قيل بأنه عزوجل يتكلم بكلام له صوت وحرف، وقالوا إن وصفناه بذلك يلزم من ذلك التشبيه والتجسيم، لأنه

---

١) سورة الكهف آية ١٠٩.

٢) انظرالرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص ٧٣ (ضمن عقائد السلف)،وخلق أفعال العباد للبخاري ص ٨٩ والتوحيد لابن خزيمة ص ٣٢٨ والرد على الجهمية للدارمي ص ١٣٢-١٦٦ والشريعة للآجري ص ٧٥ والتوحيد لابن مندة ١٢٩/٣ والإبانة للأشعري ص ٨٧-١٠٧ وعقيدة السلف ص ٧-٨ والأربعين في دلائل التوحيد للهروي ص ٨٦-٩٣ والإعتقاد للبيهقي ص ٣٣ وجامع الرسائل لابن تيمية ٤/٢-٥ ومجموع فتاوى له ٦٨/٦-٨٩، ٥٢/١٢-٥٨، ٢٤٢-٢٤٥و ٨٢/١٧-٨٩ وشرح الطحاوية ص ١٢٢-١٣٠ وغيرها.

٣) انظر شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ٧٣-٩٤ وانظر أيضاً مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥٢٢/٦ وشرح الطحاوية ص ١٢٠.

لابد له حينئذ من مخارج الحروف من اللسان والشفتين وغيرهما، والله منزه عن ذلك إلى آخر كلامهم المعروف. وقد استدلوا لمذهبهم ببعض الشبه التي سيأتي طرف منها والرد عليها.

تأثر القاضي عياض بهم في ذلك: قبل الرد على الأشاعرة أحب أن أنبه إلى أني قد وجدت للقاضي عياض -رحمه الله- كلاماً يفيد بأنه قد تأثر بالقوم في هذه القضية أيضاً. من ذلك قوله (وكلامه تعالى صفة قديمة قائمة بذاته غير منفصلة عنه، منزهة عن أن تكون صوتاً أو حرفاً، لأن الصوت والحرف حادثان والحوادث لا تقوم بالقديم)(١).

وقوله أيضاً (إنه تعالى متكلم بغير جارحة ولا آلة)(٢) هذا مع كونه قد وافق مذهب السلف عندما قال (لاخلاف بين أهل السنة في حمل هذا على ظاهره وحقيقته في قوله تعالى ﴿**وكلّم اللهُ موسى تكليماً**﴾(٣) لتأكيده بالمصدر وأن لله كلاماً هو صفة من صفاته لايشبه كلام غيره)(٤).

وفي قوله أيضاً (أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين، مما جمعه الدفتان من أول ﴿**الحمدُ لله رَبِّ العالمين**﴾(٥) إلى آخر ﴿**قل أعوذُ بربِّ الناس**﴾(٦)، أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك أو بدّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا، أنه كافر، وقال محمد بن القاسم(٧) من قال إن الله لم يكلم موسى تكليماً يقتل وكذا قال غيره من السلف وكذلك كل من كذب بحرف منه)(٨).

---

١) منهاج العوارف ص ٦، ١٠٤، ١٦٦.
٢) الاعلام بحدود قواعد الاسلام ص ١٥.
٣) سورة النساء آية ١٦٤.
٤) إكمال المعلم ٣/٨٩٥-٨٩٦.
٥) سورة الفاتحة آية ١.
٦) سورة الناس آية ١.
٧) هو العلامة شيخ المالكية بمصر أبو إسحاق، محمد بن القاسم بن شعبان العماري، من ولد عمار ابن ياسر رضي الله عنه،كان صاحب سنة واتباع وباع في الفقه مع تبصر أخبار وأيام الناس مع الورع والتقى وسعة العلم والرواية، له تصانيف مفيدة منها أحكام القرآن، ومناقب مالك، توفي سنة (٣٥٥ هـ) انظر ترجمته في ترتيب المدارك ٣/٢٩٣ وسير أعلام النبلاء ١٦/٧٨.
٨) الشفا ٢/٣٠٥ وانظر أيضاً كتاب الإلماع له ص ٦.

وعلى إحسان الظن بالقاضي عياض -وهو مايجب على المسلم فعله- أقول لعله رحمه الله قد تراجع عن القول بأن كلام الله صفة قديمة واحدة قائمة بالذات... الخ والذي هو مضمون قول الأشاعرة كما لايخفى، خاصة وأنه قد ذكر هذا القول في كتابه (منهاج العوارف) الذي لم أعلم بالتحديد تاريخ تأليفه إياه، بخلاف القولين السابقين المعارضين واللذين ذكرهما في كتابيه (الشفا وإكمال المعلم) واللذين ألفهما في أواخر عمره كما نص على ذلك حيث ذكر أنه كتب الشفا أثناءقيامه بالقضاء كما ذكر في مقدمته(١)، وقد قرئ عليه في حياته. أما إكمال المعلم فقد ألفه بعد الشفا وذلك بعد أن عزله تاشفين بن علي أمير المرابطين عن قضاء غرناطة ببلاد الأندلس بسبب حزم القاضي عياض في صد أعوان تاشفين عن الظلم وقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد استمر عزله سبع سنوات(٢).

وعلى كل حال الله أعلم بحاله -رحمه الله- وما استقر عليه ومات عليه من رأي في ذلك، والذي يعنينا في الأمر أنه قال بمقولة الأشاعرة ونفى أن يكون كلام الله بحرف وصوت، فلابد من الرد عليه وعلى مذهب الأشاعرة في ذلك، فأقول وبالله التوفيق.

الرد على القاضي عياض وعلى الأشاعرة فيما ذهبوا إليه في صفة الكلام

إن ماذهب إليه القاضي عياض -في أحد قوليه- مقلداً بذلك مذهب الأشاعرة ظاهر البطلان من وجوه كثيرة منها:

الوجه الأول: أن ما احتجوا به من شبه لنفي حقيقة كلام الله تعالى كلزوم التشبيه والتجسيم وحلول الحوادث بالله تعالى -إن جعلنا الكلام حقيقياً بحرف وصوت- أقول: كل هذه الشبه التي توهموها منتفية في حقه تعالى إذا قلنا إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله وعظمته، وأن كلامه بحروف وأصوات لاتشبه حروف وأصوات المخلوقين، فإنه تعالى قد أخبر في كتابه العزيز أن بعض أعضاء الإنسان سوف تتكلم وتشهد عليه يوم القيامة كما قال سبحانه **﴿اليومَ نَخْتِمُ على أفواهِهِم وَتُكَلِّمُنا أيْدِيهِم وتشهد أرجُلُهُم بما كانوا**

---

١) انظر الشفا ١/٦-٧.

٢) انظر إكمال المعلم ١/٨-٩.

يكسبون﴾(١) وقال سبحانه ﴿وقالوا لِجُلُودِهم لِمَ شَهِدْتُم علينا قالوا أنْطَقَنَا اللهُ الذي أنطقَ كلَّ شيءٍ﴾(٢)، كما أخبر رسول الله ﷺ عن كلام بعض الجمادات كقوله ﷺ «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن»(٣)، وكل ذلك دون أن يكون لها مخارج الحروف أو فم أو نحو ذلك، فإذا كنا نؤمن بكلام هذه الأشياء تصديقاً لخبر الله وخبر رسوله ﷺ فكيف نستبعد أن يتكلم الله بصوت وحرف كيف شاء ومتى شاء وهو تعالى على كل شيء قدير، وهو الذي أخبرنا بذلك في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ الصادق المصدوق الأمين؟! أو كيف نحاول أن ندرك كيفية تكلمه؟! وإذا ما عجزنا عن الإدراك نفينا كلامه كأننا نكذب كتابه ورسوله ﷺ أو نتلاعب بالنصوص بعقولنا القاصرة بدعوى التأويل، ونحن عاجزون عن إدراك كيفية كلام الأشياء المذكورة وهي من مخلوقات الله؟! فليت القوم فكروا بعقولهم ليعودوا عن رأيهم هذا.

الوجه الثاني:إدعاؤهم أنا لو قلنا كلام الله بحروف وأصوات للزم أن تكون الحوادث قامت به، هو كلام باطل من وجوه: منها أن هذا القول مجمل لم يقل به أحد من الأئمة، ولم تأت به الرسل الذين خاطبوا الناس وأخبروهم أن الله قال ونادى وناجى ويقول ولم يفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه أو حوادث قامت به، بل أفهوهم إياه أن الله هو نفسه الذي تكلم وأن الكلام قائم به لابغيره وأنه هو الذي قاله لاغيره.

ومنها أن السلف والأئمة -رحمهم الله- أنكروا أشد الإنكار من قال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غيرمخلوق، فقالوا من قال هو مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع، وكذلك قالوا في القراءة والتلاوة، لأن اللفظ والقراءة يراد بهما المصدر الذي هو فعل العبد، فمن جعل شيئاً من أفعالهم وأصواتهم وغير ذلك من صفاتهم غير مخلوق فهو مبتدع، ويراد باللفظ أيضاً نفس الملفوظ، كما يراد بالتلاوة والقراءة نفس الكلام وهو القرآن نفسه، ومن قال كلام الله الذي أنزله على نبيه ﷺ مخلوق فهو جهمي(٤).

---

١) سورة يس آية ٦٥.
٢) سورة فصلت آية ٢١.
٣) رواه مسلم في ك الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه ١٧٨٢/٤ برقم ٢٢٧٧ والدارمي في المقدمة باب ٤/ ٢٢/١ أحمد ٢٨٩/٥،٢٩٥.
٤) انظر خلق أفعال العباد ص ٩٩-١٠١ والابانة للأشعري ص ١٠١-١٠٤ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٧٠/١٢-١٧١.

الوجه الثالث: قولهم عن الكلام (إنه معنى واحد قائم بذات الله غير منفصل عنه) معلوم بطلانه بضرورة العقل ومخالف للكتاب والسنة، فإن التوراة إذا عربت لم تكن هي القرآن، بل معانيها ليست معاني القرآن، وهكذا القرآن إذا ترجم بالعبرية لم يصر هو التوراة المنزلة على موسى، ولازم كلامهم هذا أن معنى قوله تعالى **﴿ولاتقربوا الزنا﴾**(١) هو معنى قوله **﴿وأقيموا الصلاة﴾**(٢) ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين، ومعنى سورة الإخلاص هو معنى **﴿تبت يدا أبي لهب﴾**(٣)، وكلما تأمل الإنسان في هذا القول تبين له فساده، وعلم أنه مخالف لكلام السلف.

والحق أن التوراة والإنجيل والقرآن من كلام الله حقيقة، فإن كلامه تعالى لايتناهى كما قال سبحانه **﴿قل لو كان البحر مداداً لكمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً(٤)﴾**(٥).

الوجه الرابع: أن من جعل الكلام معنى واحداً فهو بمنزلة من قال الوجود واحد، وهذه مكابرة للعقل والشرع، وكذلك من جعل الأمر والنهي والخبر والإستخبار صفات للكلام لا أنواعاً له، قوله من جنس قول القائلين بوحدة الوجود ومعروف فساد ذلك عقلا وشرعاً(٦).

والوجه الخامس: زعم الأشاعرة أن كلام الله هو معنى واحد لا يتصور سماعه منه تعالى يعنون به أنه كلام نفسي، كما صرحوا بذلك(٧) وهذا الزعم لايعقل ولذلك لم يثبتوه ما هو (أي الكلام النفسي) بل ولا تصوروه، ومعلوم أن إثبات الشيء فرع تصوره، فمن لم يتصور مايثبته كيف يجوز له أن يثبته؟ ولهذا كان رأس من قال بهذه المقولة وهو ابن كلاب(٨) لايذكر في بيانها شيئاً يعقل،

---

١) سورة الاسراء آية ٣٢.

٢) سورة البقرة آية ٤٣.

٣) سورة المسد آية ١.

٤) سورة الكهف آية ١٠٩.

٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٢٩٥/٦ وشرح الطحاوية ص ١٣١-١٣٢.

٦) المرجع السابق ٢٩٦/٦.

٧) انظر شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ٩٣-٩٤.

٨) هو أبو محمد، عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة وربما وافقهم، كان يلقب كلاباً لأنه يجر الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته،وأصحابه هم الكلابية، كان يقول: إن صفات الله سبحانه هي أسماؤه، وإنه لايجوز أن=

بل يقول هو معنى يناقض السكوت والخرس، والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام، فالساكت هو الساكت عن الكلام، والأخرس هو العاجز عنه أو الذي حصلت له آفة تمنعه من النطق(١).

الوجه السادس: أنه يلزم من قولهم (الكلام نفسي) أن يكون الأخرس متكلماً، لأن في نفسه كلاماً يتمنى قوله ولكنه لايستطيع ذلك، ولهذا لو أشار إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، ويلزم أيضاً أن لايكون الذي في المصحف عند الإطلاق كلام الله ولكن عبارة عنه.

الوجه السابع: أنه يلزم من قولهم أيضاً أن يكون كلام الله مخلوقاً، وقد صرح بعضهم بذلك، فقال: لايقال القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم(٢)، ومعلوم شرعاً حكم من يعتقد ذلك فإنه قد شابه من ذمّه الله تعالى وهدده بقوله **﴿سأصليه سقر﴾**(٣) عندما قال **﴿إن هو إلا قول البشر﴾**(٤) ولا شك أن هذا القول كفر بالله تعالى(٥).

الوجه الثامن: أن قول الأشاعرة الكلام نفسي قديم والمعبّر عنه مخلوق... فيه شبه قوي بقول النصاري القائلين باللاهوت والناسوت فإنهم يقولون ما لا يتصورونه، فالنصارى تتكلم بلا علم فكان كلامهم متناقضاً، فكذلك من تكلم في كلام الله بلا علم كان كلامه متناقضاً، ولم يحصل له قول يعقل(٦).

الوجه التاسع: أن الأشاعرة لما خنقتهم الأدلة الشرعية، وضايقهم أتباع السلف الصالح بالمناقشة حول النصوص التي وضعوها في غير موضعها

=توصف الصفات بصفة ولا تقوم بأنفسها، وإنها قائمة بالله وليست هي هو ولا غيره، وزعم أن الله موجود بوجود وأنه شيء لا بمعنى كان شيئاً. مات بعد عام (٢٤٠ هـ) انظر مقالات الإسلاميين ٢٤٩/١ و٢٢٥/٢ وسير أعلام النبلاء ١٧٤/١١.

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٩٥/٦.
٢) انظر شرح جوهرة التوحيد ص ٩٥.
٣) سورة المدثر آية ٢٦.
٤) سورة المدثر آية ٢٥.
٥) انظر الشريعة ص ٧٥-٨٢ والإبانة ص ١٠١-١٠٤ وشرح الطحاوية ص ١٤٠-١٤١.
٦) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٩٦/٦.

وأساؤا فهمها، لجأوا إلى شعر هذيل لشاعر نصراني (هو الأخطل)(١) لايعرف أصل دينه ولا حقيقة الكلام حيث يقول :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعِلَ اللسانُ على الفؤاد دليلا

وقد قيل إن البيت ليس للأخطل، والحقيقة أن إستدلالهم بهذا البيت كمن يحتمي ببيت العنكبوت لينقذه ﴿**وإنَّ أوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العنكبوتِ لو كانوا يَعْلَمون**﴾ (٢). وقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عندما قال: (إن الحقائق العقلية أو مسمى لفظ الكلام الذي يتكلم به البشر لايرجع إلى ألف شاعر فاضل، فكيف يرجع به إلى نصراني ضال؟! وقد عرف أن النصارى لايعرفون دينهم)(٣). ومع هذا قيل إن الأخطل إنما قال إن البيان لفي الفؤاد وهذا أقرب إلى الصحة، لأنه على القول الأول يلزم منه أن يكون الأخرس متكماً لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يسمع منه -كما تقدم-.

وأيضاً فإن مايريدون إثباته بهذا البيت النصراني من أن الكلام في النفس مردود بالنصوص التالية:

١- قوله ﷺ « إن هذه الصلاة لايصلح فيها شيء من كلام الناس»(٤).

٢- وقوله ﷺ أيضاً «إن الله يُحدِثُ من أمره ما يشاء وإن مما أحدث الله أن لاتكلموا في الصلاة»(٥).

٣- وقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه(٦) «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها مالم تتكلم به أو تعمل به» إلى غير ذلك من النصوص.

فاستناداً إلى هذه النصوص اتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها بطلت صلاته، كما اتفقوا على أن مايقوم بالقلب من حديث النفس لايبطل الصلاة، لأنه لا يسمى كلاماً لغة وشرعاً، والشارع الحكيم

---

١) هو غياث بن غوث التغلبي النصراني شاعر زمانه، وقد حصل أموالا جزيلة من بني أمية ومات قبل سنة ١١٠هـ بسنوات انظر سير أعلام النبلاء (٥٨٩/٤).

٢) سورة العنكبوت آية ٤١.

٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٩٦/٦-٢٩٧.

٤) رواه مسلم في ك المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ٣٨١/١-٣٨٢ برقم ٥٣٧، وأبو داود في ك الصلاة باب تشميت العاطش في الصلاة ٥٧٠/١-٥٧١ برقم ٩٣٠.

٥) رواه أبو داود في ك الصلاة باب رد السلام في الصلاة ٥٦٨/١ برقم ٩٢٤ وصححه الالباني في صحيح أبي داود برقم ٨٥٧ ورواه النسائي في ك السهو باب الكلام في الصلاة ٢٣/٣ برقم ١٢١٩.

٦) رواه البخاري في ك الأيمان والنذور باب إذا حنث ناسياً في الايمان ٥٤٨/١١-٥٤٩ برقم ٦٦٦٤ ومسلم في ك الايمان باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر ١١٦/١ برقم (١٢٧).

إنما خاطب الناس بلغة العرب وهي لغة القرآن فدل هذا على أن الكلام ماكان بصوت وحرف مسموع(١).

فالحقيقة أنه لو ترك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة ولغتهم العربية الواضحة، لم ينزلقوا مثل هذه الإنزلاقات الخطيرة في المطالب الإلهية، ولكن إلى الله المشتكى.

الوجه العاشر: أرى من المفيد جداً أن أضيف إلى ماذكرت نموذجاً من كلام أبي الحسن الأشعري الذي ينتسب الأشاعرة إلى مذهبه الذي عاش فيه فترة من الزمن مع ابن كلاب ثم تركه وألف (كتاب الإبانة في أصول الديانة) والذي هو آخر كتبه بعد رجوعه لمذهب السلف -كما سبق التنبيه- وفيه يقول (فإن قال قائل حدثونا أتقولون إن كلام الله في اللوح المحفوظ؟! قيل كذلك نقول لأن الله تعالى قال **﴿بل هو قرآنٌ مجيدٌ * في لوحٍ محفوظٍ﴾**(٢) فالقرآن في اللوح المحفوظ وهو في صدور الذين أوتوا العلم قال الله تعالى **﴿بل هو آياتٌ بيِّناتٌ في صُدُور الذين أوتوا العلمَ﴾**(٣) وهو متلو بالألسنة قال تعالى **﴿لاتُحَرِّكْ به لسانك لتعجل به﴾**(٤) والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة متلو بألسنتا في الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة، كما قال تعالى **﴿وإنْ أحَدٌ من المشركينَ استجاركَ فأجره حتى يسمعَ كلامَ الله ثم أبْلغْهُ مأمَنَهُ(٥)﴾**(٦).

هكذا يؤكد الإمام أبو الحسن -رحمه الله- بهذا الأسلوب في عدة مواضع من كتابه الإبانة أن كلام الله حقيقي بألفاظه ومعانيه وليس هو عبارة عن الكلام النفسي أو دالا عليه أو ترجمة له كما يزعم متأخروا الأشاعرة، وكفى فيما ذكرت رداً عليهم وتبياناً للحق لمن أراده.

سابعاً - صفة العلو

هذه الصفة من الصفات التي كثر فيها النزاع أيضاً بين السلف والخلف،

---

١) انظر شرح الطحاوية ص ١٣٩.

٢) سورة البروج آية ٢١-٢٢.

٣) سورة العنكبوت آية ٤٩.

٤) سورة القيامة آية ١٦.

٥) سورة التوبة آية ٦.

٦) الابانة عن أصول الديانة للأشعري ص ١٠٠-١٠١.

وقد سلك القاضي عياض فيها مسلك الخلف كما سنرى.

١- مذهب القاضي عياض في علو الله تعالى

ذهب القاضي عياض -غفر الله له- إلى نفي علو الله تعالى على خلقه مؤولا النصوص الصريحة الصحيحة الواردة في إثبات العلو والفوقية لله تعالى بتأويلات بعيدة جداً بدعوى تنزيه الله تعالى عن التحيز والجهة مما هو مستحيل عليه عقلا كما قال، فعند شرحه لقوله تعالى **﴿إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعملُ الصالحُ يَرْفَعُهُ﴾**(١) قال: المراد به رفعه للجزاء عليه أي يرفع الميزان وينقله بالحسنات ليجازي عليها بالحسنى ويخفضه بالسيئات لينتقم بها ممن يشاء من خلقه ويعفو عمن يشاء، وليس المراد بالصعود إليه الصعود الجسماني الذي هو الرقي من أسفل إلى علو، وإنما المراد قبوله، والنصوص الواردة في الكتاب والسنة التي يفهم منها أن الله في السماء ليس معناها الإستقرار والثبوت، بل معناها أن الله في السماء على معنى التصريف والملك والتدبير وإظهار الألوهية، كما في قوله تعالى **﴿وهو اللهُ في السموات وفي الأرض﴾**(٢) بمعنى أن له الألوهية والقهر والعزة والملك فيهما(٣).

وعن حديث الجارية التي سألها رسول الله ﷺ أين الله؟ قالت في السماء، قال: من أنا؟! قالت أنت رسول الله، فقال لصاحبها «اعتقها فإنها مؤمنة»(٤)، قال: قيل إنها كانت خرساء وأما سؤال النبي ﷺ بأين فإن السؤال بها يكون عن مكان الحس مرة، ومكان المعنى أخرى، ألا ترى أنك تقول أين مرتبة فلان من العلم، وأين منزلته عند السلطان، تريد جاهه وحظه لديه، فسألها رسول الله بأين عن مكان المعنى لا عن مكان الحس، كأنه يقول لها كيف منزلته في قلبك، وكيف اعتقادك فيه؟ فثبت السؤال عن المعنى وانتفى الحس، بدليل العقل نفياً محضاً، فلما فهمت السؤال أشارت إلى جهة العلو وقالت في السماء، إشارة إلى العلو والرفعة، وأن معبودها جل قدره وعظم أن يكون في بيت الأصنام كما يعتقده جهلة الكفار الذين كانوا يعتقدون ذلك في الأحجار والصلبان وغيرها، فلما عرف ﷺ أن اعتقادها مخالف لاعتقاد قومها وأنها باينتهم في معبودها قال «فإنها مؤمنة» لأن كل عاقل مفطور على أن ربه وخالقه

---

١) سورة فاطر آية ١٠.

٢) سورة الانعام آية ٣.

٣) انظر منهاج العوارف ص ٨٩،١٥٣.

٤) رواه مسلم وغيره وقد تقدم تخريجه ص ٨٥ .

ومعبوده ليس كخلقه، فيستحيل عليه تعالى بالضرورة الجهات كما استحالت أيضاً الإنتقالات و المحادثات جل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً(١).

وقد ردّ القاضي عياض على من قال نطلق أن الله في مكان دون مكان، وفي السماء كما ورد به الشرع فقال: لايجوز أن نقول ذلك اطلاقاً، وإنما نقول كما قال أبو الحسن الأشعري إنه تعالى فوق خلقه فوقية الرتبة لافوقية الجهة، وبه نطق القرآن وهذا هو الحق الذي لايصح غيره(٢).

٢- مناقشة القاضي عياض فيما ذهب إليه والرد عليه.

إن ما ذهب إليه القاضي عياض من تأويل لصفة العلو مخالف للكتاب و السنة ولإجماع السلف -كما سيأتي-، أما تفسيره لمعنى صعود العمل الصالح إلى الله بأنه المراد قبوله أو رفع الميزان بالحسنات ليجازي عليها بالحسنى، وخفضه إياه بالسيئات لينتقم بها ممن يشاء، وانكاره أن يكون المراد بالصعود من أسفل إلى أعلى، فذلك مما لم يقل به أحد من المفسرين المعتمدين، فهذا إمام المفسرين وشيخهم ابن جرير الطبري(٣) -رحمه الله- يقول في تفسير الآية (يقول الله تعالى ذكره إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه)(٤)، وهذا الحافظ ابن كثير -رحمه الله- ينقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله (الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عزوجل، والعمل الصالح أداء الفريضة، فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه حمل عملَه ذكرُ الله يصعد به إلى الله عزوجل، ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان

---

١) انظر منهاج العوارف ص ١٨٣،٨٢.

٢) المرجع السابق.

٣) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، من أهل آمل طبرستان الإمام العلم المجتهد عالم العصر، كان من أفراد الدهر علماً وذكاء وكثرة تصانيف، يحكم بقوله عارفاً بالقراءات عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، له الكتاب المشهور أخبار الامم وتاريخهم، وكتاب التفسير الذي لم يصنف مثله ولد سنة ٢٢٤ هـ واستقر ببغداد ومات فيها سنة (٣١٠ هـ) وشيعه من لم يحصهم إلا الله، وصلى على قبره عدة شهور ليلا ونهاراً، انظر سير أعلام النبلاء (٦٧/١٤) وطبقات الشافعية (١٢٠/٣) وشذرات الذهب (٢٦٠/٢).

٤) تفسير الطبري ٨٠/١٠.

أولى به). قال ابن كثير: وكذا قال مجاهد(١) وأبو العالية(٢) وإبراهيم النخعي(٣) وقتادة(٤) والضحاك(٥) والسدي(٦)وأكثر المفسرين من السلف، فإنه لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام فإنه لم يقبل قول إلا بعمل)(٧).

فالصعود إن لم يكن إلى الله تعالى فإلى مَنْ سيكون ياترى؟! ولا أدري كيف فسّر القاضي عياض الصعود برفع الميزان بالحسنات وخفضه بالسيئات ؟! وهل هو أعلم بتفسير كتاب الله من الأئمة الذين سبق ذكرهم؟! حاشا وكلا، ثم هل يكون الصعود إلا من أسفل إلى أعلى، فهل يقال مثلا لمن هو جالس في أسفل بيته صعد إلى السقف؟! لايقول هذا عاقل. أما إنكار القاضي عياض أن يكون الصعود جسمانياً أي حقيقياً فهذا لا دليل له عليه، بل الأدلة الصحيحة تخالفه فعن عبد الله بن السائب(٨) -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله ﷺ يصلي

---

١) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، الإمام شيخ القراء والمفسرين، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، تابعي جليل وارث علم ابن عباس ولد سنة (٢١ هـ) وتوفي وهو ساجد سنة (١٠٢هـ) وقيل غير ذلك، انظر حلية الأولياء ٢٧٩/٣ وسير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤ وطبقات الحفاظ ص ٣٥.

٢) هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر، حفظ القرآن على أبي بن كعب وغيره من كبار الصحابة، وثقه أبو زرعة وأبو حاتم، اختلف في وفاته فقيل ٩٠ هـ وقيل ٩٣هـ، انظر مشاهير الامصار ص ٩٥ وسير أعلام النبلاء ١٠٢/٤.

٣) هو أبو عمران إبرهيم بن يزيد بن قيس ابن الأسود النخعي اليماني ثم الكوفي، الإمام الحافظ فقيه العراق، لم يحدث عن أحد من الصحابة وقد أدرك بعضهم، منهم عائشة فقد رآها وهو صبي فهو من صغار التابعين وهو ثقة يرسل كثيراً، مات سنة ٩٦ هـ، انظر سير أعلام النبلاء ٥٢٠/٤ وتقريب التهذيب ٦٩/١ وشذرات الذهب ١١١/١.

٤) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزير، وقيل قتادة بن دعامة بن عكابة السدوس البصري، حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين، الضرير الأكمه، ولد سنة ٦٠ هـ وتوفي سنة ١١٨ هـ انظر تاريخ خليفة ص ٣٤٨ والجرح والتعديل ١٣٣/٧ وتذكرة الحفاظ ١٢٢/١.

٥) هو أبو محمد وقيل أبو القاسم الضحاك بن مزاحم الهلالي، صاحب التفسير كان من أوعية العلم وليس بمجود لحديثه، وهو صدوق، توفي سنة ١٠٢ هـ وقيل ١٠٥ هـ وقيل سنة ١٠٦ هـ انظر سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٤ وتهذيب التهذيب ٤٥٣/٤ وشذرات الذهب ١٢٤/١.

٦) هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الامام المفسر الحجازي ثم الكوفي الاعور السدي أحد موالي قريش توفي سنة ١٢٧ هـ انظر الجرح والتعديل ١٨٤/٢ وسير أعلام النبلاء ٢٦٤/٥ وتهذيب التهذيب ٣١٣/١.

٧) تفسير ابن كثير ٥٤٩/٣ وانظر أيضاً هذه الأقوال في ٥٦٦/٣.

٨) هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن السائب بن أبي السائب صيفي بن عابد المخزومي المكي، له ولابيه صحبة وهو من صغار الصحابة كان رضي الله عنه قارئ أهل مكة، توفي سنة بضع=

أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر وقال «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح»(١)، ففي هذا الحديث الصحيح دليل واضح على أن الصعود على حقيقته، وذلك في قوله ﷺ «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء» فلماذا تفتح أبواب السماء، أليس لأن هذا الصاعد إنما هو صاعد إلى المولى وفي ساعة معينة؟! فهل يجوز أن يقدم قول على قول رسول الله؟! وهل يمكن تأويل هذا النص الصريح أيضاً؟!.

أما تأويل القاضي لحديث الجارية فهو غريب جداً منه، فقد ذكر قول من قال بأنها كانت خرساء، فنحمد الله أن ذكر ذلك بصيغة التمريض، وقد كان الأجدر به وهو المحدث العلامة ألا يذكر مثل هذا القول الهابط، لأن الحديث نفسه يرده، فالأخرس لايسمع الكلام ولايفهمه فضلا عن أن يجيب ويتكلم، فكيف سمعت هذه الجارية سؤاليّ رسول الله ﷺ وأجابت عنهما إذا كانت خرساء ؟!، ومن جهة أخرى فإن زعم أبي الفضل -رحمه الله- أن رسول الله ﷺ سألها عن مكان المعنى التي تفيده (أين) ولم يسألها عن مكان الحس، هو زعم باطل مخالف للنصوص بل وللغة العربية أيضاً. أما مخالفته للنصوص فهذا شيء معروف مشهور فإن الأدلة الصحيحة الدالة على علو الله تعالى هي أكثر من أن تحصى كما سيأتي طرف منها، وأما مخالفته للغة العربية فإن السؤال (بأين) إذا اطلق فإنه لايراد به إلا معنى الإستفهام عن المكان الحسي، فإذا قلت مثلا أين الشمس؟! تقول في السماء، وهل هناك جواب غير هذا، وإذا قلت أين أبوك؟! تقول في العمل أو في البيت أو غير ذلك، ولا يراد بأين المكانة إلا بقرينة تدل عليها، فقولك أين مرتبة فلان في العلم؟ فيه قرينة تدل على أن المراد مكانته العلمية وهو ذكر العلم، وقولك أين منزلة فلان عند السلطان؟ تريد جاهه عنده بدليل ذكر السلطان، وهكذا إذا دخل على (أين) حرف الجر (من) فإنها تولد بإقترانها معنى جديداً مضمونه الإستبعاد بين الشيئين للتفاضل وغيره، ولابد من وجود ذكر هذين الشيئين، كقولهم أين الثرى من الثريا؟ وأين الجاهل من العالم؟ ونحوه، أما إذا أطلق فقيل أين الثرى؟ فالجواب (في الأرض)، ولو قيل أين الثريا؟ فالجواب (في السماء) وهذا معلوم في لغة

=وستين في إمارة عبد الله بن الزبير وصلى عليه ابن عباس، انظر مشاهير علماء الامصار ص ٨٦ وسير أعلام النبلاء ٣/٣٨٨ والإصابة ٢/٣٠٦.

(١) رواه الترمذي في ك الصلاة باب ماجاء في الاربع قبل الظهر ٢/٢٨٩ برقم (٤٢٤) وحسنه، وأحمد ٣/٤١١ وصححه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/٢٣٩ برقم ٥٨٥.

العرب(١).

أما قول القاضي عياض: إن جهلة المشركين كانوا يعتقدون أن معبودهم حآل في الأحجار والصلبان وغيرها، وقد قالت الجارية الله في السماء لتنفي هذا الإعتقاد ، فهو قول غريب جداً، لأن مشركي العرب لم يكونوا يعتقدون -حتى أجهل الجاهلين فيهم- أن معبودهم في الأحجار حآل، بل كانوا يعظمون هذه الأحجار والأصنام ويعبدونها من دون الله بزعمهم أنها تقربهم إلى الله وتشفع لهم عنده، كما أخبر عن ذلك أصدق القائلين عزوجل بقوله **﴿والذينَ اتخذوا مِنْ دُونِهِ أولياءَ مانَعْبُدُهم إلا لِيُقَرِّبُونا إلى الله زُلْفى﴾**(٢) فهم لم يكونوا ينكرون وجود الله كما أخبر الله عنهم قال تعالى **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾**(٣) والآيات الدالة على ذلك كثيرة في كتاب الله.

وأما قول القاضي عياض: إن الله تعالى يستحيل عليه أن يكون في الجهات، فإن الأمر ليس على إطلاقه، ومثل هذا الكلام مجمل فإن أريد به أنه تعالى ليس في الأرض ولا في الأماكن التي لاتليق به فهذا صحيح، أما انكار أن يكون الله سبحانه في جهة العلو أو في السماء، فهذا خطأ مردود بنصوص الكتاب والسنة والإجماع، بل هو مكابرة للفطرة والعقل، فإن القلوب مفطورة على الإعتقاد بأن الله تعالى فوقها، ولهذا يرفع العباد إليه تعالى أيديهم بالدعاء، وإلا لو لم يكن فوقهم فلماذا يفعلون ذلك؟!. أما العقل فإنه يحيل أن يكون الله داخلا في مخلوقاته أو تكون هي داخلة فيه فما بقي إلا المباينة بين الخالق والمخلوق، وهو العلو والإستواء على العرش، وهو ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ وما قال به السلف الصالح.

وقد يظن من أول صفة العلو أن معنى قولنا الله في السماء بمعنى أنه حآل أو موجود فيها، -تعالى الله عن ذلك- فإن هذا لم يقله أحد من السلف، فضلا عن أن يقوله مؤمن بالله، ولكن معناه أن الله فوق السماء -لأن كل ما علا فهو سماء- وعلى عرشه لأن (في) بمعنى (على)، فإن أحرف الجر ينوب بعضها عن بعض كما هو معروف في اللغة العربية، أرأيت قوله تعالى **﴿فسيحوا في**

---

١) انظر كتاب إثبات علو الله على خلقه والرد على المخالفين ٢٥٨/٢ لأخينا الحبيب أسامة القصاص الذي قتله أعداء الله الجهميون الجدد، وهو كتاب عظيم الشان قصم منه ظهر المبتدعة الضالين، فرحم الله صاحبه وأسكنه فسيح جناته.

٢) سورة الزمر آية ٣.

٣) سورة الزخرف آية ٨٧.

الأرض﴾(١) هل معناه أدخلوا داخل الأرض؟ أم المراد به السير على وجه الأرض؟! وكذا قوله تعالى حكاية عن فرعون منكر الألوهية في معرض تهديده للسحرة الذين كفروا به وآمنوا بربهم سبحانه وتعالى **﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ النَّخلِ﴾** (٢) أي على جذوع النخل، هذا هو المعنى الصحيح المفهوم من الآيات وهذا ماقاله أهل العلم رحمهم الله(٣).

أما الآية التي احتج بها القاضي عياض لتأويل صفة العلو وهي قوله تعالى **﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يَعْلَمُ سِركُم وجهرَكم ويَعلَم ما تكسبون﴾** (٤) فإن المراد بها العلم، والمعنى أنه سبحانه وتعالى هو إله السموات والأرض المعبود فيهما الذي يعلم سركم وجهركم وما تكسبون، ففي الآية تقديم وتأخير وتقديره ومعناه -كما قال أئمة(٥) التفسير- وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات والأرض ويعلم ماتكسبون من خير أو شر.

وأما زعم القاضي بأن المراد بالفوقية فوقية الرتبة، مستدلا بما قاله أبو الحسن الأشعري مدعياً بأن هذا هو الحق الذي لايصح غيره لأن القرآن نطق به، فالجواب عنه من وجوه:

الأول: أن أبا الحسن الأشعري -رحمه الله- إن كان قال ذلك فقد تراجع عنه واعتنق مذهب السلف ونقض قوله السابق في كتابه الإبانة عن أصول الديانة، فها هو ذا يقول فيه (إن قال قائل ما تقولون في الإستواء؟! قيل له نقول إن الله عزوجل مستوٍ على عرشه استواء يليق به، وذكر بعض الآيات منها قوله تعالى **﴿أأمنْتُمْ مَنْ في السماءِ أنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأرضَ فإذا هي تمورُ﴾**(٦) فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال **﴿أأمنتم من في السماء﴾** لأنه تعالى مستوي على العرش الذي فوق السموات، وكل ماعلا فهو سماء، والعرش أعلى السموات وليس إذا قال **﴿أأمنتم من في السماء﴾** يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى الله تعالى ذكر السموات فقال **﴿وجعلَ القمرَ فيهنَّ نُوراً﴾**(٧) ولم يرد أن القمر

---

١) سورة التوبة آية ٢.
٢) سورة طه آية ٧١.
٣) انظر ما قاله ابن عبد البر في التمهيد ١٣٠/٧ وكذا غيره من السلف.
٤) سورة الانعام آية ٣.
٥) انظر تفسير الطبري ١٤٧/٥ وتفسير ابن كثير ١٢٣/٣ وتفسير البغوي ٨٤/٢-٨٥.
٦) سورة تبارك آية ١٦.
٧) سورة نوح آية ١٦.

يملؤهن جميعاً وأنه فيهن جميعاً، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله عزوجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش)(1)، فليت القاضي عياض أخذ بقول أبي الحسن هذا الذي سطره في كتابه واستقرت عليه عقيدته، والذي يثبت فيه لله تعالى العلو الحقيقي والفوقية الحقيقية على جميع المخلوقات ومنها العرش بصريح العبارة وبما لامجال فيه للشك.

الوجه الثاني : أن القرآن والسنة نطقا بالعلو الحقيقي والفوقية الحقيقية وليس بعلو الرتبة كما سأذكر طرفاً من هذه النصوص.

الوجه الثالث: إجماع السلف على إثبات العلو لله تعالى كما قرر ذلك سابقاً.

٣- بعض الأدلة على صفة العلو لله تعالى

لقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على إثبات هذه الصفة وإليك بعضاً منها:

أ-الأدلة من القرآن: من ذلك قوله تعالى ﴿**يُدَبِّر الأمرَ من السماء إلى الأرض ثم يَعْرُجُ إليه**﴾(2) وقوله ﴿**تَعْرُجُ الملائكة والرُّوْحُ إليه**﴾(3) وقوله مخاطباً عيسى عليه السلام ﴿**يا عيسى إني مُتَوفيك ورافعُكَ إليَّ**﴾(4) وقوله عنه أيضاً ﴿**بَلْ رَّفَعَهُ اللهُ إليه**﴾(5) وقوله تعالى أيضاً ﴿**فالحُكمُ لله العَليِّ الكبير**﴾ (6) وقوله عزوجل ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والأرضَ ولا يَؤُوْدُهُ حِفْظُهُما وهو العليُّ العظيمُ**﴾(7) وقوله ﴿**سَبِّح اسمَ ربِكَ الأعلى**﴾(8) وقوله ﴿**يَخافُونَ رَبَّهُم من فَوْقِهم**﴾(9) وقوله تعالى أيضاً عن القرآن ﴿**قل نَزَلَه رُوحُ القُدُس مِنْ ربِكَ بالحق**﴾ (10) وقوله ﴿**تَنْزِيلُ الكتاب مِن الله العزيزِ الحكيمِ**﴾ (11) فهذه الآيات ظاهرة الدلالة على علوه تعالى على خلقه علواً حقيقياً

---

1) الابانة عن أصول الدين ص ١٠٥-١٠٧.
2) سورة السجدة آية ٥.
3) سورة المعارج آية ٤.
4) سورة آل عمران آية ٥٥.
5) سورة النساء آية ١٥٨.
6) سورة غافر آية ١٢.
7) سورة البقرة آية ٢٥٥.
8) سورة الأعلى آية ١.
9) سورة النحل آية ٥٠.
10) سورة النحل آية ١٠٢.
11) سورة الزمر آية ١.

والآية الأخيرة جاءت الفوقية فيها مقرونة بحرف (من) وهي معينة للفوقية بالذات كما هو معروف في لغة العرب(١)، وليس كما زعم القاضي عياض بأنها فوقية المكانة والرتبة.

ب- الأدلة من السنة على علو الله: أما الأحاديث الواردة في إثبات صفة العلو لله تعالى فهي كثيرة جداً وقد بلغت حد التواتر كما قال أئمة الإسلام(٢).

- من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «إن الله لما قضى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي -وفي رواية- غلبت غضبي)(٣).

- وقوله ﷺ «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً»(٤)، وقوله عليه الصلاة والسلام للجارية (أين الله) قالت في السماء، قال: من أنا قالت رسول الله قال إعتقها فإنها مؤمنة)(٥).

-ومن ذلك أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام «إن الله حَيِّي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً»(٦).

- وقوله ﷺ عند تفسير قوله تعالى ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن**﴾ (٧) «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء،

---

١) انظر شرح الطحاوية ص ٢٥.

٢) انظر حكاية التواتر في كتاب إثبات صفة العلو لابن قدامة بتحقيق د. أحمد عطية الغامدي ص ٦٦ ومختصر العلو للذهبي إختصار الالباني ص ٨٠ وإجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص ٣٠ وقد ذكر شارح الطحاوية ص ٢٥٩-٢٦٢ ما يقرب من عشرين وجهاً من الادلة على إثبات العلو لله تعالى ثم قال: وهذه الانواع من الادلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله هيهات له بجواب صحيح عن ذلك.

٣) رواه البخاري في ك التوحيد باب وكان عرشه على الماء ٤١٤/١٣ برقم ٧٤٢٢، ومسلم في ك التوبة باب سعة رحمة الله ٢١٠٨/٤ برقم ٢٧٥١.

٤) رواه البخاري في ك المغازي باب بعث علي وخالد إلى اليمن ٦٦٥/٧-٦٦٦ برقم ٤٣٥١، ومسلم في ك الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٢/٢ برقم ١٠٦٤.

٥) رواه مسلم وغيره وقد تقدم تخريجه ص ٨٥.

٦) رواه أبو داود في ك الوتر باب الدعاء ١٦٥/٢ برقم ١٤٨٨ والترمذي في ك الدعوات باب (١٠٥) ٥٢٠/٥ برقم ٣٥٥٦ وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه في ك الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء ١٢٧١/٢برقم ٣٨٦٥ وأحمد ٤٣٨/٥، ٣١٤/٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٠٨/٢ برقم ١٧٥٣ ومعنى صفراً أي خالية.

٧) سورة الحديد آية ٣.

وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»(١). فقد قال أهل العلم المراد بالظهور هنا العلو ومنه قوله تعالى **﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾**(٢) أي يعلوه، فهذه الأسماء الأربعة متقابلة اسمان منهما لأزلية الرب سبحانه وأبديته واسمان لعلوه وقربه(٣). قلت فهو سبحانه قريب في علوه كما يليق به وعليّ في قربه عزوجل.

- ومنها قوله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع «إنكم مسئولون عني فماذا أنتم قائلون؟! قالوا نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت، فرفع أصبعه السبابة إلى السماء وقال: اللهم فاشهد»(٤). فأشار عليه الصلاة والسلام أصبعه إلى السماء -وهو أعلم بربه- في ذلك اليوم العظيم وفي ذلك المكان المقدس العظيم، إنما أشار إلى رب السموات والأرض إلى من هو فوق كل شيء قائلا «اللهم فاشهد»، وهكذا يظهر خطأ وبطلان من يقول لاتجوز الإشارة بالأصبع إلى السماء إلى الله تعالى ولا السؤال (بأين الله)، إذ لو لم يكن ذلك جائزاً كيف يفعله الناصح الأمين عليه الصلاة والسلام؟!

- ومن الأحاديث أيضاً حديث الإسراء والمعراج المشهور(٥) والذي فيه عروجه عليه السلام إلى السماء السابعة إلى حيث سمع صريف أقلام الملائكة الذين يكتبون بأمر الله ماشاء الله، بل وحيث سمع كلام الله وهو يخاطبه بشأن الصلاة، وقد تردد عدة مرات بين ربه تعالى وبين موسى يسأل تخفيفها بنصيحة من موسى عليه السلام، حتى صارت خمساً بعد أن كانت خمسين، إلى غير ذلك من المشاهد، ألا يدل كل هذا دلالة واضحة على أن الله فوق السموات جميعها وأنه سبحانه عال على خلقه؟! ألا ليت من يؤول كل هذه النصوص يعود إلى الحق ويعتقد منهج السلف قبل أن يأتيه الأجل ولات حين مندم.

---

١) رواه مسلم في ك الذكر والدعاء باب مايقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٤/٤ برقم ٢٧١٣ وأبو داود في ك الأدب باب مايقول عند النوم ٣٠١/٥ برقم ٥٠١٥.

٢) سورة الكهف آية ٩٧.

٣) انظر تفسير البغوي ١٨٢/٣ وتفسير ابن كثير ١٠٤/٣ وشرح الطحاوية ص ٢٥٦.

٤) رواه مسلم في ك الحج باب حجة النبي ﷺ ٨٨٦/٢-٨٩٢ برقم ١٢١٨، وأبو داود في ك المناسك باب صفة حج النبي ﷺ ١٨٢/٢ برقم ١٩٠٥، والدارمي في ك المناسك باب في سنة الحج ٦٧/٢-٧١ برقم ١٨٥٠.

٥) رواه البخاري في ك التوحيد باب ماجاء في قوله تعالى ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ ٤٨٦/١٣ برقم ٧٥١٧ ومسلم في ك الايمان باب سدرة المنتهى ١٥٧/١ برقم ٢٧٩ والترمذي في ك التفسير في تفسير سورة النجم ١٦٣/٩ برقم ٣٣٣٠ وأحمد ٣٠٨٧/١ وغيرهم.

ج - ذكر عدد من الآثار المروية عن السلف في إثبات العلو لله تعالى

لقد تواترت الآثار المروية عن سلفنا الصالح في إثبات هذه الصفة لله تعالى، ولو أردنا استقصاء ذلك عنهم في هذا الشأن لاحتاج ذلك إلى رسالة خاصة، ولكني سأقتصر على ذكر نماذج منها حتى يعلم المرء أن مذهب هؤلاء -رحمهم الله- هو إثبات الصفات كما وردت، وليس تفويضها كما زعم بعض من جهل أو تجاهل حالهم.

- فهذا أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- يقول بعد وفاة رسول الله ﷺ (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لايموت)(١).

- وهذا حبر الأمة عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- يقول (إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً)(٢).

- وهذا عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- يقول (العرش فوق الماء والله فوق العرش لايخفى عليه شيء من أعمالكم)(٣).

- وهذه حبيبة رسول الله أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- المبرأة من فوق سبع سموات تقول مبرئة نفسها من إرادة قتل عثمان -رضي الله عنه- (علم الله فوق عرشه أني لم أحب قتله)(٤).

- وقال التابعي الجليل كعب الأحبار(٥) -رحمه الله- (قال الله عزوجل في التوراة: أنا الله فوق عبادي وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر

---

١) رواه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٤٤، وفي رده على بشر المريسي بإسناد صحيح ص ١٠٥ والذهبي في الاربعين في صفات رب العالمين ص ٥٦، وابن القيم في إجتماع الجيوش ص ٦٢.

٢) رواه الذهبي في العلو وهو صحيح كما قال الالباني في مختصره ص ٩٥ وأخرجه الآجري في الشريعة ص ٢٩٣ والالكائي في السنة ٩١/١ برقم ٢.

٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٤٣ وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ١٠٦ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠١ والالكائي في السنة ٩١/١ برقم ٢ والذهبي في العلو وصححه الالباني في مختصره ص ١٠٤.

٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤٧/١ والذهبي في العلو وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية ص ٤٣ بإسناد صحيح كما قال الالباني في مختصر العلو ص ١٠٤.

٥) هو كعب بن ماتع الحِمْيري اليماني، العلامة الحبر كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ وقدم المدينة في أيام عمر رضي الله عنه، فكان يحدث الصحابة من الكتب الاسرائيلية ويحفظ عجائب ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام متين الديانة من نبلاء العلماء، توفي بحمص ذاهباً للغزو في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه، انظر أسد الغابة ٢٤٧/٤ وسير أعلام النبلاء ٤٨٩/٣ والإصابة ٢٩٧/٣.

أمور عبادي لايخفى عليّ شيء في الأرض ولا في السماء)(١).

- وقال الإمام الأوزاعي -رحمه الله- (كنا والتابعون متوافرون نقول (إن الله عزوجل فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته)(٢).

- وقال الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- (من أنكر أن الله تعالى في السماء فقد كفر)(٣)، وسأله رجل عمن قال لاأعرف ربي في السماء أم في الأرض، فقال: قد كفر لأن الله يقول ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾(٤) وعرشه فوق سبع سموات، قيل: فإن قال إنه على العرش استوى ولكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟! قال هو كافر لأنه أنكر أن يكون في السماء لأنه تعالى في أعلى عليين وأنه تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل)(٥).

- وقال الإمام مالك بن أنس -رحمه الله- (الله في السماء وعلمه في كل مكان لايخلو منه شيء)(٦).

- وقال الإمام الشافعي -رحمه الله- (القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء) وذكر سائر الإعتقاد(٧).

-وقيل للإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته بكل مكان، قال (نعم هو على عرشه، ولايخلو شيء من

---

١) رواه الذهبي في العلو وقال رواته ثقات وقال الألباني سنده صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيحين انظر مختصر العلو ص ١٢٨، وراوه أبوالشيخ في كتابه العظمة ٦٢٦/٢ برقم ٦٤٤ وابن القيم في إجتماع الجيوش ص ١٠٢،٤٣.

٢) تقدم تخريجه ص٢٨٠

٣) روى هذا اللفظ بإسناد عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي كما في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٩/٥ ورواه الذهبي في الأربعين في دلائل التوحيد ص ٥٩ وابن القيم في إجتماع الجيوش ص ٤٧.

٤) سورة طه آية ٥.

٥) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاوى ٤٦/٥-٤٩ والذهبي في مختصر العلو ص ١٠١-١٠٢ وابن القيم في مختصر الصواعق ص ٤٤٩ وإجتماع الجيوش ص ٧٤.

٦) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٢٨٩ اللالكائي في شرح أصول إعتقاد أهل السنة ٤٠١/٣ برقم ٦٧٤ وابن عبد البر في التمهيد ١٣٨/٧ والذهبي في الأربعين ص ٥٩ وفي العلو وقد صححه الألباني في مختصره ص ١٤٠.

٧) ذكره الذهبي في مختصر العلو ص ١٧٦ وابن القيم في مختصر الصواعق ص ٤٤٨ وأبو يعلى في طبقات الحنابلة ٢٨٣/١ وابن قدامة في العلو ص ١٦٦ والآجري في الشريعة ص ٢٨٩.

علمه)[1] وقال في رده على الجهمية (أخبرنا الله أنه في السماء فقال ﴿أأمنتم من في السماء﴾[2] وقال تعالى ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾[3] فهذا خبر من الله أنه في السماء)[4].

- أما إمام الأئمة ابن خزيمة -رحمه الله- فقد كان من المتحمسين في حمل السنة حتى قال (من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه، فهو كافر يستتاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة)[5].

- وقال الإمام ابن عبد البر[6] -رحمه الله- (أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل (اي التفسير) قالوا في تأويل قوله تعالى ﴿مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ الآية[7] هو على عرشه وعلمه في كل مكان)[8].

فهذه بعض أقوال كبار الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أئمة المسلمين، تدل دلالة واضحة على أن عقيدة العلو لله تعالى على عرشه هي من صميم إعتقادهم وأصول مذهبهم ومن سار على نهجهم بإحسان، فليت من يجهل مذهبهم أو يفتري عليهم يعقل كلامهم النفيس الآنف الذكر ويعود إلى الحق قبل فوات الأوان.

---

1) أخرجه الخلال في السنة كما قال ابن القيم في إجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٢٣ وذكره أبو يعلى في طبقات الحنابلة ٤٣١/١.
2) سورة تبارك آية ١٦.
3) سورة النحل آية ٥٠.
4) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ص ٤١.
5) رواه الحاكم كما قال الذهبي في مختصر العلو ص ٢٢٥ وقال الالباني ٢٢٦ أخرجه الهروي أيضاً في ذم الكلام ١٢٤/٦ من طريق أخرى عن ابن هاني والظاهر أنه ثقة، وقال شيخ الاسلام في الحموية ص ٣١ ذكره الحاكم عن ابن خزيمة بإسناد صحيح، وكذا قال ابن القيم في مختصر الصواعق ص ٤٤٨.
6) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري الأندلسي القرطبي المالكي، كان إمام المالكية في عصره ثقة ثبتاً حافظاً، فقيهاً عابداً صاحب التصانيف الفائقة مثل التمهيد وغيره، ولد سنة (٣٦٨ هـ) وتوفي سنة (٤٦٣ هـ) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٢٨/٣ وسير أعلام النبلاء ١٥٣/٨.
7) سورة المجادلة آية ٧.
8) التمهيد لابن عبد البر ١٣٨/٧-١٣٩ وقد نقل شيخ الاسلام كلامه في الفتوى الحموية ص ٥١ وذكره الذهبي أيضاً في الأربعين ص ٦٦.

ثامناً - صفة الوجه

١- مذهب عياض في ذلك

ذهب القاضي عياض -رحمه الله- إلى تأويل صفة الوجه لله عزوجل بحجة أن المراد به ذاته ووجوده، إذ إطلاق الوجه على الله هو من باب الإستعارة والمجاز، وقد عاب على من يثبت هذه الصفة على ظاهرها ووصفه بأنه بليد محض يقول بالتشبيه والتجسيم وأنه ممن غلبت عليه العجمة فلم يفهم مقاصد اللغة العربية(١).

٢ - مناقشته في ذلك:

إن تأويل القاضي عياض معنى وجه الله بأنه ذاته لايصح في اللغة العربية من وجوه:

الوجه الأول: أنه لو لم يكن الوجه لله تعالى على حقيقته لما جاز استعمال هذا اللفظ في معنى الذات، فإن اللفظ الموضوع لمعنى لايمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصلي ثابتاً للموصوف حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه.

الوجه الثاني: أننا ندفع إعتراض من أول الوجه بمثله فنقول: أسند التقرب في الكتاب العزيز إلى الوجه مثل قوله تعالى **﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾**(٢) كما أسند البقاء للوجه أيضاً مثل قوله تعالى **﴿كُلُّ مَنْ عليها فان * ويبقى وَجْهُ ربِك ذُو الجَلالِ والإكرام﴾**(٣) ويلزم منه إرادة الذات وبقائها بدل من أن يقال أطلق الوجه وأراد الذات(٤).

الوجه الثالث: أنه قد جاء عطف الوجه على الذات في مثل قوله ﷺ

---

١) انظر منهاج العوارف ص ١٤٤ وإكمال المعلم ٣/٧١٧-٧١٨.

٢) سورة الانسان آية ٩.

٣) سورة الرحمن آية ٢٦-٢٧.

٤) انظر شرح العقيدة الواسطية الهراس ص ٥٩-٦٠.

«أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم»(١) والعطف يقتضي المغايرة(٢).

الوجه الرابع: أنه تعالى أضاف الوجه إلى الذات في مثل قوله سبحانه **﴿ويَبْقى وَجْهُ رَبِك ذو الجلال والإكرام﴾**(٣) ووصف الوجه بقوله **﴿ذو الجلال والإكرام﴾** فلو كان الوجه هو الذات لكان لفظ الوجه في الآية صلة ولقال ذي الجلال والإكرام فلما قال **﴿ذو الجلال﴾** تبين أنه وصف للوجه لا للذات وأن الوجه صفة للذات(٤).

الوجه الخامس: أنه لايعرف في أمة من الأمم أن وجه الشيء بمعنى ذاته أو الثواب ونحوه، بل الوجه في اللغة مستقبل كل شيء لأنه أول ما يواجه منه وهو في كل شيء بحسب ما يضاف إليه(٥).

الوجه السادس: أن إثبات صفة الوجه لله تعالى على مايليق بجلاله لايقتضي كونه مركباً كما يظن من أول هذه الصفة. فله سبحانه وجه ليس كوجوه خلقه لايشبهه شيء، وبهذا يسلم العبد من كل الإعتراضات السابقة ويقف مع النصوص بدون تأويل ولا تعطيل، وهذا ما يجب على المسلم أن يفعله.

الوجه السابع: جَعلُ القاضي صفة الوجه من المجاز باطل، لأنه لامجاز في اللغة كما قال المحققون من علماء أهل السنة كما سبق بيانه(٦).

٣ - بعض الأدلة على صفة الوجه لله تعالى

صفة الوجه لله تعالى من الصفات الخبرية التي لاتثبت إلا بالسمع، وقد ورد ذكرها في مواضع كثيرة من الكتاب، من ذلك قوله سبحانه **﴿كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا**

---

١) رواه أبو داود في ك الصلاة باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد ٣١٨/١ برقم ٤٦٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢١٧/٤ برقم ٤٥٩١.

٢) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٥١ وشرح العقيدة الواسطية للشيخ الفوزان ص ٥٦ والاعتقاد للبيهقي ص ٢٩.

٣) سورة الرحمن آية ٢٧.

٤) انظر الإعتقاد للبيهقي ص ٢٩ وشرح الواسطية للفوزان ص ٥٦.

٥) شرح الواسطية للشيخ الفوزان ص ٥٦.

٦) انظر ص ٦٧.

وَجْهَهُ﴾ (١) وقوله **﴿كُلُّ مَنْ عليها فان * ويبقى وَجْهُ ربِّكَ ذو الجلالِ والإكرامِ﴾** (٢) وقوله **﴿وما آتيتُم من زكاةٍ تُريدُون وَجْهَ اللهِ فأولئكَ هُمُ المُضْعِفُونَ﴾**(٣) إلى غير ذلك من الآيات.

ومن السنة قوله ﷺ «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عزوجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» متفق عليه(٤).

وقد قال جماهير السلف في تفسير قوله تعالى **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾**(٥) إن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى(٦).

ومن ذلك قوله ﷺ «اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك»(٧).

وقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً «إن الله عزوجل لاينام ولاينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور -وفي رواية النار- لو كشفه لأحرقت سُبحات(٨) وجهه ماانتهى إليه بصره من خلقه»(٩)، فإضافة السبحات والتي هي الجلال والنور إلى الوجه وإضافة البصر إليه تعالى تبطل كل مجاز، وتبين أن المراد به وجهه تعالى حقيقة والذي هو صفة من صفاته كما يعتقد ذلك أهل الحق

---

١) سورة القصص آية ٨٨.

٢) سورة الرحمن آية ٢٦-٢٧.

٣) سورة الروم آية ٣٩.

٤) رواه البخاري في ك التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ٤٣٣/١٣ برقم ٧٤٤٤ ومسلم في ك الايمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ١٦٣/١ برقم ١٨٠.

٥) سورة يونس آية ٢٦.

٦) انظر الرد على بشرالمريسي للدارمي ص ١٦١-١٦٢ والتوحيد لابن خزيمة ص ١٨٢-١٨٤ والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد ٥١/١-٥٢ والشريعة للآجري ص ٢٥٢ والتمهيد ١٥٧/٧ وتفسير ابن كثير ٤١٤/٣ وتفسيرالبغوي ٣٥١/٢ وفتح القدير ٤٤١/٢.

٧) رواه أحمد ١٩١/٥.

٨) بضم السين والباء أي أنواره وجلاله وعظمته، وقيل محاسنه لانك إذا رأيت الحسن الوجه قلت سبحان الله، وقيل تنزيه له سبحانه أي سبحان وجهه انظر لسان العرب ٣٠١/٣ وشرح النووي لصحيح مسلم ١٤/٣.

٩) رواه مسلم في ك الايمان باب (٧٩) ١٦١/١-١٩٢ برقم ١٧٩ وأحمد ٣٩٥/٤ و٤٠١، ٤٠٥ وابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية ٧١/١ برقم ١٩٥.

السلف الصالح ومن سار على نهجهم(١).

تاسعاً - صفة العينين

ذهب القاضي عياض إلى تأويل صفة العينين بالحفظ والكلاءة والمشاهدة والنظر(٢).

والرد عليه في ذلك يشابه الردود السابقة في الكلام عن بقية الصفات، وهو القول أننا نثبت لله تعالى صفة العينين على مايليق بجلاله كما أثبت هو ذلك، من غير تحريف ولاتشبيه ولا تمثيل لأنه لايستلزم إتصاف الله بهذه الصفة أو بغيرها من الصفات الثابتة من الكتاب والسنة أي مشابهة للخلق به، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً كما قال سبحانه ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾(٣).

وأما تأويل القاضي عياض لصفة العينين بأن المراد بهما الحفظ والكلاءة والمشاهدة والنظر فهذا لايصح، لأنه تعالى يقول عن سفينة نوح عليه السلام ﴿**تجري بأعيننا**﴾(٤) ويقول مخاطباً موسى عليه السلام ﴿**وَلِتُصْنَعَ على عيني**﴾(٥) ومعلوم أنه سبحانه كان يرى موسى ويشاهده ويكلؤه قبل هذه الحالة، وهو يحفظ عزوجل السفينة ويكلؤها ومن فيها قبل هذه الحالة، كما في قوله تعالى ﴿**قلْ مَنْ يَكْلَؤُكُم باللّيلِ والنهارِ مِنَ الرحمن**(٦)﴾(٧).

ومما يؤكد أن المراد بالعينين حقيقة، قوله ﷺ في وصف الدجال ومحذراً أمته منه «ما من نبي إلا وحذر قومه الأعور(٨) الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه ك ف ر»(٩)، فهذا الحديث يدل أن صفة العينين

---

١) انظر الإبانة ص ١٢٠ والتوحيد لابن خزيمة ص ١٩، ٧٥ والتوحيد لابن منده ٣٦/٣ والإعتقاد للبيهقي ص ٢٩ ومختصر الصواعق ص ٣٥٣ وشرح الواسطية للفوزان ص ٥٥.

٢) انظر منهاج العوارف ص ١٠١.

٣) سورة الشورى آية ١١.

٤) سورة القمر آية ١٤.

٥) سورة طه آية ٣٩.

٦) سورة الأنبياء آية ٤٢.

٧) انظر المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى ص ٥١.

٨) العور ذهاب حس أحدى العينين، يقال عورت عينه إذا ذهب بصرها انظر لسان العرب ٢٩٠/٦ والقاموس المحيط ٥٧٣.

٩) رواه البخاري في ك التوحيد باب قوله تعالى ﴿ولتصنع على عيني﴾ ٤٠١/١٣ برقم ٧٤٠٨، ومسلم في ك الفتن باب ذكر الدجال ٢٢٤٧/٤ برقم ٢٩٣٣ وأحمد ٢٢٨/٣، ٣٨/٥، ٢٢١.

لله تعالى حقيقية وأنها من صفاته عزوجل لأنه ﷺ نفى نقص العور عن الله وأثبتها للدجال(١).

فإن قال قائل ممن يدعي الظاهر: على أي شيء أعتمدتم في إثبات العينين لله تعالى وكل ماورد في النص إنما هو إثبات العين والأعين فقط؟! فالجواب: أننا نقول إنما اعتمدنا في ذلك على ماورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فقد جاء في القرآن إثبات الأعين بالجمع والعين بالإفراد، وعلى هذا قلنا بإثبات العينين لأن ذلك جائز في لغة العرب، فيعبر بها عن الأثنين بلفظ الجمع كما في قوله تعالى ﴿إِنْ تَتُوبا إِلى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾(٢) والمراد قلباكما، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين، كما يقال رأيت بعيني وسمعت بأذني والمراد عيناي وأذناي(٣)، وحيث صح هذا في لغة العرب وجاء في السنة النبوية مايثبت العينين لله، حملنا ماورد بإثبات المفرد أو المجموع على التثنية، والذي ورد في السنة قول الرسول ﷺ في الحديث السابق «إن ربكم ليس بأعور» فالنقص منفي عن الله تبارك وتعالى، والعور في المخلوق نقص بلا خلاف، ولا أحد ينكر أن كل كمال اتصف به المخلوق وأمكن أن يتصف الله به فهو تعالى أولى بالإتصاف به من كل مخلوق، وكل نقص تنزه عن المخلوق فالخالق تعالى أحق بالتنزه عنه وأولى ببراءته منه، كما تقرر معنا في أكثر من موضع.

فإثبات صفة العينين لله تعالى على مايليق به هو مذهب السلف الصالح كما حكى ذلك عنهم غير واحد من أئمة السلف(٤).

عاشراً - صفة اليدين

١ - مذهب القاضي عياض في ذلك

ذهب القاضي عياض -غفر الله له- إلى تأويل صفة اليدين، وردّ على من جعلها صفة لله تعالى بقوله، لايجوز إطلاق ذلك لأن اليدين جارحتان لايليق أن يوصف بهما إلا مخلوق محدود، إذ الله تعالى منزه عن ذلك، وقال اليد تقع في لغة

---

١) انظر الاعتقاد للبيهقي ص ٣٠-٣١.

٢) سورة التحريم آية ٤.

٣) انظر مختصر الصواعق ص ٣٢ والتفسير القيم لابن القيم ص ٤٩٥ وشرح الواسطية الهراس ص ٦٢-٦٣.

٤) انظر مقالات الإسلاميين ١/٢٨٥، ٢٩٠، ٣٤٥ والإبانة ص ١٢١ وكتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٤٢ ومجموع فتاوى شيخ لاسلام ٣/١٢٩، ١٣٣، ٥/٤٤، ٩٠، ٩٢ والمعتمد في أصول الدين ص ٥١ وغيرها.

العرب على القدرة والنعمة وعلى الملك، لكن حملها على القدرة هنا بعيد لأن كل شيء بقدرته تعالى، ولكن لايبعد أن يرد هذا ومثله في كلام العرب على طريق التأكيد والبيان، أو يكون إختصاص ذكر الجنة في قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى «غرست كرامتهم بيدي»(١) عن أهل الجنة أي بقدرتي لأنه تعالى خلقها إبتداء دون واسطة بقدرته وأنشأها بقوله كن بخلاف غيرها من الجنات التي في الدنيا التي خلقها وأظهرها بوسائط ومقدمات وجعل لها غرساً وأسباباً ومناقل وكل بقدرته وإرادته، فخص هذه بالقدرة لإبرازها بها دون واسطة واستعار لذلك اسم الغراسة وأضافها إلى نفسه إذ لم يكن لها غارس سوى قدرته ومثله يتأول في قوله تعالى لإبليس ﴿**مامَنَعَكَ أن تَسْجُدَ لما خَلَقْتُ بِيَدِيَّ**﴾ (٢) وقوله ﷺ في حديث إحتجاج آدم وموسى «خلقك الله بيده»(٣) أي إبتداء دون أب ولا أم كما جرى العادة في خلق غيره، وقوله ﷺ «خلقك بيده» يبين أنه بمعنى (خلقت بيدي) وأن اليد واليدين هنا واحد، فإن العرب تأتي بالجمع والتثنية كثيراً بمعنى الواحد، وأما تأويل اليد بمعنى النعمة في حديث «غرست كرامتهم بيدي» فلايجوز إلا على تأويل أن تكون الباء بمعنى اللام أي لنعمتي، وهو هنا بيّن المعنى أي لنعمتي التي أعددتها لهم وادخرتها(٤).

مناقشته والرد عليه:

إن ماذهب إليه القاضي عياض من منع لإطلاق صفة اليدين على الله تعالى باطل من وجوه عديدة منها:

الوجه الأول: أن إثبات يدين لله تعالى على مايليق بجلاله ليس مما قلناه من عند أنفسنا، بل هو ثابت بنص الكتاب والسنة ولا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد أعلم به تعالى بعده مثل رسوله ﷺ، وليس في إثباتها لله على الوجه اللائق به أي مشابهة بخلقه، فكما أن له تعالى ذات تليق بجلاله، فله أيضاً صفات تليق به ومنها اليدان، وكذلك للمخلوق ذات وصفات تليقان به ولامشابهة بين الخالق والمخلوق.

---

١) رواه مسلم في ك الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٧٦/١ برقم ٣١٢.
٢) سورة ص آية ٧٥.
٣) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه ص ١٣٨.
٤) أكمال المعلم ٨٦٩/٣-٨٧٠.

الوجه الثاني: أن تأويله لمعنى اليد بالقدرة والنعمة والملك، مما لامستند له في اللغة، لأن اليدين ثنيتا وأضيفتا إلى الباري عزوجل، ومعلوم أن ذلك يمنع حملها على القدرة والملك والنعمة، لأنه ليس لتخصيص التثنية في نعم الله ولا قدرته معنى صحيح، فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى، فكيف وقد دخلت عليها الباء؟! فكيف وقد ثنيتا؟!(١).

الوجه الثالث: أن لفظ اليدين بالتثنية لم يعرف إستعماله إلا في اليد الحقيقية، ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة فإنه لايسوغ أن يقال خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين، على أنه لايجوز إطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرها إلا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة،ولذلك لايقال للريح ولا للماء يد(٢).

الوجه الرابع: أنه مما يمنع حمل اليد على القدرة أو الملك أو النعمة، ماورد من إثبات اليمين والشمال والكف والأصابع والبسط وغير ذلك مما لايكون إلا لليد الحقيقية(٣).

الوجه الخامس: أن الله تعالى ذكر مقالة اليهود -قبحهم الله- ووصفهم إياه بأن يده مغلولة، أي ممسكة عن الإنفاق -وحاشاه ذلك- ثم أثبت لنفسه عكس ماقالوا، فقال **﴿وقالت اليهود يدُ الله مغلولةٌ غلت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾**(٤) فلو لم يكن لله يدان على الحقيقة فهل يحسن هذا التعبير؟! ألا شاهت وجوه المؤولين.

الوجه السادس: أنه لايبعد في العقل أن يتصف الله بصفة اليدين كما لم يبعد أن يتصف بصفة الكلام والسمع والبصر والإرادة وغير ذلك من الصفات التي أثبتها عياض وغيره من الأشاعرة، إذ إثبات بعض الصفات مستلزم لاثبات البعض الآخر لأن المتصف بها واحد وهو الله سبحانه.

---

١) انظر الإعتقاد ص ٤١ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٦/٦٥ ومختصر الصواعق ص ٢٧.

٢) انظر الابانة للأشعري ص ١٣٣-١٣٥ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٦/٣٦٣ وشرح الواسطية للهراس ص ٦٢.

٣) المراجع السابقة.

٤) سورة المائدة آية ٦٤.

الوجه السابع: لو لم يجز أن يوصف الله بهذه الصفة لما امتلأت نصوص الكتاب والسنة بذكر اليدين في معرض الثناء على الله تعالى، ثم لما ترك تبيان ذلك من رسول الله ﷺ ولا الصحابه ولا التابعين ومن جاء بعدهم بإحسان، حتى يأتي من ضل عن سواء السبيل من الجهمية والأشاعرة وغيرهم فيقولون معناها غير مراد، فهل هم أعلم بالله من رسول الله ﷺ وصحابته وسلف هذه الأمة؟[1] كلا وألف لا.

الوجه الثامن: زعم القاضي عياض أن معنى خلق الله آدم بيده أي خلقه إبتداء بدون أب ولا أم، مردود عليه لأنه لو لم يكن لهذا النبي عليه السلام فضل ومزية لما أسجد الله تعالى الملائكة له، ولما منعهم من التكبر عليه، ولما رفض إبليس السجود له حسداً منه، فلو كان تعالى خلق آدم بقدرته لشاركه إبليس وجميع المخلوقات بذلك، ثم من العجب العجاب أن يخبر الله -وهو أصدق القائلين- أنه خلق آدم بيديه، ثم يقال بعد ذلك لا لم يخلقه بيده، أليس هذا رداً للنصوص وضرباً بها عرض الحائط والعياذ بالله؟!

الوجه التاسع: زعم القاضي عياض أن معنى خلق الله الجنة بيده وتأويله لذلك بأن المراد هو خلقها بدون واسطة بقوله كن، هذا الزعم في غاية البطلان إذ لو لم يكن لخلق الله الجنة للمتقين بيده فضل ومزية فما الفائدة من ذكر اليد في النصوص؟! ألا تكون مستوية في خلقها مع جميع المخلوقات، أما تخصيص أبي الفضل -غفر الله له- خلق الجنة بقوله تعالى (كن) ورده أن تكون مخلوقة بيد الله، فهو أمر غريب جداً منه وقول بلا دليل بل بخلاف الدليل، لأن النصوص الصريحة الصحيحة دلت على أن جنة عدن خلقت بيد الرحمن وأنه سبحانه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون كما قال سبحانه **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾**[2].

ثم إنه لم يرد في النصوص الشرعية مايدل على أن الله خلق شيئاً بيده سوى ثلاثة أمور كما قال بعض السلف: (إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً، خلق آدم

---

1) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٦٩/٦.

2) سورة يس آية ٨٢.

بيده، وغرس جنة الفردوس، بيده وكتب التوراة بيده)(1).

ولقد عجبت من تأويل القاضي عياض لحديث "غرست كرامتهم بيدي" حيث جعل الباء في اليد بمعنى اللام، على معنى النعمة فيصير المعنى لنعمتي التي أعددتها لهم -كما قال- مدعياً أن هذا المعنى واضح بيّن، والجواب عن هذا التأويل أنه ظاهر الفساد، إذ فيه ليّ لأعناق النصوص وفتح لباب التأويل، والقول في الشرع بلا علم، وفتح ذلك على مصراعيه، فليحذر المسلم من هذا كثيراً.

الوجه العاشر: أما الجواب عما زعمه القاضي عياض من أن اليد تأتي بالجمع والتثنية بمعنى واحد هكذا بدون تقييد، فيقال فيه -كما نبه على ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله- من أن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع، مفرداً ومثنى ومجموعاً، فالمفرد كقوله تعالى **﴿تبارك الذي بيده الملك﴾** (٢) والمثنى كقوله تعالى **﴿لما خلقتُ بيديّ﴾**(٣) والمجموع كقوله **﴿عملتْ أيدينا﴾**(٤) فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد وعدّى الفعل بالباء إليهما فقال **﴿خلقت بيديّ﴾**، وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ولم يعدّ بالباء، فهذه ثلاثة فروق فلا يحتمل **﴿لما خلقت بيدي﴾** من التأويل ما يحتمله **﴿عملت أيدينا﴾** فإن كل أحد يفهم من قوله عملت أيدينا ما يفهمه من قوله عملنا وخلقنا، كما يفهم ذلك من قوله تعالى **﴿فبما كسبت أيديكم﴾** (٥)، وأما قوله **﴿خلقت بيدي﴾** فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى، فكيف وقد دخلت الباء فكيف إذا أثنيت؟!

وسر الفرق أن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد، والمراد الإضافة إليه كقوله تعالى **﴿ذلك بما قدمت يداك﴾**(٦) وقوله **﴿فبما كسبت أيديكم﴾**، وأما إذا أضيف الفعل ثم عدى بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو مما باشرته

---

١) ذكره الدارمي في رده على بشر المريسي ص ٣٥ عن ابن عمر، وميسرة رضي الله عنهما وكذا ابن القيم في مختصر الصواعق ص ٢٨.

٢) سورة تبارك آية ١.

٣) سورة ص آية ٧٥.

٤) سورة يس آية ٧١.

٥) سورة الشورى آية ٣٠.

٦) سورة الحج آية ١٠.

يـــد(١). وهكذا يظهر أن أي تأويل لهذه الصفة باطل ولله الحمد.

الوجه الحادي عشر: أن سلف هذه الأمة -رحمهم الله- قد اجمعوا على إثبات اليدين لله تعالى كما يليق بجلاله بدون أن يتعسفوا بمثل هذه التأويلات البعيدة مما ذكرها القاضي عياض وغيره. وقد وافق مذهب السلف في ذلك بعض كبار الأشاعرة كالجويني(٢) وغيره.

وكل خير في إتباع من سلف   وكل شر في إبتداع من خلف

٣- بعض النصوص الدالة على إثبات صفة اليدين لله تعالى

لقد دل على إثبات صفة اليدين لله تعالى نصوص كثيرة من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب العزيز قوله تعالى ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾(٣)، وقوله أيضاً ﴿**قال ياإبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾(٤) في حديثه عن آدم عليه السلام، وقوله عزوجل كذلك ﴿**بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾(٥) وقوله ﴿**أوَلَمْ يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون**﴾(٦) إلى غير ذلك من الآيات.

ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»(٧)، وقوله ﷺ في إحتجاج آدم وموسى «احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج آدم موسى فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه... الحديث»(٨) وقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده

---

١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٧-٢٨.

٢) انظر الرد على المريسي للدارمي ص ٢٥-٤٠ والتوحيد لابن خزيمة ١١٨/١ والإبانة للأشعري ص ١٢٥-١٢٨ وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٤-٥ والتوحيد لابن منده ٨٨/٣-١٠٦ والاعتقاد للبيهقي ٤٠-٤١ وإبطال التأويلات ١٦٨/١١-١٦٩ والارشاد للجويني ص ١٤٦ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨٧/٥-٨٩، ٣٦٢/٦-٣٧٣ ومختصر الصواعق ٢٦-٢٧، ٣٢٢.

٣) سورة الفتح آية ١٠.

٤) سورة ص آية ٧٥.

٥) سورة المائدة آية ٦٣.

٦) سورة يس آية ٧١.

٧) رواه مسلم في ك الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ١٤٥٨/٣ برقم ١٨٢٧.

٨) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص ١٣٨.

بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(١).

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على إتصاف الله بهذه الصفة العظيمة والتي في إثباتها كمال لله لأنها كمال في حق المخلوق،وكل كمال إتصف به المخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق فهو تعالى أحق به كما هو مقرر في مذهب أهل السنة والجماعة.

حادي عشر - صفة الأصابع:

هذه الصفة من الصفات الذاتية الثابتة لله عزوجل بالسنة الصحيحة الصريحة، وقد أورد القاضي عياض حديثين بهذا الشأن وأوّلهما تأويلا بعيداً.

الحديث الأول: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ اللهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك»(٢).

الحديث الثاني : حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- الذي ورد بروايات متعددة كلها صحيحة وهو أن حبراً من أحبار اليهود جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله جعل السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال والشجر على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيهزهن فيقول أنا الملك، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول اليهودي ثم قرأ ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضتُه يوم القيامة والسمواتُ مطوياتٌ بيمينه**﴾(٣) متفق عليه(٤).

١ - موقف القاضي عياض من هذه الصفة

إن هذين الحديثين هما مدار كلام القاضي عياض حول هذه القضية، وقد زعم أنهما من الأخبار المجمع على تأويلها، لأنهما من قبيل المجاز والإستعارة والتشبيه المعروف على لسان العرب -على حد زعمه-، وقد أوّل الحديث الأول بتأويلين: أحدهما : أن المقصود منه هو أن القلب محل للإلقاء والإرادات

---

١) رواه مسلم وغيره وقد تقدم تخريجه ص١٧٧.

٢) رواه مسلم في ك القدر باب تصريف القلوب ٢٠٤٥/٤ برقم ٢٦٥٤.

٣) سورة الزمر آية ٦٧.

٤) رواه البخاري في ك التوحيد ٤٠٥/١٣، ومسلم في ك صفات المنافقين باب صفة القيامة والجنة والنار ٢١٤٧/٤ برقم ٢٧٨٦.

والخواطر والتصريف الغيبي، فأشار ﷺ بقوله «بين اصبعين» إلى روح الأصبع الذي هو التصريف والإلقاء، وخص القلب لأنه رئيس الجسد، وحركات الجوارح كلها تابعة له منبعثة عنه وبحسب واسطته يتصرف، فنبّه على الأصل فيتبعه كل مايتعلق به ويتأثر بإنفعاله.

التأويل الثاني: أن المراد بالأصبع النعمة، وثنّيت لأن المراد بهما النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة، وقال هناك تأويلات أخرى لهذا الحديث لكن أحسنها ماذكرت(١).

أما موقفه من الحديث الثاني فقد تعددت تأويلاته له وتتلخص في الآتي:

أولا: أن ذكر الأصابع في الحديث إنما هو من قول اليهودي وليس من قول النبي ﷺ فلا نأخذ به.

ثانياً: قال: إن إثبات اليهودي لهذه الصفة قائم على إعتقاد الجسمية لله، لأن اليهود مجسمون بدليل قولهم كما حكى الله عنهم **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾**(٢).

ثالثاً: قال إن النبي ﷺ لم ينطق بما يدل على تصديق الحبر اليهودي، وضحكه عليه السلام ليس تصديقاً لقول الحبر، بل هو تعجب منه واستعظام لذلك، ومراده عليه الصلاة والسلام أن الله لايَعْظم عليه شيء في ملكه لأنه قادر على كل شيء إذ كل شيء هين عليه سبحانه.

رابعاً: أنه يجوز أن يكون المراد بالأصبع الذي أشار إليه اليهودي أصبع بعض خلقه، بدليل أن اليهودي ذكره مطلقاً منكراً ولم يخصصه (٣). قلت فعلى ذلك يكون مضمون كلامه أن إثبات صفة الأصابع لله ليس من عقيدة المسلمين بل هو من عقيدة اليهود.

٢- مناقشته والرد عليه

إن موقف التأويل والتحريف الذي اتخذه القاضي عياض تجاه هذين الحديثين بالغ الخطورة كما لايخفى، وإن المبررات والشبه والتأويلات التي اعتمد عليها لصرف هذه الصفة عن حقيقتها هي بحمد الله ضعيفة داحضة لا تقوى على مقاومة، وأبدأ بالرد عليها في كل نقطة على حدة.

---

١) انظر منهاج العوارف ص ٩٧ وإكمال المعلم ٦/٦٥،٩٩.
٢) سورة التوبة آية ٣٠.
٣) انظر منهاج العوارف ص ٩٨-٩٩.

أولا: زعم القاضي عياض أن تأويل صفة الأصابع مما أجمع عليه أهل العلم لأنه من قبيل المجاز،فالجواب عنه أن يقال: أين هذا الإجماع المزعوم؟! أهو إجماع المتكلمين نفاة الصفات الذين ضلوا في باب العقيدة؟! أم إنه إجماع السلف الصالح الذين أمرنا بالسير على نهجهم؟! إن أراد أبو الفضل إجماع المتكلمين فذلك جائز، لأن هذا ليس غريباً عليهم، فهم قد أولوا النصوص على مزاجهم وكما تخيلته عقولهم القاصرة، فأثبوا ما أرادوا وردوا مالم يوافقهم، أما السلف الصالح وأتباعهم بإحسان فقد أثبتوا جميع ما أثبته الله لنفسه من الصفات وما أثبته له رسوله على ما يليق بجلاله تعالى ومنها صفة الأصابع، وأقوالهم في هذا الشأن لاتخفى. وأما قوله إن ورود هذه الصفة إنما هو من باب المجاز فهو مردود عليه، لأنه لاضرورة للمجاز ولا أصل له في دين الله ولا في لغة القرآن، بل هو مما ابتدعه الجهمية ومن سلك سبيلهم من مؤولة الصفات.

ثانياً: أما تأويله للحديث الأول وإدعاؤه بأن المقصود به هو التنبيه على أن القلب هو محل للإلقاء والإرادات ... الخ فهذا بعيد جداً ومرفوض، فإن الدلائل والنصوص الشرعية -وخاصة فيما يتعلق بالباري تعالى- تكون واضحة جلية لاتأويل فيها ولا مجاز، إذ ما الداعي لمثل هذا التأويل البعيد، ألا يكفي في التنبيه على إن القلب هو محل الصلاح والفساد والإرادات والخواطر وما إلى ذلك من معاني الحديث الصحيح الصريح وهو قوله ﷺ «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(١)، ثم مَنْ قال إن الرسول ﷺ أراد روح الأصبع؟ أليس هذا قولا على الله بغير علم وتقولا على رسول الله ﷺ وتحريفاً للكلم عن مواضعه؟!.

ثالثاً: إن تحسينه للرأي الثاني وهو أن المراد بالأصبع النعمة الظاهرة والباطنة وقد ثنيت لذلك كما قال، إنما هو تقليد للأشاعرة ومنهم ابن فورك الذي

---

١) رواه البخاري في ك الايمان باب فضل من استبرأ لدينه ١/١٢٦ برقم ٥٢ ومسلم في ك المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/١٢١٩-١٢٢٠ برقم ١٥٩٩.

شرح كتابه فإن ابن فورك قد قال هذا الكلام بعينه(١)، وهذا التأويل أبطل من سابقه والحديث نفسه رد عليهم، فإنه قد جاء في حديث آخر عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان يكثر في دعائه فيقول «يا مقلب القلوب ثبّتْ قلبي على دينك» فقالت له: أو تخاف على نفسك يا رسول الله؟ أو ما أكثر ماتدعو بهذا الدعاء!! فأجابها بقوله «إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»(٢) فإن كان القلب عند هؤلاء بين نعمتين من نعم الله -ظاهرة وباطنة- كما قالوا، فهو محفوظ بهما فلأي شيئ دعا عليه الصلاة والسلام بالتثبيت إذاً؟! ولم احتج على زوجته التي قالت له (أتخاف على نفسك) بما يؤكد قولها وكان ينبغي أن لايخاف إذا كان القلب محروساً بنعمتين كما زعم هؤلاء(٣).

رابعاً: أما قوله في تأويله للحديث الثاني إن ذكر الأصابع إنما هو من قول اليهودي، فالجواب عنه أن يقال إن هذا الأمر صحيح ولكن رسول الله ﷺ أقره على ذلك وإقراره دليل على صحة هذه العقيدة، إذ لو لم يكن لله تعالى أصابع تليق به لأنكر عليه رسول الله ﷺ أشد الإنكار، لأن الأمر يتعلق بصميم العقيدة وبما يخص الباري جل جلاله، ومما يؤكد صحة نسبة هذه الصفة لله تعالى ما أخبر به عليه الصلاة والسلام في أحاديث أخرى صحيحة من أن لله أصابع فجاء قول اليهودي صادقاً ومؤكداً لذلك.

خامساً: أما زعم القاضي عياض وغيره بأن اليهودي قد أثبت هذه الصفة بناء على اعتقاد التجسيم لله تعالى كما هو مذهب اليهود، فالجواب عنه أن يقال: إننا لانبرئ اليهود من الباطل، ولكن نقول إن الحق يجب أن يقبل ممن قاله سواء كان من اليهود أو من غيرهم، فاليهودي قال حقاً وأقره رسول الله ﷺ وهو الذي لايقر على الباطل، ثم إن اليهودي لم يبين هذه الألفاظ التي تدخل في باب التجسيم في هذا الحديث فكيف نقول إنه أراده بقوله؟!.

---

١) انظر مشكل الحديث لابن فورك ص ٢٣٩.

٢) رواه أحمد ٩١/٦ وابن أبي عاصم في السنة ١٠٤/١ برقم ٢٣٣ وأبو داود في ك الأدب باب في الرحمة ٢٣١/٥ برقم ٤٩٤١، والترمذي في ك البر والصلة باب ماجاء في رحمة المسلمين ٢٨٥/٤ برقم ١٩٢٤، وصححه الألباني في شرح السنة ١٠١/١ وصحيح الجامع ١٨٢/٣ برقم ٣٥١٦.

٣) انظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٤١ ورد الدارمي علي بشر المريسي ص ٥٩-٦٠.

ولكن الحقيقة أن الأشاعرة ومن سلك مسلكهم -كالقاضي عياض غفر الله له- يظنون أن من يثبت لله الصفات التي ينكرونها هم أو يؤولونها يظنونه مشبهاً ولو كان متمسكاً بالكتاب والسنة، لأن مذهبهم أن من يثبت لله تعالى اليدين والأصابع والعينين وغيرها من الصفات التي يؤولها القوم يكون مشبهاً في نظرهم(١).

سادساً: قول القاضي عياض إن رسول الله لم ينطق بما يدل على تصديق الحبر اليهودي مردود عليه بنفس الحديث ولله الحمد، فقد قال راوي الحديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول اليهودي، ثم قرأ قوله تعالى **﴿وما قدروا الله حق قدره والأرضُ جميعاً قبضتُه يوم القيامة﴾**(٢)، فهو رضي الله عنه يخبر عن حال رسول الله ﷺ من أنه صدق اليهودي فيما قال وضحك حتى بدت نواجذه، فهل من ينكر هذه الصفة هو أعلم بحال رسول الله ﷺ وأحرص على العقيدة من الصحابة -رضي الله عنهم- ومنهم ابن مسعود؟!

ومن جهة أخرى فإن رسول الله ﷺ لم ينطق بما يصدق قول الحبر ولكنه قد حصل منه ﷺ مايدل على التصديق مما هو أبلغ من النطق، وهو سروره بقول اليهودي ذاك وابتهاجه بالحق الذي أجراه الله على لسانه، ولذلك ضحك ضحكاً بدت منه أواخر سنانه ﷺ، ولو لم يكن ماجاء به هذا اليهودي حقاً بل جرأة على وصف الله تعالى بما لايليق به عزوجل لما كان هذا الموقف من أغير الناس على دين الله وحرماته، بل لحدث ضد الضحك، ولتمعر وجهه ولغضب غضباً شديداً، ولزجر اليهودي ولبين كذبه فيما قال، خاصة وأن قول ذلك الحبر يمس صميم العقيدة لأنه يتعلق بذات الله.

ولله در إمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة -رحمه الله- عندما وصف من يظن هذا الأمر برسول الله ﷺ -وهو ضحكه للإنكار أو للتعجب وليس للتصديق كما زعم هؤلاء- فبين أن ذلك ينافي الايمان والتصديق برسالة النبي ﷺ وفي ذلك يقول (وقد أجَلَّ الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق الباريء بحضرته بما ليس من صفاته فيسمعه فيضحك عنده ويجعل بدل وجوب النكر والغضب على المتكلم به ضحكاً تبدو نواجذه تصديقاً وتعجباً لقائله، لايصف النبي ﷺ بهذه

---

١) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لشيخنا الجليل عبد الله الغنيمان ٣٢٤/١-٣٢٥.

٢) سورة الزمر آية ٦٧.

الصفة مؤمن مصدق برسالته)(١).

وهكذا يتضح بطلان الزعم بأن رسول الله ﷺ ضحك إنكاراً أو تعجيباً واستعظاماً لقول اليهود كما زعمت الأشاعرة ومنهم القاضي عياض، فإن ما يقوله هؤلاء إنما هو قلب للحقائق حتى تسلم عقيدتهم من معاول النصوص التي تأتي على أساسها بالإقتلاع، ولو استطاع كثير من هؤلاء الرد على الله ورسوله ﷺ لفعلوا، ولكن كما قال الله تعالى ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**(٢) ﴾(٣) لأن رسول الله ﷺ قد أقر اليهودي على مقولته تلك ومن المعلوم أن الإقرار أحد أنواع السنة التي يجب العمل بها.

فإثبات صفة الأصابع لله تعالى على مايليق به ليس من عقيدة اليهود -كما ظن المؤولون للصفات- إذ ما المانع أن تتفق اليهودية مع الإسلام في بعض العقائد التي سلمت من التحريف في دينهم، لأن عقيدة الإسلام واحدة في كل الشرائع كما هو معلوم، والذي قاله اليهودي هو مما سلم من التحريف عندهم.

سابعاً: أما تجويز أن يكون الأصبع هو أصبع بعض خلق الله كما قال عياض بزعم أن ذكر الأصبع جاء مطلقاً منكراً فهو أيضاً مما قلد به ابن فورك(٤) الأشعري، والجواب عنه أن يقال: كيف يجوز أن يراد بالأصبع أصبع بعض خلقه تعالى، واليهودي ابتدأ قوله إن الله يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع... الخ فالضمير يعود على لفظ الجلالة (الله) لاغير والسياق يدل عليه، ثم لو جاز أن يكون أصبع بعض خلقه -كما زعموا- فهل يجوز أن يقول هذا المخلوق كائناً من كان «أنا الملك أين ملوك الأرض؟!» بل وهل يستطيع أن يحمل الأرض والجبال والشجر والخلائق أحد غير الله؟! ألم يقل الله تعالى ﴿**إن الله يُمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده**﴾(٥)، بل إن قول اليهودي يمسك الخلائق على أصبع، رد عليهم لأنه صرح بأن الذي يمسك السموات والأرض ... الخ هو الخالق وليس بعض مخلوقاته -كما زعم هؤلاء- تعالى الله عما يقولون علواً

---

١) التوحيد لابن خزيمة ١٠٥/١ وانظر كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١٤٧/٣.

٢) سورة الانبياء آية ١٨.

٣) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ الغنيمان ٣٢٥/١.

٤) انظر مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ص ٢٤١.

٥) سورة فاطر آية ٤١.

كبيراً، فهل هؤلاء يدعون أنهم أعلم بالله وما يليق به من رسوله ﷺ؟! أو من أصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان ؟!

حقاً إن المرء ليحتار من هؤلاء المؤولة للصفات، -ومنهم القاضي عياض- ولايدري بم يفسر ذلك إلا أنه يزداد إيماناً بأن كل من ترك مذهب السلف وأول النصوص الصحيحة، فإنه لابد متناقض وبعيد عن الحق الذي عليه رسول الله وصحابته الكرام بقدر بعده عن ذلك، إذ ما يضير العبد أن يثبت لله تعالى أصابع تليق بجلاله وعظمته، ليست بجوارح ولا أعضاء وكما يتوهم القوم، لأن الجوارح والأعضاء من صفات الأجسام المخلوقة وهي لاتكون إلا مركبة فهي مفتقرة، أما الله تعالى فإنه غني عن العالمين منزه عن كل نقص، وبذلك يسلم للمرء دينه وإسلامه لأنه يثبت ما أثبت الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل كما هو مذهب السلف الصالح رحمهم الله.

ثاني عشر- صفة الساق

١- **اختلاف الناس فيها:** هذه الصفة من الصفات التي وقع فيها الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم وذلك لأنها وردت منكرة في كتاب الله قال عزوجل **﴿يوم يُكشفُ عن ساقٍ ويُدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾**(١) فهذا التنكير هو الذي جعل الصحابة -رضي الله عنهم- يختلفون في المراد (بالساق) هل هو صفة من الصفات كالوجه واليدين والقدم، أم أن له معنى آخر. يقول شيخ الإسلام ابن تيمة -رحمه الله- (لقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة -رضي الله عنهم- وما رووه من الأحاديث ووقفت على أكثر من مائة تفسير فلم أجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات أو أحاديثها بخلاف مقتضاها المعروف، إلا في مثل قوله تعالى **﴿يوم يُكشف عن ساق ويُدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾**(٢)، فروى عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة، أي أن الله يكشف الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد الخدري وطائفة أنهم عدوها في الصفات للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين، قال ولا ريب أن ظاهر القرآن لايدل على أن هذا من الصفات فإنه قال **﴿يوم يكشف عن ساق﴾** نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله ولم يقل عن

---

١) سورة القلم آية ٤٢.

٢) سورة القلم آية ٤٢.

ساقه)(١). وقال أيضاً: (والذين جعلوا الساق من صفات الله أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن وهو حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- المخرج في الصحيحين قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً...)(٢).

وقد يقال إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود والسجود لايصلح إلا لله، فعلم أن الله تعالى هو الكاشف عن ساقه، وأيضاً فحمل ذلك على الشدة لايصلح لأن المستعمل في الشدة أن يقال كشف الله الشدة أي أزالها كما قال تعالى **﴿ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجُّوا في طغيانهم يعمهون﴾**(٣) ولفظ الآية **﴿يكشف عن ساق﴾** وهذا يراد به الإظهار والإبانة، وأيضاً هناك تحدث الشدة لإزالتها فلا تكشف الشدة يوم القيامة، ولكن دلالة القرآن ليست ظاهرة على صفة الساق بل بالتركيب والسياق وتدبر المعنى والمقصود(٤).

الراجح في المسألة: والراجح في المسألة أن الساق صفة من الصفات الذاتية التي تليق بجلال الله وإن لم ترد مضافة إلى الله في القرآن الكريم، إلا أن سياق الآية لمن تدبرها يدل على أن الساق صفة من صفات الله، وقد جاء الأمر بالسجود بعدها وهو لايصلح إلا لله كما وضح شيخ الإسلام آنفاً، وقد رجح الإمام ابن القيم -رحمه الله- أن تنكيرها في القرآن جاء للتفخيم والتعظيم، وقد جاء الحديث المتفق عليه موضحاً هذه الآية فيصير معناها يوم يكشف الله لعباده عن ساقه فيدعون إلى السجود، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله مخلصين له في الدنيا، وأما المنافقون المراؤون الذين كانوا يسجدون رياءً وسمعة فلا يستطيعون إذ تصبح ظهورهم طبقاً واحداً فلا يستطيعون الهبوط

---

١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٩٤/٦ وانظر أيضاً مختصر الصواعق ص ٢٣.

٢) رواه البخاري في ك التفسير باب يوم يكشف عن ساق ٥٣١/٨ برقم ٤٩١٩ وفي ك التوحيد باب قول الله عزوجل ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ في حديث طويل ٤٢٩/١٣ برقم ٧٤٣٩ ومسلم في ك الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ١٦٧/١، ١٦٨ برقم ١٨٣.

٣) سورة المؤمنون آية ٧٥.

٤) انظر نقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/٣-١٦ مخطوط نقلا عن شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ الغنيمان ١٢٤/٢.

للسجود(١)، وهذا ما رجحه أيضاً الإمامان البغوي وابن كثير في تفسيرهما وغيرهما من أئمة أهل السنة(٢)، وهو الحق الذي لاريب فيه -إن شاء الله-.

وأما الخلاف والنزاع الذي جرى بين الصحابة -رضي الله عنهم- في هذه الصفة فينبغي أن نعتبره منتهياً بعد ثبوت حديث أبي سعيد الذي هو تفسير للآية المجملة والفيصل للنزاع في هذه القضية، بالإضافة إلى غيره من الأحاديث الواردة في هذا الشأن، هذه هي طريقة العلماء قديماً وحديثاً، لأنه لايلتفت إلى قول أحد واجتهاده ورأيه بعد ثبوت السنة، لاسيما إذا جاءت مفسرة أو مفصلة لما أجمل من القرآن مثل الذي نحن بصدده من صفة الساق.

٢- مذهب القاضي عياض في صفة الساق ونقده

اضطربت تأويلات القاضي عياض لهذه الصفة بعد منعه أن تكون على ظاهرها المراد، فقال: قيل المراد بالساق هنا نور عظيم، وقال ابن فورك(٣) مايتجدد للمؤمنين عند رؤية الله من الفوائد والألطاف التي تظهر لسرائرهم، وقيل قد تكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة لأنه يقال ساق من الناس كما يقال رجل من جراد، وقيل قد يكون ساقاً مخلوقاً جعله الله علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل: معناه كشف الخوف وإزالة الرعب عنهم وما كان غلب على قلوبهم من الأهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم فيخرون سجداً(٤).

نقد كلام القاضي عياض

الحق أن هذه التأويلات كلها تخرصات لادليل عليها من الكتاب أو السنة، بل هي مخالفة للنص الصحيح الصريح الذي تقدم ذكره، والذي فيه «يكشف ربنا عن ساقه» فقد أضاف الرسول ﷺ الساق إلى ربه عزوجل فكيف يجوز أن يكون المراد به النور، إذ هل يعقل أن يسجد المؤمنون للنور، وأما زعم ابن فورك ومن تبعه في ذلك بأنه مايتجدد للمؤمنين من الطاف... الخ، فهو كلام باطل لأنه تحريف للنص عن ظاهره فلا يفهم هذا المعنى من قريب ولابعيد، أما أن تكون

---

١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص ٢٣.

٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٠٧-٤٠٨ وتفسير البغوي ٤/٣٨٢-٣٨٣ وإبطال التأويلات لابي يعلى ١/١٥٥-١٦٤ وشرح كتاب التوحيد للغنيمان ٢/١٢٢-١٢٤.

٣) وهكذا قال الرازي أيضاً انظر مشكل الحديث لابن فورك ص ٤٤٢.

٤) انظر إكمال المعلم ٣/٨٣٥-٨٣٧ و ٦/١٢٧.

الساق علامة بين الله تعالى وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة فإن هذا القول أبطل من سابقيه، إذ كيف يجوز أن تضاف الساق إلى غيره من المخلوقات، أو أن تكون ساقاً مخلوقة بعد أن أضافها الرسول إلى ربه وجعلها علامة يعرف بها المؤمنون ربهم فيخرون له سجداً عندما يرونها يوم القيامة، ولو صحت أن تضاف هذه الساق إلى المخلوقين -كما ادعى المؤولون- فبماذا يجيب هؤلاء عن سجود المؤمنين لربهم حين يرونها وهل يستقيم معنى الحديث عندئذ؟!.

أما القول بأن الساق معناه كشف الخوف وإزالة الرعب فذلك باطل ومردود أيضاً، لأنه لايسمى الخوف وإزالة الرعب ساقاً عقلا ولا لغة، ولو جازت مثل هذه التأويلات الفاسدة، لجاز أن تكون رؤية الله يوم القيامة بمعنى رؤية أفعاله وكراماته وإزالته الرعب من قلوب عباده، فإن مثبتي الصفات لم يؤولوا الرؤية لله وجعلوها حقيقة، فما المانع إذاً أن يثبتوا صفة الساق على مايليق بجلال الله كما أثبتوا الرؤية والكلام والسمع وغير ذلك؟! إذ ليس في العقل ما يمنع ذلك طالما نزهنا الله عن مشابهة المخلوقين، خاصة وأن هذه الصفة قد ثبتت بالسنة الصحيحة الصريحة.

ثالث عشر: - صفة القدم والرجل

١- **بعض الأدلة عليها وموقف السلف منها:** هذه الصفة من الصفات التي ثبتت للباري عزوجل في السنة المطهرة، وقد وردت فيها أحاديث كثيرة متفق عليها، منها:

١- قوله ﷺ «لاتزال جهنم يُلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قطِ[1] بعزتك ، ولايزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقاً فيسكنهم فضلَ الجنة»[2].

٢- وقوله ﷺ «تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهم»[3] فقال الله تبارك الله وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال

---

١) قطِ يعني حسبي أي يكفيني، انظر القاموس المحيط ص٨٨٢ وفتح الباري ٤٦١/٨.

٢) رواه البخاري في ك التفسير باب وتقول هل من مزيد ٤٦٠/٨ برقم ٤٨٤٨ وفي ك الايمان والنذور برقم ٦٦٦١ وفي ك التوحيد برقم ٧٣٨٤، ومسلم في ك الجنة باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٧/٤ برقم ٢٨٤٨ والدارقطني في كتاب الصفات ص ٢٦-٢٧.

٣) أي ضعفاؤهم والمحتقرون منهم الذين لايعتد بهم انظر لسان العرب ١٨٩/٩ وفتح الباري ٤٦٢/٨.

للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله تبارك الله وتعالى رجله فيها، فتقول قط قط فهناك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض، ولايظلم ربك عزوجل من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عزوجل ينشيء لها خلقاً»(١).

٣- وقوله ﷺ «تحاجت النار والجنة فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: فما لي لايدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعَجَزهم(٢)؟ فقال الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحد منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتليء فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتليء ويزوي بعضها إلى بعض»(٣).

هذه بعض الأدلة الدالة على إتصاف الله تعالى بهذه الصفة الجليلة وهي بحمد الله ظاهرة الدلالة ولا تحتمل التأويل أبداً، والقدم والرجل بمعنى واحد كما ورد ذلك في الأحاديث الآنفة الذكر، ولهذا أثبتها السلف الصالح على أنها صفة من الصفات الذاتية التي تليق بجلال الله وردوا على من أولها(٤). فقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن هذه الأحاديث السابقة وعن غيرها من أحاديث الصفات فقال: (نمرها كما جاءت ونؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أن ما قاله الرسول ﷺ حق إذا كانت بأسانيد صحاح)(٥).

٢- موقف القاضي عياض من صفة القدم

لقد اتفق القاضي عياض -غفر الله له- مع الأشاعرة في تأويلهم لهذه

---

١) رواه البخاري في ك التفسير باب وتقول هل من مزيد ٤٦٠/٨ برقم ٤٨٥٠، ومسلم في ك الجنة باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٦/٤ برقم ٢٨٤٧ وأحمد ٢٧٦/٢، ٤٥٠.

٢) عَجَزهم بفتح العين والجيم جمع عاجز أي غير المستطيع لطلب الدنيا، انظر القاموس المحيط ص ٦٦٣ والمصباح المنير ص ١٤٩.

٣) رواه البخاري في ك التفسير باب وتقول هل من مزيد ٤٦٠/٨ برقم ٤٨٥٠ ومسلم في ك الجنة باب النار يدخلها المتكبرون ٢١٨٦/٤ برقم ٢٨٤٦ وأحمد ١٣/٣.

٤) انظر رد الدارمي على بشر المريسي ص ٦٧-٧١ والتوحيد لابن خزيمة ١٤٠/١ وكتاب الصفات للدارقطني ص ٢٦-٣٥ وإبطال التأويلات لأبي يعلى ١٩٢/١- ٢٠٢ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣٩/٣ و ٥٥/٥ وشرح العقيدة الواسطية للفوزان ص ٥٧-٥٨ وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ١٥٦/١-١٥٨.

٥) ذكره أبو يعلى في إبطال التأويلات ١٩٥/١- ١٩٦ والآجري في الشريعة ٣١٥.

الصفة بحجة أن في إثباتها تشبيهاً لله تعالى بالمخلوقين حيث إن القدم لاتعهد إلا لهم، وقد ذكر في تأويله لها عدة أقوال فقال: لقد عُني العلماء بتأويل هذه الأحاديث -وذكر عدداً من الأحاديث في هذه الصفة منها ما تقدم ذكره- قديماً وحديثاً وهو مما ذكره إمام الحرمين(١) في كتابه الإرشاد وهو مما قرأته وقرئ عليّ مرات فمضى فيه من التأويل ما أذكره الآن، وللعلماء في ذلك مسالك فقال بعضهم: إن الجبار هو إبليس لأنه أول من تجبر واستكبر، وقيل: الجبار رجل من الجبارين من بني آدم مخصوص بالطغيان، وقيل: هم الكفار الذين سبق في علم الله أنهم في أهل النار، فالقدم بمعنى المتقدم، وقيل: القدم هنا مستعار للذلة من قولهم وضعت قدمي على قفاه، وقال بعضهم: القدم خلق من خلق الله يخلقهم يوم القيامة ويسميهم بهذا الاسم وهذا هو أظهر التأويلات عندي، كما قال في الحديث نفسه عن الجنة «ولا يزال فيها فضل حتى ينشيء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة»(٢) وأما المراد بالرجل فهي الجماعة من خلقه وأضيف إلى الله مُلكاً وفعلا أو إضافة فعل لاإضافة جارحة، وإطلاق الرجل على الجماعة معلوم في لسان العرب، وقيل: الرجل عبارة عن شدة القدرة والقهر للنار ومنه قولهم وطيء الجيش برجله بني فلان(٣).

٣- الرد على القاضي عياض في تأويله لهذه الصفة

إن الذي ذكره القاضي عياض من أقوال في تأويل لصفة القدم وما رجحه منها باطل من وجوه متعددة:

منها: أن القدم إذا أضيفت إلى الله فلا يجوز أن يصرف معناها لغيره مما نتخيله أو نتوهمه ومما لم يذكر في الأحاديث.

ومنها: أنه ليس في إثبات صفة القدم لله تعالى على ما يليق بجلاله أي محذور حتى نتعسف ونأتي بالتأويلات البعيدة ونحمّل النص النبوي مالا يحتمل ونحرفه عن مواضعه.

ومنها: إن إدعاءه أن الله ينشيء للنار أهلا ليس في الحديث مايدل عليه بل جاء الإنشاء للجنة فقط وذلك من فيض كرمه وسعة رحمته عزوجل بعباده، بخلاف

---

١) هو الجويني أحد أئمة الأشاعرة وقد تقدم التعريف به ص٢٣.

٢) تقدم تخريجه ص ٣١٧

٣) انظر منهاج العوارف ص ١٦٣-١٦٤ وإكمال المعلم ١٠٩/٦ وشرح النووي لصحيح مسلم ١٨٣/١٧.

إنشاء للنار أهلا.

ومنها: أن الذي ثبت بالنصوص أن النار لاتكتفي بل تظل تقول «هل من مزيد» حتى يضع الله رجله فيها.

ومنها: أنه لو كان للنار خلق يخلقهم الله يوم القيامة -كما يخلق للجنة خلقاً لينعمهم- لوضَّح ذلك رسول الله ﷺ كأن يقول مثلا: إن الله يخلق خلقاً يدخلهم الجنة ويخلق خلقاً يدخلهم النار، أو إن الجنة والنار لاتمتلئان حتى يضع الله فيهما قدمه، فلما لم يقل الناصح الأمين ذلك وجب علينا أن لانقوله، بل نقف مع النص حيث وقف لأن مثل هذه الأمور لاتعرف إلا عن طريق الوحي.

ومنها: أن في إنشاء قوم وإدخالهم النار بلاذنب -على حد زعم من قال بذلك- ظلم والله تعالى منزه عن ذلك.

ومنها: أنه لو كان الأمر كما أول القاضي عياض تلك النصوص وغيره من الأشاعرة لسقطت فائدة تخصيص القدم بالنار، لأنه تعالى ينشيء للجنة خلقاً يدخلونها فتخصيص النار بذلك لامعنى له -كما قال أحد علماء السلف-(١).

أما الرد على القاضي عياض في تأويله لصفة الرجل بأنها الجماعة من خلقه تعالى أو عبارة عن شدة القدرة والقهر للنار... فباطل أيضاً من وجوه.

منها: أن الرجل والقدم بمعنى واحد كما جاء ذلك في الأحاديث التي تقدم طرف منها وكما قال أهل السنة والجماعة -رحمهم الله-.

ومنها: أن القدم وكذا الرجل اضيفت للباري عزوجل كما جاء بذلك التصريح الواضح من رسول الله ﷺ، فلا يجوز صرف ذلك لغير الله إلا بدليل صريح مثله.

ومنها: أن رسول الله ﷺ قال «حتى يضع رب العالمين فيها قدمه -وفي رواية رجله-» ولم يقل حتى يُلقي ولا يخفى ما بين اللفظين من معنى مختلف.

ومنها: أن قدمه أو رجله لايفهم من معنى ذلك ما قاله القاضي عياض وغيره من المؤولين كما تدل عليه الإضافة.

ومنها: أن أولئك المؤخرين المخلوقين الذين زعمهم هؤلاء إن كانوا من أصاغر المجرمين المعذبين فلا وجه لانزواء النار وإكتفائها بهم، فإن ذلك إنما يكون لأمر عظيم، وإن كانوا من أكابر المجرمين فهم في الدرك الأسفل من النار وفي أول المعذبين لافي آخرهم.

ومنها: أن قوله ﷺ عن النار «فينزوي بعضها إلى بعض» دليل على أنها

---

١) هو أبو يعلى انظر ابطال التأويلات ١٩٩/١.

تنضم على من فيها فتضيق بهم من دون أن يلقى فيها شيء.

ومنها: أن قوله ﷺ «لايزال يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الله عزوجل فيها قدمه» رد عليهم لأنه جعل وضع القدم الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء ويكون عند ذلك الإنزواء فيقتضي أن تكون الغاية أعظم مما قبلها.

ومنها: أنه قد قال حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (الكرسي موضع القدمين)(١) فدل ذلك أيضاً على أن القدمين صفة حقيقية، وليست بمجاز أو ليست قدم غيره من المخلوقات كما ادعى ذلك المؤولون النفاة(٢)، وهذا التفسير الذي قاله ابن عباس هو توضيح وبيان لهذه الصفة الثابتة في السنة، وقد قاله في تفسير آية الكرسي، وأحب أن أذكر ههنا أن القاضي عياض -غفر الله له- قد أول معنى آية الكرسي فجعله بمعنى العلم(٣) ولم يجعله على حقيقته، فلو كان المعنى كما ادعاه فعلى أي شيء يدل كلام ابن عباس؟! وهل يمكن أن تتفق تأويلات أبي الفضل مع النصوص؟!

وأما الرد على بقية الأقوال التي ذكرها فلا داعي للإطالة في إبطالها فإن بطلانها ظاهر، ومنه ما ذكرته من أن هاء الضمير في (قدمه) تعود على الله تعالى فهو تعالى الجبار فهي قدمه عزوجل، وليس المراد بها إبليس ولا غيره من الجبابرة، وليست القدم إستعارة ولا مجازاً كما ادعى المؤولون النفاة، لأن الأحاديث الدالة على صفة القدم ظاهرة واضحة لمن سلمت فطرته ونزّه عن مشابهة الخلق ربه عزوجل، إذ لو كان ظاهرها غير مراد الله تعالى بل المراد ما ذكره المعطلون من أقوال متضاربة لصار كلامه ﷺ إلى الألغاز والتعمية أقرب منه إلى البيان والبلاغ وهذا من أبطل الباطل، لأن المتكلم هو أعلم الناس بربه تعالى وما يجب له وما يستحيل عليه وأقدرهم على البيان والإيضاح لما يريد، وهو عليه السلام أنصح الخلق للخلق وأحرصهم على إيصال الحق لهم ودفع الشر عنهم، فيستحيل أن يكون ظاهر كلامه غير مراد أو فيه تشبيه للخالق بالمخلوق -كما يدعي هؤلاء المعطلة- وصدق الله عزوجل إذ يقول في مثل هؤلاء ﴿**كَبُرَتْ كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً**﴾(٤)، وفيما ذكرت

---

١) رواه الدارمي في رده على المريسي وصححه ص ٦٧، ٧١ والحاكم ٢٨٢/٢ وصححه ووافقه الذهبي وابن جرير في تفسيره ٣٩٨/٥.

٢) انظر مختصر الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ص ٦٤٧ والرد على المريسي ص ٦٧ وابطال التأويلات ١/١٩٧-١٩٨.

٣) انظر منهاج العوارف ص ٧٦، ١٥٣، ١٨٤.

٤) سورة الكهف آية ٥.

يظهر بحمد الله بطلان قول كل مؤول لأي صفة من الصفات الثابتة لله تعالى ومنها صفة القدم و الرجل.

رابع عشر - صفة النفس

تردد القاضي عياض في إثبات صفة النفس لله تعالى، فمرة أثبتها و أخرى أولها، فقد قال عند شرحه لقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**﴾(١) (النفس لفظ مشترك في لسان العرب والمراد به هـهنا الذات، كقولهم نفس المسألة ونفس الأمر، ويجوز أن يراد بالنفس الغيب، أي تعلم غيبي ولا أعلم غيبك وعلى ذلك أوّله أبو المعالي وهذا الإشتراك ثابت في اللغة)(٢).

نقد رأي القاضي عياض وذكر بعض الأدلة على صفة النفس لله تعالى

إن تردد القاضي عياض في إثبات صفة النفس لله تعالى مما لاداعي له، لأنها قد ثبتت هذه الصفة لله تعالى وبشكل صريح في الكتاب والسنة، شأنها شأن باقي الصفات الخبرية الكثيرة التي سبق ذكر بعض منها. ومن الأدلة على هذه الصفة قوله تعالى ﴿**كتب ربُكم على نفسه الرحمة**﴾(٣) وقوله عزوجل أيضاً ﴿**ويُحذركم اللهُ نفسه**﴾(٤) وقوله مخاطباً كليمه موسى عليه السلام ﴿**واصطنعتك لنفسي**﴾(٥) ومن السنة قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عزوجل « أنا عند ظن عبدي بيّ وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»(٦)، وقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً في ثنائه على الله عزوجل «لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(٧).

---

١) سورة المائدة آية ١١٦.
٢) منهاج العوارف ص ١٢٢.
٣) سورة الأنعام آية ٥٤ .
٤) سورة آل عمران آية ٣٠.
٥) سورة طه آية ٤١.
٦) رواه البخاري في ك التوحيد باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه ٣٩٥/١٣ برقم ٧٤٠٥ ومسلم في ك الذكر والدعاء باب فضل الذكر والدعاء ٢٠٦٨/٤ برقم ٢٦٨٧.
٧) رواه مسلم في ك الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٢/١ برقم ٤٨٦، وأبو داود في ك الصلاة باب في الدعاء في الركوع والسجود ٥٤٧/١ برقم ٨٧٩.

ولهذا أثبت السلف الصالح -رحمهم الله- هذه الصفة لله على ما يليق بجلاله، كما أثبتوا غيرها من الصفات الثابتة، يقول الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- (له تعالى يد ووجه ونفس كما ذكر الله في القرآن من الوجه واليد والنفس وهذه له صفات بلا كيف)(١)، وقد ردّ الإمام الدارمي -رحمه الله- بقوة على بشر المريسي الذي أنكر هذه الصفة لله تعالى وقال له: إن إنكارك لها يستلزم نفي علم الله السابق في نفسه قبل حدوث الخلق وأعمالهم واستجهال عيسى عليه السلام وإتهامه بأنه وصف الله تعالى بما لايليق، كما أن فيه طعناً برسول الله ﷺ الذي جاء مصدقاً لعيسى، وهذا كفر منك يا عدو الله لأن نفس الله هي الله، والنفس تجمع الصفات كلها، فمن نفى صفة النفس فقد نفى الصفات(٢).

قلت لذا كان على القاضي عياض أن لا يتردد في إثبات هذه الصفة أبداً ولا غيرها من الصفات.

جواز إطلاق لفظ الذات على الله تعالى

أحب أن أنبه إلى أن قول القاضي (النفس هي الذات) قول صحيح لا غبار عليه عند أهل السنة وأهل اللغة، فإنه قد ثبت إطلاق ذلك على الله تعالى فقد قال الصحابي الشهيد خبيب بن عدي(٣)-رضي الله عنه- حين أسره الكفار من أهل مكة وخرجوا به ليقتلوه قال منشداً شعراً وفيه:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً   على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ   يبارك على أوصال شلْو(٤)ممزع(٥).

وقد بلغ هذا القول رسول الله ﷺ فأقره ولم ينكره.

---

١) الفقه الأكبر لأبي حنيفة بشرح ملا على قاري ص ٣٦-٣٧ وشرح الطحاوية بتحقيق التركي ٢٦٤/١.

٢) انظر رد الدارمي على بشر المريسي ص ١٩٥-١٩٦.

٣) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبا الأنصاري الأوسي، شهد بدراً وكان فيمن بعثه النبي ﷺ مع بني لحيان، فلما صاروا بالرجيع غدروا بهم واستصرخوا عليهم وقتلوا فيهم وأسروا خبيباً وزيد بن الدثنة، فباعوهما بمكة فقتلوهما بمن قتل النبي ﷺ من قومهم وصلبوهما بالتنعيم. انظر أسد الغابة ١٠٣/٢ وسير أعلام النبلاء ٢٤٦/١ والإصابة ٤١٨/١.

٤) الشِلْو العضو والجمع أشلاء، انظر المصباح المنير ص ١٢٣ والقاموس المحيط ص ١٦٧٩ .

٥) ذكره البخاري في ك التوحيد ٣٩٣/١٣ وابن الأثير في تاريخه ١٦٨/٢ وغيرهما.

وكذلك أقر عليه الصلاة والسلام قول شاعره حسان بن ثابت(١) -رضي الله عنه- حين أنشده بقوله:

وإن أخا الأحقاف إذ يعذلونه يجاهد في ذات الإله ويعدل(٢).

ومن المعروف أن إقراره عليه الصلاة والسلام نوع من أنواع سنته، ولو كان القول غير جائز أو لا ينبغي لأنكره النبي ﷺ.

ويؤيد صحة إستعمال (الذات) في حق الله تعالى، أنه عزوجل أثبت الصفات لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، ولايمكن وجود الصفات إلا بما به تصير صفات من الذات، ولا يمكن وجود الذات إلا بمابه تصير ذاتاً من الصفات(٣).

ولهذا ذكر أبو حامد الغزالي -رحمه الله- أن إطلاق الذات في حق الله تعالى مما وقع الإتفاق عليه حيث قال (ومما وقع عليه الإتفاق بين الفقهاء والعلماء من الأسماء، المتكلم والشيء والذات ... الخ وأن ذلك مما يجوز إطلاقه في حق الله تعالى)(٤).

خامس عشر - صفة الجمال

أثبت القاضي عياض -رحمه الله- صفة الجمال لله تعالى مستدلا لذلك بالحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال قال رسول الله ﷺ «لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَرُ الحق(٥) وغمط(٦) الناس»(٧).

---

١) هو أبو الوليد، حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد، الأنصاري الخزرجي النجاري، شاعر رسول الله ﷺ المؤيد بروح القدس وقد عمي ومات وله من العمر مائة وعشرون سنة قبل سنة الاربعين وقيل سنة أربعين وقيل سنة خمسين وقيل أربع وخمسين، انظر أسد الغابة ٤/٢ وسير أعلام النبلاء ٥١٢/٢ والاصابة ٣٢٥/١ .

٢) ديوان حسان بن ثابت ٢٠٣/١ وإجتماع الجيوش الإسلامية ص ٦٦ وفتح الباري ٣٩٤/١٣.

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٢٦/٥، ٩٧/٦، ٢٠٥، ٢٠٦ وشرح الطحاوية ص ٦٩.

٤) المقصد الاسنى شرح أسماء الله الحسنى ص ١٥٨.

٥) بَطَر بفتح الباء والطاء أي دفعه ورده على قائله، أنظر المصباح المنير ص ٢٠ والقاموس المحيط ٤٤٩.

٦) غَمْط بفتح الغين وسكون الميم أي احتقارهم، انظر القاموس المحيط ص ٨٧٨ والمصباح المنير ص ١٧٢.

٧) رواه مسلم في ك الايمان باب تحريم الكبر ٩٣/١ برقم ١٤٧، وأبو داود في ك اللباس باب ماجاء في الكبر ٣٥٠/٤ برقم ٤٠٩١، وأحمد ١٣٣/٩، ١٣٤، والترمذي في ك البر باب ماجاء في الكبر=

قال القاضي عياض بعد ذكره لهذه الحديث (ورد في هذا الحديث تسميته تعالى باسم الجميل، والجمال المذكور في هذا الحديث وغيره هو الحسن، والجميل الحسن من كل شيء)(١).

قلت لاشك أن ماذكره القاضي عياض من تسمية الله تعالى باسم الجميل ووصفه به هو مما وافق فيه مذهب السلف الصالح رحمهم الله(٢)، وقد تقدم قوله رحمه الله بأنه لايجوز أن يسمى الله باسم أو يوصف بصفة مالم يرد على ذلك دليل صحيح من كتاب أو سنة(٣).

المطلب الخامس: ذكر جملة من الصفات الفعلية وموقف القاضي عياض منها

يختلف موقف القاضي عياض رحمه الله في هذا النوع من الصفات عن موقفه من الصفات الذاتية، فهو لايكاد يثبت من الصفات الفعلية إلا النادر القليل، وما أوّله منها فقد تعددت أقواله فيها وتضاربت أحياناً فلم يستقر فيها على حال، وهذا الأمر هو نتيجة حتمية لمن ابتعد عن منهج السلف الصالح في هذا الباب. وإنني في هذا المطلب سأقتصر الحديث على الصفات التي ظهر للقاضي فيها رأي أو موقف، وأبدأ ذلك بالكلام عن صفة الإستواء.

أولا- صفة استواء الرحمن على العرش

هذه الصفة من أكثر الصفات التي أشتد فيها الخلاف بين السلف والخلف، وقبل أن أبدأ بذكر مذهب القاضي عياض في هذه الصفة أود التنبيه إلى معنى العرش أولا.

١- معنى العرش

قال القاضي عياض -رحمه الله- (العرش سرير الملك، وهو جسم عظيم أثبته القرآن وجاءت به الأخبار الصحاح، وأدركه من شاء من خلقه تعالى بالعيان، فهو مخلوق لايعبر عنه، والعرش في لسان العرب هو سرير الملك الذي

=٣١٧/٤ برقم ١٩٩٩.

١) إكمال المعلم ٥٥٢/٢.

٢) انظر كتاب التوحيد لابن منده ٩٩/٢.

٣) انظر إكمال المعلم٥٤٩/٢ وما تقدم من البحث ص٢٢٢-٢٢٦و٢٤٠-٢٤١.

يجلس عليه)(١).

قلت ما ذكره القاضي عياض عن معنى العرش لغة وشرعاً صحيح لاغبار عليه(٢). فقد قال البيهقي رحمه الله: العرش سرير الملك وهو جسم مجسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة، وقد أجمع المفسرون على هذا الرأي(٣).

٢- موقف القاضي عياض من استواء الله على العرش

اضطرب موقف القاضي عياض في صفة الإستواء اضطراباً كبيراً فقد جمع في ذلك أقوالا كثيرة متباينة

أولا: فمرة ذهب إلى تأويل هذه الصفة جازماً بأن التأويل فيها هو مذهب المحققين لاستحالة حمل اللفظ على معناه لكون الله تعالى منزهاً عن الإستواء والإستقرار على الأمكنة وغيرها، وقد ذكر في هذا المقام أقوالا عدة منها، أن استوى راجع إلى العرش أي بالله وسلطانه استوى، ومنها أن المراد بالإستواء القصد للشيء والإقبال عليه، بمعنى أن الله يفعل بالعرش فعلا سمى نفسه بذلك قال: وهو قول الأشعري وغيره. ومنها أن المراد بالإستواء العلو بالعظمة، ومنها أن (استوى) بمعنى استولى، ومنها أن الإستواء بمعنى القهر والغلبة، ولكن أبا الفضل لم يرتض هذين القولين الأخيرين، لأن القدرة كما قال من صفات الذات ولايصح فيها دخول ثم إذ هي لما لم يكن بخلاف صفات الأفعال.

والذي اختاره في معنى الإستواء ههنا هو (أن الإستواء إظهار لآياته لامكان لذاته، بمعنى أنه إشارة إلى كمال المخلوقات ووصولها إلى غاياتها ومراقي درجاتها في الإحكام والإتقان، فاستوت في عالم كمالها وحقيقة أسرارها، كما قال تعالى ﴿**قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾(٤) وأقام سبحانه شواهد الحكمة وأفانين عجائب الصنعة في مبادئها وأصولها،

---

١) منهاج العوارف ص ٧٦.

٢) انظر المصباح المنير ص ١٥٣ والصحاح ١٠٠٩/٣ والقاموس المحيط ص ٧٧٠ والتعريفات للجرجاني ص ١٦٣-١٦٤ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٥٥٠/٦-٥٨٤ و٤٠٢/١٦-٤٠٣.

٣) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٩٢ وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٥٨٤/٦ فقد قال نحواً من ذلك.

٤) سورة طه آية ٥٠.

ومن كلام العرب استوى أمر فلان وكمل حاله، والمراد ما ذكرنا قال: وهذا الذي ذكرناه هو الذي لجأ إليه المحققون ومال إليه الجم الغفير من أكابر العلماء)(١).

ثانياً: ذهب أبو الفضل عياض مرة إلى تجويز القول (استوى على العرش بذاته) أي بوجوده الذي لم يُشَارك فيه -كما قال- لأن نسبة ذاته المقدسة العلية إلى العرش وإلى كل المخلوقات نسبة واحدة، وقد قال القاضي عياض هذا الكلام دفاعاً عن ابن أبي زيد القيرواني(٢) الذي قال في رسالته (الله مستو على عرشه بذاته) قال القاضي عياض : ولم تزل الأئمة يخطئونه لقوله ذلك لأن ظاهر هذه اللفظة عندهم التجسيم والصحيح أنه كلام حسن لاشيء فيه وذكر سبب إستحسان قوله بما ذكرته(٣) آنفاً.

ثالثاً: إختار القاضي عياض رحمه الله أيضاً مذهب التفويض وادعى بأنه الصواب لأنه مذهب عامة الفقهاء والمحدثين وصحيح مذهب الأشعري -كما زعم- فقد قال بعد أن ذكر عدة أقوال في معنى الإستواء: (وقيل استوى من المشكل الذي لايعلم تأويله إلا الله، وعلينا الايمان به والتسليم وتفويض علمه إلى الله، وهو صحيح مذهب الأشعري وعامة الفقهاء والمحدثين والصواب إن شاء الله)(٤).

٣- مناقشة القاضي عياض فيما اختاره من مذاهب في معنى الإستواء

لقد اتضح من خلال ما ذكرت عن القاضي عياض أنه قد وقع في إضطراب وتناقض فيما يخص هذه الصفة العظيمة، وذلك ناتج عن عدم تمسكه بمذهب السلف الصالح وإعتماده عليه، لأن مذهبهم هو الحق الواضح المبين الذي لاتناقض فيه ولا إضطراب، لأن أساسه متين راسخ أمثال الجبال لكونه مرتكزاً على نصوص الكتاب والسنة وطرح التأويل.

---

١) انظر منهاج العوارف ص ٨٦، ١٥٥ ومشارق الانوار ٢/٢٣١-٢٣٢.

٢) هو أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد القيراوني، الإمام العلامة الفقيه المالكي عالم أهل المغرب، يقال له مالك الصغير، لخص مذهب مالك وصنف كتباً، منها الرسالة، والرد على القدرية، والتوحيد، وكان على طريقة السلف في الأصول لايدري الكلام ولايتأول، مات سنة (٣٨٩ هـ) انظر ترتيب المدارك ٤/٤٩٢ وسير أعلام النبلاء ١٧/١٠ وشذرات الذهب ٣/١٣١.

٣) انظر منهاج العوارف ص ١٨٣.

٤) مشارق الانوار ٢/٢٣٢.

ويكفي في بطلان ورد ما اختاره القاضي عياض من مذاهب ما سبقت الإشارة إليه، ولكن مع هذا أحب أن أوجز في الرد عليه من خلال ما اختاره في قضية الإستواء فأقول: أما ما يخص في إختياره الأول وهو كون الإستواء (إظهار آياته لامكان لذاته...) وزعمه أن هذا التأويل هو مذهب المحققين فالجواب عنه أن يقال: هذا الزعم في منتهى البطلان لأن التأويل الذي ادعى كونه مذهب أكابر العلماء، إنما هو في الحقيقة مذهب الضالين من المتكلمين ومن سلك سبيلهم ممن لم يقدروا الله حق قدره، ولم يعرفوه تعالى حق معرفته، فعطلوا صفاته العلى التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ بحجة أن ظاهرها لايليق أو أنه كفر -كما زعموا- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فأدخلوا عقولهم القاصرة في هذا الباب، وأولوا تلك الصفات كما شاؤا وتضاربت أقوالهم فيها، وكل يدعي أن تأويله هو المعنى المراد لها، وهم مع هذا لم يستطيعوا أن يجزموا يقيناً بما أولوه لأن أقوالهم تخرصات وإجتهادات من عند أنفسهم، وذلك لأن بنياهم الذي أقاموا عليه هذا الطاغوت (التأويل) قائم على شفا جرف هار، بخلاف مذهب السلف فهو قائم على الإعتقاد بأن نصوص الكتاب والسنة قطعية الدلالة لاتحتمل التناقض أو التأويل، ولأن الذي وصف الله بهذه الصفات هو نفسه تعالى ورسوله ﷺ، ومن المعلوم أنه لا أحد أعلم به تعالى منه ولا أحد أعلم به بعده من رسوله ﷺ، لذا وجب على المؤمن الايمان بهذه النصوص وإعتقاد ظاهرها على مايليق بجلال الله وعدم التقول والتخرص فيها بما يخالف ظاهرها ومعناها، لأن ذلك تحريف للكلم عن مواضعه وقول على الله بغير علم، فكيف يكون قول من سلك هذا المسلك من أهل التأويل معتبراً أو صحيحاً؟!.

ومن جهة أخرى، فإن القول الذي إختار القاضي عياض في معنى الإستواء لامعنى له، لأنه عزوجل قد أحكم خلقه وأتقنه غاية الإحكام والإتقان منذ أن خلقه وقبل أن يستوي على عرشه، ولذا يحب من عبده إذا عمل شيئاً أن يتقنه كما قال رسوله ﷺ «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»(١) فما معنى أن يقال أن الإستواء على العرش هو إظهار آياته بإتقانها ... إلى آخر تلك الدندنة التي لا دليل عليها ولا تتفق واللغة العربية الفصيحة، فالإستواء: لغة معروف بأنه الإستقرار والعلو والإرتفاع والتمكن ليس كما قال ورجحه،

---

١) رواه البيهقي في شعب الايمان ٤/٣٣٤ برقم ٥٢١٢، ٥٢١٣ والحديث حسن كما قال العلامة الالباني في صحيح الجامع ١٤٤/٢ برقم ١٨٧٦ والصحيحة برقم ١١١٣.

أما قوله بأن العرش ليس مكاناً لذات الله فإن أحداً من السلف لم يقل العرش مكان الله تعالى عن ذلك، بل إنما العرش هو سقف المخلوقات وآخر الموجودات فكيف يكون مكاناً للخالق جل في علاه؟!.

فعقيدة السلف هي الايمان بأن الله تعالى فوق عرشه مستو عليه، كما يليق به تعالى بائن من خلقه، كما أخبر هو عزوجل عن نفسه وكما أخبر عنه رسوله ﷺ، وكفى بهذا الاعتقاد تنزيهاً للباري عزوجل ووصفاً له بما هو أهله.

وأما قول القاضي عياض إن إستواء الله على عرشه بذاته أي بوجوده الذي لم يشارك فيه لأن نسبة ذاته المقدسة العلية إلى العرش وإلى جميع الملخوقات علويها وسفليها واحدة، فإن هذا الكلام موهم لابد من تفصيله، فإن أريد به أن ملكه وقدرته وعلمه تعالى يستوي في ذلك في جميع مخلوقاته ومنها العرش، فهذا معنى صحيح ولكن الأولى والأجدر أن يصرح بمثل هذه المعاني وأن لا يذكر الألفاظ والعبارات التي فيها إبهام، لئلا تحمل على غير معناها المراد منها، ومع هذا أقول: إن معنى الإستواء بذاته ليس مراداً على هذا المعنى شرعاً ولا لغة ولم يقل بهذا أحد من السلف، وإن أريد بكلام القاضي السابق معنى آخر غير ما ذكرت فإنه مرفوض، لأن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله مستو على عرشه بائن من خلقه، ليس شيء من خلقه داخلا فيه ولا هو داخل في شيء منهم.

أما تصويب القاضي عياض لمذهب التفويض في الإستواء وجعله من المشكل الذي لايعلم تأويله إلا الله وإدعاؤه بأن هذا مذهب عامة الفقهاء والمحدثين، فإن هذا الزعم باطل كما سبقت الإشارة إليه(١) من وجوه كثيرة:

منها: أن الإستواء معلوم في لغة العرب وهو العلو والإستقرار والإرتفاع... فكيف يجعل من المتشابه الذي لايعلمه إلا الله؟!

ومنها: أن السلف -رحمهم الله- قد أثبتوا لله استواء يليق بجلاله، فأثبتوا المعنى وفوضوا في الكيفية، وسيأتي بعض من أقوالهم في ذلك، فوصفهم بمذهب التفويض كذب وإفتراء عليهم،

ومنها: أن رسول الله ﷺ قد بين في كثير من الأحاديث، وكذلك بين كثير من صحابته أنه تعالى فوق عرشه، وهم بعد نبي الله ﷺ أعلم الناس بالقرآن والسنة ولغة العرب.

ومنها: أنه قد اتفق سلف هذه الأمة وعلمائها -رحمهم الله- على أن آيات

---

١) انظر ص٢٦٨، القاضي يقول بالتفويض.

وأحاديث الصفات -ومنها الإستواء على العرش- هي من المحكم المعلوم معناه وصحته الذي يجب إثباته على ما يليق بجلال الله من غير تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل، وليست هي من المتشابه بل كيفية هذه الصفات ممـــا لايعلمهـــا إلا اللـــه(١).

ومنها: أن إثبات علوا لله على خلقه ومباينته لهم وإرتفاعه عليهم باستوائه على العرش هو الذي تقره النصوص الشرعية والأدلة العقلية الصحيحة، لأنه عزوجل هو العلي الأعلى الذي لايكون إلا أعلى، وهو الظاهر فلا شيئ فوقه، أما إعتقاد ما سوى ذلك فهو مخالف للشرع ومضاد للعقل أيضاً، فاتفق الشرع والعقل معاً على إثبات علوه تعالى على خلقه.

ومنها: أن الفطرة السليمة تثبت العلو والإرتفاع لله تعالى على خلقه فإن الخلق كلهم بطبائعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله، لأنه تعالى فوق خلقه جميعاً، وهذا الأمر لاينكره إلا مكابر معاند منحرف عن الفطرة.

ومنها: أنه لو لم تكن آيات الصفات وأحاديثها -ومنها الإستواء- معلومة المعنى واضحة الدلالة، لكان في الكتاب والسنة مايشبه الألغاز، ولم يكن القرآن الكريم نوراً وهداية للناس كما وصفه الله، ولما جاز للهادي البشير ﷺ ولا لصحبه الكرام أن يسكتوا عن تبيينها حتى يأتي من لانصيب له في العلم والدين ليفسرها ويتكلم فيها بما يشاء. فالإستواء على العرش -وكذا بقية الصفات- ليس من المتشابه في شيء، بل هو من المحكم الذي علم تفسيره بالشرع واللغه والعقل، ولكن كيفية ذلك مما لايعلمه إلا الله، فقول القاضي عياض باطل لا يلتفت إليه، وكذلك جميع الأقوال التي ذكرها في معنى الإستواء باطلة أيضاً، لأنها مخالفة لمنهج السلف وللغة العربية، ولست أرى من الضروري الرد عليها وتفنيد ما فيها من خطأ وبطلان، لأن الذي يهمنا هو تحديد رأي القاضي عياض - الذي سبق بيانه- ومن ثم معرفة مذهب السلف في هذه القضية.

٤- مذهب السلف في معنى الإستواء

لقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله عزوجل فوق سبع سمواته فوق عرشه بائن من خلقه، لم يختلفوا في ذلك قط، وهم يثبتون لله تعالى الإستواء الوارد في كتاب الله الكريم ويمرونه على ظاهره الحقيقي على

---

١) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٥-٦ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/٣-٤، ٥/٥١٨.

مايليق بجلال الله، ويكلون كيفية ذلك إلى الله تعالى، وقد حكى هذا المذهب عنهم غير واحد من الأئمة(١) وقد فسر علماء السلف -رحمهم الله- الإستواء بما يتضمن الإرتفاع فوق العرش من العلو والإستقرار والإرتفاع والصعود والبينونة من الخلق.

- فهذا الإمام الجليل التابعي المفسر، مجاهد بن جبر يقول في معنى الإستواء على العرش: (علا على العرش)(٢)، وروي هذا التفسير أيضاً عن أبي العالية، وأبي حنيفة، والحسن البصري(٣)، والربيع بن أنس(٤)، وغيرهم(٥).

- وقال الإمام أبو العالية -رحمه الله- أيضاً: استوى على العرش ارتفع(٦).

- وروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: استوى على العرش بمعنى استقر(٧).

---

١) منهم الامام الاشعري في الإبانة ص ١٠٨-١١٠، واللالكاني في شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٨٧/٣-٤٠٢، وشيخ الإسلام الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ١٤-١٦ وابن خزيمة في كتاب التوحيد ١٣١/١، وأبو يعلي في المعتمد في أصول الدين ص ٥٤، والبغوي في تفسيره ١٦٥/٢، وابن عبد البر في التمهيد ١٣١/٧، وشيخ الإسلام ابن تيمية في عدة مواضع من كتبه انظر مثلا مجموع الفتاوى ٥٥/٥، ٦٠، ٧٦-٩٩ و٢١٩/٣-٢٧٧، وابن القيم في قصيدته النونية انظر شرحها للهراس ١٩٨/١-٢٧٢ ومختصر الصواعق ص ٤٥٠، وابن كثير في تفسيره ٢٢٠/٢ وغيرهم كثير.

٢) ذكره البخاري في صحيحه في ك التوحيد ٤١٤/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره كما قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥١٩/٥، وذكره ابن القيم في إجتماع الجيوش ص ٢٥٦.

٣) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، مولى زيد بن ثابت، ثقة فقيه فاضل مشهور، كان يرسل كثيراً ويدلس، وقد كان تام الشكل مليح الصورة بهياً، وكان من الشجعان الموصوفين، انظر سير أعلام النبلاء ٥٦٣/٤ وتقريب التهذيب ٢٠٢/١ وشنرات الذهب ١٣٦/١.

٤) هو الربيع بن أنس بن زياد البكري البصري الخراساني المروزي، كان عالم مرو في زمانه وهو صدوق له أوهام، رمي بالتشيع، توفي سنة تسع وثلاثين هـ انظر مشاهير علماء الأمصار ص ١٢٦ وسير أعلام النبلاء ١٦٩/٦ وتقريب التهذيب ٢٩٣/١.

٥) ذكر ذلك شيخ الاسلام في مجموع الفتاوى ٥١٨/٥-٥١٩ والالوسي في غاية الاماني في الرد على النبهاني ٤٦٠/١.

٦) رواه البخاري في صحيحه في ك التوحيد ٤١٤/١٣ وابن أبي حاتم في صحيحه كما قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥١٨/٥.

٧) ذكره السيوطي في الإتقان ٧٠٦/٢.

- وقال الإمام عبد الله بن المبارك(١) وكثير من أهل العلم: إن معنى استوى أي استقر(٢).

- وقال أبو عبيدة معمر(٣) بن المثنى: استوى أي علا وقال مرة: صعد(٤).

- وقال إمام المفسرين ابن جرير الطبري في معنى استوى على العرش أي علا وارتفع(٥).

فهذه خلاصة المذهب الحق الذي عليه السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان في صفة الإستواء، وهي أقوال صريحة في أنهم يثبتون لله تعالى العلو والإرتفاع الحقيقي على العرش وعلى جميع المخلوقات، وأقوالهم في هذا لايبلغها الحصر وقد تقدم طرف(٦) منها، وهم يعتقدون أنه تعالى مستو على العرش من غير أن يكون محتاجاً إليه لأنه، هو الذي خلقه وجعله أعلى مخلوقاته ثم استوى عليه.

يقول الإمام ابن المبارك -رحمه الله- وقد سئل كيف نعرف ربنا فقال: (نعرف ربنا عزوجل بأنه فوق سمواته على العرش استوى، بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية إنه ههنا في الأرض، وإنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية)(٧).

---

١) هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم التركي المروزي، الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، وأمير الاعتقاد في وقته، صاحب التصانيف النافعة والرحلات الواسعة أحد= =الأعلام، ولد سنة ١١٨ هـ وتوفي سنة ١٨١ هـ انظر تاريخ خليفة ص ١٤٦ وحلية الأولياء ١٦٢/٨ وسير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨.

٢) ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥١٩/٥.

٣) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، النحوي صاحب التصانيف صدوق أخباري وقد رمي برأي الخوارج، مات سنة ثمان ومائتي وقيل بعد ذلك وقد قارب المائة، انظر سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٩ وتقريب التهذيب ٢٠٣/٢ ومعجم الادباء ١٥٤/٩ .

٤) ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٥٢٠/٥ والسيوطي في الاتقان ٧٠٦/٢.

٥) انظر تفسير ابن جرير الطبري ١٣٨/٨ وانظر أيضاً الاربعين في صفات رب العالمين للذهبي ص ٣٧.

٦) انظر ص (٢٩٥) من هذا البحث فقد ذكرت عدداً لا بأس به من الآثار المروية عن كبار الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم، وكلها تدل على أنهم يثبتون أن الله فوق عرشه فوق سبع سماواته.

٧) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٨-٩، وعبد الله بن الامام أحمد في السنة برقم ٢٥٦ والدارمي في رده على المريسي ص ٢٥، ١٠٣ والصابوني في عقيدة السلف ص ٢٠ وصححه شيخ الاسلام في الفتوى الحموية ص ٣٠ وقال ابن القيم في إجتماع الجيوش ص ٧١ (وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر) وكذا صححه الذهبي في العلو قال الألباني في مختصره ص ١٥٢=

وقال إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل -طيب الله ثراه- وقد قيل له: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان قال:(نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه)(١).

والسلف رحمهم الله مع كونهم يثبتون هذه الصفة -الإستواء- على ظاهرها فهم يكلون كيفيتها وكنهها إلى الله تعالى، وقد عبر عن ذلك إمام دار الهجرة مالك ابن أنس رحمه الله لما سأله رجل **﴿الرحمن على العرش استوى﴾**(٢) كيف استوى؟ فقال: (الكيف مجهول، -وفي رواية غير معقول-، والإستواء منه معلوم -وفي رواية غير مجهول- والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأراك رجل سوء) وأمر به فأخرج(٣). وهكذا جميع أئمة الإسلام، كالأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم، كلامهم يدل على مادل عليه كلام مالك من أن العلم بكيفية الصفات ليس بحاصل لنا، لأن العلم بكيفية الصفة فرع عن العلم بكيفية الموصوف، فإذا كان الموصوف لاتعلم كيفيته امتنع أن تعلم كيفية الصفة(٤).

٥- بعض الأدلة على صفة الإستواء

لقد بنى السلف الصالح رحمهم الله مذهبهم في إثبات صفة الإستواء لله تعالى على نصوص الكتاب والسنة الواضحة البينة في هذا الأمر. فلقد ورد ذكر صفة الإستواء في القرآن الكريم في العديد من الآيات الكريمة، أما مجيؤها بصيغة (استوى) فقد ذكرت في سبع آيات على النحو التالي حسب ترتيب السور:

١- الآية الرابعة والخمسون من سورة الأعراف، وهي قوله تعالى **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾**.

٢- الآية الثالثة من سورة يونس، وهي قوله تعالى **﴿إن ربكم الله الذي خلق السمواتِ والأرضَ في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من**

=(هو صحيح كما قال المؤلف وهذا القول ثابت عن أحمد رحمه الله).

١) رواه الخلال في السنة كما قال ابن القيم في إجتماع الجيوش ص ١٢٣ والذهبي في العلو وهو صحيح كما قال الألباني في مختصره ص١٩٠ وذكره أبو يعلى في طبقات الحنابلة ٤٣١/١.

٢) سورة طه آية ٥.

٣) تقدم تخريجه ص<<٦.

٤) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٣٩٨/٦-٣٩٩.

شفيع إلا من بعد إذنه﴾.

٣- الآية الثانية من سورة الرعد، وهي قوله تعالى **﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾.**

٤- الآية الخامسة من سورة طه وهي قوله تعالى **﴿الرحمن على العرش استوى﴾.**

٥- الآية التاسعة والخمسون من سورة الفرقان، وهي قوله تعالى **﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾.**

٦- الآية الرابعة من سورة السجدة، وهي قوله سبحانه **﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولاشفيع أفلا تتذكرون﴾.**

٧- الآية الرابعة من سورة الحديد، وهي قوله تعالى **﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم﴾.**

فهذه الآيات الكريمات تدل دلالة واضحة على أنه تعالى قد استوى على عرشه استواء يليق بجلاله بعد أن خلق السموات والأرض، فالعجب كل العجب ممن يؤول هذه الصفة العظيمة ويبعدها عن معناها الحقيقي الظاهر ظناً منه بأنها صفة نقص، أو أن ظاهرها غير مراد، أو أن فيه تجسيماً، مع أن الله قد تمدح بها وجعلها من صفات جلاله وكماله وقرنها بما يبهر العقول من صفات الجمال والكمال، وهذا ظاهر لاينكره إلا من أعمى الله قلبه -والعياذ بالله-.

أما نصوص السنة النبوية الدالة على علو الله على خلقه واستوائه على عرشه فكثيرة أيضاً منها:

١- قوله ﷺ «إن الله لما قضى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش

إن رحمتي سبقت غضبي -وفي رواية- غلبت غضبي»(١).

٢- وقول أم المؤمنين زينب بنت(٢) جحش -رضي الله عنها- وهي تفتخر وتعتز على أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ فتقول (زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات)(٣)، ووجه الإستدلال من قول زينب أنها قالت هذا في زمن النبي ﷺ فأقره لكونه هو الإعتقاد الفطري الذي أثبته الشرع(٤).

٣- ومن ذلك قول الرسول ﷺ «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»(٥).

٤- وقوله ﷺ «إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»(٦).

٥- وقوله ﷺ للجارية « أين الله؟ قالت في السماء قال من أنا؟ قالت رسول الله، قال لصاحبها إعتقها فإنها مؤمنة»(٧).

٦- وقوله ﷺ «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء»(٨).

٧- وقوله ﷺ «إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته»(٩).

فهذه الأحاديث وما في معناها تدل دلالة واضحة لا لبس فيها على أن الله سبحانه فوق عرشه فوق سبع سمواته، فهي مفسرة لآيات الإستواء التي سبق

---

١) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص ٢٩٣.

٢) هي زينب بنت جحش الأسدية، بنت عم رسول الله ﷺ وزوجته، تزوجها سنة ٣ وقيل سنة ٥ للهجرة وكانت قبله عند مولاه زيد وقد نزلت بسببها آية الحجاب وفيها نزلت ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ الآيات فكانت تفتخر بذلك، كانت تسمى بأم المساكين لكثرة تصدقها وصلاحها، توفيت سنة (٢٠ هـ) وعمرها (٥٠ سنة) وهي أول زوجاته لحاقاً به، انظر الاستيعاب ٣٠٦/٤- ٣١٠ والإصابة ٣٠٦/٤.

٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد ٤١٥/١٣ برقم ٧٤٢٠، والترمذي في ك تفسير القرآن باب من سورة الأحزاب ٣٣١/٥ برقم ٣٢١٣ وقال حديث حسن صحيح.

٤) انظر فتح الباري ٤٢٣/١٣.

٥) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء ٤١٥/١٣ برقم ٧٤٢٣.

٦) تقدم تخريجه .

٧) رواه مسلم وغيره وقد تقدم تخريجه ص ٨٥.

٨) رواه البخاري في ك التوحيد باب وكان عرشه على الماء ٤١٥/١٣ برقم ٧٤١٨.

٩) رواه أبو داود في ك السنة باب في الجهمية ٩٥/٥ برقم ٤٧٢٦ وابن خزيمة في ك التوحيد ص ١٠٣ والآجري في الشريعة ص ٢٩٣.

ذكرها.

فعلى المسلم أن يؤمن بها ويعتقد ما فيها ويقف مع الكتاب والسنة وألا يغتر بكلام أهل البدع.

ثانياً - صفة المجيء والإتيان

١- موقف القاضي عياض من هذه الصفة ومن حديث الصورة:

اضطرب موقف القاضي عياض أيضاً من هذه الصفة فمرة أثبتها فقال (لقد نطق القرآن بلفظ المجيء والإتيان، قال سبحانه ﴿**وجاء ربُّك والملكُ صفاً صفاً**﴾ (١)، فمجيؤه تعالى على نحو ما يليق بذاته المقدسة القديمة، كما أن مجيئنا على ما تليق به ذاتنا المحدثة المتغيرة)(٢) ومرة أخرى أوّل هذه الصفة بتأويلات متنوعة ناقضاً ما أثبته آنفاً، وإليك بعضاً من تلك التأويلات.

فعن معنى قوله تعالى ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر**﴾(٣) قال: (في هنا بمعنى الباء أي بظلل، والمراد بهذا التأويل أنه سبحانه يظهر من عظيم أمره وأهوال المطلع ما تذهب به عقولهم، لما يتجلى من عظمته وغضبه، ويبرز من ملائكته لتنفيذ حكمته السابقة ومشيئته) وقال أيضاً (مجيؤه إنما هو عبارة عن مجيئ أمره وإظهار بطشه)(٤). ورجح أن يكون معنى الإتيان والمجيئ هو مجيئ بعض ملائكته فقال: (وهو الراجح والأظهر عندي)، وأما عن المراد بالصورة المذكورة في قوله ﷺ «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»(٥)فقد قال إن الصورة هي الصفة، ومعنى الحديث أن الله يتجلى على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها، وإنما عرفوه بصفته وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه لأنهم يرونه لايشبه شيئاً من مخلوقاته، فيعلمون أنه ربهم فيقولون أنت ربنا، وعبر بالصورة عن الصفة لمشابهتها إياها ولمجانسة الكلام، أما أن يراد بالصورة في هذا الحديث الصورة المعنوية بمعنى أن له تعالى حقيقة لا كالحقائق، كما أنه شيء لا كالأشياء، فالمعنى قريب والعبارة سيئة موهمة، وقد زلّ من أثبت لله تعالى صورة

---

١) سورة الفجر آية ٢٢.

٢) منهاج العوارف ص ٤٤.

٣) سورة البقرة آية ٢١٠.

٤) انظر منهاج العوارف ص ١٣، ٤٤.

٥) رواه البخاري في ك التوحيد باب قول الله وجوه يومئذ ناظرة ٤٣٠/١٣ برقم ٧٤٣٧، ومسلم في ك الايمان باب معرفة طريق الرؤية ١٦٧/١-١٧١ برقم ١٨٢ وأحمد ١٧/٣.

لا كالصور، وهذا تناقض وتجسيم محض نعوذ بالله من ذلك(١).

٢- نقد كلام القاضي عياض

أ- نقد موقفه من صفة المجـئ والإتيان: إن الرأى الأول للقاضي عياض في صفة المجـئ هو الصواب في هذه القضية، لأنه يتفق مع مذهب أهل السنة والجماعة حيث إنهم يثبتون ما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات -ومن ذلك الإتيان والمجـئ- ويؤمنون بذلك كله ويجرونه على ظاهره المراد على ما يليق بجلال الله، من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل، ويقولون: إن مجيئه وإتيانه تعالى صفة من صفاته تليق بجلاله وعظمته كما حكى عنهم هذا المذهب غير واحد من أئمة السلف(٢).

وكم كنا نود لو أن القاضي عياض -رحمه الله- سار على هذا المذهب في إثبات هذه الصفة على نحو ما قاله آنفاً، ولكنه -غفر الله له- إختار ما يناقض ذلك فأول المجـئ والإتيان بتأويلات عدة، ورجح أن يكون المراد به مجـئ بعض ملائكته كما قال (وهو الراجح والأظهر عندي).

والحقيقة أن هذا الإختيار والرجحان المزعوم غير صحيح، بل هو فاسد من عدة وجوه منها:

الوجه الأول: أنه يناقض ما ذكره هو نفسه من أن مجيئه تعالى يليق به كما أن مجيئنا يناسب حالنا، فما الذي جعله يؤول ذلك طالما نفى التشبيه عنه تعالى؟! إن كان السبب في هذا الأمر هو الفرار من التشبيه -كما زعم- فإنه مرفوض، لأن الله تعالى لايشبه خلقه في ذاته ولا في صفاته، كما أنهم لايشبهونه في ذلك، وإن كان المانع من إثبات هذه الصفة هو التقليد للشيوخ وللمذهب -وهو الظاهر على ما يبدو(٣)-، فالواجب على العبد المؤمن إتباع الدليل من الكتاب والسنة وعدم تقليد أحد في دين الله، وعليه أيضاً الإيمان الجازم بأن الله

---

١) انظر إكمال المعلم ٨٢٨/٣، ٨٣٢ و٥٣/٦-٥٥ ومنهاج العوارف ٨-١١ وشرح النووي لصحيح مسلم ١٩/٣-٢٠.

٢) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٦-٢٧، والرد على الجهمية للدارمي ص ٧٩-٨٠، وتفسير ابن جرير ٩٦/٨، والأربعين في صفات رب العالمين ص ١٤٢-١٦٤، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٣٣/٣ و١١/٦، ومختصر الصواعق المرسلة ص ٣٦٥ وغيرها.

٣) انظر مشكل الحديث لابن فورك ص ٩٠-٩١ الذي شرحه عياض وقد قلده في ذلك حيث إن كلاهما واحد.

تعالى لايصف نفسه إلا بما هو أهل له من صفات الجمال والكمال والعظمة وكذلك لايصفه رسوله ﷺ إلا بما هو كذلك.

الوجه الثاني: أن سياق الآيات الدالة على مجيئ الله تعالى يبطل التأويل، ففي قوله تعالى مثلا **﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾**(١) وقوله **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾**(٢) فقد عطف مجيء الملك والملائكة على مجيئه تعالى، وهذا يدل على تغاير المجيئين، لأن العطف يقتضي المغايرة كما هو معلوم، فمجيئوه تعالى حقيقي كما أن مجيء الملك والملائكة حقيقي، بل مجيء الرب تعالى أولى أن يكون حقيقياً من مجيء الملك والملائكة، فكيف يجوز أن يجعل مجيء الرب عند المؤولين غير حقيقي ومجيء غيره حقيقياً(٣)؟! إن هذا لشيء عجاب.

الوجه الثالث: أنه إن أمكن معالجة وتأويل المجيء والإتيان بهذا التهرب عن الحقيقة الذي قال به القاضي عياض في الآيتين السابقتين، فماذا يصنع هو وغيره من الأشاعرة في قوله سبحانه **﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾**(٤)، حيث صرّحت الآية بإتيان الملائكة وعطفت عليه إتيان الله تعالى وإتيان بعض آياته، فلو صرح بالمحذوف أو التأويل على رأي من أول مجيئه تعالى، لصار المعنى هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة، أو يأتي ملك ربك، أو أمر ربك، أو بعض آيات ربك، ولايشك عاقل يعرف فصاحة القرآن الكريم وبيانه الذي نزل بلغة العرب، لايشك أن هذا الأسلوب ركيك مستهجن ليس من بلاغة القرآن المعجز، ومن جهة أخرى فإن الآية فرّقت بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات ربك، فقسّمت ونوّعت فيمتنع مع هذا التقسيم أن يكون القسمان (أي إتيان الرب والملائكة) واحداً لمن تأمله.

الوجه الرابع: أن التأويل والمجاز -على فرض صحتهما وثبوتهما- إنما

---

١) سورة الفجر آية ٢٢.
٢) سورة البقرة آية ٢١٠.
٣) انظر مختصر الصواعق ص ٣٦٥.
٤) سورة الأنعام آية ١٥٨.

يلجأ إليهما عند تعذر حمل الكلام على الحقيقة إذ هي الأصل، فما الذي أحال حمل مجي وإتيان الله تعالى على غير حقيقتة؟! هل هو العقل أو النقل أو إتفاق من يعتد به؟! أما النقل والإتفاق فهما بجانب الحقيقة بلا ريب، لأن النصوص ظاهرة الدلالة على ذلك وقد أجمع عليها سلف الأمة، أما العقل الصريح الصحيح فلا يحيل ذلك، بل يقول إن الذي لايفعل شيئاً ولا يتمكن من فعل يقوم به فهو بمنزلة الجماد، فهل يليق أن يوصف الله تعالى بذلك؟!. فاتفق العقل الصريح مع النقل الصحيح الصريح مع إجماع السلف على رد التأويل والحمد لله(١).

الوجه الخامس: أن الذي ادعاه القاضي عياض وغيره من أن المراد بالمجيء هو مجيء بعض الملائكة باطل، لأنه كالملفوظ به، فبعض الملائكة داخل في الملائكة والملك، فيصير في الآية تكرار مخل وركاكة، وكلام الله تعالى منزه عن ذلك.

الوجه السادس: أنه قد جاء التصريح والقطع من رسول الله ﷺ بأن نزول الرب ومجيئه المذكور في الآيات السابقة إنما هو على حقيقته، فقد قال عليه الصلاة والسلام «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم» إلى أن قال «وينزل الله تبارك وتعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي» إلى أن قال «فيتمثل لهم (أي للمؤمنين) الرب تبارك وتعالى فيأتيهم فيقول: مالكم لاتنطلقون كما أنطلق الناس فيقولون: لنا إله ما رأيناه بعد، وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون نعم بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال فيقول: ما هي؟ قال: فيقولون: يكشف عن ساقه، قال: فعند ذلك يكشف عن ساقه، قال فيخر من كان بظهره طبق ويبقى قوم ظهورهم كأنها صياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون» وساق الخبر بطوله(٢).

---

١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٦٥.

٢) رواه الخلال في السنة كما قال أبو يعلى في إبطال التأويلات ١/١٥٥، وعبد الله بن أحمد في السنة ٢/٥٢٠ بإسناد صحيح والطبراني في الكبير ٩/٣٥٧-٣٦١ بإسناد حسن، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٣٢٩ والحاكم في المستدرك ٤/٥٨٩-٥٩٢ وقال رواته ثقات ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٤٣ وقال رواه كله الطبراني من طرق رجال أحدها رجال الصحيح، والحديث صحيح كما قال محقق إبطال التأويلات ١/١٥٥.

فهذا الحديث العظيم ظاهر الدلالة على أن مجيئه تعالى وإتيانه في ظلل من الغمام حقيقي، وإنما يأتي تعالى لفصل الخطاب، ويدل على هذا المعنى أيضاً الأحاديث المتفق عليها والتي تقدمت عند الكلام عن صفة القدم والرجل(١).

فهل يجوز بعد هذا النص الظاهر أن يقول عبد المراد بالمجيء مجيء أمره، أو بعض ملائكته، أو إن (في) بمعنى الباء في قوله تعالى ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر**﴾(٢) كما قال القاضي عياض وغيره؟! ثم هل يجوز للمسلم أن يتقدم بين يدي الله ورسوله؟! أم إن عليه التسليم التام لهما، لأنه لا كلام لأحد بعد قول الله وقول رسوله ﷺ.

الوجه السابع: أن الإتيان والمجيء من الله تعالى نوعان -كما قال الإمام ابن القيم(٣)- مطلق ومقيد، فإذا كان المراد به مجيء رحمته أو عذابه أو غير ذلك كان مقيداً كما في قوله تعالى ﴿**ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم**﴾(٤) وكما في قول أحد الصحابة لرسول الله ﷺ: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال قال:"نعم" ... الحديث (٥) ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى ﴿**فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقفُ من فوقهم**﴾(٦)، أما المجيء والإتيان المطلق فهو الوارد في الآيات التي سبق ذكرها، وهي قوله تعالى ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾ (٧) وقوله ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر**﴾(٨) وغيرها من الآيات، وهذا صريح في أن المراد به مجيؤه تعالى حقيقة لأنه جاء مطلقاً كما لايخفى.

وقد زاد هذا الأمر تبياناً ووضوحاً، قول عبد الله بن عباس ترجمان القرآن مفسراً آية الأنعام الآنفة الذكر حيث قال -رضي الله عنهما- (يأتي الله في ظلل

---

١) راجع ص٣١٧.
٢) سورة البقرة آية ٢١٠.
٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٦٦.
٤) سورة الأعراف آية ٥٢.
٥) رواه مسلم في ك الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند الفتن ٣/١٤٧٥ برقم ١٨٤٧.
٦) سورة النحل آية ٢٦.
٧) سورة الفجر آية ٢٢.
٨) سورة البقرة آية ٢١٠.

من السحاب قد قطعت طاقات) وقال أيضاً (لأهل السماء السابعة أكثر من أهل السموات الست وأهل الأرضين بالضعف، فيجيء الله فيهم والأمم جثاة(١) صفوف (٢))، فهذه هي عقيدة السلف الصالح الذين أجمعوا على أن مجيئه تعالى على مايليق بجلاله، -كما تقدم- وهي مستمدة من الكتاب والسنة، فبطل -بحمد الله- تأويل من فسر المجيء والإتيان على غير حقيقته.

الرد على القاضي عياض في تأويله لحديث الصورة: فسر القاضي عياض -كما تقدم- معنى الصورة الورادة في الحديث بأنها الصفة، وقال: معناها أن الله يتجلى على الصفة التي يعلمها المؤمنون ويعرفونها، وقد أنكر أشد الإنكار على من يثبت لله تعالى صورة لا كالصور ويعني بذلك من يسلك منهج السلف ومنهم الإمام ابن قتيبة(٣) -رحمه الله- الذي قال نثبت لله صورة لا كالصور وقد زعم القاضي عياض أن إثبات الصورة لله فيه تناقض وتجسيم لله، وقد قلد بهذا القول أئمة الأشاعرة -كابن فورك وغيره- الذين لقبوا ابن قتيبة بألقاب قبيحة واتهموه في تشبيه الله بخلقه واتهموه بالجهل والتهافت(٤).

والحق أن ماذهب إليه ابن قتيبة -رحمه الله- وغيره من أهل السنة هو الصحيح، لأن النصوص الصحيحة تدل عليه، وتوضيح ذلك أن حمل تلك النصوص على ظاهرها ليس فيه ما يحيل هذا الأمر، أو يحيل صفاته تعالى ويخرجها عما تستحقه، لأننا نطلق تسمية الصورة عليه تعالى كما أطلقنا تسمية الذات والنفس، وأنها ليستا كالذوات والأنفس لورودود ذلك بالشرع الصحيح، ويبين صحة هذا أيضاً: أن الصورة ليست في حقيقة اللغة العربية عبارة عن التخاطيط كما قد يتوهم هؤلاء، وإنما هي عبارة عن حقيقة الشيء، ولهذا يقال

---

١) الجاثي هو الذي يجلس على ركبتيه قال تعالى ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ سورة الجاثية آية ٢٨ انظر النهاية لابن الاثير ٢٣٩/١.

٢) أخرجهما ابن جرير في تفسيره ١٩١/٢ و١١٨/٣ وذكرهما الذهبي في الاربعين في صفات رب العالمين ص ١٤٢-١٤٣.

٣) هو أبو محمد، عبد الله بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي، الامام النحوي اللغوي الحجة صاحب التصانيف المشهورة، ككتاب المعارف، وأدب الكاتب، وتأويل مختلف الحديث وغيرها، كان ثقة فاضلا صاحب سنة، ولد ببغداد وقيل بالكوفة سنة (٢١٣ هـ) وأقام بالدينور قاضياً مدة فنسب اليها كانت وفاته فجأة بعد أن أغمي عليه ثم أفاق من بعد الظهر، فما زال يتشهد إلى وقت السحر ثم مات وذلك في سنة (٢٧٦ هـ) رحمه الله رحمة واسعة، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٢٧/٢ وشذرات الذهب ٦٩/٢.

٤) انظر مشكل الحديث لابن فورك ص ٦٧.

عرّفني صورة هذا الأمر، فليس في اطلاقها على الله عزوجل أي محذور من دعوى التشبيه والتجسيم وما إلى ذلك مما يدعيه المؤولون ويرمون به المتمسكين بالنصوص، إذ لو كان الأمر كما يقول هؤلاء لما جاز لرسول الله ﷺ أن يطلقه على الله وهو أعلم الناس بربه وأشدهم تنزيهاً وتعظيماً له.

ثم إن إشتراك اسم الصورة بين الخالق والمخلوق لإضير فيه، لأن الإشتراك في الاسم (التسمية) لايعني الإشتراك في المسمى، فليست صفات الله كصفات خلقه ولا العكس، وهكذا صورة الله ليست كصورتهم، ولله در ابن قتيبة ما أفقهه عندما قال (نثبت لله صورة لا كالصورة كما أنه شيء لا كالأشياء، لأن الصورة ليست بأعجب من اليدين والعينين، وإنما وقع الألف لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة في هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدّ)(١).

وهذا الذي قاله الإمام ابن قتيبة هو مذهب المحققين من أئمة السلف منهم الإمام أحمد ابن حنبل وأبو يعلى وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم(٢) وهو الحق والصواب.

ثالثاً - صفة النزول

ذهب القاضي عياض -غفر الله لنا وله- إلى تأويل صفة نزول الرب تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة، بحجة أن إثبات ذلك على حقيقته محال عليه تعالى، لأنه لايعقل ولا يتصور النزول إلا من جسم، زاعماً أن ورود النزول في الحديث وإضافته إلى الله إنما هو على سبيل المجاز، وهو ما يجب أن يتعين الحمل عليه. وقد ذكر في نزول الرب تعالى بعض الأقوال، منها: ما نسبه للإمام مالك -رحمه الله- أنه قال (ينزل أمره في كل سحر وأما هو فدائم لايزول) ومنها: ما نسبه للإمام الأوزاعي أنه سئل عن تأويل معنى النزول فقال (يفعل الله ما يشاء) إشارة إلى أن النزول فعل يظهره الله وأمر يحدثه، ومنها: قول بعضهم ينزل ملك من ملائكته، قال وروى بعضهم الحديث بضم الياء هكذا (يُنْزِل ربنا) والمعنى يُنزل أمره قال: وهي رواية صحيحة المعنى قال: والراجح أن المراد من النزول الوارد في الحديث هو: الإقبال والترحم والتعطف من

---

١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٥٠.

٢) انظر إبطال التأويلات ١/٧٨- ١٠٩ والشريعة للآجري ص ٣١٤-٣١٥ وأساس التقديس لشيخ الإسلام ٢٢١/٣ نقلا عن المسائل والرسائل المروية عن الامام أحمد ٣٥٨/١ وطبقات الحنابلة ٩٣/١ وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لشيخنا عبد الله الغنيمان ٤٢/٢-٤٥.

الله على عباده، ومنه قول العرب نزل الملك إلى رعيته، و المعنى بسط فيهم فضله ونشر عليهم عدله، وهو معروف في لسان العرب، فأشار النبي ﷺ في هذا الحديث إلى إقبال الله على خلقه بالرحمة و الإستعطاف ونشر لواء الفضل و أنه يجيب نفسه سبحانه لهم بإجابة الدعاء وغفران الذنوب وإعطاء المحتاجين من عباده الذين سألوه وقت الخلوات بلسان الحاجات إظهاراً منه سبحانه لمعاني أسمائه وحقيقة وجوده، وإنما خص الليل بالنزول لأن الخلوات مظنة إجابة الدعوات، لأنه حين تنام العيون ويخلو كل حبيب بحبيبه، فالليل هو مظنة العابدين، وموضع أنس المشتاقين، ومنقسم أزواج المحبين، وفيه يظفرون بلذيذ الوصال و القرب من محبوبهم وفقدان حس الأشياء من قلوبهم(١).

٢- نقد موقف القاضي عياض

يجاب عما توهمه القاضي عياض من التشبيه و الجسمية لله -إن نحن أثبتنا صفة النزول لله على حقيقتها- بما يجاب عنه وذكر سابقاً في بقية الصفات، وهو أنه لا مجال لهذا ههنا قط لأنه سبحانه ليس كمثله شيء، فصفاته تعالى تليق بجلاله فما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال و الجلال فهو حق على ظاهره، لانشك فيه ولا نؤوله، بل نضعه على الرأس و العين، ولا نقول إنه مجاز ليس على ظاهره، لأن هذا لايليق بنا وليس من دأب سلفنا الصالح، بل هذه طريقة المتكلمين التائهين عن الحق و الصواب، نسأل الله العافية.

أما ما نسبه القاضي عياض للإمامين الجليلين الأوزاعي ومالك، فنحن في شك من صحة ذلك إليهما، لأننا نبرؤهما وجميع علماء السلف من التأويل المذموم الذي قال به الخلف، ولقد تقدم معنا كلام الأوزاعي الذي نص فيه على أنه كان يقول هو و التابعون المتوافرون: (إن الله تعالى ذكره فوق عرشه وإنهم يؤمنون بما ورد به السنة من الصفات)، كما ثبت عنه وعن مالك وعن جمع كبير من التابعين وتابعيهم بإحسان أنهم أجابوا لما سئلوا عن أخبار الصفات بقولهم (أمروها كما جاءت بلا كيف) كما تقدم قول مالك رحمه الله لمن سأله عن كيفية الإستواء فأجابه قائلا (الإستواء معلوم و الكيف مجهول... الخ)(٢). وصفة النزول لاتختلف عن صفة الإستواء لأن المتصف بهما واحد فكما أن الإستواء معلوم وكيفه مجهول فكذلك النزول، وطريق ثبوتهما واحد أيضاً ألا

---

١) انظر منهاج العوارف ص ٧٨ و١٥٦.

٢) راجع نماذج من أقوال السلف الصالح في إثبات الصفات ص(٢٢٧-٢٣٤) فقد خرجت هذه الآثار وغيرها في هذا الموضوع.

وهو الكتاب والسنة.

أما ما رجحه القاضي عياض من أن نزول الله هو إقباله تعالى على خلقه بالرحمة والإستعطاف إلى آخر كلامه، فالجواب عنه أن يقال: إن هذا الترجيح باطل من وجوه عديدة منها:

الوجه الأول: أنه قد صح عن رسول الله ﷺ قوله «إذا ذهب شطر الليل الأول ينزل الله إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟! هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى ينشق الفجر»(١). وصح عنه ﷺ قوله أيضاً «إن الله يمهل حتى إذا ذهب شطر الليل نزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر يغفر له؟ هل من داع يستجاب له؟ هل من تائب فأتوب عليه حتى ينشق الفجر»(٢) فقد أضاف الرسول ﷺ النزول في هذين الحديثين إلى الله تعالى فكيف يجوز أن نضيفه إلى رحمته أو إلى غيره؟!.

الوجه الثاني: أن في أحاديث النزول مايبطل -بحمد الله- أي تأويل لهذه الصفة، وهو قوله تعالى «هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه» وهذه صفة تختص بالذات العلية المقدسة لايصح وجودها من الرحمة والأفعال التي هي صفات قائمة بذات الله تعالى(٣).

الوجه الثالث: أنه لو جاز تأويل النزول على ما ذكره القاضي عياض وغيره، لجاز تأويل قوله ﷺ «سترون ربكم»(٤) من الرؤية بالأبصار إلى رؤية رحمته(٥) وهذا ما لايرضاه القوم.

الوجه الرابع: أنه قد جاء في أحاديث النزول بأنه تعالى ينزل إذا ذهب

---

١) رواه البخاري في ك التهجد باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ٣٥/٣ برقم ١١٤٥، ومسلم في ك صلاة المسافر باب الترغيب في الدعاء في آخر الليل والإجابة فيه ٥٢٢/١ برقم ٧٥٨، واللفظ لمسلم.

٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة باب نزول ربنا إلى السماء الدنيا ٢١٩/١ برقم ٥٠٢ وصححه الألباني في تخريجه له، ورواه الدار قطني في كتاب النزول ص ٩٦ برقم ٦.

٣) انظر إبطال التأويلات ٢٦٤/١.

٤) متفق عليه سيأتي تخريجه عند الكلام عن رؤية المؤمنين ربهم إن شاء الله.

٥) إبطال التأويلات ٢٦٣/١.

شطر الليل إلى السماء الدنيا وأنه يرتفع إذا طلع الفجر ولو كان المراد بذلك نزول رحمته -كما زعم المؤولون- لكانت رحمته غير موجودة في عباده إلا في ذلك الوقت القصير، وهذا باطل لأن رحمته تعالى قد وسعت كل شيء وعمت خلقه في جميع الأوقات، ولولا وجودها فيهم لعجل بالإنتقام من الكافرين والعصاة في الدنيا قبل الآخرة ولما رزقهم وأحياهم.

الوجه الخامس: أن السلف الصالح -رحمهم الله- مع إعتقادهم بإثبات النزول لله تعالى على حقيقته بلا كيف، فإنهم يقولون لايخلو العرش منه تعالى، وهم يطلقون القول في النزول ويقولون: نؤمن به كما ورد من غير تكييف، كما ثبت ذلك عن كثير من الأئمة، منهم أبو حنيفة ومالك والشافعي، وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك والترمذي وأحمد بن حنبل، وابن خزيمة والصابوني والفضيل بن عياض، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم(١). فكما يعتقد السلف -ومنهم هؤلاء المذكورون- أن لله يدين ووجهاً وعينين، وأنه مستو على عرشه، إلى غير ذلك من الصفات التي تليق بجلاله فكذلك يعتقدون أنه عزوجل ينزل نزولا يليق بجلاله، وإن لم نعقل كيفية ذلك بعقولنا القاصرة.

أما الرد على من تأول النزول بأنه نزول الملك فالجواب عنه ما تقدم، وأيضاً بالقول بأن هذا لا يصح لأنه ﷺ قال «ينزل ربنا عزوجل» فأضاف النزول إلى الرب فكيف يضاف إلى الملك؟! ثم هل الملك يغفر ويعطي للعباد ويتوب عليهم؟! الجواب كلا.

أما الرد على ما جوّز القاضي عياض من أن يكون قوله ﷺ «يُنزل ربنا» بضم الباء فالجواب عنه ما تقدم والقول أيضاً بأن هذه الرواية لاتصح ولا تحفظ عن أحد من أصحاب الحديث كما قال الإمام أبو يعلى(٢) والذي يوضح بطلان هذا التأويل قوله ﷺ في الحديث المتقدم «هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه ... الحديث»، وهذه الصفات -المغفرة والعطاء والتوبة- تختص بها الذات دون الأفعال، وما هذه الزيادة في الحديث وذلك التأويل، إلا تحريف للكلم عن مواضعه إفتراه المبطلون لأخبار الصفات فالله، وكيلهم

---

١) انظر المرجع السابق ٢٦٠/١-٢٦٢ وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٦-٢٧ و٤٢ والرد على المريسي للدارمي ص ١٩-٢٠ والإبانة ص ١١٢ والشريعة ص ٣٠٦-٣١٤ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦١/٥-٣٢٢، ٣٦٦، ٣٧٥-٤١٥ والأربعين في صفات رب العالمين ص ٧٢ ومعارج القبول لحافظ حكمي ١٩٠/١ وشرح لمعة الإعتقاد ص ٣٢ وغيرها.

٢) انظر إبطال التأويلات ٢٦٥/١.

وحسيبهم وهو الذي سيجازيهم عما يقولون.

رابعاً - صفة المحبة

١- موقف عياض من هذه الصفة:

ذهب القاضي عياض -رحمه الله- إلى تأويل صفة المحبة لله بقوله: محبة الله لعبيده رحمته لهم وعصمته لهم، وتوفيقه إياهم، وتمكينه من سعادتهم ورضاه عنهم وإرادته لهم، وفعله بهم في ذلك فعل المحب لحبيبه ومراده لهم من الخير، وأصل المحبة الميل لما يوافق المحِب، والله جل اسمه منزه عن أن يميل أو يمال إليه(١).

٢- الرد على عياض في ذلك:

الحقيقة أن ما فسر به القاضي عياض معنى محبة الله تعالى إنما هو تفسير لهذه الصفة بلوازمها، وتأويل لصفة من الصفات العظيمة التي اتصف بها، فيجب عليه أن يثبتها لله تعالى على ما يليق بجلاله دون تحريف أو تكييف أو تمثيل، ويبدو أن الذي منعه من ذلك هو توهمه أن الله منزه عن أن يميل أو يمال إليه كما نص على ذلك.

الجواب عن هذه الشبه أن يقال:

أولا: إن الذي وصف الله بهذه الصفة إنما هو الله نفسه ورسوله ﷺ، ولا أحد أعلم بالله من الله ولا أحد أعلم به تعالى بعده من رسوله، فلو لم يكن وصف الله بهذه الصفة جائزاً لما ورد ذكرها في الكتاب والسنة ولما مدح الله بها نفسه.

ثانياً: يلزم القاضي عياض وكل من أول صفة المحبة أن لايثبت الإرادة لله تعالى على حقيقتها، لأنها لاتكون إلا للمناسبة بين المريد والمراد، وملائمته في ذلك تقتضي الحاجة، وإلا فما لايحتاج إليه الحي لاينتفع به ولايريده، ولذلك إذا أراد به العقوبة والإضرار لايكون إلا لنفرة وبغض، وإلا فما لم يتألم به الحي أصلا لايكرهه ولا يدفعه، وكذلك نفع الغير وضرره هو في الحي متنافر من الحاجة، فإن الواحد منا إنما يحسن إلى غيره لجلب منفعة أو دفع مضرة، وإنما

---

١) انظر إكمال المعلم ٤٢٧/٢ و٤٤،٨/٦، ٥٧.

المحبة. من ذلك قوله سبحانه ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾(١) وقوله ﴿إن الله يحب المقسطين﴾(٢) وقوله ﴿إن الله يحب المتقين﴾(٣) وقوله ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾(٤) وقوله ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾(٥) والآيات في هذا كثيرة، ولقد دلت الآيات السابقات على إثبات أفعال له تعالى ناشئة عن صفة المحبة، ومحبة الله تعالى لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له قائمة به تعالى، وهي من صفات الفعل الإختيارية التي تتعلق بمشيئته فهو سبحانه يحب بعض الأشياء دون البعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة.

ومن الأدلة على صفة المحبة من السنة قوله ﷺ «إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض» متفق عليه(٦).

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء»(٧) وقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً «إن الله يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على ماسواه» متفق عليه(٨)، وإلى غير ذلك من النصوص الدالة على صفة المحبة لله تعالى.

---

١) سورة البقرة آية ١٩٥.
٢) سورة الممتحنة آية ٨.
٣) سورة التوبة آية ٧.
٤) سورة البقرة آية ٢٢٢.
٥) سورة آل عمران آية ٣١.
٦) رواه البخاري في ك بدء الخلق باب ذكر الملائكة ٣٤٨/٦ برقم ٣٢٠٩ وفي ك التوحيد باب المِقَةُ من الله ٤٦٨/١٣ برقم ٧٤٨٥، ومسلم في ك البر والصلة باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده ٢٠٣٠/٤ برقم ٢٦٣٧، ومالك في ك الشعر باب ماجاء في المتحابين في الله ٩٥٣/٢ برقم ١٥، وأحمد ٢٦٧/٢، ٣٤١، ٤١٣.
٧) رواه الترمذي في ك الطب باب ماجاء في الحمية ٣٨١/٤ برقم ٢٠٣٦ وحسنه، وأحمد ٤٢٧/٥ بنحوه والحاكم ٢٠٨/٤ وصححه ووافقه الذهبي.
٨) رواه البخاري في ك الادب باب الرفق في الأمر كله ٤٤٩/١٠ برقم ٦٠٢٤، ومسلم في ك السلام باب النهي عن إبتداء أهل الكتاب بالسلام ١٧٠٦/٤ برقم ٢١٦٥، والترمذي في ك الإستئذان باب ماجاء في التسليم على أهل الكتاب ٦٠/٥ برقم ٢٧٠١.

خامساً - صفة الغضب

١- موقف القاضي عياض منها: أوّلَ القاضي عياض -غفر الله لنا وله- صفة الغضب لله تعالى، فعند شرحه لقوله ﷺ «إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل إني أحب فلاناً فأحبه... وإذا أبغض عبداً نادى جبريل إني أبغض فلاناً فأبغضه...» الحديث[1] قال: (بغضه تعالى له إرادة عقابه وشقاوته في الدنيا والآخرة، والغضب مقابل الرحمة، وهو عبارة عن إرادة الإنتقام في الحقيقة فسببه الغضب إلا أن العبارة بالسبب عن المسبب وبالعكس)[2].

وقال أيضاً (الإعراض والغضب والسخط من الله تعالى على من يشاء، إرادته عذابهم أو إبعادهم بعذابه، أو إنكاره أفعالهم وذمها، وهذه الأمور في المخلوق تغير حاله لإرادة السوء وفعله بمن غضب عليه، والله جل اسمه يتعالى عن التغير وإختلاف الحال)[3].

٢- الرد على القاضي عياض في تأويله لصفة الغضب:

إن ماذهب إليه القاضي عياض من تأويل لصفة الغضب هو بعينه ما قرره الأشاعرة، حيث أولوا هذه الصفة بإراده الإنتقام، لأن الغضب كما قالوا هو غليان دم القلب وذلك لايليق بالله تعالى[4].

والجواب عن هذه الشبهة التي توهموها أن يقال إن هذا هو تفسير الغضب بلوازمه وتأويل لصفة الغضب الثابتة لله، وليس إثباتاً لها، لأن إثبات هذه الصفة وما يشابهها من السخط والإعراض والكراهية والمقت، قد دلت عليها نصوص الكتاب والسنة. قال تعالى ﴿**ومن يَقتلْ مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنمُ خالداً فيها وغضب اللهُ عليه ولعنه**﴾[5] وقال ﴿**ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخطَ اللهَ وكرهوا رضوانه فأحبطَ أعمالهم**﴾[6] وقال ﴿**ولكنْ كره اللهُ إنبعاثهم فثبّطهم**﴾[7] وقال ﴿**يأأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون كبُر مقتاً عند**

---

١) تقدم تخريجه قريباً.

٢) إكمال المعلم ٥٧/٦ ومنهاج العوارف ص ١٤١.

٣) المرجع السابق ٦٣٧/٢-٦٣٨ ومشارق الانوار ٢١٠/٢.

٤) انظر الإنصاف للباقلاني ص ٦١-٦٣.

٥) سورة النساء آية ٩٣.

٦) سورة محمد آية ٢٨.

٧) سورة التوبة آية ٤٦.

الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾(١) وقال عليه الصلاة و السلام «من لم يسأل الله يغضب عليه»(٢).

فهذه النصوص وما في معناها استدل بها أهل السنة و الجماعة على إثبات صفة الغضب و البغض و الإنتقام و السخط و الكراهية لله تعالى، وهم يؤمنون بها على ظاهرها المراد منها على ما يليق بالله تعالى من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل كما هو مذهبهم في باقي الصفات وكما تقرر ذلك في كثير من المواضع.

ومامن شك أن كل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من الصفات فهو كمال يليق بالله عزوجل، ومن ذلك صفة الغضب، وقد دل العقل على إتصاف الله بهذه الصفة، فإذا قدر -كما يقول شيخ الإسلام(٣)- وجود شيئين، أحدهما يبغض المتصف بضد الكمال كالظلم و الجهل و الكذب ويغضب على من يفعل ذلك، و الآخر لافرق عنده بين الجاهل الكاذب الظالم، وبين العالم الصادق العادل، لايبغض هذا ولا هذا، ولا يغضب لا على هذا ولا على هذا كان الأول أكمل، وأيضاً لو قدرنا وجود اثنين أحدهما عنده قوة يدفع بها الفساد، و الآخر لافرق عنده بين الصلاح و الفساد، كان الذي عنده تلك القوة أكمل، فوجود الغضب مع الرضا و البغض مع الحب هو أكمل ممن لايكون منه إلا الرضا و الحب دون البغض و الغضب للأمور المذمومة التي تستحق أن تذم، ولهذا وصف الله تعالى بذلك نفسه.

ومن جهة أخرى فإن الشبهة التي ذكرها القاضي عياض -ومن قبله الأشاعرة- وهي قولهم: إن الغضب لايتصور من الله لأنه من صفات الأجسام إذ الغضب غليان دم القلب لطلب الإنتقام وإرادة السوء بالمغضوب عليه. فالجواب عنها أن يقال: إن هذا ليس بصحيح في حقنا كما وضح شيخ الإسلام(٤) رحمه الله، لأن الغضب قد يكون لدفع المنافي قبل وجوده فلا يكون هناك إنتقام، ثم إنه ليس كل غضب منا لإرادة السوء، بل منه ما يكون لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وهذا في حقيقته إرادة الخير بالمغضوب عليه، و أيضاً: فإن غليان دم القلب، يقارنه الغضب وليس مجرد الغضب هو غليان دم القلب كما أن الحياء يقارنه حمرة الوجه، و(الوجل) يقارن صفرة الوجه لا أنه هو، و أيضاً: فلو قدر أن هذا

---

١) سورة الصف آية ٢-٣.

٢) حديث صحيح رواه أحمد ٤٤٢/٢ وغيره وقد تقدم تخريجه ص ١٤٦.

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٩٢/٦-٩٤.

٤) المرجع السابق ١١٩/٦-١٢٠.

هو غضبنا حقيقة لم يلزم أن يكون غضب الله مثل غضبنا، كما أن حقيقة ذاته تعالى ليست كذاتنا، فليس هو مماثلا لنا لا لذاتنا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته لا تماثل صفاتنا.

ومما يرد به على هؤلاء أيضاً أن نقول: إن الله تعالى قد غاير بين الغضب والإنتقام فقال سبحانه **﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾**(١) أي فلما أغضبونا انتقمنا منهم، فجعل سبحانه الإنتقام نتيجة للغضب فدل على أنه غيره وليس كما زعم المؤولة بأنه نفسه. وهكذا نجد أن الشبه التي نسجها مؤولوا الصفات من بيوت العنكبوت، وتبعهم القاضي عياض فيها لتأويل صفة الغضب، لاتقوى على مقاومة لأنها شبه داحضة، فالحق أبلج والباطل لجلج.

سادساً - صفة الرحمة

١- موقف أبي الفضل من هذه الصفة: ذهب القاضي عياض إلى تأويل صفة الرحمة بمعنى الإرادة فقال: رحمة الله وغضبه معقولان راجعان إلى صفة من صفات الذات وهي الإرادة، فإرادة الإنعام يعبر عنها بأنها رحمة، إذ هي معقولة الرحمة، وإعطاء المحتاج والإنعام على الخلق، وهي من صفات التعلق التي لن يظهر حقيقتها إلا في خلقه، فلا بد من بروزها فيهم وإظهار أثرها لديهم، والغضب مقابلها وهو عبارة عن إرادة الإنتقام في الحقيقة)(٢).

٢- مناقشته فيما ذهب إليه:

الحق أن تأويل القاضي عياض لصفة الرحمة بأنها راجعة لصفة الإرادة قول باطل، وتقليد للمتكلمين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويعطلون الباري عزوجل عن صفاته العليا، بحجة تنزيهه عن مشابهة خلقه، فقد فسروا صفة الرحمة بلازمها وعطلوه تعالى من الإتصاف بصفة هي من أجل وأعظم صفاته، وذلك ناتج في الحقيقة عن توهم التشبيه عند القوم، لأن المعطل شبّه أولا ثم عطّل، ولو أنه نزّه الله تعالى عن مشابهة خلقه ووصفه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ لسلم من كل هذه المحاذير ولقدر الله حق قدره.

والشبهة التي جعلت أبا الفضل يؤول هذه الصفة (الرحمة) -تبعاً للأشاعرة وغيرهم- وإن لم يذكرها ههنا إلا أنها مشهورة معلومة عند القوم ألا وهي أن

---

١) سورة الزخرف ٥٥.

٢) منهاج العوارف ص ١٤١.

إثبات صفة الرحمة على ظاهرها محال، لأن الرحمة رقة في القلب أو رقة تكون في الراحم وهي ضعف وخور في الطبيعة وتألم على المرحوم، وهذه المعاني نقص وما كان كذلك فهو مستحيل في حق الله تعالى، فإثبات الرحمة إذاً مستحيل وإنما المراد لازمها أو إرادة لازمها، وهو إرادة الخير، أو إرادة الأنعام والإحسان هكذا يدعون، وبطلان هذا الأمر من وجوه:

الوجه الأول: أن قولهم (الرحمة ضعف وخور) إلى آخر كلامهم باطل، لأن الضعف والخور مذموم في الآدميين والرحمة ممدوحة، قال سبحانه مادحاً عباده المؤمنين **﴿وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة﴾** (١) وقد نهى سبحانه عن الوهن والحزن فقال **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾**(٢) وحث رسول الله ﷺ على الرحمة وحذر من عدم الإتصاف بها فقال «لاتنزع الرحمة إلا من شقي»(٣) وقال أيضاً «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (٤) إلى غير ذلك من النصوص، فمحال أن يقول ﷺ لاينزع الضعف والخور إلا من شقي، ولكن لما كانت الرحمة تقارن في حق كثير من الناس الضعف والخور -كما في رحمة النساء ونحو ذلك- ظن من أولها بالضعف والخور أنها كذلك مطلقاً وقد تبين بطلان ذلك(٥).

الوجه الثاني: أنه إن صح كلامهم هذا فإنه من لوازم صفات المخلوق المعروفة لنا حقيقة ذاته، أما بالنسبة لصفات رب العالمين فهذه اللوازم غير لازمة لصفاته تعالى، وقياس صفات الخالق على صفات الملخوق قياس فاسد، وهو سر ضلال الجهمية ومن قلدهم من الأشاعرة وغيرهم، وقد تقدم فيما سبق القول (أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات) فكما أن له سبحانه ذاتاً تليق بجلاله فله صفات تليق به، ونحن نثبتها كما وردت بدون تكييف أو تعطيل لها،

---

١) سورة البلد آية ١٧-١٨.

٢) سورة آل عمران آية ١٣٩.

٣) رواه أبو داود في ك الادب باب في الرحمة ٥/٢٣٢ برقم ٤٩٤٢، والترمذي في ك البر باب ما جاء في رحمة المسلمين ٤/٢٨٥ برقم ١٩٢٣ وقال هذا حديث حسن، ورواه أحمد في المسند ٢/٣٠١، ٤٤٢، ٤٦١، ٥٣٩ وحسنه الالباني في صحيح الجامع ٦/١٨٥ برقم ٧٣٤٤.

٤) حديث صحيح تقدم تخريجه في ص٢٣٥

٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٦/١١٧.

فلا يجوز إذاً أن نقيس صفات الباري على صفات خلقه.

الوجه الثالث: أنهم فسروا الرحمة بصفة أخرى وهي الإرادة (إرادة الإنعام أو الإحسان إلى آخره)، وهذا تفسير مبتدع مرفوض لدى العقلاء، لأن الإرادة صفة غير صفة الرحمة، وكذلك الغضب والرضا والمحبة والفرح وسائر الصفات التي فسروا بعضها ببعض وكلها ثابتة بالكتاب والسنة.

الوجه الرابع: أن تفسير المحبة بغير حقيقتها فيه شبه بفعل المشركين كما قال ابن القيم[1] الذين جحدوا هذه الصفة وإن لم يكونوا منكرين لذاته وربوبيته كما حكى الله عنهم ذلك بقوله **﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾**[2].

الوجه الخامس: أن العقل دلّ عليها، كما دل الشرع على إثباتها، فإن من اتصف بالرحمة أكمل عند العقلاء ممن حرمها، وكل كمال أتصف به المخلوق وأمكن للخالق أن يتصف به فهو أحق به فكيف إذا جاء الشرع به؟.

الوجه السادس: أنه من أعظم المحال أن تكون رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شيء على غير حقيقتها، وتكون رحمة العبد الضعيفة القاصرة المخلوقة المستعارة من ربه التي هي من آثار رحمته حقيقية، فهل في قلب الحقائق أكثر من هذا؟!، فالعباد إنما حصلت لهم هذه الصفات التي هي كمال في حقهم من آثار صفات الرب سبحانه، فكيف تكون لهم حقيقية وله على غير حقيقتها؟! يوضح ذلك الوجه الذي يليه.

الوجه السابع: وهو مارواه أهل السنن عن النبي ﷺ أنه قال فيما يرويه عن الله عزوجل «أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن

---

١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٦٧.

٢) سورة الفرقان آية ٦٠.

وصلها وصلته ومن قطعها قطعته»(١)، فهذا صريح في أن اسم الرحمة مشتق من اسمه الرحمن عزوجل، فدل على أن رحمته لما كانت هي الأصل في المعنى كانت هي الأصل في اللفظ، ومثله ماجاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي -وفي لفظ- غلبت غضبي»(٢). وقال سبحانه ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾(٣) فوصف نفسه سبحانه بالرحمة وتسمى الرحمن قبل أن يكون بنو آدم فادعاء أن رحمته ليست حقيقية من أعظم الباطل(٤).

الوجه الثامن: أن وصفه تعالى بكونه رحماناً رحيماً أولى من وصفه بالإرادة، وذلك لأن الرحمن الرحيم من أسمائه الحسنى، بخلاف المريد فليس من الأسماء الحسنى، لأن الإرادة تتناول ما يحسن إرادته ومالا يحسن فلم يوصف بالإسم المطلق منها وإن كان فعالا مريداً، فإذا قيل إنه مريد حقيقة وليس من أسمائه الحسنى المريد، فلأن يكون رحماناً رحيماً حقيقة وهو موصوف بالرحمة حقيقة ومن أسمائه الرحمن الرحيم أولى وأحرى(٥).

الوجه التاسع: أن ظهور هذه الصفة في الوجود كظهور أثر صفة الربوبية والملك والقدرة، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء، كما أن الموجودات كلها دلت له بالربوبية التامة الكاملة، وما في العالم من آثار التدبير والتصريف الإلهي شاهد بملكه سبحانه، فجعل صفة الرحمة واسم الرحمن على غير حقيقتهما كجعل صفة الملك والربوبية كذلك ولا فرق بينهما في شرع ولا عقل ولا لغة، يوضح بطلان تأويل هذه الرحمة ما خص سبحانه وتعالى الوجود من آثار رحمته العامة والخاصة، فبرحمته أرسل الينا رسوله ﷺ وأنزل علينا كتابه وعصمنا من الكفر

---

١) رواه أبو داود في ك الزكاة باب في صلة الرحم ٣٢٢/٢ برقم ١٦٩٤، والترمذي في ك البر باب في قطيعة الرحم ٢٧٨/٢ برقم ١٩٠٧، وأحمد في المسند ١٩١/١، ١٩٤، ٤٩٨/٢ وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند برقم ١٦٧، ١٦٨٦ وكذلك الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٥٢٠.

٢) تقدم تخريجه ص٩٢

٣) سورة الأنعام آية ٥٤.

٤) انظر مختصر الصواعق ص ٣٧١-٣٧٢.

٥) المرجع السابق ص ٣٧٥-٣٧٦.

والجهالة، وبرحمته رزقنا وسخر لنا مافي السموات والأرض جميعاً منه، ومن رحمته أن له مائة رحمة أنزل منها واحدة يتراحم بها الخلق وأبقى عنده تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده(١).

سابعاً - صفة الفرح

صفة الفرح من الصفات الفعلية التي انفردت السنة النبوية بإثباتها دون الكتاب العظيم فقد قال رسول الله ﷺ مقرراً ذلك «لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في فلاة» متفق عليه وفي رواية لمسلم «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»(٢).

١- موقف القاضي عياض من هذه الصفة

ذهب القاضي عياض -غفر الله لنا وله- إلى تأويل هذه الصفة أيضاً فقد قال بعد ذكره عدداً من الأحاديث في هذا الباب ومنها ما تقدم (هذه أخبار تستدعي التأويل، وقد تقرر أن الفرح في لسان العرب يطلق على معان منها البطر والأشر، ومنه قوله تعالى **﴿لا تفرحْ إن الله لايحب الفرحين﴾**(٣) ويطلق ويراد به السرور واهتزاز القلب كقوله تعالى **﴿وجرين بهم بريحٍ طيبةٍ وفرحوا بها﴾** (٤)، ويطلق ويراد به الرضا والإقبال،وهذا من باب تسمية أحد المتلازمين باسم الآخر،وهذا هو الفرح المنسوب للحق سبحانه وهو كثير في الإستعمال، فمن فرح الله به فقد أقبل عليه ورضي عنه وبسط رحمته عليه)(٥).

---

١) المرجع السابق ص ٣٧٥-٣٧٦ قلت وقد صح ما ذكره ابن القيم حديث عن رسول الله ﷺ وهو قوله «جعل الله الرحمة في مائة جزء فأمسك تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» رواه البخاري في ك الأدب باب (١٩) ٤٤٦/١٠ برقم ٦٠٠٠ ومسلم في ك التوبة باب سعة رحمة الله ٢١٠٨/٤ برقم ٢٧٥٢.

٢) تقدم تخريجهما ص١٧٧.

٣) سورة القصص آية ٧٦.

٤) سورة يونس آية ٢٢.

٥) منهاج العوارف ص ٨٠.

٢- الرد عليه في ذلك

إن ما ذهب إليه أبو الفضل ههنا هو بعينه ما قاله شيخ شيوخه ابن فورك(١) وغيره من أئمة الأشاعرة الذين يؤولون الصفة بلازمها وأثرها كما أتضح من كلام القاضي عياض السابق والذي حملهم على هذا التأويل هو دعوى أن حقيقة الفرح خفة وإنفعال وتغير من حال إلى حال، أو بطر وأشر وكلاهما مستحيل في حقه تعالى كمال قالوا، والجواب عن شبهتهم هذه يشبه الجواب عن الشبه السابقة، وهو أنهم لايكادون يفهمون من نصوص الصفات إلا حقائق صفات المخلوقين، فيفسرون صفات الباري بتلك الحقائق فيقعون في التشبيه، ثم يحاولون التخلص مما تورطوا فيه من التشبيه بإرتكاب بدعة التأويل، والقول على الله بغير علم، هذه حقيقتهم أو أكثرها على إختلاف مشاربهم وطرقهم، وإلا فما المانع شرعاً وعقلاً أن يوصف الله بصفة الفرح وغيرها على مايليق بجلاله كما وصف الله بصفة الإرادة والسمع والبصر وغيرها مع نفي التشبيه عنه؟! أو ليس رسوله ﷺ أعلم الخلق به هو الذي وصفه بهذه الصفة؟! ألا يسعنا ما وسعه وما وسع سلفنا الصالح رحمهم الله الذين تلقوا هذه الصفة وغيرها -وكذلك جميع النصوص- بالقبول والتسليم فأثبتوها لله تعالى على ما يليق بجلاله؟ و هل نحن أعلم وأتقى لله منهم وأفصح وأدرى باللغة العربية من هؤلاء حتى نؤولها عن حقيقتها؟!.

هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإننا لاننكر أن من فرح الله به فقد أقبل عليه ورضي عنه وبسط رحمته عليه -كما قال عياض- لأن هذه الأمور مما تتضمنه صفة الفرح، لأنه تعالى يوفق من يشاء من عباده للتوبة، فإذا تابوا تقبل توبتهم وفرح بها فرحاً شديداً، وهذا من شدة وعظمة رحمته تعالى بهم، أما أن نفسر الفرح بلازمه ونعطل الله من صفة عظيمة وصفه بها رسوله ﷺ، فهذا لايجوز أبداً لأنه يتنافى مع التسليم لله وللرسول ويوردنا في متاهات وضلالات لا يعلمها إلا الله.

فنسأل الله أن يعفو عنا وعن أبي الفضل عياض وعن جميع المسلمين إنه سميع كريم.

---

١) انظر مشكل الحديث ص ١٨٧-١٨٨.

ثامناً - صفة الضحك

الضحك قريب من الفرح والرضا والمحبة من حيث المعنى العام، وهو صفة من صفات الأفعال التي تقوم بالله تعالى كما يليق بجلاله، وهو من الصفات التي انفردت السنة الشريفة بإثباتها لله تعالى فلم تأت بالقرآن، وهذا الإنفراد لايؤثر عند أهل السنة والجماعة، لأن ما ورد في السنة الصحيحة كالذي يثبت بالقرآن دون فرق، لأنه ﷺ لاينطق عن الهوى، ولأن القرآن يأمر المؤمنين بالأخذ بالسنة كما هو معلوم.

ومما ورد في إثبات صفة الضحك لله تعالى الأحاديث الآتية:

١- قوله ﷺ "يضحك ربنا إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر فيدخلان الجنة، يقاتل هذا فيقتل فيتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد" متفق عليه(١).

٢- وقوله ﷺ "فيتجلى لهم يضحك"(٢) أي ربنا يضحك لأهل الجنة كما هو في سياق الحديث الطويل.

٣- وقوله ﷺ "ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، فقال رجل يا رسول الله أيضحك ربنا؟! قال نعم قال لن نعدم من رب يضحك خيراً"(٣).

٤- وقوله ﷺ "يتجلى لنا ربنا ضاحكاً يوم القيامة"(٤).

٢- موقف القاضي عياض من صفة الضحك لله

مما يؤسف له أن القاضي عياض قد أول هذه الصفة لله تعالى، وقد تعددت تأويلاته في ذلك فقد قال بعد ذكره لعدد من الأحاديث الدالة على هذه الصفة ومنها بعض ما تقدم قال (إن هذه الأخبار صحيحة مشهورة، وتأويلاتها قريبة جداً، لأن العرب تكنى بالضحك عن القبول والرضا وإظهار الفضل والإمتنان ونشر الرحمة، وذلك كله من متعارف العقلاء ومن لوازم الضحك، أما المراد من الضحك المضاف إلى الله سبحانه فهو عبارة عن إظهار فضله وكرمه ونعمه على عبده ورضاه بفعله ومحبته للقائه)(٥) وقال أيضاً (الضحك استعارة في حق الله لايجوز عليه الضحك المعلوم، لأنه إنما يصح من الأجسام والله منزه عن ذلك، وإنما يرجع إلى الرضا بفعل العبد

---

١) رواه البخاري في ك الجهاد باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل ٣٩/٦ برقم ٢٨٢٦، ومسلم في ك الإمارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة ١٥٠٤/٣ برقم ١٨٩٠.

٢) رواه مسلم في ك الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة ٧٦/١ برقم ١٨٩.

٣) رواه أحمد في المسند ١١/٤، ١٢، ١٣ وابن ماجه في المقدمة باب ما أنكرت الجهمية ٦٤/١ برقم ١٨١.

٤) رواه أحمد ٣٨٣/٣ وقد صححه الالباني في صحيح الجامع ٣١٨/٦ برقم ٧٨٧٥.

٥) انظر منهاج العوارف ص ٦٥-٦٦ وإكمال المعلم ٨٥٠/٣-٨٥١و٨٧٥.

والثواب والإحسان عليه، وقد يكون الضحك على وجهه المعلوم والمراد به ملائكة الله ورسله، كما يقال نادى الأمير في البلد وقتل السلطان فلاناً والمراد رجاله وأمره)(١).

٣- الرد عليه فيما ذهب إليه

يجاب عن موقف القاضي عياض في تأويله لصفة الضحك بوجوه منها:

أولا: أنه أول الضحك بلازمه كما نص هو على ذلك، وكان الأولى به أن يثبته لله تعالى على ما يليق بجلاله كما فعل ذلك السلف الصالح لأن كل خير في إتباع من سلف وكل شر في إبتداع من خلف.

ثانياً: أنه لايوجد أي محذور في إثبات الضحك لله تعالى على حقيقته، لأن ضحكه تعالى ليس كضحك غيره من المخلوقات، كما أن كلامه وبصره وإرادته لاتشابه كلام ولا بصر ولا إرادة المخلوقات، لأنه تعالى ليس كمثله شيء كما سبق التنبيه إليه مراراً، فباب الصفات واحد، فيلزم من يثبت بعض الصفات أن يثبت البعض الآخر لأن المتصف بها واحد وهو الله سبحانه.

ثالثاً: أن في الحديث الثالث الذي ذكرته ما ينقض دعوى تأويل الضحك بالرضا والإنعام وغير ذلك مما ادعاه القاضي، ألا وهو قول الرجل للنبي ﷺ « أيضحك ربنا» ولو كان تفسير الضحك الرضا والرحمة وإظهار الفضل والإحسان فقط، دون ما يتضمنه من إثبات صفة كمال لله تعالى (وهو صفة الضحك) لكان هذا الصحابي جاهلا إذ كيف لايعلم بأن ربه يرحم ويرضى ويغفر الذنوب، حتى يسأل رسول الله ﷺ أيرحم ربنا ويغفر ويصفح ويرضى إلى آخر كلامهم، فإن هذا الأمر معلوم لايجهله أحد ولكن الرجل سأل رسول الله ﷺ عما لايعلم، لا عن علم ما علم وآمن به من قبل وقرأ القرآن فوجد فيه ذكره ولم يجد فيه ذكر الضحك فلما أخبره عليه الصلاة والسلام بأن الله يضحك قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً ولو كان الضحك بما فسره المؤولون، لاستحال أن يقول للنبي ﷺ لن نعدم من رب رحيم يرضى ويغفر خيراً، لأنه قد آمن وقرأ مثل ذلك في القرآن وسمعه من النبي ﷺ وصحابته فليتأمل هذا. فجعل

---

١) إكمال المعلم ١١٥/٥.

الأعرابي العاقل بصحة فطرته ضحك الله تعالى دليلا على إحسانه وإنعامه، فدل على أن هذه الصفة هي من صفات الكمال المحمود، إذ الشخص العبوس الذي لايضحك قط هو مذموم بذلك بخلاف من هو بعكس هذا وقد قيل في اليوم الشديد العذاب إنه **﴿يوماً عبوساً قمطريراً**[١]**﴾**[٢].

رابعاً: ويجاب عما جوزه القاضي عياض من أن يكون المراد بضحك الله هو ضحك ملائكته أو رسله زاعماً أن ذلك من باب الإستعارة، يجاب عنه بالقول: إن رسول الله ﷺ قد أضاف الضحك إلى الله وأكد ذلك بمؤكدات لاتحتمل المجاز أبداً، منها: أنه ﷺ جعل ضحكه تعالى لقنوط عباده فأضاف العباد إلى الله تعالى، فهل يجوز أن تعود الإضافة ههنا إلى الملك أو الرسل؟! ومنها: أنه ﷺ أخبر أن الله يضحك لرجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة أما الأول فهو المسلم الشهيد، والثاني هو الكافر الذي تاب الله عليه بعد أن قتل المسلم فأسلم فقتل، فهل الرسل أو الملائكة هي التي تتوب على الخلق أم رب العالمين سبحانه؟!.

فهل يصح بعد هذا كله أو يجوز أن تؤول هذه الصفة التي مدح رسول الله ﷺ بها ربه فيتكلم فيها بغير علم من كتاب أو سنة أو فقه سلف؟! بل بمجرد التقليد الذي لايستند إلى دليل أو قاعدة ثابتة، ولعل هذه التخبط والتناقض الذي وقع فيه الأشاعرة وغيرهم -ومنهم القاضي عياض- هو الذي جعل كبار أئمتهم ينبذون هذا المذهب المتناقض ويعتقدون ويتمسكون بمذهب السلف الصالح المبني على قواعد ثابتة وأسس متينة لاتؤثر فيها الشبهات ولا الأعاصير، ومن هؤلاء الإمام أبو الحسن الأشعري وغيره، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، فنسأل الله سبحانه الثبات على الحق والتوفيق لما يحبه ويرضاه إنه جواد كريم.

تاسعاً - صفة الحياء

١- **بعض الأدلة على هذه الصفة:** صفة الحياء من الصفات الثابتة لله تعالى بنص الكتاب والسنة. قال الله تعالى في كتابه العزيز **﴿إن الله لايستحي أن يضرب مثلا ما بعوضةً فما فوقها﴾**[٣] وقال أيضاً **﴿إن ذلكم كان يؤذي النبيَ**

---

١) سورة الدهر آية ١٠.

٢) انظر رد الدارمي على المريسي ص ١٧٧-١٧٨ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢٠/٦.

٣) سورة البقرة آية ٢٦.

فيستحي منكم والله لايستحي من الحق﴾(١) وقال رسول الله ﷺ «إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يده أن يردهما صفراً»(٢) وقال أيضاً «إن الله حيي كريم يحب الستر، فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوارى»(٣)، وعن أم سلمة(٤) رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ «إن الله لايستحي من الحق فهل على المرأة غسل إذا احتلمت ؟! قال: نعم إذا رأت الماء»(٥) إلى غير ذلك من النصوص التي استدل بها أهل السنة على إثبات هذه الصفة لله تعالى على مايليق بجلال الله من غير تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل، فما هو موقف القاضي عياض من هذه الصفة.

٢- موقف القاضي عياض من صفة الحياء: لقد آلمني أشد الألم أني وجدت القاضي عياض يؤول أكثر الصفات ويعطل الباري عزوجل من الإتصاف بها ومن جملة ذلك صفة الحياء تلك الصفة العظيمة الجليلة فاسمع إليه يقول بعد أن ذكر النصوص السابقة (إعلم أن الحياء الذي يقتضي الإنقباض والتغيير مستحيل على الله سبحانه وتعالى، لأن ذلك كله من صفات الطبع وأحوال النفس والقديم سبحانه ليس بذي طبع ولا نفس، فالمعنى المشار إليه في حقه يقتضي إليه ما اقتضته صفة جوده من البسطة والإنعام والحلم والإفضال وأنه لايؤاخذ بالذنب ولايعاجل بالعقوبة ولايترك إجابة السائل المضطر إليه ويمتنع من فعل ذلك إمتناع من تغلب عليه الحياء عندكم، فخوطب الخلق بالنسبة إلى مايفعلون ومن حيث هم يدركون، فعبر بالإستحياء عن الترك الذي هو لازمه وذلك قوله يستر ومعناه أنه يستر على عباده ذنوبهم ولايظهر ما عليهم

---

١) سورة الاحزاب آية ٥٣.

٢) رواه أحمد ٣١٤/٦،٤٣٨/٥ وأبو داود في ك الوتر باب الدعاء ١٦٥/٢ برقم ١٤٨٨ والترمذي في الدعوات باب (١٠٥) ٥٢٠/٥ برقم ٣٥٥٦ وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه باب رفع اليدين في الدعاء ٢٧١/٢ برقم ٣٨٦٥ وهو صحيح كما قال الالباني في صحيح الجامع ١٠٨/١ برقم ١٧٥٧.

٣) رواه أبو داود في ك الحجام باب النهي عن التعري ٣٠٢/٤ برقم ٤٠١٢، والنسائي في ك الغسل باب الاستتار عند الاغتسال ٢٠٠/١ برقم ٤٠٦، ورواه أحمد ٢٢٤/٤ وهو حديث صحيح كما قال الالباني في صحيح الجامع ١٠٨/٢ برقم ٧٥٢ وارواء الغليل برقم ٢٣٩٣.

٤) هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي، من المهاجرات الاول كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، دخل بها النبي ﷺ سنة أربع كانت من أجمل نساء النبي ﷺ وأشرفهن نسباً، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين عاشت نحواً من تسعين سنة وتوفيت سنة اثنتين وستين وقيل غير ذلك، انظر أسد الغابة ٥٨٨/٥ وسير أعلام النبلاء ٢٠١/٢ والإصابة ٤٣٩/٤.

٥) رواه البخاري في ك العلم باب الحياء في العلم ٢٢٨/١-٢٢٩ برقم ١٣٠، ومسلم في ك الحيض باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها ٢٥١/١ برقم ٣١٠- ٣١٤.

ليفضحهم بها ويعاجل الإنتقام منهم بسببها فإلى هذا يرجع معنى الإستحياء في حقه سبحانه. وفي قوله تعالى **﴿إن الله لايستحي أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها﴾**(١) تأويلان أحدهما ما ذكرناه فالمعنى حينئذ إن الله لا يمتنع من ضرب هذا المثل إمتناع من يغلب عليه الحياء عندكم، وقيل معناه راجع إلى الإرادة، وفي حديث أم سلمة «إن الله لايستحي من الحق ...» معناه لايأمر بالإستحياء منه، وقيل: المعنى لايمتنع من ذكره إمتناع المقتضى، فعبر عن الترك بالإمتناع لأن الحياء من الله سبحانه بأن ينقطع العبد عن المعصية)(٢).

٣- نقد كلام القاضي عياض:

الحق أن ماذهب إليه القاضي عياض من تأويل لصفة الحياء باطل مرفوض، وهو ناتج عن القياس الفاسد الذي توهمه من كون الحياء يقتضي الإنقباض والتغيير والله منزه عنه كما قال.

والجواب عن هذه الشبهة كغيره من الأجوبة التي سبقت، وهو أن يقال: لايجوز أن تقاس صفات الخالق على صفات المخلوق، لأنه تعالى لايشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته، فكل من الخالق والمخلوق له ذات وصفات تليق به لاتشابه في ذلك بينهما إلا في اللفظ فقط، فحياؤه عزوجل صفة تليق بجلاله وعظمته كغيرها من الصفات الواردة في الكتاب والسنة، كما أن حياءنا يناسبنا، ولو لم يكن الحياء صفة مدح لما وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ.

أما تفسير القاضي عياض لهذه الصفة فإنما هو تفسير بلازمها، فيلزمه فيها كما يلزمه في غيرها من الصفات التي أولها كما تقدم ذكره.

ومن الأدلة على أن الحياء صفة مدح -بالإضافة إلى ما ذكرت- هو أن رسول الله ﷺ قد مدح هذه الصفة فقال «الحياء لايأتي إلا بخير»(٣) وقال أيضاً «الحياء شعبة من الإيمان»(٤) وقد وصف أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- رسول الله ﷺ بقوله (كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه

---

١) سورة البقرة آية ٢٦.

٢) منهاج العوارف ص ١٠٨.

٣) رواه البخاري في ك الادب باب الحياء ٥٣٧/١٠ برقم ٦١١٧ ومسلم في ك الايمان باب بيان عدد شعب الايمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الايمان ٦٤/١ برقم ٣٧.

٤) رواه البخاري في ك الايمان باب أمور الدين ٦٧/١ برقم ٩، ومسلم في ك الايمان باب بيان عدد شعب الايمان ٦٣/١ برقم ٣٥.

عرفناه في وجهه) متفق عليه(١).

فإذا كان الحياء ممدوحاً وصفة كمال في الخلق، فهو في الخالق أكمل وأعظم مدحاً، لأنه هو الذي وهبه لعباده ومنهم حبيبه ورسوله ﷺ، فكيف يقال إن حياء الله ليس على حقيقته وإنما المراد لازمه من الترك وغيره مماذكره القاضي عياض ؟! ثم أين الدليل على هذا التأويل من الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين؟!.

إنه -والله- لعجيب أمر القاضي عياض -ومن سلك سبيل التأويل من الأشاعرة وغيرهم- حيث إنهم إذا مرت عليهم صفة المحبة لله، أولوها بإرادة الثواب، وإذا مرت عليهم صفة الغضب، أولوها بإرادة الإنتقام، وإذا مرت صفة الرحمة أوّلوها بإرادة الإنعام والإحسان، وإذا مرت عليهم صفة الفرح أو العجب، أولوها بالرضا وما في معناها، إلى آخر تلك التأويلات الفاسدة،وههنا يؤولون صفة الحياء بلازمها من الأنعام والترك والإرادة، ألا يدل هذا على أن مذهبهم فاسد مضطرب لايجوز لعبد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتنقه ويأخذ به؟! وإنما على المؤمن التمسك بمذهب السلف الصالح إن إراد النجاة لنفسه والفوز في الدارين.

عاشراً- صفة العجب

هذه الصفة من الصفات التي ثبتت لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف أيضاً.

١- ذكر بعض الأدلة عليها

والدليل عليها من الكتاب الكريم قوله تعالى ﴿بل عجبتُ ويَسخَرُون﴾(٢)، على قراءة من قرأها بالضم فيكون الضمير ههنا عائداً إلى الله تعالى، ومعناه عجبتُ من كفرهم مع وضوح الأدلة(٣).

أما الأدلة على هذه الصفة من السنة فهي كثيرة منها قوله ﷺ "عجب ربكم من

---

١) رواه البخاري في ك الادب باب الحياء ٥٢١/١٠ برقم ٦١١٩، ومسلم في ك الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ ١٨٠٩/٤ برقم ٢٣٢٠.

٢) سورة الصافات آية ١٢.

٣) انظر تفسير البغوي ٢٤/٤ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢٣/٦ وشرح لمعة الإعتقاد ص ٣٤.

شاب ليس له صبوة»(١) وقوله «عجب ربنا من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل»(٢)وقوله «إن الله ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي، فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت يقول: علم عبدي أنه لايغفر الذنوب إلا أنا»(٣) وقوله أيضاً للذي آثر هو وأمرأته ضيفيهما «لقد عجب الله من صنيعكما الليلة أو البارحة -وفي لفظ- لقد ضحك الله من صنيعكما البارحة»(٤).

ولقد أجمع السلف على إمرار هذه الأدلة على ظاهرها وأثبتوا لله تعالى العجب على حقيقته على ما يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل(٥).

٢- موقف القاضي عياض من صفة العجب

لقد سلك القاضي عياض في صفة العجب لله مسلكه في تأويل أكثر الصفات، فقد قال عقب ذكره لبعض الأحاديث الآنفة الذكر (هذه أخبار تستدعي التأويل، والعجب عندنا استعظام أمر خارق للعادة مما لايعلم مثله، وهذا المعنى في حق الله مستحيل، لأن من خلق الأشياء كلها وقدر مقاديرها فإنه لايعجب منها، إذ لايخفى عليه شيء من أمرها، فالعجب المضاف إلى الله إما على معنى الرضا لأن من أعجبه الشيء فقد رضيه وفرح به، وإما المعنى لتعظيم الجزاء عليه)(٦).

٣- مناقشة القاضي عياض فيما ذهب إليه:

إن قول القاضي (هذه أخبار تستدعي التأويل) هو قول باطل لأنه لادليل على صحة ما ادعاه سوى الجري على مذهب الأشاعرة في هذا الأمر الذين أولوا هذه الصفة بنحو ما أوّلها هو(٧).

---

١) رواه أحمد ١٥١/٤ وأبو يعلى ٣٨٨/٣ والطبراني في الكبير ٣٠٩/١٧ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٠/١٠ وقال إسناده حسن.

٢) رواه البخاري في ك الجهاد والسير باب الاسارى في السلاسل ١٦٨/٦ برقم ٣٠١٠، وأحمد ٣٠٢/٢، ٤٠٦، ٤٥٧.

٣) رواه أبو داود في ك الجهاد باب مايقول الرجل إذا ركب ٧٧/٣ برقم ٢٦٠٢، والترمذي في ك الدعوات باب ما يقول إذا ركب الناقة ٤٦٧/٥ برقم ٣٤٤٦ وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني أيضاً في صحيح الجامع ١٢٨/٢ برقم ١٨١٧ وفي السلسلة الصحيحة برقم ١٦٥٣.

٤) رواه البخاري في ك مناقب الأنصار باب قول الله عزوجل ويؤثرون على أنفسهم ١١٩/٧ برقم ٣٧٩٨، ومسلم في ك الأشربة باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ١٦٢٤/٣ برقم ٢٠٥٤.

٥) انظر إبطال التأويلات ٢٤٦/١ والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بشرح الهراس ص ١٠٧ وشرح لمعة الإعتقاد ص ٣٤.

٦) منهاج العوارف ص ٨٣.

أما قوله (العجب عندنا استعظام أمر خارق للعادة ... وهو في حق الله مستحيل...) فالجواب عنه أن يقال إن العجب نوعان: أحدهما أن يكون صادراً عن خفاء المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا عجب المخلوقين وهو مستحيل على الله -كما قال القاضي عياض- لأنه عزوجل لايخفى عليه شيء.

النوع الثاني: أن يكون العجب سببه خروج الشيء عن نظائره أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالى، فعجبه يحدث له على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه، وهذا هو الذي وصف الرسول ﷺ به ربه وهذا من كماله سبحانه ورحمته بعباده(١).

أما الرد على أبي الفضل فيما تأول به العجب لله من الرضا والفرح والتعظيم فالجواب عنه من وجوه:

الأول: أن هذا تفسير للصفة بلازمها أو بما تتضمنه، وليس فيما أوله إثبات لصفة العجب لله.

الثاني: أنه يلزمه تأويل الإرادة وغيرها من الصفات التي أثبتها، لأن إثبات بعض الصفات يستلزم إثبات بعضها الآخر.

الثالث: أنه ليس في إثبات هذه الصفة ما يحيل حملها على ظاهرها إذا ثبتت لله على مايليق به وعلى النوع الثاني من العجب كما سبق توضيحه آنفاً.

الرابع: أنه لايصح تأويل العجب بالرضا، لأن الله تعالى راض بذلك قبل وجود الأفعال من عباده، وكذلك لايصح تأويل العجب بتعظيم الجزاء على أفعال العباد لأنه تعالى معظم لها قبل وجودها، فرضاه وتعظيمه تعالى لايختص بما ذكر من الأخبار فلا يصح حملها عليه لأنه حمل على مالايفيد(٢).

فالواجب اذاً أن تحمل صفة العجب على ظاهرها وعلى مايليق بالله تعالى، لأنه هو الذي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله، وبهذا يسلم المرء من كل المحاذير الآنفة الذكر وغيرها، ويكون متمسكاً بمذهب السلف الصالح الذين قدروا الله حق قدره

---

٧) انظر مشكل الحديث لابن فورك ص ٢٩١-٣٢٨.

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢٣/٦ والعقيدة الواسطية له بشرح الهراس ص ١٠٧ وشرح لمعة الإعتقاد ص ٣٥.

٢) انظر إبطال التأويلات لأبي يعلى ٢٤٦/١.

ووصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ووقفوا مع الدليل وداروا معه حيث دار، فكانوا بحق هم الناجين من بين الفرق كلها والسائرين على درب رسول الله ﷺ. نسأل الله أن يرزقنا العمل بطريقتهم إنه سميع مجيب.

حادي عشر - صفة الغيرة

١- بعض الأدلة على هذه الصفة: لقد ثبتت صفة الغيرة لله تعالى في السنة المطهرة فقط، حيث إنه لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، وهذا لاضير فيه -كما سبق توضيحه- لأن السنة الثابتة مثل القرآن الكريم في الإحتجاج بها، سواء في باب العقائد أو العبادات أو غيرهما، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة. ومن الأحاديث الواردة في صفة الغيرة لله تعالى والتي ذكرها القاضي عياض وبيّن موقفه منها:

١- قوله ﷺ «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن» متفق عليه(١).

٢- وقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً «يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده المؤمن أو تزني أمته» متفق عليه(٢).

٣- وفي الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال سعد بن عبادة الأنصاري يا رسول الله لو وجدت مع أهلي رجلا لم أمسّه حتى آتي بأربعة شهداء؟ قال رسول الله ﷺ «نعم» قال: كلا والذي بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك، فقال رسول الله ﷺ «اسمعوا إلى مايقول سيدكم إنه لغيور، وأنا أغير منه والله أغير مني»(٣)، فهذه الأحاديث وغيرها مما استدل به أهل السنة على إثبات صفة الغيرة لله على مايليق به.

٢- موقف القاضي عياض من صفة الغيرة: ذهب القاضي عياض -غفر الله لنا وله- إلى تأويل هذه الصفة أيضاً، فقد قال عقب ذكره للأحاديث الآنفة الذكر (اختلف العلماء في جواز إطلاق لفظ الغيرة على الله سبحانه فيقال إنه غيور أم لا؟ فمنهم من أطلقه بالمعنى الذي يليق بالحق سبحانه، ومنهم من امتنع من إطلاقه وهو الصحيح،

---

١) رواه البخاري في ك النكاح باب الغيرة ٣١٩/٩ برقم ٥٢٢٠، ومسلم في ك التوبة باب غيرة الله وتحريم الفواحش ٢١١٤/٤ برقم ٢٧٦٠.

٢) رواه البخاري في ك النكاح باب الغيرة ٣١٩/٩ برقم ٥٢٢١ ومسلم في ك الكسوف باب صلاة الكسوف ٦١٨/٢ برقم ٩٠١.

٣) رواه مسلم في ك اللعان ١١٣٥/٢-١١٣٦ برقم ١٤٩٨.

لأن المفهوم من الغيرة إضطراب وإنفعال في النفس لرؤية المشاركة في المحبوب أو المحترم، وذلك في حق الله سبحانه بهذا المعنى مستحيل، ومن ضرورة ذلك الزجر عما يغار عليه والنهي عن تعاطيه، فهذا أثر الغيرة ولازمها وفي كلام العرب العبارةعن أحد المتلازمين بالآخر)(١).

٣- نقد موقف القاضي عياض:

لقد سار القاضي عياض في الصفات الفعلية على طريقة التأويل الأشعري كما أتضح من خلال الصفات التي سبق الحديث عنها، وإن صفة الغيرة من تلك الصفات التي نالت نصيبها من التأويل، فهو -رحمه الله- لما ذكر اختلاف العلماء في جواز إطلاق الغيرة على الله بين أن منهم من يطلقها على الله على المعنى اللائق به -وهم السلف الصالح-، وكم كنا نود لو أنه وافقهم في مذهبهم ولكنه للأسف لم يفعل ذلك بل إختار المذهب المرجوح الباطل، بحجة أن الغيرة إنفعال واضطراب في النفس إلى آخر تلك الشبهة التي عطل بسببها صفة عظيمة وصف الرسول ﷺ بها ربه.

والجواب عن هذه الشبهة أن يقال: إن كل ماسوى الله مخلوق منفعل ونحن وذواتنا منفعلون، فكون الغيرة إنفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها لايوجب أن يكون الله منفعلا لها عاجزاً عن دفعها، إذ كل ما يجري في الوجود بمشيئته وقدرته لايكون إلا ما يشاء ولا يشاء إلا مايكون سبحانه له الملك وله الحمد(٢).

فغيرة الله إذاً تليق بجلاله وعظمته كما أن غيرتنا تناسب حالنا، فلا مجال ولا مكان لتلك الشبهة التي استدل بها القاضي أبو الفضل ههنا فيجب طرحها.

ومن جهة أخرى فإن تفسيره للغيرة إنما هو تفسير لها بلوازمها ومقتضياتها من الزجر عما يغار عليه والنهي عن تعاطيه -كما قال-، وهذا لايلجأ إليه إلا عند تعذر إثبات حقيقة الشيء، ولامحذور عقلا ولا شرعاً من إثبات الغيرة لله على ما يليق بجلاله، فالشرع قد أثبتها لله في نصوص صريحة صحيحة فلا مجال لردها أو تأويلها، والعقل لايمنع أيضاً من إتصاف الله بها لأنها صفة كمال، لأن الديوث الذي لاغيرة له على محارمه يذم شرعاً وعقلا، كما يذم من لا حمية له يدفع بها الظلم عن المظلومين، ويمدح الذي له غيرة يدفع بها الفواحش ومن له حمية يدفع بها الظلم، وهذا أكمل من الأول كما لايخفى، ولهذا وصف النبي ﷺ الرب بالأكملية في ذلك فقال «لا أحد أغير من

---

١) منهاج العوارف ص ٥١-٥٣.

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢٠/٦.

الله»(١) «أتعجبون من غيرة سعد أنا أغير منه والله أغير مني»(٢) متفق عليه.

كما يجاب عن تأويل القاضي لهذه الصفة أيضاً بما سبق ذكره عند الحديث عن الصفات المتقدمة، من كونه يلزمه تأويل الصفات التي أثبتها أو تأويلها جميعها لأن المتصف بها واحد، لأن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

وهكذا يتضح لنا جلياً أن ما تعلق به مؤولو الصفات -ومنهم القاضي عياض- من شبه لتعطيل الباري من الإتصاف بتلك الصفات إنما هي أوهام تخيلوها فلا قيمة لها في نظر الشرع والعقل، لأنها واهية مبنية على شفا جرف هار بخلاف المذهب السلف المبني على قواعد متينة ثابتة أمثال الجبال الراسيات لكونه مستمداً من نور الكتاب والسنة.

ثاني عشر- صفة المعية

١- موقف القاضي عياض منها:

وافق القاضي عياض -ولله الحمد- مذهب السلف في إثبات المعية لله عزوجل وقسمها إلى نوعين، فعند شرحه لقوله تعالى ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾(٣) وقوله ﴿**ما يكونُ من نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابِعُهم ولا خمسةٍ إلا هو سادسُهم**﴾(٤) قال (المعية المستعملة في حقه تعالى لا تخلو من أمرين فقد يشار بها إلى العلم والإحاطة، وقد يشار بها إلى النصر والتأييد والإمتنان وأن له المواهب الجزيلة كقوله تعالى ﴿**إنني معكما أسمعُ وأرى**(٥)﴾)(٦) وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ (أي بعلمه)(٧).

٢- تقسيم أهل السنة لمعية الله:

ما ذهب إليه أبو الفضل رحمه الله في معنى المعية هو بعينه مذهب السلف الذي دلت عليه النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة، فقد قسّم علماء أهل السنة

---

١) متفق عليه تقدم تخريجه ص ٣٦٥.

٢) رواه البخاري في ك الحدود باب من رأى رجلا مع امرأته فقتله ١٢/١٧٤ برقم ٦٨٤٦، ومسلم في ك اللعان ٢/١١٣٦ برقم ١٤٩٩.

٣) سورة الحديد آية ٤.

٤) سورة المجادلة آية ٧.

٥) سورة طه آية ٤٦.

٦) منهاج العوارف ص ١٦٤-١٦٥.

٧) المرجع السابق ص ١٥٤.

والجماعة المعية إلى قسمين خاصة وعامة، فالعامة هي المتضمنة للعلم والإحاطة، والخاصة وهي معية القرب المتضمنة للنصر والتأييد والحفظ والموالاة(١).

ومن الأدلة على القسم الأول: قوله تعالى **﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾** (٢) وقوله **﴿ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابعُهم ولا خمسةٍ إلا هو سادسُهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثرَ إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾**(٣) فهذه النصوص تدل على أن الله تعالى مع كونه مستوياً على عرشه على مايليق بجلاله، إلا أنه يعلم كل شيء في السموات والأرض لأنه محيط بجميع الملخوقات لايغيب عنه منها شيء.

ومن الأدلة على المعية الخاصة قوله تعالى يحكي ما جرى بين رسول الله ﷺ وبين الصديق أبي بكر -رضي الله عنه- في غار ثور عند الهجرة **﴿إذ قال لصاحبه لاتحزن إن الله معنا﴾**(٤) ومنها قوله عزوجل **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾** (٥) وقوله **﴿إن الله مع الصابرين﴾**(٦) وقوله **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾**(٧).

فهذه المعية التي دلت عليها النصوص الشرعية وهي بقسميها مصاحبة من الله لعباده، لكنها في النوع الأول (المعية العامة) مصاحبة إطلاع وإحاطة، وفي النوع الثاني (المعية الخاصة) مصاحبه نصر وموالاة وتأييد وإعانة لعباده المؤمنين المتقين.

ولفظ المعية أو (مع) في اللغة العربية يفيد الصحبة اللائقة ولا تشعر بإمتزاج ولا إختلاط ولا مجاورة ولا مجانبة، فمن ظن منها شيئاً من هذا فذلك من سوء فهمه وإعتقاده كما وقع في ذلك الجهمية وغلاة الصوفية، الذين زعموا أن الله تعالى في كل مكان أو حآل في بعض مخلوقاته أو متحد بها -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-.

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ لاسلام ٥/١٠٣-١٠٤ و٦/٢٢-٢٣ و١١/٢٤٨ ومدارج السالكين لابن القيم ٢/٢٧٦.

٢) سورة الحديد آية ٤.

٣) سورة المجادلة آية ٧.

٤) سورة التوبة آية ٤٠.

٥) سورة النحل آية ١٢٨.

٦) سورة البقرة آية ١٥٣.

٧) سورة البقرة ٢٤٩.

ولهذا وقع إجماع السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان على أن الله على عرشه بائن من خلقه،وأن معيته عزوجل المذكورة في قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ المراد بها علمه وإطلاعه العام الشامل لجميع مخلوقاته وأقوالهم في هذا أكثر من أن تحصى(١).

وقد أرادوا بذلك الرد على الزنادقة والجهمية وغيرهم ممن فسر هذه الآية وما في معناها على غير المعنى المراد منها، من إعتقاد حلول الله تعالى بخلقه أو إتحاده بهم أو إنكار علوه وغير ذلك.

هذه خلاصة الكلام عن صفة المعية،وبها أكون قد استوفيت الحديث عن صفات الرب جل جلاله التي تكلم عنها القاضي عياض، وقد بان من خلالها موقفه المضطرب تجاه هذه الصفات والذي تراوح بين إثبات بعضها-وخاصة في الصفات الذاتية-وبين التأويل -وهو الغالب عليه- وبين التفويض -وإن كان قليلا-،فبهذا يتضح أنه قد سار في ذلك على مذهب الأشاعرة في الغالب الأعم، وإن كان قد تردد في بعض الصفات ففوض أو احتار، وفي بعضها وافق مذهب السلف، وقد تكلمت عند كل صفة عما خالف فيه المذهب الحق وعما وافقه، فموقفه من الصفات يشبه إلى حد ما موقف بعض أئمة الإسلام وعلمائه أمثال النووي وابن حجر وغيرهما، نسأل الله أن يرحم الجميع وأن يتوب علينا وعليهم وأن يدخلنا برحمته جناته إنه سميع مجيب.

---

١) انظر ذلك في الرد على الجهمية للدارمي ص ٣٥-٥٠ والرد على الجهمية للإمام أحمد ص ١٣٨-١٤١ والشريعة للآجري ص ٢٨٨ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٧١ والأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ص ٦١-٦٧ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠٣/٥-١٠٤ و٤١٦/٨.

الفصل الخامس
(منهج القاضي عياض في التكفير ونواقض الإسلام)

المبحث الأول : الشرك وأنواعه وكلام القاضي عياض عنه وفيه ثلاثة مطالب.

المطلــب الأول : معنى الشرك لغة وشرعاً.

المطلــب الثاني : أقسام الشرك.

المطلــب الثالث : ذكر نماذج من الأعمال الشركية وكلام القاضي عياض عنها.

المبحث الثاني : ذكر نماذج من الأمور الكفرية المخرجة من الإسلام التي تكلم عنها القاضي عياض.

تمهيد.

المطلــب الأول : تكفير القاضي عياض لمن نفى عن الله الربوبية أو الوحدانية، أو ادعى الإلهية، أو عبد غير الله أو معه أحداً.

المطلب الثانـي : تكفيره لمن لم ينزه الله عن كل نقص، أو ادعى أن له شريكاً في الخلق والأمر.

المطلب الثالـث : تكفيره لمن سب الله تعالى أو انتقصه، أو استخف به.

المطلب الرابـع : تكفيره لمن جحد النبوة لأي نبي من الأنبياء، أو لنبينا خاصة، أو ادعاها لغيره.

المطلب الخامس : تكفيره لمن ادعى النبوة وزعم أنها مكتسبة، أو قال بخصوصية نبوة محمد ﷺ للعرب أو زعم مشاركة أحد معه فيها.

المطلب السادس : تكفيره لمن زعم أن في كل جنس من الحيوان نذيراً ونبياً.

المطلــب السابع : تكفيره لمن جوّز الكذب على الأنبياء، أو زعم بأن للشرع ظاهراً وباطناً.

المطلــب الثامن : تكفيره لمن سبّ النبي ﷺ، أو استخف به، أو سب أحداً من الأنبياء.

المطلـــب التاســـع : تكفيره لمن أنكر القرآن أو حرفاً منه، أو زاد فيه، أو غيّر شيئاً منه، أو زعم أنه ليس بحجة للرسول ﷺ.
المطلـــب العـاشـــر : تكفيره لمن استخف بالقرآن، أو سبّه، أو جحد كتب الله المنزلة أو سبّها.
المطلـــب الحادي عشر : تكفيره لمن لم يكفّر الكافرين، أو شك في كفرهم ، أو صحّح مذهبهم.
المطلـــب الثاني عشر : تكفيره لمن كذّب أو أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة أو تأوله.
المطلـــب الثالث عشر : تكفيره لمن استحل ما حرّم الله بعد علمه بتحريمه.
المطلـــب الرابع عشر : تكفيره لمن فعل أمراً أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر.

الفصل الخامس
(منهج القاضي عياض في التكفير ونواقض الإسلام).

تمهيـــد :

هذا الفصل من أدق وأخطر فصول هذا البحث، لأنه يتعرض لجانب مهم وخطير من جوانب العقيدة الإسلامية، ألا وهو الحديث عن الشرك والتكفير ونواقض الإسلام.

ولقد سرّني جداً عناية القاضي عياض بهذه الأمور واهتمامه بها وموافقته لمذهب السلف فيها. والحق يقال: إنه قد أجاد في ذلك عند حديثه عنها وأفاد فائدة كبرى، بما يكتب له - إن شاء الله - في ميزان حسناته، فقد فصّل الكلام عن الشرك وأنواعه وما يدخل فيه من أمور، وعُني عناية خاصة بالأمور التي تخرج من الملة وتنقض الإسلام، فجاء كلامه في غاية الجودة والأهمية، وسيتضح لك ذلك من خلال النقاط التالية :

المبحث الأول : الشرك وأنواعه وكلام القاضي عياض عنه.

المطلب الأول : معنى الشرك :

أ - معناه في اللغة : يطلق الشرك في اللغة على المخالطة والمصاحبة، فقد جاء في لسان العرب « الشِّرْكة والشَّرْكة سواء مخالطة الشريكين، يقال اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، والشريك المشارك، والشَرك كالشريك الجمع أشراك وشركاء»(١).

ويطلق الشرك بمعنى النصيب، ويطلق أيضاً ويراد به الشركة والمشاركة بين اثنين فصاعداً، سواء كان ذلك الشئ عيناً أو معنى، كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية، ومشاركة فرسٍ فرساً آخر في السواد أو الشقار أو غير ذلك(٢).

ب - الشرك في الإصطلاح الشرعي : الشرك في الإصطلاح الشرعي ما يناقض التوحيد ويضاده، وهو أن يجعل العبد مع الله تعالى شريكاً أو نداً فيما يجب أن يكون حقاً لله تعالى، بمعنى أن يُصرف شئ من خصائص الربوبية والألوهية لغيره عز وجل. أو كما عرفه أحد علماء السلف رحمه الله بقوله : (حقيقة الشرك بالله أن يُعبد المخلوق كما يُعبد الخالق، أو يُعظم كما يُعظم

---

١) لسان العرب ١٠/ ٤٤٨.

٢) انظر تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ١٧، والمفردات للأصفهاني ص ٢٥٩، والقاموس المحيط للفيروز أبادي ص ١٢١٩- ١٢٢٠

أو يُصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية)(١).

المطلب الثاني : أقسام الشرك :

ينقسم الشرك إلى ثلاثة أنواع باعتبار أنواع التوحيد الثلاثة التي سبق ذكرها، وهي الشرك في الربوبية، والشرك في الألوهية، والشرك في الأسماء والصفات، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقاً، وقد يكون أكبر بالنسبة إلى ما هو أصغر منه، ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه.

القسم الأول : الشرك في توحيد الربوبية :

لم يقع هذا الشرك إلا من طوائف معدودة ممن تمردوا على الفطرة السليمة، وانحرفت بهم الأهواء عن سواء السبيل، ويتمثل الشرك في هذا التوحيد في نوعين :

النوع الأول: وهو أقبحها، وذلك كمن يفتري على الله الكذب - كما قال القاضي عياض - بأن يدعي الإلهية أو الرسالة، أو ينفي بأن يكون الله خالقه أو ربه، أو يقول ليس لي رب، أو يدّعي حلول الله بخلقه أو أنه تعالى متّحد بهم، كما يدعي ذلك ملاحدة الصوفية، فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله وإن تلبس بظاهر الإسلام، فقد أحرق علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - من ادعى الألوهية له وأجمع فقهاء بغداد على قتل الحلاّج(٢)، وصلبه لدعواه الألوهية والقول بالحلول مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته. قال أبو حنيفة وأصحابه (من جحد أن الله تعالى خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد)(٣).

ومن هذا النوع شرك فرعون الذي قال - كما حكى الله عنه - : ﴿ **وما ربّ العالمين** ﴾ (٤) وقال أيضاً مدعياً لنفسه الربوبية ﴿ **أنا ربُكُم الأعلى** ﴾(٥). وهذا الملعون أشهر من أنكر الخالق، ولكن مع إنكاره له كان موقناً باطناً بأن

---

١) تفسير الشيخ السعدي ٢/ ٤٩٩

٢) هو أبوعبد الله، الحسين بن منصور بن محمي الفارسي المشهور بالحلاج، أحد زنادقة الصوفية اشتهر عنه القول بالحلول، وقد كان محتالاً يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعي عند أصحابه الالوهية ويقول بالحلول وأن الالهية قد حلّت فيه، ويُظهر مذاهب الشيعة للملوك ومذاهب الصوفية للعامة، حكم القضاء بكفره وردته، فضرب ألف سوط وقطعت يداه ورجلاه وعنقه، وأحرقت جثته ونصب رأسه يومين في بغداد، وذلك في سنة (١٣٩ هـ). انظر ترجمته، طبقات الصوفية للسلمي ص ٣٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣، وشذرات الذهب ٢/ ٢٥٣

٣) انظر الشفا ٢/٣٨٢-٣٨٣.

٤) سورة الشعراء آية ٢٣.

٥) سورة النازعات آية ٢٤.

موسى عليه السلام رسول الله حقاً، قال الله تعالى عنه وعن قومه ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** ﴾(١)، وقال موسى له كما حكى الله تعالى ﴿ **قال لقد علمتَ ما أنزَلَ هؤلاء إلا ربّ السموات والأرض بصائرَ وإني لأظنك يا فرعونُ مثبوراً** ﴾(٢).

ومن هذا النوع أيضاً، شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وبقائه و أبديته، و أنه لم يكن معدوماً بل لم يزل ولا يزال، و الحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها يسمونها العقول و النفوس(٣). تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ومن هذا النوع أيضاً شرك من عطّل أسماء الرب وصفاته من غلاة الجهمية و الباطنية(٤).

النوع الثاني : شرك من جعل مع الله إلهاً آخر، ولم يعطّل أسماءه وصفاته وربوبيته، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس(٥) القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوداث الشر إلى الظلمة، ومن هذا شرك الصابئة(٦) الذين ينسبون إلى الكواكب العلوية تدبير أمر العالم، ويدخل في هؤلاء من وجه كثير من عباد القبور الذين يزعمون بأن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات ويفرجون الكربات، ويحفظون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم، فإن هذه الأمور من خصائص الربوبية(٧).

وهذا الشرك في الربوبية من أخبث الشرك في العالم، إذ يتضمن من

---

١) سورة النمل آية ١٤.

٢) سورة الإسراء آية ١٠٢.

٣) انظر الشفا ٢/ ٢٨٣، وإكمال المعلم ٥/ ٢٠٥، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/ ٩٥-٩٧، وتيسير العزيز الحميد ص ٤٣.

٤) تيسير العزيز الحميد ص ٤٣.

٥) المجوس هم الذين يعبدون النار، لأنهم يعتقدون أنها أعظم شئ في الدنيا، ويسجدون للشمس إذا طلعت، وينكرون النبوات ويقولون لم يرسل الله إلا رسولاً واحداً لا ندري من هو، ويقولون بإثبات أصلين النور والظلمة، وهم أنواع متعددة. كانت نشأتهم في بلاد الفرس. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٦، والملل والنحل للشهرستاني ص ٢٣٤.

٦) الصابئي لغة هو التارك لدينه الذي شرع له إلى دين غيره، والصابئة أمة كبيرة وهم الذين بعث فيهم خليل الله إبراهيم عليه السلام، وكانوا بحرّان وهي دارهم، والصابئة قسمان حنفاء وصابئة مشركون، فالمشركون منهم هم الذين يعبدون الكواكب والبروج ويعظمونها ويصورونها في هياكلهم. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٩٠، والملل والنحل للشهرستاني ص ٢٥٩.

٧) انظر الشفا ٢/ ٢٨٣، وإكمال المعلم ٢/ ٣٤٨- ٣٤٩، وتيسير العزيز الحميد ص ٤٤، ودعوة التوحيد للهرّاس ص ٣٣.

التعطيل وجحد الألوهية والربوبية، وإسناد الخلق إلى غير الله تعالى ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم، وشرك القدرية مختصر من هذا، وباب يدخل منه إليه. ولهذا شبههم الصحابة رضي الله عنهم بمجوس هذه الأمة - كما تقدم بيانه -(١).

وقد ردّ الله عز وجل على أصحاب هذا الشرك في كثير من الآيات الكريمات كقوله: ﴿ **أَيُشْرِكون ما لا يَخْلُقُ شيئاً وهم يُخْلَقُون * ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسَهم يَنْصُرون** ﴾(٢) وكقوله تعالى في وصف الآلهة المدعوة من دونه ﴿ **واتخذوا من دونه آلهةً لا يَخْلُقون شيئاً وهم يُخْلَقُون ولا يَملِكُون لأنفسِهم ضَراً ولا نفعاً ولا يَمْلِكُون موتاً ولا حياة ولا نُشوراً** ﴾(٣)، فالذي يتصف بهذه الأوصاف الناقصة كيف يجوز أن يُعبد أو يستغاث به، أو يُلجأ إليه من دون الله تعالى ؟! والله عز وجل هو الرب العظيم القادر على كل شئ الذي له الخلق والأمر وحده لا إله غيره، ولا رب سواه.

القسم الثاني : الشرك في توحيد الأسماء والصفات :

الشرك في هذا القسم نوعان كما وضّح ذلك الشيخ سليمان بن(٤) عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - رحمهم الله -

النوع الأول: تشبيه الخالق بالمخلوق. كمن يقول لله تعالى يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري واستواء كاستوائي، إلى غير ذلك من الضلال، وهذا هو شرك المشبهة.

النوع الثاني: اشتقاق أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق سبحانه. قال الله تعالى: ﴿ **ولله الأسماءُ الحُسنى فادعوه بها وذَرُوا الذين يُلْحِدُونَ في أسمائه سَيُجْزَوْنَ ما كانوا يَعملون** ﴾(٥)، والإلحاد هو العدول عن الحق وإدخال ما ليس منه فيه. قال قتادة رحمه الله: يلحدون في أسمائه أي يشركون في أسمائه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي يكذبون، وقال أيضاً: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من

---

١) انظر ص١١٣-١١٦.
٢) سورة الاعراف آية ١٩١- ١٩٢.
٣) سورة الفرقان آية ٣.
٤) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٤.
٥) سورة الاعراف آية ١٨٠.

المنان(١).

القسم الثالث : الشرك في توحيد الألوهية (أو العبادة) :

الشرك في توحيد الألوهية هو أخطر وأدق أنواع الشرك وأكثرها انتشاراً بين الخلق، وهو أول ما وقع فيه بنو آدم من الضلال. لذلك حاربه الإسلام حرباً ضروساً وقطع دابره، وكذلك فعل جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام لأنه - كما أوضح الله عز وجل في كتابه - الذنب الذي لا يغفره الله أبداً قال تعالى : ﴿ **إنّ الله لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ ما دون ذلك لمَنْ يَشاء** ﴾ (٢)، وقال ﴿ **ولقد أوحِيَ إليك وإلى الذين منْ قَبْلكَ لَئن أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُكَ ولتَكُونَنَّ من الخاسرين * بلِ الله فاعبدْ وكُنْ من الشاكرين** ﴾(٣).

يقول الإمام القرطبي(٤) رحمه الله : (أصل الشرك المحرّم اعتقاد شريك لله تعالى في الألوهية وهو الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليه اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل، وهو قول من يقول بأن موجوداً ما يستقل في إحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلهاً)(٥). وهذا القسم من الشرك نوعان.

النوع الأول : الشرك الأكبر : وهو أن يعتقد العبد أن لله تعالى شريكاً في الألوهية أو العبادة، أو يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره سبحانه، كأن يدعو غيره، أو يرجوه، أو ينذر له أو غير ذلك، كحال المشركين الذين قال الله فيهم حاكياً شركهم هذا ﴿ **والذين اتخذوا من دونه آلهةً ما نَعْبُدُهُم إلاّ لِيُقَرّبُونا إلى الله زُلْفى** ﴾(٦)، أي إنما يحملهم على عبادتهم لهم ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم وما ينوبهم من أمور الدنيا. فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به، فالمراد بهذه الزلفى الواردة في الآية، هي الشفاعة كما قال ذلك غير واحد من السلف(٧). وهذه الشبهة التي ابتدعها المشركون

---

١) انظر تفسير البغوي ٢/ ٢١٧- ٢١٨، وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٦٩.

٢) سورة النساء آية ٤٨.

٣) سورة الزمر آية ٦٥- ٦٦.

٤) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الانصاري القرطبي، فقيه مالكي من رجال الحديث كان مدرساً بالاسكندرية وتوفي فيها، صاحب مصنفات نافعة كثيرة منها كتاب المفهم على صحيح مسلم، ولد بقرطبة سنة (٥٧٨ هـ) وتوفي سنة (٦٥٦ هـ). انظر ترجمته البداية والنهاية ٢١٣/٩٣، وشذرات الذهب ٥/٢٧٣-٢٧٤.

٥) تيسير العزيز الحميد ص ٤٤.

٦) سورة الزمر آية ٣.

٧) انظر تفسير البغوي ٤/ ٧١، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٥، وفتح القدير ٤/ ٤٤٩.

القدامى، وتبعهم عليها المشركون المحدثون، ليس لهم من الله فيها برهان ولا دليل، بل هي محض كذب وافتراء على الله تعالى، ولهذا أرسل أنبياءه ورسله محذرين من هذا الشرك فقال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمَّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾(١) وقال أيضاً : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نُوحِي إليه أنَّه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾(٢).

خطورة الشرك الأكبر : الشرك الأكبر خطر عظيم، ومصيبة كبرى على أفراد المجتمع، يودي بهم إلى الوبال والخسران في الدنيا والآخرة. وقد نبّه على ذلك القاضي عياض مبيّناً خطورته بما يلي :

١ - أنه أعظم ذنب عُصي الله به. لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال سألت الرسول ﷺ أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قال : قلت : إن ذلك لعظيم. قال : قلت : ثمّ أي ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قال : قلت : ثمّ أي ؟ قال : أن تُزاني حليلةَ جارك » متفق عليه(٣).

قال القاضي رحمه الله (فجعل الرسول ﷺ في هذا الحديث الشرك أعظم الذنوب عند الله، وقد قدّم هذه الثلاثة الأشياء لاعتياد الجاهلية عليها من الكفر بالله عز وجل وفاحشة الزنا ووأد البنات)(٤).

٢ - أن صاحب الشرك من أهل النار. قال أبو الفضل رحمه الله (أجمع المسلمون أن من مات على الشرك دخل النار، ومن مات على الإيمان دخل الجنة كما قال رسول الله ﷺ « من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار »(٥))(٦).

قلت : بل إن الله عز وجل أخبر في كتابه العزيز أن من مات على هذا الشرك غير تائب منه، فقد حرّم عليه الجنة ومأواه النار، قال سبحانه : ﴿ **إنَّه من يُشْرِك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّةَ ومأواه النارُ وما للظالمين من أنصار** ﴾ (٧)، وأخبر أيضاً أن هذا الذنب (الشرك) لا يغفره أبداً فقال سبحانه : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يُشْرَك به ويَغْفِرُ ما دون ذلك لمن يشاء ومن**

---

١) سورة النحل آية ٣٧.

٢) سورة الأنبياء آية ٢٦.

٣) رواه البخاري في مواضع منها كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ ١٣/ ٥٠٠ برقم : ٧٥٢٠، ومسلم في كتاب الايمان باب كون الشرك أقبح الذنوب ١/ ٩٠ برقم : ١٤١.

٤) إكمال المعلم ٢/ ٥٣٣- ٥٣٤.

٥) رواه مسلم في كتاب الايمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار ١/ ٩٤ برقم : ١٥١.

٦) إكمال المعلم ٢/ ٥٥٣.

٧) سورة المائدة آية ٧٢.

يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾(١)، وبالإضافة إلى ما ذكره القاضي عياض فإن الشرك بالله أيضاً يكمن خطره بكونه محبطاً للعمل.

٣ - أن الشرك محبط للعمل. الشرك بالله محبط للعمل مبطل له مهما عظم ذلك العمل، لكون التوحيد أساس الأعمال فمتى اختل الأساس - بوجود هذا الشرك - فقد هدم البناء مهما طال وكبر. وقد دل على هذا الأمر آيات كثيرة من كتاب الله تعالى منها قوله سبحانه : **﴿ ذلك هُدَىَ الله يهدي به من يشاءُ من عباده ولو أشركوا لَحَبِطَ عنهم ما كانوا يَعملون ﴾**(٢). فقد أخبر عز وجل في هذه الآية أن الذين سمّاهم من الأنبياء الذين سبق ذكرهم في الآيات المتقدمة، لو أشركوا لبطلت وذهبت أعمالهم، لأن الشرك محبط لها، وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع، بل هو من باب الفرض والتقدير كما قال الله تعالى : **﴿ قل إنْ كان للرحمنِ ولدٌ فأنا أوّلُ العابدين ﴾**(٣)، فالله ليس له ولد، والمراد من ذلك التشديد في أمر الشرك، والتغليظ في شأنه والتهويل من عاقبته، بمعنى أن أحداً لن يسلم من عاقبته وسوء حاله كائناً من كان، فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار لو أشركوا - وحاشاهم ذلك - لحبطت أعمالهم فغيرهم من باب أولى.(٤).

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى أيضاً قوله **﴿ ولقد أوحِيَ إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ ولَتَكُونَنَّ من الخاسرين ﴾**(٥) وهذه الآية وإن كان المخاطب بها رسول الله ﷺ إلا أن المراد بها غيره، وقد جرى هذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل لأن الله تعالى قد عصمهم عن الشرك، ووجه إيراده على هذا الوجه، التحذير والإنذار للعباد من الشرك، لأنه إذا كان موجباً لإحباط عمل النبي ﷺ والأنبياء ممن قبله على الفرض والتقدير، فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم من باب أولى، لأن في نبوة جميع الأنبياء أن الشرك محبط لجميع الأعمال كما في الآية الآنفة الذكر **﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾**.

٤ - أن الشرك أفظع ظلم وأعظم جريمة. الشرك بالله هو أفظع أنواع الظلم، لأنه إعطاء حق الله لغيره من المخلوقين، قال سبحانه مادحاً الموحدين

---

١) سورة النساء آية ١١٦.

٢) سوَرة الانعام آية ٨٨.

٣) سورة الزخرف آية ٨١.

٤) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ١٥٥، وتفسير البغوي ٢/ ١١٣، وتفسير السعدي ٢/ ٤٣٠.

٥) سورة الزمر آية ٦٥.

المتقين ﴿ **الذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانهم بِظُلْمٍ أولئك لهم الأَمْنُ وهم مُهتدون** ﴾(١)، أي الذين لم يخلطوا إيمانهم بشرك لهم الأمن وهم مهتدون. كما ثبت في الصحيحين(٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿ **يا بُنَيَّ لا تُشرِك بالله إن الشركَ لظلمٌ عظيمٌ** ﴾(٣) »(٤).

وقد وصف الله عز وجل الكفار بأنهم ظالمون فقال: ﴿ **والكافرون هم الظالمون** ﴾ (٥) ففي هذه الآية دليل على أن كل كافر هو ظالم لنفسه. ووجه كونهم ظالمين أن الظلم وضع الشئ في غير موضعه، ويترتب عليه الفساد والخسران الكبير. والشرك بالله وعبادة غيره وضع لها في غير موضعها، إذ العبادة حق لله وحده، فصرفهم إياها لغير مستحقها ظلم وكذب عليه، فلم يُبْقُوا للعدل موضعاً، فلهذا حصر الظلم المطلق فيهم(٦).

وقال سبحانه مبيناً أن الشرك أعظم جريمة: ﴿ **ومن يُشْرِك بالله فقد افترى إثماً عظيماً** ﴾(٧).ولقد أجاد الإمام ابن القيم في وصفه لجريمة الشرك بقوله: (والمقصود أن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى وأكرهها له، وأشدها مقتاً لديه، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حرمه، وحرّم ذبائحهم ومناكحتهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم وأن يتخذوهم عبيداً، وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين، كما قال تعالى: ﴿ **ويُعَذِّبَ المنافقينَ والمنافقاتِ والمشركينَ والمشركاتِ الظانّين بالله ظنَّ السَّوْءِ عليهم دائرةُ**

---

١) سورة الأنعام آية ٨٢.

٢) رواه البخاري في كتاب الايمان باب ظلم دون ظلم ١/ ١٠٩ برقم : ٣٢، ومسلم في كتاب الايمان باب صدق الايمان وإخلاصه ١/ ١١٤ برقم : ١٢٤.

٣) سورة لقمان آية ١٣.

٤) انظر تفسير البغوي ٢/ ١١٢، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٥٢- ١٥٣، وفتح القدير ٢/ ١٣٥.

٥) سورة البقرة آية ٢٥٤.

٦) انظر تفسير البغوي ١/ ٢٣٧، وتفسير السعدي ١/ ٣١٣.

٧) سورة النساء آية ٤٨.

السَّوْءِ وغَضِبَ اللهُ عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم جهنَّمَ وساءت مصيراً ﴾(١))(٢).

القسم الثاني : الشرك الأصغر :

وهو كل وسيلة يتوصل بها إلى الشرك ما لم يبلغ درجة العبادة، وهو غير مخرج من الملة إلا إذا بلغ درجة الشرك الأكبر. وهذا النوع من أعظم أنواع الكبائر، وصاحبه لا يخلد في النار، بل هو تحت مشيئة الله، حاله كحال صاحب الذنوب والمعاصي التي دون الشرك الأكبر، فإن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له، وهو كيسير الرياء، والتصنع للمخلوق، وعدم الإخلاص لله في العبادة، ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ، كالحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، ونحوه، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده(٣).

وهذا الشرك مما ينافي كمال التوحيد ويناقضه، وصاحبه وإن لم يكن خارجاً من الملة إلا أنه على خطر عظيم، ينقص من أجره الشئ الكثير، وقد يحبط عمله الذي وقع فيه هذا الشرك. وقد وردت أحاديث كثيرة تحذر منه. منها قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »(٤)، وقوله : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء، يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم إذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً »(٥)، ومنها قوله ﷺ : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : الشرك الخفي يقوم

---

١) سورة الفتح آية ٦.

٢) مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٣٧٣.

٣) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٥٧- ٥٨، وتيسير العزيز الحميد ص ٤٥، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني ص ٧١.

٤) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله ٤/ ٢٢٨٩ برقم : ٢٩٨٥، وأحمد ٢/ ٣٠١.

٥) رواه أحمد ٥/ ٤١٨، والطبراني في الكبير ٤/ ٢٩٩، والبغوي في شرح السنة برقم : ٤١٣٥، قال المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٦٩ : رواه أحمد بسند جيد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٠٢ رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٤٥ برقم : ١٥٥١.

الرجل فيصلي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل »(١). يقول القاضي عياض رحمه الله : (من عمل عملاً ليحمده الناس عليه فإن هذا أصل الرياء، وأعظم الآفات، ومفسد الأعمال، ومهلك العاملين لها، لأنه تزيين للشرك بالله)(٢).

المطلب الثالث : نماذج من الأعمال الشركية وكلام القاضي عياض عنها :

هناك أمور كثيرة جداً تناقض التوحيد أو تنافيه، وتوضيح ذلك مما لا مجال للتوسع فيه ههنا، لذا سأقتصر على نماذج من هذه الأمور التي تكلم عنها القاضي عياض - رحمه الله -. ومنها.

١ - السحر

من الأعمال الشركية الخطيرة التي تناقض التوحيد السحر.

أ - **تعريفه** : السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه ودق، ولذلك تقول العرب في الشئ الشديد الخفاء : أخفى من السحر، وتصف ملاحة العينين بالسحر لأنها تصيب القلوب بسهامها - نسأل الله العافية - في خفاء، كما يوصف البيان بالسحر، وسمي السحور سحوراً لأنه يقع خفياً آخر الليل، والسَّحْر الرئة وهي محل الهواء، وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن(٣).

السحر اصطلاحاً : عرف بعضهم السحر بأنه (المخادعة أو التأثير في عالم العناصر بمقتضى القدرة المحدودة بمعين من الجن أو بأدوية إثر استعدادات لدى الساحر)(٤).

وعرّفه ابن قدامة المقدسي بقوله : (هو عقد وعزائم ورقى يتكلم به الساحر أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه)(٥).

---

١) رواه أحمد ٣/ ٣٠، وابن ماجة في كتاب الزهد باب الرياء والسمعة ٢/ ١٤٠٦ برقم : ٤٢٠٤، والحاكم ٤/ ٣٢٩ وصححه ووافقه الذهبي وقال الألباني : حديث حسن. انظر صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٧ برقم : ٧، وصحيح الجامع ٢/ ٣٦٣ برقم : ٢٦٠٤.

٢) إكمال المعلم ٦/ ٥٨.

٣) انظر لسان العرب ٢/ ١٠٦، والقاموس المحيط ص ٥١٩، والمصباح المنير ص ١٠٢.

٤) السحر بين الحقيقة والخيال للدكتور أحمد بن ناصر ص ١٧، طبع ١٤٠٨ هـ، مكتبة التراث بمكة.

٥) المغني ٨/ ١٥٠، وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٨٢.

ب - **حكمه والدليل على ذلك** : أما حكمه فقد تقدم أنه من أعظم أنواع الشرك، والأدلة على ذلك كثيرة. منها ما استدل به القاضي عياض وهو قوله تعالى : ﴿ **وَاتَّبَعوا ما تتلوا الشياطينُ على مُلْك سليمانَ وما كفرَ سليمانُ ولكنّ الشياطينَ كفروا يُعَلّمُونَ النّاسَ السّحْرَ وما أنْزِلَ على المَلَكَيْنِ ببابِلَ هاروتَ وماروتَ وما يُعَلّمانِ من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتْنَةٌ فلا تَكْفُرْ فيتعلمون منهما ما يُفرّقونَ به بينَ المرءِ وزوجِه وما هم بضارّينَ به من أحدٍ إلا بإذنِ الله ويَتَعلّمون ما يَضُرّهم ولا يَنْفَعُهُم ولقد علموا لَمَنِ اشتراه ما له في الآخرةِ من خَلاقٍ ولبئس ما شَرَوْا به أنْفُسَهُم لو كانوا يَعلمون** ﴾(١)، قال القاضي عياض : (إن الساحر عندنا كافر يقتل بالجملة ولا تقبل توبته، لأن من عمل السحر وعلمه أو تعلمه فقد كفر، والكافر يقتل لهذه الآية)(٢).

قلت : ومن الأدلة على كونه شركاً قوله تعالى : ﴿ **ولا يُفْلِحُ السّاحرُ حَيْثُ أتى** ﴾(٣)، وقول الرسول ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا : وما هن ؟! قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » متفق عليه(٤).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : (السحر محرّم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة)(٥)، ويقول الشيخ السعدي(٦) رحمه الله : (فالسحر يدخل في الشرك من جهتين، من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلق بهم، وربما تقرّب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه، ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية

---

١) سورة البقرة آية ١٠٢.

٢) إكمال المعلم ٥/ ١٨٨.

٣) سورة طه آية ٦٣.

٤) رواه البخاري في كتاب الوصايا باب قول الله ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ﴾ ٥/ ٤٦٢ برقم : ٢٧٦٦، ومسلم في كتاب الايمان باب بيان الكبائر وأكبرها ١/ ٩٢ برقم : ٨٩.

٥) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٢٩/ ٣٨٤.

٦) هو عبدالرحمن بن ناصر السعدي التميمي، مفسر من علماء الحنابلة من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة (١٣٥٨ هـ) له نحو ٣٠ كتاباً منها ما هو مطبوع ومخطوط ، من أشهر كتبه تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. ولد سنة (١٣٠٧ هـ) وتوفي سنة (١٣٧٦ هـ). انظر الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٠)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحاله ٣/ ٣٩٦.

إلى ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر)(١).

ج - حكم الساحر: اختلف العلماء - رحمهم الله - في حكم الساحر، فذهب جماهير أهل العلم إلى أن الساحر كافر حده ضربة بالسيف من غير استتابة له، مستدلين بعدد من النصوص. منها قوله تعالى: ﴿ **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أُنْزِلَ على المَلَكين ببابل هاروت وماروت وما يُعَلّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ...** ﴾ الآية(٢). فبيّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن تعلم السحر كفر، ولم يفرّق بين من اعتقده وبين من لم يعتقده، وأخبر عز وجل أن السحر لا نفع فيه بل هو ضار، ثم ختم الآية بالتنصيص على أن من باع نفسه بهذا السحر ليس له في الآخرة من خلاق أي من نصيب، والذي لا نصيب له في الآخرة هو الكافر(٣)، واستدل هؤلاء أيضاً على كفر وقتل الساحر بما صحّ عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم أنهم قتلوا الساحر، من هؤلاء عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان(٤)، وحفصة بنت عمر(٥)، وعبد الله بن عمر وغيرهم، فقد كتب عمر - رضي الله عنه - قبل موته بسنة

---

١) القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي ص ٤٥ ضمن مجموعة من رسائله.

٢) البقرة آية ١٠٢.

٣) انظر تفسير ابن كثير ١/ ١٤٣- ١٤٤، وتفسير السعدي ١/ ١١٨- ١٢٠.

٤) هو ثالث الخلفاء الراشدين، ذو النورين أبو عبدالله أو أبو عمرو عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية القرشي الاموي، أحد العشرة المبشرين بالجنة ومن كبار الصحابة الذين نصروا الاسلام، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل، وهاجر إلى الحبشة مع زوجته رقية بنت النبي ﷺ، وهاجر أيضاً إلى المدينة معها، فلما توفيت زوجه النبي ﷺ ابنته أم كلثوم. من فضائله وأعماله العظيمة أنه جهز جيش العسرة واشترى بئر رومة بالمدينة ووهبه للمسلمين، وكان من كتبة القرآن للرسول ﷺ، وبعد توليه الخلافة بعد وفاة عمر سنة (٢٣ هـ)، أتم جمع القرآن الذي بدأه أبو بكر وفتح الفتوحات العظيمة وفاض الخير في عهده، فكاد له المنافقون وأعداء الاسلام فحاصروه في بيته بعد أن قدموا من كل صوب وقتلوه وهو يقرأ القرآن يوم الجمعة عام (٣٥ هـ) بالمدينة وعمره يناهز الثمانين، رحمه الله ورضي عنه. انظر الاستيعاب ٣/ ٦٩، وحلية الاولياء ١/ ٥٥.

٥) هي أم المؤمنين، حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، تزوجها النبي ﷺ بعد انقضاء عدتها من خنيس بن خذافة السهمي أحد المهاجرين السابقين في الاسلام وذلك سنة (٣ هـ) ولها نحو من عشرين سنة. قالت عائشة: هي التي تساميني من أزواج النبي ﷺ، روت عدة أحاديث، توفيت بالمدينة سنة (٤٥ هـ) وصلى عليها والي المدينة مروان. رضي الله عنها. انظر الاستيعاب ٤/ ٢٦٠، والاصابة ٤/ ٢٦٤، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٢٧.

إلى الأمصار (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة)(١)، وقتلت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها جارية لها سحرتها(٢).(٣).

وقد تقدم رأي القاضي عياض الذي يرى أن الساحر كافر يقتل بدون توبة.

وذهب الشافعي وبعض أهل العلم إلى أن الساحر لا يقتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر، لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، والمشرك يستتاب وتقبل توبته فكذلك الساحر(٤).

والذي يظهر - والله أعلم - أن الرأي الأول هو الأرجح، لأنه قول أكثر العلماء وعليه عمل جماهير الصحابة رضي الله عنهم، ولأنه لا يعلم صدق توبة الساحر، إضافة إلى أن في قتله عبرة لغيره.

د - هل السحر حقيقي أم خيالي : قال القاضي عياض رحمه الله : (مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقائق غيره من الأشياء البائنة خلافاً لمن أنكره ونفى حقيقته(٥)، وادعى بأنه خيالات باطلة لا حقيقة لها، وردوا عليه بأن الله قد ذكر السحر في كتابه العزيز وذكر أنه مما يُتعلّم، وذكر أنه مما يكفر به ومما يفرق به بين المرء وزوجه، كما ثبت أن النبي ﷺ قد سُحر(٦)، وهذا كله لا يمكن أن يكون فيما لا حقيقة له إذ كيف يعلم ما لا حقيقة له)(٧).

قلت : ما ذكره القاضي عياض هنا هو الصحيح المعتمد عند أهل السنة(٨).

---

١) رواه أبو داود بإسناد صحيح في ٣/ ٢٢٨ برقم : ٣٠٤٣، وأحمد ١/ ١٩٠- ١٩١، وغيرهما.

٢) رواه مالك في الموطأ ٢/ ٦٦٣.

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٩/ ٣٨٤، والمغني ٨/ ١٥١، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤٣- ١٤٨، وشرح الطحاوية ص ٥٩، وتيسير العزيز الحميد ص ٣٩١.

٤) انظر شرح الطحاوية ص ٥٠٩، وتيسير العزيز الحميد ص ٣٩٢.

٥) ذهب المعتزلة وبعض علماء أهل السنة كابن حزم وغيره، إلى القول بأن السحر خيال وخداع لا حقيقة له، مستدلين ببعض النصوص والشبه التي لا تقوى على معارضة مذهب أهل الحق، انظر تفصيل مذهبهم في الكشّاف للزمخشري ١/ ١٧٣، وما ذكره القاضي عياض فيه الرد عليهم، وانظر أيضاً شرح الطحاوية ص ٥٠٩- ٥١٠.

٦) ثبت أن لبيد بن الأعصم اليهودي سحر النبي ﷺ وقد روى ذلك الإمام البخاري في صحيحه في حديث طويل في كتاب الطب باب السحر ١٠/ ٢٣٢ برقم : ٥٧٦٣، ٥٧٦٦، ومسلم في كتاب السلام باب السحر ٤/ ١٧١٩ برقم : ٢١٨٩.

٧) إكمال المعلم ٥/ ١٨٧- ١٨٨، والشفا ٢/ ١٨٠.

٨) انظر تفسير ابن كثير ١/١٤٧- ١٤٨، وفتح الباري ١٠/٢٣٣، وفتح القدير ١/١١٩.

٢ - الكهانة والعرافة

ومن أنواع الشرك الأكبر التي ذكرها القاضي عياض الكهانة والعرافة وهما داخلتان في السحر.

أ - تعريف الكهانة والعرافة : عرف القاضي عياض الكهانة بقوله : (الكُهّان قوم يزعمون أنهم يعلمون الغيب بأمر يلقى في أنفسهم، وقد أكذب الشرع من ادعى علم الغيب ونهى عن تصديقهم. والكهانة عند العرب على أقسام : أحدها : أن يكون له إنسان رؤي له من الخير فيخبره بما يسترق من السمع من السماء، وهذا القسم قد بطل منذ مبعث النبي ﷺ كما نص الله في كتابه في قوله عن الجن : ﴿ **وأنَّا كُنَّا نَقْعُدُ منها مقاعد للسمع فَمَنْ يَسْتَمِعَ الآنَ يَجِدْ له شِهاباً رَصَداً** ﴾(١)، الثاني : أن يخبره بما نظر في أقطار الأرض وما خفي عنه بما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد وجوده، ونفت هذا كله المعتزلة وبعض المتكلمين وأحالوه، ولا إحالة ولا بعد في وجود مثله، لكنهم يصدقون ويكذبون، والنهي عام في تصديقهم. الثالث : التخمين والحزر والتنجيم، وهذا يخلق الله فيه لبعض الناس قوة لكن الكذب في هذا الباب أغلب، ومن هذا الفن العرافة.

أ - تعريف العرافة : (وصاحبها عرّاف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يستدعي معرفته بها، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة، وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة، والعرّاف من الكهان، وقال بعض العلماء : العراف الحاذي أو المنجم الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله به)(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (العرّاف اسم عام للكاهن والمنجم والرّمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق)(٣)، وسئل الإمام أحمد - رحمه الله - عن الساحر والكاهن هل هما شئ واحد ؟ فقال : (لا. الكاهن يدعي الغيب والساحر يعقد ويفعل كذا. وسئل مرة عن الكاهن فقال : هو نحو العرّاف، والساحر أخبث لأن السحر شعبة من الكفر)(٤).

وعليه فكل من ادعى علماً من أمور الغيب فهو يندرج ضمن هذه المسميات.

---

١) سورة الجن آية ٩.

٢) إكمال المعلم ١٩٨/٥.

٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٥/ ١٧٥.

٤) أحكام أهل الملل للخلال ص ٢٠٨، نقلاً عن المسائل والرسائل المروية عن الامام أحمد في العقيدة ١٠٦/٢، وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٤١٢.

ب - حكم الكهانة والعرافة : الكهانة والعرافة من الأمور الشركية المحرمة باتفاق المسلمين، وقد ورد في التحذير منها نصوص كثيرة عن رسول الله ﷺ . من ذلك ما أورده القاضي عياض.

- فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقاً. قال : « تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة »(١).

- ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »(٢).

- وعن عائشة قالت : سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال : « ليسوا بشيء، قالوا : يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ تلك الكلمة من الحق - وفي رواية - من الجن يخطفها الجني فيقرّها(٣) في أذن وليه قَرَّ الدجاجة(٤) فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة »(٥).

قال القاضي عياض بعد ذكره لهذه النصوص المتقدمة : في هذه الأحاديث تكذيب لمن ادعى الغيب ونهي عن تصديق الكهنة والعرافين. وقد بيَن ﷺ وجه إصابة بعضهم في بعض الأحايين أن ذلك من استراق السمع الذي يسترقه الكاهن من الجني ويوصله إليه. وفي قوله ﷺ « لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » عقوبة لمن أتى العراف بعدم قبول صلاته، وعدم إثابته تعالى عليها وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عليه ولا يحتاج معها إلى إعادة. وتخصيص الأربعين يوماً بالذكر من أسرار الحكمة الشرعية. وفي قوله ﷺ « ليسوا بشيء » عندما سئل عن الكهان دليل على بطلان قولهم، وأنه لا صحة ولا حقيقة له، وفيه جواز الغلو باللفظ وإطلاق مثل هذا اللفظ العام والمراد به الخاص من أحوالهم لا ذواتهم لأنهم أشياء بلا شك(٦).

قلت : ومما ورد أيضاً في التحذير من الكهان والعرافين قوله ﷺ : « من

---

١) رواه مسلم في كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ١٧٥٠/٤ برقم : ٢٢٢٨.

٢) رواه مسلم في كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ١٧٥١/٤ برقم : ٢٢٣٠.

٣) القرّ : ترديدك الكلام في أذن مخاطبك حتى يفهمه، تقول قررته أقره قراً. شرح صحيح مسلم ٢٢٦/١٤.

٤) قرّ الدجاجة : صوتها إذا قطعته. ومعنى الحديث كما قال الإمام النووي : أن الجني يقذف الكلمة إلىٰ وليه الكاهن فتسمعها الشياطين كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحباتها فتتجاوب. شرح صحيح مسلم ٢٢٦/١٤.

٥) رواه مسلم في كتاب السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ١٧٥٠/٥ برقم : ٢٢٢٨.

٦) انظر إكمال المعلم ١٩٨/٥.

أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »(١).

وقد يظن بعض الناس أن بين هذا الحديث وبين الحديث المتقدم « من أتى عرافاً فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »(٢) تعارضاً لذا قال بعضهم بتكفير من أتى الكاهن أو العراف كفراً أكبر مطلقاً، وقال بعضهم هو كفر مجازي، والحقيقة أنه لا تعارض بين الحديثين، بل كل منهما على حقيقته، ويفصل في الأمر فيقال : إن من اعتقد أن الكاهن أو العراف يعلم الغيب ويطلع على الأسرار الإلهية كان كافراً حقيقياً، لأن هذه هو الموافق لمنطوق ومفهوم الحديث وهو قوله ﷺ « فصدقه بما يقول »، أما من لم يعتقد صدقه فإنه لا يكفر بل يكون قد ارتكب كبيرة من الكبائر رتب عليها وعيد شديد وهو بطلان صلاته أربعين ليلة كما قال ﷺ « من أتى عرافاً فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »(٣)، فهذا حكم من سأله مطلقاً والأول حكم من سأله وصدقه بما يقول. هكذا قال المحققون من أهل العلم(٤).

٣ - التنجيم

أ - **تعريفه** : التنجيم ضرب من ضروب الكهانة كما بيّن القاضي عياض رحمه الله عند تعريفه للكهانة، وهذا الضرب - كما قال - يخلق الله فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب.(٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً حقيقة التنجيم : (صناعة التنجيم التي مضمونها الإحكام والتأثير، وهو الإستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية، صناعة محرّمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين)(٦).

ب - **أنواع وحكم التنجيم** : التنجيم نوعان كما بيّن القاضي عياض.

أحدهما : أن يعتقد أن النجم هو الذي ينزل المطر وليس الله تعالى، وهذا ما كانت تعتقده العرب، فقد كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، ولقد جاءت الآثار

---

١) رواه أحمد ٢/٢٢٩، والحاكم ١/٨، وقال صحيح على شرط الصحيحين ووافقه الذهبي ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٨/٣٥، ١٨٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥/٢٢٣ برقم : ٨٥١٥.

٢) تقدم تخريجه.

٣) تقدم تخريجه.

٤) انظر نيل الأوطار للشوكاني ٩/٤٦.

٥) انظر إكمال المعلم ٥/١٩٨ وراجع تعريف الكهانة.

٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٥/ ١٩٢.

بتكفير من استمطر بالنجوم إذ لا خالق إلا الله. النوع الثاني : أن ينسب نزول المطر الى الله ولكن يجعل النوء وقتاً مثل أوقات الليل والنهار وإن لم يعتقد قائله أثر النجوم وفعلها، وحكم هذا النوع التحريم لأن فيه مشابهة لقول من يعتقد ذلك، والشرع حرّم التشبه بالكفار، قال الله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا** ﴾(1)إذ كانت كلمة يقولها اليهود والمنافقون معرّضين بها، فنهى الله المؤمنين عن استعمالها(2).

والنوع الثاني كما قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب : (الصحيح أنه محرم، لأنه من الشرك الخفي وهو الذي أراده النبي ﷺ وأخبر أنه من أمر الجاهلية ونفاه وأبطله، وهو الذي كان يزعم المشركون ولم يزل موجوداً في هذه الأمة إلى اليوم، وأيضاً فإن هذا من النبي ﷺ حماية لجناب التوحيد، وسداً لذرائع الشرك ولو بالعبارات الموهمة التي لا يقصدها الإنسان، وفيه التنبيه على ما هو أولى بالمنع من نسبة السقيا إلى الأنواء، كدعاء الأموات وسؤالهم الرزق والنصر والعافية ونحو ذلك من المطالب، فإن هذا من الشرك الأكبر سواء قالوا إنهم شفعاؤنا الى الله أو اعتقدوا أنهم يخلقون ويرزقون وينصرون استقلالاً على سبيل الكرامة، لأنه اذا منع ﷺ من إطلاق نسبة السقيا إلى الأنواء مع عدم القصد والإعتقاد، فلأن يمنع من دعاء الأموات والتوجه إليهم في الملمات مع اعتقاد أنواع التصرفات أولى وأحرى)(3).

قلت : ويلحق بالتنجيم أيضاً ما يسمى بالضرب بالحصى والنظر في الكف أو الفنجان مما هو شائع في كثير من البلدان، ولا شك أن من يفعل ذلك مفترٍ كاذب بل وكافر إذا ادعى علم الغيب.

٤ - الطيرة

أ - **تعريفها** : الطيرة نوع من أنواع الشرك المحرمة، وقد عرفها القاضي عياض بقوله : (الطيرة التشاؤم وهي مأخوذة مما كانوا يعتادونه في الجاهلية ويعتقدونه في البوارح والسوانح(4) من الطير وغيره، فكان لهم في التشاؤم

---

1) سورة البقرة آية ١٠٤.

2) انظر إكمال المعلم ٣/ ٩٢٢، ٥/ ١٩٩- ٢٠٠.

3) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥٤- ٤٥٥.

4) السانح كما فسره رؤبة بن العجاج : ما ولاك ميامنه، والبارح : ما ولاك مياسره، والذي يجيء أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد. انظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٢١، وانظر أيضاً القاموس المحيط ص ٢٧٢، ٢٨٨.

والتيامن طريقة معروفة من حركة الطير فمنها أخذ اسم الطيرة)(١).

ب - حكمها وبعض الأدلة على ذلك : لقد وردت نصوص كثيرة في تحريم الطيرة وجعلها من أنواع الشرك بالله، وقد أورد القاضي عياض من ذلك بعض الأحاديث منها :

١ -حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة »(٢).

٢ - وقوله ﷺ « لا عدوى ولا طيرة ولا غول »(٣).

٣ - وقوله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة »(٤).

شرح القاضي عياض للأحاديث

لقد بيَن القاضي عياض معنى الأحاديث الآنفة الذكر بقوله : قوله ﷺ « لاعدوى » تفسيره أن العرب كانت تعتقد أن المرض يجري إلى الصحيح وينتقل بنفسه وبطبيعته، فأنكر ﷺ اعتقادهم هذا ونهى عنه، وقوله ﷺ لمن سأله يا رسول الله ما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها ؟ فأجابه : « فمن أعدى الأول »(٥)، وفي هذا دليل واضح بيّن في الحجة في قطع دعوى العدوى، وأنه إذا وجد الداء من غير عدوى في الأول فكذلك في الثاني، فليس لتمريض الأول والثاني الا مشيئة الله. وقد قال بعض أصحابنا قوله ﷺ : « لا يورد ممرض على مصح »(٦) منسوخ بقوله : « لا عدوى ولا طيرة » لأنه ﷺ أكل مع مجذوم وأقعده معه، وقد استدل هؤلاء أيضاً بما ذهب إليه بعض الصحابة رضي الله عنهم كعمر وعائشة، وقد ذهب بعضهم إلى الجمع بين الحكمين بغير طريق النسخ وترك أحد الخبرين فقالوا : أمره ﷺ بتجنب ورود الممرض على المصح على سبيل الاحتياط، وليس على سبيل الوجوب، وقال آخرون : ليس بين الحديثين مناف فيفتقر إلى النسخ، ولكنه ﷺ

---

١) إكمال المعلم ٥/ ١٩٦.

٢) رواه مسلم في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ٤/ ١٧٤٣ برقم : ٢٢٢٠.

٣) رواه مسلم في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ٤/ ١٧٤٤ برقم : ٢٢٢٢.

٤) رواه البخاري في كتاب الطب باب الفأل ١٠/ ٢٢٥ برقم : ٥٧٧٦، ومسلم في كتاب السلام باب الطيرة والفأل ٤/ ١٧٤٦ برقم : ٢٢٢٤.

٥) رواه البخاري في كتاب الطب باب لا هامة ١٠/ ٢٥١ برقم : ٥٧٧٠، ومسلم في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ٤/ ١٧٤٣ برقم : ٢٢٢٠.

٦) رواه البخاري في كتاب الطب باب لا هامة ١٠/ ٢٥١ برقم : ٥٧٧١، ومسلم في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ٤/ ١٧٤٣ برقم : ٢٢٢١.

نفى العدوى وهي اعتقاد كون بعض الأمراض تفعل في غيرها بطبيعتها، وأما أن يكون ذلك سبباً بخلق الله سبحانه عند من مرض بسبب ما ورد عليه من المرض فلم ينفعه، فنهيه عليه الصلاة والسلام أن يورد المريض على الصحيح لئلا يمرض الصحاح من قبل الله جلت قدرته عند ورود المرض فيكون المرض كالسبب فيها(١).

قلت: تفسير القاضي أبي الفضل - رحمه الله - لمعنى العدوى من إبطال ما كانت العرب تعتقده في العدوى هو المعنى الصحيح الراجح - إن شاء الله - لأن تلك الأمور كانت منتشرة في الجاهلية فجاء الإسلام بإبطالها، وقد جاء هذا الإبطال بصيغة النفي - كما قال الإمام ابن القيم -(٢) لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع فقط.

الجمع بين الأحاديث الواردة في العدوى

أشار القاضي عياض إلى اختلاف العلماء في المراد بالأحاديث الواردة بنفي العدوى والأخرى التي تأمر بمجانبة المرضى، فالصواب في المسألة أن يقال إنه لا خلاف بين الأحاديث ولا نسخ فيها، بل يجمع بينها، وطريق الجمع هو أن حديث « لا عدوى ولا طيرة » المراد نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقده من أن المرض والعاهة تعدي بنفسها لا بقدرة الله تعالى، وأما حديث « لا يورد ممرض على مصح » وما في معناه ففيه إرشاد من النبي ﷺ الى مجانبة ما يحصل من الضرر عنده في العادة بقدرة الله تعالى وإرادته، فنفى في الحديث الأول العدوى بطبعها ولم ينف حصول الضرر عند ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته، وأرشد في الحديث الثاني إلى الاحتراز مما يحصل عنده من الضرر بقدرة الله ومشيئته، وقد قرر ما أشار اليه ابن القيم آنفاً المحققون من أهل العلم وعليه جماهير العلماء(٣).

معنى قوله ﷺ (لا صفر) :

قال القاضي عياض في معنى لا صفر قولان، فقيل: هو تأخير المشركين المحرم الى صفر في النسيء، وقد كانوا يفعلون ذلك تشاؤماً منه، والى هذا ذهب مالك وغيره، وقيل: صفر هو صفار وهو دواب في البطن وكانوا يعتقدون أنه يهيج عند الجوع وربما قتلت، ويراها العرب أعدى من الجرب ويتشاءمون منها.

---

١) انظر إكمال المعلم ٥/ ١٩٦، ٢٠١.

٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٢٧.

٣) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٤/ ٢١٣- ٢١٤، وتيسير العزيزالحميد ص ٤٢٥- ٤٢٦.

معنى (لا هامة) :

قال القاضي عياض : وأما الهامة فاختلف فيها، فقيل : كانت العرب تتشاءم بالهامة إذا سقطت على دار أحدهم فيراها ناعية له نفسه أو أحداً من أهله. وإلى هذا ذهب مالك. وقيل : كانت العرب تعتقد أن عظام الميت تنقلب هامة تطير فأنكر رسول الله ﷺ هذا الأمر. ويسمى الطائر الذي يعتقد خروجه من هامة الميت صيداً، وقيل : إن المراد بالحديث هذا الذي يخرج من الرأس(١).

قلت : الرأي الأخير ليس بشئ بل القولان الأولان هما المرادان، وخاصة الأول فإنه لا يزال إلى الآن في بعض البلاد من يتشاءم من الهامة ويظن أنها ناعية له نفسه أو أحداً من أهله، وذلك مما ورثوه عن الجاهلية الأولى.

معنى الغول :

قال القاضي عياض : وأما الغول فإن العرب كانت تقول إن الغيلان في القلوب تتراءى للناس فينفوا نفولاً، أي يلون تلوناً فيضلهم عن الطريق فيهلكهم، وقد ذكر هذا في أشعارهم فأبطل رسول الله ﷺ ذلك كله ونفاه(٢).

ج - التنبيه على أحاديث يظن أن فيها جواز الطيرة :

وردت بعض الأحاديث ظن فيها جماعة من الناس أنها تدل على جواز الطيرة منها قوله ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة إنما الشؤم في ثلاث في الفرس والمرأة والدار » متفق عليه(٣)، وفي رواية لمسلم : « إن كان الشؤم في شئ ففي الفرس والمسكن والمرأة »(٤)، وقد أجاب العلماء(٥) رحمهم الله عن هذه الأحاديث بعدة أجوبة ذكر بعضها القاضي عياض فقال : (قال بعض أهل العلم الجامع للأحاديث الواردة في الطيرة ثلاثة أقسام :

أحدها : ما لا يقع التأذي والضرر به فهذا لا يصغى إليه، والشرع أنكر الإلتفات إليه وهو الطيرة والغول والهامة وغيرها.

القسم الثاني : ما يقع الضرر به، ولكنه يعم ولا يخص ويندر ولا ينكر كالوباء. فإن هذا لا يقدم عليه احتياطاً ولا يفر منه لعدم أن يكون وصل الضرر

---

١) انظر إكمال المعلم ٥/ ١٩٥- ١٩٦.

٢) المرجع السابق.

٣) رواه البخاري في كتاب الطب باب الطيرة ١٠/ ٢٢٣ برقم : ٥٧٥٣، وبرقم : ٥٧٧٢، ومسلم في كتاب السلام باب الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم ٤/ ١٧٤٨ برقم : ٢٢٢٥.

٤) رواه مسلم في كتاب السلام باب الطيرة والفأل ٤/ ١٧٤٨ برقم : ٢٢٢٥ مكرر.

٥) انظر حكاية أقوالهم في مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٢٥٣- ٢٥٧ نشر رئاسة الإفتاء بالرياض، وفتح الباري ٦/ ٧١- ٧٤، وتيسير العزيز الحميد ص ٤٢٨.

إلى الفارّ منه على الندور والتكرار.

القسم الثالث: يخص ولا يعم ولا يلحق منه الضرر كالديار، فإن ضررها مختص بساكنها وكذلك الفرس والمرأة فهذا يباح منه الفرار، قال القاضي عياض: فكأنه ﷺ قال لا طيرة إلا في هذه الثلاثة المرأة والفرس والدار، فهذه مستثناة من الطيرة لأنه ﷺ نهى عن الطيرة التي كان أهل الجاهلية يقولون بها وبقيت هذه الثلاثة، وقوله ﷺ « إن كان الشؤم في شيء ففي الفرس والمسكن والمرأة » قيل: جرى هذا الإستثناء من استثناء الشيء من غير جنسه لتسهيل الخروج من كلام إلى غيره، وقيل: شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها، وشؤم المرأة أن لا تلد. قال: وقد يكون الشؤم هنا على غير المفهوم منه من معنى التطير، لكن بمعنى قله الموافقة وسوء الطباع كما جاء في الحديث الآخر « ثلاثة سعادة لابن آدم في ثلاثة، وشقاوة لابن آدم في ثلاثة، فمن سعادته المرأة الصالحة والمسكن الواسع والمركب الصالح، ومن شقاوته المسكن السوء والمرأة السوء والمركب الشؤم »(1))(2).

قلت: ما قاله القاضي عياض في الرأي الأخير ولم يجزم به وهو أن الشؤم على غير المفهوم منه من معنى التطير هو الصواب والراجح في ذلك، ولذلك مال إليه المحققون من أهل العلم، فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله سبحانه، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعياناً مشؤمة على من قاربها وسكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولداً مشؤماً يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة، ويقضي بسعادة من قارنها وبحصول اليمن والبركة له، ويخلق بعضها نحوساً يتنحس بها من قارنها، وكل ذلك بقضائه وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذذ بها من قاربها من الناس، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء

---

1) رواه أحمد ١٦٨/١ وهو صحيح انظر الأحاديث الصحيحة للألباني رقم: ١٨٠٣- ١٠٤٧.

2) إكمال المعلم ٥/ ١٩٧- ١٩٨، وشرح النووي لصحيح مسلم ١٤/ ٢٢١- ٢٢٢.

والخيل فهذا لون والطيرة لون »(١).

فبهذا يتبين أن الشؤم موجود في بعض الأشياء لكن التشاؤم بها لا يجوز، ولذا شرع لمن تزوج امرأة أو اشترى دابة أو أمة أن يسأل الله من خيرها وخير ما جبلت عليه ويستعيذ بالله من شرها وشر ما جبلت عليه، وكذلك ينبغي لمن سكن داراً أن يفعل ذلك ويتحول عنها إذا لم يطب له العيش فيها، وعلى العبد أن يوقن مع هذا يقيناً جازماً بأن الخير والشر كله بيد الله وحده، وأما وجه تخصيص هذه الثلاثة بالذكر، فقيل: إن الحصر فيها بالنسبة إلى العادة لا بالنسبة إلى الخلقة، وقيل: خصت بالذكر لطول ملازمتها، وقيل: إن يكن الشؤم حقاً فهذه الثلاثة أحق به، بمعنى أن النفوس يقع فيها الشؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها(٢).

٥ - الرقـــى

أ - **تعريفها**: الرقى جمع رقية، وهي ما يقرأ على المريض ونحوه بقصد العلاج والقربى إلى الله. وعرّفها بعضهم بقوله: الرقية العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات(٣).

ب - **أنواعها وحكمها**: الرقى ثلاثة أنواع كما بين العلماء رحمهم الله(٤).

النوع الأول: جائزة: وهي أن تكون بالقرآن وبأسماء الله وصفاته، وباللغة العربية، وبما يعرف معناه وأن يعتقد أن الرؤية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله، وهذا النوع عليه إجماع العلماء.

النوع الثاني: محرمة: وهي نوعان: رقية شركية، ورقية محرمة، فالشركية هي المتضمنة لأسماء رجال من الجن يدعون ويستغاث بهم، ويقسم عليهم بمن يعظمونهم، فتعطيهم الشياطين بسبب ذلك في بعض الأمور، وهذا من جنس السحر والشرك، قال ﷺ: « لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك »(٥) فنهى ﷺ عن الرقى التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالجن وغيرهم، قال الله تعالى:

---

١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/ ٢٥٧، وانظر لطائف المعارف لابن رجب ص ١٥٧، طبع دار الجيل - بيروت، فقد قال نحواً من هذا الكلام.

٢) انظر فتح الباري ٦/ ٧٢.

٣) انظر النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٥٤.

٤) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ١٤/ ١٦٩، وفتح الباري ١٠/ ٢٠٦، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١٨٢، ٢٣٦، وتيسير العزيز الحميد ص ١٦٢- ١٦٧.

٥) رواه مسلم في كتاب السلام باب لا بأس بالرقى مالم يكن فيها شرك ٤/ ١٧٢٧ برقم: ٢٢٠٠.

﴿ وأنَّهُ كان رجالٌ من الإنس يَعُوذُونَ برجالٍ من الجنِّ فزادوهم رَهَقاً ﴾(١) ، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والأقسام التي يتعلمها بعض الناس في حق المصروع وغيره. أما الرقية المحرمة فهي التي تكون بغير اللغة العربية أو بكلام لا يعرف معناه فتحرم لئلا يكون فيها شرك، واستثني من لم يعرف العربية من ذلك.

النوع الثالث : رقية أهل الكتاب فأجازها بعضهم وكرهها بعضهم خوفاً أن تكون مما بدلوه. يقول القاضي عياض - رحمه الله - ملخصاً ما سبق قوله : (لقد رقي رسول الله ﷺ ورقى وأمر بها وأجاز الرقية، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله تعالى فهي مباحة، وإنما جاءت الكراهية منها مما كان بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفراً أو شركاً أو قولاً يدخله الشرك، ويحتمل أن يكون الذي كره من الرقية على مذهب أهل الجاهلية من العوذ التي يتعاطونها وأنها تدفع عنهم الآفات، ويعتقدون أن ذلك من قبل الجن ومعونتهم، وقد اختلفت الرواية عن مالك في إجازة أهل الكتاب للمسلم، فأجازه مرة إذا رقى بكتاب الله، ومنعه أخرى وذلك لأنا لا ندري الذي رقى به ما هو)(٢)، والراجح في حكم رقية أهل الكتاب أنه يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، كما قال الإمام ابن حجر رحمه الله(٣)، قلت : لأن الصحابة - رضي الله عنهم - سألوا رسول الله ﷺ فقالوا : كنا نرقى في الجاهلية كيف ترى في ذلك ؟ فقال : « اعرضوا عليّ رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك »(٤). فدل الحديث على أن الرقية إذا كانت تؤدي إلى الشرك تمنع، أما اذا لم تكن كذلك فلا حرج فيها سواء كانت من مسلم أو غيره لأنه لم يأت دليل على منع الرقية من أهل الكتاب. والله أعلم.

٦ - الحلف بغير الله

من الأعمال الشركية التي ذكرها القاضي عياض - رحمه الله - الحلف بغير الله كالحلف بالنبي ﷺ والكعبة وغير ذلك. فقد بيّن حرمة ذلك وخطره عند شرحه لقوله ﷺ « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت »(٥)، ولقوله ﷺ « من حلف منكم فقال في حلفه واللات والعزى فليقل

---

١) سورة الجن آية ٦.

٢) إكمال المعلم ٣/ ٩٣١- ٩٣٢، و ٥/ ١٨٦.

٣) انظر فتح الباري ١٠/ ٢٠٦.

٤) تقدم تخريجه.

٥) رواه البخاري في كتاب الايمان باب لا تحلفوا بآبائكم ١١/ ٥٣٨ برقم : ٦٦٤٦، ومسلم في كتاب الايمان باب النهي عن الحلف بغير الله ٣/ ١٢٦٦ برقم : ١٦٤٦.

بالله توحيد والحلف بغيره شرك، وإن قدر الصدق في الحلف بغير الله فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(١).

فالحلف بغير الله شرك أصغر وهو أعظم من الكبائر، وقد يكون شركاً أكبر يخرج صاحبه من الملة، إذا اعتقد في المخلوق ما يعتقده في الخالق جل جلاله من التعظيم والخوف والرجاء والرهبة وغير ذلك، كما هي حال كثير من عباد القبور(٢) وغيرهم والعياذ بالله.

وكذلك يكون الحلف بغير الله شركاً أكبر إن حلف بملة غير الإسلام متعمداً تعظيمها، كما قال رسول الله ﷺ « من حلف بملة سوى الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال »(٣). وقد نبه إلى ذلك القاضي عياض رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث بقوله : (معناه فهو كاذب في يمينه، فإن كان المتعمد للحلف بها قلبه مطمئن بالإيمان، فهو كاذب فيما حلف عليه كاذب في تعظيم ما لا يعتقد تعظيمه، وإن كان قوله متعمداً أي تعظيمها واعتقاد اليمين بها لكونها حقاً فهو كافر كما اعتقد فيها وقاله في الحلف بها)(٤). فيجب على المؤمن أن يحذر كل الحذر من الحلف بغير الله وأن لا تأخذه العوائد الجاهلية المنتشرة بين كثير من الناس اليوم من الحلف بالأمانة والنبي ﷺ والكعبة والشرف والحياة، كقولهم وحياتي وحياتك وما أشبه ذلك من الألفاظ، لأن كل حلف بغير الله فهو شرك وجريمة عظمى. فقد عرفنا ما ورد في النهي عن الحلف بغير الله من الأحاديث الصحيحة وقد اعتبره ﷺ شركاً وكفراً - سواء كان أكبر أو أصغر حسب نية الحالف - فنسأل الله الهداية لنا ولجميع إخواننا المسلمين إنه سميع مجيب.

٧ - الريـــــاء

الرياء من الأنواع الشركية الخطيرة التي تنافي التوحيد.

والرياء (هو ترك الإخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه)(٥)، والفرق بينه وبين السمعة أن الرياء هو إظهار العمل أو العبادة بقصد رؤية الناس

---

١) انظر مجوع فتاوى شيخ الاسلام ١/ ٢٠٤.

٢) انظر فتح الباري ١١/ ٥٤٠، وتيسير العزيز الحميد ص ٥٩٣.

٣) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب من حلف بملة سوى ملة الاسلام ١١/ ٥٤٦ برقم : ٦٦٥٢، ومسلم في كتاب الايمان باب غلظ تحريم قتل الانسان ١/ ١٠٥، برقم : ١١٠، واللفظ له.

٤) إكمال المعلم ٢/ ٥٨٠.

٥) التعريفات للجرجاني ص ١٢٥.

لها ليحمدوه عليه، والسمعة هي إظهار العبادة لأجل سماعهم، فالرياء يتعلق بحاسة البصر والسمعة بحاسة السمع، ويدخل فيه أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس(١). وكلاهما مذموم شرعاً فقد قال رسول الله ﷺ « من سمع سمّع الله به ومن يرائي يرائي الله به » متفق عليه(٢).

فالرياء مما ينافي الإخلاص لله تعالى الذي هو أحد الشرطين لقبول الأعمال عند الله، والرياء أيضاً مما يفسد الأعمال وهو من الشرك، فقد قال القاضي عياض رحمه الله : (من عمل عملاً ليحمده الناس عليه، فإن هذا أصل الرياء، وأعظم الآفات ومفسد الأعمال، ومهلك العاملين لها وتزيين الشرك)(٣) ، وقد بيّن علماء أهل السنة - رحمهم الله - أن يسير الرياء من الشرك الأصغر. قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للمخلوق والحلف بغير الله ... - إلى أن قال - وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده)(٤)، أما اذا كان العمل رياءً محضاً لا يراد به سوى مراءاة المخلوقين لغرض دنيوي، فيكون حينئذ شركاً أكبر، وذلك كحال المنافقين الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ **وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى يُراءُون الناسَ ولا يَذْكُرُونَ الله إلا قليلاً** ﴾(٥)، وكذلك وصف الله سبحانه الكفار بالرياء في قوله ﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بَطَراً ورِئَاءَ الناسِ ويَصُدّونَ عن سبيل الله** ﴾(٦).

والرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة أو الحج من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها للغير فإن الإخلاص فيهما عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله عز وجل والعقوبة. نسأل الله العافية. قال رسول الله ﷺ : « قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »(٧).

---

١) انظر فتح الباري ١٠/ ٣٤٤، وتيسير العزيز الحميد ص ٥٢٥.

٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الرياء والسمعة ١٠/ ٣٤٣ برقم ٦٤٩٩، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق باب من أشرك في عمله غير الله ٤/ ٢٢٨٩ برقم : ٢٩٨٧.

٣) إكمال المعلم ٦/ ٥٨.

٤) انظر مدارج السالكين ١/ ٣٧٣.

٥) سورة النساء آية ١٤٢.

٦) سورة الانفال آية ٤٩.

٧) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه ص ١٦٦ .

فعلى العبد المؤمن أن يتعهد قلبه دائماً، وأن يجاهد نفسه في الله ويحملها على الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسوله ﷺ، ويجنبها الشرك ما ظهر منه وما بطن وما صغر وما كبر، لينجو بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وحري بالعلماء والدعاة الى الله تعالى أن يركزوا على هذا الجانب المهم العظيم الذي غفل عنه كثير من إخواننا المسلمين. نسأل الله الهداية والتوفيق للجميع.

المبحث الثاني : ذكر نماذج من الأمور الكفرية المخرجة من الإسلام التي تكلم عنها القاضي عياض.

تمهيد : قاعدة مهمة للتكفير مع بيان لأنواع الكفر :

ينبغي أن يعلم أن التكفير أمره عظيم وشأنه كبير، فلا يوصف به أحد إلا بنص شرعي من كتاب أو سنة صحيحة أو إجماع من علماء أهل السنة والجماعة عليه، لأنه ليس مما يعلم بالعقل، بل مرده إلى الشرع. وقد نبه القاضي عياض - رحمه الله - على ذلك في مقدمة الفصل الذي خصصه لهذا الأمر فقال : (باب ما هو من المقالات كفر ... إعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس الذي فيه مورده إلى الشرع ولا مجال للعقل فيه)(١).

ولقد ضل في هذا الباب - التكفير - خلق كثيرون، وانقسم الناس فيه على طرفي نقيض ووسط، فمنهم من زعم أنه لا يضر مع الإيمان أي ذنب مهما بلغ، فلم يكفروا من نقض ناقضاً من نواقض الإسلام بحجة أنه مؤمن، وقابلهم في الطرف الآخر أناس كفّروا بالذنوب وأخرجوا كثيراً من أمة محمد ﷺ من الإسلام، وهدى الله عز وجل أهل السنة والجماعة إلى القول الحق الوسط بين مذهب هؤلاء وهؤلاء فقالوا : لا نحكم بالكفر على مسلم ارتكب ذنباً ما لم يستحله، كما أننا لا نحكم له بالإيمان المطلق، بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، يقول الإمام الطحاوي - رحمه الله - مبيناً مذهب أهل السنة في هذا الأمر (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، ونرجوا للمحسنين من المؤمنين أن يعفو الله عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم، ولا نُقنّطهم، والأمن واليأس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما

---

١) الشفا ٢/ ٢٨٢.

لأهل القبلة)(١).

أنواع الكفر عند أهل السنة :

الكفر عند أهل السنة والجماعة نوعان(٢)، أكبر مخرج من الملة، وأصغر غير مخرج من الملة.

أ - فالكفر الأكبر، خمسة أنواع :

الأول : كفر تكذيب، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افترى على الله كذباً أو كذّب بالحق لمّا جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين** ﴾(٣).

النوع الثاني : كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل عليه قوله عز وجل : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليسَ أبى واستكبرَ وكان من الكافرين** ﴾(٤).

النوع الثالث : كفر الشك وهو الظن، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ **وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وهو ظالمٌ لنَفْسِه قال ما أظُنّ أنْ تَبِيدَ هذه أبداً * وما أظُنّ الساعة قائمةً ولئن رُددْتُ إلى ربي لأجدنَّ خيراً منها مُنْقَلَباً * قال له صاحبُهُ وهو يحاوره أكَفَرْتَ بالذي خلقك من ترابٍ ثمَّ من نُطْفَةٍ ثمَّ سَوَّاكَ رجلاً * لكنَّا هو الله ربي ولا أشْرِكُ بربي أحداً** ﴾(٥).

النوع الرابع : كفر الإعراض، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ **والذين كفروا عما أنْذِرُوا مُعْرِضُون** ﴾(٦).

النوع الخامس : كفر النفاق، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فَطُبِعَ على قلوبهم فهم لا يَفْقَهُون** ﴾(٧).

ب - أما الكفر الذي لا يخرج من الملة، فهو ما يسميه العلماء كفر دون كفر، أو كفر النعمة أو الكفر الأصغر، والأدلة على هذا النوع كثيرة منها قوله ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »(٨). وقوله أيضاً : « من حلف بغير

---

١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٥، ٣٠٥، ٣١١.

٢) انظر مجموعة التوحيد لشيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبدالوهاب ص ٦- ٨، ومدارج السالكين لابن القيم ١/ ٣٦٦- ٣٦٧، وشرح الطحاوية ص ٣٠٢- ٣٠٣.

٣) سورة العنكبوت آية ٦٨.

٤) سورة البقرة آية ٣٤.

٥) سورة الكهف آية ٣٥- ٣٨.

٦) سورة الاحقاف آية ٣.

٧) سورة المنافقون آية ٣.

٨) رواه البخاري في كتاب الادب باب ما ينهى عن السباب واللعن ١٠/ ٤٧٩ برقم : ٦٠٤٤، ومسلم في كتاب الايمان باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق ١/ ٨١ برقم : ٦٤.

الله فقد كفر أو أشرك »(١)، وقوله كذلك : « من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها ... فقد كفر بما أنزل على محمد »(٢)، وقوله أيضاً : « إثنان في الناس هما بهم كفر، الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت »(٣). ونظائر ذلك كثير.

ولقد سار القاضي عياض - رحمه الله - في باب التكفير على مذهب أهل السنة والجماعة - كما سيتضح لك - فإنه لم يكفر أحداً إلا بالدليل الصحيح أو بإجماع من علماء الأمة على ذلك.

المطلب الأول : تكفيره لمن نفى عن الله الربوبية أو الوحدانية، أو ادعى الألوهية، أو عبد غيره تعالى أو معه شيئاً.

ذهب القاضي عياض إلى تكفير كل من نفى ربوبية الله تعالى أو وحدانيته، أو ادعى الألوهية، أو عبد غير الله تعالى أو معه شيئاً، وفي ذلك يقول : (إن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية، أو عبادة أحد غير الله أو مع الله، فهي كفر كمقالة الدهرية(٤)، وسائر فرق أصحاب الإثنين(٥)، والديصانية(٦)،

---

١) صحيح وقد تقدم تخريجه ص١٦٦ .

٢) رواه أحمد ٢/ ٤٠٨، ٤٧٦، وقد صححه العلامة الألباني في آداب الزفاف ص ١٠٥- ١٠٦، ط المكتبة الإسلامية - عمان ١٤٠٩.

٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة ١/ ٨٢ برقم : ٦٧.

٤) الدهرية : قوم لا يؤمنون إلا بالحس المشاهد، وينكرون ما غاب عن ذلك من أمور الغيب والمعقول، وبالتالي ينكرون الثوابت والمعارف وغير ذلك فضلاً عن كفرهم بالله العظيم، ويسمون أيضاً الطبعيين، وهم فرقتان، فرقة قالت : إن الخالق لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته فلم يقدر على ضبطها وإمساكها، وفرقة قالت : إن العالم دائم ولم يزل ولا يزول، وهذا العالم هو الخالق الممسك للأجزاء التي فيه. تعالى الله عما يقولون. انظر الملل والنحل ص ٢٥٧، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٥٥- ٢٥٦.

٥) هم الثنوية : الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيّز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح، وهم فرق عديدة. انظر الملل والنحل ص ٢٤٥.

٦) همّ أصحاب ديصان وهي إحدى فرق الثنوية، ويعتقد هؤلاء بوجود النور والظلام، فالنور يفعل الخير قصداً، والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراباً، فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور وما كان من شر وضرر ونتن وقبح فمن الظلام، وقالوا النور حي والظلام ميت، كل منهما جنس واحد. انظر الملل والنحل ص ٢٥١- ٢٥٢.

والمانوية (١)، وأشباههم من الصابئين ، والنصارى، والمجوس، والذين أشركوا بعبادة الأوثان، أو الملائكة أو الشياطين، أو الشمس أو النجوم، أو النار، أو أحد غير الله من مشركي العرب والهند والصين، وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب)(٢).

وقال أيضاً : (مفتري الكذب على الله تعالى بادعاء الإلهية، أو النافي أن يكون الله خالقه، أو ربه، أو قال ليس لي رب، أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكرة، أو غمرة جنونه، فلا خلاف في كفر ذلك ومدعيه مع سلامة عقله. ولكن تقبل توبته على المشهور، وتنفعه إنابته، وتنجيه من القتل، لكنه لا يسلم من عظيم النكال، ولا يُرَفَّهُ عن شديد العقاب، ليكون ذلك زجراً لمثله من قوله، وله عن العودة لكفره، أو جهله، إلا من تكرر منه ذلك، وعرف استهانته بما أتى به، فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته، وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه، ولا نقبل رجوعه. وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي. وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال غمرته، وذهاب ميزه فلا نظر فيه، وما فعله من ذلك في حال ميزه - وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه - أدّب على ذلك، لينزجر عنه، كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكفّ عنه، كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراضى. وقد أحرق علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - من ادعى الألوهية له. وأجمع فقهاء بغداد على قتل الحلاّج وصلبه لدعواه الألوهية، والقول بالحلول، وقوله أنا الحق، مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته. قال أبو حنيفة وأصحابه : من جحد أن الله تعالى خالقه أو ربه أو قال : ليس لي رب فهو مرتد)(٣).

---

١) المانوية : إحدى فرق الثنوية ، وسموا كذلك نسبة إلى ماني بن فاتك الحكيم، والذي ظهر بعد عيسى عليه السلام وقتله بهرام بن هرمز، وقد أحدث ماني ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح وآدم ونوح وإبراهيم، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام، وقد زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين، أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا، وأنكر وجود شئ إلا من أصل قديم، وزعم أنهما قويان حساسان سميعان بصيران، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان، وفي الخير متحاذيان تحاذي الشخص والظل. وقد فرض ماني على أصحابه عُشر أموالهم، وأربع صلوات في اليوم والليلة، والدعاء إلى الحق، وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة الأوثان والظلم. انظر الملل والنحل ص ٢٤٥- ٢٥٠.

٢) الشفا ٢/ ٢٨٢.

٣) الشفا ٢/ ٢٩٧- ٢٩٨.

تأييد قول القاضي عياض بذكر بعض الأدلة على ما ذهب إليه.

أ - كفر من أشرك بالله تعالى : قلت : ما قرره القاضي عياض آنفاً، من تكفيره لمنكري الرب تبارك وتعالى، أو المشركين به - سواء كانوا نصارى، أو مجوساً، أو غيرهم - مما لا خلاف فيه بين أهل الإسلام، لأن الله تعالى إنما خلق الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب ليعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً. قال أصدق القائلين : ﴿ **وما خلقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون * ما أريدُ منهم من رِزقٍ وما أريدُ أن يُطعمون * إن الله هو الرزاقُ ذو القوةِ المتين** ﴾(١). وقال أيضاً : ﴿ **وما أرسلنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رسولٍ إلا نُوحي إليه أنَّهُ لا إلهَ إلا أنا فاعبدون** ﴾(٢). وقال أيضاً : ﴿ **ولقد بعثنا في كلِّ أمَّةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾(٣). والطاغوت هو : كل ما عبد من دون الله وهو راض،أو رشح نفسه للعبادة. وقد فسّره ابن القيم رحمه الله بكلام نفيس فقال : (الطاغوت : ما تجاوز العبد به حده، من معبود أو متبوع أو مطاع. فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليهغير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله. فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها، وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت،وعن طاعته ومتابعة رسوله ﷺ إلى طاعة الطاغوت ومتابعته)(٤).

وقد أخبر عز وجل أن الشرك محبط للأعمال، وموجب للخلود في النار، وتحريم الجنة على صاحبه إن مات عليه ولم يتب منه، فقال تعالى : ﴿ **ولقد أُوحِيَ إليكَ وإلى الذين مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أشركتَ ليحبطَنَّ عملُك لتكونن من الخاسرين** ﴾(٥). وقال تعالى : ﴿ **إنه مَنْ يُشركْ بالله فقد حرّمَ الله عليه الجنّةَ ومأواه النارُ وما للظالمين من أنصار** ﴾(٦). وقال جل وعز : ﴿ **إن الله لا يَغفِرُ أن يُشرَكَ به ويَغفِرُ ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾(٧).

فبهذا يُعلم أن من عبد غير الله أو مع الله أحداً فهو مشرك به تعالى،

---

١) الذاريات آية ٥٦- ٥٨.

٢) سورة الأنبياء آية ٢٥.

٣) سورة النحل آية ٣٦.

٤) تيسير العزيز الحميد ص ٥٠.

٥) سورة الزمر آية ٦٥.

٦) سورة المائدة آية ٧٢.

٧) سورة النساء آية ١١٦.

سواء كان منتسباً إلى الإسلام أو غير منتسب، وذلك لأن العبادة حق الله وحده، قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : « أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قال : الله ورسوله أعلم. قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً »(١).

فالشرك بالله هو أعظم ذنب عصي الله به، ولأجله أباح الله عز وجل دماء وأعراض أهله لنبيه ﷺ وللمؤمنين، إذ من المعلوم أن مشركي العرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يقرون بالخالق سبحانه وتعالى، ولكنهم كانوا يشركون به تعالى، وهكذا كان حال غالب الأمم من قبلهم(٢). ولكن هذا الإيمان الفطري بالرب تعالى لم ينفعهم، لأنهم لم يخلصوا العبادة له وحده. ولهذا اهتم علماء السنة - قديماً وحديثاً - بالدعوة إلى عبادة الله وحده، وتبيين خطر الشرك والتحذير منه، ومؤلفاتهم ومواقفهم في هذا الأمر معروفة مشهورة.

ب - بعض الأدلة على كفر منكر الربوبية لله تعالى أو من ادعى الألوهية لنفسه.

إن الإيمان بالله عز وجل وربوبيته أمر فطري، وحقيقة ساطعة، يقر بها الخلائق أجمعون، ولا ينكر ذلك إلا كل جاحد متمرد على الفطرة، متنكر لنعم الله التي يسبح فيها، ومكابر للتوحيد الذي فطره الله عليه.

ولذلك كان أعظم السيئات - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -(٣) جحود الخالق عز وجل، والشرك به، وطلب النفس أن تكون شريكة، ونداً لله تعالى، أو أن تكون إلهاً من دونه. وقد وقع هذا من أخس خلق الله - فرعون اللعين - الذي كان على عهد موسى عليه السلام، حيث طلب أن يكون إلهاً، معبوداً من دون الله، وقال لقومه - ما لم يقله غيره دون الفراعنة المتقدمين - كما حكى الله عنه : ﴿ **ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري** ﴾(٤). وقال لموسى عليه السلام - منكراً ربه - : ﴿ **وما رب العالمين** ﴾(٥)، ثم قال بعد ذلك : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ (٦)، وقال لموسى : ﴿ **لئن اتخذتَ إلهاً غيري لأجعلنك من**

---

١) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص١٥٧ .

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦٣١/٧.

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٧/ ٦٣١.

٤) سورة القصص آية ٢٨.

٥) سورة الشعراء آية ٢٣.

٦) سورة النازعات آية ٢٤.

المسجونين ﴾ (١)، فكان عاقبته أن أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿ **فأخَذَهُ الله نَكَالَ الآخرةِ والأولى** ﴾(٢)، أي: (عاقبه الله فجعله نكال الآخرة والأولى، أي: في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالخلود في النار. وقال مجاهد وجماعة من المفسرين: أراد بالآخرة والأولى كلمتي فرعون: ﴿ **ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري** ﴾(٣)، وقوله: ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾(٤)، وكان بينهما أربعون سنة)(٥).

وقد كان فرعون - في الباطن - مقراً بربوبية الله، لكنه استكبر كإبليس، وأنكر وجوده سبحانه، ولهذا قال له موسى عليه السلام: ﴿ **لقد علمتَ ما أنزلَ هؤلاء إلا ربُ السمواتِ والأرضِ بصائر** ﴾(٦).

فكل من أنكر وجود الله وربوبيته - كالدهريين والملاحدة وغيرهم - وكذا من ادعى الألوهية، فهو فرعوني كافر عدو لله. وقد سبق حكم الله فيه.

وكل من طلب أن يعبد و يطاع من دون الله فهو إبليسي لعين، لأن إبليس يطلب أن يعبد ويطاع من دون الله، ولا يريد أن يعبد الله وحده، وأن يطاع عز وجل. قال تعالى: ﴿ **ألَمْ أعْهَدْ إليكم يا بني آدم أنْ لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين * وأن اعبدوني هذا صراطٌ مستقيم** ﴾(٧).

ورحم الله علي بن أبي طالب ورضي عنه، الذي حرّق من ادعى الألوهية له فإنه - وإن أخطأ بحرقهم بالنار، لأن النار لا يحرق بها إلا الله، ولهذا لم يوافقه جميع الصحابة على ذلك - لكنه أصاب في قطع دابر هؤلاء الشياطين الذين بثوا الشرك في هذه الأمة، وتلقفه منهم أدعياء الإسلام ممن تستّر بالتشيع وحب آل البيت، كغلاة الرافضة أو غيرهم ممن انتحلوا الكفر ولبسوا ثوب الإسلام كالحلوليين والإتحاديين، ليصدوا عن سبيل الله، ولكن حقيقة هؤلاء وكفرهم تظهر، فيمكّن الله أولياءه منهم في الدنيا - كما حدث للحلاّج وغيره - وعذاب الله في الآخرة أشد وأبقى.

---

١) سورة الشعراء آية ٢٦.
٢) النازعات آية ٢٥.
٣) سورة القصص آية ٣٨.
٤) سوّرة النازعات آية ٢٤.
٥) تفسير البغوي ٤/ ٤٤٤.
٦) سورة الاسراء آية ١٠٢.
٧) سورة يس آية ٦٠- ٦١.

المطلب الثاني : تكفيره لمن لم ينزه الله عن كل نقص، أو ادعى له شريكاً في الخلق والأمر.

ذهب القاضي عياض - رحمه الله - إلى تكفير من لم ينزه الله عن كل نقص، وإن اعترف بوجوده، وكذا من جعل له شريكاً في الخلق والأمر فقال : (كذلك نكفر من اعترف بإلهية الله ووحدانيته، ولكنه اعتقد أنه غير حي، أو غير قديم، أو أنه محدث، أو ادعى له ولداً، أو صاحبة أو والداً، أو أنه متولد من شئ أو كائن منه، أو أن معه في الأزل شيئاً قديماً غيره، أو أن صانعاً للعالم سواه، أو مدبراً غيره، فذلك كله كفر بإجماع المسلمين)(١).

بعض الأدلة على ما ذكره القاضي عياض رحمه الله :

إن من شرط الإعتراف بوجود الله والإيمان بوحدانيته، تنزيهه عز وجل عن مشابهة خلقه، ووصفه بالأسماء الحسنى والصفات العلى التي وصف ومدح بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ. ومن شرط ذلك أيضاً عبادته دون سواه، وأن يوقن العبد بأنه لا شريك لله تعالى في الخلق والأمر والتدبير والرزق والإحياء والإماتة، بل جميع ما في الكون ملكه يتصرف به كيف يشاء سبحانه وتعالى، فمن كان في شك من هذا وزعم خلاف ذلك فهو كافر بالله، وإن ادعى أنه يؤمن به.

والأدلة على ذلك وعلى ما ذكره القاضي عياض آنفاً كثيرة جداً فاضت بها نصوص الكتاب العزيز.

١ - من ذلك قوله سبحانه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن : ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلدْ ولم يولدْ * ولم يكنْ له كُفُواً أحد** ﴾.

٢ - وقوله عز وجل أيضاً في آية الكرسي : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحيُ القيومُ لا تأخُذُهُ سنَةٌ ولا نومٌ له ما في السمواتِ وما في الأرضِ من ذا الذي يشفعُ عنده إلا بإذنه يعلمُ مابينَ أيديهم وما خلفهم ولا يُحيطون بشئٍ من علمه إلا بما شاءَ وَسِعَ كُرْسِيّهُ السمواتِ والأرضَ ولا يَؤُودُهُ حفظُهُما وهو العليُ العظيم** ﴾(٢).

٣ - وقوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شئٌ وهو السميع البصير** ﴾(٣).

٤ - وقوله عز وجل : ﴿ **تبارك الذي نزّلَ الفُرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً * الذي له مُلْكُ السمواتِ والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن**

---

١) الشفا ٢/ ٢٨١- ٢٨٣.

٢) سورة البقرة آية ٢٥٥.

٣) سورة الشورى آية ١١.

له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدّره تقديراً ﴾(١).

٥ - وقوله سبحانه : **﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذْ ولداً ولم يكنْ له شريكٌ في المُلْك ولم يكنْ له وَلِيٌّ من الذلِّ وكبّره تكبيراً ﴾(٢).**

٦ - وقوله عز وجل : **﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون * وَلَدَ الله وإنهم لكاذبون * أصْطَفَى البناتِ على البنين * ما لكم كيف تحكُمُون * أفلا تذكّرون ﴾(٣).**

٧ - وقوله تعالى : **﴿ وجعلوا لله شركاءَ الجِنَّ وخَلَقَهُم وخرقوا له بنين وبناتٍ بغير علمٍ سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم ﴾(٤).**

٨ - وقوله : **﴿ لقد كَفَرَ الذين قالوا إن الله هو المسيحُ ابنُ مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله رَبّي ورَبَّكُم ﴾(٥).**

وقوله : **﴿ لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾(٦).**

١٠ - وقوله : **﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾(٧).**

فهذه الآيات العظيمة - وغيرها كثير جداً - توضح بما لا مجال للشك فيه أن الله خالق الكون كله، وأن ما في السموات والأرض كله له تعالى، وأنه ليس له شريك فيهما، وأنه بريئ مما اتهمه به المشركون من الصاحبة والولد والوالد وغير ذلك، مما هو من صفات المخلوقين، لأنه سبحانه لا يشبه شيئاً لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. يقول نعيم بن حماد(٨) شيخ البخاري - رحمهما الله - (من وصف الله بشيئ من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد

---

١) سورة الفرقان آية ٦١- ٦٢.

٢) سورة الإسراء آية ١١١.

٣) سورة الصافات آية ١٥١- ١٥٥.

٤) سورة الانعام آية ١٠٠- ١٠١.

٥) سورة المائدة آية ٧٢.

٦) سورة الأنبياء آية ٢٢.

٧) سورة الأعراف آية ٥٤.

٨) هوَ الإمام العلامة أبو عبدالله نعيم بن حماد الخزاعي المروزي، أول من جمع المسند في الحديث، وكان من أئمة الحديث ومن أعلم الناس بالفرائض، أقام مدة بالعراق والحجاز يطلب الحديث ثم سكن مصر ومات بها سنة (٢٢٨ هـ). انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٠/٥٩٥، وشذرات الذهب ٢/٦٦.

كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه)(١). وقال الإمام الطحاوي - رحمه الله - (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالبشر)(٢).

المطلب الثالث : تكفيره لمن سبّ الله تعالى أو انتقصه أو استخف به.

أ - ذكر الإجماع على كفر من سب الله أو استهزأ به أو انتقصه :

إن سب الرب جل في علاه ولعنه أو انتقاصه أو الإستخفاف به جريمة عظمى، لأنها كفر بالله تعالى وردة عن الإسلام، يستحق فاعلها القتل - إن كان عاقلاً - سواء كان مسلماً أو ذمياً، وذلك بإجماع المسلمين. فإنه إن كان مسلماً فسبه لله تعالى أخرجه من الإسلام فصار مرتداً كافراً، بل وأسوأ من الكافر، فإن الكافر يعظم الرب تعالى ويعتقد أن ما هو عليه من الدين الباطل ليس باستهزاء ولا مسبة لله، وإن كان ذمياً فقد ازداد كفراً على كفر، ونقض العهد الذي بينه وبين المسلمين فاستحق القتل(٣). قال الإمام ابن قدامة - رحمه الله -.: (من سب الله تعالى كفر سواء كان مازحاً أو جاداً، وكذلك من استهزأ بالله تعالى أو بآياته أو برسله أو كتبه)(٤). ويقول الإمام النووي - رحمه الله - : (والأفعال الموجبة للكفر هي التي تصدر عن عمد واستهزاء بالدين صريح)(٥). ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (إن الإستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه)(٦). وقد عقد الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - باباً في كتابه العظيم القيم كتاب التوحيد بعنوان (باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول) أي : فإنه يكفر بذلك، كما قال حفيده الشيخ سليمان بن عبدالله لاستخفافه بجناب الربوبية والرسالة، وذلك مناف للتوحيد، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر، ولو كان هازلاً لم

---

١) ذكره الذهبي في العلو ص ١١٦، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٢/٣ برقم : ٩٣٦.

٢) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٠٦ بتحقيق التركي والارناؤوط.

٣) انظر الصارم المسلول لشاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥٤٦- ٥٥٥.

٤) المغني ١٢/ ٢٩٨- ٢٩٩، بتحقيق الدكتور التركي والحلو.

٥) روضه الطالبين ١٠/ ٦٤، نشر المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٦ هـ.

٦) مجموع الفتاوى ٧/ ٢٧٣.

يقصد حقيقة الإستهزاء(١). قال تعالى: **﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إنما كنا نخوضُ ونلعبُ قل أبالله وآياتهِ ورسولهِ كنتم تَستهزِؤن لا تعتَذِروا قد كَفَرْتُم بعد إيمانِكم ﴾**(٢).

ب - تنبيه القاضي على كفر السابّ لله أو المتنقص له أو المستخف به.

١ - كفر الساب لله عند القاضي وهل له توبة ؟!

نبّه القاضي عياض - رحمه الله - على أن من لعن ربّه وادعى أن لسانه زلّ وإنما أراد لعن الشيطان، فإنه يقتل بكفره ولا يقبل عذره، وإن كان عاقلاً، وأما إن كان سكراناً فسب الله فقال مثلاً: أنا الله، فإنه يؤدب إن تاب، وإن عاد إلى ذلك يقتل. فإن كان الساب لله تعالى ذمياً فإن كان سبه لله تعالى بغير الوجه الذي كفر به فإنه يقتل، فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع ذمياً تناول من حرمة الله غير ما هو عليه من دينه وحاجّ في ذلك، فخرج إليه رضي الله عنه بالسيف ليقتله فهرب. قال مالك رحمه الله: من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفر به قتل ولم يستتب، إلا أن يسلم طوعاً. وقال أصبغ(٣) :الوجه الذي كفروا به هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد، وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا فهو نقض للعهد(٤).

٢ - اختلاف العلماء في توبة الساب لله سبحانه وتعالى.

قلت: اختلف العلماء في توبة من سب الله تعالى، سواء كان مسلماً أو ذمياً، فذهب جماعة منهم إلى أنه لايستتاب بل يقتل كفراً، وممن ذهب إلى هذا الرأي مالك وغيره. وذهب آخرون إلى قبول توبته مسلماً أو ذمياً إن تاب وإسقاط الحد عنه، وإليه ذهب الشافعي وغيره. وقد رجح هذا الرأي شيخ الإسلام رحمه الله بأدلة قوية منها:

- أن الله تعالى دعا النصارى الذين يسبونه بقولهم: إن الله ثالث ثلاثة، وقولهم : إن له ولداً، فمع شركهم هذا دعاهم إلى الإستغفار فقال عز وجل: **﴿ لقد كَفَرَ الذين قالوا إنَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ وما من إلهٍ إلا إلهٌ واحدٌ وإنْ لم**

---

١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٦١٧.

٢) سورة التوبة آية ٦٧.

٣) هو أبو القاسم، أصبغ بن خليل الاندلسي المالكي، فقيه قرطبة، كان لا يدري الاثر وقد اتهم في النقل، وكان ذا تعبد وورع، عاش نحو التسعين ومات سنة (٢٧٣ هـ) . انظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٠٢، والديباج المذهب ١/ ٣٠١.

٤) انظر الشفا ٢/ ٢٩٥- ٢٩٨.

ينتهوا عما يقولون لَيَمَسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفِرونَهُ والله غفورٌ رحيمٌ ﴾(١)، فإنه سبحانه يسقط حقه مهما عمل من الذنوب والكفر والمعاصي.

- ومنها أنه سبحانه لا تلحقه بالسب غضاضة ولا معرّة، وإنما يعود ذلك على قائله، وحرمته تعالى في قلوب العباد أعظم من أن يهتكها جرأة الساب.

- ومنها أن المشركين كانوا يسبون الله بأنواع السب فيقبل رسول الله ﷺ توبتهم ولا يقتلهم.

ولكن مع سقوط حد القتل عن الساب التائب إلا أنه يؤدب تأديباً موجعاً حتى يردعه عن العودة الى مثل ذلك.(٢).

٣ - كفر المستخف بالله والمنتقص له كما بيّن ذلك القاضي عياض :

ذهب القاضي عياض إلى تكفير المستخف بالله أو المنتقص له إن تكرر منه ذلك فقال : من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الإستخفاف بعظمة الله وجلالته، أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته، أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والإستخفاف، ولا عامد للإلحاد، فإن تكرر هذا منه وعرف به دلّ على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه، وهذا كفر لا مرية فيه، وكذلك إن كان ما أورده يوجب الإستخفاف والتنقص لربه. وقد أفتى ابن حبيب(٣) وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل رجل خرج يوماً فأخذه المطر فقال : بدأ الخراز(٤) يرش جلوده، وكان بعض الفقهاء فد توقفوا في سفك دمه، وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب، وأفتى بذلك قاضي قرطبة، فقال ابن حبيب : دمه في عنقي أيُشتم ربٌ عبدناه ثم لا ننتصر له ؟! إنا إذاً

---

١) سورة المائدة آية ٧٢- ٧٣.

٢) انظر الصارم المسلول ص ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٥٧- ٥٥٨.

٣) هو أبو مروان، عبدالملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمه ابن الصحابي عباس بن مرداس، الأندلسي القرطبي المالكي، إمام علامة، ولد في حياة الإمام مالك بعد السبعين ومائة، كان موصوفاً بالحِذَق في الفقه إلا أنه في باب الرواية ليس بمتقن، بل يحمل الحديث كيفما اتفق، فهو صدوق ضعيف الحفظ كثير الغلط، توفي سنة (٢٣٨ هـ). انظر ترتيب المدارك ٣/ ٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٠٢.

٤) هوَ أبو سعيد، أحمد بن عيسى البغدادي الخراز شيخ الصوفية، يقال إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، من كلامه : من ظن أنه يصل بغير بذل المجهود فهو متمني، ومن ظن أنه يصل ببذل المجهود فهو متعني، توفي سنة (٢٨٦ هـ). انظر طبقات الصوفيه للسلمي ص ٢٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/٤١٩، وشذرات الذهب ٢/١٩٢.

لعبيد سوء ما نحن بعابدين وبكى. ووصل الأمر إلى أمير قرطبة آنذاك وأخبر بما جرى من اختلاف الفقهاء فاستدعاهم وجيء بهم إليه، فأمر بالأخذ بقول ابن حبيب وأصبغ وأمر بقتل الرجل، وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي بتهمة المداهنة في هذه القصة ووبّخ بقية الفقهاء وسبّهم.

قال القاضي عياض : وأمامن صدرت عنه من ذلك الهَنَة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن نقصاً وإزراءاً فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها، وصورة حال قائلها، وشرح سببها ومقارنها. وقال فيمن نادى رجلاً باسمه، فأجاب لبيك اللهم لبيك، قال : إن كان جاهلاً أو قاله على وجه سفهٍ فلا يقتل، والجاهل يزجر ويُعلّم، والسفيه يُؤَدّب، ولو قالها على اعتقاد إنزالهً منزلة ربه لكفر، وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتّهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة، فأتوا من ذلك ما ننزه كتابنا وأقلامنا عن ذكره(١).

٤ - نقد كلام القاضي عياض :

ماذهب إليه القاضي عياض رحمه الله من تكفير للمستخف بالله عز وجل أو المنتقص له صحيح موافق لإجماع علماء الأمة الذي سبقت الإشارة إليه، ولكن تفريقه بين قاصد ذلك ومتعمده الذي يتكرر منه هذا الأمر، وغير القاصد المتعمد أمر غير صحيح، فإن من خرج منه كلام فيه انتقاص لله عز وجل كفر، سواء قصد ذلك أو لم يقصده، إذ نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، ولو ترك هذا الأمر لتمادى الناس فيه، وصار كل من صدر منه شيء من ذلك يدعي بأنه لم يقصد الإستخفاف بالله والإنتقاص له بما نطق به من كفر، فلا بد من سد هذا الباب الخطير بزجر الناس عنه وتقبيحه في أعينهم وتنفيرهم منه، لأن الله تعالى أجل وأعظم من أن يمتهن أو ينتقص أو يصير عرضة للألسن التي لا تراعي له حرمةثم بعد ذلك لا يكفّر صاحبها ؟! وفي القصة التي ذكرها القاضي آنفاً رد عليه، فإننا نرى كيف أخذت الحمية لله تعالى ابن حبيب وصاحبه لما بلغهما قول ذلك الرجل، فأفتوا بقتله ليكون عبرة لمن اعتبر، وكيف أن الأمير وافقهما وخطّأ من خالفهما وسبهم، وقد تقدم كلام العلماء فيمن ظهر منه سب لله أو استهزاء به، أو انتقاص له، ويؤيد ما نحن بصدده ما جاء في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ولئنْ سَألْتَهُم ليَقُولُنَّ إنما كنا نَخُوضُ ونلعبُ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستَهزِؤن * لا تَعْتَذِرُوا قد كَفَرْتُم بعد إيمانكم إن نَعْفُ عن**

---

١) انظر الشفا ٢/٢٩٩- ٣٠٠.

طائفةٍ منكم نُعَذّبْ طائفةً بأنهم كانوا مجرمين ﴾(١). فقد جاء في سبب نزولها أن رجلاً قال في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فجاء إلى رسول الله وقد ارتحل وركب ناقته، فقال : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، فقال رسول الله ﷺ ﴿ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ... ﴾ إلى قوله : ﴿ مجرمين ﴾ وإن رجليه لتنسفان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بنِسْعَة(٢) ناقة رسول الله ﷺ(٣). فالله عز وجل كفّر من استهزأ برسول الله ﷺ وأصحابه وإن قال ذلك على سبيل اللعب والخوض، فكيف لا يكفر من وصف الباري عز وجل بصفة نقص أو أظهر منه ما فيه استخفاف أو استهزاء بخالق السموات والأرض ؟!

ولذا استدل العلماء بهذه الآية على أن الرجل إذا فعل الكفر أو قاله ولم يعلم أنه كفر ولو لم يقصده فإنه يكفر(٤). ويؤيد ذلك أيضاً قوله ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً »(٥).

فعلى المرء أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب عليها وأن يحفظ لسانه عن كل سوء أو كلمة قد يرد بها المهالك ويخرج بسببها من الإسلام - والعياذ بالله - وعليه أن يعظم ربه عز وجل فلا يصفه إلا بما هو أهله، وليحذر كل الحذر من التشبه بأعدائه الذين يسبونه وينتقصونه ويشركون به.

---

١) سورة التوبة آية ٦٥- ٦٦.

٢) النِّسع بكسر النون وسكون السين وضم العين هو سير ينسج عريضاً على هيئة أعِنّة النعال تشد به الرحال، والقطعة منه نسعة، وسمي نسعاً لطوله. القاموس المحيط ص ٩٩٠.

٣) أخرجه ابن جرير في التفسير ١٠/ ١٧٢، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٥٠. قال الشيخ مقبل بن هادي في الصحيح المسند من أسباب النزول ص ١٠٨- ١٠٩ : « الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان وأخرجه الطبري من طريقه وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم ٤/ ٦٤ من حديث كعب بن مالك ».

٤) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٦١٩- ٦٢٣.

٥) رواه الترمذي في كتاب الزهد باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس ٤/ ٤٨٢ برقم : ٢٣١٤، وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجة في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة ٢/ ١٣١٣ برقم : ٣٩٧٠، والحديث صحيح كما قال الشيخ الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٦٣ برقم : ١٦١٤.

المطلب الرابع : تكفيره لمن جحد النبوة لأي نبي من الأنبياء أو لنبينا ﷺ خاصة.

ذهب أبو الفضل إلى تكفير منكر النبوة لأي نبي من الأنبياء، أو نبوة نبينا محمد ﷺ وإن زعم أنه يعترف بالله تعالى. فقد قال رحمه الله : (كذلك نقطع بكفر من اعترف بالإلهية والوحدانية لله، ولكنه جحد النبوة من أصلها عموماً، أو نبوة نبينا محمد ﷺ خصوصاً، أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب)[1].

بعض الأدلة على ما ذكره القاضي عياض.

إن مما لا شك فيه أن الإيمان بالأنبياء والرسل - عليهم السلام - من مقتضيات ومستلزمات الإيمان بالله عز وجل كما قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره »[2]، فمن زعم أنه معترف بوجود الله تعالى لزمه أن يؤمن بالأنبياء والرسل - عليهم السلام - الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم ليدعوهم إلى عبادة الله ويحذروهم من عبادة ما سواه، وقد أخبر عز وجل أنه ما من أمة إلا وقد بعث فيها رسولاً ونذيراً، قال سبحانه : ﴿ **وإنْ منْ أمَّةٍ إلا خَلا فيها نَذيرٌ** ﴾[3]، وقال : ﴿ **ولقد بَعَثْنا في كُلِّ أمَّةٍ رسولاً أَنِ اعبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطاغوتَ** ﴾[4]، فمن جحد ذلك فهو مكذب لله تعالى كافر به عدو له، قال سبحانه : ﴿ **إنَّ الذين يَكْفُرُونَ باللهِ ورسلهِ ويُريدونَ أنْ يُفَرِّقوا بين اللهِ ورسلهِ ويقولون نُؤمنُ بِبعْضٍ ونَكْفُرُ بِبَعْضٍ ويُريدونَ أنْ يَتَّخذوا بين ذلكَ سبيلاً أولئكَ هُمُ الكافرُونَ حَقّاً وأعْتَدْنا للْكافرينَ عَذاباً مُهيناً * والذين آمَنوا باللهِ ورسلهِ ولَمْ يُفرِّقوا بين أحَدٍ منْهُم أولئكَ سَوْفَ يُؤْتيهم أجُورَهُم وكان اللهُ غفوراً رحيماً** ﴾[5]، فقد سمى عز وجل من يكفر به أو برسله أو يفرق بينه سبحانه وبين رسله، أو يؤمن ببعضٍ ويكفر ببعض سماهم الكافرين حقاً.

---

١) الشفا ٢/ ٢٨٣.

٢) رواه مسلم وقد تقدم ص ١٠٦ .

٣) سورة فاطر آية ٢٤.

٤) سورة النحل آية ٣٦.

٥) سورة النساء آية ١٥٠، ١٥١، ١٥٢.

وقال سبحانه : ﴿ **أفتؤمنونَ بِبَعْضِ الكتابِ وتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلكَ مِنْكُم إلا خِزْيٌ في الحياةِ الدنيا ويومَ القِيامةِ يُرَدّونَ إلى أشَدِّ العذابِ وما اللهُ بِغافِلٍ عمّا تَعْمَلُون** ﴾(١).

وقال سبحانه : ﴿ **قُولُوا آمنّا باللهِ وما أُنْزِلَ إلينا وما أُنْزِلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتِيَ موسى وعيسى وما أُوتِيَ النَّبِيّونَ مِنْ رَبِّهِم لا نُفَرِّقُ بينَ أحدٍ منْهُم ونحنُ له مُسلمون * فإنْ آمنوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُم به فقد اهتَدَوا وإنْ تَوَلَّوْا فإنما هُمْ في شِقاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وهو السميعُ العليمُ** ﴾(٢)، فأمرنا سبحانه أن نقول آمنا بهؤلاء كلهم، بدون أن نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، فمن أنكر نبوة نبي من الأنبياء، أو بَلَغَتْه رسالة محمد ﷺ فلم يؤمن بها فهو كافر وليس بمسلم، لأنه سبحانه ختم به عليه الصلاة والسلام أنبياءه ورسله. قال سبحانه في وصفه : ﴿ **ما كان محمدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رِجالِكُم ولكنْ رَسُولَ اللهِ وخَاتَمَ النَّبِيّين** ﴾(٣)، فمن أنكر نبوته كان كافراً بالله سبحانه، قال تعالى في وصف المشركين : ﴿ **ويقولُ الذين كَفَروا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفى باللهِ شهيداً بَيْنِي وبَيْنَكُم وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكتاب** ﴾(٤). بل إنكار نبوته ﷺ - كما قال شيخ شارح الطحاوية(٥) -طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته إلى الظلم والسفه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - بل هي جحود للرب بالكلية.

وتوضيح ذلك أن محمداً إن لم يكن نبياً - بل هو ملك ظالم كما يزعم كثير من اليهود والنصارى وغيرهم من الكافرين - فقد تهيأ له أن يفتري على الله ويشرع الشرائع، وينسخ الملل ويحلل ويحرم، ويفرض الفرائض ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل - وهم أصحاب الحق كما يدعون - ويسبي نسائهم ويَغْنم أموالهم وذراريهم وديارهم ويتم له ذلك، حتى يفتح الأرض وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به ومحبته له، والرب يشاهده وهو يفعل بأهل الحق ويستمر في الإفتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة وهو يؤيده وينصره ويعلي أمره ويمكّن له من أسباب النصر الخارجة عن عُلاة البشر، بل أدعُوته ويهلك أعداءه ويرفع ذكره، هذا وهو عند هؤلاء الكفرة في غاية الكذب والإفتراء والظلم، فإنه لا

---

١) سورة البقرة آية ٨٥.
٢) سوَرة البقرة آية ١٣٦- ١٣٧.
٣) سورة الاحزاب آية ٤٠.
٤) سورة الرعد آية ٤٣.
٥) انظر شرح الطحاوية ص ١٠٥- ١٠٧.

أظلم ممن كذب على الله وأبطل شرائع أنبيائه وبدّلها وقتل أهلها، واستمرت نصرته عليهم دائماً، والله يقره على ذلك، فيلزمهم أن يقولوا لا صانع للعالم ولا مدبر، إذ لو كان مدبر قدير حكيم لأخذ على يديه ولعاقبه أعظم معاقبة، ولجعله نكالاً للصالحين، إذ لا يليق بالملوك غير ذلك فكيف بملك الملوك وأحكم الحاكمين ؟! قال سبحانه : ﴿ **وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قالُوا ما أَنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ** ﴾(١)، فأخبر سبحانه أن من نفى عنه الإرسال والكلام لم يقدره حق قدره، فتبين الشاهد مما سبق على كفر منكر النبوة لنبينا ﷺ أو لغيره من الأنبياء.

المطلب الخامس : تكفيره لمن ادعى النبوة، أو زعم أنها مكتسبة، أو قال بخصوصية نبوة محمد ﷺ للعرب، أو زعم مشاركة أحد معه فيها.

بيّن القاضي رحمه الله أن كل من ادعى النبوة أو زعم أنها مكتسبة، أو أن نبوة نبينا محمد ﷺ للعرب خاصة أو ادعى مشاركة أحد معه ﷺ في النبوة، كل من كان حاله كذلك فهو كافر خارج عن الإسلام. يقول أبو الفضل مبيناً ذلك : (وكذلك نكفر كل من ادعى نبوة أحد مع نبينا أوبعده كالعيسوية(٢) من اليهود القائلين بتخصيص رسالته ﷺ إلى العرب، وكالخرمية(٣) القائلين بتواتر الرسل، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي رضي الله عنه في الرسالة للنبي ﷺ وبعده، فكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة، وكالبيانية(٤) منهم القائلين بنبوة بيان، وأشباه هؤلاء، أو من ادعى

---

١) سورة الانعام آية ٩١.

٢) نسبة إلى أبي عيسى، اسحاق بن يعقوب الاصفهاني، ابتدأ دعوته آخر زمن ملوك بني أمية فاتبعه خلق كثير من اليهود وادعوا له آيات ومعجزات وقاتل المسلمين قتالاً شديداً حتى قتل، كان يزعم أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر، وقال : إن الله كلّمه وكلّفه أن يخلص بني إسرائيل من أيدي العاصين والملوك الظالمين، وزعم أن المسيح ابن مريم عليه السلام آخر الأنبياء وأفضلهم، وأنه أفضل بني آدم وأن محمداً خاص بالعرب، وحرم الذبائح كلها ونهى عن كل ذي روح. انظر الملل والنحل ص ٢١٦- ٢١٧.

٣) نسبة إلى بابك الخُرَّمي من زعماء الباطنية ومن أتباع أبي مسلم الخراساني، وقد ظهر في جبل البدين بناحية أذربيجان، وكثر أتباعه واستحلوا المحرمات، وأباحوا أعراض النساء، وقتلوا الكثير من المسلمين وقد حاربته جيوش المعتصم مدة طويلة إلى أن أسرته فصلبته وقتلته سنة (٢٢٣ هـ) بسامراء. انظر الفرق بين الفرق ص ١٦١- ١٧١، وبيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٢٤- ٢٥.

٤) أتباع بيان بن سمعان التميمي، كانوا يقولون بانتقال الامامة من أبي هاشم إليه وهو من الغلاة القائلين بإلهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم ادعى بيان أنه انتقل إليه الجزء الالهي بنوع من التناسخ، ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة، زعم هو وأتباعه أن الله على صورة الإنسان

النبوة لنفسه أو جوّز اكتسابها، والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة الصوفية)[١]، وقال أيضاً : (لا خلاف في كفر المفتري على الله الكذب بادعاء الرسالة ووجوب قتله، فقد قتل عبدالملك[٢] بن مروان الحارث المتنبي[٣] وصلبه، وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك، وأجمع علماء عصرهم على صواب فعلهم)[٤].

ذكر بعض النصوص على كفر من أشار إليه القاضي عياض رحمه الله.

١ - كفر من ادعى النبوة :

إن ادعاء النبوة كفر صريح وردة عن الإسلام لمن كان مسلماً مما لا خلاف فيه بين علماء أهل السنة - كما وضح القاضي رحمه الله - وذلك لأن ادعاء النبوة كذب وافتراء على الله عز وجل، بل لا أحد أظلم ممن كان كذلك، قال سبحانه : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّنِ افتَرَى على اللهِ كَذِباً أو قال أُوْحِيَ إليَّ ولم يُوْحَ إليهِ شئٌ ومن قال سَأُنْزِلُ مثلَ ما أَنْزَلَ اللهُ** ﴾[٥]. ولأن الله عز وجل قد ختم النبوة بخليله وحبيبه محمد ﷺ قال عز وجل : ﴿ **ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رِجالِكُم ولكن رسولَ اللهِ وخاتَمَ النبيّين** ﴾[٦]. فهذه الآية دليل قاطع على أنه

وأنه يموت كله إلا وجهه، وادعى النبوة واجتمع له أناس كثيرون فقتله خالد بن عبدالله القسري وقيل أحرقه. انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٦٦- ٦٧، والملل والنحل ص ١٥٢- ١٥٣.

١) الشفا ٢/ ٢٨٥.

٢) هو أبو الوليد، عبدالملك بن مروان بن الحكم الخليفة الأموي، كان فقيهاً قبل الخلافة ثم اشتغل بها، تملّك بعد أبيه الشام ومصر ثم حارب ابن الزبير وقتل أخاه مصعباً في وقعة (مسكن)، واستولى على العراق وجهّز الحجاج لحرب ابن الزبير فقتله سنة (٧٢ هـ)، ثم استُوثقت الممالك له. وهو أول من ضرب الدنانير وكتب عليها القرآن. ملك ثلاث عشرة سنة استقلالاً، وقبلها منازعاً لابن الزبير تسع سنين. مات سنة (٨٦ هـ) عن نيّف وستين سنة. انظر سير أعلام النبلاء ٢٤٦/٤، وتقريب التهذيب ٦٢٠/١، وشذرات الذهب ٩٧/١.

٣) هو الحارث بن سعيد أو ابن عبدالرحمن من أهل دمشق، يعرف أتباعه بالحارثية، كان مولى لأحد القرشيين ونشأ متعبداً زاهداً ثم ادعى النبوة، فكان يجئ أهل المسجد فيأخذ عليهم الميثاق إذا رأوا ما يرضيهم قبلوا وإلا كتموا أمره، ثم يريهم الأعاجيب يأتي إلى رخامة فينقرها بيده فتسبح ويطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء، ويظهر لهم خيالات يقول إنها الملائكة، وتبعه خلق كثير ووصل خبره إلى عبدالملك بن مروان فبعث في طلبه، فلم يقدر عليه فخرج عبدالملك فعجز عنه، ثم علم أنه اختفى في بيت المقدس، فأرسل من احتال عليه حتى تمكن من الإتيان به فصلبه وقتله. انظر لسان الميزان ٢/ ١٥١، والأعلام ٢/ ١٥٥.

٤) انظر الشفا ٢٩٦/٢- ٢٩٧.

٥) سورة الانعام آية ٩٣.

٦) سورة الاحزاب آية ٤٤.

لا نبي بعد رسول الله ﷺ، وأن الرسالات ختمت به ﷺ، فمن ادعى النبوة بعده فهو مكذب لهذه الآية كافر بالله العظيم، وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على ذلك أيضاً منها :

- قوله ﷺ : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة في زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة !! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »(١) متفق عليه.

- وقوله ﷺ : « لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي »(٢)متفق عليه.

وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أنه سيخرج من أمته دجالون كذابون كلهم يزعم أنه مرسل من عند الله فقال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله »(٣). وفي لفظ عند أحمد وغيره : « إنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لانبي بعدي »(٤).

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الدالة على ختم النبوة بمحمد ﷺ : (والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم من تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، ورسوله ﷺ بالسنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك، ودجال ضال مضل، ولو تحرّق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم، فكلها محال عند أولي الألباب)(٥).

فكل من ادعى النبوة لنفسه أو لغيره فهو كاذب عدو لله تعالى، لأنه مفترٍ على الله الكذب، ولهذا يجب أن يقطع عنقه، ولهذا حارب الصحابة رضي الله عنهم

---

١) رواه البخاري في كتاب المناقب باب خاتم النبيين ٦/ ٦٤٥ برقم : ٣٥٣٥، ومسلم في كتاب الفضائل باب كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/ ١٧٩٠ برقم : ٢٢٨٦.

٢) رواه البخاري في كتاب المناقب باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ٦/ ٦٤١ برقم : ٣٥٣٢، ومسلم في كتاب الفضائل باب في أسمائه ﷺ ٤/ ١٨٢٨ برقم : ٢٣٥٤.

٣) رواه البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الاسلام ٦/ ٧١٢ برقم : ٣٦٠٩، ومسلم في كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ٤/ ٢٢٣٩- ٢٢٤٠ برقم : ١٥٧.

٤) رواه أحمد ٥/ ٢٧٨، وأبو داود في كتاب الفتن باب ذكر الفتن ٤/ ٤٥٢ برقم : ٤٢٥٢، وإسناده صحيح.

٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٤.

المرتدين من المتنبئين وغيرهم وقطعوا شوكتهم كما فعل ذلك من بعدهم من الخلفاء وملوك المسلمين، فقتلوا مدعي النبوة لإجماعهم على كونهم كفاراً مرتدين لتكذيبهم نصوص الكتاب والسنة الدالة على ختم النبوة برسول الله ﷺ فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ولقد وقع ما أخبر به ﷺ من ادعاء كثير النبوة من بعده قديماً وحديثاً، ولكن الله أخزاهم وأذابهم وهذا جزاء الكافرين الكاذبين.

٢ - كفر من ادعى بأن النبوة مكتسبة، أو أن المرء يصفو حتى يبلغ مرتبتها :

أما كفر من ادعى بأن النبوة مكتسبة، فهو بين ظاهر، لأن قائل ذلك مكذب للقرآن وللسنة المتواترة ولإجماع المسلمين، فإن النبوة خصوصية ونعمة يختص بها الله من يشاء من عباده، قال سبحانه : ﴿ **اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الملائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ الناس** ﴾(١)، فليس للنبوة طريق إلا ذلك، ولم يعرف المسلمون مثل هذا القول الفاجر إلا من الفلاسفة والصوفية الغلاة، الذين تستروا بالإسلام وأبطنوا الزندقة والكفر ليهدموا هذا الدين، فإن هؤلاء الفلاسفة، لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا الملائكة والرسل وغير ذلك من أركان الإيمان والإسلام، فدينهم غير دين المسلمين، فكيف يكونون مؤمنين، بل هم أكفر من اليهود والنصارى - كما قال الإمام ابن القيم(٢) - رحمه الله - فإن دين اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل خير وأهون من دين الفلاسفة وغلاة الصوفية، فكيف يكون قولهم معتبراً، قال سبحانه : ﴿ **ومَنْ أظْلَمُ ممَّن افترى على الله كذباً أو قال أوْحِيَ إليَّ وَلَمْ يُوْحَ إليهِ شيءٌ ومن قال سَأنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ الله** ﴾(٣)، فإنه لا أحد أظلم وأكفر ممن افترى على الله الكذب، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٣ - كفر من ادعى بأن علياً مشارك للرسول ﷺ في النبوة :

إن زعم أكثر الرافضة بأن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - نبي أو مشارك للنبي ﷺ كفر بيّن وتكذيب للكتاب والسنة الدالين على أنه لا نبي بعد رسول الله - كما تقدم بيانه -، وإنما قال هؤلاء بهذه المقولة لهدم الإسلام ومحاربة المسلمين متسترين بحب آل البيت ومناصرة علي، ولا يخفى أن الأصابع اليهودية هي التي زرعتهم وأنشأتهم بين المسلمين، وعقائد القوم

---

١) سورة الحج آية ٧٥.

٢) انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ٢/ ٢٦٢.

٣) سورة الأنعام آية ٩٣.

المنحرفة والخارجة عن الإسلام معروفة مشهورة، كقولهم بعصمة أئمتهم وتحريفهم للقرآن وتكفيرهم لأكثر الصحابة إلى غير ذلك من الضلال(١)، فهم أشد ضرراً على الدين وأهله - كما يقول شيخ الإسلام(٢) ابن تيمية رحمه الله - من باقي الفرق الضالة وأكذب من ادعى الإنتساب إلى الإسلام، وغالب أئمتهم وكبرائهم زنادقة، يظهرون الرفض والتشيع للقضاء على الإسلام والمسلمين، ومنهم خرجت الباطنية وغيرهم من فرق الضلال.

فعقيدة كثير من الرافضة أن علياً رضي الله عنه هو النبي أو المشارك للنبي ﷺ، وهي من جملة ما كذبوا به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما أكثر تكذيبهم لذلك، بل كثير من هؤلاء يعتقد بأن جبريل خان الرسالة ونزل على محمد ﷺ ولم ينزل على علي، فأي كفر أعظم من هذا الكفر ؟! أليس هذا طعناً بالله عز وجل واتهاماً له بالخيانة ؟!

إن في قول الرافضة شبهاً بمشركي العرب الذين اعترضوا على رسالة نبينا محمد ﷺ، فقالوا ألم يجد الله غيرك حتى يرسله، قال تعالى حاكياً اعتراضهم ذلك : ﴿ **وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيم * أهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نحن قَسَمْنا بينهم معيشَتَهُم في الحياة الدنيا ورَفَعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات** ﴾(٣)، فطلبوا أن تكون الرسالة لأحد رجلين من مكة والطائف غير رسول الله ﷺ(٤). وهؤلاء الرافضة ادعوا أن علياً مشارك للنبي ﷺ في الرسالة ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفْواهِهِم إنْ يَقولون إلا كَذِباً** ﴾(٥).

وعليه فإن أصر هؤلاء على معتقدهم الفاسد استتيبوا وإلا قتلوا، فقد سئل الإمام مالك رحمه الله عمن قال إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي طالب فقال : (يستتاب فإن تاب وإلا قتل)(٦)، وقد اختار شيخ الإسلام ابن

---

١) لقد فضح هؤلاء القوم وبين ما عندهم من عقائد منحرفة كثير من أئمة المسلمين والدعاة إلى المنهج السلفي، أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة النبوية، والمقدسي في كتابه الرد على الرافضة، وغيرهم، ومن المعاصرين الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله في كتبه الشيعة والسنة، الشيعة والقرآن، الشيعة وأهل البيت، وغيرها، والشيخ محمد مال الله في كتبه المتنوعة في هذا الأمر ككتاب الشيعة وتحريف القرآن وغيره.

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/ ٤٧٩- ٤٨٣.

٣) سورة الزخرف آية ٣١-٣٢.

٤) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٦- ١٢٧.

٥) سورة الكهف آية ٥.

٦) الشفا ٢/ ٣٠٢.

تيمية رحمه الله قتل المقدور عليه منهم، من الدعاة لمذهبهم ونحوه مما فيه فساد إن لم يتيسر قتالهم، وقد استدل لذلك بأدلة كثيرة قوية لا مجال لذكرها هـهنا(١). نسأل الله عز وجل أن يخزيهم ويخذلهم وكل عدو للإسلام و المسلمين.

٤ - بعض الأدلة على عموم رسالة النبي ﷺ وكفر من أنكر ذلك :

سبق قول القاضي عياض بأن طائفة من اليهود يزعمون بأن رسالة النبي ﷺ خاصة بالعرب، وهذا الزعم والافتراء ليس خاصاً باليهود فقط، بل كثير من النصارى - إن لم يكونوا كلهم - يقولون بذلك فضلاً عن أعداء الإسلام، ويكفي في بطلان هذا الأمر أنه صادر عن المغضوب عليهم والضالين بنص الكتاب العزيز.

والأدلة على عموم رسالة النبي محمد ﷺ كثيرة جداً منها.

- قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناكَ إلا كافةً للناسِ بشيراً ونذيراً** ﴾(٢).

- وقوله : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمينَ** ﴾(٣). وقد أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يقول : ﴿ **قل يا أيها الناسُ إني رسولُ الله إليكم جميعاً** ﴾(٤).

فهذه الآيات البينات واضحة على كون رسالة النبي ﷺ عامة للخلق أجمعين إنسهم وجنهم، فمن زعم خلاف ذلك فهو مكذب لله عز وجل - كما مرّ -.

ومن الأدلة من السنة قوله ﷺ : « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة »(٥)، وقوله : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار »(٦).

وهذا الأمر متفق عليه بين المسلمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (يجب على الإنسان أن يعلم أن الله عز وجل أرسل محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته، وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله، ويحرموا ما حرّم الله ورسوله، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله، وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد ﷺ من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٨/ ٤٩٩- ٥٠٠.

٢) سورة سبأ آية ٢٨.

٣) سورة الانبياء آية ١٠٧.

٤) سورة الاعراف آية ١٥٨.

٥) رواه البخاري في كتاب الصلاة باب قول النبي جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً ١/ ٦٣٤ برقم : ٤٣٨، ومسلم في كتاب المساجد ١/ ٣٧٠ برقم : ٥٢١.

٦) رواه مسلم في كتاب الايمان باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد ﷺ ١/ ١٣٤ برقم : ١٥٣.

بعث إليهم الرسول ﷺ، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم لم يخالف منهم أحد)[1].

المطلب السادس : تكفيره لمن زعم أن في كل جنس من الحيوانات نذيراً ونبياً.

ذهب القاضي عياض إلى تكفير من انتقص الأنبياء فزعم أن في كل جنس من الحيوانات نبياً فقال : (وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوانات نذيراً ونبياً من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك، ويحتج بقوله تعالى : ﴿ **وإنْ مِنْ أمَّةٍ إلا خلا فيها نَذيرٌ** ﴾[2]، إذ ذلك يؤدي إلى أن يوصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة، وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه، مع إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله)[3].

تأييد قول القاضي بذكر بعض الأدلة على ذلك :

قلت : ما ذهب إليه القاضي عياض - رحمه الله - من حماية الأنبياء عليهم السلام من أن يوصفوا بما لا يليق بهم كلام صحيح، دلت عليه النصوص الشرعية، فإنه يجب على المسلم أن يعظم هؤلاء الكرام، وينزلهم المنزلة الرفيعة العالية التي أكرمهم الله بها، لأن انتقاصهم وازدراءهم والطعن فيهم كفر بالله العظيم - كماسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله -.

وأما من ظن أن في كل أمة من الحيوانات نبياً محتجاً بالآية السابقة، فذلك من جهله بكتاب الله وبحقوق الأنبياء، فإن معنى الآية - كما قال المفسرون رحمهم الله - (أي وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر والرسل، وأزاح عنهم العلل كما قال تعالى : ﴿ **إنما أنت مُنْذِرٌ ولكلِّ قَوْمٍ هاد** ﴾[4])[5].

فالأمة المراد بها هم بنو البشر، وليس الحيوانات كما زعم هؤلاء، فإن الحيوانات غير مكلفة، بل إن الله عز وجل لم يرسل إلا رجالاً أنبياء من بني البشر فقط، قال تعالى : ﴿ **وما أرسلنا مِنْ قَبْلِكَ إلا رجالاً نُوحِي إليهم من**

---

١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٩/ ٩- ١٠.
٢) سورة فاطر آية ٢٤.
٣) الشفا ٢/ ٢٨٤.
٤) سورة الرعد آية ٧.
٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٥٢، وانظر تفسير البغوي ٤/ ٥٦٩.

أهلِ القرى ﴾(١)، وذلك لأن النبوة منصب عظيم لا تليق إلا بالكُمّل من الرجال من بني الإنس. وقد ظن قوم أن في الجن رسلاً محتجين بقوله تعالى : ﴿ يا مَعشَرَ الجِنّ والإنسِ ألَمْ يأتِكُم رسلٌ منكم ﴾(٢) لكن حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يرد عليهم بقوله : (الرسل من بني آدم ومن الجن نذر) وقال ذلك مجاهد وغيره من أئمة السلف وهو ما حققه الإمامان الجليلان ابن جرير وابن كثير رحمهما الله وغيرهما من المفسرين، مستدلين بقول ابن عباس ومجاهد، وقد ردوا على من احتج بالآية السابقة وقالوا : إن قوله تعالى ﴿ منكم ﴾ كقوله تعالى : ﴿ مَرَجَ البحرين يلتقيان ﴾(٣)، ثم قال : ﴿ يخرجُ منهما اللؤلُؤُ والمَرْجَانُ ﴾(٤)، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من البحر المِلح دون العذب وهذا واضح ولله الحمد(٥).

وقال الإمام ابن كثير : (الدليل على أن النبوة إنما هي في البشر فقط قوله تعالى : ﴿ إنّا أوحينا إليكَ كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده ... ﴾ إلى قوله : ﴿ رسلاً مُبَشّرينَ ومُنذرِين لئلا يكون للناس على الله حُجَّةٌ بعد الرسل ﴾(٦)، وقوله تعالى عن إبراهيم : ﴿ وجعلنا في ذريَّتِهما النبوةَ والكتابَ ﴾(٧)، فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل ثم انقطعت عنهم ببعثته، وإنما في الجن نذر قال تعالى : ﴿ وإذ صَرَفنا إليكَ نَفَراً من الجن يَسْتَمِعون القرآن فلمّا حضروه قالوا أنْصِتوا فلما قُضِيَ وَلّوْا إلى قَوْمِهم مُنذرِين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنْزِلَ مِنْ بعدِ موسى مُصَدّقاً لمَا بين يديه يَهدي إلى الحقِ وإلى طريقٍ مستقيم * يا قومنا أجِيبوا داعِيَ الله وآمنوا به ﴾ (٨))(٩)، فإذا نزّه الله الرسالة عن الجن المكلفين فكيف يوصف بها الحيوانات من الخنازير والكلاب وغير ذلك ؟! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

---

١) سورة يوسف آية ١٠٩.
٢) سورة الانعام آية ١٣٠.
٣) سورة الرحمن آية ١٩.
٤) سورة الرحمن آية ٢٢.
٥) انظر تفسير ابن جرير ١٢/ ١٣٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٧٧، وتفسير البغوي ٢/ ١٣١- ١٣٢.
٦) سورة النساء آية ١٦٣-١٦٥.
٧) سورة الحديد آية ٢٦.
٨) سورة الأحقاف آية ٢٩ - ٣١.
٩) تفسير ابن كثير ١٧٧/٢.

المطلب السابع : تكفيره لمن جوّز الكذب على الأنبياء أو قال بأن للشرع ظاهراً وباطناً.

ذهب أبو الفضل رحمه الله إلى تكفير من جوّز الكذب على رسول الله ﷺ أو على غيره من الأنبياء، وكذا من زعم أن للشرع ظاهراً وباطناً فقال : (وكذلك نكفر من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا محمد ﷺ ولكن جوّز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى بذلك المصلحة أو لم يدّعها، فهو كافر بالإجماع، كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة، فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان يكون من أمور الآخرة والحشر والنار والجنة ليس منها شئ على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها، وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم، إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم، فمضمون مقالات هؤلاء إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به »(١).

تأييد كلام القاضي عياض :

ما ذكره القاضي عياض من كفر هؤلاء مما لا ريب فيه بين المسلمين، لأن من كذب نبياً أو جوّز عليه الكذب، فإنما كذب الله الذي أرسله، فالأنبياء رسله الصادقون المصدّقون، ومعلوم أن قائل هذه المقولة إنما يريد هدم الأديان والأخلاق، ومحاربة الله ورسوله، ولهذا تصدى لهم علماء الإسلام وبيّنوا كفرهم. يقول شيخ الإسلام رحمه الله في هؤلاء الزنادقة - بعد أن ذكر طرفاً من أقوالهم - : (وقد علم بالاضطرار من دين المسلمين أن ما يقوله هؤلاء من أعظم الكفر والضلال، وكان ذلك من سبب جحدهم لحقائق ما أخبرت به الرسل حتى أمر الايمان بالله واليوم الآخر، وزعمهم أن ما يقوله هؤلاء في هذا الباب هو الحق، فصاروا في أخبار الرسل تارة يكذبونها، وتارة يحرّفونها، وتارة يفوضونها، وتارة [يزعمون] أن الرسل كذبوا لمصلحة العموم)(٢).

وقال رحمه الله فيمن يقول بأن للشرع ظاهراً وباطناً (من يقول بعلم الباطن والظاهر فهو كافر ملحد، بل شر من اليهود والنصارى الذين قالوا إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وكذلك الذي يقول إن محمداً أرسل بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض

---

١) الشفا ٢/ ٢٨٤.

٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٢/ ٢٣٢.

وكفر ببعض، بل هو أكفر من أولئك، لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهو أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة)(١).

فدعوة هؤلاء القوم المحاربة للشرائع والأديان ولدين الإسلام على وجه الخصوص لا تحتاج إلى دليل، ولكن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله.

المطلب الثامن : تكفيره لمن سب النبي ﷺ، أو آذاه، أو استخف به، أو بأحد من الأنبياء أو حاربه.

ذهب القاضي عياض - رحمه الله - إلى تكفير من سب النبي ﷺ، أو آذاه أو أحداً من الأنبياء، أو استخف بهم، فقال : أجمع العلماء على أن من سب النبي ﷺ كفر، واختلفوا هل حكمه حكم المرتد يستتاب، أو حكم الزنديق لا يستتاب، والجمهور على قتله وإن تاب، ورأوا أن حد سبه ﷺ القتل لا يدفعه التوبة كما لا يدفع حد قذف غيره من المسلمين، وسواء كانت توبته عندهم بعد القدرة عليه، أو جاء معترفاً بها تائباً من قبل نفسه، لكن هذا تنفعه توبته عند الله ولا يسقط حد القتل عنه، وهذا ما نراه، وهو كما بينه شيوخنا رحمهم الله.

واختلفوا إذا سب الذمي النبي بغير الوجه الذي كفر به، فعامة العلماء على أنه يقتل كما يقتل المسلم، ورأى الكوفيون أنه لا يقتل، وقالوا ما عليه من الكفر أشد. والأصح والأشهر عن أهل المدينة ومالك قتله، وحكم من عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرّض به، أو شبهه بشئ على طريق السب له أو الإزراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغضب منه والعيب له، فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب يقتل. وكذا من لعنه، أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له أو نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور، أو عيَّره بشئ مما جرى من البلاء والمحن عليه، وهذا كله بإجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هلمّ جرا. قال أبو

١) المرجع السابق ١١/ ٢٢٥- ٢٢٦.

بكر بن المنذر(١) : (أجمع أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل)(٢)، وممن قال بذلك مالك والليث وأحمد، وهو مذهب الشافعي، وبمثله قال أبو حنيفة والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي وغيرهم(٣).

وقال أيضاً : كذلك نكفر من أضاف الى نبينا ﷺ تعمد الكذب فيما بلّغه وأخبر به أو شك في صدقه، أو سبّه أو استخف به، أو بأحد من الأنبياء، أو أزرى عليهم، أو آذاهم، أو قتل نبياً، أو حاربه.

وقال أيضاً: وحكم من سب سائر الأنبياء كافر ككفره بسب نبينا ﷺ أو تكذيبه أو الاستخفاف به(٤).

أ - تأييد قول القاضي بذكر بعض الأدلة :

لقد أجاد أبو الفضل رحمه الله حيث اختار المذهب الراجح المعتمد في جميع المسائل التي تخص هذا الأمر العظيم - (سب النبي ﷺ وما يدخل تحته) - والحق أن التوسع في الاستدلال على صحة ما ذهب إليه في هذا الأمر مما يتعذر ههنا لأنه يحتاج لرسالة خاصة لما له من أهمية(٥)، إذ تعظيم قدر الرسول ﷺ والذب عنه من أعظم الواجبات على المسلمين، ومن آكد حقوقه على أمته، ولهذا كان الساب له ﷺ من أشد الناس عداوة لله ورسوله والمؤمنين خارجاً عن ملة الإسلام، مستباح الدم أياً كان دينه ومهما ارتفع شأنه ومنزلته، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

---

١) هو الامام محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، كان فقيهاً حافظاً علماً محدثاً ثقة، قال فيه الذهبي الحافظ الدلالة الفقيه الأوحد شيخ الحرم وصاحب الكتب التي لم يصنف مثلها، له تفسير كبير في بضعة عشر مجلداً، يقضى له بالإمامة في علم التأويل، وكان على نهاية من معرفة الحديث والاختلاف متبعاً لا يقلد أحداً، قلت : ومن مصنفاته الاجماع والسنن والاجماع والاختلاف، ولد سنة (٢٤٢ هـ) في نيسابور ونزل بمكة ومات بها سنة (٣١٨ هـ)، وقيل غير ذلك. انظر طبقات الشافعية للسبكي ١٢٦/٢، وتذكرة الحفاظ ٧٨٢/٣، وسير أعلام النبلاء ٢٦٨/٩.

٢) انظر الاجماع لابن المنذر ص ١٤٤.

٣) انظر الشفا ٢/ ٢١٤- ٢١٥، ٢٢٤- ٢٢٦، ٢٨٤، ٣٩٦، وإكمال المعلم ٢/ ٢١٤، ٥/ ٢٣٠.

٤) المرجع السابق ٢/ ٢٨٤، ٣٠٤.

٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كتاب عظيم الشأن في هذا الامر لم يؤلف مثله قط سماه الصارم المسلول على شاتم الرسول، جمع فيه الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على كفر شاتم الرسول ووجوب قتله سواء كان مسلماً أو ذمياً، وفصّل فيه جميع المسائل المتعلقة بهذا الموضوع وبسطها بسطاً دقيقاً كما هي عادته رحمه الله ورد فيها على المخالفين في بعض تلك الأمور مستدلاً على ذلك بالنصوص الشرعية وأقوال أهل العلم بما لا غنى لطالب العلم عنه، فجزاه الله خيراً، فليراجع.

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : (أجمع علماء المسلمين على أن من سب رسول الله ﷺ فإنه يكفر ويقتل إن كان مسلماً، وإن كان ذمياً فجمهورهم على قتله، وعلى هذا جرى إجماع الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وقد حكي هذا الإجماع عن عدد من الائمة - رحمهم الله - منهم القاضي عياض)(١).

١ - بعض الأدلة من القرآن الكريم على كفر ووجوب قتل من سب النبي ﷺ :

الآيات الدالة على كفر شاتم رسول الله ﷺ وأذيته وعلى وجوب قتله، أو على أحدهما إذا لم يكن معاهداً وإن كان مظهراً للإسلام كثيرة منها :

١) قوله تعالى في وصف المنافقين : ﴿ **وَمِنْهُمُ الذين يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ويَقُولُونَ هو أُذُنٌ قُل أُذُنُ خَيْرٍ لكم يُؤمِنُ بالله وَيُؤمِنُ للمؤمنين ورحمةٌ للذين آمنوا منكم والذين يُؤذون رسولَ الله لهم عذابٌ أليمٌ * يحلفون بالله لكم لِيُرضُوكم والله ورسولهُ أحَقّ أن يُرْضُوهُ إن كانوا مؤمنين * ألَمْ يَعلَمُوا أنَّه مَنْ يُحادِدِ الله ورسولهُ فأنَّ له نارَ جهنَّمَ خالداً فيها ذلك الخِزْيُ العظيمُ** ﴾(٢). فقد بيّن عز وجل أن إيذاء رسوله محاداة لله ورسوله، وقد توعد من يفعل ذلك بالعذاب الأليم والخزي العظيم بنار جهنم خالداً فيها، وذكر الإيذاء - كما يقول شيخ الإسلام -(٣) هو الذي اقتضى ذكر المحاداة فيجب أن يكون داخلاً فيه، فلولا ذلك لم يكن الكلام مستقيماً مؤتلفاً إذ أمكن أن يقال : إن مؤذي النبي ﷺ ليس بمحاد، فدل ذلك على أن الإيذاء والمحاداة هي المعاداة والمشاقة، وذلك كفر ومحاربة، فهو أغلظ من مجرد الكفر فيكون إذاً المؤذي للرسول ﷺ كافراً عدواً ومحارباً لله ورسوله.

٢) ومنها قوله سبحانه : ﴿ **إنَّ الذين يُحادّون الله ورسولهُ أولئكَ في الأذَلّين** ﴾(٤). فقد أخبر سبحانه أن الذين يحادونه هم من الأذلين، ولو كان الساب للرسول ﷺ مؤمناً معصوماً لم يكن ذليلاً لأن الله تعالى يقول : ﴿ **ولله العِزَّةُ ولرسولهِ وللمؤمنين** ﴾(٥).

٣) قوله سبحانه : ﴿ **يَحْذَرُ المنافقونَ أنْ تُنَزَّلَ عليهم سُورةٌ تُنَبِّئُهُم بما في قُلوبِهِم قل اسْتَهْزِؤا إنّ الله مُخرِجٌ ما تَحذَرون * ولَئِن سألتَهُم لَيَقُولُنَّ**

---

١) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٣- ٤، ١٤٨، ٢٠٠.
٢) سوّرة التوبة آية ٦١- ٦٣.
٣) الصارم المسلول ص ٢٧.
٤) سورة المجادلة آية ٢٠.
٥) سورة المنافقون آية ٨.

إنّما كنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ قُلْ أبِالله وآياته ورسوله كُنتم تَسْتَهْزِؤنَ * لا تَعْتَذِروا قَدْ كَفَرْتم بعد إيمانِكُم إنْ نَعْفُ عن طائفةٍ منْكُم نُعَذِّبْ طائفةً بأنّهُم كانوا مُجرِمين ﴾(١). وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى، وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص من الرسول ﷺ جاداً أو هازلاً فقد كفر في ذكر سبب نزول هذه الآية(٢).

٤) ومن الآيات أيضاً قوله تعالى : ﴿ **ومنهم من يَلْمِزُكَ في الصدقات** ﴾(٣)، واللمز هو العيب والطعن، قال مجاهد : يلمزك يتهمك ويزريك(٤)، فهذه الآية جاءت بعد الآية المتقدمة وهي قوله تعالى : ﴿ **ومنهم الذين يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ويَقولُونَ هو أذُنٌ** ﴾(٥)، وكلها نزلت في وصف المنافقين، فدل ذلك على أن كل من لمز النبي ﷺ أو آذاه كان من هؤلاء، لأن (الذين) و (مَنْ) إسمان موصولان من صيغ العموم، والآية وإن نزلت بسبب قوم وإيذاء آخرين فحكمها عام كسائر الآيات التي نزلت على أسباب، ليس في ذلك خلاف بين العلماء(٦).

٥) ومن الآيات قوله سبحانه : ﴿ **وما كان لكم أن تُؤذوا رسولَ الله ولا أن تَنْكِحُوا أزواجَهُ من بعده أبداً إنَّ ذلكمْ كان عند الله عظيماً** ﴾(٧). فحرم سبحانه على الأمة أن تنكح أزواجه من بعده لأن ذلك يؤذيه، وجعله عز وجل عظيماً عنده تعظيماً لحرمة نبيه ﷺ، وقد اتفق الصحابة على أن من نكح أزواجه أو سراريه، فإن عقوبته القتل جزاء له بما انتهك من حرمة رسول الله ﷺ، فالساب له ولامزه من باب أولى، بدليل ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان يُتهم بأم ولد النبي ﷺ، فقال لعلي : « اذهب فاضرب عنقه » فأتاه علي فإذا هو في ركن متبرد، فقال له علي : أخرج فناوله يده فأخرجه، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر، فكف علي وأتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : إنه مجبوب ما له ذكر(٨).

فالنبي ﷺ أمر بضرب عنقه لما قد استحل من حرمته ولم يأمره بإقامة حد

---

١) سورة التوبة آية ٦٤- ٦٦.
٢) انظر ص ٤١٠-٤١١.
٣) سورة التوبة آية ٥٨.
٤) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣٦٣، والصارم المسلول ص ٣٣.
٥) سورة التوبة آية ٦١.
٦) انظر الصارم المسلول ص ٣٣.
٧) سورة الأحزاب آية ٥٣.
٨) رواه مسلم في كتاب التوبة باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة ٤/ ٢١٣٩ برقم : ٢٧٧١.

الزنا، لأن إقامة حد الزنا ليس بضرب العنق للمحصن، بل الرجم بشهود أربعة رجال، وإن كان غير محصن فبالجلد، فلما أمر النبي ﷺ بضرب عنقه من غير تفصيل، علم أن قتله لما انتهكه من حرمته ﷺ، فلما تبين أنه كان مجبوباً علم أن المفسدة مأمونة(١).

٢ - بعض الأدلة من السنة على كفر وقتل ساب النبي ﷺ ومؤذيه :

الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الأمر الدالة على كفر ووجوب قتل الساب والمؤذي له ﷺ والكاذب عليه كثيرة ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عدداً منها :

١) أن امرأة يهودية كانت رقيقة عند أعمى مسلم، وكانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر، فلما كانت ذات ليلة وجعلت تقع في النبي ﷺ فخنقها حتى ماتت - وفي رواية - فأخذ المِغْوَل(٢) فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ، فجمع الناس فقال : « أنشد رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام » فقام الأعمى يتخطى الناس حتى قعد بين يدي رسول الله فقال : يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك تقع فيك فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها بنات مثل اللؤلؤتين وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فقتلتها، فقال النبي ﷺ « ألا اشهدوا أن دمها هَدَر »(٣). ففي هذا الحديث أن ساب النبي ﷺ يقتل لأنه عدو لله، وفيه حب الصحابة - رضي الله عنهم - العظيم لرسول الله وتفضيلهم إياه على أنفسهم وأهليهم، حيث إن هذا الأعمي قتلها غيرة لله ورسوله، وإن كانت رفيقة به وهو أعمى وله منها بنات جميلات، ولكن النبي ﷺ أغلى عنده من الدنيا وما فيها، وهكذا يجب أن يكون المسلم.

٢) ومنها قصة كعب بن الأشرف أحد زعماء يهود بني النضير في المدينة وقصته مشهورة ملخصها : أنه ذهب إلى مكة بعد غزوة بدر ورثا قتلى المشركين

---

١) انظر الصارم المسلول ص ٥٩- ٦٠.

٢) المغول بكسر الميم وسكون الغين شبيه المِشْمل، نصله دقيق ماضٍ أو هو سيف رقيق له قفا يكون غمده كالسوط، وسمي بذلك لانه يشتمل عليه الرجل أي يغطيه بثوبه مأخوذ من غاله الشئ واغتاله إذا أخذه من حيث لم يدر، وقيل هو حديده دقيقة لها حد ماضٍ وقفا، انظر لسان العرب ٦١/ ٥١٠.

٣) رواه أبو داود في كتاب الحدود باب الحكم فين سب النبي ﷺ ٤/ ٥٢٨- ٥٢٩ برقم : ٤٣٦١، والنسائي في كتاب تحريم الدم باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ ٧/ ١٢٣- ١٢٤، برقم : ٤٠٨١، وقد صححه الشيخ الالباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٢٤ برقم : ٦٣٦٥.

وفضّل دينهم على دين الإسلام، ثم عاد إلى المدينة فأخذ ينشد الأشعار يهجو بها رسول الله ﷺ ويتغزل بنساء المسلمين حتى آذاهم، فقال رسول الله ﷺ « من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله » فقام محمد بن مسلمة(١) فقال : أنا يا رسول الله، أتحب أن أقتله ؟ قال : « نعم » قال : فأذن لي أن أقول شيئاً، قال : « قل » فخرج مع رجلين من المسلمين فقتله غيلة وليلاً(٢). ووجه الإستدلال من القصة : أن كعباً كان معاهداً مهادناً - يعني ذمياً - وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم، فجعله رسول الله ﷺ ناقضاً للعهد لما آذاه وهجاه، وقال فيه « من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله » وأذن لمحمد بن مسلمة فقتله مع رجلين من الصحابة ليلاً اغتيالاً، ففيه دليل واضح على أن الذمي اذا سب النبي ﷺ أو آذاه فإنه يقتل، وقد استدل بهذا الحديث وما شابهه جماهير السلف القائلين بوجوب قتله وردوا على من خالف ذلك(٣).

٣) ومنها قصة عبدالله (أو عبد العزى) بن خطل الذي كان مسلماً، فاستعمله رسول الله ﷺ على الصدقة وأصحبه رجلاً من الأنصار يخدمه، فنزل منزلاً وأمر الأنصاري أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً، فنام واستيقظ ولم يصنع له شيئاً فغدا عليه وقتله، ثم ارتد مشركاً إلى مكة، وأخذ يهجو رسول الله مع عدد من المشركين، فأمر رسول الله بقتلهم عام فتح مكة ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة، قال أنس : دخل رسول الله ﷺ عام الفتح فجاءه رجل فقال : ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال : « اقتلوه » فقتل(٤). فاستدل جماهير العلماء بهذا الحديث على أن من سب النبي ﷺ فإنه يقتل بدون استتابة، مسلماً كان أو ذمياً لأن المرتد يستتاب، ولكن ابن خطل ومن معه كان ممن آذوا رسول الله ﷺ، فأمر بقتلهم عام الفتح لكونهم قد اقترفوا ذنباً عظيماً لا عفو

---

١) هو أبو عبدالرحمن، محمد بن مسلمة الانصاري الأوسي، آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة، شهد المشاهد كلها إلا تبوك فقد استخلفه النبي ﷺ على المدينة، وقد حضر فتح مصر وكان عمر إذا شكي إليه عامل أرسله إليهم ليكشف أمره، وقد اعتزل الفتنة فلم يحضر الجمل ولا صفين، بل اتخذ سيفاً من خشب، توفي سنة (٤٦ هـ) بالمدينة وكان عمره (٧٧ سنة). انظر أسد الغابة ٤/ ٣٣١، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٩، والإصابة ٣/ ٣٦٣.

٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب الكذب في الحرب ٦/ ١٨٤ برقم : ٣٠٣١، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب قتل كعب بن الأشرف ٣/ ٣٩٠- ٣٩١ برقم : ٤٠٣٧.

٣) انظر الصارم المسلول ص ٧٠- ٧١.

٤) رواه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الفتح ٧/ ٦٠٩ برقم : ٤٢٨٦، ومسلم في كتاب الحج باب جواز دخول مكة بغير إحرام ٢/ ٩٨٩ برقم : ١٣٥٧.

فيه، ألا وهو سب النبي ﷺ وأذيته والطعن فيه(١).

٤) ومن الأحاديث الدالة على كفر وقتل الكاذب على رسول الله ﷺ، ما جاء أن رجلاً خطب امرأة من حي بني ليث على ميلين من المدينة فلم يزوجوه، فأتاهم وعليه حلة فقال: إن رسول الله ﷺ كساني هذه الحلة وأمرني أن أحكم في أموالكم ودمائكم، ثم انطلق فنزل على تلك المرأة التي كان يحبها، فأرسل القوم الى رسول الله ﷺ فقال: « كذب عدو الله » ثم أرسل رجلاً فقال: « إن وجدته حياً وما اراك تجده حياً فاضرب عنقه، وإن وجدته ميتاً فاحرقه بالنار » فلما خرج الرجل قال رسول الله ﷺ ادعوه، فقال: « إن كنت أمرتك أن تضرب عنقه وإن تحرقه بالنار، فإن أمكنك الله منه فاضرب عنقه ولا تحرقه بالنار، فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار، ولا أراك إلا قد كفيته » فحانت السماء بالسحاب بصيّب (٢)، فخرج الرجل يتوضأ فلسعته أفعى فمات، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال: « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »(٣).

وقد اختلف العلماء في قتل من تعمد الكذب على رسول الله ﷺ، فقال جماعة إنه يكفر بذلك لأن الكذابين أشد إفساداً من الكفار الظاهرين، وذلك لأن الكذب على الرسول ﷺ كذب على الله، ولأن الكذب عليه بمنزلة التكذيب له، ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افترى على الله كذباً أو كَذَّبَ بالحقِ لمّا جاءَهُ أَلَيْسَ في جهنم مَثْوىً للكافرين** ﴾(٤)، بل ربما يكون الكاذب عليه أعظم إثماً من المكذب له، ولهذا بدأ الله به، ولأن تكذيبه ﷺ نوع من الكذب، فإن مضمون تكذيبه الإخبار عن خبره أنه ليس بصدق، وذلك ابطال لدين الله، ولأن تعمد الكذب عليه استهزاء به واستخفاف، وهو كفر صريح، ولأنه لو زعم زاعم أن الله فرض شهراً آخر غير رمضان، أو صلاة غير الصلوات الخمس عالماً بكذبه كفر بالإتفاق، فمن زعم أن النبي ﷺ أوجب شيئاً أو حرّم شيئاً وهو كذب فهو كاذب على الله مستخف به وبرسوله ﷺ، ولأن الكاذب على الرسول لا بد أن يشينه بالكذب عليه، وقال جماعة لا يكفر، بل تغلظ عقوبته ولا يقتل، والراجح في المسألة - كما قال شيخ الإسلام رحمه الله - أنه يفرق بين

---

١) انظر الصارم المسلول ص ١٣٦.

٢) هو السحاب والصوت، وفي الكتاب العزيز ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ البقرة آية ١٩.

٣) أخرج هذه القصة الطحاوي في مشكل الآثار ١/ ١٦٤، وابن عدي في كتاب الكامل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية بإسناد صحيح على شرط الصحيح. انظر الصارم المسلول ص ١٧٠.

٤) سورة العنكبوت آية ٦٨.

الذي يكذب على الرسول ﷺ مشافهة، وبين الذي يكذب عليه بواسطة، مثل أن يقول : حدثني فلان عن فلان بكذا ونسب ذلك إلى الرسول، فهذا إنما كذب على الرجل ونسب الحديث إليه، اما إن قال هذا حديث صحيح وثبت عنه أنه قال ذلك عالماً بكذبه، فهذا قد كذب على الرسول ﷺ فبذلك يكفر، بل هذا لا يقل جريمةً وكفراً عمن سبّه، فإن الكذب عليه طعن بالدين بالكلية، ولهذا أمر ﷺ بقتل من كذب عليه من غير استتابة، ولأن القول الأول هو في غاية القوة، وقد رد - رحمه الله - على القول الثاني بردود قوية جداً(١).

٣ - إجماع الصحابة على كفر وقتل شاتم الرسول ﷺ :

أما إجماع الصحابة - رضي الله عنهم - فقد نقل عنهم القول بكفر وقتل من سب النبي ﷺ ذمياً كان أو مسلماً، واستفاض ذلك فلم ينكر أحد منهم ذلك، بل وردت أقوال وأفعال كثيرة عنهم في هذا الأمر.

- منها قصة الأعمى الذي قتل أمته اليهودية عندما سبّت النبي ﷺ التي تقدم ذكرها.

- ومنها ما قاله أبو برزة(٢) - رضي الله عنه - قال أغلظ رجل على أبي بكر - رضي الله عنه - وشتمه فقلت له : إئذن لي يا خليفة رسول الله ﷺ أضرب عنقه، فانتهرني وقال : (ليس هذا لأحد بعد رسول الله ﷺ)(٣).

- ومنها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه آتي برجل سب النبي ﷺ فقتله ثم قال : (من سب الله أو سب أحداً من الأنبياء فاقتلوه).

- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : (أيما مسلم سب الله أو سب أحداً من الأنبياء فقد كذّب رسول الله ﷺ وهي ردة فاقتلوه، وأيما معاهد عاند فيسب الله أو أحداً من الأنبياء أو جهر به فقد نقض فاقتلوه).

- ولما قدم عمر - رضي الله عنه - الشام وكتب معاهدته لنصارى الشام قال نصراني إن الله لا يضل أحداً، فقال له عمر : (إنّا لم نعطك الذي أعطيناك

---

١) انظر الصارم المسلول ص ١٧١- ١٧٦.

٢) هو الصحابي نضلة بن عبيد - على الاصح - الأسلمي مشهور بكنيته، أسلم قديماً وشهد خيبر وفتح مكة وحنيناً ، كان من ساكني المدينة ثم نزل البصرة، وقد روي أنه هو الذي قتل عبد العزى بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، وشهد مع علي رضي الله عنه قتال الخوارج، توفي بمرو وقيل بغيرها سنة (٦٥ هـ) على الصحيح. انظر أسد الغابة ٥/ ١٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠، والإصابة ٣/ ٥٢٦.

٣) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود ٤/ ٥٣٠ برقم : ٤٣٦٣، والنسائي في كتاب التحريم ٧/ ١٢٦ برقم : ٤٠٨٧.

لتُدخل علينا في ديننا، والذي نفسي بيده لئن عدت لأضربن رأسك) وقد قال ذلك أمام جمع من المهاجرين والأنصار، فعلم بذلك إجماعهم على أن أهل العهد ليس لهم أن يظهروا الاعتراض علينا في ديننا، وأن ذلك منهم مبيح لدمائهم، وإن من أعظم الاعتراضات سب النبي ﷺ، وهذا ظاهر لا خفاء فيه، وإنما لم يقتله عمر لأن النصراني لم يكن يعرف أن هذا الكلام طعن في ديننا.

- ومنها ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مرّ براهب فقيل له : هذا يسب النبي ﷺ، فقال ابن عمر : (لو سمعته لقتلته. إنا لم نعطهم الذمة على أن يسبوا نبينا ﷺ)[١].

فهذه بعض الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة تنص على أن الساب للرسول ﷺ خارج عن الملة إن كان مسلماً، فيجب قتله، وكذا إن كان ذمياً، لأن قتله قد تعلق به حق الله وحق رسوله وحق المسلمين فلا يسقط عنه الحد أبداً ولو تاب، ولكن تنفعه التوبة فيما بينه وبين الله. وبهذا يتضح الصحيح الذي اختاره القاضي عياض وهو الذي عليه جماهير الأمة، وفيما ذكرت من النصوص السابقة الرد القوي على من زعم بأن الساب للرسول ﷺ يستتاب إن كان مسلماً، وكذا من قال : إن الذمي لا يقتل إن سبه ﷺ، فإنه لم يرد أي دليل على استتابة سابّه عليه الصلاة والسلام سواء كان ذمياً أو مسلماً فلا يلتفت إلى هذا أبداً.

ب - الجواب عما قد يستدل به من يرى استتابة الساب للرسول بعدم قتله ﷺ لمن آذاه.

قد يحتج من يرى استتابة شاتم الرسول ﷺ بأن النبي ﷺ لم يقتل المنافقين وعدداً ممن آذوه من اليهود وغيرهم، والجواب عن هذا التوهم أن النبي ﷺ كان في أول الأمر مأموراً بالعفو والصفح قبل أن يؤمر بقتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية ويجاهد الكفار والمنافقين، قال سبحانه وتعالى : ﴿ **ولا تَزالُ تَطّلِعُ على خائنَةٍ منْهُم إلا قليلاً منْهُم فاعْفُ عنهم واصْفَحْ إنّ الله يُحبّ المُحسنين** ﴾[٢]. وقال : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسنُ فإذا الذي بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليّ حميمٌ** ﴾[٣]، فكان ﷺ يتألف الناس ويميل قلوبهم إليه فيداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغض عنهم ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفائهم لحاجة الناس للتألف وجمع الكلمة عليه، ويقول : « لا

---

١) ذكر هذه الآثار الآنفة الذكر شيخ الإسلام في كتابه الصارم المسلول ص ٢٠٠- ٢٠٣.

٢) سورة المائدة آية ١٣.

٣) سورة فصلت آية ٣٤.

يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه »(١) لما طلب منه أن يقتل عدداً من المنافقين، فكان ﷺ له أن يعفو عن سبه لأن هذه الجريمة جلب فيها حقه، وذلك من حسن خلقه وعفوه وكرمه، فلما استقر له الأمر وأظهره الله على الدين كله، قتل من قدر عليه واشتهر كفعله بابن خطل الذي كان متعلقاً بأستار الكعبة، ومن عهد بقتله يوم فتح مكة ممن آذوه، ومن أمكن قتله غيلة من يهود وغيرهم ككعب بن الأشرف، وكان كثير من المنافقين متسترين بنفاقهم، وحكمه ﷺ على الظاهر كما قال تعالى: ﴿ لا تَعْلَمُهُم نحنُ نَعْلَمُهُم ﴾(٢)، وأكثر تلك الكلمات إنما يقولها القائل منهم خفية ومع أمثاله، ويحلفون عليها إذا وصلت للنبي ﷺ وينكرونها فكان ظاهرهم أنهم على الإسلام وكان رسول الله ﷺ يطمع في توبتهم(٣).

أما بعد موته ﷺ فلا يجوز للمسلمين العفو عن سبه أو الإساءة إليه، لأن قتل الساب وإقامة الحد عليه متعلق به حق الله حيث افترى عليه وطعن في دينه، وحق النبي ﷺ وحق كل مؤمن، فإن أذاه ﷺ ليس مقصوراً عليه فقط، بل هو أذى لكل مؤمن كان ويكون، بل هو عندهم من أبلغ أنواع الأذى، ويود كل مؤمن أن يفتدي عرض رسول الله ﷺ بنفسه وأهله وماله، فوجب قتل من آذاه ﷺ لحفظ الدين، وحفظ حمى وعرض الرسول ﷺ، وهذا الحد لا يسقط لأن الساب للرسول ﷺ محارب لله ولرسوله مفسد في الأرض، ولأنه ارتكب جناية من الجنايات العظمى الموجبة للقتل، فلا يسقط عنه القتل وإن تاب، لأنه إن سب النبي ﷺ في حياته وجب قتله ورسول الله ﷺ كان إذا أعلم بمن سبه إن أحب استوفى وإن أحب عفى، أما وقد تعذر إعلامه بموته، فإنه يجب على المسلمين القيام بطلب حقه ولم يجز لهم العفو عمن سبه كائناً من كان(٤).

ج - كفر من اتهم عائشة رضي الله عنها بالزنا :

مما يدخل في أذية النبي ﷺ ويكفر فاعله به، إتهام زوجاته أمهات المؤمنين بالزنا، وخاصة حبيبته الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها - كما هو حال كثير ممن يدعي الإسلام - لأنه لا أذية للرجل تفوق أذيته في زوجاته وعرضه، وكفر من يتهم عائشة بالزنا مما لا شك فيه، لأنه أولاً : أذية

---

١) رواه البخاري في كتاب الفضائل باب ما ينهى من دعوى الجاهلية ٦/ ٦٣١ برقم : ٣٥١٨، ومسلم في كتاب البر والصلة باب نصر الاخ ظالماً أو مظلوماً ٤/ ١٩٩٨ برقم : ٢٥٨٤.

٢) سورة التوبة آية ١٠١.

٣) انظر الشفا ٢/ ٢٢٤- ٢٢٦، والصارم المسلول ص ٣٠٠، ٤٣٥.

٤) انظر الصارم المسلول ص ٤٣٣- ٤٣٤، ٤٤٢.

لرسول الله - وقد تقدم حكم ذلك - وثانياً : هو تكذيب للقرآن الذي نزل ببراءتها من فوق سبع سماوات، وقد رجح القاضي عياض - رحمه الله - هذا المذهب وأيده بقوله : (من آذى النبي ﷺ في نفسه أو ذويه فهو كافر لقول سعد وغيره من الصحابة في قصة الإفك قتلناه لمن يتهم عائشة، فلم ينكر النبي ﷺ ذلك، ولو كان باطلاً لم يقر عليه بل أنكره، وإنما استوجب القتل بإيذائه النبي في حياته، وهذا قبل نزول القرآن في براءة عائشة فيكون مؤذياً لرسول الله، فأما اليوم فمن قال واتهم عائشة بالزنا قتل لتكذيبه القرآن وكفر بذلك، وأما غيرها من أزواجه رضي الله عنهن فالمشهور أنه يحد لما في ذلك من حد ويعاقب لغيره، وحكى عن قوم أنه يقتل على كل حال لأنه ايذاء للنبي ﷺ حياً وميتاً)(١).

وقال أيضاً : (قال مالك : من سب عائشة بالزنا يقتل لأنه خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل، أي لأنه كذب بما فيه لأن الله قال : ﴿ **يَعِظُكُمُ الله أنْ تعودوا لمثله أبداً إنْ كنتم مؤمنين** ﴾(٢)، فمن عاد لمثله فقد كفر(٣). وقال أبو بكر بن الطَيب(٤) : إن الله إذا ذكر ما نسبه إليه المشركون سبّح نفسه لنفسه كقوله : ﴿ **وقالوا اتّخَذَ الرّحمنُ ولداً سُبحانه** ﴾(٥) في آيٍ كثيرة، وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة رضي الله عنها فقال : ﴿ **لولا إذْ سَمعْتُمُوهُ قُلْتُم ما يكونُ لنا أنْ نَتَكَلّمَ بهذا سُبحانكَ هذا بُهْتَانٌ عظيمٌ** ﴾(٦) سبّح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبّح نفسه في تبرئته من السوء. قال القاضي عياض : وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة، ومعنى هذا - والله أعلم - إن الله لما عظم سبها كما عظّم سبه وكان سبها سباً لنبيه ﷺ وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك)(٧).

ومما يدخل في أذية النبي ﷺ أيضاً تكفير صحابته رضي الله عنهم والبراءة منهم كفعل الرافضة وغيرهم - قاتلهم الله - وأما سبهم وبغضهم وعدم تكفيرهم فحكم فاعله الفسوق والعصيان كما سيأتي الحديث عنه فيما بعد إن شاء الله.

---

١) إكمال المعلم ٦/ ٩٤.
٢) سورة النور آية ١٧.
٣) الشفا ٢/٣٠٥، والصارم المسلول ص ٥٦٦.
٤) هو الباقلاني وقد سبقت ترجمته في ص٢٤١ .
٥) سورة الانبياء آية ٢٦.
٦) سورة النور آية ١٦.
٧) الشفا ٢/ ٣٠٥، ٣٠٩.

د - كفر من سب نبياً من الأنبياء أو انتقص أحداً منهم :

من سب نبياً من الأنبياء المعروفين المذكورين في القرآن أو السنة أو آذاه أو انتقصه، أو سب نوع النبوة على الإطلاق فحكمه كحكم سب نبينا محمد ﷺ الكفر والقتل، مسلماً كان أو غير مسلم، لأن الإيمان بهم واجب عموماً وخصوصاً من ذكره الله في كتابه أو رسوله ﷺ في سنته الصحيحة. قال سبحانه : ﴿ **آمنَ الرسولُ بما أُنزلَ إليهِ مِنْ ربِّه والمؤمنونَ كُلٌّ آمنَ باللهِ وملائكَتِه وكُتُبِه ورُسُلِه لا نُفرِّقُ بينَ أَحدٍ مِنْ رُسُلِه وقالوا سمعنا وأطعنا غُفرانَكَ ربَّنا وإليكَ المصير** ﴾[1]. وقال تعالى : ﴿ **قولوا آمنا باللهِ وما أُنزلَ إلينا وما أُنزلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتِيَ موسى وعيسى وما أُوتِيَ النبيّون مِنْ ربهم لا نُفرِّقُ بينَ أحدٍ منهم ونحن له مسلمون** ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات.

فسبهم كفر وردة إن كان من مسلم، ومحاربة وعداوة إن كان من ذمي، وفي الأدلة الماضية التي سبق ذكرها ما يدل على ذلك لفظاً أو معنى بدون خلاف بين المسلمين[3]، وقد تقدم قول عمر رضي الله عنه عندما أتي برجل سب النبي ﷺ فقتله ثم قال : (من سب الله أو سب أحداً من الأنبياء فاقتلوه، وأيما معاهد عاند فيسب الله أو أحداً من الأنبياء أو جهر به فقد نقض فاقتلوه)[4]. قال القاضي عياض : وقال أبو حنيفة رحمه الله : (من كذّب بأحد من الأنبياء أو انتقص أحداً منهم أو برئ منهم فهو مرتد). وقال مالك رحمه الله : (من شتم الأنبياء أو أحداً منهم أو تنقصه قتل ولم يستتب)[5].

أما من سب نبياً لم تثبت نبوته ولا وقع الإجماع على كونه من الأنبياء فإنه لا يكفر ولا يقتل بل يزجر ويؤدب بقدر حال المختلف فيه، ولا سيما من عرفت صديقيته وفضله[6].

وبهذا يعلم أن أذية أو سب أي نبي من الأنبياء هي كأذية رسول الله ﷺ وسبه، لأنهم جميعاً مرسلون من عند الله عز وجل، فمن فعل ذلك استحق القتل في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

---

١) سورة البقرة آية ٢٨٥.

٢) سورة البقرة آية ١٣٦.

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/٢٩٠، والصارم المسلول ص ٥٦٥.

٤) الصارم المسلول ص ٢٠١.

٥) الشفا ٢/٣٠٤.

٦) الشفا ٢/ ٣٠٤، والصارم المسلول ص ٥٦٥.

تأييد قول القاضي عياض بذكر بعض النصوص الدالة على كفر من كان كذلك.

١ - بعض النصوص الدالة على كفر منكر القرآن أو شئ منه :

إن ما ذكره أبو الفضل آنفاً من كفر منكر القرآن أو شئ منه هو الحق الذي لا مرية فيه، لأن الإيمان بالقرآن وجميع الكتب المنزلة ركن من أركان الإيمان قال ﷺ : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ... »(١) فمن أنكر ركناً من أركان الايمان أو جحده فليس بمسلم، فكيف إذا كان هذا المجحود هو كتاب الله الذي نزله على نبينا محمد ﷺ وجعله مهيمناً على الكتب كلها، والذي فيه خير الأولين والآخرين وصلاح الخلق أجمعين، والذي من اهتدى به فقد رشد ومن ابتغى الهدى من غيره فقد ضل وغوى.

فمن جحد كتاب الله أو شيئاً منه، وإن زعم أنه يؤمن بالله ورسله فإنه من أكفر الكافرين، وحاله كحال اليهود والنصارى والصابئة الذين بدّلوا وكفروا، قال الله فيهم : ﴿ **وإذا قِيلَ لهم آمَنوا بَما أَنْزَلَ الله قالوا نُؤمنُ بما أُنْزِلَ علينا ويَكْفُرون بِما وَراءَهُ وَهُوَ الحَقّ مُصَدّقاً لِما معهم** ﴾(٢)، وقد كفّرهم الله بقوله : ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويُريدون أن يُفرّقوا بَيْنَ الله ورسله ويَقولون نُؤمنُ ببعضٍ ونَكْفُرُ ببعضٍ ويُريدون أنْ يَتَّخِذُوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقاً** ﴾(٣)، فمن آمن بالله ورسله فيجب أن يكون إيمانه جامعاً عاماً مؤتلفاً، لا تفريق فيه ولا تبعيض ولا اختلاف، بل بجميع الرسل وجميع ما أنزل الله عليهم وإلا فهو من أكفر الكافرين كما بيّنت الآية السابقة(٤).

ثم إن الكفر بالقرآن العظيم أو بشئ منه من صفات المشركين الذين بعث فيهم الرسول ﷺ، فمن تشبه بهم فأنكر القرآن فحاله كحالهم أيضاً، قال الله تعالى حاكياً قولهم لما بلّغهم رسول الله ﷺ هذا الكتاب المبين : ﴿ **وانْطَلَقَ المَلأُ منهم أنِ امْشُوا واصْبِرُوا على آلِهَتِكُم إنَّ هذا لَشَيءٌ يُراد * ما سمعنا بهذا في المِلَّةِ الآخِرَةِ إنْ هذا إلا اخْتِلاق * أأنْزِلَ عليه الذِّكْرُ من بيننا بل هم في شكٍ مِن ذِكْرِي بل لمّا يَذُوقُوا عَذابِ** ﴾(٥)، وقال سبحانه فيهم أيضاً : ﴿ **وقال الذين كفروا إنْ هذا إلا إِفْكٌ افتراه وأعانَهُ عليه قومٌ آخرونَ فقد**

---

١) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه.

٢) سوَرة البقرة آية ٩١.

٣) سورة النساء آية ١٥٠- ١٥١.

٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٢/ ١١- ١٢.

٥) سورة ص آية ٦- ٨.

جاءوا ظُلْماً وَزُوراً * وقالوا أساطيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عليه بُكْرةً وأصيلاً ﴾(١)، وقال فيهم أيضاً : **﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنّما يُعَلّمه بَشَرٌ ﴾**(٢)، فردّ الله عليهم وكذّبهم وأبطل دعواهم فقال : **﴿ فقد جَاؤُوا ظُلماً وزُوراً ﴾**(٣)، وقال : **﴿ قُلْ أنْزَلَهُ الذي يَعْلَمُ السرَّ في السموات والأرض إنَّه كان غفوراً رحيماً ﴾**(٤)، وقال : **﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ الذين آمنوا وهُدىً وبُشرى للمسلمين ﴾**(٥).

ولهذا تصدى علماء السلف الصالح - رحمهم الله - للجهمية وردوا عليهم وحاربوهم لما أظهروا بدعتهم الخبيثة - ومنها القول بخلق القرآن - وقد أجمعت الأمة على أن من يقول القرآن مخلوق فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وذهب بعض من السلف إلى أن قائل ذلك كافر لأنه مشابه للكافرين الذين زعموا بأن القرآن كلام البشر(٦).

وقد كان الجعد بن درهم(٧) أول من ظهر منه الكفر بهذا القرآن من الأمة الإسلامية وزعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً فذبحه خالد بن عبدالله القسري(٨) أمير واسط بالعراق يوم الأضحى بعد أن خطب بالمسلمين فقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍ بالجعد ابن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، فتعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً، فاستحسن المسلمون فعله وباركوه ودعوا له(٩). وكان الجهم بن صفوان قد أخذ هذه المقالة عن الجعد فقتله الله شر

---

١) سورة الفرقان آية ٤- ٥.

٢) سورة النحل آية ١٠٣.

٣) سورة الفرقان آية ٤.

٤) سورة الفرقان آية ٦.

٥) سورة النحل آية ١٠٢.

٦) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢/ ٥٣١.

٧) هو الجعد بن درهم الشامي مؤدب مروان الحمار، لهذا يقال مروان الجعدي، وهو شيخ الجهم ابن صفوان الذي تنسب إليه الجهمية، كان زنديقاً قتله خالد القسري في يوم الأضحى نحو سنة (١١٨ هـ). انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٣٣، والبداية والنهاية ١٠/ ١٩، والاعلام ٢/ ١٢٠.

٨) هو الأمير الكبير أبو الهيثم، خالد بن عبدالله بن يزيد البجلي القسري الدمشقي، جده من الصحابة وله رواية عنه وحديثان أحدهما في المسند والآخر في سنن أبي داود، ولي العراق في عهد هشام ابن عبدالملك وكان جواداً ممدحاً خطيباً مفوهاً، اتهم بالرفض والكذب، قتل سنة (١٢٦ هـ). انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٢٥، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠، وشذرات الذهب ١/ ١٦٩.

٩) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٧، والآجري في الشريعة ص ٩٧، ٣٢٨، والدارمي في الرد على الجهمية ص ١٧، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٢٥٤، وغيرهم.

قتلة(١).

ولا شك أن الذي يكذب بالقرآن كله أو بعضه أو بسورة أو بآية منه فكحمه واحد، لأن القرآن كلام الله تعالى، فقد قال الشيخ ملا علي القاري(٢) - رحمه الله تعالى - : (من جحد القرآن أو سورة منه أو آية أو كلمة فقد كفر)(٣)، ولا شك أن الذي يغيّر أو يبدل كتاب الله أو منه هو أشد كفراً ممن جحده وهذا مما اتفق عليه المسلمون كما تقدم.

٢ - بعض النصوص على كفر من زعم أن القرآن ليس حجة للرسول ﷺ :

ذهب بعض من يدعي الإنتساب إلى الإسلام من المعتزلة إلى إنكار أن يكون القرآن معجزة أو حجة للرسول ﷺ أو دليلاً على نبوته(٤)، ولا شك في كفر قائل ذلك لأنه مكذب لله عز وجل في قوله : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوْحَى** ﴾ (٥)، وقوله : ﴿ **وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هذا القرآنُ لأُنْذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** ﴾(٦)، وقوله : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُم بِالْوَحيِ** ﴾(٧). فأمر سبحانه رسوله ﷺ أن ينذر الناس بهذا الكتاب العزيز، وقد أخبر الرسول ﷺ عن هذه المعجزة العظمى والحجة الكبرى التي أعطاه الله إياها بقوله : « ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ فأرجو أن أكون أكثره تابعاً يوم القيامة »(٨). فمن أنكر ذلك فهو مكذب للرسول ﷺ أيضاً، ومشابه لكفار قريش الذين زعموا أن القرآن ليس بحجة للنبي ﷺ، وقد اتهموه بالجنون والسحر والكذب وبأنه افتراه من عند

---

١) الرد على الجهمية للدارمي ص ١٧.

٢) هو علي بن سلطان بن محمد نور الدين الملا الهروي القاري، فقيه حنفي من صدور العلم في عصره، ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها سنه (١٠١٤ هـ) صنف كتباً كثيرة منها شرح مشكاة المصابيح والرد على ابن عربي في كتابه الفصوص. انظر البدر الطالع ١/ ٤٤٥، والأعلام ٥/ ١٢.

٣) شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري ص ٢٥٠.

٤) ممن قال بذلك هشام الفوطي وعباد بن سليمان. انظر الملل والنحل ص ٧٢، والشفا ٢/ ٢٨٩، وموقف المعتزلة من السنة النبوية لأبي لبابة حسين ص ١٣٠.

٥) سورة النجم آية ٣- ٤.

٦) سوْرة الانعام آية ١٩.

٧) سورة الأنبياء آية ٤٥.

٨) رواه البخاري في كتاب الفضائل باب كيف نزل الوحي ٨/ ٦١٨ برقم : ٤٩٨١، ومسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ١/ ١٣٤ برقم : ١٥٢.

نفسه وقالوا ما قالوا - كما سبق ذكره -، ولهذا تحداهم الله عز وجل بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال: ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ على أنْ يأتوا بِمِثْلِ هذا القرآنِ لا يأتون بِمِثْلِهِ ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً** ﴾(١)، فعجزوا عن ذلك فتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فقال: ﴿ **أم يقولون افتراه قُلْ فأتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مثلِه مُفْتَرَياتٍ وادعوا مَنِ استَطَعْتُم مِنْ دُونِ الله إِنْ كنتم صادقين** ﴾(٢)، فعجزوا فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله فقال: ﴿ **وإِن كُنتُم في رَيْبٍ مما نَزَّلْنا على عبدنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مثله وادْعوا شُهَداءَكُم مِنْ دُونِ الله إن كنتم صادقين * فإنْ لمْ تَفعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فاتَّقُوا النَّارَ التي وَقُودُها الناسُ والحِجارَةُ أُعِدَّتْ للكافرين** ﴾(٣)، فعجزوا ولم يقدروا على ذلك، ولن يستطيعوا، فدل عجزهم وهم فصحاء العرب وأشد الناس عداوة للإسلام ولنبيه على صدقه ﷺ، وأن القرآن ليس من كلام البشر، بل هو كلام الله ومعجزته الخالدة لنبيه عليه الصلاة والسلام بلسان عربي مبين، وهذا الإعجاز من جهة المعنى واللفظ لا من جهة أحدهما فقط، ولهذا يأتي ذكر القرآن عقب الحروف المقطعة في أوائل السور كقوله تعالى: ﴿ **ألم * ذلك الكتابُ لا رَيْبَ فيه** ﴾(٤)، وقوله: ﴿ **ألم * الله لا إلهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّوم * نَزَّلَ عليكَ الكتابَ بالحق** ﴾(٥)، وقوله: ﴿ **ألمص * كتابٌ أُنزِلَ إليكَ فلا يَكُن في صَدْرِكَ حَرَجٌ منه لِتُنْذِرَ به وذِكْرَىٰ للمؤمنين** ﴾(٦)، وقوله: ﴿ **ألر تلكَ آياتُ الكتابِ الحَكِيمِ** ﴾(٧)، إلى غير ذلك من الآيات، ولعل الحكمة من ذلك - والله أعلم - هي تنبيه أولئك المشركين الكذابين ومن سار على دربهم، إلى أن الرسول ﷺ لم يأتهم بشئ لا يعرفونه، بل خاطبهم بلسانهم العربي المبين، وتحداهم بلغتهم التي يتخاطبون بها، والتي تضم هذه الحروف المقطعة التي نزل بها القرآن الكريم من عند الله عز وجل(٨).

فتبين مما سبق أن القرآن الكريم هو أعظم معجزة لرسول الله ﷺ وأكبر

---

١) سورة الإسراء آية ٨٨.
٢) سورة هود آية ١٣.
٣) سورة البقرة آية ٢٣- ٢٤.
٤) سورة البقرة آية ١- ٢.
٥) آل عمران آية ١- ٣.
٦) سورة الاعراف آية ١- ٢.
٧) سورة يونس آية ١.
٨) انظر شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٠٥ بتحقيق د. التركي.

حجة، ودليل على صدق رسالته، ولهذا اهتم علماء الإسلام بهذه المعجزة الخالدة فصنفوا في دلائل نبوته ﷺ[1]. ووجوه إعجاز القرآن من جهة الألفاظ والمعاني والأخبار الماضية والآتية والمغيبات وما بلغوا كما يقول بعض العلماء[2] من ذلك إلا كما يأخذ العصفور بمنقاره من البحر.

المطلب العاشر : تكفيره لمن استخف بالقرآن أو سبّه، أو جحد كتب الله المنزلة أو سبّها.

بيّن القاضي - رحمه الله - أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشئ منهما، أو سبهما، فهو كافر بإجماع علماء المسلمين، وكذا من جحد التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة، أو كفر بها أو لعنها أو سبها أو استخف بها، فهو كافر كذلك[3].

تأييد قول القاضي عياض :

ما ذكره القاضي عياض هو الحق والصواب، لأن إكرام القرآن واحترامه من إكرام الله فهو كلامه، أما إهانته والاستخفاف به فهو سب لله تعالى، وهذا من أعظم الكفر، ولهذا نصّ إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في نواقض الإسلام العشرة على أن من استهزأ بشئ من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه فقد كفر مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾[4].[5] وقد بوّب في كتاب التوحيد باباً سماه (باب من هزل بشئ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول) قال حفيده الشيخ سليمان بن عبدالله : (أي إنه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية والرسالة، وذلك مناف للتوحيد، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر، ولو كان هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء، قال تعالى : ﴿ **ولَئِن سألتَهُم لَيَقُولُنَّ إنما كُنا نخوضُ ونلعبُ قُلْ أبالله وآياتهِ ورسُولِه كُنتُم تستهزؤن * لا تَعْتَذِروا قَدْ كَفرْتُم بعدَ إيمانكم** ﴾[6]، فإنه تعالى لم يعبأ باعتذارهم، إما لأنهم كانوا كاذبين

---

1) من ذلك دلائل النبوة للبيهقي، وإعجاز القرآن للباقلاني، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، وغيرها من الكتب الكثيرة في هذا الباب.
2) انظر أعلام السنة المشهورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة لحافظ حكمي ص ٤٣.
3) الشفا ٢/ ٣٠٤.
4) سورة التوبة آية ٦٥-٦٦.
5) انظر الجامع الفريد ص ٢٧٧.
6) سورة التوبة آية ٦٥- ٦٦.

فيه، وإما لأن الاستهزاء على وجه الخوض واللعب لا يكون صاحبه معذوراً، وعلى التقديرين فهذا عذر باطل، لأنه لا يجتمع الايمان بالله وكتابه ورسوله والاستهزاء بذلك في قلب المرء، بل الاستهزاء عين الكفر فلذلك كان الجواب ما قبله ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾[1].

ومن أنواع الاستخفاف التي يكفر بها المرء أن يقرأ القرآن على ضرب الدف والقضيب، وكذا من قرأه على وجه الهزل لأن الله تعالى يقول: ﴿ **إنه لقولٌ فصلٌ * وما هو بالهزل** ﴾[2].[3] إلى غير ذلك من الصور التي فيها استهزاء، لأنه صفة من صفات الله تعالى وهو تعالى المتكلم به. وقد تقدم إجماع الأمة على كفر من فعل ذلك[4].

وجحود كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل أو سبها كفر بالإجماع أيضاً، لأنها كلام الله فحكمها حكم القرآن وقد تقدم أن الايمان بها ركن من أركان الإيمان، لكن على المرء أن يعلم بأنه لم يبق من هذه الكتب شئ غير محرف الا القرآن العظيم لأن الله قد تكفل بحفظه، قال سبحانه: ﴿ **إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذكر وإنّا له لَحافظون** ﴾[5]، أما التوراة الإنجيل فلم يتكفل بحفظهما، بل استحفظ عليها بعض عباده فلم يستطيعوا حفظها، فدخلها من التحريف ما الله به عليم، فلا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم فيما لا نعلم تحريفه لئلا نكذب كلام الله.

---

١) تيسير العزيز الحميد ص ٦١٧- ٦١٨.

٢) سورة الطارق آية ١٣- ١٤.

٣) انظر شرح الفقه الاكبر ص ٢٤٩- ٢٥٠.

٤) انظر المطلب الثالث المتقدم ص ٤٠٧

٥) سورة الحجر آية ٩.

المطلب الحادي عشر : تكفيره لمن لم يكفر الكافرين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم :

ذهب القاضي عياض - رحمه الله - إلى تكفير من لم يكفر الكافرين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم حاكياً إجماع العلماء على ذلك، فقال : (انعقد الإجماع على تكفير من لم يكفر أحداً من اليهود والنصارى وكل من فارق دين الإسلام أو وقف في تكفيرهم أو شك، لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم، فمن وقف في ذلك ، أو شك فقد كذّب النص، والتكذيب والشك فيه لا يقع إلا من كافر)(١).

وقال في موضع آخر : (فكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم، وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهار ما أظهر بخلاف ذلك)(٢).

تأييد قول القاضي بذكر بعض النصوص الدالة على ذلك :

الحق أن ما ذكره أبو الفضل ههنا عظيم الشأن بالغ الأهمية، لا خلاف فيه بين المسلمين، ولهذا نجد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب(٣) - رحمه الله - يحذر من هذا الناقض من نواقض الإسلام وينص عليه بعينه فيقول : (اعلم أن نواقض الإسلام عشرة :

الأول : الشرك في عبادة الله تعالى.

الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم كفر إجماعاً.

الثالث : من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم

---

١) الشفا ٢/ ٢٨١.

٢) المرجع السابق ٢/ ٢٨٦.

٣) هو الإمام المجدد زعيم الدعوة السلفية في العصر الحديث، الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي، ولد ونشأ في العيينة ورحل إلى الحجاز وغيره فوجد البدع والخرافات منتشرة في كل مكان، فبدأ بالدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك والبدع، وانتقل إلى الدرعية فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالاكرام وقبل دعوته وآزره هو وأولاده من بعده، فأعزهم الله ففتحوا كثيراً من المدن بالجزيرة فدانت لهم وفي مقدمة ذلك الحجاز، وقد تأثر بهذه الدعوة كثير من المسلمين في شتى أنحاء العالم ولا يزال خيرها إلى يومنا هذا، توفي رحمه الله في الدرعية سنة (١٢٠٦ هـ) عن عمر يناهز التسعين، وقد ترك تراثاً عظيماً من العلم والإصلاح، من كتبه كتاب التوحيد وكشف الشبهات وأصول الايمان وغيرها. انظر ترجمته عنوان المجد ١/ ٦، والاعلام ٦/ ٢٥٧، وعقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية للدكتور صالح العبود ص ٦٥- ١٤٧، وغيرها رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح الفردوس الاعلى.

كفر)(١)، وذكر بقية النواقض العشرة.

والنصوص الدالة على كفر الكافرين أكثر من أن تحصى، ولكن يجمعها قوله تعالى : ﴿ **ومن يَبْتَغِ غير الإسلام ديناً فلَنْ يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾(٢).

ولهذا أمر الله بقتال الكافرين وبغضهم والبراءة منهم، وحذّر من مودتهم أو اتخاذهم أولياء، وأخبر أن من يتولهم من المؤمنين فإنه منهم لأنهم أعداء الله ورسوله والمؤمنين، وأثنى الله سبحانه على من يعادي الكافرين ويتبرأ منهم، حاثاً على الإقتداء بهم، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً. من ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ **قاتِلوا الذين لا يُؤمنون بالله ولا باليومِ الآخِرِ ولا يُحَرّمُونَ ما حرّمَ الله ورسوله ولا يَدينون دينَ الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون** ﴾(٣).

٢ - وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تَتّخذُوا اليهودَ والنصارىٰ أولياءَ بعضُهُم أولياءُ بعضٍ ومن يَتَوَلّهُم منكم فإنَهُ منهم إن الله لا يَهدي القومَ الظالمين** ﴾(٤).

٣ - وقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوَّكم أولياءَ تُلْقُونَ إليهم بالمَوَدَّةِ وقد كفروا بما جاءَكُم من الحقّ** ﴾(٥).

٤ - وقوله تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قوماً يُؤمنونَ بالله واليومِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ الله ورسولَهُ ولو كانوا آباءَهُم أو أبناءَهُم أو إخوانَهُم أو عشيرَتَهُم أولئكَ كَتَبَ في قُلُوبِهِمُ الإيمانَ وأيَّدَهُم بِرُوحٍ منهُ ويُدْخِلَهُم جناتٍ تجري من**

---

١) الجامع الفريد ص ٢٧٧. وأما بقية الأنواع فهي : « الرابع : من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر. الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر. السادس : من استهزأ بشئ من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر. السابع : السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر. الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين. التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعهم الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام. العاشر : الإعراض عن دين الله فلا يتعلمه ولا يعمل به. ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه ». الجامع الفريد ص ٢٧٧- ٢٧٨.

٢) سورة آل عمران آية ٨٥.

٣) سورة التوبة آية ٢٩.

٤) سورة المائدة آية ٥١.

٥) سورة الممتحنة آية ١.

تَحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها رَضِيَ الله عنهم وَرَضُوا عنه أولئك حِزْبُ الله ألا إنَّ حِزْبَ الله هُمُ المُفلحون ﴾(١).

٥ - وقوله : ﴿ لقد كان لكم أُسْوَةٌ حسنةٌ في إبراهيمَ والذينَ معهُ إذْ قالوا لِقَومِهِم إنّا بُرَآءُ منكم وممّا تَعبدونَ من دونِ الله كَفرنا بكم وبَدَا بيننا وبينَكُمُ العداوةُ والبغضاءُ أبداً حتى تؤمنوا بالله وَحدَه ﴾(٢).

إلى غير ذلك من النصوص التي تبين أن الكافرين بشتى مللهم ونحلهم أعداؤنا، فيجب أن نتبرأ منهم ونعاديهم ونبغضهم ونحاربهم، إلا أن كثيراً من المسلمين - هداهم الله - وبالأخص بعض الكتاب والصحفيين وغيرهم لم يحققوا ذلك، بل جعلوهم أصحاب وأصدقاء مخالفين بذلك أمر الله ورسوله ﷺ. فإلى الله المشتكى.

المطلب الثاني عشر : تكفيره لمن كذب أو أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة أو تأوله.

بيّن القاضي عياض رحمه الله أن من جحد فريضة من فرائض الإسلام أو كذّب بنص من القرآن، أو بحديث من سنة رسول الله ﷺ مقطوع به مجمع على حمله على ظاهره، أو أنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقيناً بالنقل المتواتر من فعل الرسول ﷺ ووقع الإجماع عليه فإنه يكفر بإجماع المسلمين. وضرب لذلك بعض الأمثلة كمن ينكر الصلوات الخمس وعدد ركعاتها، أو الزكاة أو الحج أو صفته إن كان عالماً به، أو أنكر مكة أو البيت الحرام، أو الجنة، أو النار أو الحساب. كذلك يكفر بالإجماع من لم يصرح بإنكار ما تقدم ولكنه يؤوله على غير مراد الشارع الحكيم، كفعل الباطنية الذين يدّعون أن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم، وكزعمهم هم وغيرهم من الكفرة أن المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معان غير ظاهرة وأنها لذّات روحانية ومعان باطنة وليست على حقيقتها، وكقول بعض المتصوفة إن العبادة وطول المجاهدة تفضي إلى إسقاط التكاليف وإباحة كل شئ لهؤلاء إذا صفت نفوسهم ... إلى غير ذلك من أنواع الكفر(٣).

---

١) سورة المجادلة آية ٢٢.

٢) الممتحنة آية ٤.

٣) انظر الشفا ٢/ ٢٨٦- ٢٩٠، وإكمال المعلم ٢/ ٣٦٢.

تأكيد وتأييد قول القاضي عياض :

مما لا شك فيه أن ما تفضل به أبو الفضل - آنفاً - هو عين الحق والصواب والذي عليه علماء الأمة ولا خلاف بينهم(١) في ذلك، لأن من كذب بالنصوص الثابتة المجمع عليها في الكتاب والسنة فإنه مكذب لله تعالى الذي أوحاها إلى عبده ورسوله محمد ﷺ، وقد تقدم - قريباً -(٢) أن من كذب بآية أو بشيئ من القرآن قلّ ذلك أو كثر، أو غيّر حكماً فيه أو تأوله، فإنه يكفر بالإجماع، والسنة المجمع عليها في حكم القرآن عند جميع العلماء، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، بل كل ما جاء به فهو من عند الله تعالى، قال سبحانه : **﴿ وما ينطقُ عن الهَوى * إن هُوَ الا وَحْيٌ يُوحى ﴾**(٣)، فعدم تصديقه ﷺ بما أخبر به، أو إنكار ما فعله، أو تحريف ما جاء به، هو تكذيب له عليه السلام وجحد لدينه ومحاربة لله ورسوله، وكفر من هذا حاله لا يخفى على مسلم.

يقول الشيخ ملا علىَ القاري - رحمه الله - : (لا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، فإنه يستتاب فإن تاب منها وإلا قتل كافراً مرتداً، والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور كما قال أحد السلف)، وقال أيضاً : (من جحد فرضاً مجمعاً عليه كالصلاة والصوم والزكاة والغسل من الجنابة، وكذا من أنكر حرمة محرّم مجمع عليه كشرب الخمر والزنا وقتل النفس والربا وغير ذلك فإنه يكفر بلا خلاف)(٤).

أما من تأول الواجبات والمحرمات ففسرها على غير المعنى المراد منها الذي بينه الله ورسوله ﷺ وعليه عمل المسلمين، فإن كفره أشد من كفر من أنكرها بالكلية، لأنه زنديق عدو لله متستر بالإسلام للطعن فيه وليهدمه ويحارب أهله، وقد ذكرت أكثر من مرة أن هؤلاء الباطنية ومن شابههم من غلاة الصوفية وغيرهم أكفر من اليهود والنصارى وأفسد للدين وأخطر عليه من هؤلاء، وأمر هؤلاء بيّن وكفرهم واضح ولله الحمد لايحتاج إلى توضيح، ومن كان هذا حاله فهو من أخسر الخلق وأضلهم وأكفرهم بالله تعالى، كما قال سبحانه : **﴿ قُلْ هل نُنَبِّئُكم بالأخسَرينَ أعمالاً * الذين ضَلَّ سَعْيُهُم في الحياة الدنيا وهم يَحسَبونَ أنهم يُحسنون صُنْعاً * أولئكَ الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فَحَبِطَت أعمالُهُم فلاَ نُقيمُ لهم يومَ القيامة وَزْناً * ذلك جَزاؤُهُم جهنم بما**

---

١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٣٣، ٤٥٨ بتحقيق التركي.

٢) انظر المطلب التاسع من هذا المبحث.

٣) سورة النجم آية ٣- ٤.

٤) شرح الفقه الأكبر للملا علي القاري ص ٢٤٢، ٢٥٧.

كفروا واتخَذوا آياتي ورُسُلي هُزواً ﴾(١)، إذ أي فساد وأي كفر أعظم من إبطال الشرائع وإباحة المحرمات وتعطيل النبوات ومحاربة رب الأرض والسماوات ؟! نسأل الله أن يخزي كل عدو للإسلام والمسلمين ظاهراً كان أم باطناً. إنه قوي قدير.

المطلب الثالث عشر : تكفيره لمن استحل ما حرّم الله بعد علمه بتحريمه.

بيّن القاضي عياض - رحمه الله - كفر من استحل ما حرم الله بقوله : (أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل، أو شرب الخمر، أو الزنا، أو غيره مما حرّم الله بعد علمه بتحريمه، كأصحاب الإباحة من القرامطة الباطنيين وغلاة الصوفية)(٢).

صحة قول القاضي عياض وتأييده ببعض أقوال السلف :

لقد أجاد القاضي عياض - رحمه الله - في اختيار مذهب السلف الصالح - رحمهم الله - في باب التكفير ومنها هذه المسألة، فإن العبد لا يخرج عن الإسلام بارتكاب الزنا - كما يقول الخوارج -، كما أن الذنوب تنقص الإيمان وتضعفه وربما أذهبته - بخلاف ما يدعيه المرجئة -.

أما استحلال الذنب فإنه كفر يخرج من الملة كما أجمع على ذلك أهل السنة والجماعة، يقول الإمام أحمد - رحمه الله - وقد سئل عمن استحل محرماً : (المستحل لحرمة الله إذا كان مقيماً عليها باستحلال لها غير متأول لذلك ولا نازعاً عنه، أرى استتابته منها، فإن تاب ونزع عن ذلك ورجع ترك وإلا قتل، مثل من استحل الخمر بعينها والزنا وما أشبهه، فإذا كان الرجل أتى شيئاً من هذا على جهالة بلا استحلال ولا رد لكتاب الله تعالى، فإن الحد يقام عليه إذا تغشى منها شيئاً)(٣).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (من جحد تحريم شئ من المحرمات الظاهرة المتواتر تحريمها، كالفواحش والكذب والخمر وغير ذلك، فهو كافر مرتد إذا أقيمت عليه الحجة فيستتاب فإن تاب وإلا قتل، وإن أظهر ذلك كان زنديقاً منافقاً لا يستتاب عند أكثر العلماء، بل يقتل بلا استتابة إذا ظهر

---

١) الكهف ١٠٣- ١٠٦.
٢) الشفا ٢/ ٢٨٧.
٣) أحكام أهل الملل للخلال ص ٢١٧ نقلاً عن المسائل المروية عن الإمام أحمد ٢/ ٥٥.

ذلك منه)(١).

ويقول الإمام الطحاوي رحمه الله : (ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله)(٢).

وقد رد رحمه الله بهذا القول على الخوارج ومن شابههم القائلين بالتكفير بكل ذنب، ولا شك في بطلان هذا القول لأنه مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة - كما سيأتي لاحقاً إن شاء الله -.

فمرتكب الذنوب يسمى عاصياً فاسقاً بعرف الشرع، أما المستحل للذنب فهو مكذب للشرع فيكفر بذلك - والعياذ بالله - ويدخل في هذا الأمر من يحرّم ما أحل الله بدون دليل من كتاب أو سنة أو إجماع، لأن التحليل والتحريم من صفات الشارع الحكيم سبحانه، قال سبحانه محرماً ذلك ومتوعداً من يفعله : **﴿ ولا تقولوا لِمَا تَصِفُ ألسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هذا حَلالٌ وهذا حرامٌ لِتَفْتَروا على الله الكَذِبَ إنّ الذين يَفترون على الله الكذب لا يُفلِحون ﴾**(٣).

ولهذا تجد علماء هذه الأمة الأخيار يتورعون عن إطلاق القول بالتحليل أو التحريم ما لم يكن فيه نص صريح، ويكتفون بالقول أكره هذا الأمر، أو لا أراه، أو لا بأس فيه أو به، أو لا حرج فيه، ونحو ذلك من الألفاظ. فليتق الله أقوام يقولون بغير علم، ويخوضون في دين الله، فيحللون ويحرمون من غير تثبت، فيتجرؤن على الفتوى ليظهروا براعتهم أو ليعلو صيتهم أو نحو ذلك، وليتذكروا الآية السابقة وما في معناها من النصوص المحذرة من هذا الأمر الخطير.

---

١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٧/ ٦٠٩- ٦١٠، ١١/ ٤٠٥.

٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٤٣٢ بتحقيق التركي.

٣) سورة النحل آية ١١٦.

المطلب الرابع عشر : تكفيره لمن فعل أمراً أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر.

ذهب القاضي عياض إلى تكفير من فعل أمراً أجمعت الأمة على أنه لا يصدر إلا من كافر فقال : (وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر، وإن كان صاحبه مصرّحاً بالإسلام مع فعله ذلك الفعل، كالسجود للصنم والشمس والقمر والصليب والنار، والسعي إلى الكنائس والبيَع مع أهلها والتزيي بزيهم من شد الزنانير وفحص[1] الرؤوس، فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر، وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرّح فاعلها بالإسلام)[2].

تأييد قول القاضي عياض ونقده :

ما ذكره أبو الفضل من كفر من فعل أمراً أجمع المسلمون على أنه مختص بالكفار لا يصدر إلا منهم أمر صحيح لا غبار عليه وقد ضرب لذلك - رحمه الله - بعض الأمثلة كالسجود للصنم والشمس والقمر والصليب والنار إلى آخره ... لكن ينبغي أن يفرق بين التشبه بالكافرين الذي هو كفر يخرج من الملة وبين ما ليس كذلك، فالأول هو ما كان مختصاً بهم في عقيدتهم ودينهم وعلم بالاضطرار أنه من ملتهم، فهذا حكمه الكفر كما وضحه أبو الفضل، ويدخل في ذلك تقديس الصالحين وصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، كسجود المريد لشيخه والاستغاثة بالأموات أو الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله وما شابه ذلك.

وأما النوع الثاني من التشبه، فهو الذي لا يخرج من الملة، ولكنه محرم أو مكروه كما بينت ذلك النصوص الصحيحة، من ذلك ما ورد من النهي عن تقليد الكفار باللباس والشكل والهيئة وأنماط السلوك والأخلاق، كحلق اللحية وترك صبغها عند شيبها، واتخاذ آنية الذهب والفضة، وتشبه الرجال بالنساء وغير ذلك. ومن ذلك أيضاً ما ورد من مخالفتهم في هيئة بعض العبادات كالأمر بصيام يوم قبل أو بعد عاشوراء مخالفة لليهود، وتعجيل الفطور وتأخير السحور مخالفة لأهل الكتاب إلى غير ذلك من الأمور.

---

1) فحصَ الشئ : كشفه . انظر المعجم الوسيط ص ٦٧٥.
2) الشفا ٢/ ٢٨٦- ٢٨٧.

وعليه أقول : إن ما جعله القاضي عياض كفراً (وهو التزيي بزي الكفار) فيه نظر، بل هذا الأمر محرم تحريماً شديداً لا يكفر به صاحبه. إلا إذا فضله على لباس المسلمين واستحسنه وصححه، فإنك تجد كثيراً من المسلمين اليوم قد قلدوا الكفار في لباسهم وهيآتهم، فلبسوا البنطلونات وحلقوا لحاهم وتختموا بالذهب، ولم يقل علماء الأمة أنهم كفروا وارتدوا لأنهم فعلوا ذلك وتشبهوا بالكفار، بل هؤلاء عصاة فساق مخالفون لأوامر الله ورسوله ﷺ، وقد نبّه الإمام الفهامة شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك عند استدلاله بقوله ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم »(١)، فقال : هذا الحديث إسناده جيد وإقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره أنه يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى : ﴿ ومَنْ يَتَوَلَّهُم منكم فإنَّهُ منهم ﴾(٢)، فقد يحمل هذا التشبه المطلق الذي يوجب الكفر ويقتض تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية أو إشعاراً للكفر أو للمعصية كان حكمه كذلك (٣).

وقد بيّن رحمه الله أن التشبه بالكافرين منه ما هو كفر، ومنه ما هو محرّم، ومنه ما هو مكروه، مستدلاً على ذلك بالنصوص التي يطول الحديث عنها هـهنا(٤).

والخلاصة : أن من فعل شيئاً هو من عقيدة الكفار ودينهم ومما هو خاص بهم عالماً بذلك غير جاهل فهو كافر وإن تظاهر بالإسلام، لأن البراءة من الكفار وأفعالهم شرط من شروط التوحيد، أما من تشبه بهم فيها دون ذلك، فلا يكفر ولكنه يأثم ويعاقب بقدر ما فعل وينقص من توحيده واتباعه بحسب ذلك.

فيجب على من يريد النجاة لنفسه والفوز برضا ربه عز جل أن يبغض أعداء الله الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً مهيناً، وحري بالمؤمن أن يتجنب مشابهتهم فيما هم عليه من ضلال وانحراف صغيراً كان ذلك أم كبيراً، وعليه أن يقتدي بخير البرية محمد ﷺ ويتمسك بسنته وسنة خلفائه المهديين ومن تبعهم بإحسان ليكون من المفلحين. نسأل الله أن يهدي

---

١) رواه أحمد ٢/ ٥٠، وأبو داود في كتاب اللباس باب في لبس الشهرة ٤/ ٣١٤ برقم : ٤٠٣١، والحديث صحيح كما قال العلامة الألباني في صحيح الجامع ٥/ ٢٧٠ برقم : ٦٠٢٥.

٢) سورة المائدة آية ٥١.

٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ص ٣١٤ فإنه من أنفس ما كتب في هذا الشأن، فقد جمع فيه رحمه الله النصوص الكثيرة وفصل الكلام في هذا الأمر تفصيلاً دقيقاً مهماً بما لا غنى لطالب العلم عنه فجزاه الله خيراً.

٤) انظر المرجع السابق ص ١٧٨- ١٨٠.

المسلمين للعودة الحميدة إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ومنهج سلفهم الصالح، ولينفضوا عنهم غبار الذل والتقليد والتبعية لأعدائهم التي غلبت على كثير منهم، وهو سبحانه القادر على ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل.

٢١٤/٩
٤٤ خ

الباب الثالث
منهج القاضي عياض في قضايا الإيمان ومباحثه وما يتعلق به من مسائل

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : موقفه من مسمى الإيمان وما يتعلق به من مسائل.

الفصل الثاني : منهجه في الإيمان بالنبوات.

الفصل الثالث : منهجه في الإيمان بالمعاد - أو اليوم الآخر -

الفصل الرابع : موقفه من الصوفية وبعض الفرق الأخرى.

الفصل الأول : موقفه من مسمى الإيمان وما يتعلق به من مسائل. وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان لغة وشرعاً. وفيه ثلاثة مطالب :

المطلـــب الأول : تعريف الإيمان لغة.

المطلــب الثاني : تعريف الإيمان شرعاً.

المطلــب الثالث : تقرير مذهب السلف في مسمى الإيمان.

المبحث الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه. وفيه مطلبان :

المطلـــب الأول : اختلاف الناس في زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلــب الثاني : تقرير مذهب السلف وذكر بعض النصوص على زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث : العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام.

وفيه أربعة مطالب :

المطلـــب الأول : أقسام النصوص الواردة في معنى الإيمان والإسلام.

المطلــب الثاني : موقف العلماء من هذه الأقسام.

المطلــب الثالث : رأي القاضي عياض في هذه المسألة.

المطلــب الرابع : الراجح في ذلك.

المبحث الرابع : حكم الاستثناء في الإيمان. وفيه مطلبان :

المطلـــب الأول : مذاهب الناس في هذه القضية.

المطلــب الثاني : القول الصحيح في هذه القضية وموافقة القاضي عياض له.

المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيرة. وفيه ثلاثة مطالب :

المطلـــب الأول : تعريف الكبيرة لغة واصطلاحاً.

المطلــب الثاني : تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر.

المطلــب الثالث : حكم مرتكب الكبيرة.

المبحث الأول : تعريف الإيمان لغة وشرعاً :

يجدر بي قبل ذكر منهج القاضي عياض رحمه الله في الايمان ومباحثه أن أبيّن معناه لغة وشرعاً.

المطلب الأول : تعريف الإيمان لغة :

الإيمان كما بيّن علماء اللغة مصدر من آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، وهو مشتق من الأمن. قال الجوهري : (الايمان التصديق، والله تعالى المؤمن لأنه أمن عباده من أن يظلمهم، وأصل آمن أأمن بهمزتين ... والأمن ضد الخوف)(١).

وقال ابن منظور(٢) : (الايمان ضد الكفر، والايمان بمعنى التصديق ضده التكذيب، يقال : آمن به قوم وكذب به قوم)(٣).(٤).

وقال الأصبهاني : (آمن إنما يقال على وجهين : أحدهما : متعدياً بنفسه يقال : آمنت أي جعلت له الأمن، ومنه قيل لله مؤمن. والثاني : غير متعد ومعناه : صار ذا أمن. وقوله تعالى : ﴿ **وما أنتَ بِمُؤمِنٍ لنا ولو كُنّا صادقِينَ** ﴾(٥) معناه : ما أنت بمصدق لنا، إلا أن الايمان هو التصديق الذي معه أمن)(٦).

وخلاصة ما سبق أن الايمان في اللغة معناه : التصديق الذي معه أمن وليس مجرد التصديق كما قال القاضي عياض رحمه الله(٧). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (فإن الايمان مشتق من الأمن، فإنما يستعمل في خبر مؤتمن عليه المخبر كالأمر الغائب الذي يؤتمن عليه المخبر... فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الإئتمان أو الأمانة، كما يدل عليه الإشتقاق والإستعمال، ولهذا قالوا

---

١) الصحاح للجوهري ٥/ ٢٠٧١.

٢) هو جمال الدين أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي الانصاري المعروف بابن منظور أديب لغوي بارع، وله مشاركة في كثير من العلوم المختلفة، له مصنفات أشهرها (لسان العرب) الذي يعتبر من أمهات مراجع اللغة العربية ومنها (مختصر تاريخ دمشق) لابن عساكر توفي سنة (٧١١ هـ). انظر شذرات الذهب ٦/ ٢٦، والاعلام للزركلي ٧/ ١٠٨.

٣) لسان العرب ١٣/ ٢١.

٤) إذا كان أصل الايمان التصديق في اللغة، إلا أنه تصديق مخصوص، كما أن الصلاة دعاء مخصوص، والحج قصد مخصوص، وهذا التصديق له لوازم صارت داخلة في مسماه عند الإطلاق فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم. انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٧/ ٢٩٧. فلا بد إذاً في الايمان الشرعي من العمل كما سيأتي.

٥) سورة يوسف آية ١٧.

٦) المفردات للأصبهاني ص ٢٦.

٧) انظر إكمال المعلم ٢/ ٢١٦.

- إخوة يوسف - ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن إليه ﴿ ولو كنا صادقين ﴾ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك فلو صدقوا لم يأمن لهم)(١).

المطلب الثاني : تعريف الإيمان شرعاً :

أ - اختلاف الناس في ذلك.

اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان شرعاً اختلافاً كبيراً.

١ - فذهب أهل السنة والجماعة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين إلى أنه تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان(٢). وهذا هو القول الحق كما سيتبين لك من خلال الأدلة التي استدلوا بها.

٢ - وذهب الجهمية : إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب، وهذا القول هو أفسد الأقوال وأردؤها لأن لازمه أن إبليس وفرعون وقومه وكل من عرف الحق فلم يؤمن به يكون عند هؤلاء مؤمن ولهذا كفر السلف هؤلاء(٣).

٣ - وذهب المرجئة(٤) : إلى نفي أن تكون الأعمال داخلة في مسمى الإيمان وهم على ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : من يقول : الإيمان هو التصديق في القلب، ومن هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما ذكر أبو الحسن

---

١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٧/ ٢٩١- ٢٩٢.

٢) انظر كتاب الايمان لأبي عبيد ص ٥٣- ٥٤، ٦٦، ٧٦، وكتاب الايمان لابن أبي شيبة ص ٤٦، والسنة للخلال ٣/ ٥٨٠- ٥٨٣، والإبانة لابن بطة ٢/ ٨١١، ٨٢٧، والايمان لابن مندة بتحقيق د. الفقيهي ١/ ٣٣١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/ ٨٣٠- ٨٨٩، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦٧- ٧١، ومسائل الايمان لأبي يعلى ص ١٥٢، والإعتقاد للبيهقي ص ١١٥، والايمان لابن تيمية ص ١٢٣، ٢٦٤، ٢٧١، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٣، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٦١- ٦٣.

٣) انظر كتاب الايمان لشيخ الإسلام ص ١٦٦.

٤) الارجاء له معنيان : أحدهما : بمعنى التأخير كما في قوله تعالى :﴿ أَرْجِه وَأَخَاهُ ﴾ (الأعراف : ١١١) بمعنى أخره وأمهله، وسمي المرجئة بهذا المعنى لانهم يؤخرون الأعمال عن النية وعقد القلب، والمعنى الثاني : الارجاء بمعنى إعطاء الرجاء. تقول أرجيت فلاناً أي أعطيته رجاء، وسموا بذلك على هذا المعنى لانهم يقولون (لا يضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة). والمرجئة أصناف كثيرة وفرق متعددة، فمنهم الغلاة كالجهمية، ومنهم من دون ذلك، ويجمعهم القول بأن الأعمال ليست من الايمان. انظر مقالات الاسلاميين ٢/ ٢١٣، والملل والنحل ص ١٣٩.

الأشعري(١)، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كمذهب الجهمية.

الصنف الثاني : من يقول الإيمان هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية، فالمنافقون على مذهبهم مؤمنون كاملوا الإيمان، لكنهم يقولون بأنهم يستحقون العذاب الذي توعدهم الله به، وقول هؤلاء ظاهر البطلان والفساد.

الصنف الثالث : من يقول بأن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عند أهل الفقه والعبادة منهم، وهؤلاء غلطوا من وجوه كثيرة(٢) والنصوص رد عليهم جميعاً.

ب - موقف القاضي عياض من تعريف الإيمان :

وافق القاضي عياض مذهب السلف في كون الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، فقد قال عند شرحه لقوله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان »(٣)، (الإيمان في عرف الشرع تصديق بالقلب واللسان وظواهر الشرع تطلقه على الأعمال كما وقع ههنا، فأفضلها شهادة أن لا اله الا الله وآخرها إماطة الأذى عن الطريق، فتمام الإيمان بالأعمال وكماله بالطاعات والتزام العبادات، وضم هذه الشعب من جملة التصديق ودلائل عليه إذ هي خلق أهل التصديق فليست خارجة عن اسم الإيمان الشرعي ولا اللغوي)(٤).

وقال أيضاً : (إقرار القلب وتصديقه دون اللسان لا ينجي من النار ولا يستحق صاحبه اسم الإيمان في الشرع، ونطق اللسان دون إقرار القلب

---

١) انظر مقالات الإسلاميين ٢/ ٢١٦- ٢٢٥.

٢) انظر تفصيل ذلك والرد عليهم في كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ص ١٧١- ١٨٥.

٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان ١/ ٦٧، برقم : ٩، بلفظ (بضع وستون)، ومسلم في كتاب الإيمان باب عدد شعب الإيمان ١/ ٦٣ برقم : ٣٥.

٤) إكمال المعلم ٢/ ٤١٦- ٤١٧.

وتصديقه لا يغني شيئاً ولا يسمى صاحبه مؤمناً وهو النفاق(١) والزندقة(٢)، وإنما يستحق هذا الاسم من جمعهما، ثم تمام إيمانه وإسلامه بتمام أعمال الإيمان والتزام قواعده وهو المراد بإطلاق اسم الايمان على جميع ذلك في حديث وفد عبد القيس وفيه « أتدرون ما الايمان »(٣) ففسره بما فسر به الإسلام، فقد أطلق الشرع على الأعمال اسم الايمان، إذ هي منه وبها يتم)(٤).

قلت : مراد القاضي من قوله (ثم تمام إيمانه وإسلامه بتمام أعمال الايمان ...) التمام الواجب المستحب بدليل قوله (فقد أطلق الشرع على الأعمال اسم الايمان إذ هي منه وبها يتم)، وبهذا يلتقي منهجه في مسمى الايمان مع منهج السلف في كون الايمان اعتقاداً بالقلب وقولاً باللسان وعملاً بالأركان، وأن الإعمال داخلة في مسماه.

---

١) النفاق مشتق من النافقاء وهي إحدى حجر اليربوع يكتمها ويظهر غيرها، فإذا طلب من واحد هرب إلى الآخر. انظر جمهرة العرب ٣/ ١٥٥، والمعجم الوسيط ٢/ ٩٤٢. والنفاق شرعاً على نوعين : نفاق عقدي أكبر وهو إظهار الايمان وإبطان الكفر - وهو المعني بقول القاضي عياض هنا - ونفاق عملي أصغر، ويطلق على بعض المعاصي كالكذب في الحديث وخيانة الامانة وإخلاف الوعد وغيرها مما نطق به الشارع الحكيم، والاول صاحبه كافر خارج من الملة، بخلاف الثاني فإنه يبطل العمل ولا يخرج من الملة. انظر النهاية في غريب الحديث ٥/ ٩٨، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/ ٤٣٣- ٤٤٠، والتعريفات للجرجاني ص ٢٥٤.

٢) للزندقة عدة معان، فقد تطلق على أتباع دين المجوس أو دين الثنوية، أو على عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، أو على القول ببقاء الدهر، أو على الايمان بالظاهر دون الباطن - وهذا الاخير هو مراد القاضي ههنا - انظر تاج العروس ٦/ ٣٧٣، وجمهرة اللغة ٣/ ٥٠٤، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٨/ ٤٣٤- ٤٣٥.

٣) رواه البخاري في كتاب الايمان باب أداء الخمس ١/ ١٥٧ برقم : ٥٣، ومسلم في كتاب الايمان باب الأمر بالايمان بالله ورسوله وشرائع الدين ١/ ٤٦- ٤٨ برقم : ١٧.

٤) إكمال المعلم ٢/ ٢٧٥- ٢٧٦.

المطلب الثالث : تقرير مذهب السلف في مسمى الإيمان بذكر بعض أقوالهم في ذلك وأدلتهم.

عرف السلف (أهل السنة والجماعة) الايمان كما تقدم بأنه : (تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح) وأقوالهم في هذا الأمر كثيرة جداً يصعب حصرها وإليك طرفاً منها.

أ - ذكر عدد من أقوال السلف في مسمى الإيمان :

- قال علي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما (لا ينفع قول إلا بعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة)(١).

- وقال الحسن البصري رحمه الله (ليس الايمان بالتحلي ولا التمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال)(٢).

- وثبت عن الائمة الكرام، الثوري ومالك وسفيان بن عيينة والأوزاعي ووكيع بن الجراح والفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهم أنه لما سئلوا عن الإيمان قالوا : (الايمان قول وعمل)(٣).

- وقال الإمام أبو بكر بن أبي شيبة(٤) رحمه الله (الايمان عندنا قول وعمل ويزيد وينقص)(٥).

- وقال الإمام البربهاري رحمه الله : (الايمان قول وعمل ونية يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شئ)(٦).

- وقال الإمام الآجري رحمه الله بعد أن ذكر اتفاق الأمة على أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح : (ثم اعلموا أنه لا تجزئ

---

١) أخرجه الآجري في الشريعة ص ١٣١.

٢) أخرجه الآجري في الشريعة ص ١٣٠، وبنحوه أخرجه اللالكائي ٤/ ٨٤٦، وانظر شرح الطحاوية ص ٣٢١.

٣) أخرج ذلك القاسم بن سلاّم في كتاب الايمان ص ٨٣، والخلال في السنة ٣/ ٥٨٠- ٥٨٢، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٤٨/٤- ٨٤٩، والآجري في الشريعة ص ١٣١- ١٣٢، وشيخ الاسلام الصابوني في عقيدة السلف ص ٦٧- ٧٠.

٤) هو الامام العلم سيد الحفاظ أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي، صاحب الكتب الكبار المسند والمصنف والتفسير، وهو من أقران أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن المديني في السن والمولد والحفظ، ولد سنة (١٩٥ هـ) وتوفي سنة (٢٣٥ هـ). انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ١٢٢، وتقريب التهذيب ١/ ٥٢٨، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٢.

٥) الايمان لابن أبي شيبة ص ٤٦.

٦) شرح السنة للبربهاري ص ٢٧.

المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال كان مؤمناً، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين) ثم قال : (اعلموا رحمنا الله وإياكم أنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله عز وجل، علمتم أن الله عز وجل أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل، وأنه عز وجل لم يثنِ على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار إلا بالإيمان والعمل الصالح، وقد قرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده، حتى ضمَّ إليه العمل الصالح الذي قد وفقهم له، من تدبر القرآن وتصفحه، وجده كما ذكرت، إني قد تصفحت القرآن فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعاً من كتاب الله عز وجل، إن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم وبما وفقهم له من الإيمان والعمل الصالح، وهذا رد على من قال (الإيمان المعرفة) ورد على من قال (المعرفة والقول وإن لم يعمل) نعوذ بالله من قائل ذلك)(١).

وتعريف السلف للإيمان بأنه (قول وعمل) يشمل الاعتقاد والنطق باللسان والعمل بالجوارح، فإن القول - كما بينوا (٢) رحمهم الله - قسمان قول القلب وهو الإعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان، عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح.

ب - إجماع السلف على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل :

لقد أجمع السلف الصالح - رحمهم الله - ومن سار على نهجهم بإحسان على أن الإيمان هو التصديق بالجنان والقول باللسان والعمل بالأركان، وقد حكى هذا الإجماع عدد كبير منهم.

فقد قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : (وكان الإجماع من الصحابة والتابعين لهم ومن بعدهم، ومن أدركنا يقولون : الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر)(٣).

- وقال الإمام البخاري رحمه الله : (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء

---

١) الشريعة للآجري ص ١١٩، ١٢٢.

٢) انظر الايمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٧٦- ٧٧، والشريعة ص ١٢٢، وشرح الطحاوية ص ٣٢٤.

٣) نقله اللالكائي عنه في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥/٨٨٦، وشيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الايمان ص ٢٦٥.

بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الايمان قول وعمل ويزيد وينقص)(١).

- وقال الإمام الآجري - رحمه الله - : (اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الايمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ...)(٢).

- وقال الإمام البغوي - رحمه الله - : (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الايمان ... وقالوا : إن الايمان قول وعمل وعقيدة وأنه يزيد وينقص »(٣).

- وقال أبو عمر بن عبدالبر - رحمه الله - : (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية والايمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان إلا ما ذكر عن أبي حنيفة - رحمه الله - فإنه ذهب إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً)(٤).

قلت : أبو حنيفة يوجب العمل ويعتبره من لوازم الايمان، وإن كان لا يدخله في تعريفه، فهو متفق مع السلف في أن الممتنع عن العمل عاص لله ولرسوله ﷺ مستحق للوعيد، وإن مرتكب الكبيرة غير خارج من الملة(٥). ولكن مع هذا يجب طرح هذا الرأي والعمل بقول ما اتفق عليه علماء السلف، لئلا يكون قول أبي حنيفة ومن وافقه ذريعة لأهل البدع والأهواء فيما ذهبوا إليه من آراء منحرفة في هذا الشأن.

- وممن نقل إجماع السلف أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فقد قال : (من أصول الدين عند أهل السنة أن الدين والايمان قول عمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)(٦).

- وقال شارح الطحاوية رحمه الله : (ذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وسائر أهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين، إلى أنه

---

١) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥/٨٨٦، وابن حجر في فتح الباري ١/٦٧، وقال سنده صحيح.

٢) الشريعة ص ١١٩.

٣) شرح السنة للبغوي ١/٣٨- ٣٩.

٤) التمهيد لابن عبدالبر ٩/٢٣٨.

٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٣- ٣١٥.

٦) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بشرح الهراس ص ١٥٢، وكتاب الايمان لشيخ الإسلام ص ١٧٣.

(الإيمان) تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان)(١)، وقال أيضاً : (لا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل)(٢). فاتضح مما سبق أن أهل السنة والجماعة متفقون على هذا الأمر.

وقد استدل السلف رحمهم الله لما ذهبوا إليه بالكتاب والسنة وبالإجماع - الذي تقدم ذكر بعضه -.

ج - ذكر بعض النصوص من الكتاب والسنة على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد :

النصوص الدالة على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح كثيرة جداً، منها ما يخص القول بالقلب واللسان، ومنها ما يخص العمل بالقلب واللسان، ومنها ما يشمل الجميع من العمل باللسان والجوارح.

فمن أدلة قول القلب وهو تصديقه وإيقانه : قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثمَّ لَمْ يَرْتابوا** ﴾(٣)، وقوله سبحانه : ﴿ **والذي جاءَ بالصِّدقِ وصَدَّقَ به أولئك هم المُتَّقونَ* لهم ما يشاءونَ عندَ ربِّهم ذلك جزاءُ المحسنين** ﴾(٤)، وقوله سبحانه : ﴿ **يا أيُّها الرَّسولُ لا يَحْزُنْكَ الذين يُسارعونَ في الكُفرِ مِنَ الذين قالوا آمنا بأفواهِهِم ولَمْ تُؤمِن قلوبُهُم** ﴾ - إلى قوله -﴿ **أولئك الذين لمْ يُرِدِ الله أنْ يُطَهِّرَ قلوبَهُم لهم في الدنيا خِزيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم** ﴾(٥).

ومن أدلة قول اللسان وهو النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما قوله تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أُنزِلَ إلينا وما أُنزِلَ إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتِيَ موسى وعيسى وما أُوتِيَ النبيُّون من ربهم لا نُفَرِّقُ بين أحدٍ منهم ونحنُ له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تَوَلَّوا فإنما هم في شِقاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله وهو السميعُ العليمُ** ﴾(٦)، وقوله سبحانه : ﴿ **إن الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا**

---

١) شرح العقيد الطحاوية ص ٣١٣.

٢) المرجع السابق ص ٣١٥.

٣) سورة الحجرات آية ١٥.

٤) سورة الزمر آية ٣٣- ٣٤.

٥) سورة المائدة آية ٤١.

٦) سورة البقرة آية ١٣٦- ١٣٧.

فلا خوفٌ عليهمْ ولا همْ يَحزَنون ﴾(١).

وقوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ... » الحديث(٢).

ومن أدلة عمل القلب، وهي النية والإخلاص والمحبة والانقياد والتوكل على الله وغير ذلك، فمن ذلك قوله سبحانه : ﴿ **ولا تَطْرُدِ الذين يَدْعون رَبَّهُمْ بالغَداة والعَشيِّ يُريدونَ وَجْهَهُ** ﴾(٣)، وقوله عز وجل : ﴿ **وما لأحدٍ عندَهُ من نعمَةٍ تُجْزىٰ * إلا ابْتغاءَ وَجْهِ ربِّه الأعلىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ** ﴾(٤)، وقوله : ﴿ **الذين آمنوا وتطمئنُّ قُلُوبُهُم بِذِكرِ الله ألا بِذِكرِ الله تطمئنُّ القلوب** ﴾(٥).

وقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »(٦).

وقوله ﷺ في الحديث القدسي : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه »(٧).

وأما أدلة عمل اللسان والجوارح، فهي كثيرة جداً، وعمل اللسان هو ما لا يؤدى إلا به، كتلاوة القرآن والذكر وغير ذلك، وعمل الجوارح كالصلاة والصيام والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك. ومن الأدلة على هذا الأمر قوله سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكُروا الله ذكراً كثيراً * وسَبِّحُوهُ بُكرَةً وأصيلاً** ﴾(٨)، وقوله : ﴿ **إن الذين يَتْلُونَ كتابَ الله وأقاموا الصلاةَ وأنْفَقوا ممّا رَزَقْناهُم سراً وعَلانيَةً يَرْجونَ تجارَةً لَنْ تَبُورَ** ﴾(٩)، وقوله : ﴿ **وما أموالُكم ولا أولادُكم بالتي تُقَرِّبُكم عندَنا زُلْفىٰ إلا مَنْ آمن وَعَملَ صالحاً فأولئك لهم جزاءُ الضِّعْفِ بما عَملوا وَهُمْ في الغُرُفات آمنونَ** ﴾(١٠)، وقوله : ﴿ **ليسَ البِرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ والمَغرِبِ ولكنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بالله واليومِ الآخِرِ والملائكة والكتابِ والنَّبِيِّين وآتى المالَ على حُبِّهِ ذَوِي القُربىٰ واليَتامىٰ والمساكينَ وابنَ السبيلِ والسَّائلينَ**

---

١) سورة الاحقاف آية ١٣.
٢) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص ٨٨ .
٣) سورة الانعام آية ٥٢.
٤) سورة الليل آية ١٩- ٢١.
٥) سورة الرعد آية ٢٨.
٦) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص ١٦٦ .
٧) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه ص ١٦٦ .
٨) سورة الأحزاب آية ٤١- ٤٢.
٩) سورة فاطر آية ٢٩.
١٠) سورة سبأ آية ٣٧.

وفي الرِّقابِ وأقامَ الصلاة وآتىٰ الزكاةَ والمُوفونَ بِعَهدِهِم إذا عاهَدوا والصّابِرينَ في البَأساءِ والضّرّاءِ وحينَ البَأسِ أولئكَ الذينَ صَدَقوا وأولئكَ هُمْ المُتّقون ﴾(١)، وقوله : **﴿ الذينَ آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالِهِم وأنفُسِهِم أعظَمُ دَرَجَةً عندَ اللهِ وأولئكَ هُمُ الفائِزون * يُبَشِّرُهُم ربُّهم برحمةٍ منه ورِضوانٍ وجناتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ خالِدين فيها أبداً إن الله عنده أجرٌ عظيمٌ ﴾**(٢)، وقوله عز وجل في شأن الصلاة : **﴿ وما كان الله ليُضيعَ إيمانَكُم إن الله بالناس لَرَؤوفٌ رحيمٌ ﴾**(٣)، وسبب نزولها أن رجلاً سأل النبي ﷺ لما حوّلت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة، كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ، فنزلت هذه الآية(٤).

وقال ﷺ : « الايمان بضع وستون - وفي رواية بضع وسبعون - شعبة والحياء شعبة من الايمان »(٥)، وقوله ﷺ لوفد عبد القيس : « أتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس » متفق عليه(٦). وغير ذلك من النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في هذا الأمر(٧).

---

١) سورة البقرة آية ١٧٧ .

٢) سورة التوبة ٢٠- ٢١ .

٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

٤) رواه البخاري في كتاب الايمان باب الصلاة من الايمان ١/ ١١٨ برقم : ٤٠، وأخرجه أيضاً برقم : ٣٩٩، ٤٤٨٦، ٤٤٩٢، وأبو داود في كتاب السنة باب الدليل على زيادة الايمان ٥/ ٦٠ برقم : ٤٦٨٠، والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة البقرة ٥/ ١٩٤ برقم : ٢٩٦٨، وقال حديث حسن صحيح، وابن جرير في تفسيره ٢/ ١٧ .

٥) متفق عليه وقد تقدم ص ٤٥٥ .

٦) متفق عليه وقد تقدم ص ٤٥٦ .

٧) لقد توسع الامام الآجري في ذكر ذلك. انظر الشريعة ص ١١٩- ١٢١، ١٢٣- ١٣١، وكذلك الشيخ حافظ حكمي في معارج القبول ٢/ ١٧- ٥٢.

المبحث الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الأول : اختلاف الناس في زيادة الإيمان ونقصانه.

اختلف الناس في زيادة الايمان ونقصانه على ثلاثة مذاهب :

١ - مذهب أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، إلى أن الايمان قول وعمل ونية واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولقد أجمعوا على ذلك(١). وهذا هو المذهب الراجح المعتمد الذي لا يصح غيره - كما سيأتي في تفصيل ذلك -.

٢ - وزعمت الجهمية أن الايمان لا يزيد ولا ينقص وكذلك قال الخوارج، أما المعتزلة فهو عندهم يزيد بالتكاليف، فالغني المكلف بالزكاة إيمانه أكثر من إيمان الفقير الذي ليس عليه زكاة، وأما الشخص الواحد فلا يتصور في حقه زيادة الايمان ونقصانه بالكلية(٢).

٣ - وأما الأشاعرة وغيرهم من المتكلمين ممن سلك سبيلهم، فقد اضطربوا في ذلك، فذهب أكثرهم إلى أن الايمان لا يزيد ولا ينقص، وقالوا متى قيل ذلك كان شكاً والشك كفر، وذهب بعضهم إلى تجويز الزيادة والنقصان، وذهب بعضهم إلى أنه يزيد ولا ينقص(٣).

رأي القاضي عياض في ذلك :

لقد وافق القاضي مذهب السلف في زيادة الايمان ونقصانه فقد قال : (ومذهب أهل السنة القول بأنه (الايمان) يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)(٤) . وقد تقدم أنه اختار مذهبهم في تعريف الايمان شرعاً فيكون بذلك موافقاً لهم في هذين الأمرين المهمّين.

---

١) انظر الايمان لابي عبيد ص ٧٢، والايمان لابن أبي شيبة ص ٤٦، والايمان للحافظ العدني ص ٩٤، والسنة للخلال ٥٨١/٣- ٥٨٢، والابانة لابن بطة ٨٢٩/٢، الشريعة للآجري ص ١١١- ١١٨، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٨٩٠/٥، وعقيدة السلف ص ٦٧- ٧١، والحجة في بيان المحجة ٤٠٥/١- ٤٠٦، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٢٢٣/٧، وغيرها.

٢) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٣، والفرق بين الفرق ص ٣٠٢، والملل والنحل ص ٨٨، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٧/ ٢٢٣.

٣) انظر الارشاد للجويني ص ٣٩٩ بتحقيق محمد يوسف موسى، وجوهرة التوحيد ص ٤٩، وفتح الباري ١/ ٦٧.

٤) إكمال المعلم ٨٦٧/٢.

المطلب الثاني : تقرير مذهب السلف وذكر بعض النصوص على زيادة الإيمان ونقصانه.

أ - ذكر بعض أقوال أئمة السلف على زياة الإيمان ونقصانه :

لو أردنا استقصاء أقوال علماء السلف في بيان هذا الأمر لتعذر ذلك، لكني سأقتصر على ذكر طرف من أقوالهم في هذا الشأن مبتدئاً بأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

- فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول : (تعالوا نزدد إيماناً)(١).

- وقال أبو هريرة وابن عباس وأبو الدرداء -رضي الله عنهم- : (الإيمان يزيد وينقص)(٢).

- وقال معاذ بن جبل - رضي الله عنه - لرجل : (اجلس بنا نؤمن ساعة نذكر الله)(٣).

وقال عمير بن حبيب(٤) رضي الله عنه : (الإيمان يزيد وينقص، فقيل : وما زيادته ونقصانه، قال : إذا ذكرنا الله عز وجل وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا أغفلنا وضيّعنا فذلك نقصانه)(٥).

- وكتب عمر بن العزيز(٦) رحمه الله إلى أحد عماله : (أما بعد : فإن للإسلام شرائع وحدوداً، من استكمله فقد استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ...)(٧).

---

١) أخرجه ابن بطة في الابانة ٨٤٧/٢، وابن أبي شيبة في كتاب الايمان ص ٣٦، والآجري في الشريعة ص ١١٢.

٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة ٨٤٤/٢- ٨٤٥، ٨٤٩، والآجري في الشريعة ص ١١١.

٣) أخرجه أبو عبيد في الإيمان ص ٧٢، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص ٣٥.

٤) هو الصحابي الكريم، عمير بن حبيب بن خماشة المدني، كان ممن بايع تحت شجرة الرضوان، قال ابن حجر لم نجد له رواية عن النبي ﷺ من وجه ثابت، وهو جد أبي جعفر الخَطْمي، انظر أسد الغابة ١٤٢/٤، والإصابة ٣١/٣، وتقريب التهذيب ٣٥٥/١.

٥) أخرجه ابن بطة في الإبانة ٢/ ٨٤٥، والآجري في الشريعة ص ١١٢.

٦) هو الإمام الحافظ، العلامة المجتهد الزاهد العابد، أمير المؤمنين حقاً، أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أشج بني أمية والتابعي الجليل، ولد بمصر سنة (٦١ هـ) وتوفي في الشام سنة (١٠١ هـ) وهو ابن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر، يضرب به المثل بعدله وزهده وتقواه. انظر ترجمته تاريخ خليفة ص ٣٢١، وتذكرة الحفاظ ١١٨/١، وسير أعلام النبلاء ١١٤/٥.

٧) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الايمان ٦٠/١، وابن بطة في الإبانة ٨٥٨/٢، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨٤٤/٤، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص ٤٥.

- وقال مالك بن أنس رحمه الله : (الايمان قول وعمل يزيد وينقص)[١].

- وقال سفيان الثوري وابن عيينة وابن المبارك ووكيع بن الجراح وأحمد ابن حنبل - رحمهم الله جميعاً - : (الايمان قول وعمل يزيد وينقص)[٢].

- أما الإمام البخاري - رحمه الله - فقد بوّب لذلك باباً في صحيحه فقال : (باب زيادة الايمان ونقصانه وقول الله تعالى ﴿ **وزِدْناهُم هُدَىٰ** ﴾[٣]، ﴿ **ويزدادَ الذينَ آمنوا إيماناً** ﴾[٤] ﴿ **اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم** ﴾[٥] فإذا تُرك شيءٌ من الكمال فهو ناقص)[٦]، وتقدم قوله رحمه الله (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص)[٧].

- وقال الآجري : (إن الايمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز أن يقال يزيد ولا ينقص، قال الأوزاعي من زعم أن الايمان يزيد ولا ينقص فاحذروه فإنه مبتدع)[٨].

والواقع أن السلف - رحمهم الله مجمعون على أن الايمان قول وعمل يزيد وينقص، كما نقل ذلك عنهم غير واحد من الأئمة كالبخاري والبغوي وابن عبدالبر وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم[٩].

---

١) أخرجه الخلال في السنة ٣/٥٨٢- ٥٨٣، والآجري في الشريعة ص ١١٧- ١١٨.

٢) أخرجه الخلال في السنة ٣/٥٨٢- ٥٨٣، وابن بطة في الإبانة ٢/٨٥٠- ٨٥١، الآجري في الشريعة ص ١١٦- ١١٧.

٣) سورة الكهف آية ١٣.

٤) سورة المدثر آية ٣١.

٥) سورة المائدة آية ٣.

٦) صحيح البخاري (فتح الباري ١/١٢٧).

٧) ذكره اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥/ ٨٨٦، وابن حجر في الفتح ١/ ٦٧، وقال سنده صحيح.

٨) الشريعة ص ١١٤- ١١٧.

٩) راجع ص ٤٦٤- ٤٦٥، فقد ذكرت ذلك بما لا داعي لتكراره ههنا.

ب - بعض الأدلة من الكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه :

النصوص الدالة على زيادة الايمان ونقصانه كثيرة جداً من ذلك :

- قوله تعالى في مدح المؤمنين : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُم وإذا تُلِيَت عليهِم آياتُهُ زادتهم إيماناً وعلى ربِّهِم يتوكلون** ﴾(١).

- وقوله : ﴿ **هو الذي أنزَلَ السَّكِينَةَ في قلوبِ المؤمنينَ لِيَزْدادوا إيماناً معَ إيمانهم** ﴾(٢).

- وقوله مادحاً عباده المؤمنين : ﴿ **الذين قالَ لهُمْ الناسُ إنَّ الناسَ قدْ جَمَعوا لكم فاخْشَوْهُم فَزَادَهُم إيماناً وقالوا حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل** ﴾(٣).

- وقوله : ﴿ **وإذا ما أُنزِلَت سُورَةٌ فمنهم من يقولُ أيُّكُم زادَتْهُ هذهِ إيماناً فأمّا الذينَ آمنوا فزادَتهُم إيماناً وهم يَستَبْشِرونَ * وأمّا الذين في قلوبِهِم مرضٌ فزادَتهُم رِجْساً إلى رِجْسِهِم وماتوا وهم كافرون** ﴾(٤).

ومن السنة قوله ﷺ : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوئة »(٥).

- وقوله ﷺ : « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرّةٍ(٦) من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة(٧) من خير »(٨) متفق عليه.

وقوله ﷺ : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له في أمته حواريون

---

١) سورة الانفال آية ٢.

٢) سورة الفتح آية ٤.

٣) سورة آل عمران آية ١٧٣.

٤) سورة التوبة آية ١٢٤- ١٢٥.

٥) رواه البخاري في كتاب الايمان باب تفاضل أهل الايمان في الاعمال ١/ ٩١ برقم : ٢٢.

٦) البرة : بضم الباء وتشديد الراء المفتوحة هي القمحة. فتح الباري ١٢٩/١.

٧) الذرة : بفتح الذال وتشديد الراء المفتوحة، قيل هي أقل الأشياء الموزونة، وقيل هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس مثل رؤوس الابر، وقيل غير ذلك. انظر المرجع السابق ١٢٩/١.

٨) رواه البخاري في كتاب الايمان باب زيادة الايمان ونقصانه ١٢٧/١ برقم : ٤٤، ومسلم في كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١٨٢/١ برقم : ١٩٣.

وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلّف من بعدهم خُلُوف(1) يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »(2).

- وقوله : « من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان »(3).

- وقوله : « الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »(4).
والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً. فهذه النصوص تدل دلالة قطعية لا شك فيها على أن الإيمان يزيد وينقص، ويتفاوت أهله فيه، فلم يبق لقول مخالف مع قول الله ورسوله ﷺ مكان، بل يجب أن يطرح رأيه جانباً كائناً من كان.

---

1) الخلوف بضم الخاء جمع خلْف بإسكان اللام وهو الخالف بشرٍّ، وأما بالفتح فهو الخالف بخير. هذا هو الأشهر، وقال جماعة من أهل اللغة كل واحد منهما بالفتح والإسكان ومنهم من جوّز الفتح في الشر ولم يجوّز الإسكان في الخير. شرح صحيح مسلم ٢/٢٨.

2) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ١/٧٠ برقم : ٥٠.

3) رواه أبو داود في كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ٥/ ٦٠ برقم : ٤٦٨١، والترمذي في كتاب صفة يوم القيامة باب منه ٤/ ٦٧٠ برقم : ٢٥٢١، وزاد (وأنكح لله) وقال هذا حديث حسن، وأحمد ٣/ ٤٣٨، ٤٤٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥/ ٢٢٩ برقم : ٥٨٤١.

4) تقدم تخريجه ص٤٥٥ .

المبحث الثالث : العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام.

إن المتتبع لآيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول ﷺ يجد أن اسم الايمان يذكر تارة مفرداً غير مقرون باسم الإسلام، وتارة يذكر مقروناً به، وكذلك اسم الإسلام يذكر مفرداً أحياناً غير مقرون باسم الايمان، وأخرى مقروناً به، فأحياناً يكونان مترادفين بمعنى واحد، وأحياناً متغايرين، فلكلٍ واحد معنى يختلف عن الآخر، ويمكن حصر ذلك في الأقسام التالية :

المطلب الأول : أقسام النصوص الواردة في معنى الإيمان والإسلام.

١ - لقد وردت نصوص من الكتاب الكريم والسنة المطهرة تدل على أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة.

من ذلك قوله سبحانه : ﴿ **قالت الأعرابُ آمَنّا قُلْ لَمْ تُؤمنوا ولكنْ قولوا أسْلَمْنا ولَمّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُم** ﴾(١). ففرقت الآية بين الإسلام والايمان، فدل ذلك على تغايرهما، وأن المراد بالايمان الأعمال الباطنة من تصديق القلب وإقراره ومعرفته، وبالإسلام الأعمال الظاهرة من استسلام العبد لربه تعالى وخضوعه وانقياده وطاعته، فليس كل مسلم مؤمناً، وإنما كل مؤمن هو مسلم.

ومن السنة حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل وفيه : أخبرني عن الإسلام فقال ﷺ : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال : صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال : فأخبرني عن الايمان، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »(٢).

ففي هذا الحديث فرق الرسول ﷺ بين الإسلام والايمان، حيث فسر الايمان بالأعمال القلبية الاعتقادية والإسلام بالأعمال الظاهرة.

- ومن السنة أيضاً حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً - وسعد جالس - فترك رسول الله رجلاً هو أعجبهم إليّ فقلت يارسول الله مالك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال : « أو مسلماً » ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال : « يا سعد إني

---

١) سورة الحجرات آية ١٤.

٢) تقدم تخريجه ص ١٠٦ .

لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار »(١).

فهذه الأدلة وغيرها كثير تدل على أن الإسلام والإيمان متغايران.

٢ - وردت آيات وأحاديث تفيد بأن الأعمال الظاهرة داخلة في مسمى الإيمان.

من ذلك قوله سبحانه : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يَرْتابوا وجاهدوا بأموالِهم وأنفسِهم في سبيلِ الله أولئكَ هُمُ الصادقون** ﴾(٢)، وقوله : ﴿ **إن الدينَ عندَ الله الإسلامَ** ﴾(٣)، وقوله : ﴿ **ومن يَكفُر بالإيمانِ فقدْ حَبِطَ عملُه** ﴾(٤)، وقوله : ﴿ **ومن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرةِ من الخاسرين** ﴾(٥)، وقوله : ﴿ **اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم وأتْمَمْتُ عليكُم نِعمَتي ورَضِيْتُ لكم الإسلامَ ديناً** ﴾(٦).

فيدخل في الإيمان معنى الإسلام، كما يدخل في الإسلام معنى الإيمان، لأن الإيمان الذي دعا الله إليه عباده وافترضه عليهم، إنما هو الإسلام الذي جعله سبحانه ديناً وارتضاه لهم وأبى أن يقبل منهم غيره وهو ضد الكفر الذي سخطه وكرهه لهم فلم يرتضه عز وجل.

ومن الأحاديث قوله ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبه فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »(٧).

ومنها قوله ﷺ في حديث عمرو بن عبسه(٨) - رضي الله عنه - قال : قال

---

١) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ١/ ١٠٠ برقم : ٢٧، واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان باب تألف من يخاف على إيمانه لضعفه ١/ ١٣٢ برقم : ١٥٠. ومعنى (خشية أن يكبه الله في النار) أي أتألف قلبه بالإعطاء مخافة من كفره إذا لم يعط. شرح صحيح مسلم ٢/ ١٨٠.

٢) سورة الحجرات آية ١٥.

٣) سورة آل عمران آية ١٩.

٤) سورة المائدة آية ٥.

٥) سورة آل عمران آية ٨٥.

٦) سورة المائدة آية ٣.

٧) تقدم تخريجه ص ٤٥٥.

٨) هو أبو نجيح، عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر بن غاضرة بن امرئ القيسي السلمي، أسلم بمكة ثم رجع إلى بلاده، فلما علم بهجرة النبي ﷺ جاء المدينة فسكنها بعد خيبر وقبل الفتح، وقد كان من أمراء الجيش يوم اليرموك، توفي بالشام في أواخر خلافة عثمان كما قال ابن حجر. أنظر أسد الغابة ١١٩/٤، وسير أعلام النبلاء ٤٥٦/٢، والإصابة ٥/٣.

رجل : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال : « أن يسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك »، قال : فأي الإسلام أفضل ؟ قال : « الإيمان »، قال : وما الإيمان ؟ قال : « تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت »، قال : فأي الإيمان أفضل ؟ قال : « الهجرة »، قال : فما الهجرة ؟ قال : « تهجر السوء »، قال : فأي الهجرة أفضل ؟ قال : « الجهاد »(١).

المطلب الثاني : موقف العلماء من هذه الأقسام.

لقد اختلف علماء السلف في هذه المسألة على قولين :

الأول : أن الإسلام والإيمان شئ واحد، أي أنهما مترادفان يراد بأحدهما ما يراد بالآخر.

وهذا قول جماعة من العلماء منهم الإمام البخاري، وابن حزم وابن عبد البر وغيرهم(٢).

القول الثاني : وذهب آخرون إلى التفريق بينهما وقالوا إن الإسلام غير الإيمان، واستدلوا لذلك بنصوص من الكتاب والسنة التي تقدم طرف منها في القسم الأول، وهذا القول لجماعة من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس والحسن البصري وابن سيرين(٣).(٤).

قال الحافظ ابن رجب(٥) - رحمه الله - وقد نقل التفريق بينهما عن كثير

---

١) رواه أحمد ٤/ ١١٤، وعزاه الهيثمي أيضاً إلى الطبراني في الكبير وقال رجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد ١/ ٥٩.

٢) انظر فتح الباري ١/ ٦٠، ١٤٠، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي ١/ ٤٠٢، ٢/ ٥٠٦، ٥٣١ بتحقيق الفريوائي، والايمان لابن مندة ١/ ٣٢١-٣٢٢، والمحلى لابن حزم ١/ ٣٨، والتمهيد لابن عبدالبر ٩/ ٢٤٩-٢٥٠.

٣) هو الإمام شيخ الإسلام الثقة الثبت العابد، أبو بكر محمد بن سيرين، الانصاري البصري مولى أنس بن مالك رضي الله عنه، رأى ثلاثين من الصحابة، كان لا يرى الرواية للحديث بالمعنى، وكان يرى أن أهل الأهواء أسرع الناس ردة وهو القائل : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، ولد سنة (٢١ هـ) وتوفي (١١٠ هـ) وهو ابن (٧٨ سنة). انظر مشاهير علماء الأمصار ص ٨٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٦٠٦.

٤) انظر كتاب الايمان لابن مندة ١/ ٣١١.

٥) هو الإمام الحافظ المقرئ الزاهد الحجة، أبو الفرج زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، البغدادي الدمشقي، اشتهر بعلمه وشدة تأثيره في الوعظ، فكانت مواعظه صارعة للقلوب وللناس عامة مباركة نافعة ، واجتمعت الناس والقلوب عليه بالمحبة له، له مصنفات كثيرة منها جامع العلوم والحكم، والقواعد الفقهية، وغيرها، توفي سنة (٧٩٥ هـ) انظر شذرات الذهب ٦/ ٣٣٩، والاعلام ٣/ ٢٩٥.

من السلف منهم قتادة وداود(١) بن أبي الهند، والزهري، وحماد بن زيد(٢)، وابن مهدي(٣)، وابن أبي ذئب(٤)، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين(٥)، وغيرهم على اختلاف بينهم في التفريق بينهما، وكان الحسن وابن سيرين يقولان مسلم ويهابان مؤمن(٦).

المطلب الثالث : رأي القاضي عياض في التفريق بين الإسلام والإيمان.

ذهب القاضي عياض رحمه الله إلى التفريق بينهما، فقد قال في شرح حديث جبريل : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وذكر الصلاة والصوم والحج والزكاة، وقال - يعني النبي ﷺ - : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ... » إلى آخر ما ذكر يفرق بين الإسلام والإيمان، وقال (يعني النبي ﷺ) في حديث ضمام(٧) النجدي ثم ذكر بعد هذا

---

١) هو الإمام الحافظ، أبو محمد داود بن أبي هند دينار بن عذافر الخراساني ثم البصري، كان ثقة متقناً لكنه وهم في آخر عمره، كان خياطاً يأكل من كسب يده، توفي سنة (١٣٩ هـ) انظر تاريخ خليفة ص ٤١٨، وسير أعلام النبلاء ٣٧٦/٦، وتقريب التهذيب ٢٨٣/١.

٢) هو الإمام الحافظ الثقة الثبت أبو إسماعيل، حماد بن زيد بن درهم الأزدي البصري، كان محدث زمانه قال عنه ابن مهدي (لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة منه)، عمي في آخر عمره، توفي في رمضان سنة (١٧٩ هـ) انظر تاريخ خليفة ص ٤٥١، وسير أعلام النبلاء ٤٥٦/٧، وتقريب التهذيب ٢٣٨/١.

٣) هو الإمام الناقد المجود سيد الحفاظ، أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان البصري، كان ثقة ثبتاً عارفاً بالرجال والحديث، قال عنه ابن المديني (هو أعلم الناس بالحديث) ولد سنة (١٣٥ هـ) وتوفي سنة (١٩٨ هـ) بالبصرة. انظر تاريخ خليفة ص ٤٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٩٢/٩، وتقريب التهذيب ٥٩٢/١.

٤) هو الإمام شيخ الإسلام، أبو الحارث محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب هشام بن شعبة العامري المدني، كان ثقة فقيهاً قوّالاً بالحق ناصحاً للولاة من أورع الناس وأودعهم، ولد سنة (٨٠ هـ) وتوفي سنة (١٥٩ هـ) بالكوفة انظر مشاهير علماء الأمصار ص ١٤٠، وتذكرة الحفاظ ١٩١/١، وتقريب التهذيب ١٠٥/٢.

٥) هو الإمام الحافظ الثقة الجهبذ، شيخ المحدثين وإمام الجرح والتعديل، أبو زكريا يحيى بن معين ابن عون البغدادي، كان أكثر أئمة الجرح والتعديل صواباً وأندرهم خطأً وأشدهم إنصافاً وإبعدهم عن التحامل، ورث له أبوه ألف ألف درهم فأنفقه كله على الحديث، ولد سنة (١٥٨ هـ) وتوفي بالمدينة سنة (٢٥٣ هـ) انظر طبقات الحفاظ ص ١٨٥، وسير أعلام النبلاء ٢٧١/١١، وتقريب التهذيب ٣١٦/٢.

٦) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ٢٦.

٧) هو ضمام بن ثعلبة السعدي، وفد على النبي ﷺ رسولاً عن قومه سنة تسع على الصحيح، وقد أعجب الصحابة رضي الله عنهم بإيجازه وإحسانه في السؤال، وقد أسلم قومه بإسلامه. قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام. انظر الاستيعاب ٢/ ٢٠٧، وأسد الغابة ٣/ ٤٢،

حديث وفد عبد القيس وفيه « أتدرون ما الايمان » ففسره بما فسر به الإسلام في الحديثين الأولين، فسّر مجرد الايمان الذي هو التصديق والذي محله القلب، وفسّر الإسلام الذي هو العمل الظاهر من شهادة اللسان وأعمال البدن، والذي بمجموعها يتم الإسلام والايمان، إذ إقرار القلب وتصديقه دون نطق اللسان لا ينجي من النار ولا يستحق صاحبه اسم الإيمان في الشرع، وإذا نطق اللسان دون إقرار القلب وتصديقه لا يغني شيئاً ولا يسمى صاحبه مؤمناً وهو النفاق والزندقة، وإنما يستحق هذا الإسم من جمعها، ثم تمام إيمانه وإسلامه بتمام أعمال الايمان المذكورة في الحديثين والتزام قواعده، وهو المراد بإطلاق اسم الايمان على جميع ذلك في حديث وفد عبد القيس، فقد أطلق الشرع على الأعمال اسم الايمان، إذ هي منه وبها يتم، ولكن حقيقته في وضع اللغة التصديق وفي عرف الشرع التصديق بالقلب واللسان، فاذا حصل هذا حصل الايمان المنجي من الخلود في النار، لكن كماله المنجي بالجملة من دخولها رأساً بكمال خلاص الإسلام، وبهذا المعنى جاءت زيادته ونقصانه على مذهب أهل السنة، ولهذه المعاني يأتي اسم الايمان والإسلام في الشرع مرة مفترقاً ومرة متفقاً. قال تعالى: ﴿ **قُلْ لمْ تُؤمنوا ولكنْ قولوا أسْلَمْنا** ﴾(١)، وقال: ﴿ **فأخرَجنا مَنْ كانَ فيها منَ المُؤمنينَ * فما وَجَدْنا فيها غيْرَ بَيْتٍ منَ المُسلمين** ﴾(٢)، وذلك أن الايمان إذا كان بمعنى التصديق، والإسلام بمعنى الإستسلام صح أن يكون الإسلام بالجوارح وأعمال الطاعات إيماناً وتصديقاً، وصح أن يكون الإقرار باللسان عن تصديق القلب استسلاماً، فأطلق اسم كل واحد منهما على الآخر بخلاف إذا اختلفا ففارق الباطن الظاهر والنطق والعمل العقد والنية، فيسمى الظاهر إسلاماً ولا يسمى إيماناً، كما قال تعالى: ﴿ **قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾(٣))(٤).

وقال رحمه الله أيضاً في شرح حديث سعد رضي الله عنه وقوله للنبي ﷺ أعط فلاناً فإني لأراه مؤمناً فجعل الرسول ﷺ يقول: « أو مسلماً »(٥) (هذا الحديث أصح دليل على الفرق بين الايمان والإسلام وأن الايمان باطن ومن

والإصابة ٢/ ٢٠٢.

١) سورة الحجرات آية ١٤.

٢) سورة الذاريات آية ٣٥- ٣٦.

٣) سورة الحجرات آية ١٤.

٤) إكمال المعلم ٢/٢٧٦- ٢٧٨.

٥) تقدم تخريجه ص٤٦٩ .

عمل القلب، والإسلام ظاهر ومن عمل الجوارح ولكن لا يكون مؤمن إلا مسلماً، وقد يكون مسلماً غير مؤمن، ولفظ الحديث يدل عليه، وفيه رد على الكرامية وغلاة المرجئة(١) في حكمهم بصحة الإيمان لمن نطق بالشهادتين وإن لم يعتقدها بقلبه، لنفي النبي ﷺ الإيمان عنه(٢) واقتصاره به عن الإسلام)(٣).

المطلب الرابع: الرأي الراجح في مسألة التفريق بين الإيمان والإسلام.

أرجح الأقوال في هذه المسألة، ما ذهب إليه أكثر العلماء(٤) - ومنهم القاضي عياض كما تقدم كلامه - من أن الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما شمل الدين كله أصوله وفروعه من المعتقدات والأفعال الظاهرة والباطنة، وإذا قرن بينهما وذكرا معاً فإنهما يفترقان في المعنى، فيراد بالإسلام الأعمال الظاهرة، مثل الشهادتين والصلاة والزكاة إلى غير ذلك، ويراد بالإيمان الأعمال الاعتقادية الباطنة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله إلى آخره.

وهذا القول هو الذي تجتمع فيه النصوص الواردة في هذه المسألة وبه يزول الاختلاف. فيقال إذا اجتمعا افترقا - كما في حديث جبريل - حيث فرق بينهما فخص الإيمان بالأعمال الباطنة، والإسلام بالأعمال الظاهرة، وإذا افترقا اجتمعا وتلازما، - كما في حديث وفد عبد القيس - حيث فسَّر الإيمان بما فسَّر به الإسلام في حديث جبريل، وكما في حديث عمرو بن عبسة حيث فسَّر الإسلام بما فسر به الإيمان. ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿ **إنَّ الدينَ عندَ الله الإسلامَ** ﴾(٥)، وقوله: ﴿ **ومَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقبلَ منه وهو في الآخرةِ منَ الخاسرين** ﴾(٦)، وقوله: ﴿ **ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً** ﴾(٧).

وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث شبَّه الإيمان بالروح والبدن فقال: (فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن ولا يوجد بدن حي إلا

---

١) تقدم التعريف بالكرامية ص٢١٨ ، والتعريف بالمرجئة ص٤٥٤ .

٢) قلت : قول القاضي إن النبي ﷺ نفى الإيمان عنه كلام فيه نظر، فإنه - عليه السلام - لم ينف الإيمان عنه، بل أثبت له الإسلام الظاهر وبهذا يحكم على العبد بما يظهر عليه من الإسلام أما الباطن فعلمه عند الله لا يطلع عليه غيره.

٣) إكمال المعلم ٣/ ٦٧٧- ٦٧٨.

٤) انظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ص ١٥، ٤٨، ٢٢٢، وشرح الطحاوية ص ٣٩٢- ٣٩٣، وجامع العلوم والحكم ٢٦/١، وفتح الباري ١٤١/١.

٥) سورة آل عمران آية ١٩.

٦) سورة آل عمران آية ٨٥

٧) سورة المائدة آية ٣.

مع روح، وليس أحدهما الآخر، فالإيمان كالروح فإنه قائم بالروح متصل بالبدن، والإسلام كالبدن ولا يكون البدن حياً إلا مع الروح، بمعنى أنهما متلازمان لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر)(١).

المبحث الرابع : حكم الاستثناء في الإيمان.

المطلب الأول : اختلاف الناس في ذلك.

اختلف الناس(٢) في مسألة الإستثناء في الايمان - وهو قول المرء أنا مؤمن إن شاء الله - على ثلاثة أقوال، طرفان ووسط، فمنهم من يحرمه، ومنهم من يوجبه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويحرمه باعتبار، وهو أصح الأقوال - كما سيتضح لك فيما بعد -.

١ - فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه، فيقول أنا أعلم أني مؤمن كما أعلم أني تكلمت بالشهادتين، فقولي أنا مؤمن كقولي أنا مسلم، فمن استثنى في إيمانه فهو شاك فيه، وقد سمَى هؤلاء الذين يستثنون في إيمانهم الشكاكة.

٢ - والذين يوجبونه هم الكلابية ومن نحا نحوهم، وقد عللوا ذلك بأمرين :

أ - أن الايمان هو ما مات عليه الإنسان، وهو إنما يكون عند الله تعالى مؤمناً أو كافراً باعتبار الموافاة وما سبق في علم الله تعالى أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به ولا يعلم أحد بمايختم له به، وقد غلت طائفة في هذا المذهب فاستثنوا في الأعمال الصالحة، فصار أحدهم يقول مثلاً صليت إن شاء الله وحججت إن شاء الله، وزكيت إن شاء الله ويكون قد فعل ذلك، بل صار منهم من يستثني في كل شئ فيقول أحدهم هذا حبل إن شاء، الله فإن قيل له هذا لا شك فيه. يقول نعم لكن إذا شاء الله غيّره.

ب - والحجة الثانية التي احتج بها هؤلاء هو قولهم إن الايمان المطلق يتضمن فعل جميع ما أمر الله به وترك جميع ما نهى الله عنه، فإذا قال العبد (أنا مؤمن) بهذا الاعتبار فقد زكى نفسه وشهد لها بأنه من الأبرار المتقين، ولازم هذا أنه ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على تلك الحال، وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوّزوا تركه بمعنى آخر - كما

---

١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٧/ ٣٦٧.

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٢٨٩/٣-٢٩٠، ٢٥٣/٧-٢٩٥، ٤١٥- ٤١٩، ٤٢٩- ٤٣٥، ٦٦٦- ٦٧٠، ٤٠/١٣- ٤٧، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٣٣٥- ٣٣٨ فقد توسعا في ذكر أدلة كل فرق مع مناقشتها بما لا داعي لذكره هھنا.

سيأتي -.

المطلب الثاني : الرأي الراجح في المسألة.

المذهب الوسط الصحيح الراجح في المسألة هو تجويز الاستثناء باعتبار ومنعه باعتبار، فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه منع الاستثناء - وهذا مما لا خلاف فيه بين أهل السنة والجماعة - وعلى هذا يحمل ما ورد عن بعض السلف من منع الاستثناء في الإيمان، وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين ولا يعلم بما يختم له به فالاستثناء جائز، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله تعالى لا شكاً في إيمانه، وعلى هذا أيضاً يحمل قول من استثنى من السلف، وهذا القول في القوة كما ترى وهو ما عليه العمل عند جماهير السلف كالإمام أحمد والآجري وابن تيمية وغيرهم(١).

ولكن تنبغي الإشارة ههنا إلى أن السلف مع اختيارهم هذا المذهب كانوا يكرهون السؤال عن هذه القضية بأن يقال مثلاً أمؤمن أنت ؟. يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (قد كان أحمد وغيره من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره أمؤمن أنت ؟ ويكرهون الجواب، لأن هذه بدعة أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم، فإن الرجل يعلم من نفسه أنه ليس بكافر، بل يجد قلبه مصدقاً بما جاء به الرسول ﷺ، فيقول أنا مؤمن فيثبت أن الايمان هو التصديق لأنك تجزم بأنك مؤمن، ولا تجزم بأنك فعلت كل ما أمرت به، فلما علم السلف مقصدهم صاروا يكرهون الجواب، أو يفصّلون في الجواب، وهذا لأن لفظ (الايمان) فيه إطلاق وتقييد، فكانوا يجيبون بالإيمان المقيد الذي يستلزم أنه شاهد فيه لنفسه بالكمال، ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يقال : أنا مؤمن إذا أراد ذلك، لكن ينبغي أن يقرن كلامه بما يبين أنه لم يرد الايمان المطلق الكامل، ولهذا كان أحمد يكره أن يجيب على المطلق بلا استثناء يقدمه)(٢).

رأي القاضي عياض في الاستثناء بالإيمان.

رجح أبو الفضل رحمه الله مذهب جماهير السلف في هذه القضية فقد قال : (وهي مسألة اختلف فيها من زمان الصحابة - رضي الله عنهم - إلى هلمّ جرّا وكل قول إذا حقق كان له وجه وفي طرف لا ينافي القول الآخر، فمن لم يستثن أخبر عن حكم نفسه في الحال، وأما المآل فإلى العالم به، ومن استثنى

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٧/ ٢٥٤- ٢٥٧، ٤١٥، ٤٣١- ٤٣٤، والشريعة للآجري ص ١٣٦، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد ١/ ١٢٠- ١٢٤.

٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٤٨/٧- ٤٤٩.

أشار إلى غيب ما سبق له في اللوح المحفوظ، وإلى التوسعة في القولين ذهب من السلف الأوزاعي وغيره، وهو قول أهل التحقيق نظراً إلى ما قلناه ورفعاً للخلاف)(١).

المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيرة.

المطلب الأول : تعريف الكبيرة لغة واصطلاحاً.

قبل البدء ببيان حكم مرتكب الكبيرة وتفصيل القول فيها، يحسن إيضاح معنى الكبيرة لغة واصطلاحاً لضبطها وتحديد معالمهما ومفهومها.

أ - تعريفها لغة :

قال ابن منظور : (الكبر : الإثم الكبير وما وعد الله عليه في النار، والكبرة كالكبر التأنيث للمبالغة، وفي التنزيل العزيز ﴿ **والذين يَجتَنِبُونَ كبائِرَ الإثمَ والفواحشَ** ﴾(٢)، وفي الأحاديث ذكر الكبائر في غير موضع واحدتها كبيرة، وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً لعظيم أمرها)(٣).

ب - تعريف الكبيرة شرعاً :

اختلف العلماء - رحمهم الله - في ضابط الكبيرة على أقوال كثيرة(٤) أورد القاضي عياض عدداً منها فقال : (اختلفت الآثار وأقوال السلف والعلماء في أعداد الكبائر وضابطها :

١ - فقال ابن عباس رضي الله عنهما (كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة) وسئل أهي سبع ؟ فقال : (هي إلى السبعين - ويروى - إلى سبعمائة).

٢ - وقال أيضاً : - يعني ابن عباس - الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب، وروي نحوه عن الحسن.

٣ - وقيل : هي ما أوعد الله عليه بنار أو حد في الدنيا وعدّوا الإصرار على الصغائر من الكبائر، فروي عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما قولهم : (لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار).

٤ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه وجماعة من العلماء (الكبائر جميع ما

---

١) إكمال المعلم ٣/ ٦٧٩، وانظر ترتيب المدارك ٣/ ١١٦.

٢) سورة الشورى آية ٣٧.

٣) لسان العرب ٥/١٢٩.

٤) انظر شرح صحيح مسلم ٢/٨٤-٨٧، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ١١/٦٥٠-٦٦٠، ومدارج السالكين ١/٣٤٧- ٣٥٣، وفتح الباري ١٠/٤٢٣- ٤٢٤، ١٢/١٨٩- ١٩١، وشرح الطحاوية ص ٣٥٧- ٣٥٨، والزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي ١/٥- ١٠.

نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى قوله تعالى ﴿ **إنْ تَجْتَنِبوا كبائرَ ما تُنهوْنَ عنه** ﴾(١) .

٥ - وقيل : يحتمل ذكر النبي ﷺ لما ذكر من الكبائر أن ثَمّ كبائر لم تبيّن ليكون الناس على اجتناب جميع المنهيات على حذر لئلا يواقعوا كبيرة)(٢).
قلت : بمعنى أنها خفيت كليلة القدر وساعة استجابة الدعاء يومِ الجمعة. قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (وأما الكبائر فاختلف السلف فيها اختلافاً لا يرجع إلى تباين وتضاد وأقوالهم متقاربة)(٣)، قلت : بل بينها تباين والصحيح ما سيأتي.

ج - الراجح في المسألة :

الراجح في تعريف الكبيرة هو ما اختاره المحقق الرباني شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - معتمداً على ما رواه ابن جرير - رحمه الله - عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نُكَفِّرُ عنكم سيئاتكم ونُدخِلْكُم مُدخَلاً كريماً** ﴾(٤)، قال : (الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب)(٥)، وقال شيخ الإسلام في سبب ترجيحه لهذا الرأي : (وهذا القول يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخل كل ما ثبت في النص أنه كبيرة، كالشرك والقتل والزنا والسحر وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة مشروعة، وإنما قلنا هذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط المذكورة لوجوه :

أحدها : أنه المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط فإنها لا تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والإئمة.

الثاني : أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب، فهو حد يتلقى من خطاب الشارع.

الثالث : أن هذا الضابط يمكن الفرق بينه وبين الكبائر والصغائر، وأما تلك الأمور فلا يمكن الفرق بها بين الكبائر والصغائر)(٦).

---

١) سورة النساء آية ٣١.
٢) إكمال المعلم ٢/ ٥٣٨- ٥٣٩.
٣) مدارج السالكين ١/ ٣٤٧.
٤) سورة النساء آية ٣١.
٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥/ ٤١.
٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام مختصراً ١١/ ٦٥١- ٦٥٥.

وقد اختار هذا القول أيضاً الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية(١) والإمام الحافظ ابن حجر، فقد قال رحمه الله : (إن كل ما توعد عليه باللعن أو العذاب أو شرع فيه حد فهو كبيرة هو المعتمد)(٢)، وقال أيضاً : (ومن أحسن التعاريف قول القرطبي في المفهم : (كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبيرة أو عظيم، أو أخبر فيه بشدة العقاب أو علق عليه الحد، أو شدد النكير عليه فهو كبيرة) وعلى هذا فينبغي تتبع ما ورد فيه الوعيد أو اللعن أو الفسق من الكتاب أو الأحاديث الصحيحة أو الحسنة، ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة فمهما بلغ مجموع ذلك عرف منه تحرير عدها، وقد شرعت في جمع ذلك وأسأل الله على تحريره بمنّه وكرمه)(٣).

وقد رجّح هذا الرأي الإمام الشوكاني أيضاً مستشهداً كذلك بقول القرطبي السابق(٤).

د - عدد الكبائر :

اختلف العلماء - رحمهم الله - في عدد الكبائر كما اختلفوا في ماهيتها، فقيل هي سبع، وقيل هي تسع، وقيل عشر، وقيل اثنتا عشر، وقيل أربعة عشر، وقيل ست وثلاثون، وقيل سبعون، وقد مال الحافظ الذهبي رحمه الله إلى هذا الرأي وصنف في ذلك كتاباً(٥)، أنهاها فيه إلى ست وسبعين، وقيل هي إلى سبعمائة أقرب(٦). وقد جمع ابن حجر الهيتمي(٧) - رحمه الله - فيها مصنفاً

---

١) انظر شرح الطحاوية ص ٣٥٨- ٣٥٩، وقد نقل نص كلام شيخ الإسلام السابق.

٢) فتح الباري ١٢/ ١٩٠.

٣) المرجع السابق ١٢/ ١٩١.

٤) انظر فتح القدير ٥/ ١١٢، ونيل الأوطار ١٠/ ٢٤٣.

٥) أعني كتاب الكبائر، وقد طبع عدة طبعات أفضلها طبعة مكتبة السنة عام ١٤١٣ هـ التي حققها أبو عبدالرحمن السلفي حيث حقق فيها الكتاب على المخطوطة الأصلية له كما قال، بخلاف الطبعات السابقة، فإن فيها قصصاً ومنامات وأحاديث ضعيفة بل وموضوعة يستبعد أن تنسب للإمام الحافظ الذهبي.

٦) ذكر هذا العدد القاضي عياض ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما كما نسب إليه القول الذي قبله. انظر إكمال المعلم ٢/٥٣٨.

٧) هو أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، لقب بشيخ الإسلام وشهاب الدين، كان أحد أئمة وفقهاء الشافعية في عصره، مشهوراً بعلمه وتقواه، له مصنفات عديدة منها تحفة المحتاج لشرح المنهاج، والصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة، توفي سنة (٩٧٤ هـ). انظر البدر الطالع للشوكاني ١/١٠٩، والأعلام للزركلي ١/٢٣٤.

حافلاً سماه (الزواجر عن اقتراف الكبائر) ذكر فيه نحواً من أربعمائة معصية.

والراجح في هذه المسألة أن عدد الكبائر غير منحصر برقم معين، لأنه لا دليل يدل على انحصارها بعدد معين(١)، وإلى هذا ذهب القاضي عياض(٢).

المطلب الثاني : تقسيم الذنوب إلى كبيرة وصغيرة

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، والأدلة على ذلك كثيرة جداً منها :

١ - قول الله عز وجل ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تُنهَوْنَ عنه نُكفّر عنكم سيئاتكم ونُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كريماً** ﴾(٣).

٢ - وقوله عز وجل أيضاً ﴿ **الذين يجتنبون كبائرَ الإثمِ والفواحشَ إلا اللّمَم** ﴾(٤).

٣ - وقوله عز وجل كذلك ﴿ **وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ مستطِر** ﴾(٥).

٤ - وقوله عليه الصلاة والسلام « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر »(٦).

٥ - وقوله ﷺ أيضاً : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثاً -، قالوا : بلى يا رسول الله، قال : الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس وقال : ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور » - قال الراوي - فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت(٧).

٦ - وقوله ﷺ « ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله »(٨). والنصوص في هذا الباب كثيرة.

---

١) انظر إرشاد الفحول للشوكاني ص ٥٢- ٥٣، وفتح القدير ١/ ٤٥٨، والزواجر عن اقتراف الكبائر ١٠/١، ومختصر سنن أبي داود ٢٥٤/٤.

٢) إكمال المعلم ٥٤١/٢.

٣) سورة النساء آية ٣١.

٤) سورة النجم آية ٣٢.

٥) سورة القمر آية ٥٣.

٦) رواه مسلم في كتاب الطهارة باب الصلوات الخمس ٢٠٩/١ برقم : ٢٣٣.

٧) رواه البخاري في كتاب الأدب باب عقوق الوالدين من الكبائر ٤١٩/١٠، برقم : ٥٩٧٦، ومسلم في كتاب الايمان باب بيان الكبائر وأكبرها ٩١/١ برقم : ٨٧.

٨) رواه مسلم في كتاب الطهارة باب فضل الوضوء والصلاة عقبه ٢٠٦/١ برقم : ٢٢٨.

أ - اختلاف الناس في تقسيم الذنوب :

اختلف العلماء في تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر :

- فذهب جماهير(١) السلف والخلف إلى أنها تنقسم إلى صغائر وكبائر مستدلين لذلك بنصوص الكتاب والسنة - والتي تقدم طرف منها - بل إن الإمام ابن القيم - رحمه الله - حكى إجماع السلف على ذلك فقال : (الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص الكتاب والسنة وبإجماع السلف وبالإعتبار)(٢).

- وخالف كثير من الأشاعرة، كالجويني والباقلاني وابن فورك وغيرهم فشذوا وقالوا ليس في الذنوب صغيرة، بل كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، واحتجوا بأن كل مخالفة لله فهي بالنسبة إلى جلاله كبيرة(٣).

ب - رأي القاضي عياض في ذلك :

لقد مال القاضي عياض - غفر الله له - إلى الرأي الثاني وجعله مذهب المحققين، فقد قال بعد أن ذكر اختلاف الناس في ضابط الكبيرة : (قال ابن عباس كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، وإلى ما نحا إليه ابن عباس من أن كل من عصى الله به فهو كبيرة مال المحققون وبه قالوا، واختصاص النبي ﷺ ما سمّاه من الكبائر وأكبر الكبائر ليس فيه دليل على أنه لا كبيرة سواها، وأما ترتيبه أكبر الكبائر، فأما تقديم الشرك فلا خفاء فيه، وترتيب ما رُتّب بعده بحكم ما يكون أعظم ارتكاباً في ذلك الوقت، وما تخشى مواقعته وتمس الحاجة إلى بيانه، وليس يقتضي أن لا كبيرة إلا ما نص عليه، أو لا كبيرة بعد الشرك أكبر مما نص عليه على تواليه في تلك الأحاديث، والقتل أعظم من عقوق الوالدين ولم يذكره في بعض الأحاديث، بل اختلافها يدل على ما ذكرته من ذكر الأهم وما تمس الحاجة إليه)(٤).

ج - الرد على القاضي عياض فيما ذهب إليه :

الحق أن ما ذهب إليه القاضي عياض وجعله مذهب المحققين هو أضعف الأقوال، بل وظاهر البطلان فلا يلتفت إليه، لأنه مخالف لنصوص الكتاب والسنة التي دلت على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، وهو الذي ذهب إليه جماهير الأمة سلفاً وخلفاً إلا من شذ منهم - كما تقدم -.

---

١) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٢/٨٤- ٨٥، وفتح الباري ١٠/٤٢٣، ونيل الأوطار للشوكاني ١٠/٢٣٤- ٢٣٥.

٢) مدارج السالكين ١/ ٣٤٢.

٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ٨٤، وفتح الباري ١٠/ ٤٢٣.

٤) إكمال المعلم ٢/٥٣٨- ٥٣٩، وانظر شرح صحيح مسلم ٢/٨٤- ٨٥.

أما ما احتج به أبو الفضل من القول المنسوب لابن عباس - رضي الله عنهما - (كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة) فهو معارض بما رواه شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري عنه رضي الله عنه : (الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب)(١) ولم يذكر ابن جرير ما ذكره القاضي ههنا، فدل على أنه هو المعتمد. ولهذا قال الإمام القرطبي رحمه الله في القول الذي نسبه القاضي عياض لابن عباس (ما أظنه يصح لابن عباس، لأنه مخالف لظاهر القرآن في الفرق بين الصغائر والكبائر في قوله تعالى : ﴿ **الذين يجتنبون كبائرَ الإثمِ والفواحشَ إلا اللَّمَمَ** ﴾(٢)، وقوله ﴿ **إن تجتنبوا كبائرَ ما تُنهَوْنَ عنه نُكفِّر عنكم سيئاتكم** ﴾(٣)، فجعل في المنهيات صغائر وكبائر، وفرق بينهما في الحكم، إذ جعل تكفير السيئات في الآية مشروطاً باجتناب الكبائر، واستثنى اللمم من الكبائر والفواحش، فكيف يخفى ذلك على حبر القرآن ؟!) (٤). يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله (إن صح أثر ابن عباس (كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة) فالأولى أن يكون محمولاً على نهي خاص، وهو الذي قرن به وعيد كما قيده في الرواية الأخرى التي ذكرها ابن جرير، فيحمل مطلقه على مقيده جمعاً بين كلاميه)(٥).

قلت : رحم الله الإمام ابن حجر ما أدق فهمه !! فإن كلامه ههنا من القوة بمكان كما لا يخفى، ولهذا يقول الإمام الغزالي رحمه الله (إنكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقيه، وقد فهما من مدارك الشرع)(٦).

وهكذا يتبين بما لا مجال فيه للشك أن الرأي الراجح في هذه المسألة هو مذهب جماهير السلف والخلف، وهو أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، وقد أخطأ القاضي عياض فاختار المذهب المرجوح الضعيف، فغفر الله لنا وله.

د - معنى الصغائر أو اللمم :

اختلف العلماء رحمهم الله في تفسير الصغائر أو اللمم على أقوال عدة(٧)، وقد بيّن القاضي عياض هذا الاختلاف فقال : (اختلف الناس في

---

١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥/٤١.
٢) سورة النجم آية ٣٢.
٣) سورة النساء آية ٣١.
٤) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٥٢٤.
٥) المرجع السابق.
٦) نقله عنه النووي في شرح صحيح مسلم ٢/٨٥، والشوكاني في نيل الأوطار ١٠/٢٣٥.
٧) انظر مدارج السالكين ١/٣٤٣- ٣٤٥.

اللمم، فقيل : هو الرجل يأتي الذنب ثم لا يعاوده، وقيل : هو ما سلف لهم في الجاهلية قبل الإسلام، وقيل : هي أن يلم بالشئ السيء ولا يفعله، وقيل : الميل إلى الذنب ولا يصر عليه، وقيل : هو ما دون الشرك، وقيل : ما لم يشرع فيه حد ولا نص على عقابه في الآخرة بكفره)(١).

والراجح : أن اللمم أو الصغائر ما دون الكبائر، وهو قول جماهير العلماء وأصح الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما(٢).

المطلب الثالث : حكم مرتكب الكبيرة.

أ - اختلاف الناس في ذلك :

انقسم الناس في حكم مرتكب الكبيرة إلى أقسام ومذاهب عدة متباينة هي كالآتي :

١ - مذهب أهل السنة والجماعة :

اتفق أهل السنة والجماعة على أن المؤمن لا يخرج من الإيمان بارتكاب شئ من الكبائر إذا لم يستحل، ذلك وإن مات قبل التوبة منها فلا يخلد في النار كما صحت بذلك نصوص الكتاب والسنة، بل أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم أدخله الجنة برحمته، لأن التوحيد مانع لصاحبه من الخلود في النار(٣)، وقد استدلوا لذلك بكثير من النصوص التي سيأتي طرف منها إن شاء الله.

٢ - مذهب الخوارج :

خالف الخوارج بجميع فرقهم أهل السنة والجماعة، فكفّروا مرتكب الكبيرة وحكموا عليه بالخلود في النار، إلا فرقة النجدات(٤) منهم فإنهم

---

١) إكمال المعلم ٦/٦٦.

٢) انظر مدارج السالكين ١/٣٤٤.

٣) انظر الشرح والإبانة لابن بطة ص ٢٩٢، والإيمان لابي عبيد ص ٨٤، ٩٠، ٩٨، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٧١، والتمهيد ٤/ ٩٤، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٤٧٩، ٧/ ٦٧٠- ٦٧٢، والعقيدة الواسطية له بشرح الهراس ص ١٥٢- ١٥٦، وفتح الباري ١٢/ ٦١، وشرح الطحاوية ص ٢٩٥- ٢٩٦.

٤) نسبة إلى نجدة بن عامر الحنفي، ويقال لهم العاذرية، لانهم يعذرون بالجهالات في أحكام الفروع، وكانوا يقولون الدين أمران أحدهما : معرفة الله ومعرفة رسله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم، والثاني : أن أصحاب الذنوب من موافقيهم لا يكفرون ولكن يكفر بها من خالف مذهبهم ويزعمون أنه من أهل النار، ومن ضلالاتهم أنهم أسقطوا حد الخمر، ويرى هؤلاء أن الذنوب كلها كبائر لا صغائر فيها، فمن نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك، وقد افترقوا فيما بينهم فرقاً بعد قتل نجدة فصاروا فدكية وعطوية وعاذرية وهم الذين عذروا نجدة=

قالوا : إن أصحاب الكبائر من موافقيهم لا تجوز البراءة منهم، فلعل الله أن يعفو عنهم، وإن عذبهم ففي غير النار بقدر ذنوبهم ثم يدخلهم الجنة(١).

٣ - المعتزلة :

وافق المعتزلة الخوارج في كون مرتكب الكبيرة مخلد في النار في الآخرة، واختلفوا معهم في حكمه في الدنيا، فقالوا : إنه يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر، فهو في منزلة بين المنزلتين، إذ لا يسمى في هذه الحال مؤمناً ولا كافراً وإنما يسمى فاسقاً، وهكذا أيضاً في الحكم عليه، فهو بين الحكمين، فلا يعطى حكم الكافر ولا حكم المؤمن، وإنما له حكم بينهما وجميع هذه الأشياء تخصه في الدنيا(٢).

٤ - مذهب المرجئة :

ذهب المرجئة الخالصة إلى القول (بأنه لا ينفع مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة) ففتحوا باب شر عظيم، وهوّنوا أمر المعاصي على الناس لأن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الايمان لا يستحق دخول النار(٣).

ب - موقف القاضي عياض من مرتكب الكبيرة :

لقد وافق القاضي عياض مذهب السلف في حكم مرتكب الكبيرة وأجاد في الرد على المخالفين في هذا الأمر وقرر مذهب السلف في كثير من المواضع عند شرحه لأحاديث الوعد والوعيد(٤).

من ذلك قوله (فنقرر أن مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين، أن الذنوب في مشيئة الله تعالى، وأن كل من مات على الإيمان وشهد مخلصاً من قلبه بالشهادتين، فإنه يدخل الجنة، فإذا كان تائباً أو سليماً من المعاصي

انظر مقالات الإسلاميين ١/١٧٤- ١٧٦، والملل والنحل ص ١٢٢- ١٢٥، والفرق بين الفرق ص ٨٦- ٨٩، ٩٤، ١٩٤.

١) انظر مقالات الإسلاميين ١/١٦٨، ٢/١٦٧، والملل والنحل ص ١١٤، والفرق بين الفرق ص ٨٩، وشرح الطحاوية ص ٢٩٦.

٢) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار المعتزلي ص ١٣٧، ٦٩٧، ومقالات الإسلاميين ١:٣٣١.

٣) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٢١٣، والملل والنحل ص ١٣٩، والإيمان لابي عبيد ص ٨١- ٨٢، وشرح الطحاوية ص ٢٩٦.

٤) انظر مثلا إكمال المعلم ٢/٣٧٥- ٣٨٤، ٤١١، ٤١٢، ٤٣٢- ٤٧٦، ٤٨٨، ٥٥٥ وغيرها.

والتّباعات(١) دخل الجنة برحمة ربه تعالى وحرم على النار بالجملة، وإن كان من المخلطين بتضييع ما أوجب الله عليه أو فعل ما حرم عليه، فهو في المشيئة لا يقطع في أمره بتحريمه على النار، ولا باستحقاقه لأول حاله الجنة، بل يقطع أنه لا بد له من دخول الجنة آخراً، ولكن حاله قبل في خطر المشيئة وبرزخ(٢) الرجاء والخوف، إن شاء ربه عذبه بذنبه أو غفر له بفضله، وإلى هذا التفت من قُدّم قوله من السلف، فيكون المراد باستحقاقه الجنة ما قدمناه من إجماع أهل السنة من أنه لا بد له من دخول كل موحّد لها، إما معجّلاً معافى أو مؤخراً بعد عقابه، والمراد بتحريم النار تحريم الخلود خلافاً للخوارج والمعتزلة في الوجهين أو المسألتين، وينزل حديث « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله »(٣) خصوصاً لمن كان هذا آخر نطقه وخاتمة لفظه وإن كان قبل مخلّطاً، فيكون سبباً لرحمة الله تعالى له ونجاته رأساً من النار وتحريمه عليها، بخلاف ما لم يكن ذلك آخر كلامه من الموحدين المخلّطين)(٤).

فهذا الذي ذكره القاضي من أنفس وأجمع ما كتب في هذه المسألة وأدقه وأحسنه مع الاختصار والحسن والوضوح، ولهذا قال الإمام النووي رحمه الله بعد نقله لكلامه الآنف الذكر (فقد جمع فيه عياض كلاماً حسناً جمع فيه نفائس ... وهو في نهاية الحسن)(٥).

وقال القاضي أيضاً عند شرحه لقوله ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ... »(٦) الحديث: (قال الحسن البصري ينزع منه اسم المدح الذي يُسمى به أولياء الله المؤمنون، ويستحق اسم الذم الذي يسمى به المنافقون، واختاره الطبري وقال: يقال له زان وسارق وفاجر وفاسق ويزول عنه اسم الإيمان بالكمال، وحكى البخاري عن ابن

---

١) التباعات بكسر التاء المشددة جمع تباعة، وهي ما فيه إثم يتبع به، وما اتبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها ومثله تبعة وتبعات، انظر تاج العروس ٥/ ٢٨٥- ٢٨٦.

٢) البرزخ : هو الحاجز بين الشيئين. القاموس المحيط ص ٣١٨، والمعجم الوسيط ١/٤٨. والمقصود به ههنا أن من كانت هذه حاله فأمره متردد بين الخوف والرجاء، لانه لا يأمن من عقاب الله ولا يقنط من رحمة الله.

٣) حديث صحيح تقدم تخريجه ص ٦٦١ .

٤) إكمال المعلم ٢/٣٨٢- ٣٨٣.

٥) شرح صحيح مسلم ١/٢٢٠.

٦) رواه البخاري في مواضع عدة منها كتاب المظالم باب النُهبى بغير إذن صاحبه ٥/١٤٣ برقم : ٢٤٧٥، ومسلم في كتاب الايمان باب بيان نقصان الايمان بالمعاصي ١/٧٦- ٧٧ رقم ٥٧.

عباس رضي الله عنهما (ينزع منه نور الايمان)(١)، وقيل : ينزع منه بصيرته في طاعة الله ... - ثم قال - ولا خلاف بين أهل السنة أن هذا الحديث ليس على ظاهره، وأن المعاصي لا تخرج أحداً من سواد أهل الإيمان، ويفسر هذا حديث أبي ذر « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق »(٢)، ومعلوم أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، فالحديث الأول يقطع حجة المرجئة القائلين إن المعاصي لا تضر المؤمن، والحديث الآخر يقطع حجة المعتزلة والخوارج القائلين إن المعاصي تخرج من الإيمان وتوجب الخلود في النار، وأهل السنة والهدى جمعوا بين معانيها وقرروا الأحاديث على أصولها، واستدلوا من حديث أبي ذر على منع التخليد، ومن هذا الحديث على نقص الإيمان بالمعاصي كما وردت مفسرة في أحاديث كثيرة وآي من القرآن منيرة)(٣).

وعند شرحه لقوله ﷺ « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام »(٤) قال : (تأويله على ما تقدم من أصول أهل السنة من أن الذنوب لا تحرّم على أحد الجنة البتة، بل إن شاء الله آخَذَ وعاقب وحرّمها على المذنب مرة ثم يدخله، وإن شاء عفا أو يكون تأويل الحديث لفاعله مستحلاً)(٥).

وعند شرحه لحديث « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة. فقال رجل وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال : وإن كان قضيباً من أراك »(٦) قال رحمه الله : (إنما كبرت هذه المعصية بحسب اليمين الغموس التي هي من الكبائر الموبقات، وتغييرها في الظاهر حكم الشرع واستحلاله بها الحرام وتصييرها المحق في صورة المبطل، والمبطل في صورة المحق، ولهذا عظم أمرها وأمر شهادة الزور، وإيجاب النار فيها على حكم الكبائر إلا أن يشاء الله تعالى أن يعفو عن ذلك لمن يشاء، وتحريم الجنة عند دخول

---

١) رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم في كتاب الحدود باب (١)، ١٢/ ٦٠.

٢) رواه البخاري في عدة مواضع، منها كتاب الجنائز باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ٣/ ١٣١ برقم : ١٢٣٧، ومسلم في كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ١/ ٩٤- ٩٥ برقم : ٩٤.

٣) إكمال المعلم ٢/ ٤٧٥- ٤٧٦.

٤) رواه البخاري في كتاب الفرائض باب من ادعى إلى غير أبيه ١٢/ ٥٤ برقم : ٦٧٦٦، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم ١/ ٨٠ برقم : ٦٣.

٥) إكمال المعلم ٢/ ٤٨٧.

٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرةٍ بالنار ١/ ١٢٢ برقم : ١٣٧، والنسائي في كتاب آداب القضاة باب القضاء في قليل المال وكثيره ٨/ ٦٣٧- ٦٣٨، وابن ماجة في كتاب الأحكام باب من حلف على يمين فاجرة ليقتطع بها مالاً ٢/ ٧٧٩ برقم : ٢٣٢٤.

السابقين لها والمتقين وأصحاب اليمين، ثم لا بد لكل موحّد من دخولها إما بعد وقوف وحساب، أو بعد نكالٍ وعذاب)(١).

من خلال هذا النقل عن القاضي عياض - رحمه الله - في هذه المسألة العقدية الخطيرة، يتبين جلياً موقفه الموافق لمذهب السلف ويظهر رده الواضح على الفرق المخالفة في هذا الأمر وهم الخوارج والمعتزلة والمرجئة فجزاه الله خيراً.

ج - ذكر بعض النصوص الشرعية وشئ من أقوال السلف على أن مرتكب الكبيرة فاسق وليس خارجاً عن الملة :

في ختام هذه المسألة أرى أنه لا بأس من إيراد بعض الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، لزيادة توضيح ما نحن بصدده، وتأكيداً لكلام أبي الفضل عياض، ونصرة لما ذهب إليه، ويتضمن ذلك أيضاً الرد على المخالفين من الخوارج والمعتزلة في حكمهم على مرتكب الكبيرة. فأقول مستعيناً بالله وحده : إن الأدلة على ذلك كثيرة جداً منها :

١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم** ﴾(٢). فقد سمى الله سبحانه في هذه الآية المحكمة القاتل أخاً للمقتول، وهي أخوة الايمان بينهما، فدل على أن كبيرة القتل على عظمها لم تخرجه من الايمان، يقول الإمام البغوي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : (وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافراً بالقتل، لأن الله خاطبه بعد القتل بخطاب الايمان فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص** ﴾ وقال في آخر الآية : ﴿ **فمن عفي له من أخيه شئ** ﴾ وأراد به أخوة الايمان، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل)(٣).

٢ - وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾(٤).

يقول شيخ المفسرين الإمام ابن جرير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية :

---

١) إكمال المعلم ٢/ ٦٣٦.

٢) سورة البقرة آية ١٧٨.

٣) تفسير البغوي ١/ ١٤٦، وانظر زاد المسير لابن الجوزي ١/ ١٨٠، فقد قال كلاماً قريباً منه، وانظر أيضاً تفسير السعدي ١/ ١٢٦.

٤) سورة النساء آية ٤٨.

(... وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرة شركاً بالله)(١).

ويقول ابن كثير رحمه الله : (أخبر تعالى أنه لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك أي من الذنوب لمن يشاء من عباده، وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة ...) وذكر ثلاثة عشر حديثاً في هذا الأمر(٢).

٣ - وقال عز وجل : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الآخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾(٣).

فأطلق سبحانه وتعالى على كلتا الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين اسم الايمان وخاطبهم به، فدل ذلك على أن كبيرة القتل والقتال لم تخرجهما من الايمان، وبهذه الآية وغيرها استدل السلف الصالح ومنهم الإمام البخاري رحمه الله على أن المرء لا يخرج من الايمان بالمعصية، فقد قال في كتاب الايمان من صحيحه (باب ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ﴾ فسماهم المؤمنين) وقال أيضاً (باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك)(٤).

٤ - ومن السنة على هذا الأمر ما استدل به القاضي عياض من حديث أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال : أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : « وإن زنا وإن سرق » قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : « وإن زنا وإن سرق » قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : « وإن زنا وإن سرق على رغم أنف أبي ذر » فكان أبو ذر إذا حدث بهذا الحديث قال وإن رغم أنف أبي ذر.(٥).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث : (وفي الحديث أن

---

١) تفسير ابن جرير الطبري ٥/ ١٢٦.

٢) تفسير ابن كثير ١/ ٥٠٨- ٥١١، وانظر أيضاً فتح القدير للشوكاني ١/ ٤٧٥- ٤٧٦ فقد قال كلاماً قريباً من هذا.

٣) سورة الحجرات آية ٩.

٤) فتح الباري ١/ ١٠٦، قال ابن بطال : (غرض البخاري الرد على من يكفر بالذنوب كالخوارج، وإن مات على ذلك يخلد) قال ابن حجر وهذا واضح واستدل المؤلف على أن المؤمن إذا ارتكب معصية لا يكفر لأن الله أبقى عليه اسم المؤمن فقال ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ ثم قال ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ فتح الباري ١/ ١٠٧.

٥) متفق عليه وقد تقدم تخريجه.

أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار وأن الكبائر لا تسلب اسم الإيمان وأن غير الموحدين لا يدخلون الجنة)(١).

٥ - وعن عبادة بن الصامت(٢) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ - وحوله عصابة من أصحابه - « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه »(٣).

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: (فيه رد على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، ورد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة، لأن النبي ﷺ أخبر بأنه تحت المشيئة، ولم يقل لا بد أن يعذبه الله، وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، وفيه إشارة إلى الكف عن الشهادة بالنار على أحد أو بالجنة لأحد إلا من ورد فيه النص بعينه)(٤).

وقال الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث والذي قبله: (فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله عز وجل ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾(٥) مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك بالله لا يكفر بذلك، بل هم مؤمنون ناقصوا الإيمان، وإن تابوا سقطت توبتهم، وإن ماتوا مصرّين على الكبائر كانوا في المشيئة، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولاً، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة)(٦).

٦ - ومن الأحاديث أيضاً قول النبي ﷺ « من كان عنده لأخيه اليوم مظلمة من

---

١) فتح الباري ١٣٣/٣.

٢) هو الصحابي الجليل أبو الوليد عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، شهد العقبتين والمشاهد كلها مع النبي ﷺ واستعمله عليه الصلاة والسلام على بعض الصدقات، أرسله عمر إلى الشام ليعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين، فأقام في حمص ثم بفلسطين، توفي بالرملة سنة (٣٤ هـ) وله (٧٢ سنة) وقيل عاش إلى خلافة معاوية. انظر أسد الغابة ١٠٦/٣، وسير أعلام النبلاء ٥/٢، والإصابة ٢٦٠/٢.

٣) رواه البخاري في مواضع عدة منها كتاب الإيمان باب رقم: (١١) ٨١/١ برقم: ١٨، ومسلم في كتاب الحدود باب الحدود كفارة لأهلها ١٣٣٣/٣ برقم: ١٧٠٩.

٤) فتح الباري ٨٧/١.

٥) سورة النساء آية ٤٨.

٦) شرح صحيح مسلم ٢/ ٤١- ٤٢.

عرْض أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم ألقي في النار »(١).

٧ - وقوله أيضاً « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار »(٢).

ففي هذين الحديثين أثبت النبي ﷺ أن للظالم ومرتكب الكبيرة حسنات يستوفي المظلوم حقه منها يوم القيامة، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

حكاية إجماع أهل السنة والجماعة على أن مرتكب الكبيرة غير مخلد في النار بل هو في مشيئة الله.

لقد اتفق أهل السنة والجماعة - كما أشرت - على أن مرتكب الكبيرة مؤمن فاسق غير خارج من الملة، وهو في الآخرة في مشيئة الله إن مات ولم يتب، إن شاء الله عفا عنه بكرمه وجوده، وإن شاء عذبه بعدله مستدلين لما ذهبوا إليه بالنصوص المحكمة الظاهرة الكثيرة التي تقدم طرف منها، وقد سبق إيراد بعض أقوالهم عند ذكر هذه النصوص، وإليك طائفة أخرى منها :

- فقد قال الإمام ابن بطة العكبري(٣) رحمه الله (ويخرج الرجل من الإيمان

---

١) رواه البخاري في كتاب المظالم باب من كانت له مظلمة عند الرجل ١٢١/٥ برقم : ٢٤٤٩، وإخرجه أيضاً في كتاب الرقائق برقم : ٦٥٣٤ بدون (ثم ألقي في النار)، ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقاق والورع باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص ٥٣٠/٤ برقم : ٢٤١٩، وأحمد ٤٣٥/٢، ٥٠٦.

٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم ١٩٩٧/٤ برقم : ٢٥٨١، والترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص ٥٣٠/٤ برقم : ٢٤١٨، وأحمد ٣٠٣/٢، ٣٣٤، ٣٧٢.

٣) هو الإمام العابد الفقيه المحدث شيخ العراق، أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي المشهور بابن بطة، لما رجع من رحلته العلمية إلى الشام وغيرها اعتزل الفتن ووظائف الدولة وتفرغ للتدريس والعبادة، فلم ير أربعين سنة مفطراً إلا في عيد، وكان أمّاراً بالمعروف لم يبلغه خبر منكر إلا غيّره، وكان مستجاب الدعوة، ومع فضله فإن له أوهاماً كما قال الذهبي، ولد سنة (٣٤٣ هـ) وتوفي سنة (٣٧٨ هـ). انظر ترجمته طبقات الحنابلة ١١٤/١، وسير أعلام النبلاء ٥٢٩/١٦، وشذرات الذهب ١٢٢/٣.

إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله(١)، أو بِرَدّ فريضة من فرائض الله عز وجل جاحداً بها، فإن تركها تهاوناً وكسلاً كان في مشيئة الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له)(٢).

وقال أيضاً (وقد أجمعت العلماء لا خلاف بينهم، أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بمعصية، نرجوا للمحسن ونخاف على المسيء، ولا نقول بقول المعتزلة فإنها تقول من أتى ذنباً واحداً في عمره أو ظلم بحبة في عمره فقد كفر(٣)، فمن قال بذلك فقد أعظم الفرية على الله عز وجل، وبرّأه مما وصف به نفسه من الرأفة والرحمة والتجاوز والإحسان والغفران وقبول التوبة)(٤).

- وقال شيخ الإسلام الصابوني - رحمه الله - : (ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة، صغائر أو كبائر، فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله عز وجل، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار)(٥).

- وقال الإمام ابن عبد البر - رحمه الله - : (فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله عز وجل، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، فإن عذبه فبجرمه، وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة، وإن تاب قبل الموت وقبل حضوره ومعاينته وندم واعتقد أن لا يعود واستغفر ووجل، كان كمن لا ذنب، وبهذا كله الآثار الصحاح عن السلف قد جاءت وعليه جماعة المسلمين)(٦).

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - : (وأئمة المسلمين وأهل

---

١) قلت بل يخرج العبد من الاسلام بغير ما ذكره ابن بطة كادعاء النبوة وغير ذلك مما سبق تفصيله في الباب السابق الفصل الخامس المبحث الثاني وغير ذلك من الامور.

٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة ص ٢٠١.

٣) قلت : عبارة الامام ابن بطة ههنا غير دقيقة، لان المعتزلة لا يكفرون مرتكب الكبيرة ولا يطلقون عليه اسم الايمان، بل يجعلونه في منزلة بين المنزلتين، وإن كانوا يقولون بخلوده في النار في الآخرة، فهم متفقون بذلك مع الخوارج في النتيجة - كما سبق بيانه أول المبحث - ومراد ابن بطة هو الرد على من يكفر مرتكب الكبيرة ويخرجه من الاسلام بالاضافة إلى تقريره لمذهب السلف.

٤) الشرح والإبانة ص ٢٩١- ٢٩٢.

٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٧١- ٧٢.

٦) التمهيد ٤/ ٤٩.

المذاهب الأربعة وغيرهم مع جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، متفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب كما تقوله الخوارج، ولا يسلب جميع الايمان كما تقول المعتزلة ...)(١).

وقال أيضاً وهو يتحدث عن أصول أهل السنة والجماعة : (وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، ولا يسلبون الفاسق المليّ الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى ﴿ **فتحريرُ رقبةٍ مؤمنة** ﴾(٢)، وقد لا يدخل في اسم الايمان المطلق كما في قوله تعالى ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وَجِلَت قلوبهم وإذا تُلِيَت عليهم آياته زادتهم إيماناً ...** ﴾(٣)، وقوله ﷺ « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ... »(٤)، ونقول هو مؤمن ناقص الايمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم)(٥).

- وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - : (إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجرى الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من الدين، ومتفقون على أنه لا يخرج من الايمان والإسلام ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب، ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد)(٦).

---

١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٦/ ٤٧٩.

٢) سورة النساء آية ٩٢.

٣) سورة الأنفال آية ٢.

٤) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص٤٨٤.

٥) العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام بشرح الفوزان ص ١٧٨.

٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠٠- ٣٠١.

الفصل الثاني
منهج القاضي عياض في الإيمان بالنبوات

وفيه سبعة مباحث :

المبحـث الأول : تعريف النبوة والنبي والرسول والفرق بينهما
وفيه مطلبان :

المطلـــب الأول : تعريف النبوة والنبي لغة واصطلاحاً.

المطلــب الثانـي : الفرق بين النبي والرسول.

المبحـث الثاني : حاجة الناس إلى النبوة. وفيه مطلبان :

المطلـــب الأول : النبوة ضرورة من الضروريات التي لا غنى عنها.

المطلـــب الثاني : النبوة واسطة بين الخالق سبحانه وبين خلقه يمن بها عليهم ويقيم بها حجته.

المبحـث الثالث : حكم التفاضل بين الأنبياء والرسل، وذكر بعض ما فضل به النبي ﷺ على سائر الأنبياء.
وفيه مطلبان :

المطلـــب الأول : إجماع العلماء على أن الأنبياء متفاضلون وجوابهم عما ورد من النهي عن ذلك.

المطلــب الثاني : بعض الأمور التي فضل الله بها نبيه ﷺ على سائر الأنبياء.

المبحث الرابع : بعض صفات وخصائص الأنبياء عليهم السلام.
وفيه ستة مطالب :

المطلـــب الأول : البشرية.

المطلـــب الثاني : الذكورة.

المطلـــب الثالث : العصمة.

المطلـــب الرابع : الصبر.

المطلب الخامس : حسن الخلق.

المطلب السادس : كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب.

المبحث الخامس : الإيمان بنبوة محمد ﷺ وما يستلزم ذلك من أمور.
وفيه ستة مطالب :

المطلـــب الأول : فرض الإيمان بنبوة محمد ﷺ.
المطلـــب الثاني : وجوب طاعته ﷺ والتمسك بسنته.
المطلـــب الثالث : وجوب محبته ﷺ وثوابها وعلاماتها.
المطلـــب الرابع : وجوب تعظيم أمره وتوقيره وبرّه ﷺ.
المطلب الخامس : وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ وفضيلتهما.
المطلب السادس : من أسماء النبي ﷺ وألقابه.

المبحث السادس : من دلائل نبوته ﷺ. وفيه تسعة مطالب :

المطلـــب الأول : القرآن المعجزة الخالدة للرسول ﷺ.
المطلـــب الثاني : انشقاق القمر.
المطلـــب الثالث : الإسراء والمعراج.
المطلـــب الرابع : نبوع الماء من بين أصابعه ﷺ، حتى توضأ به بشر كثير.
المطلب الخامس : تكثير الطعام ببركته ودعائه.
المطلب السادس : حنين الجذع إلى الرسول ﷺ لمفارقته إياه.
المطلب السابع : تسليم الحجر عليه ﷺ ورجف الجبل تحته وسكونه لما ضربه برجله.
المطلـــب الثامن : إخبار الذراع إياه ﷺ بأنها مسمومة.
المطلـــب التاسع : كلام الشجر له ﷺ وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته.

المبحث السابع : الإيمان بالملائكة والكتب المنزلة. وفيه مطلبان :

المطلـــب الأول : الإيمان بالملائكة.
المطلـــب الثاني : الإيمان بالكتب المنزلة.

المبحث الأول : تعريف النبوة والنبي والرسول والفرق بينهما :

المطلب الأول : تعريف النبوة لغة واصطلاحاً :

أ - تعريف النبوة لغة واصطلاحاً :

النبوة في اللغة لها ثلاثة اشتقاقات، فإما أن تكون مأخوذة من النَّبْوة والنباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أو مشتقة من نبأ وأنبأ، فتكون بمعنى الإخبار كما في قوله تعالى : ﴿ **عمَّ يتساءلون * عن النبأ العظيم** ﴾(١)، أو مشتقة من النبي بدون همز وهو الطريق الواضح(٢).

والحق أن كل هذه المعاني موافقة للمفهوم الشرعي للنبوة إذ إنها إخبار عن الله وهي مقام رفيع ومكانة منيفة لصاحبها، وكذا فهي طريق موصل إليه سبحانه.

وقد بيَّن القاضي عياض - رحمه الله - أصل اشتقاق النبوة بقوله : (النبوة في لغة من همز مأخوذة من النبأ وهو الخبر، وقد لا يهمز على هذا التأويل تسهيلاً، والمعنى أن الله تعالى أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه، فيكون نبياً منبأ، فعيل بمعنى مفعول، أو يكون مخبراً عما بعثه الله به ومنبئاً بما أطلعه الله عليه، فيكون فعيل بمعنى فاعل، ويكون عند من لم يهمز من النَّبْوة، وهو ما ارتفع من الأرض، معناه : أن له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة، فالوصفان في حقه مؤتلفان)(٣).

أما النبوة اصطلاحاً فهي (إعلام الله تعالى من اجتبى من الناس لرفعته والإعلاء من شأنه، بإنبائه بالوحي الذي أراده الله له أو له ولغيره)(٤).

فهي إذاً فضل إلهي ومنحة ربانية، يهبها سبحانه لمن يشاء من عباده، ويختار لها من يريد من خلقه ليدعو الناس إلى عبادته دون سواه، فهي لا تنال بالجد والنشاط ولا بكثرة العبادات ولا الطاعات ولا غيرها، وإنما هي اصطفاء واختيار من الله تعالى لبعض خلقه. قال سبحانه : ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير** ﴾(٥)، وقال عز وجل في معرض حديثه وثنائه على بعض رسله : ﴿ **وإنهم عندنا لمن المصْطَفَيْن الأخيار** ﴾(٦).

---

١) سورة النبأ آية ١- ٢.

٢) انظر لسان العرب ١/ ١٦٢- ١٦٣، ومعجم مقاييس اللغة ٥/ ٣٨٤- ٣٨٥.

٣) الشفا ١/ ٢٥٠.

٤) عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري ص ٢٠٨ ط : دار الكتب السلفية - القاهرة.

٥) سورة الحج آية ٧٥.

٦) سورة ص آية ٤٧.

ب - تعريف النبي والرسول :

النبي لغة مشتق مما اشتقت منه كلمة النبوة - على ما تقدم - أي من النبأ وهو الخبر، أو من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض. قال الجوهري : إن جعلت لفظ النبي مأخوذاً من ذلك فمعناه أنه شرف على سائر الخلق، وأصله غير مهموز وهو فعيل بمعنى مفعول(١).

وقد اختار القاضي عياض كلا المعنيين السابقين، لأن النبي هو من أطلعه الله على غيبه، فهو مخبر عما بعثه الله به ومنبئ بما أطلعه الله عليه، وله المرتبة الشريفة والمكانة النبيهة المنيفة عند مولاه تعالى(٢).

وقيل النبي هو الطريق الواضح، وسمي بذلك لأنه عَلَم يهتدى به الخلق إلى الله تبارك وتعالى، فالعرب تطلق لفظ النبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها(٣).

معنى الرسول :

الرسول لغة : مشتق من الإرسال، ومعناه البعث والتوجيه والإطلاق والإمتداد، يقال أرسلت فلاناً في رسالة، أي بعثته، فهو مرسل، ويجمع على أرسل ورسل ورسلاء، وإنما سمي الرسل بذلك لأنهم مبعوثون من الله وموجّهون من قبله سبحانه لتبليغ الخلق أوامره ووحيه لخلقه(٤). واختار القاضي عياض أن يكون الرسول مشتقاً من التتابع فقال : (وأما الرسول فهو المرسل، ولم يأت فعول بمعنى مفعَل في اللغة إلا نادراً، وإرساله أمر الله له بالبلاغ إلى من أرسله، واشتقاقه من التتابع، ومنه قولهم : جاء الناس أرْسالاً إذا تبع بعضهم بعضاً، فكأنه ألزم تكرير التبليغ، أو ألزمت الأمة اتباعه)(٥). قلت : لا يبعد أن يكون مشتقاً من كلا المعنيين، لأن الرسول مبعوث من الله تعالى للخلق ليبلغهم دعوة الله ووحيه، وهم مأمورون بتصديقه واتباعه، ومعذبون إن لم يستجيبوا له.

---

١) انظر الصحاح ٦/ ٢٥٠٠، وانظر أيضاً غريب الحديث للخطابي ٣/ ١٩٣- ١٩٤.

٢) انظر الشفا ١/ ٢٥٠.

٣) انظر الصحاح ١/ ٧٤، ٦/ ٢٥٠٠، والمفردات للأصبهاني ص ٤٨١- ٤٨٢، والنهاية ٥/ ٣- ٤.

٤) انظر المفردات ص ١٩٥، ولسان العرب ١١/ ٢٨٣- ٢٨٤، والقاموس المحيط ص ١٣٠٠.

٥) الشفا ١/ ٢٥٠.

المطلب الثاني : الفرق بين النبي والرسول.

اختلف العلماء - رحمهم الله - في تعريف النبي والرسول شرعاً وبيان الفرق بينهما، وقد ذكر القاضي عياض هذا الاختلاف فقال : (اختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنيين، فقيل : هما سواء وأصله من الإنباء وهو الإخبار، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ...** ﴾ الآية(١)، فقد أثبت تعالى لهما الإرسال معاً ولا يكون النبي إلا رسولاً ولا الرسول إلا نبياً، وقيل : هما مفترقان من وجه، إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الإطلاع على الغيب والإعلام بخواص النبوة أو الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها، وافترقا في زيادة الرسالة للرسول، وهو الأمر بالإنذار والإعلام، وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الإسمين، ولو كانا شيئاً واحداً لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ، قالوا والمعنى وما أرسلنا من رسول إلى أمة أو نبي وليس بمرسل إلى أحد. وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدأ، ومن لم يأت نبي غير رسول وإن أمر بالبلاغ والإنذار، والصحيح الذي عليه الجماء الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً)(٢).

قلت : ما نص عليه القاضي أبو الفضل ورجحه وهو (أن كلا رسول نبي وليس كل نبي رسولاً) بمعنى أن بينهما عموماً وخصوصاً مطلقاً، أمر صحيح، يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (فالنبوة داخلة في الرسالة والرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، فالأنبياء أعم والنبوة نفسها جزء من الرسالة، فالرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف النبوة فإنها لا تتناول الرسالة)(٣).

ولكن الرأي الثاني الذي ذكره القاضي عياض واختاره كثير من العلماء وهو (أن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه)(٤) قول مرجوح وعليه كثير من الملاحظات كما سترى.

الرأي الراجح في التفريق بين النبي والرسول :

القول الراجح الذي يتفق مع ظواهر النصوص في التفريق بين النبي والرسول هو ما ذهب إليه المحققون من علماء السلف والذي ذكره أبو الفضل بقوله : (وقد ذهب بعضهم إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدأ، ومن لم يأت نبي

---

١) سورة الحج آية ٥٢.

٢) الشفا ١/ ٢٥٠- ٢٥١.

٣) الايمان لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ١١- ١٢.

٤) انظر شرح الطحاوية ص ١٠٧، وفتح القدير ٣/ ٤٦١، ولوامع الانوار البهية ١/ ٤٩.

غير رسول وإن أمر بالبلاغ والإنذار)، يقول الإمام المحقق شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مبيناً هذا الفرق : (فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ غيره بما أنبأه الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول ... فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره، وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي، فقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي** ... ﴾ الآية(1) دليل على أن النبي مرسل، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق)(2).

ويقول الإمام العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي(3) - رحمه الله - مبطلاً ما ذهب إليه كثير من العلماء في هذه القضية : (وآية الحج تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي اليه غير صحيح، لأن قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي** ﴾(4) يدل على أن كلاً منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير، واستظهر بعضهم أن النبي هو رسول أنزل إليه كتاب وشرع مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوته، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول هو من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أوحي إليه أن يدعوا الناس إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بيّنه تعالى بقوله : ﴿ **يحكم بها النبيون الذين أسلموا** ... ﴾(5) الآية)(6).

وهكذا يتضح أن القول الصحيح المعتمد هو ما بينه هذان الإمامان

---

1) سورة الحج آية ٥٢.
2) النبوات لشيخ الإسلام ص ٢٨١- ٢٨٢ بشئ من الإختصار.
3) هو الشيخ الجليل أبو محمد محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، أحد الأئمة الفحول والأعلام البارزين في هذا العصر، الفقيه الأصولي والمفسر اللغوي، كان حافظاً لكتاب الله ولكثير من أشعار العرب وأنسابهم وأيامهم،له مؤلفات كثيرة عظيمة الفائدة من أشهرها أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، وغيرها. ولد سنة (١٣٢٥ هـ) وتوفي بمكة المكرمة عام (١٣٩٣ هـ). انظر ترجمته مقدمة أضواء البيان لتلميذه الشيخ عطية سالم ١/ ٣- ٦٤، والأعلام ٦/ ٤٥.
4) سورة الحج آية ٥٢.
5) سورة المائدة آية ٤٤.
6) أضواء البيان للشنقيطي ٥/ ٧٣٥.

الجليلان، وأما ما مال إليه القاضي أبو الفضل جرياً على عادة كثير من العلماء، فهو ضعيف لا ينبغي الأخذ به.

المبحث الثاني : حاجة البشرية إلى النبوة.

المطلب الأول : النبوة ضرورة من الضروريات التي لا غنى للخلق عنها.

إن النبوة ضرورة من ضروريات حياة الخلق لا غنى لهم عنها بحال من الأحوال، فحاجتهم اليها كحاجة الحياة إلى الروح، فكما أن الحياة لا تصلح ولا تقوم بدون الروح، فكذلك حال البشرية لا يصلح إلا باتباع هدي النبوة.

وتظهر ضرورة النبوة وحاجة الناس اليها إذا عرفنا أن الإنسان مكون من روح وجسد، وأن العالم عالمان علوي وسفلي، وأن الحياة حياتان أولى تنقضي وأخرى تدوم ولا تنتهي، وأن بين الحياتين برزخاً تقضي فيه الأرواح فترة ما بين الإنسان وبعثه للحياة الثانية. وبيان ذلك أن كون الإنسان روحاً يقتضي وحياً إلهياً يخبره عن الروح وصفاتها وأحوالها وأسباب كمالها ونقصانها وسعادتها وشقاوتها، وأن كون الإنسان جسماً يقتضي كذلك وحياً إلهياً يبين له فيه طرق المحافظة على جسمه، ويضع له القوانين التي تساعده على بقائه صالحاً في المدة المحددة له في الحياة، وأن كون العالم عالمين علوياً وسفلياً يقتضي وحياً إلهياً يخبره عن العالم العلوي وما فيه لعجز الإنسان عن معرفة ذلك بوسائله الخاصة وإدراكه دون الوحي الإلهي، وأن كون الحياة حياتين يقتضي كذلك وحياً إلهياً يعرف الإنسان بواسطته الحياة الثانية وماذا فيها، وما الذي يتم للإنسان يوم ينتقل إليها، إذ مثل هذا لا يدركه الإنسان بواسطة عقله مجرداً عن الوحي بحال من الأحوال(١).

ومما لا شك فيه أن العقل البشري مهما بلغ في كماله وذكائه، فإنه لا يكفي وحده لهداية الخلق وإسعادهم، لأنه مخلوق ضعيف محدد الإدراك والتفكير، ولهذا اقتضت حكمة الله عز وجل ورحمته بخلقه أن يرسل اليهم الأنبياء والرسل ليعبدوه سبحانه ولا يشركوا به شيئاً، وليدلوهم أيضاً على كل خير ويحذروهم من كل شر، ليكونوا من السعداء في الدارين.

يقول الإمام المجتهد ابن القيم - رحمه الله - مبيناً حاجة الخلق إلى الرسل وإلى اتباع تعاليمهم : (ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة

---

١) انظر عقيدة المؤمن للشيخ أبي بكر الجزائري ص ٢٠٧- ٢٠٨.

إلى معرفة الرسول وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل. ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميّز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة اليهم أعظم من ضرورة البدن الى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت، فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير)[1].

قلت : رحم الله الإمام ابن القيم ما أدق وصفه وما أبلغه وأجمله !! فليت الناس يدركون هذه الحقيقة الساطعة، وخاصة أولئك الذين انبهروا بالعقل وبما وصلت إليه المدنية الغربية الحديثة من مستوى رفيع في التقنية والتقدم، ناسين أو متجاهلين ما يعيشه أولئك القوم الضالون من فراغ وجحيم وانحطاط خلقي لا يعرف مداه إلا الله تعالى، وذلك بسبب إهمالهم لرسالة الإسلام الخالدة ومحاربتهم لها، فهم كالأنعام بل أضل سبيلاً، لأنهم يعيشون لأجل شهواتهم البهيمية وملذاتهم الدنيوية التي لم تحقق لهم السعادة والطمأنينة الحقيقية التي لا توجد لغير اتباع نبي الإسلام ﷺ، وصدق الله القائل في هؤلاء وأمثالهم من الكفرة : ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** ﴾[2]، والقائل أيضاً : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً * ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك أياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى** ﴾[3].

فالسعادة الحقيقية في الدارين هي الإيمان بالله تعالى ومحبته وطاعته وطاعة رسوله ﷺ واتباعه.

---

[1] زاد المعاد إلى هدي خير العباد لابن القيم ١/ ٦٩ بتحقيق شعيب الأرناؤوط.
[2] سورة محمد آية ١٢.
[3] سورة طه آية ١٢٤- ١٢٦.

المطلب الثاني : النبوة واسطة بين الخالق سبحانه وبين خلقه يمن بها على من يشاء منهم ويقيم عليهم بها حجته.

النبوة كما هي ضرورة ملحة لا غنى عنها - كما سبق بيانه - فهي أيضاً واسطة بين الله عز وجل وبين خلقه، فهو سبحانه يصطفي من البشر من يشاء ممن كملوا في الإنسانية والشجاعة والخلق وغير ذلك، ويوحي إليهم لينذروا الناس ويأمروهم بعبادته تعالى وحده، وبما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم وينهوهم عن الشرك وعما فيه شقاوتهم في الدارين كما قال سبحانه : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾(١).

فإرساله عز وجل لهم الرسل من أعظم الرحمة بعباده، قال سبحانه مانّاً على عباده المؤمنين بإرسال خاتم الرسل محمد ﷺ : ﴿ **لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾(٢). يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : (لقد مَنّ الله على عباده المؤمنين بأن أرسل فيهم رسولاً ﴿ **من أنفسهم** ﴾ أي من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والإنتفاع به كما قال تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها** ﴾(٣)، أي من جنسكم، وقال تعالى : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما الهكم إله واحد ...** ﴾(٤) الآية، فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسول إليهم منهم بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فهم الكلام عنه، ولهذا قال : ﴿ **يتلو عليهم آياته** ﴾ يعني القرآن ﴿ **ويزكيهم** ﴾ أي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكوا أنفسهم وتطهر من الدنس والخبث الذي كانوا متلبسين في حال شركهم وجاهليتهم، ﴿ **ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ يعني القرآن والسنة ﴿ **وإن كانوا من قبل** ﴾ أي قبل هذا ﴿ **لفي ضلال مبين** ﴾ أي لفي غي وجهل ظاهر جلي لكل أحد)(٥).

فالأنبياء والرسل وسائط ومنذرون من قبل الله عز وجل للعباد، فيجب عليهم تصديقهم وطاعتهم واتباعهم. وقد أشار إلى ذلك القاضي عياض بقوله : (فالأنبياء والرسل عليهم السلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم

---

١) سورة النحل آية ٣٦.
٢) سورة آل عمران آية ١٦٤.
٣) سورة الروم آية ٢١.
٤) سورة الكهف آية ١١٠.
٥) تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٤.

أوامر الله ونواهيه ووعده ووعيده، ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه وملكوته)(١)، وقال أيضاً : (إعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكاليفه ابتداءً من دون واسطة لو شاء، وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه، وتكون تلك الواسطة، إما من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء ، أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم، ولا مانع لهذا من دليل العقل، وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دلّ على صدقهم من معجزاتهم، وجب تصديقهم في كل ما أتوا به، لأن المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فأطيعوه واتبعوه، وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف)(٢). قلت : لهذا لا يبقى للخلق حجة يحتجون بها على الله بعد إرسال الأنبياء والرسل إليهم، قال سبحانه موضحاً الغاية من بعثه أنبياءه ورسله : ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾(٣).

ولهذا يقرر خزنة جهنم أصحاب النار ويسألونهم - كما حكى الله عنهم - بقوله : ﴿ **كلما أُلْقِيَ فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبْنا وقلنا ما نزّل الله من شئ إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فَسُحْقاً لأصحاب السعير** ﴾(٤). فلا عذر إذاً لمن بلغته الدعوة فلم يؤمن وليس له نصيب في الآخرة والعياذ بالله إلا جهنم وساءت مصيراً.

---

١) الشفا ٢/ ٩٥.

٢) المرجع السابق ٢/ ٢٤٩- ٢٥٠.

٣) سورة النساء آية ١٦٥.

٤) سورة الملك آية ٨- ١١.

المبحث الثالث : حكم التفاضل بين الأنبياء، وذكر بعض ما فضل به نبينا ﷺ على سائر الرسل.

المطلب الأول : إجماع العلماء على أن الأنبياء متفاضلون، وجوابهم عما ورد من النهي عن ذلك.

أ - بعض النصوص الدالة على وجود التفاضل.

لقد ثبت في نصوص الكتاب والسنة أن الأنبياء والرسل بعضهم أفضل من بعض. من ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ **تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم من كلّمَ اللهُ ورفع بعضهم درجات** ﴾(١). يقول القاضي عياض في هذه الآية : (هذا نص على أن من الرسل من هو أفضل من بعض)(٢).

٢ - وقوله سبحانه : ﴿ **وربك أعلم بِمَنْ في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً** ﴾(٣).

٣ - وقوله عليه الصلاة والسلام : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفّع »(٤).

٤ - وقوله أيضاً : « فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم(٥)، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الناس كافة وختم بي النبيون »(٦). إلى غير ذلك من النصوص.

يقول القاضي عياض - رحمه الله - : (تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة كونه ﷺ أكرم البشر وأفضل الأنبياء)(٧). قلت : ولهذا أجمعت(٨) الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء والرسل بعد ذلك متفاضلون

---

١) سورة البقرة آية ٢٥٣.

٢) إكمال المعلم ٦/ ٢٥٠.

٣) سورة الإسراء آية ٥٥.

٤) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ٤/ ١٧٨٢ برقم : ٢٢٧٨، وأبو داود في كتاب السنة باب في التخيير بين الأنبياء ٥/ ٥٤ برقم : ٤٦٧٣.

٥) في رواية أخرى « بعثت بجوامع الكلم » قال الهروي : يعني به القرآن، جمع الله تعالى في الالفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعنى. شرح صحيح مسلم ٥/ ٥.

٦) رواه مسلم في كتاب المساجد ١/ ١٧١ برقم : ٥٢٣.

٧) الشفا ١/ ٢٢٥- ٢٢٦.

٨) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الاسلام ص ٦، وتفسير ابن كثير ١/ ٣٠٤، وشرح الطحاوية ص ١٠٩- ١١١، وفتح القدير ٤/ ٣٦٤، ولوامع الانوار ١/ ٤٩- ٥٠،

فيما بينهم، وأفضل الرسل والأنبياء خمسة، وهم: محمد وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى - عليهم السلام - وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل، وهم الذين خصوا بالذكر مجتمعين في آيتين كريمتين هما قوله سبحانه ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾(١)، وقوله ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيمَ وموسى وعيسى ابنِ مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً** ﴾(٢).

ب - جواب العلماء عما ورد من النهي عن التفضيل بين الأنبياء :

وردت بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ تنهى عن المفاضلة بين الأنبياء منها :

- قوله ﷺ : « لاتخيروا بين الأنبياء » - وفي رواية - « لا تفضلوا بين أنبياء الله » - وفي رواية - « لا تخيروني على موسى »(٣).

- وقوله عليه الصلاة والسلام : « ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى » متفق عليه(٤). وغير ذلك من الأحاديث، وقد يظن أن هناك تعارضاً بين هذه الأحاديث وبين الآيات والأحاديث المتقدمة، والتي فيها النص على المفاضلة بين الأنبياء. والحق أنه لا تعارض البتة فيما بينها، وقد أجاب العلماء - رحمهم الله - عن ذلك بعدة أقوال ذكرها القاضي عياض. فقد قال بعد أن سرد أحاديث النهي عن التفاضل : (إعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات :

أحدها : أن نهيه ﷺ عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فنهى عن التفضيل، إذ يحتاج ذلك إلى توقيف، وإن من فضل بلا علم فقد كذب.

الوجه الثاني : أنه قاله ﷺ على طريق التواضع.

٢/ ٢٩٤- ٢٩٥.

١) سورة الشورى آية ١٣.

٢) سورة الأحزاب آية ٧.

٣) روى البخاري هذه الروايات في عدة مواضع من صحيحه مختصراً ومطولاً منها في كتاب الخصومات باب مايذكر في الأشخاص ٥/ ٨٦ برقم : ٢٤١٢، وفي كتاب الديات باب إذا لطم المسلم يهودياً ١٢/ ٢٧٤ برقم : ٦٩١٦، وفي كتاب أحاديث الأنبياء برقم : ٣٤١٤، ٣٤٠٨، ومسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل موسى ٤/ ١٨٤٤ برقم : ٢٣٧٣.

٤) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ﴾ ٦/ ٥١٩ برقم : ٣٤١٣، ومسلم في كتاب الفضائل باب في ذكر يونس عليه السلام ٤/ ١٨٤٦ برقم : ٢٣٧٧.

الوجه الثالث: أن لا يفضل بينهم تفضيلاً يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغض منه، لاسيما من جهة يونس عليه السلام، إذ أخبر الله عز وجل عنه بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال تعالى عنه: ﴿ **إذ ذّهب مغاضباً فظن أن لّن نقدر عليه ...** ﴾(١)، فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك.

الوجه الرابع: منع التفضيل في حق النبوة والرسالة، فإن الأنبياء فيها على حد واحد، إذ هي شئ واحد لا يتفاضل، وإنما التفاضل بأمور زائدة عليها، ولذلك منهم رسل، ومنهم أولو العزم من الرسل، ومنهم من رفع مكاناً علياً، ومنهم من أوتي الحكم صبياً، وأوتي بعضهم الزبور، وبعضهم البينات، ومنهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات.

ووجه خامس: أن يكون (أنا) راجعاً إلى القائل نفسه، أي لا يظن أحد وإن بلغ ما بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما حكى الله عنه، فإن درجة النبوة أفضل وأعلى، وأن تلك الأقدار لم تحطّه عنها حبة خردل ولا أدنى)(٢).

قلت: لقد اجاب العلماء بنحو ما قاله أبو الفضل إلا الوجه الخامس فإنهم لم يذكروه، بل ذكروا وجهاً آخر وهو أن النهي متوجه إلى التفضيل الذي يؤدي إلى الخصومة والفتنة،كما هو المشهور في سبب بعض الأحاديث كتخاصم اليهودي والمسلم وضرب المسلم له بسبب تفضيله موسى على محمد عليهما السلام (٣)، ولهذا أقول: لا مانع أن يكون المراد من نهي النبي ﷺ عن المفاضلة بين الأنبياء ما ذكر من أقوال عن العلماء - رحمهم الله - لكونها لا تعارض بينها فكلها لها وجه صحيح، أما الوجه الخامس الذي ذكره أبو الفضل فأظنه بعيداً جداً، لأنه يستبعد أن يخطر ببال مؤمن بالله واليوم الآخر أو يظن بنفسه مهما بلغ من الصلاح والتقى، أنه أفضل من يونس بن متّى أو غيره من الأنبياء، لأن من ظن ذلك أو قاله ففي إيمانه نظر، إذ هذا من أعظم الانتقاص للأنبياء، ومعلوم حكم ذلك.

---

١) سورة الأنبياء آية ٨٧.

٢) الشفا ١/ ٢٢٦- ٢٢٨، وإكمال المعلم ٥/ ٢٤٣.

٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/ ٣٨، وتفسير القرطبي ٣/ ٢٦٢، ٢٦٣، وفتح الباري ٦/ ٥١٤، وشرح الطحاوية ص ١١٠- ١١٤، وفتح القدير ١/ ٢٦٩.

المطلب الثاني : ذكر بعض الأمور التي فضل الله بها نبيه ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين

لقد اختص عز وجل نبينا وحبيبنا محمداً ﷺ بخصائص جمة ومراتب عاليه ومكارم عدة، نال بها التفضيل المطلق على الأنبياء والمرسلين، بل وعلى العالمين من الجن والإنس والملائكة المقربين.

يقول حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - مشيراً إلى ذلك : (إن الله فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء، فقالوا : يا ابن عباس بم فضل على أهل السماء ؟ قال : إن الله قال لأهل السماء ﴿ **ومن يقلْ منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين** ﴾(١)، وقال لمحمد ﷺ ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديَك صراطاً مستقيماً** ﴾(٢)، قالوا : فما فضله على الأنبياء ؟ قال : قال الله عز وجل ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسانِ قومه ليُبَيّن لهم** ﴾(٣) وقال الله عز وجل لمحمد ﷺ ﴿ **وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً** ﴾(٤). فأرسله الله الى الجن والإنس)(٥).

ولو أردنا أن نستقصي ما ورد في تفضيله ﷺ على الأنبياء وغيرهم من أمور لاحتاج ذلك إلى باب خاص، لذا فإني سأشير إشارات سريعة وأتكلم باختصار عن تلك الأمور مما بينها القاضي أبو الفضل رحمه الله وأطال فيها في كتاب الشفا(٦) فمن تلك الأمور :

أ - تفضيله ﷺ بختم النبوة وجعل شريعته ناسخة لكل الشرائع والأديان :

لقد أكرم الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين، فختم به النبوات وجعل رسالته خاتمة الشرائع والأديان، فلا يقبل

---

١) سورة الانبياء آية ٢٩.

٢) سورة الفتح آية ١- ٢.

٣) سورة إبراهيم آية ٤.

٤) سورة سبأ آية ٢٨.

٥) أخرجه الدارمي في مسنده باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل ٢/ ٣٨ برقم : ٤٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٤- ٢٥٥ رجاله رجال الصحيح غير الحكم بن أبان وهو ثقة، قلت : وقد ذكره القاضي عياض أيضاً في الشفا ١/ ١٧١- ١٧٢.

٦) انظر الشفا ١/ ١٦٥- ٣٦٩، وللعز بن عبدالسلام رحمه الله رسالة طيبة في هذا الباب سمّاها (بداية السول في تفضيل الرسول) - طبعت بالمكتب الإسلامي بتحقيق الالباني عام ١٤٠٦ هـ فلتراجع.

الله عز وجل من أحد ديناً بعد بعثته ﷺ إلا دينه الإسلام، ولا يحكم لعبد بالإسلام حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويؤمن بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين. يقول الله عز وجل : ﴿ **ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾(١)، ويقول رسول الله ﷺ « إن لي أسماءً، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدميّ، وأنا العاقب فلا نبي بعدي » متفق عليه(٢).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾(٣)، وقال أيضاً : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾(٤)، وقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار »(٥). والنصوص في هذا الباب معلومة مشهورة.

ب - تفضيل الله تعالى له ﷺ برفع ذكره في الدنيا والآخرة وجعله سيد ولد آدم :

لقد رفع الله عز وجل ذكر نبيه ﷺ فوق ذكر العالمين، فقرن سبحانه الايمان بنبيه والشهادة له بالرسالة مع الشهادة بالتوحيد له عز وجل، وجعل ذلك شرطاً لصحة الايمان والعبادة كالصلاة والأذان وغيرها، وأكرم نبيه ﷺ فأعطاه لواء الحمد بيده يوم القيامة. وقد أشار إلى ذلك قول الحق سبحانه : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾(٦). قال ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لهذه الآية : (يريد تعالى الأذان والإقامة والتشهد والخطبة على المنابر، ولو أن عبداً عبد الله وصدّقه في كل شئ ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينفعه بشئ وكان كافراً)، وقال تلميذه مجاهد وغيره أي (لا أذكر إلا ذُكرت معي، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)(٧).

---

١) سورة الاحزاب آية ٤٠.
٢) تقدم تخريجه ص ٤١٦ .
٣) سورة آل عمران آية ١٩.
٤) سورة آل عمران آية ٨٥.
٥) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه ص ٤١٩ .
٦) سورة الإنشراح آية ٤.
٧) ذكر هذه الآثار الامام البغوي في تفسيره ٤/ ٥٠٢، والإمام ابن كثير في تفسيره أيضاً ٤/ ٥٢٤، والقاضي عياض في الشفا ١/ ١٨٢- ١٨٥.

وقد اشار الرسول ﷺ إلى تفضيل الله عز وجل له يوم القيامة بقوله « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر »(١). قال القاضي عياض: (قوله ﷺ: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » أشار إلى يوم القيامه وهو سيدهم في الدنيا والآخرة، لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره، إذ يلجأ إليه الناس في ذلك اليوم، فلم يجدوا سواه، والسيد هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم، فكان يومئذٍ سيداً منفرداً من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه، كما قال تعالى ﴿ **لِمَنِ المُلكُ اليومَ لله الواحدِ القهار** ﴾ (٢) والملك له في الدنيا والآخرة لكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا، وكذلك لجأ إلى محمد ﷺ جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الآخرة دون دعوى)(٣).

ج - تفضيل الله تعالى له بالشفاعة العظمى والمقام المحمود :

مما فضل الله به رسوله ﷺ على الأنبياء والرسل وغيرهم أيضاً، إكرامه بالشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون، قال الله تعالى: ﴿ **عسى ربك أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾(٤). وقال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع »(٥). والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

والشفاعة التي أكرم الله بها نبيه ﷺ أنواع - كما سيأتي بيانه إن شاء الله - وأما المقام المحمود فقد وردت فيه أحاديث وآثار كثيرة ملخصها كما قال القاضي عياض: (الذي يستخرج من جملة الأحاديث أن مقامه المحمود هو كون آدم ومن ولد تحت لوائه يوم القيامة، ومن أول عرصاتها إلى دخولهم الجنة، وإخراج من يخرج من النار، فأول مقاماته ﷺ إجابته المنادي وتحميده ربه وثناؤه عليه بما ذكر وبما ألهمه من محامده، ثم الشفاعة من إراحة العرض

---

١) رواه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة بني إسرائيل ٥/ ٢٨٨ برقم : ٣١٤٨، وفي المناقب باب في فضل النبي ﷺ ٥/ ٥٤٨ برقم : ٣٦١٥، وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة في كتاب الزهد باب ذكر الشفاعة ٢/ ١٤٤٠ برقم : ٤٣٠٨، وصححه الالباني في صحيح الجامع ٢/ ٢١ برقم : ١٤٨١.

٢) سورة غافر آيه ١٦.

٣) الشفا ١/ ٢٠٨- ٢٠٩.

٤) سورة الاسراء آية ٧٩.

٥) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه ص ٥٠٢.

وكرب الحشر، وهذا مقامه الذي حمده عليه الأولون والآخرون، ثم شفاعته لمن لا حساب عليه من أمته، ثم لمن يخرج من النار حتى لا يبقى فيها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ثم يتفضل الله بإخراج من قال لا إله إلا الله ومن لا يشرك به، ولا يبقى في النار إلا المخلدون، فهذه آخر عرصات القيامة ومناقل الحشر، فهو ﷺ في جميعها له المقام المحمود وبيده فيها لواء الحمد)(١).

قلت: ذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بالمقام المحمود هو الشفاعة العظمى، وقيل: هو إخراج أهل التوحيد من النار، وقيل: غير ذلك(٢)، ولكن الراجح لمعنى المقام المحمود عند المحققين من أهل العلم كالإمام ابن القيم وابن كثير وغيرهما هو ما ذكره القاضي عياض - رحمه الله - وذلك لأنه ثبت للرسول ﷺ تشريفات متعددة يوم القيامة لا يشركه فيها أحد، وتشريفات لا يساويه فيها أحد، وهذه الأمور مجموعة هي المقام المحمود وبهذا يجمع بين النصوص الواردة في ذلك(٣).

د - تفضيل الله تعالى له ﷺ بجعله أول من يدخل الجنة وأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة:

ومما فضل الله به نبيه ﷺ أن جعله أول من يدخل الجنة وأكثر الناس تبعاً يوم القيامة، فقد قال عليه الصلاة والسلام « أنا أول شافع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة »(٤).

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « أنا أولمن يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها (٥) »، قال أنس: كأني أنظر إلى يدي رسول الله يحركها »(٦)، وفي رواية: « وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر وآتي باب الجنة فآخذ

---

١) إكمال المعلم ٣/ ٨٨٠- ٨٨١، وانظر الشفا ١/ ٣٢٢- ٣٢٤.

٢) انظر تفسير ابن جرير ١٥/ ١٤٤- ١٤٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٩، وفتح القدير ٣/ ٢٥١- ٢٥٥، وغيرها.

٣) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٤/ ١٠٦، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٥.

٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع ١/ ١٨٨ برقم: ١٩٦.

٥) أي أحركها، والقعقعة حكاية حركة الشئ يسمع له صوت. كذا في النهاية ٤/ ٨٨.

٦) رواه الدارمي في المقدمة باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل ١/ ٤٠ برقم: ٥٠، والترمذي في كتاب التفسير باب سورة الإسراء ٥/ ٢٨٨ برقم: ٣١٤٨، وقال حديث حسن صحيح، وأحمد ١/ ٢٨١، وقال الألباني: حديث صحيح. انظر صحيح الجامع ٢/ ١٦ برقم: ١٤٧٢.

بحلقتها فيقولون : من هذا ؟ فأقول : أنا محمد، فيفتحون لي فأدخل »(١).

هـ - تفضيل الله تعالى له ﷺ بالوسيلة والدرجة الرفيعة :

ومما فضل الله به نبيه ﷺ أيضاً ما أعطاه من الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة في الجنة، فقد قال ﷺ « إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ مرة صلّى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت له الشفاعة »(٢).

فعلى المسلم أن لا يدع هذا الدعاء عقب الأذان لعل الله يكرمه بشفاعة المصطفى ﷺ.

و - تفضيل الله تعالى له ﷺ بالخُلّة :

فضل الله نبيه عليه الصلاة والسلام بالخلة كما اتخذ إبراهيم خليلاً، فقال ﷺ : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً »(٣).

وقال ﷺ أيضاً : « لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله »(٤). إلى غير ذلك من الأحاديث.

قال القاضي عياض : (اختلف في تفسير الخلة وأصل اشتقاقها، فقيل : الخليل المنقطع إلى الله الذي ليس له في انقطاعه إليه ومحبته اختلال، وقيل : الخليل المختص، واختار هذا غير واحد وقال بعضهم : أصل الخلة الاستصفاء وسمي الخليل خليلاً لأنه يوالي فيه ويعادي فيه، وقيل : الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع من الخلة وهي الحاجة، وقيل : الخلة صفاء

---

١) رواه الدارمي في المقدمة باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل ١/ ٤١ برقم : ٥٢، وأحمد ٣/ ١٤٤ بإسناد صحيح.

٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة باب استحباب القول مثلما يقول المؤذن ١/ ٢٨٨ برقم : ٣٨٤، وأبو داود في كتاب الصلاة باب ما يقول إذا سمع المؤذن ١/ ٣٥٩ برقم : ٥٢٣، والترمذي في كتاب المناقب باب فضل النبي ﷺ ٥/ ٥٤٧ برقم : ٣٦١٤، والنسائي في كتاب الأذان باب الصلاة على النبي بعد الأذان ٢/ ٣٥٤ برقم : ٦٧٧.

٣) رواه مسلم في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/ ٣٧٧ برقم : ٥٣٢، وفي كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق ٤/ ١٨٥٦ برقم : ٢٣٨٣.

٤) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب فضل أبي بكر ٦/ ٢١ برقم : ٣٦٥٦ بلفظ « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي »، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر ٤/ ١٨٥٥ برقم : ٢٣٨٣ مكرر، وأحمد ١/ ٣٧٧، ٣٨٩، ٤٠٩.

المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار، وقيل: أصل الخلة المودة ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة، فإذاً تسمية إبراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة إما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والأسباب، أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما، وخفي ألطافه عندهما، وما خالل بواطنهما من أسرار إلهيته ومكنون غيبه ومعرفته، أو لاستصفائه لهما واصطفاء قلوبهما عمن سواه، حتى لم يخاللهما حب لغيره، ولهذا قال بعضهم: الخليل من لا يتسع قلبه لسواه)(١).

أيهما أرفع درجة الخُلّة أم المحبة ؟

قال القاضي عياض رحمه الله: (اختلف العلماء في ذلك، فجعلها بعضهم سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلاً ولا الخليل إلا حبيباً، لكنه تعالى خص إبراهيم بالخلة ومحمداً بالمحبة، وقال بعضهم: درجة الخلة أرفع واحتج بقوله ﷺ: « لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً »(٢)، وأكثرهم: جعل المحبة أرفع من الخلة، لأن درجة الحبيب نبينا ﷺ أرفع من درجة إبراهيم، فإذاً مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا ﷺ كما دلت عليه الآثار الصحيحة المتلقاة بالقبول من الأئمة)(٣).

الرد على من فضّل المحبة على الخلة.

ما ذهب إليه القاضي عياض وغيره من جعل المحبة ارفع درجة من الخلة غير صحيح، فالأحاديث المتقدمة في إثبات الخلة لنبينا ﷺ رد عليهم، فالنبي ﷺ صرّح بأن الله قد اتخذه خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، وأخبر بأنه يبرأ من كل خليل من الخلق، لأنه خليل الله، ولو كان متخذاً خليلاً لاتخذ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، ومعلوم أن محبة الله تعالى ثابتة لغيره من المؤمنين، فقد أخبر سبحانه بأنه يحب المحسنين والمتقين والمتطهرين والتوابين وغيرهم، قال سبحانه ﴿ **والله يحب المحسنين** ﴾(٤)، وقال ﴿ **فإن الله يحب المتقين** ﴾(٥)، وقال ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾(٦). أما الخلة فهي مختصة بإبراهيم ومحمد عليهما السلام كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، وهذه

---

١) الشفا ١/ ٢١٢- ٢١٣، وانظر هذه الأقوال أيضاً في فتح الباري ٧/ ٢٧- ٢٨.
٢) تقدم تخريجه.
٣) الشفا ١/ ٢١٣- ٢١٥.
٤) سورة آل عمران آية ١٣٤.
٥) سورة آل عمران آية ٧٦.
٦) سورة البقرة آية ٢٢٢.

الميزة وذلك الفضل لم يشاركهما فيه أحد.

أما الأحاديث الدالة على كونه ﷺ قد اختصه الله بالمحبة دون الخلة فلم تثبت كما بين ذلك غير واحد من علماء السلف(١). ثم إن المحبة داخلة في الخلة كما هو معلوم، ثم إن تفضيل سيدنا محمد ﷺ على إبراهيم وغيره من الرسل منصوص عليه بأحاديث كثيرة سبق ذكر بعضها، فلو شاركه إبراهيم عليه السلام بالخلة فلا يعني أنه مساو له، بل نبينا ﷺ سيد الخلق كما هو معلوم.

ز - تفضيل الله تعالى له ﷺ بالحوض والكوثر.

مما فضل الله به خليله محمداً ﷺ على الرسل أيضاً، إكرامه إياه بالكوثر، وهو نهر في الجنة آنيته كعدد نجوم السماء وريحه أطيب من المسك، ولونه أشد بياضاً من اللبن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، كما صحت بذلك الأخبار المتواترة الكثيرة عن رسول الله ﷺ وإليك طرفاً منها :

- فعن أنس رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « نزلت عليَّ آنفاً سورة فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **إنّا أعطيناك الكوثر * فصلّ لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر** ﴾(٢)، ثم قال : « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم. قال : « فإنه نهر في الجنة وَعَدَنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم »(٣).

- وعن أنس أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طيبه مسك أذخر » - شك الراوي(٤).

- وقال ﷺ : « حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك وكيزانه(٥) كنجوم السماء، من شرب منها فلا

---

١) انظر روضة المحبين لابن القيم ص ٤٧- ٤٩، وشرح الطحاوية ١/ ١٦٤- ١٦٥ بتحقيق التركي.

٢) سورة الكوثر الآيات ١- ٣.

٣) رواه أحمد ٢/ ٦٧، ١١٢، ١٥٨، ورواه مسلم بنحوه في كتاب الفضائل باب في إثبات حوض نبينا ٤/ ١٨٩٠ برقم : ٢٣٠٠، والترمذي في كتاب التفسير باب من سورة الكوثر ٥/ ٤١٨ برقم : ٣٣٦٠، وقال حديث صحيح.

٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض ١١/ ٤٧٢ برقم : ٦٥٨١، وأخرجه أيضاً في كتاب التفسير في تفسير سورة الكوثر ٨/ ٦٠٣ برقم : ٤٩٦٤.

٥) أي أباريقه. فتح الباري ١١/ ٤٨١.

يظمأ أبداً » متفق عليه(١)، إلى غير ذلك من الأحاديث.

والمراد بالحوض المكان الذي يصب فيه الماء من الكوثر الذي في الجنة كما يفهم من الأحاديث الآنفة الذكر(٢)، وكما جاء ذلك صريحاً في حديث مسلم حيث سأل رجل رسول الله ﷺ عن شراب الحوض فقال: « أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغث فيه ميزابان يمدانه(٣) من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق »(٤). نسأل الله أن لا يحرمنا وروده والشرب منه إنه جواد كريم.

فهذه بعض الفضائل التي فاق بها رسول الله ﷺ الأنبياء والمرسلين وفضل عليهم، فنال الأفضلية المطلقة في الدنيا والآخرة. نسأل الله أن ننال شفاعته بمنّه تعالى وكرمه.

المبحث الرابع: بعض صفات وخصائص الأنبياء والرسل عليهم السلام.

تمهيـــد:

اقتضت حكمة الله تعالى البالغة أن لا يصطفي لحمل رسالته وبلاغ وحيه ودينه، إلا صفوة الخلق وأفضلهم ممن كملوا في الصفات والأفعال الحسنة وتنزهوا عن كل ما يضاد ذلك، ليكونوا مشاعل نور للأمم ومصابيح هدى لهم يقتدون بهم، لأن اختصاص الأنبياء والمرسلين بصفات الكمال والفضل يوجب على المدعوين تصديقهم واتباعهم ويقطع عليهم كل حجة أو شبهة قد يحتجون بها على عدم أهليتهم في حمل وحي الله ورسالته.

يقول القاضي عياض - رحمه الله -: (إن صفات جميع الأنبياء والرسل على أتم صفات الكمال في الأخلاق الحميدة والنزاهة عن كل رذيلة، اذ رتبتهم أشرف الرتب، ودرجاتهم أرفع الدرجات، ولكن الله فضّل بعضهم على بعض)(٥).

ولقد ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم كثيراً من أنبيائه ورسله وأثنى عليهم ثناءً عطراً ووصفهم بأسمى الصفات العالية التي تدل بحق على أنهم هم الصفوة المختارة من خلقه والمثل العليا الكاملة للبشرية بأسرها.

وصفات الأنبياء والرسل عليهم السلام كثيرة جداً لا يمكن جمعها وحصرها

---

١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض ١١/ ٤٧٢ برقم: ٦٥٧٩، ومسلم في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ ٤/ ١٧٩٣ برقم: ٢٢٩٢، ٢٣٠٠.

٢) انظر فتح الباري ١٢/ ٤٧٥.

٣) أي: يدفقان فيه الماء دائماً متتابعاً يكثرانه ويزيدانه. انظر النهاية ٣/ ٣٤٢.

٤) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ ٤/ ١٧٩٩ برقم: ٢٣٠١.

٥) إكمال المعلم ٥/ ٥٢٥، والشفا ١/ ١٤٧.

هـهنا، ولذا فإني سأقتصر على بعض أهم تلك الصفات التي أشار إليها القاضي عياض أو بيّنها، ومن الله وحده العون وعليه التكلان.

المطلب الأول : البشرية :

من رحمة الله بعباده أنه أرسل إليهم الأنبياء والرسل بشراً من جنسهم. قال سبحانه : ﴿ **وما ارسلنا من قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق** ﴾(١)، وقال أيضاً : ﴿ **قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يَمُنّ على من يشاء من عباده** ﴾(٢)، وقال أيضاً : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد** ﴾(٣). يقول القاضي عياض - رحمه الله - مبيناً ذلك : (فمحمد ﷺ وسائر الأنبياء من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم، قال الله تعالى : ﴿ **ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً** ﴾(٤) أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم إذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته، وقال تعالى : ﴿ **قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً** ﴾(٥) أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه وقوّاه على مقاومته كالأنبياء والرسل، فالأنبياء والرسل عليهم السلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده، ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته، فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر، طارئٌ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والفناء والموت ونعوت الإنسانية، وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر متعلقة بالملأ الأعلى، متشبهة بصفات الملائكة، سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالباً عجز البشرية، ولا ضعف الإنسانية، إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاق الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالطتهم، كما لا يطيقه غيرهم من البشر، ولو كانت أجسادهم وظواهرهم متّسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر، لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم

---

١) سورة الفرقان آية ٢٠.
٢) سورة إبراهيم آية ١١.
٣) سورة الكهف آية ١١٠.
٤) سورة الانعام آية ٩.
٥) سورة الإسراء آية ٩٥.

من قول الله، فجعلوا من جهة الأجسام والظواهر مع البشر، ومن جهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال ﷺ : « لو كنت متخذاً غير ربي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام »(١)، وكما قال « إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني »(٢). فبواطنهم منزّهة عن الآفات مطهرة عن النقائص والاعتلالات)(٣).

الحكمة من كون الرسل من البشر :

قلت : فتبينت الحكمة من كون الرسل من جنس البشر، وتتلخص في الآتي :

١ - أنهم أقدر على القيادة والتوجيه والدعوة، لأنهم من جنس قومهم يحسون بإحساسهم ويعرفون نوازعهم وطبائعهم، فيعيشون فيهم ويكونون قدوة ومصلحين لهم، بخلاف لو أنهم كانوا ملائكة.

٢ - أنه بذلك تقوم على البشر الحجة حيث إن الله أرسل إليهم رسلاً من جنسهم يمكنهم مخاطبتهم ويعرفون صدقهم وأمانتهم ويبلغونهم رسالة الله على أتم وجه وأحسنه.

٣ - أن في جعلهم بشراً إكراماً عظيماً لهم حيث اختارهم عز وجل ليكونوا رسله وحملة دعوته من بني الإنسان، وهذا الحمل العظيم لا يقدرون عليه لولا تثبيت الله لهم وإكرامهم وإعانتهم، قال سبحانه : ﴿ **إنا سنُلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾(٤).

٤ - ومن مقتضى كونهم بشراً أنهم ليسوا بآلهة وليس فيهم من خصائص الألوهية شيء، بل هم مربوبون لله رب العالمين، عباد مكرمون، فلا يجوز أن يُتخذوا آلهة من الله أو يصرف لهم شيء من أنواع العبادة كما فعلت النصارى وغيرهم وكثير ممن ينتسب إلى الإسلام، قال سبحانه مكفراً للنصارى وراداً عليهم : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيحُ ابنُ مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يُهلك المسيحَ ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً** ﴾(٥)، وقال أيضاً ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من**

---

١) تقدم تخريجه.

٢) رواه البخاري في كتاب الصوم باب بركة السحور من غير إيجاب ٤/ ١٦٥ برقم : ١٩٢٢، وفي كتاب الصوم باب الوصال ٤/ ٢٣١ برقم : ١٩٦٢، ومسلم في كتاب الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم ٢/ ٧٧٤ برقم : ٢١٠٢.

٣) الشفا ٢/ ٩٥- ٩٦.

٤) سورة المزمل آية ٥.

٥) سورة المائدة آية ١٧.

إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾(١)، وقال سبحانه ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صدّيقةٌ كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون** ﴾(٢). فبيّن سبحانه أن عيسى ما هو إلا رسول من جنس الرسل وبشر من البشر يأكل الطعام كسائر المخلوقين، مولود من أنثى وهو عبد مربوب لله، فمن كان هذا حاله كيف يصلح لأن يكون رباً كما يزعم النصارى ؟! قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ولهذا خاف الرسول ﷺ على أمته أن يقعوا فيما وقع فيه هؤلاء الضالون فنهاهم عن الغلو فيه فقال وهو الناصح الأمين : « لاتطروني(٣) كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »(٤). فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

المطلب الثاني : الذكورة :

مما اختص الله به الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أنه لم يبعث منهم إلا الرجال الذكور فقط دون النساء، يبيّن ذلك صيغة الحصر التي وردت في قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى** ﴾(٥)، وقوله ﴿ **وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم** ﴾(٦).

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - : (يخبر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء، وهذا قول جمهور العلماء كما دلّ عليه سياق الآية الكريمة، أن الله تعالى لم يوحِ إلى امرأة من بنات آدم وحي تشريع، وزعم بعضهم أن سارة امرأة الخليل وأم موسى ومريم بنت عمران أم عيسى نبيّات ....، والذي عليه أهل السنة والجماعة، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن الأشعري عنهم أنه ليس في النساء نبية، وانما فيهن صديقات كما قال تعالى مخبراً عن أشرفهن مريم بنت عمران : ﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد**

---

١) سورة المائدة آية ٧٣.

٢) سورة المائدة آية ٧٥.

٣) الإطراء : هو المدح بالباطل، تقول أطريت فلاناً إذا مدحته فأفرطت في مدحه. فتح الباري ٥٦٥/٦.

٤) رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ ٥٤٩/٦ برقم : ٣٤٤٥، وأحمد ٢٣/١، ٤٧، ٥٥.

٥) سورة يوسف آية ١٠٩.

٦) سورة الأنبياء آية ٧.

خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام ﴾(١)، فوصفها في أشرف مقاماتها بالصدّيقيّة، فلو كانت نبية لذكر ذلك في مقام التشريف والتعظيم والإعظام، فهي صدّيقة بنص القرآن)(٢).

فهتان الآيتان - كما ترى - نص صريح في رد ما قاله بعض العلماء - كابن حزم وغيره - من أن في النساء نبيات، وقد حكى إمام الحرمين الجويني وغيره الإجماع على أن النبوة في الرجال فقط(٣)، لكن أبا الفضل عياض رحمه الله ينفي وقوع الإجماع على ذلك فيقول : (جمهور العلماء لا يرون أن مريم نبيّة، وحكى بعض علماء الأشعرية الإجماع على ذلك، ولكن الإجماع فيه غير صحيح أصلاً، وإلا فقد تلقينا وسمعنا في المذكرات اختلاف العلماء فيها وفي أم موسى وأم إسحاق، وممن قال بنبوتهن أبو محمد ابن حزم، ولكن الجمهور على خلاف ذلك)(٤).

ومن الأدلة أيضاً على أنه ليس في النساء نبيات، هو أن الرسالة تقتضي الإشتهار بالدعوة ومخاطبة الناس ومخالطتهم، والأنوثة تقتضي التستر والحشمة وعدم مخالطة الرجال، ولا يخفى أن الذكورة أكمل من الأنوثة، ولذلك جعل الله القوامة للرجال على النساء، قال سبحانه : **﴿ الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾**(٥).

فجنس الرجال أفضل من جنس النساء، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن النساء ناقصات عقل ودين فقال : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن »(٦)، فكيف تكون من هي ناقصة في عقلها ودينها نبيّة ؟!

---

١) سورة المائدة آية ٧٥.

٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٩٦، ٣/ ٧٤، وانظر فتح القدير ٣/ ٦٠، ٩٩.

٣) انظر فتح الباري ٦/ ٥٤٢- ٥٤٣.

٤) منهاج العوارف ص ١١٩، وانظر أيضاً المرجع السابق، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/ ٢٦٦.

٥) سورة النساء آية ٣٤.

٦) رواه البخاري في كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم ١/ ٤٨٣ برقم : ٣٠٤، ومسلم في كتاب الايمان باب بيان نقص الايمان بنقص الطاعات ١/ ٨٧ برقم : ٧٩.

المطلب الثالث : العصمة :

لقد اختص الله تعالى أنبياءه ورسله - عليهم السلام - من بين سائر خلقه، فعصمهم وحفظهم من الكفر والفسوق وكل سوء وشر وما لا يليق من الأفعال والأقوال، فطهّر قلوبهم وجوارحهم منذ ولادتهم، وهيأهم لحمل الأمانة والرسالة للبشرية الملقاة على عاتقهم، وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته.

أ - عصمتهم من الكفر والشك بالله، والجواب عما قد يتوهم من عدم عصمتهم في ذلك.

أما عصمتهم من الكفر بالله والشك به، فذلك أمر لا يشك فيه مسلم أو عاقل، وهذا مما يجب اعتقاده على كل امرئ لأنه سبحانه لم يبعث من أشرك به طرفة عين، أو شك في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين، لم يخالف فيه إلا فرقة من المبتدعة لا يعتد بقولهم(١).

وقد اهتم القاضي عياض بهذه المسألة اهتماماً بالغاً، وكتب فيه الصفحات الطوال مؤكداً المذهب الحق في ذلك، وداحضاً شبه المخالفين في هذا الأمر(٢).

ومما قاله - رحمه الله - : (لا خلاف بين أهل التحقيق أن النبي ﷺ وسائر الأنبياء منشرح الصدر بالتوحيد والإيمان بالله، ولا يليق بهم الكفر ولا الشك في شيء من ذلك ولا الجهل به، ولا خلاف في عصمتهم من ذلك خلافاً لمن جوّزه من أهل البدع ممن لا يعتد بقوله، وحجة المانعين النقل والعقل، فلو كان شئ من ذلك لنقل، بل تضافرت الأخبار الصحيحة عنه ﷺ وغيره من الأنبياء بصحة معرفتهم بالله وهدايتهم منذ صغرهم وتجنبهم عبادة غير الله، فقد عيّرت قريش نبينا ﷺ والأمم أنبياءهم ورمتهم بكل آفة ورامت نقصهم بكل جهة وبرأهم الله مما قالوا، وقص الله علينا من ذلك في كتابه فقال عنهم : ﴿ **أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا** ﴾(٣)، و : ﴿ **إنْ نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء** ﴾(٤)، ولو كان أحدهم عبد معهم معبودهم وأشرك بشركهم قبل نبوته لعيّروه بتلونه في معبوده، وقرعوه بقراف ما كان جمعهم عليه من ديانته، وكان ذلك أبلغ في تأنيبهم

---

١) انظر تفسير الطبري ٧/ ٢٤٩، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/ ٢٩٢- ٢٩٨، ٣٠٩- ٣١٠، وتفسير الرازي ٨/ ٤٥١، وشرح المواقف ٣/ ٢٠٤، وغيرها.
٢) انظر الشفا ٢/ ٩٧- ١٢٢.
٣) سورة هود آية ٦٢.
٤) سورة هود آية ٥٤.

لهم من أمرهم بمقارفة معبود آبائهم)(١).

وقد أجاب - رحمه الله - عما قد يتعلق به من لا يقول بعصمة الأنبياء من الكفر بالله والشك به، مستدلاً ببعض الآيات التي يظن أن فيها موافقة لمذهبه كمثل قوله تعالى في حق إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ **فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر** ﴾(٢)، فقال : (لا يشبه عليك بقول إبراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي، فإنه قد قيل : كان هذا في سن الطفولة وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف، وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتاً لقومه ومستدلاً عليهم، وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار، والمراد : فهذا ربي ؟ أي على قولكم. ويدل على أنه - عليه السلام - لم يعبد شيئاً من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين قول الله عز وجل :﴿ **إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون** ﴾(٣)، ثم قال :﴿ **أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين** ﴾(٤)، وقال :﴿ **إذ جاء ربه بقلب سليم** ﴾(٥) أي من الشرك، وقوله :﴿ **واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام** ﴾(٦))(٧).

قلت : ومن الآيات الدالة على أن إبراهيم لم يشرك بالله قط قوله تعالى : ﴿ **إن إبراهيم كان أمّةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين * شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين** ﴾(٨)، فقد وصفه عز وجل بأنه كان أمَةً وحده في التوحيد والعبودية لله، ونفى عنه الشرك مرتين، وأمر رسوله ﷺ باتباع ملته الحنيفية السمحة، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

---

١) إكمال المعلم ٣/ ٧٠٧- ٧٠٨، وانظر الشفا ٢/ ١٠٩- ١١١.
٢) سورة الأنعام آية ٧٦- ٧٨.
٣) سورة الشعراء آية ٧٠.
٤) سورة الشعراء آية ٧٥- ٧٧.
٥) سورة الصافات آية ٨٤.
٦) سورة إبراهيم آية ٣٥.
٧) الشفا ٢/ ١١٠- ١١١، وانظر أيضاً تفسير الطبري ٧/ ٢٤٨- ٢٥٠، وتفسير ابن كثير ٢/١٥٠- ١٥٢، وفتح القدير ٢/ ١٣٣، فقد قرر هؤلاء المفسرون ما قاله القاضي عياض آنفاً.
٨) سورة النحل آية ١٢٠- ١٢٣.

ومن الآيات التي قد يتوهم أنها لا تنفي الكفر والشك بالله عن الأنبياء قوله تعالى حكاية عن الكفار: ﴿ **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا** ﴾(١) وقوله سبحانه حكاية عن الرسل: ﴿ **قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملّتكم بعد إذ نجّانا الله منها** ﴾(٢). وقد أجاب القاضي عياض عن ذلك بقوله: (فلا يشكل عليك لفظة العَوْد وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من ملّتهم، فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداءً بمعنى الصيرورة)(٣).

وأجاب عما يتوهمه المتوهمون من معنى سيئ لا يليق برسول الله ﷺ مستدلين بقوله تعالى: ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾(٤)، وقوله: ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾(٥)، فقال - رحمه الله - في معنى الآية الأولى: الضلال (ليس هو من الضلال الذي هو الكفر، قيل: ضالاً عن النبوة فهداك إليها، وقيل: وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلى إرشادهم، وقيل: ضالاً عن شريعتك لا تعرفها فهداك، والضلال هنا التحيّر ولهذا كان ﷺ يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله إلى الإسلام، وقيل: لا تعرف الحق فهداك إليه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ **وعلّمك ما لم تكن تعلم** ﴾(٦). قال ابن عباس- رضي الله - عنهما: (لم تكن له ضلالة معصية)، وقيل: (هدى) أي بيّن أمرك بالبراهين، وقيل: المعنى وجدك فهدى بك ضالاً، وقيل: ضالاً أي محباً لمعرفتي، والضال المحب كما في قوله تعالى: ﴿ **إنك لفي ضلالك القديم** ﴾(٧) أي محبتك القديمة، ولم يريدوا ههنا في الدين، إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا، وقيل: ووجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء، ولا أعلم أحداً قال من المفسرين فيها ضالاً عن الايمان)(٨).

وعن معنى الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من**

---

١) سورة إبراهيم آية ١٣.
٢) سورة الاعراف آية ٨٩.
٣) الشفا ٢/ ١١١- ١١٢.
٤) سورة الضحى آية ٧.
٥) سورة الشورى آية ٥٢.
٦) سورة النساء آية ١١٣.
٧) سورة يوسف آية ٩٥.
٨) الشفا ٢/١١٢- ١١٣، وانظر الاقوال السابقة في تفسير البغوي ٤/٤٩٩، وتفسير ابن كثير ٤/٥٢٣.

أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾(١). قال القاضي عياض - رحمه الله - : (فإن قلت فما قوله تعالى - وذكر الآية - فالجواب : أن معناه ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن، ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان، وقيل : ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام، فكان ﷺ قبل مؤمناً بتوحيده، ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاده بالتكليف إيماناً، وهو أحسن وجوهه)(٢).

قلت : وهو الحق والصواب - إن شاء الله - وبه قال أئمة السلف، فقد قال الإمام البغوي رحمه الله **﴿ ما كنت تدري ﴾** : (قبل الوحي. **﴿ ما الكتاب ولا الإيمان ﴾** يعني شرائع الإسلام ومعالمه، قال محمد بن إسحاق بن خزيمة : الإيمان في هذا الموضع الصلاة، ودليله قوله تعالى : **﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾**(٣)، وأهل الأصول على أن الأنبياء كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم ولم يتبين له شرائع دينه)(٤).

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : (**﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ... ﴾** أي على التفصيل الذي شرع له في القرآن)(٥).

ورد القاضي عياض على من يزعم حصول الشك بالله من الأنبياء، وأجاب عما قد يتوهم حصول ذلك منهم كما في بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : **﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أوَلَم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾**(٦)، وكقوله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ : **﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ﴾**(٧)، وكقوله تعالى : **﴿ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ﴾**(٨)، وكقوله : **﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا جاءهم نصرنا ﴾**(٩)، وكقوله في حق يونس عليه السلام : **﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه ﴾**(١٠)، ونحو

---

١) سورة الشورى آية ٥٢.
٢) الشفا ١/ ١١٣- ١١٤.
٣) سورة البقرة آية ١٤٣.
٤) تفسير البغوي ٤/ ١٣٢.
٥) تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٣.
٦) سورة البقرة آية ٢٦٠.
٧) سورة يونس آية ٩٤.
٨) سورة هود آية ١٠٩.
٩) سورة يوسف آية ١١٠.
١٠) سورة الأنبياء آية ٨٧.

ذلك من الآيات. فبيّن القاضي - رحمه الله - أنه يستحيل الشك على الأنبياء، لأنه نوع من الكفر وهم منزّهون ومعصومون عنه، فإبراهيم - عليه السلام - لم يشك في إخبار الله تعالى بإحياء الموتى وأنما أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء، فحصل له الأول بوقوعه، وأراد العلم بالثاني بكيفيته ومشاهدته، فأراد الترقي والإنتقال من علم اليقين إلى عين اليقين، فليس الخبر كالمعاينة، وأراد أيضاً الاحتجاج على قومه وزيادة القرب من الله عز وجل. وكذلك نبينا ﷺ لم يشك أبداً، فقد قال ابن عباس وقتادة والحسن وغيرهم في تفسيرهم للآية الآنفة الذكر: (لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل) والمراد بتفسير الآية، أي قل يا محمد للشاك، أو المراد بالخطاب غير النبي ﷺ، كقوله تعالى: ﴿ **لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾(١) وغيرها من الآيات. فكيف يكون النبي ﷺ في شكٍ من كفر الكافرين وهو المُكَذّب من قبَلهم والمشكوك في أمره عندهم ؟! بل المراد بالشاك غيره.

والآية الرابعة ليس فيها ما يشعر بشك الأنبياء وظنهم بربهم. معاذ الله أن يحصل ذلك من الصفوة المختارة، فقد قالت عائشة - رضي الله عنها -: (معاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربها، وإنما معنى ذلك أن الرسل لمّا استيأسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذّبوهم) وعلى هذا أكثر المفسرين، وقيل: إن ضمير (ظنوا) عائد على الأتباع والأمم لا على الأنبياء والرسل، وهو قول ابن عباس وجماعة من العلماء، وبهذا المعنى قرأ مجاهد (كذبوا) بالفتح، قال القاضي عياض: (فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالأنبياء ؟!.

أما الآية التي تتحدث عن يونس عليه السلام: ﴿ **إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه** ﴾(٢)، فالصحيح أنه ذهب مغاضباً لقومه لكفرهم، وهو قول ابن عباس وغيره، لا لربه عز وجل، إذ مغاضبة الرب معاداة له وهي كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء ؟ وقيل: مغاضباً لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه إلى أمر أمره الله به على لسان نبي آخر، فقال له يونس: غيري أقوى عليه منّي، فعزم عليه فخرج لذلك مغاضباً عليه السلام. أما معنى ﴿ **فظن أن لن نقدر** ﴾ أي لن نضيق عليه في بطن الحوت فطمع في رحمة الله وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه، وقيل: حسّن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة،

---

١) سورة الزمر آية ٦٥.

٢) سورة الأنبياء آية ٨٧.

وقيل : (نقدّر) ما أصابه على قراءة من قرأ بالتشديد، أو بمعنى نؤاخذه بغضبه وذهابه والوجه الأول أرجح(١).

وهكذا يتضح بما لا مجال للشك أن الكفر والشك بالله مستحيلان في حق الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - قبل وبعد النبوة، لأنه تعالى قد عصمهم واختارهم في الأزل لتحمّل النبوة والرسالة، وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته، ومن قال بخلاف ذلك فقوله مردود عليه لا يلتفت إليه كائناً من كان.

ب - عصمتهم من الذنوب :

اتفق المسلمون على عصمة الأنبياء والرسل - عليهم السلام - من الذنوب والمعاصي الكبائر، ومن الصغائر التي تزري بفاعلها وتسقط مروءته كرذائل الأخلاق والدناءات مما يزري بمناصبهم العالية. أما الصغائر التي لا تزري بالمنصب ولا كانت من الدناءات فاختلفوا هل تجوز عليهم ؟! وإذا جازت هل وقعت أم لا ؟!

فذهب جماعة إلى جوازها عقلاً وقالوا لا بد من تنبيههم عليها، وتوقف جماعة في ذلك، ومنعت طائفة وقوع الصغائر منهم وهو رأي كثير من المتكلمين(٢).

١ - رأي القاضي عياض :

قرر القاضي عياض - رحمه الله - أن الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر جميعاً وردّ من جوّز الصغائر عليهم وبالغ في ذلك بما لا مجال لذكره هـهنا(٣)، ومما قاله - رحمه الله - :

(لا خلاف أن كل كبيرة من الذنوب لا تجوز عليهم، وأنهم معصومون منها، وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تزري بفاعلها وتحط من منزلته وتسقط مروءته، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم، فمعظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف على جواز وقوعها منهم، وحجتهم ظواهر القرآن والأخبار، وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر والمتكلمين من أئمتنا إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، وأن منصب النبوة يُجَلّ عن مواقعتها جملة ومخالفة الله عمداً، وتكلموا على الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وتأولوها وإن ما ذكر عنهم من ذلك، إنما هو كان منهم

---

١) انظر الشفا ٢/ ٩٨- ١٠٩، وتفسير ابن كثير ٣/ ١٩٢- ١٩٣.

٢) انظر الشفا ٢/ ١٤٤- ١٤٥، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤/ ٣١٨، ٣١٩، والإحكام للآمدي وإرشاد الفحول للشوكاني ص ٣٣- ٣٤.

٣) انظر الشفا ٢/ ١٥٥- ١٧٤، فقد ذكر النصوص التي استدل بها المخالفون لمذهبه ورد عليها وتأولها وأطال في ذلك.

على تأويل، أو سهو، أو غير إذن من الله في أشياء أشفقوا من المؤاخذة بها، وأشياء كانت قبل النبوة، وهذا هو الحق، ولأنه لو صح ذلك منهم لم يلزمنا الاقتداء بأفعالهم وإقرارهم وكثير من أقوالهم، ولا خلاف في الاقتداء بذلك، وإنما اختلاف العلماء هل ذلك على الوجوب أو الندب أو الإباحة أو التفريق فيما كان من باب القرب أو غيرها، وانظر إلى هذه الخطايا لكافر لم يؤمر بقتله، ومدافعة إبراهيم الكفار بقول عرّض به هو فيه من وجه صادق(١)، وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب، لكنهم أشفقوا منها إذ لم تكن عن أمر وعتب على بعضهم فيها بقدر منزلتهم من معرفة الله)(٢).

نقد كلام القاضي عياض :

إن الذي رجحه أبو الفضل - رحمه الله - من عدم تعمد الأنبياء مواقعة الصغائر أمر لا شك فيه، إذ لا يليق بهم - عليهم السلام - تعمد اقتراف ما يعلمون أنه مخالف لأمر الله، ثم إن الذين قالوا بجواز وقوع ذلك منهم لم يصرحوا بمسألة التعمد، أما قوله إن الأنبياء معصومون حتى من الصغائر التي لا تزري بصاحبها، وإبطاله لكل رأي خالف هذا المذهب وتأويله للنصوص الواردة بوقوع ذلك منهم بحجة أننا مأمورون بالتأسي بهم، ولأن وقوع ذلك منهم ينافي هذه القدوة - كما قال - فالحق أن هذا القول فيه نظر، فلا يوافق عليه، لأننا - كما قال شيخ الإسلام - : (مأمورون بالتأسي بهم فيما أقروا عليه دون ما نهوا عنه أو رجعوا عنه، كما أن الأمر والنهي إنما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه، فأما ما نسخ من الأمر والنهي فلا يجوز جعله مأموراً به ولا منهياً عنه، فضلاً عن وجوب اتباعه والطاعة فيه)(٣).

ثم إن نصوص الكتاب العزيز قد أثبتت وقوع بعض المخالفات لعدد من الأنبياء عليهم السلام كقوله تعالى حكاية عن آدم ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى** ﴾(٤) ، وقوله سبحانه في حق نوح عليه السلام حين دعا ربه في ابنه الكافر ﴿ **ونادى**

---

١) يقصد رحمه الله قول إبراهيم عليه السلام عن زوجته أنها أخته، ويريد بذلك أخوة الإسلام، وقوله ﴿ إني سقيم ﴾ أي سأسقم أو سقيم القلب لما تعبدون من دون الله، وقوله عن الأصنام ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ وهو عليه السلام يقصد السخرية بقومه عبدة الأصنام، وقد علّق خبره أو قوله بشرط نطق الصنم الكبير فقال ﴿ فاسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ فكأنه قال إن كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه، قال القاضي عياض وهذا صدق لا كذب فيه وهو من المعاريض. انظر الشفا ٢/ ١٤٠- ١٤١.

٢) إكمال المعلم ٣/ ٨٨٤- ٨٨٦.

٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/ ٢٩٣.

٤) سورة طه آية ١٢١، وانظر القصة من آية ١١٦ في نفس السورة إلى آية ١٢٣.

نوح ربه فقال ربّ إن ابني من أهلي وإنّ وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين * قال ربّ إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾(١).

ومن ذلك أيضاً ما حكاه الله عز وجل عما فعله موسى - عليه السلام - من وكزه للقبطي وقضائه عليه حيث أراد نصرة الذي هو من شيعته قال سبحانه : **﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾**(٢)

ومن ذلك أيضاً ما ذكره عز وجل عن داود - عليه السلام - حين تسرّع في الحكم قبل سماع قول الخصم الثاني وتوبته من ذلك، قال سبحانه : **﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب * إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تُشْطط واهدنا إلى سواء الصراط * إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكْفِلْنيها وعزني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإنَ كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنّما فتنّاه فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب * فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾**(٣).

وما ورد في حق نبينا ﷺ أيضاً كقصة أسرى بدر، وعبوسه عليه الصلاة والسلام بوجه الأعمى وغير ذلك مما عاتبه الله عليه، وقد قال الله له : **﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾**(٤) إلى آخر ما هنالك مما لا مجال لذكره ههنا، وما ورد أيضاً في حق الأنبياء مما يتعذر تفصيله في هذه العجالة(٥)، فهذه المخالفات الصادرة من الأنبياء مما ذكر الله في كتابه لا تقبل التأويل في جملتها، وإن قبل في آحادها كنسيان آدم عليه السلام، وهذا يدل على جواز وقوع

---

١) سورة هود آية ٤٥- ٤٧.

٢) سورة القصص آية ١٥- ١٦.

٣) سورة ص الآيات من ٢١- ٢٥.

٤) سورة الفتح آية ٢.

٥) انظر تفصيل ذلك في الشفا ٢/ ١٥٦- ١٧٢، وأيضاً إرشاد الفحول للشوكاني ص ٣٤- ٣٥.

الصغائر منهم عليهم السلام ولا حرج في ذلك، لأنها لا تزري بمنصبهم الشريف، فهم بشر من بني البشر يطرأ عليهم ما يطرأ على البشر، وإن كانوا أنبياء معصومين، لكنهم قد تصدر منهم بعض المخالفات الصغيرة، فينبههم الله عليها فيسارعون إلى التوبة والاستغفار منها من غير تأخير، ولهذا لم يذكر في القرآن الكريم شئ مما وقع لبعض الأنبياء من هذه الأمور إلا مقروناً بالتوبة والاستغفار كقول آدم وزوجته - عليهما السلام - ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾(١)، وقول نوح - عليه السلام - ﴿ **رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين** ﴾(٢)، وقول إبراهيم الخليل - عليه السلام - ﴿ **والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين** ﴾(٣)، وقول داود - عليه السلام - ﴿ **فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب** ﴾(٤)، وغير ذلك، (ولا شك أن التوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع الله بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه كما قال بعض السلف : كان داود - عليه السلام - بعد التوبة خيراً من قبل الخطيئة، وقول الآخر : لو لم تكن التوبة أحب شئ إليه تعالى لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق إليه، وقد قال تعالى : ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾(٥)، وفي الكتاب والسنة الصحيحة والكتب التي أنزلت قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما يتعذر إحصاؤه، والرادّون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية لنصوص الأسماء والصفات ونصوص القدر ونصوص المعاد، وهي من جنس تأويلات القرامطة(٦) الباطنية التي يعلم بالاضطرار أنها باطلة، وأنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه، وهؤلاء يقصد أحدهم تعظيم الأنبياء، فيقع في تكذيبهم)(٧).

---

١) سورة الأعراف آية ٢٣.

٢) سورة هود آية ٤٧.

٣) سورة الشعراء آية ٨٢.

٤) سورة ص آية ٢٤.

٥) سورة البقرة آية ٢٢٢.

٦) نسبة إلى حمدان بن الأشعث الذي كان يلقب بقرمط، تتلمذ على حسين الأهوازي رسول عبدالله بن ميمون القدّاح، ثم اتخذ لنفسه مقراً قرب الكوفة سماه دار الهجرة، وأخذ هو وأتباعه يشنون منه الغارات على المسلمين، وقد انتشرت دعوته في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي وكانت سبباً في كثير من القلاقل والحروب، وقد ذكر البغدادي أن حمدان قرمط كان من الصابئة الحرانية إضافة إلى كونه باطنياً . انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٢٦، والفرق بين الفرق ص ١٦٩- ١٧٧.

٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/ ٢٩٤- ٢٩٥.

وهكذا يظهر بما لامجال للشك أنه قد وقعت لعدد من الأنبياء بعض المخالفات التي هي دون الكبائر، وقد تابوا منها وقَبِل الله توبتهم ورفعهم بسببها درجات، وهذا لا ينافي عصمتهم، فلا يجوز إذاً أن يُؤَوَّل ما حصل منهم على غير المعنى المراد منه، لئلا يقع المرء في المحذور ولئلا يتشبه بمن يحرفون الكلم عن مواضعه.

ج - عصمتهم في البلاغ :

ومن العصمة التي أكرم الله بها الأنبياء والرسل - عليهم السلام - وحفظهم بها، عصمتهم فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته فيما كان طريقه القول على كل حال، وهذا مما اتفق عليه المسلمون(١)، ولهذا وجب الايمان بكل ما أخبروا وأتوا به، قال الله تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى** ﴾(٢)، وقال سبحانه أيضاً ﴿ **قولوا آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم** ﴾(٣).

أما عصمتهم عليه السلام عن السهو والنسيان فلم تثبت عند جمهور أهل السنة خلافاً للرافضة، فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل، وينقلون ذلك إلى من يعتقدون إمامته، أما جماهير أهل السنة فإنهم يقولون إن الأنبياء غير معصومين من الخطأ والنسيان، بل إن ذلك يقع أحياناً ليس على سبيل التكرار والاستمرار، بل على النادر، وهم مع ذلك لا يُقَرّون عليه، بل يُنَبّهون من الله ويُعَرّفون حكمه، إما على الفور وهو الراجح أو قبل مماتهم(٤).

١ - رأي القاضي عياض في ذلك :

وافق القاضي عياض المذهب الراجح في هذه المسألة فقال : (وكذلك اتفقوا - يعني المسلمين - على أن كل ما كان طريقه البلاغ من القول فإنهم معصومون فيه على كل حال، وأما ما كان طريقه البلاغ في الفعل، فذهب بعضهم

---

١) انظر الشفا ٢/ ١٢٣- ١٢٤، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٠/ ٢٨٩- ٢٩٠.

٢) سورة النجم آية ٣- ٤.

٣) سورة البقرة آية ١٣٦- ١٣٧.

٤) انظر الشفا ١٢٣/٢، ١٣٨- ١٤٠، ١٤٩- ١٥٠، وشرح صحيح مسلم ٦١/٥، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤/ ٣٢٠، وفتح الباري ١٢١/١، ونيل الأوطار ٦٩/٣.

إلى العصمة فيه رأساً وأن السهو والنسيان لا يجوز عليهم، وتأولوا أحاديث السهو وغيرها، وذهب معظم المحققين وجماهير العلماء إلى جواز ذلك ووقوعه منهم، وهذا هو الحق، ثم لا بد من تنبيههم عليه وذكرها إياه، إما في الحين على رأي جمهور المتكلمين، أو قبل وفاتهم على رأي بعضهم، ليسنّوا حكم ذلك ويبيّنوه قبل انخرام مدتهم وليصح تبليغهم ما أنزل إليهم كما قال ﷺ « إني لأنسى أو أنَسَّى لأَسُنّ »[1])[2].

وقد استدل القاضي أبو الفضل - رحمه الله - لترجيحه هذا المذهب بعدة أحاديث منها :

١ - الحديث المتقدم « إني لأنسى أو أنسى لأَسُنّ ».

٢ - وحديث ذي اليدين[3] الذي قال للنبي ﷺ لما صلّى العصر بالصحابة ركعتين : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ قل : « لم أنس ولم تقصر، فقال : أكما يقول ذو اليدين ؟ فقال الناس : نعم، فقام فصلى إثنين أخريين ثم سلّم ثم كبّر فسجد مثل سجوده أو أطول - وفي رواية - لما قال ﷺ « لم أنس ولم تقصر » قال ذو اليدين : بلى قد نسيت[4]. إلى غير ذلك من الأحاديث.

وقد قال رحمه الله عقب ذكرها : (وهذه الأحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي فسرناه وحكمة الله فيه ليُستن به، إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال، وشرطه أن لا يُقَرّ على السهو بل يشعر به ليرتفع الإلتباس، وتظهر فائدة الحكمة والنسيان والسهو في الفعل في حقه ﷺ غير مضاد

---

١) رواه مالك مرسلاً في الموطأ في كتاب السهو الباب الاول ١١/١٠٠ برقم : ٢، وقد وصله غير واحد من العلماء وصححه، منهم ابن الصلاح في رسالة في وصل البلاغات الأربعة في الموطأ ص ٣، ١٠، ١٣، والقاضي عياض في الشفا ٢/١٤٠، وغيرهما. انظر تدريب الراوي ١/٢١٢، ويمكن أن يستشهد لهذا الحديث بما رواه الشيخان عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني » رواه البخاري في كتاب الصلاة باب التوجه نحو القبلة حيث كان ١/٦٠٠ برقم : ٤٠١، ومسلم في كتاب المساجد باب السهو في الصلاة ١/٤٠٠ برقم : ٧٥٢.

٢) إكمال المعلم ٣/٨٨٤- ٨٨٥، وانظر الشفا ٢/١٢٣، ١٣٨- ١٤٠، ١٤٩- ١٥٠.

٣) هو الخرباق بن عمرو السلمي، ولقبه ذو اليدين لطول كان في يديه، كان ينزل بذي جشب من ناحية المدينة، عاش حتى روى عنه المتأخرون من التابعين. انظر أسد الغابة ٢/ ١٤٥- ١٤٦، والإصابة ١/ ٤٢٢.

٤) رواه البخاري في كتاب الأذان باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس٢/ ٢٤٠ برقم : ٧١٤، وفي كتاب السهو باب من لم يتشهد في سجدتي السهو ٣/ ١١٨ برقم : ١٢٢٨، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب السهو في الصلاة والسجود له ١/ ٤٠٣- ٤٠٥ برقم : ٥٧٣- ٥٧٤.

للمعجزة ولا قادح في التصديق، وقد قال ﷺ « إنما أنا بشر أنس كما تنسون فإذا نسيت فذكروني »(١)، وقد أثبت ﷺ صورة النسيان لتُسنّ ونفى التعمد والقصد)(٢).

٢ - إبطال القاضي عياض لقصة الغرانيق :

خلاصة القصة : تقدم أن الأنبياء عليهم السلام معصومون باتفاق المسلمين فيما يبلغون به عن الله عز وجل من القول، وقد اشتهرت في كثير من كتب السيرة والتفاسير وعلى ألسنة بعض الناس قصة الغرانيق التي ملخصها، ما نسب إلى رسول الله ﷺ أنه لما قرأ سورة النجم ووصل إلى قوله تعالى : **﴿ أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ﴾**(٣)، قال : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم، وقد فشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان، حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين المهاجرين، وقيل : إن أهل مكة اسلموا كلهم ففرح المهاجرون ورجعوا إلى عشائرهم لما سمعوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة، فلما دنوا منها بلغهم أن ما سمعوه من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً، وقد وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه ﷺ، وأنه ﷺ كان يتمنّى أن لو أنزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه، وأن جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال : ما جئتك بهاتين، فحزن لذلك النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى تسلية له **﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يُحكِمُ الله آياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنةً للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ﴾**(٤). فلما بيّن الله قضاءه وبرّأه من سجع الشيطان انقلب المشركون بضلالاتهم وعداوتهم للمسلمين، وقالوا : ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغيّر ذلك، فاشتدت أذيتهم على المسلمين وعداوتهم لهم(٥).

---

١) متفق عليه وقد تقدم تخريجه في هامش (١) بالصفحة السابقة.
٢) الشفا ٢/ ١٥٢- ١٥٣.
٣) سورة النجم آية ١٩- ٢٠.
٤) سورة الحج آية ٥٢- ٥٣.
٥) انظر هذه القصة المكذوبة في تفسير البغوي ٢٩٢/٣- ٢٩٣، والشفا ١٢٤/٢- ١٢٥، وتفسير ابن كثير ٢٢٩/٣- ٢٣٠، وغير ذلك.

إبطال القاضي لهذه القصة :

لقد أبطل القاضي أبو الفضل رحمه الله هذه القصة وقلع جذورها المتهالكة من وجوه عدة(١) منها :

١ - أن الحديث الوارد في هذه القصة لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم.

٢ - أن سند القصة بالإضافة إلى كونه منقطعاً ففيه أيضاً اضطراب شديد واختلاف في كلماتها، فقائل يقول : إنه ﷺ قال ذلك في صلاته، وآخر يقول : بل قالها في نادي قومه حين أنزلت السورة، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي ﷺ لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك، وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها، فلما بلغ عليه الصلاة والسلام ذلك قال : والله ما هكذا نزلت. إلى غير ذلك من اختلاف الرواة، ومن حكيت هذه الرواية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى أحد من الصحابة، وما رفع إلى أحد منهم فطريقه واهٍ ضعيف أو فيه كذاب.

٣ - يستحيل أن تقع مثل هذه القصة المكذوبة من رسول الله ﷺ، لأنه معصوم وقد أجمعت الأمة على ذلك، وخاصة على عصمته في البلاغ بالقول، فما ذكر من أنه ﷺ تمنى أن ينزل عليه مثل هذا من مدح للآلهة التي تعبد من دون الله ليجلب قلوب قومه له، فمثل هذا التمني كفر لا يصدر من سيد المرسلين، وما ذكر من أن الشيطان شبه عليه وتسوّر له حتى جعل في القرآن ما ليس منه ولم يعرف ذلك حتى نبهه جبريل، فهذا ممتنع في حقه ﷺ لأنه معصوم، فلم يجعل الله للشيطان عليه أي سبيل، ومن ظن أن النبي ﷺ قال ذلك من قبل نفسه عمداً فقد رماه بالكفر، وإن قال : قاله ناسياً أو سهواً فالرد عليه أنه عليه الصلاة والسلام معصوم من هذا كله في البلاغ عن الله كما سبق بيانه، فلا يجري على قلبه الكفر ولا على لسانه لا عمداً ولا سهواً، ولا يشتبه عليه ما يلقيه جبريل مما يلقيه الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، ولا يتقول على الله عمداً ولا سهواً ما لم ينزل عليه، وقد قال تعالى : ﴿ **ولو تَقَوّلَ علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه**

---

١) انظر الشفا ٢/ ١٢٥- ١٣٢، فقد أجاد في نسف هذه القصة وإبطالها بكلام نفيس.

باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين ﴾(١).

٤ - أن القصة مستحيلة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي، لكان بعيد الإلتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم، ولما كان النبي ﷺ ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد قريش ممن يخفى عليه ذلك، وهذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجح حلمه، واتسع في بيان البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه.

٥ - أنه لم يتأثر بها ضعاف الايمان والمنافقون، ولم يذكر أحد ذلك عنهم شيئاً كما حصل في قصة الإسراء والمعراج، ولو صحت هذه القصة لوجدت قريش والمشركون بها على المسلمين صولة، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء، حتى كان في ذلك لبعض ضعاف الإيمان ردّة، ولا شك أن هذه القصة أعظم بلاء على فرض صحتها من قضية الإسراء والمعراج، ولكن لم يرد عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة، فدل على بطلانها واجتثاث أصلها.

٦ - أن بعض الرواة ذكروا بأنه قد نزلت لهذه القصة قوله تعالى: ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً** ﴾(٢)، وهاتان الآيتان تردّان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنوه حتى يفتري، وأنه لولا أن ثبّته حتى لكاد يركن إليهم قليلاً، فكيف كثيراً وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه قد زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم، وأنه ﷺ قال: « افتريت على الله وقلت ما لم يقل » وهذا ضد مفهوم الآية، وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له ؟ ومثل هذا قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ **ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يُضلوك وما يُضلون إلا أنفسهم وما يضرّونك من شئ** ﴾(٣)، وقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قوله: (كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون، قال تعالى: ﴿ **يكاد سنا برقه يَذهب بالأبصار** ﴾(٤) ولم يذهب، فرسول الله ﷺ معصوم ومُثبّت من الله عز وجل عن الوقوع في الكفر أو بما لا يجوز عليه، وهذه القصة تناقض

---

١) سورة الحاقة آية ٤٥- ٤٧.

٢) سورة الإسراء آية ٧٣- ٧٤.

٣) سورة النساء آية ١١٣.

٤) سورة النور آية ٤٣.

العصمة والتثبيت(١).

الجواب عن هذه القصة على فرض صحتها :

لقد أجاب العلماء رحمهم الله عن هذه القصة على فرض صحتها - وليس كذلك - بعدة أجوبة ذكرها أبو الفضل فقال: الجواب عن الحديث على فرض صحته، وقد أعاذنا الله من صحته، ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين. فمن ذلك ما روي أن النبي ﷺ أصابته سِنَةٌ(٢) عند قراءته لهذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم، وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي ﷺ مثله في حالة من أحواله، ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة، لعصمته ﷺ في هذا الباب من جميع العمد والسهو، وقيل: إن النبي ﷺ حدّث نفسه وسها فقال ذلك الشيطان على لسانه، فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان، وهذا أيضاً لا يصح لأنه ﷺ لا يقول سهواً ولا قصداً ولا يتقوله الشيطان على لسانه، وقيل: لعل النبي ﷺ قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم ﴿ **هذا ربي** ﴾(٣) على أحد التأويلات وكقوله ﴿ **بل فعله كبيرهم هذا** ﴾(٤) بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته، وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد، وأنه ليس من المتلو، وهذا أحد الوجوه التي ذكرها أبو بكر الباقلاني.

والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على فرض التسليم للحديث، هو أن النبي ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً، ويفصل الآيات تفصيلاً عند قراءته كما رواه الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكياً نغمة النبي ﷺ بحيث يسمع من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبي ﷺ فأشاعوها، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لأنهم يحفظون السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله، ومتحققون من حال النبي ﷺ في ذم الأوثان وعيبها ما قد عرف منه، فالمسلمون

---

١) انظر الشفا ٢/ ١٢٥- ١٢٩، وانظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٠، فقد بيّن رحمه الله أن سند القصة منقطع، وفيه المتهمون بالكذب فلا يعتد بهذه القصة البتة، وللشيخ الألباني رسالة قيمة في هذا الشأن سماها (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) قطع فيها جذور هذه القصة المكذوبة فلتراجع.

٢) السِنَةُ : بكسر السين وفتح النون، وهي الغفوة الصغيرة أو مقدمات النوم.

٣) سورة الأنعام الآيات ٧٦- ٧٨.

٤) سورة الأنبياء آية ٦٣.

لم يسمعوها، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم، ويكون ما روى من حزن النبي ﷺ لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يُحكِمُ الله آياته** ﴾(١)، فمعنى تمنّى أي تلا، قال سبحانه: ﴿ **لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ** ﴾(٢) أي تلاوة، وقوله سبحانه ﴿ **فينسخ الله ما يلقي الشيطان** ﴾ أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته(٣). وقيل المراد بالغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى: أي الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم بقوله: ﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سنكتب شهادتهم ويُسألون** ﴾(٤) وقوله: ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى** ﴾(٥)، فأنكر الله كل هذا من قولهم، ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح، فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا آلهتهم ولبّس عليهم الشيطان ذلك، وزيّنه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته، ورفع تلاوته تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان سبيلاً بهما للإلباس كما نسخ بعضاً من القرآن ورفعت تلاوته، وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة، وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء، وقيل: إن النبي ﷺ لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمّها، فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين ليخلّطوا في تلاوة النبي ﷺ ويشنعوا عليه على عادتهم، وقولهم كما حكى الله عنهم ﴿ **لا تسمعوا لهذا القرآن والْغَوْا فيه لعلكم تغلبون** ﴾(٦)، ونسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا ذلك وأذاعوه، وزعموا أن النبي ﷺ قد قاله، فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاّه الله تعالى بقوله ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في**

---

١) سورة الحج آية ٥٢.

٢) سورة البقرة آية ٧٨.

٣) ذكر ابن كثير - رحمه الله - هذا الوجه وقال هو المشهور عند المفسرين وأكثر أهل العلم وقد فسرّ الآية بنحو ما فسرها القاضي عياض. انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٠.

٤) سورة الزخرف آية ١٩.

٥) سورة النجم آية ٢١- ٢٢.

٦) سورة فصلت آية ٢٦.

أمنيته ﴾(١)، وبيّن للناس الحق من ذلك من الباطل، وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبّس به العدو، كما ضمنه في قوله ﴿ **إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون** ﴾(٢).(٣).

قلت: لا حاجة لذكر مثل هذه التأويلات التي نقلها القاضي عياض عن العلماء، لأن القصة باطلة من أساسها لا يلتفت إليها البتة، ولأنه قد يحتج من يرى صحة أو حُسن القصة بمثل هذه الأقوال والتعليلات الآنفة الذكر فيشيعها وينقلها، فالواجب ردها جملة وتفصيلاً لأنها باطلة تناقض العصمة لرسول الله ﷺ.

د - عدم عصمة الأنبياء من العوارض البشرية والأمور الدنيوية:

تقدم أن الأنبياء والرسل - عليهم السلام - معصومون من الكفر والشك بالله، وكذا من الذنوب ومما أوحي إليهم من الشرائع والأحكام وغيرها، وتقدم أيضاً أنهم بشر كسائر بني آدم يأكلون ويشربون وينكحون ويموتون إلى غير ذلك.

فلذا يجوز أن تجري عليهم ما يجري على البشر من الأمراض والأسقام والجوع والعطش والتعب والهمّ والضعف وغير ذلك، لأنهم ليسوا معصومين من ذلك، وهذا كله ليس بنقيصة فيهم، لأن الشئ إنما يسمى ناقصاً بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه، ولا أكمل ولا أتم من الأنبياء، فإنهم صفوة الله وخيرته من خلقه، وجريان تلك العوارض البشرية على الأنبياء والرسل عليهم السلام هو كما يقول القاضي عياض: (هو من باب الابتلاء لهم ورفعة درجاتهم، ومن تمام حكمته تعالى ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبيّن أمرهم ويُتم كلمته فيهم، وليحقق بامتحانهم بشريتهم، ويرتفع الإلتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى ابن مريم وليكون في محنهم تسلية لأممهم، ووفور لأجورهم عند ربهم تماماً على الذي أحسن، وهذه الطوارئ والتغيرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس، وأما بواطنهم فمنزهة في الغالب عن ذلك، فهي متعلقة بالملأ الأعلى وبالملائكة لأخذها عنهم، وتلقيها الوحي عنهم كما قال ﷺ « إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي

---

١) سورة الحج آية ٥٢.

٢) سورة الحجر آية ٩.

٣) انظر الشفا ٢/ ١٢٩- ١٣٢، وانظر أيضاً تفسير البغوي ٣/ ٢٩٣- ٢٩٤.

ويسقيني »(١)، « إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي »(٢)، فأخبر أن سرّه وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره، وأن الآفات التي تحل ظاهر من ضعف وجوع وسهر لا يحل منها باطنه بخلاف غيره من البشر)(٣).

ومن العوارض البشرية التي جرت للأنبياء - عليهم السلام - ما أصاب بعضهم من أمراض وأحزان وغيرها كما جرى لأيوب ويعقوب ... إلخ، وأيضاً ما جرى لنبينا ﷺ حيث مرض واشتكى وأصابه الحر والقَرّ، وناله الإعياء والتعب، وشجّه الكفار وكسروا رباعيته في غزوة أحد الى آخر ما هنالك من أمور تصيب البشر مما لا يقدح بالنبوة، ومن ذلك السحر.

١ - إثبات سحره ﷺ :

من العوارض البشرية التي جرت للرسول ﷺ ما ثبت أنه سحر على يد اليهودي الخبيث لبيد بن الأعصم، فقد قالت عائشة رضي الله عنها « سحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيّل إليه أنه فعل الشئ وما فعله - وفي رواية - حتى كان يخيّل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن »(٤) متفق عليه.

وقد يظن من لا فقه له في الدين أن إثبات سحره ﷺ هو طعن برسالته، أو مما يتنافى مع عصمته. والحق أنه لا يوجد شئ من ذلك البتة.

يقول القاضي عياض - رحمه الله - راداً على هذا الوهم أو هذه الشبهة : (اعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث(٥) صحيح متفق عليه، وقد طعنت فيه الملاحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع، وقد نزّه الله الشرع والنبي ﷺ عما يدخل في أمره لبساً، وإنما السحر مرض من الأمراض، وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ كأنواع الأمراض مما لا يُنكر ولا يقدح في نبوته، وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشئ ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شئ من تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طروءه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من أجلها، وهو

---

١) تقدم تخريجه ص٥١٤.

٢) رواه البخاري في كتاب المناقب باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ٦/ ٦٧٠ برقم : ٣٥٦٩، ٣٥٧٠، وأحمد ٢/ ٣٥١، ٤٣٨.

٣) الشفا ٢/ ١٧٩- ١٨٠.

٤) رواه البخاري في كتاب الطب باب السحر ١٠/ ٢٣٢ برقم : ٥٧٦٣، ٥٧٦٥، ومسلم في كتاب السلام باب السحر ٤/ ١٧١٩ برقم : ٢١٨٩.

٥) يعني حديث عائشة رضي الله عنها الآنف الذكر.

فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل اليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان، وأيضاً فقد فسّر هذا الفصل الحديث الآخر من قولها (أي عائشة) « حتى يخيل إليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن »، أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن أصابته أخذة السحر، فلم يقدر على إتيانهن، كما يعتري من آخذ واعتُرض بعلة، ولمثل هذا أشار سفيان(١) بقوله: (هذا أشد ما يكون من السحر)، ولم يأت في خبر عنها أنه نقل عنه ﷺ في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخيلات، وقيل: إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشئ أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته، فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة، فقد استبان لك أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه، لا على قلبه واعتقاده وعقله، وأنه إنما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه)(٢).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز ذلك يعدم الثقة بما شرع من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيّل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثَمّ، وأنه يوحى إليه بشئ ولم يوح إليه، وهذا كله مردود. لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله، وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيّل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن ذلك في أمور الدين، والمراد بالحديث أنه ﷺ كان يخيّل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيراً ما يقع تخيّله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيّل إليه في اليقظة، قال ابن حجر: لا يلزم من أنه ﷺ كان يظن أنه فعل الشئ ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حجة)(٣).

---

١) هو سفيان بن عيينة. انظر فتح الباري ١٠/ ٢٣٢، ٢٤٣، وقد تقدمت ترجمته ص ٢٢٩.

٢) الشفا ٢/ ١٨١- ١٨٢.

٣) فتح الباري ١٠/ ٢٣٧.

٢ - عدم عصمته ﷺ في بعض أمور الدنيا :

من الأمور التي لا عصمة فيها للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والتي لا ضير فيها ولا نقيصة في حقهم ما يتعلق بعدم إتقانهم الأمور الدنيوية التي لا دخل لها بأمور الدين، وذلك كأن يعتقد ﷺ في أمور الدنيا الشئ على وجه ويظهر خلافه، أو يكون منه على شك أو ظن.

من ذلك ما جاء عنه ﷺ أنه لما قدم المدينة وهم يُأبرون النخل فقال : « ما تصنعون ؟ » قالوا : كنا نصنعه، قال : « لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً » فتركوه فنفضت، فذكروا ذلك له، فقال : « إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشئ من رأي فإنما أنا بشر - وفي رواية - أنتم أعلم بأمور دنياكم »(١).

ومن هذا النوع أيضاً، ما جاء في السيرة النبوية(٢) أنه ﷺ لما نزل بأدنى ماء بدر قال له الحباب بن المنذر(٣) - رضي الله عنه - أهذا منزل أنزلكه الله أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : « بل هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ » قال : فإنه ليس بمنزل. انهض حتى تأتي أدنى ماء بدر من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القليب فنشرب ولا يشربون، فقال : « أشرت بالرأي » وفعل ما قاله، وقد قال الله له : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾(٤). قال القاضي عياض - عقب ذكره لهاتين القصتين - : (فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة، ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه ﷺ فيها ما ذكرناه، إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جرّبها وجعلها همه وشغل نفسه بها، والنبي ﷺ مشحون القلب بمعرفة الرب ملآن الجوانح بعلوم الشريعة، معتد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية، ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور، ويجوز في النادر، وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها، لأن في الكثير المؤذن بالبله والغفلة، وقد تواتر النقل عنه

---

١) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله ﷺ شرعاً ٤/ ١٨٣٥ برقم : ٢٣٦٢-٢٣٦٣، وابن ماجة بنحوه في كتاب الرهون باب تلقيح النخل ٢/ ٨٢٥ برقم : ٢٤٧٠، ٢٤٧١.

٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٢٠ بتحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط : الثانية ١٣٧٥ هـ، مطبعة الحلبي - مصر. وقد ورد هذا الخبر بسند حسن إلى عروة لكنه مرسل. انظر السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري ٢/ ٣٦٠، ط : مكتبة العلوم الحكم.

٣) هو أبو عمر، الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري الخزرجي السلمي، كان من الشجعان الشعراء ويقال له ذو الرأي، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد زاد عمره على الخمسين. انظر أسد الغابة ١/ ٣٦٤، والإصابة ١/ ٣٠٢.

٤) سورة آل عمران آية ١٥٩.

ﷺ من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر)[1].

المطلب الرابع : الصبـــر.

من الصفات التي اتصف بها الأنبياء والمرسلون - عليهم السلام - الصبر وتحمل الأذى والعناء في سبيل الله لتبليغ دعوة الله عز وجل إلى الناس.

والصبر من الخصال الحميدة التي يمدح بها الكُمّل من الناس، لذلك جبل الله عز وجل صفوة خلقه - عليهم السلام - على الإتصاف به، بل وأمرهم بالتحلي به، يقول الله عز وجل مخاطباً خاتم رسله محمد ﷺ وآمراً له ﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** ﴾[2]، وقال ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون** ﴾[3]. كما أمر عباده المؤمنين به فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾[4]، وأثنى عز وجل على الصابرين بقوله ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾[5]، وقوله : ﴿ **وبشّر الصابرين** ﴾[6].

والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

وقد نبه القاضي عياض - رحمه الله - على هذه الخصلة الحميدة التي امتاز بها الأنبياء والمرسلون، وعلى وجه الخصوص خاتمهم محمد ﷺ، واستشهد لذلك بكثير من الأمثلة المشهورة في السنة النبوية، كخروجه ﷺ إلى الطائف وما جرى له، وكقصة الأعرابي الذي جذب رسول الله حتى كاد يخنقه وقال له اعدل، وغير ذلك من القصص، ومع هذا كله ورسول الله ﷺ صابر حليم لم ينتقم، بل يعفو ويصفح، فقد كان أصبر الناس وأحلمهم وأعفاهم عن المسئ وأرحمهم بالخلق، وهذا كله مما أدّب الله به نبيه ﷺ حيث قال له ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾[7].[8].

---

1) الشفا ٢/ ١٨٥.
2) سورة الأحقاف آية ٣٥.
3) سورة النحل آية ١٢٧.
4) سورة آل عمران آية ٢٠٠.
5) سوْرة الشورى آية ٤٣.
6) سورة البقرة آية ١٥٥.
7) سورة الأعراف آية ١٩٩.
8) انظر الشفا ١/١٠٣- ١١٠.

المطلب الخامس : حسن الخلق.

من الخصال الحميدة والآداب الشريفة التي اتصف بها الأنبياء والمرسلون - عليهم السلام - والتي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم من اتصف بها، والتي جاء الشرع الحنيف بالثناء عليها والأمر بها، ووعد بالسعادة للمتخلق بها، ومن هذه الخصال حسن الخلق، وقد عرّفه القاضي عياض وأشار إلى اتصاف الأنبياء به فقال : (حسن الخلق هو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها، وجميعها كانت خلق نبينا ﷺ على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله عليه بذلك فقال تعالى ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾(١). وقالت عائشة - رضي الله عنها - عن الرسول ﷺ « كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه »(٢)، وقال ﷺ « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »(٣)، قال أنس - رضي الله عنه - : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً(٤). وكان ﷺ فيما ذكره المحققون مجبولاً عليها في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا برياضة، بل بجود إلهي وخصوصية ربانية، وهكذا لسائر الأنبياء، ومن طالع سيرتهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك، كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام، بل غرزت فيهم هذه الخصال في الجبلّة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة)(٥).

وقد بيّن - رحمه الله - أن حسن الخلق يعم ويشمل أموراً وأخلاقاً عظيمة كثيرة، مثل التعقل والحياء والمروءة والصمت، والتؤدة والوقار والحكمة، وحسن الأدب والمعاشرة والشكر، والعدل والزهد والتواضع، والعفة والجود والكرم وغير ذلك، وأوضح أن كل هذه الصفات هي مما أكرم الله عز وجل أنبياءه ورسله عليهم السلام وحلاّهم بها، وفي مقدمة ذلك إمامهم وخاتمهم محمد

---

١) سورة القلم آية ٤.

٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل ١/٥١٢- ٥١٣ برقم : ٧٤٦، والنسائي في كتاب قيام الليل باب قيام الليل ٣/٢٢١- ٢٢٢ برقم : ١٦٠٠، وأبو داود في كتاب الصلاة باب في صلاة الليل ٢/٨٧-٨٨ برقم : ١٣٤٢.

٣) رواه أحمد ٢/٣٨١، ومالك في الموطأ في كتاب حسن الخلق باب ما جاء في حسن الخلق ٢/٦٩٠ برقم : ٨، قال ابن عبد البر حديث صحيح متصل. انظر التمهيد ٢٤/٣٣٣-٣٣٥، والموطأ ٢/٦٩٠، وصححه الألباني في الصحيحة برقم : ٤٥.

٤) رواه مسلم في كتاب المساجد باب جواز الجماعة في النافلة ١/٤٥٧ برقم : ٦٥٩، وأحمد ٣/٢٧، وأبو داود في كتاب الأدب باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ ٥/١٣٢ برقم : ٤٧٧٣.

٥) الشفا ١/٩٦- ٩٧.

ﷺ، وقد أطنب في شرح هذه الأمور والاستدلال عليها بما يتعذر ذكره هـهنا(١).

المطلب السادس : كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب :

لقد أكرم الله أنبياءه ورسله عليهم السلام حيث أكمل خلقتهم وجمّل صورتهم ومظهرهم، فاستووا في الجمال الخَلْقي والخُلقي، واختارهم عز وجل من أشرف الأنساب وأزكى البيوت والأقوام، وفضلهم سبحانه بهذه الصفات والخصال، وبما أوحى إليهم من الشرائع والأحكام على بني البشر ليكونوا نجوماً وأئمة يهتدون ويقتدون بهم.

وقد اقتضت حكمته عز وجل أن لا يوحي لأحد من خلقه إلا ويكمله بما ذكرت، لئلا يكون الرسول أو النبي مدعاة أو وسيلة للسخرية والطعن من قومه الكافرين.

يقول القاضي عياض منبهاً على هذا الأمر : اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل - صلوات الله عليهم - من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة، لأنها صفات الكمال، والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم - صلوات الله عليهم -، إذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات، قال تعالى : ﴿ **ولقد اخترناهم على علم على العالمين** ﴾(٢)، قال ﷺ : « إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر - ثم قال في آخر الحديث - على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم - عليه السلام - طوله ستون ذراعاً في السماء »(٣) . ومن المعلوم أن الأنبياء هم أول الناس دخولاً الجنة.

وعن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : (ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه وحسن الصوت، وكان نبيكم ﷺ أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً)، وفي حديث هرقل ملك الروم لما سأل عن نسبه ﷺ، فقيل له : إنه ذو نسب، فقال هرقل : كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها(٤).

---

١) انظر المرجع السابق ص ٥٥، ١٠٢- ١٤٧.

٢) سورة الدخان آية ٣٢.

٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٦/ ٣٦٧ برقم : ٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٤، وفي كتاب الأنبياء ٦/ ٤١٧ برقم : ٣٣٢٧، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ٤/ ٢١٧٨- ٢١٧٩ برقم : ٢٨٣٤، وغيرهما.

٤) انظر الشفا ١/ ١٤٧- ١٤٨، وأثر أنس رواه الترمذي في الشمائل عن قتادة. انظر مختصره للألباني ص ١٦٨، وقال : ضعيف.

ومن صور الكمال الخلقي الذي اتصف به الأنبياء والرسل عليهم السلام والذي هو داخل فيما سبق فصاحة اللسان والبيان، وكمال العقل والحواس، وذكاء اللب واعتدال الحركات، ونظافة الظاهر والباطن، وقوة الجسم والقدرة على الزواج إلى غير ذلك مما هو كمال(١).

هذه باختصار صفات الأنبياء والرسل التي ذكرها القاضي عياض رحمه الله وتوسّع فيها كثيراً، وقد ركز حديثه عن المصطفى المختار ﷺ وكمالاته المختلفة، والحق أنه قد أجاد في ذلك وأصاب الحق فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

المبحث الخامس : الإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ وما يستلزم ذلك من أمور.

المطلب الأول : فرض الإيمان بنبوة محمد ﷺ وبعض الأدلة عليه.

أ - حكم الإيمان بالنبي ﷺ وبعض الأدلة عليه :

الإيمان بنبوة محمد ﷺ ورسالته والاعتقاد بأن الله أرسله للعالمين بشيراً ونذيراً، وأنه عبد الله ورسوله وصفيه وخليله وخاتم أنبيائه ورسله ... الإيمان بهذا كله أصل عظيم من أركان الإسلام، وشرط من شروط الإيمان، فلا يحصل للعبد إيمان ولا إسلام إلا بتحقيقه لذلك.

والأدلة على ذلك كثيرة جداً ذكر بعضها القاضي عياض فقال : (الإيمان بالنبي ﷺ وتصديقه فيما أتى به واجب متعيَن لا يتم إيمان إلا به، ولا يصح إسلام إلا معه، قال الله تعالى : ﴿ **ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً** ﴾(٢)، وقال : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا** ﴾(٣)، وقال : ﴿ **إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * لتؤمنوا بالله ورسوله** ﴾(٤)، وقال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ... »(٥). وزاد ﷺ هذا الأمر وضوحاً في حديث جبريل إذ قال له أخبرني عن الإسلام فقال النبي ﷺ : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، - وذكر أركان الإسلام - ثم سأله عن الإيمان فقال ﷺ : « أن تؤمن

---

١) المرجع السابق ١/ ٦١- ٩٥.
٢) سورة الفتح آية ١٣.
٣) سورة التغابن آية ٨.
٤) سورة الفتح آية ٨- ٩.
٥) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص ٨٩ .

بالله وملائكته وكتبه ورسله ... »(١) الحديث)(٢).

قلت : من الأدلة أيضاً على هذا الأمر قوله سبحانه ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾(٣)، وقوله ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾(٤)، وقوله ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾(٥)، إلى غير ذلك من النصوص.

ب - معنى الإيمان برسول الله ﷺ :

الإيمان برسول الله ﷺ يعني تصديقه فيما أخبر به وبما جاء به من عند الله عز وجل، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما نهى عنه وزجر، والإلتزام بشريعته ومحبته أكثر من النفس والأهل والمال والناس أجمعين، وتوقيره ومؤازرته ونصرته، وإحياء سنته وإعظام أمره، وترك التقدم بين يديه ....، إلى غير ذلك من الأمور التي سيأتي تفصيل الحديث عنها لاحقاً، لأنه لا ينفع إيمان به ﷺ بالقول واللسان بدون تصديق القلب وعمل الجوارح.

يقول القاضي أبو الفضل رحمه الله منبهاً على ذلك : والإيمان به ﷺ هو تصديق نبوته ورسالته، وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله، ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله، فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان ثم الإيمان به والتصديق له كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله »(٦)، وكما وضح ذلك حديث جبريل فقرر عليه الصلاة والسلام أن الإيمان محتاج إلى العقد بالجنان والعمل بالجوارح، وأن الإسلام به مضطر إلى النطق باللسان، لأن من شهد بلسانه ولم يوقن بذلك قلبه فهو المنافق، قال سبحانه : ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾(٧)، أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه، فلما لم تصدق ذلك قلوبهم لم ينفعهم أن يقولوا كما أخبر الله عز وجل، وإن كانوا في الدنيا تجري

---

١) رواه مسلم وقد تقدم تخريجه ص ١٠٦ .
٢) الشفا ٢/ ٢- ٣.
٣) سورة الأعراف آية ١٥٨.
٤) سورة سبأ آية ٢٨.
٥) سورة الأحزاب آية ٤٠.
٦) متفق عليه وقد تقدم ص ٨٩ .
٧) سورة المنافقون آية ١.

عليهم أحكام المسلمين بإظهارهم شهادة اللسان والعمل بالأركان(١).

المطلب الثاني : وجوب طاعته ﷺ والتمسك بسنته :

إن طاعة الرسول ﷺ فيما أمر به، والإنقياد له والانتهاء عما نهى عنه والتسليم التام لما جاء به من عند الله، والاقتداء به واتباعه والتمسك بسنته، كل ذلك من أوجب الواجبات على كل عبد ومن أعظم حقوقه على الخلق، وذلك من مستلزمات الايمان به عليه الصلاة والسلام، بل إنه لا سعادة ولا نجاة ولا فوز لمخلوق في المرجع والمآل إلا بذلك.

ولقد فاضت نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح في الأمر بذلك والحث عليه، والترغيب فيه والتحذير من ضده. وقد اهتم القاضي عياض - جزاه الله خيراً - اهتماماً بالغاً بهذا الموضوع وأفرده بعدة فصول في كتابه الشفا، جمع فيها الكثير من الأدلة على هذا الأمر، وأطال فيه وأجاد بما لا يستغني عن معرفته مسلم فضلاً عن طالب علم. ورغبة مني في عدم الإطالة فإني ألخص كلامه ومقصوده.

أ - وجوب طاعته ﷺ :

قال القاضي رحمه الله : وأما وجوب طاعته ﷺ، فإذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته، لأن ذلك مما أتى به، قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾(٢)، وقال : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول** ﴾(٣)، وقال : ﴿ **وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون** ﴾(٤)، وقال : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾(٥)، وقال : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾(٦).

وقال : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾(٧)، وقال : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين**

---

١) الشفا ٢/ ٣- ٤ بقليل من التصرف.
٢) سورة النساء آية ٥٩، وسورة محمد آية ٣٣.
٣) سورة آل عمران آية ٣٢.
٤) سورة آل عمران آية ١٣٢.
٥) سورة النور آية ٥٤.
٦) سورة النساء آية ٨٠.
٧) سورة الحشر آية ٧.

والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾(١)، وقال : **﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾**(٢).

فجعل طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته، ووعد على ذلك بجزيل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه، قال المفسرون والأئمة : طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به، فإن الله تعالى ما أرسل من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه.

وتكون طاعته ﷺ أيضاً بالشهادة له بالنبوة والرسالة ولله تعالى بالربوبية والألوهية، وبامتثال ما أمر به والانتهاء عما حرّمه ونهى عنه، والعمل بما جاء به، فإن الله تعالى يقول : **﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾**، وقد سئل بعض السلف عن شرائع الإسلام فتلى هذه الآية، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني »(٣)، فطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته، فطاعته ﷺ امتثال لما أمر الله به وطاعة له، وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم فقال : **﴿ يوم تُقلّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾** (٤)، فتمنوا طاعته تعالى ورسوله ﷺ حيث لا ينفعهم التمني، وقال ﷺ : « اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ماستطعتم » (٥)، وقال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَنْ أبى، قيل ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى »(٦)، وقال : « إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال : يا قوم إني رأيت

---

١) سورة النساء آية ٦٩.

٢) سورة النساء آية ٦٤.

٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب يقاتل من وراء الامام ويتقى به ٦/ ١٣٥، برقم : ٢٩٥٧، وفي كتاب الاحكام باب قول الله ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ ١١٩/١٣ برقم : ٧١٣٧، والنسائي في كتاب البيعة باب الترغيب في طاعة الإمام ١٧٤/٧ برقم : ٤٢٠٤.

٤) سورة الاحزاب آية ٦٦.

٥) رواه البخاري في كتاب الإعتصام بالسنة باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ ٢٦٤/١٣ برقم : ٧٢٨٨، ومسلم في كتاب الفضائل باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله ١٨٣٠/٤ برقم : ١٣٣٧.

٦) رواه البخاري في كتاب الإعتصام بالسنة باب الإقتداء بسنن الرسول ﷺ ٢٦٣/١٣ برقم : ٧٢٨٠، وأحمد ٣٦١/٢.

الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان(١) فالنجاء(٢)، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا (٣)، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق »(٤).(٥).

فتبين من النصوص السابقة التي ذكرها القاضي أبو الفضل أن طاعة الرسول ﷺ هي شرط من شروط الايمان بالله ورسوله، وأنها سبب الهداية والرحمة والفوز برضا الله تعالى ودخول جنته والنجاة من عذابه وعقابه، وقد كانت طاعته ﷺ بهذه المنزلة العالية الرفيعة، لأنه عليه الصلاة والسلام لا يأمرنا إلا بكل خير وسعادة لنا في الدارين، ولا ينهانا إلا عما فيه الشقاوة والشر في الدنيا والآخرة، ففي طاعته الحياة الحقيقية للقلوب والأرواح والأبدان، وفي معصيته الموت لها، وقد صدق الله عز وجل حيث يقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون** ﴾(٦).

فلا عجب إذاً أن تفيض نصوص الكتاب والسنة بالأمر بهذه الطاعة والحث عليها، فقد وردت في كتاب الله تعالى وحده أكثر من ثلاثين مرة، يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : (نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً) ثم جعل يتلو ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾(٧)، وجعل يكررها ويقول : (ما الفتنة الشرك لعله أن يقع في قلبه شئ من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾(٨)،

---

١) قال العلماء : أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة، نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم وهم طليعتهم ورقيبهم، وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأبلغ في حثهم للتأهب للعدو، شرح صحيح مسلم ٤٨/١٥.

٢) النجاء : ممدود بالفتح ومعناه أنجوا النجاء أو اطلبوا النجاء. المرجع السابق.

٣) أدلجوا : أي ساروا من أول الليل، والاسم الدُلجة بضم الدال. المرجع السابق ١٥/ ٤٩.

٤) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة باب الإقتداء بسنن رسول الله ١٣/ ٢٦٤، برقم : ٧٢٨٣، ومسلم في كتاب الفضائل باب شفقة النبي ﷺ على أمته ٤/ ١٧٨٨ برقم : ٢٢٨٣.

٥) انظر الشفا ٢/ ٦- ٨.

٦) سورة الانفال آية ٢٤.

٧) سورة النور آية ٦٣.

٨) سورة النساء آية ٦٥.

وقال : (من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة)(١).

ب - وجوب التمسك بسنته ﷺ :

قال القاضي عياض : (وأما وجوب اتباعه ﷺ وامتثال سنته والإقتداء بهديه فقد قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾(٢)، وقال : ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾(٣)، وقال : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾(٤)، أي ينقادوا لحكمك، يقال سلم واستسلم وأسلم اذا انقاد، وقال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾(٥)، والأسوة في الرسول ﷺ الإقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل. قال سهل بن عبدالله التستري(٦) في قوله تعالى : ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾(٧)، قال : بمتابعة السنة. فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه، لأن الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم، ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه وآثروه على أهوائهم وما تجنح إليه نفوسهم، وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه، وروي عن الحسن البصري أن أقواماً قالوا إنا نحب الله تعالى فأنزل الله : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾، وروي أن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وغيره من اليهود حيث

---

١) أخرج هذا الأثر ابن بطة في الابانة ١/ ٢٦٠ برقم : ٩٧، وسنده صحيح كما قال محقق الكتاب.

٢) سورة آل عمران آية ٣١.

٣) سورة الاعراف آية ١٥٨.

٤) سورة النساء آية ٦٥.

٥) سورة الأحزاب آية ٢١.

٦) هو أبو محمد، سهل بن عبدالله بن يونس التستري، الصوفي الزاهد له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقدم راسخ في الطريق كما قال الذهبي، قال لاصحاب الحديث اجتهدوا أن لا تلقوا الله إلا ومعكم المحابر، وسئل إلى متى يكتب الرجل الحديث ؟ قال : حتى يموت، وقال : من أراد الدنيا والآخرة فليكتب الحديث، فإن فيه منفعة الدنيا والآخرة، يقال لقي أبا داود صاحب السنن فقال له أخرج لسانك الذي حدثت به أحاديث رسول الله ﷺ حتى أقبله، فأخرجه له، ولقي ذا النون المصري وصحبه. توفي سنة (٢٨٣ هـ). انظر حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٠.

٧) سورة الفاتحة آية ٧.

قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، ونحن أشد حباً لله فأنزل الله الآية، وعن العرباض بن سارية(١) رضي الله عنه في موعظة النبي ﷺ أنه قال : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ(٢)، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »(٣)، وقال ﷺ : « لا ألفَيَنّ أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به، أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه »(٤)، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت : صنع رسول الله ﷺ شيئاً ترخّص فيه، فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ، فحمد الله ثم قال : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »(٥)، وقال ﷺ : « إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة »(٦)، وقال ﷺ : « إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين، كلها في النار إلا واحدة، قالوا : ومن هم يا رسول

---

١) هو الصحابي الجليل أبو نجيح، العرباض بن سارية السلمي، أسلم قديماً وكان من أعيان أهل الصفة وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ﴾ (التوبة : ٩٣) نزل بحمص وتوفي في فتنة ابن الزبير، وقيل بل مات سنة (٧٥ هـ). انظر أسد الغابة ٣٩٩/٣، وسير أعلام النبلاء ٤١٩/٣، والإصابة ٤٦٦/٢.

٢) أي اجتهدوا على السنة والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاضّ على الشئ بنواجذه خوفاً من تفلته وذهابه، والنواجذ هي الأضراس. هامش صحيح الترغيب والترهيب للألباني ٢٠/١، وانظر المعجم الوسيط ٩٠٢/٢.

٣) رواه أبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ١٣/٥- ١٥ برقم : ٤٦٠٧، والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة ٤٤/٥ برقم : ٢٦٧٦، وقال حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٠/١ برقم : ٣٤ : حديث صحيح.

٤) رواه الترمذي في كتاب العلم با ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ٣٦/٥ برقم : ٢٦٦٣، وقال حديث حسن صحيح، وأبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة ١٢/٥ برقم : ٤٦٠٥، وابن ماجة في المقدمة ٦/١ برقم : ١٢، والبغوي في شرح السنة ٢٠٠/١ وحسنه، والحاكم ١٠٨/١ ووافقه الذهبي. ومعنى (أريكته) الأريكة كل ما اتكئ عليه فهو أريكة، وأراد ﷺ بهذه الصفة أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت وقعدوا عن طلب العلم. شرح السنة ٢٠١/١.

٥) رواه البخاري في كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب ٥٢٩/١٠ برقم : ٦١٠١، ومسلم في كتاب الفضائل باب علمه ﷺ وشدة خشيته ١٨٢٩/٤ برقم : ٢٣٥٦.

٦) رواه مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطب ٥٩٢/٢ برقم : ٨٦٧، وأحمد ٣١٠/٣- ٣١١، وابن ماجة في المقدمة باب (٧) ١٧/١ برقم : ٤٥.

الله ؟! قال : الذي أنا عليه اليوم وأصحابي »(1))(2).

لقد تبين من خلال ما ذكره أبو الفضل رحمه الله من النصوص المحكمة أن الاقتداء بالرسول ﷺ والتمسك بسنته من أوجب الواجبات على كل عبد، بل هو شرط الإيمان ودليل صدق محبة الرحمن جل جلاله، حيث أقسم الرب بنفسه المقدسة العظيمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه ﷺ فيما شجر بينهم وحتى لا يكون في أنفسهم أدنى حرج لحكمه، وحتى ينقادوا عن طواعية ورضا تامّين، وقد اشترط سبحانه وتعالى لصدق محبة العبد له أن يقتدي برسوله ﷺ فقال : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾(3)، وهذه الآية - كما يقول الإمام ابن كثير رحمه الله - (حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، ولهذا قال : ﴿ **إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾، أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء ليس الشأن أن تُحب إنما الشأن أن تُحَبَ، قال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية)(4). فمن كان صادقاً في حبه لله تعالى أحب رسوله ﷺ واتبعه ولم يقدم على قوله وسنته قول أحد، ولهذا أوجب الله عز وجل على المؤمنين التحاكم إلى كتابه وإلى سنة رسوله ﷺ عند الاختلاف مبيناً أن ذلك هو خير لهم وأحسن مآلاً وعاقبة، فقال سبحانه وهو أصدق القائلين : ﴿ **فإن تنازعتم في شئ فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً** ﴾(5) ، فأمرنا عز وجل أن نرد كل خلاف في أي من أمور الدين إلى حكم الكتاب

---

1) رواه الترمذي في كتاب الايمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة 5/ 26 برقم : 2641، وقال هذا حديث مفسر غريب، والآجري في الشريعة باب ذكر افتراق الأمم في دينهم ص 15- 16، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ﷺ يدال الناس بعضهم من بعض ص 85، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة 1/ 99 برقم : 145- 147، سياق ما روي عن النبي في الحث على اتباع الجماعة، والحاكم 1/ 128، وللحديث شواهد وروايات متعددة يرتفع بها إلى درجة الصحة، وقد ألف الشيخ سليم الهلالي كتاباً سماه (درء الارتياب عن قوله ﷺ ما أنا عليه والأصحاب) جمع فيه تلك الشواهد والروايات فليراجع.

2) الشفا 2/ 8- 12.

3) سورة آل عمران آية 31.

4) تفسير ابن كثير 1/ 358، والشفا 2/ 15.

5) سورة النساء آية 59.

والسنة لأن فيهما السعادة والخير لنا، ولأن ما يحكم به الكتاب والسنة ويشهد له بالصحة فهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟! لذلك قال : ﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾، فدل - كما قال الإمام ابن كثير -(١) على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر. والرد إلى الله والرسول المذكور في الآية هو الرد إلى الكتاب وإلى الرسول في حياته وإلى سنته بعد مماته كما قال ذلك غير واحد من أئمة السلف(٢).

وقد أثنى الله عز وجل في كتابه العزيز على المؤمنين وبشرهم بقوله : ﴿ **إنما كان قولَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون * ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** ﴾(٣)، فهكذا يجب أن يكون حال كل مؤمن، أن يقول سمعت وأطعت إذا جاءه أمر من الكتاب أو السنة، فيستقبل ذلك بالقبول والرضا والتطبيق، وينقاد لأمر الله ورسوله ﷺ ويتلقى خبره عليه السلام بالتصديق والقبول دون أدنى معارضة مما يوسوس به الشيطان أو النفس أو المذهب أو غير ذلك من خيال باطل يسميه معقولاً، أو أي شبهة أو شك فيما قال أو حكم به ﷺ، ودون أن يقدم على سنته رأي أحد أو قوله كائناً من كان، فإن المرء إذا كان بخلاف ذلك لم يكن من المفلحين الفائزين، بل من الهالكين الضالين - والعياذ بالله - فإن توحيد المرء إن لم ينقاد لحكم الله ورسوله ينقص وينتقض بقدر خروجه عما جاء به الرسول ﷺ، فليحذر المؤمن ذلك كل الحذر.

ج - نماذج مما ورد عن السلف والأئمة في الحض على التمسك بسنة النبي ﷺ والنهي عن البدع :

قد كان سلف هذه الأمة رحمهم الله من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان أشد الناس حرصاً على اقتفاء أثر النبي ﷺ، وأعظمهم تمسكاً بسنته ونشراً لها وتحذيراً من مخالفتها، أو إهمال شأنها، وأقوالهم ومواقفهم في الدعوة إلى هذا الأمر يصعب حصرها، وقد ذكر القاضي عياض رحمه الله طرفاً منها فقال : (فصل : وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته ﷺ والاقتداء بهديه وسيرته) ثم روى بسنده إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

---

١) تفسير ابن كثير ١/ ٥١٨.

٢) المرجع السابق، وانظر تفسير البغوي ١/ ٤٤٦، والشريعة للآجري ص ٥٣، والإبانة ١/ ٢١٨، والاعتقاد للبيهقي ص ١١١، وتفسير السعدي ٣/ ٨٩.

٣) سورة النور آية ٥١- ٥٢.

: (أن رجلاً سأله فقال : يا أبا عبدالرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر، فقال ابن عمر : إن الله بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً وإنما نفعل كما رأيناه يفعل)(١). وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : (سنّ رسول الله ﷺ وولاه الأمر بعده سنناً، الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستعمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن انتصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً)(٢)، وقال الحسن بن أبي الحسن رحمه الله (عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة)(٣)، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله بتعلم السنة والفرائض واللحن - أي اللغة - وقال : (إن ناساً يجادلونكم بالقرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله)(٤)، وقال رضي الله عنه ونظر إلى الحجر الأسود (إنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)(٥)، ثم قبله، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : (القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة)(٦)، وقال الشافعي رحمه الله (ليس في سنة رسول الله ﷺ إلا اتباعها)(٧)، وقال أبو عثمان الحيري(٨) (من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمّر

---

١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب قصر الصلاة ١٣٨/١، والنسائي في كتاب إقامة الصلاة (باب :١) ١١٧/٣، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة (باب :٧٣) ٣٣٩/١.

٢) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٤٨، وابن بطة في الإبانة ١/ ٣٥٢ برقم : ٢٣٠- ٢٣١ بسند صحيح.

٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة ١/ ٣٥٧ برقم : ٢٤٥.

٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة ١/ ٢٥٠ برقم : ٨٣ بسند صحيح، والآجري في الشريعة ص ٤٨، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٢٣ برقم : ٢٠٢.

٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج باب ما ذكر في الحجر الأسود ٣/ ٥٤٠ برقم : ١٥٩٧، ومسلم في كتاب الحج باب استحباب تقبيل الحجر الأسود ٢/ ٩٢٥ برقم : ١٢٧٠.

٦) أخرجه ابن بطة في الإبانة ١/ ٣٢٠ برقم : ١٦١ و ١/ ٣٣٧ برقم : ٢٠١.

٧) الشفا ١٥/٢.

٨) هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد النيسابوري الحيري، الإمام المحدث الواعظ الصوفي، شيخ الإسلام كان مجاب الدعوة ومجمع العباد والزهاد ولم يزل يطلب الحديث ويكتبه حتى آخر عمره. قال الذهبي هو للخراسانيين نظير الجنيد للعراقيين، ولد بالري سنة (٢٣٠ هـ) وتوفي سنة(٢٩٨ هـ). انظر ترجمته حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤- ٢٤٦، والرسالة القشيرية ص ١٩-٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٢.

الهوى على نفسه نطق بالبدعة)(١)، وقال سهل التستري : (أصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع الأقوال)(٢).

د - التحذير من مخالفة النبي ﷺ والابتداع في دينه :

أ - ذكر القاضي عياض لعدد من النصوص في هذا الشأن :

قال القاضي عياض رحمه الله (مخالفة أمره ﷺ وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب، قال الله تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾(٣)، وقال : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾(٤)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة - وذكر الحديث في صفة أمته وفيه - « فلَيُذادَنّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، فأناديهم ألا هلمّ ألا هلمّ، فيقال : إنهم قد بدّلوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً »(٥)، وروى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « فمن رغب عن سنتي فليس مني »(٦)، وقال ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »(٧)، وقال ﷺ : « لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله »(٨)، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه (لست تاركاً شيئاً

---

١) الرسالة القشيرية ص ٢٠.

٢) الشفا ٢/ ١٣- ١٦، قلت : ليت الصوفية التي ينتسب إليها سهل يتقيد أهلها بما ذكره أحد أئمتهم ولا يبتعدوا عن السنة ويبتدعوا في الدين، لأن التصوف قد صار شعاراً للبدعة والخرافة والجهل والافتراء على دين الله، ولم يعد كما أراده أصحابه الأُوَل، ومع هذا فإن في الكتاب والسنة ما يغني عنه على فهمهم القديم.

٣) سورة النور آية ٦٣.

٤) سورة النساء آية ١١٥.

٥) رواه مسلم في كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ١/ ٢١٨ برقم : ٢٤٩، وابن ماجة في كتاب الزهد باب ذكر الحوض ٢/ ١٤٣٩ برقم : ٤٣٠٦.

٦) رواه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ٩/ ٥ برقم : ٥٠٦٣، ومسلم في كتاب النكاح باب استحباب النكاح ٢/ ١٠٢٠ برقم : ١٤٠١.

٧) متفق عليه وقد تقدم ص ١٦٦.

٨) تقدم تخريجه ص٥٤٦.

كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ)[1])[2].

ب - تأكيد هذا الأمر وشرح النصوص السابقة :

إن مخالفة النبي ﷺ والابتداع في دينه أمر في غاية الخطورة على إيمان العبد كما ظهر جلياً من خلال النصوص الآنفة الذكر التي ذكرها القاضي عياض، وذلك لأن هذا الأمر سبب لنزول غضب الله وعقابه على العبد، وطريق يؤدي بصاحبه إلى الخسران والوبال العظيم، ودخول جهنم - والعياذ بالله - والبعد عن طريق الرشد والهداية والفوز بجنات النعيم.

ففي الآية الأولى وهي قوله تعالى : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره ...** ﴾ الآية ، يتوعد الله عز وجل ويحذّر الذين يخالفون أمر رسول الله ﷺ، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، يتوعدهم إن خالفوا ذلك باطناً أو ظاهراً بأن تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة، أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا بقتل أو حدٍ أو حبسٍ أو نحو ذلك، فالواجب عليهم أن توزن أقوالهم وأعمالهم بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد "[3].[4].

وفي الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ...** ﴾ يخبر تعالى أن (من سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ، فصار في شق، والشرع في شق وذلك عن عمد منه بعدما ظهر له الحق وتبيّن له، وقوله ﴿ **ويتبع غير سبيل المؤمنين** ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفاً لهم وتعظيماً لنبيهم، وقد وردت احاديث صحيحة كثيرة في ذلك ... ومن العلماء من ادعى تواتر معناها، والذي عوّل عليه الشافعي رحمه الله في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفته هذه الآية، وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها، ولهذا توعّد الله تعالى على ذلك بقوله ﴿ **نولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ أي إذا سلك هذه

---

1) أخرجه ابن بطة في الإبانة ١/ ٢٤٦، برقم : ٧٧ بإسناد صحيح.
2) الشفا ٢/ ١٦- ١٨.
3) تقدم تخريجه ص ١٦٦.
4) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٧.

الطريق جازيناه بذلك على ذلك بأن نحسّنها في صدره ونزينها له استدراجاً كما قال تعالى ﴿ **فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾(١)، وجعل تعالى مصيره في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة)(٢).

وقد رأينا كيف أن النبي ﷺ تبرّأ ممن رغب عن سنته أو ابتدع في دينه أو أحدث فيه ودعا عليه بالهلاك والخسران وهو السحق، وقد زعم الرافضة - قاتلهم الله - أن الصحابة رضي الله عنهم هم المعنيون بذلك فكفّروهم إلا قليلاً منهم مستدلين بالحديث الآنف الذكر « فأقول سحقاً سحقاً »، وهذا من سوء فهمهم وشدة حقدهم وبغضهم لأولئك الأبرار، وقد نسي هؤلاء أو تناسوا أن الحديث يقصد المرتدين والمنافقين والمبتدعة الضالين ممن تستر بالإسلام(٣)، وحاشا أصحاب رسول الله ﷺ أن يوصفوا بذلك، وهم خير الأمة بعد نبيها ﷺ المتمسكون بمنهج نبيهم عليه الصلاة والسلام، الحماة لدينه وسنته المحاربون لأعداء ملته، والذين رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص كتابه الكريم وصحيح سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وفي مقدمة هؤلاء الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم أجمعين، وما الأثر الذي ذكره القاضي عياض عن أبي بكر رضي الله عنه إلا دليل وبرهان على ما نحن بصدده، فعلى المؤمن أن يحذر كل الحذر من مخالفة رسول الله ﷺ أو الابتداع في دينه لئلا يهلك ويضل ويكون ممن قال الله فيه ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً** ﴾(٤)، ﴿ **ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يُدْخِلْه ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين** ﴾(٥)، ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإنّ له نار جهنم خالدين فيها أبداً** ﴾(٦).

فمعصية الله ورسوله وعدم الإنقياد لأمرهما هي طريق الشقاء والبوار وسبب لدخول النار، كما أن خطر الابتداع في الدين عظيم لكونه يجرّ على صاحبه غضب الله عز وجل، ويحجب عنه التوبة، ويأبى قبول عمله منه حتى يدع بدعته، قال رسول الله ﷺ : « إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته »

---

١) سورة القلم آية ٤٤.
٢) تفسير ابن كثير ٤/٥٥٤- ٥٥٥، وانظر تفسير البغوي ٤٨٠/١ فقد قال نحواً من هذا الكلام.
٣) انظر شرح صحيح مسلم ٣/ ١٣٦- ١٣٧.
٤) سورة الأحزاب آية ٣٦.
٥) سورة النساء آية ١٤.
٦) سورة الجن آية ٢٣.

- وفي لفظ - « أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته »(١)، وإنما استحق المبتدع هذا الجزاء، لأنه قد افترى على الله تعالى وعاند شرعه واتبع هواه، فنزّل نفسه منزلة المضاهي للشارع الحكيم الذي أنزل الشرائع وأمر خلقه بالسير عليها، فهو سبحانه المتفرد بالتحليل والتحريم، فالمبتدع يقول بلسان حاله أو مقاله إن الشريعة ناقصة لم تتم فجاء هو ببدعته ليكملها، وإلا فما معنى أن يأتي ببدعته بعد علمه بأن الدين قد اكتمل ؟! قال سبحانه ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾(٢)، وقد توفي رسول الله ﷺ ولم يترك شيئاً من أمر الدين إلا وبيّنه أكمل بيان امتثالاً لأمر الله تعالى له ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته** ﴾(٣)، وقد شهد له بذلك أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين كما في خطبة عرفة بحجة الوداع وغيرها، وكذا شهد له بذلك من جاء بعدهم من المؤمنين، ونحن على ذلك من الشاهدين، فكيف لا يكون المبتدع مبغوضاً عند الله مع وضوح هذا كله ؟!

المطلب الثالث : وجوب محبته ﷺ وثوابها وعلاماتها :

أ - وجوب محبته ﷺ وبعض الأدلة عليها :

إن لمحبة النبي ﷺ شأناً عظيماً ودرجة رفيعة في الإسلام، لأنها من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله وأجلّ قواعده، فلا إيمان للعبد بدونها ولا نجاة له إلا بتحقيقها، فهي فرض متحتّم على كل عبد ومن أعظم حقوق النبي ﷺ على العباد. لذا وجب أن تكون محبته ﷺ فوق محبة النفس والأهل والمال والخلق أجمعين.

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة الدالة على هذه المحبة والآمرة بها والمثنية على أهلها.

- من ذلك قوله تعالى : ﴿ **النبي أولَى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾ (٤)، (فقد دلت هذه الآية على أن من لم يكن النبي ﷺ أولى من نفسه فليس من المؤمنين - كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله - وهذه الأولوية

---

١) رواه ابن ماجة في المقدمة باب اجتناب البدع والجدل ١/ ١٩ برقم : ٤٩- ٥٠، وابن أبي عاصم في السنة باب ذكر البدع وإظهارها ١/ ٢١ برقم : ٣٧، وهذا الحديثان صحيحان كما قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ٢٦ برقم : ٥٢- ٥٣.

٢) سورة المائدة آية ٣.

٣) سورة المائدة آية ٦٧.

٤) سورة الأحزاب آية ٦.

تقتضي أموراً :
منها : أن يكون عليه الصلاة والسلام أحب إليه من نفسه لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب إليه من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول ﷺ أولى به منها، فبذلك يحصل له اسم الإيمان المطلق.
ويلزم من هذه الأولوية والمحبة، كمال الإنقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه وإيثاره على ما سواه.
ومنها : أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده، أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه قط إلا ما تصرّف فيه الرسول ﷺ الذي هو أولى به منها. فمن العجب أن يدعي حصول هذه الأولوية والمحبة التامة من كان سعيه واجتهاده ونصيبه في الاشتغال بأقوال غيره والغضب والمحبة لها، والرضا بها والتحاكم إليها، وعرض ما قاله الرسول ﷺ عليها فإن وافقها قبله وإن خالفها التمس وجوه الحيل وبالغ في ردّه ليّاً وإعراضاً)(١).
- ومن النصوص الدالة على هذه المحبة التي ذكرها القاضي عياض قول الله تعالى : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾(٢). فقد قال رحمه الله عقب ذكره لهذه الآية (فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته ﷺ ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها، إذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى : ﴿ **فتربصوا حتى يأتي الله بأمره** ﴾ ثمّ فسّقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله)(٣).
أما النصوص الواردة في السنة بشأن هذه المحبة فهي كثيرة جداً. وقد ذكر القاضي عياض ثلاثة منها :
الحديث الأول : حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين »(٤)، قال

---

١) الرسالة التبوكية لابن القيم ص ٢٩- ٣٠.
٢) سورة التوبة آية ٢٤.
٣) الشفا ٢/ ١٨.
٤) رواه البخاري في كتاب الايمان باب حب الرسول من الايمان ١/ ٧٥ برقم : ١٥، ومسلم في كتاب الايمان باب وجوب محبة الرسول أكثر من الاهل ١/ ٦٧ برقم : ٤٤.

القاضي : وعن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه، قلت : يعني قوله ﷺ : « فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده »(١).

ومعنى قوله ﷺ « لا يؤمن أحدكم ... » أي لا يحصل له الإيمان الذي تبرأ به ذمته ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول ﷺ أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين، ومن نفسه أيضاً كما سيأتي في حديث عمر رضي الله عنه. أما من لم يكن كذلك فهو من أصحاب الكبائر إذا لم يكن كافراً - والعياذ بالله - لأنه لم يعهد في لسان الشرع الحنيف نفي اسم مسمى أمر الله به ورسوله ﷺ إلا إذا ترك بعض واجباته، فأما إذا كان الفعل مستحباً في العبادة لم ينفها لانتفاء المستحب، إذ لو صح هذا لنفي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة والزكاة والحج وحب الله ورسوله، لأنه ما من عمل إلا وغيره أفضل منه، وليس أحد يفعل أفعال البر مثل ما فعلها رسول الله ﷺ حتى الصديق والفاروق رضي الله عنهما، فلو كان من لم يأت بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه لجاز أن ينفى عن جمهور المسلمين من الأولين والآخرين، وهذا لا يقوله عاقل، وعلى هذا فمن قال إن المنفي هو كمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق، وإذا أراد نفي الكمال المستحب فهذا خطأ، فإنه لم يقع في كلام الله ورسوله ﷺ(٢).

الحديث الثاني : حديث أنس أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار »(٣). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شارحاً لهذا الحديث : (أخبر ﷺ أن هذه الأمور الثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان، لأن وجود الحلاوة للشئ يتبع المحبة له، فمن أحب شيئاً واشتهاه اذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى، فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح، تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور : تكميل المحبة وتفريعها ودفع ضدها، فتكميلها : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وتفريعها : أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، ودفع ضدها : أن يكره

---

١) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول من الإيمان ١/ ٧٤ برقم : ١٤.

٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٣- ٤٧٥.

٣) متفق عليه وقد تقدم ص ٦٦٩.

ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار)(١).
فتبيّن الشاهد من الحديث على وجوب محبة النبي ﷺ وهي قوله « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » إذ من المعلوم أنه لا يحصل للعبد إيمان بغير محبة الله ورسوله. والناس يتفاوتون في ذلك تفاوتاً كبيراً، فمنهم من أخذ بتلك المرتبة بالحظ الأوفى فاستكمل الإيمان، ومنهم من أخذ بالحظ الأدنى، ومنهم من هو بين الأمرين.

الحديث الثالث: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ (لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال له النبي ﷺ « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال عمر: فإنه والله لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: « الآن يا عمر »(٢).

فقد نص هذا الحديث على وجوب محبته ﷺ وتقديمها على أغلى ما يحب المرء وهي نفسه، وفيه فضيلة عظيمة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي اكتمل إيمانه بشهادة رسول الله ﷺ له بذلك لمحبته رسول الله أكثر من نفسه، وفي هذا رد ظاهر على أعداء الله من الرافضة وغيرهم الذين يلعنونه ويكفرونه - قاتلهم الله أنّى يؤفكون -، قال الحافظ بن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: (قول عمر - رضي الله عنه - أولاً كان بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي ﷺ أحب إليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة، فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولذلك حصل الجواب من الرسول ﷺ « الآن يا عمر » أي الآن عرفت فنطقت بما يجب، وأما تقرير بعض الشراح، الآن صار إيمانك معتداً به إذ المرء لا يعتد بإيمانه حتى يقتضي عقله جانب الرسول ﷺ، ففيه سوء أدب في العبارة، وما أكثر ما يقع مثل هذا في كلام الكبار عند عدم التأمل والتحرز لاستغراق الفكر في المعنى الأصلي)(٣). قلت: صدق والله الحافظ فقد أصاب كبد الحقيقة.

ب - ثواب محبة رسول الله ﷺ:

إن محبة الرسول ﷺ عظيم أمرها، كبير فضلها، جليل شأنها، فإنها إذا تمكنت من قلب العبد المؤمن وعشعشت في سويداء فؤاده أضفت عليه حلل السعادة والهناء والإيمان والتقوى، فقام بما تقتضيه هذه المحبة تجاه خالقه تعالى من تحقيق العبودية له، وتجاه رسوله ﷺ بالمتابعة له، وتجاه المؤمنين بالموالاة

---

١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٠/ ٢٠٥- ٢٠٦، والعبودية ص ١٢٦.
٢) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ١١/ ٥٣٢ برقم: ٦٦٣٢.
٣) فتح الباري ١١/ ٥٣٦.

والمحبة والنصرة، وتجاه الكافرين والفاجرين بالبغض والمحاربة ... إلى غير ذلك من الأمور.

وإن أعظم ثواب يناله العبد في الدنيا بسبب هذه المحبة هو كمال الإيمان وذوق حلاوته والسرور به، كما بيّن رسوله الله ﷺ في الحديث الآنف الذكر وهو قوله « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ... » الحديث (١)، أما أعظم ثواب يناله العبد في الآخرة فهو مرافقة الحبيب المصطفى ﷺ في الجنة، قال القاضي عياض رحمه الله : (فصل في ثواب محبته ﷺ، عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : متى الساعة ؟ فقال : « ما أعددت لها » ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله، قال : « أنت مع من أحببت »(٢)، وقال ﷺ « المرء مع من أحب »(٣)، وروي أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله لأنت أحب إليّ من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجئ فأنظر إليك، وإني إذا ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً * ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً** ﴾(٤)، فقرأها ﷺ عليه »(٥))(٦).

قلت : لقد كان صحابة رسول الله ﷺ أشد الناس حباً له وأنساً وسروراً بقربه، وأكثر الخلق طاعة له وامتثالاً لأمره، وكانوا من شدة تعلقهم به يودون لو أنهم لا يفارقونه، وما قصة هذا الرجل - وهو ثوبان مولى رسول الله ﷺ - كما في بعض الروايات، وفي بعضها الآخر أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا للنبي ﷺ : كيف يكون الحال وأنت في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل

---

١) تقدم تخريجه ص ١٦٩.
٢) تقدم تخريجه ص ١٦٩.
٣) تقدم تخريجه ص ١٧٠.
٤) سورة النساء آية ٦٩- ٧٠.
٥) أخرجه الطبراني في الصغير ١/ ٢٦، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٤٠، ٨/ ١٢٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٧ رجاله رجال الصحيح إلا عبدالله بن عمران وهو ثقة، وقال الشوكاني إن المقدسي حسنه، وله شواهد كما في تفسير ابن كثير ١/ ٥٢٣ تزيده قوة. انظر الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ص ٧٠- ٧١.
٦) الشفا ٢/ ١٩- ٢٠.

منك كيف نراك ؟ فأنزل الله هذه الآية(١). أقول ما هذا الذي ذكر عنهم إلا دليل على صدق محبتهم له ﷺ حيث كانوا يظنون - أو بعضهم - أنهم لن يروه أو يصاحبوه في الجنة كما تشرفوا بصحبته في الدنيا وذلك لعلو منزلته عند ربه، فأحزنهم ذلك فطمأن الله قلوبهم وبشرهم بهذه البشارة العظمى ألا وهي مرافقته ﷺ وإخوانه الأنبياء وكذا الصديقين والشهداء والصالحين، لكن بشرط طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ومتابعته. وهذه البشرى تعم كل مؤمن موحد صادق في محبته وطاعته لله ولرسوله ﷺ إلى قيام الساعة، وقد امتدح الله هذه المرافقة الطيبة والصحبة المباركة بقوله ﴿ **وحسن أولئك رفيقاً** ﴾ أجل والله، ما أحسن صحبة هؤلاء !! وما أجمل مرافقتهم !! وما أسعد من تشرّف بها !! اللهم نسألك من فضلك.

كما بشّر رسول الله ﷺ المحبين الصادقين بهذه البشارة العظمى وأثلج صدورهم بها كما روى ذلك أنس وغيره من الصحابة - رضي الله عنهم - عنه كما تقدم ذكره الذي فيه : « فأنت مع من أحببت »، والحديث متفق عليه، وقد زاد مسلم عن أنس قوله : « فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ فأنت مع من أحببت »، قال أنس : (فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم)(٢).

وأنا أقول ما قاله أنس رضي الله عنه : فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر وجميع الصحابة والتابعين، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

ج - علامات محبة الرسول ﷺ :

لصدق محبة النبي ﷺ دلائل وعلامات تدل عليها وتشهد على صحتها وصدقها، وهذه العلامات كثيرة لا يتسع المجال للتوسع فيها، وقد بيّن القاضي أبو الفضل رحمه الله كثيراً منها مستدلاً عليها بنصوص من الكتاب والسنة مسهباً في ذلك(٣) معنوناً لهذا الأمر بقوله : (فصل في علامة محبته ﷺ. إعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعياً، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه، ثم بدأ بذكر هذه العلامات والتفصيل فيها، ورغبة مني في عدم الإطالة اختصرها وأوجزها فيما يلي :

العلامة الأولى : الاقتداء به ﷺ واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه

---

١) انظر تفسير البغوي ١/ ٥٤٠، وتفسير ابن كثير ١/ ٥٢٢- ٥٢٣.

٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب المرء مع من أحب ٤/ ٢٠٣٢- ٢٠٣٣ برقم : ٢٦٣٩ مكرر.

٣) انظر الشفا ٢/ ٢٤- ٢٨.

ومكرهه، شاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾(١).

العلامة الثانية : إيثار ما شرعه ﷺ وحضّ عليه على هوى النفس وموافقة الشهوة، وإسخاط العباد في رضى الله تعالى ورضاه، قال الله تعالى : ﴿ **والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾(٢).

العلامة الثالثة :كثرة ذكره ﷺ، لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره. قلت : وذلك يشمل قراءة حديثه الشريف وسيرته العطرة وسماعها كما يشمل كثرة الصلاة والسلام عليه، فقد قال ﷺ « من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشراً »(٣).

العلامة الرابعة : كثرة الشوق إلى لقائه ﷺ، فكل حبيب يحب لقاء حبيبه، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم إذا غابوا عنه يتلهفون للقائه ويرتجزون :

(غداً نلق الأحبة محمداً وصحبه).

قلت : وقد أخبر عليه الصلاة والسلام عن هذه المحبة الصادقة بقوله : « من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله »(٤).

العلامة الخامسة : تعظيمه وتوقيره ﷺ عند ذكره، وإظهار الخشوع والإنكسار عند سماع اسمه، فقد كان أصحاب النبي ﷺ بعده لا يذكرونه الا خشعوا، وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة وشوقاً إليه، ومنهم من يفعله تهيّباً وتوقيراً.

العلامة السادسة : محبة من أحب النبي ﷺ ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار،وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبّهم، فإن من أحب شيئاً أحب من يحب، وقد قال ﷺ في الحسن(٥)

---

١) سورة آل عمران آية ٣١.

٢) سورة الحشر آية ٩.

٣) رواه أحمد ٢/ ١٦٨، ٣٧٢، والنسائي في كتاب السهو باب الأمر بالصلاة على النبي ﷺ ٣/ ٥٠ برقم : ١٢٩٦، ١٢٩٧، وقال الشيخ الألباني حديث صحيح. انظر صحيح الجامع ٥/ ٣١٦ برقم : ٦٢٣٤، ٦٢٣٥.

٤) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ ٤/ ٢١٧٨ برقم : ٢٨٣٢.

٥) هو سبط رسول الله ﷺ وريحانته وشبيهه، أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة، ولد سنة ثلاث للهجرة فعقّ عنه جده يوم سابعه وسماه، حفظ عن جدّه وأبيه وأمه أحاديث، ولي الخلافة بعد مقتل أبيه نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءه من خراسان

والحسين(١) « اللهم إني أحبهما فأحبهما »(٢)، وقال: « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه »(٣)، وقال أيضاً: « آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار »(٤).

العلامة السابعة: بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ﷺ ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته. قال تعالى:

﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في

والحجاز واليمن وغير ذلك، ثم سار إليه معاوية من الشام وسار هو إليه، فلما تقاربا كره القتال، فأرسل إلى معاوية يبذل له تسليم الأمر إليه على أن يجعل الأمر إليه بعده وشروط أخرى، فأجابه معاوية فظهرت المعجزة النبوية فيه وهي قوله ﷺ « إن ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظمتين من المسلمين » رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ٧/١١٨- ١١٩ برقم: ٣٧٤٦، وأحمد ٥/٣٨، ٤٤، ٤٩، ٥١، وقد سمّي هذا العام عام الجماعة، وذلك سنة (٤١ هـ)، ثم رجع الحسن إلى المدينة وتوفي بها سنة (٤٩، وقيل: ٥٠، وقيل: ٥١ هـ). انظر - أسد الغابة ٢/٩، وسير أعلام النبلاء ٣/٢٤٥، والإصابة ١/٢٢٧.

١) هو سبط رسول الله ﷺ وريحانته وشبيهه، أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب، سيد شباب أهل الجنة، ولد سنة أربع للهجرة فسماه النبي ﷺ، كانت إقامته بالمدينة إلى أن خرج مع أبيه إلى الكوفة فشهد معه معارك الجمل ثم صفين ثم قتال الخوارج، وبقي معه إلى أن قتل، ثم مع أخيه الحسن إلى أن سلّم الامر إلى معاوية وتحوّلا معاً إلى المدينة، وبقي بها إلى أن مات معاوية فخرج إلى مكة ثم أتته كتب أهل العراق بأنهم بايعوه، فأرسل مسلم بن عقيل ليأخذ له البيعة، فبايعه آلاف الناس ثم نكث كثير منهم وقد قتل مسلماً والي الكوفة عبيد الله بن زياد ثم لمّا أتى الحسين ومن معه جهّز له عبيدالله جيشاً كبيراً فقتلوه ومن معه من أولاده وأصحابه إلا علي بن الحسين (زين العابدين) الذي كان مريضاً آنذاك، وأخذ رأس الحسين إلى عبيدالله فارسله إلى يزيد ومن بقي من أهله فأدخلهم في عياله ثم أرسلهم إلى المدينة وكانت تلك الواقعة سنة (٦١ هـ). انظر أسد الغابة ٢/١٨، وسير أعلام النبلاء ٣/٢٨٠، والإصابة ١/٣٣١.

٢) رواه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب الحسن والحسين ٥/ ٦٦١ برقم: ٣٣٨٢، وقال هذا حديث حسن صحيح.

٣) رواه أحمد ٤/ ٨٧، ٥/ ٥٤، ٥٧، والترمذي في كتاب المناقب باب فضل من بايع تحت الشجرة ٥/ ٦٥٣ برقم: ٣٨٦٢، وقال هذا حديث غريب.

٤) رواه البخاري في كتاب الايمان باب علامة الايمان حب الأنصار ١/ ٨٠ برقم: ١٧، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار من الايمان ١/ ٨٥ برقم: ٧٤.

قلوبهم الإيمان ﴾(١). وهؤلاء أصحابه ﷺ رضي الله عنهم قد قتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته.

العلامة الثامنة: محبة القرآن الذي جاء به ﷺ وهدى واهتدى وتخلّق به حتى كان خلقه القرآن، وحب القرآن يعني تلاوته وتفهمه والاهتداء به، وكذلك حب السنة المطهرة والوقوف عند حدودها. قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله)(٢)، وقال سهل بن عبدالله: (علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يدّخر منها إلا زاداً وبُلْغةً إلى الآخرة)(٣).

العلامة التاسعة: الشفقة على أمة محمد ﷺ والنصح لهم والسعي في مصالحهم ورفع المضار عنهم، كما كان النبي ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

العلامة العاشرة: النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وهي واجبة لقوله ﷺ: « إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، إن الدين النصيحة، قالوا لمن يارسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »(٤).

هذه علامات محبة الرسول ﷺ التي ذكرها القاضي عياض وهناك علامات أخرى لا يتسع المقام لذكرها(٥).

د - نماذج مما ورد عن السلف والأئمة في محبتهم للرسول ﷺ وشوقهم إليه:

لقد كان سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان أشد الناس حباً لرسول الله ﷺ وتمسكاً بسنته، وأكثرهم شوقاً إلى لقائه، وموافقتهم وأقوالهم في هذا المقام لا يبلغها الحصر، وقد ذكر القاضي أبو الفضل طرفاً من ذلك(٦)، وهأنذا أسوق ما تيسّر منه.

---

١) سورة المجادلة آية ٢٢.

٢) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص ٣٤٢- ٣٤٣، والقاضي عياض أيضاً ٢/ ٢٨.

٣) الشفا ٢/ ٢٨.

٤) رواه مسلم في كتاب الايمان باب بيان أن الدين النصيحة ١/ ٧٤ برقم: ٥٥، أبو داود في كتاب الادب باب في النصيحة ٥/ ٢٣٣ برقم: ٤٩٤٤.

٥) انظر رسالتي الماجستير (محبة الله ورسوله في الكتاب والسنة) ص ٤١٢- ٤٥٠، يسّر الله طباعتها فقد استوفيت هذا الموضوع حقه، ورغبة مني في عدم التكرار اقتصرت على ما ذكره القاضي عياض ههنا بدون أن أزيد عليه إلا بعض الأحاديث.

٦) انظر الشفا ٢/ ٢١- ٢٤.

- فهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ : (لأنت يا رسول الله أحب إليّ من نفسي)(١)، قال أبو الفضل : وقد تقدم نقل هذا الكلام عن غيره من الصحابة.

- وقال عمرو بن العاص(٢) رضي الله عنه (ما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ)(٣).

- وكان خالد بن معدان(٤) رحمه الله - فيما ترويه عنه ابنته - لا يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه لرسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول : (هم أصْلِي وفصلي، وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم، فعجّل ربّ قبضي إليك) حتى يغلبه النوم(٥).

- وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبّكم لرسول الله ﷺ فقال : (كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ)(٦).

- ولما أخرج زيد بن الدثنّة(٧) رضي الله عنه من الحرم ليقتلوه قال له أبو

---

١) تقدم تخريجه ص ٥٥٦.

٢) هو الصحابي الجليل، أبو عبدالله عمرو بن العاص بن وائل السهمي، داهية قريش ورجل العالم، يضرب به المثل في الفطنة والذكاء والحزم، هاجر إلى رسول الله ﷺ إلى المدينة مسلماً في أوائل سنة ثمان مرافقاً لخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، ففرح ﷺ بهم كثيراً، أمّره ﷺ على بعض الجيش وجهّزه للغزو وولاه عمر بن الخطاب إمرة مصر وهو الذي افتتحها وأبقاه عثمان قليلاً ثم عزله، فبقي بدون إمرة إلى أن كانت الفتنة بين علي ومعاوية فكان في صف معاوية فولاه مصر سنة (٣٨ هـ) إلى أن توفي سنة (٤٣ هـ على الصحيح). انظر أسد الغابة ٤/ ١١٥ وسير أعلام النبلاء ٣/ ٥٤، والإصابة ٣/ ٢..

٣) الشفا ٢/ ٢١.

٤) هو التابعي الجليل، أبو عبدالله خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاني الحمصي، الإمام شيخ الشام، كان ثقة عابداً إماماً في الفقه والزهد، أدرك سبعين صحابياً وكان يرسل كثيراً توفي سنة (١٠٣ هـ). انظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار ص ١١٣، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٦، وتقريب التهذيب ١/ ٢٦٢.

٥) أخرجه أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء ٥/ ٢١٠، وذكره القاضي عياض في الشفا ٢/ ٢١، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٩.

٦) الشفا ٢/ ٢٢.

٧) هو الصحابي الجليل، زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً وأحداً ، أرسله النبي ﷺ وخبيب بن عدي وغيرهما إلى عضل لما جاءه نفر منهم يطلبون من يفقههم في الدين ويُقرؤهم القرآن فخرجوا، فلما كانوا بالرجيع أتتهم قبيلة هذيل فقاتلوهم فأسروا بعضهم ومنهم زيد، فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه الذي قتله ببدر فأمر به مولى له فخرج به إلى التنعيم فضرب عنقه، وقد سأله أبو سفيان عند قتله ما سأله. وكان ذلك سنة (٣ هـ). انظر

سفيان بن حرب(١) : أنشدك الله يا زيد، أتحب محمداً الآن عندنا مكانك يضرب عنقه وأنت جالس في أهلك ؟ فقال زيد : (والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأنا جالس في أهلي) فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً(٢).

- وجاء في السيرة النبوية(٣) أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟! قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين، فقالت أرنيه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل(٤).

- وخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس الناس، فرأى مصباحاً في بيت، وإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول :

على محمد صلاة الأبرارْ صلى عليه الطيبون الأخيارْ
قد كنت قواماً بكاً بالأسحارْ ليت شعري والمنايا أطوارْ
هل تجمعني وحبيبي الدارْ

تعني النبي ﷺ فجلس عمر يبكي. وفي الحكاية طول(٥). نسأل الله أن يرزقنا محبته ومحبة نبيه ومرافقته في الجنة.

أسد الغابة ٢/ ٢٢٩، والإصابة ١/ ٥٤٨.

١) هو صخر بن حرب بن أمية، رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق، تداركه الله بالإسلام يوم فتح مكة فأسلم شبه مكره خائف، ثم بعد أيام حسن إسلامه، كان من دهاة العرب ومن أهل الرأي والشرف فيهم، شهد مع النبي ﷺ حنيناً وقتال الطائف فقلعت إحدى عينيه وقلعت الأخرى يوم اليرموك، تزوج النبي ﷺ ابنته أم حبيبة قبل أن يسلم، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة (٣٢ هـ)، وقيل بعدها وله نحو تسعين سنة. انظر الإصابة ٢/ ١٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢/ ١٠٥.

٢) ذكره ابن الأثير في أسد الغابة ٢/ ٢٣٠، وابن هشام في السيرة النبوية ٣/ ١٧٢.

٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٩٩.

٤) الجَلَل : بالتحريك هو العظيم والصغير، القاموس المحيط ص ١٢٦٤، والمراد به ههنا الصغير.

٥) الشفا ٢/ ٢٢- ٢٣.

المطلب الرابع : وجوب تعظيم أمره وتوقيره وبرّه ﷺ :

إن تعظيم أمر رسول الله ﷺ وتوقيره وبرّه وطاعته حياً وميتاً وعدم تقديم قول أحد أو رأيه على سنته، من أعظم الواجبات على المؤمنين ومن أعظم حقوقه ﷺ عليهم، لأنه الرحمة المهداة والقدوة لمن أراد النجاة والسعادة في الدينا والآخرة. ولقد جاء الأمر للمؤمنين بهذا كله في الكتاب العزيز، فعمل به المحبون الصادقون أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان.

وقد اهتم القاضي أبو الفضل رحمه الله بهذا الموضوع اهتماماً بالغاً فأفرده بباب خاص، ضمّنه عدّة فصول سماه (الباب الثالث من تعظيم أمره ووجوب توقيره وبرّه ﷺ)(١)، وقد استدل على هذا الأمر بنصوص الكتاب الكريم وأقوال وأمثلة عن السلف الصالح رحمهم الله، وإليك ذلك باختصار :

أ - بعض الأدلة على وجوب تعظيمه ﷺ وتوقيره :

استدل القاضي عياض رحمه الله على وجوب تعظيم أمر النبي ﷺ وتوقيره بعدة نصوص من القرآن الكريم وهي :

- قوله تعالى : ﴿ **إنّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه** ﴾(٢).

- وقوله سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم * يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾(٣).

- وقوله عز وجل : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾(٤).

- وقوله سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا** ﴾(٥).

فقد أوجب عز وجل في الآية الأولى الايمان به ﷺ وتعزيره وتوقيره، وألزم إكرامه. قال ابن عباس رضي الله عنهما : (تعزروه) (تجلّوه وتعظموه)، وقيل

---

١) انظر المرجع السابق ٢/ ٣٤- ٦٠.

٢) سورة الفتح آية ٨- ٩.

٣) سورة الحجرات الآيات من ١- ٣.

٤) سورة النور آية ٦٣.

٥) سورة البقرة آية ١٠٤.

تنصرونه، وقيل : تعينونه، (وتوقروه) التوقير هو الإحترام والإجلال والإعظام والتفخيم(١).

وفي الآيات الثلاث المذكورة من سورة الحجرات، يؤدب الله عز وجل بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والإحترام والتبجيل والإعظام. ففي الآية الأولى ينهى الله سبحانه المؤمنين عن التقدم بين يدي الله ورسوله بالقول والفعل أو الإسراع في الحكم بالأشياء بين يديه أي قبله، بل الواجب عليهم أن يكونوا تبعاً له في جميع الأمور، فلا يقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع الدين، ولا يفتاتوا بشيء من أمر دينهم إلا بأمره، ولا يسبقوه، فإن ذلك من سوء الأدب معه، ثم وعظهم وحذّرهم مخالفة ذلك فقال : ﴿ **واتقوا الله إن الله سميع عليم** ﴾ أي اتقوا الله في التقدم بين يديه وإهمال حقه وتضييع حرمته ومخالفة أمره، فإنه سبحانه سميع لأقوالكم عليم بنيّاتكم.

وفي الآية الثانية : ينهى الله عباده عن رفع الصوت فوق صوت نبيه ﷺ والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته أو أن يسابقوه بالكلام ويغلظوا له بالخطاب، بل الواجب عليهم أن يفخموه ويبجّلوه، وقد حذرهم من مخالفة ذلك بقوله ﴿ **أن تحبط أعمالكم** ﴾ أي لئلا تحبط حسناتكم أو مخافة أن تحبط حسناتكم، ثم ندب تعالى إلى خفض الصوت عنده ﷺ وحث على ذلك وأرشد إليه ورغّب فيه بقوله ﴿ **إن الذين يغضّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** ﴾أي اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه، وجعلها أهلاً ومحلاً ﴿ **لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾(٢).

وقد ورد في نزول هذه الآية أكثر من سبب، فقيل : نزلت في محاورة كانت بين الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي رسول الله حتى ارتفعت أصواتهما، فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة(٣) قال : (كاد الخيّران أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أن يهلكا، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حيث قدم عليه ركب بني تميم فأشار أبو بكر بالأقرع

---

١) انظر الشفا ٢/ ٣٥، وتفسير البغوي ٤/ ١٩٠، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٨٥.

٢) انظر الشفا ٢/ ٣٥- ٣٦، وتفسير البغوي ٤/ ٢٠٨- ٢١٠، وابن كثير ٤/ ٢٠٥- ٢٠٧.

٣) هو الامام الحجة الحافظ القاضي الأصولي، أبو بكر وأبو محمد عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة التيمي المكي، أحد كبار التابعين كان عالماً فقيهاً ولي القضاء والاذان لابن الزبير رضي الله عنهما أدرك ثمانين من أصحاب النبي ﷺ توفي سنة (١١٧ هـ) . انظر مشاهير علماء الامصار ص ٨٢- ٨٣، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٨٨، وتقريب التهذيب ١/ ٥١١.

بن حابس(١) أخي بني مجاشع و أشار عمر برجل آخر ، فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي، قال : ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾**، فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه)(٢).

وقيل : نزلت في ثابت بن قيس(٣) بن شماس رضي الله عنه خطيب النبي ﷺ في مفاخرة بني تميم، وكان في أذنيه صمم، وكان يرفع صوته، فلما نزلت هذه الآية **﴿ يا أيها الذي آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ... ﴾** الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله، فافتقده النبي ﷺ، فقال رجل : أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه، فقال : ما شأنك ؟ فقال : شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال له النبي ﷺ « إذهب إليه فقل إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة »(٤).

وقيل : نزل قوله تعالى **﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ... ﴾** إلى قوله **﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم ﴾**(٥) في وفد بني تميم الذين أتوا النبي ﷺ فنادوه يا محمد أخرج إلينا، فذمّهم الله بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون، وقيل : نزلت في غيرهم نادوه ﷺ باسمه(٦).

---

١) هذا لقبه لقرع كان في رأسه، واسمه فراس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة وحنيناً والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام ، وشهد مع خالد بن الوليد فتح العراق والأنبار، واستعمله عبدالله بن عامر على جيش سيّره إلى خراسان فأصيب بالجوزان هو والجيش وذلك في زمن عثمان ، وقد قتل في اليرموك في عشرة من بنيه. انظر أسد الغابة ١/ ١٠٧، والإصابة ١/ ٧٢.

٢) رواه البخاري في كتاب التفسير باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ٩/ ٤٥٤ برقم : ٤٨٤٥، وانظر أيضاً تفسير البغوي ٤/ ٢٠٩، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٦.

٣) هو الصحابي الجليل أبو محمد، ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي، كان خطيب الأنصار وخطيب النبي ﷺ، شهد أحداً وما بعدها وقد بشّره النبي ﷺ بالجنة، كان صيّتاً فخاف على نفسه أن يكون حبط عمله، استشهد يوم اليمامة في محاربة مسيلمة الكذّاب، وذلك في خلافة أبي بكر ونفذت وصيته بمنام رآه أحد المسلمين. انظر أسد الغابة ٢٢٩/١، والإصابة ١٩٧/١.

٤) رواه البخاري في كتاب التفسير باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ٩/ ٤٥٥، برقم : ٤٨٤٦، وانظر الشفا ٢/ ٣٦، وتفسير البغوي ٤/ ٢٠٩، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٦.

٥) سورة الحجرات من آية ٢- ٥.

٦) الشفا ٢/ ٣٦، وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٧، وفتح الباري ٩/ ٤٥٦.

والذي يظهر - والله أعلم - أنه لا تعارض بين هذه الروايات أو الأسباب، لأنه لا مانع أن تنزل الآية لأسباب تتقدمها، فإن الذي يتعلق بقصة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في تخالفهما في التأمير هو أول السورة وهو قوله تعالى: ﴿ **لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ﴾، ولكن لما اتصل بها قوله ﴿ **لا ترفعوا أصواتكم** ﴾ تمسّك عمر منها بخفض صوته، وجفاة الأعراب الذين نزلت فيهم ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات** ﴾ هم من بني تميم، ولعل الإمام البخاري رحمه الله استشعر ذلك فأورد قصة ثابت بن قيس عقب قصة الشيخين، ثم عقّب ذلك كله بترجمة باب قوله تعالى ﴿ **ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم** ﴾ إشارة الى قصة جفاة الأعراب من بني تميم، لكنه لم يذكر في الترجمة حديثاً، وكأنه ذكر حديث ثابت لأنه هو الذي كان الخطيب لما وقع في المفاخرة بين بني تميم[1].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله (روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال: أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال: من أين أنتما ؟ قالا من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً، وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما يكره في حياته عليه الصلاة والسلام، لأنه محترم حياً وفي قبره ﷺ دائماً)[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً** ﴾ [3] ينهى الله عز وجل المؤمنين أن يخاطبوا رسول الله ﷺ كما يخاطبون أنفسهم، كما كان بعض الأعراب يقول له يا محمد، أو يا أبا القاسم أو يا ابن عبد الله، فأمرهم عز وجل أن يقولوا يا نبي الله أو يا رسول الله، في لين وتواضع إعظاماً له ﷺ وتشريفاً وتفخيماً وتبجيلاً، هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم، وفي رواية عن ابن عباس والحسن البصري: (احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطموه فإن دعاءه موجب لنزول البلاء بكم ليس كدعاء غيره)[4].

والرأي الأول - كما قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - هو الظاهر من

---

1) انظر فتح الباري ٩/ ٤٥٦.
2) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٧.
3) سورة النور آية ٦٣.
4) انظر الشفا ٢/ ٣٥- ٣٦، وتفسير البغوي ٣/ ٣٥٩، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٦- ٣٠٧.

السياق، وهو كقوله تعالى ﴿ **لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا** ﴾(١)، وقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾ (٢)، فهذا كله من باب الأدب في مخاطبة النبي ﷺ والكلام معه وعنده، كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته(٣).

وفي قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا** ﴾ ينهى الله عز وجل المؤمنين أن يقولوا راعنا، وهي لغة كانت في الأنصار يقولونها للرسول ﷺ، فنهوا عن قولها تعظيماً للنبي ﷺ وتبجيلاً له، لأن معناها راعنا من المراعاة، أي أرعنا سمعك نرعك، فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم، بل حقه أن يراعى على كل حال، وقيل : كانت اليهود تعرّض بهذه الكلمة (راعنا) المأخوذة من الرعونة، وهي الحمق للنبي ﷺ، فكانوا يقولون يا محمد راعنا يُورّون بذلك ويقصدون يا أحمق ويضحكون فيما بينهم، فأنزل الله هذه الآية لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلاً إلى شتم النبي ﷺ، ونهى المؤمنين أن يتشبهوا بهم في القول أو الفعل(٤). فهذه الكلمة (راعنا) كره الله أن تقال لنبيه ﷺ ونهى المؤمنين عنها.

ب - عادة الصحابة رضي الله عنهم في توقير وإجلال النبي ﷺ :

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس تعظيماً وتوقيراً وإجلالاً لرسول الله ﷺ، وكيف لا يكونون كذلك وهم الذين امتلأت قلوبهم بحبه وافتدوه بأرواحهم وأهليهم وأوطانهم وأموالهم، والحق أن تتبع حالهم وعادتهم في هذا الأمر أو الإحاطة به لمن العسير جداً، لذا سأقتصر على ذكر نماذج من ذلك مما ذكره القاضي عياض عنهم.

- فقد روى بسنده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه حديثاً طويلاً وفيه يقول عمرو (وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً، ولئن سألت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه)(٥).

- وعن أنس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ يخرج على أصحابه

---

١) سورة البقرة آية ١٠٤.

٢) سورة الحجرات آية ٢.

٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٧.

٤) انظر الشفا ٢/ ٣٧، وتفسير البغوي ١/ ١٠٢، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤٨- ١٤٩.

٥) الشفا ٣٨/٢.

من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان له ويبتسم لهما(١). وعنه رضي الله عنه قال: (لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل منهم)(٢).

- وعن أسامة بن شريك(٣) رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير - وفي حديث صفته - يقول: وإذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير(٤).

- وقال عروة بن مسعود رضي الله عنه حين وجهته قريش إلى رسول الله ﷺ زمن الحديبية ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون، ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفّهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط من شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدون النظر اليه تعظيماً له، فلما رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه - وفي رواية - إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمداً أصحابه، وقد رأيت قوماً لا يسلمونه أبداً(٥).

- ومن هذا أيضاً لما أذنت قريش لعثمان بن عفان رضي الله عنه في الطواف بالبيت حين وجّهه النبي ﷺ إليهم في عمرة القضاء ليفاوضهم فرفض وقال: (ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ)(٦).

---

١) رواه الإمام أحمد في كتاب الفضائل باب فضائل أبي بكر الصديق ١/ ٢١٢ برقم: ٢٣٩ بإسناد حسن.

٢) رواه مسلم وقد تقدم ص ٢٠٤.

٣) هو أسامة بن شريك بن ثعلبة بن سعد الكوفي صحابي تفرّد بالرواية عنه زياد بن علاقة على الصحيح، له بعض الأحاديث في السنن وعند أحمد. انظر الاستيعاب ١/٣٦، وأسد الغابة ١/٦٦، والإصابة ١/٤٦.

٤) رواه أبو داود في كتاب الطب باب (١) ٤/١٩٢ برقم: ٣٨٥٥، وابن ماجة في كتاب الطب باب (١) ٢/١١٣٧ برقم: ٣٤٣٦، والترمذي في كتاب الطب باب (٢) ٤/٣٣٤ برقم: ٢٠٣٨، وأحمد ٣/١٥٦، وحديث صفته في الشمائل للترمذي. انظر مختصره للألباني ص ٢٥ برقم: ٦، وابن سعد ١/٤٢٤، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٢/٨٠٧ برقم: ٥٦٥.

٥) تقدم ص ٢٠٤، وتقدم التعريف بعروة أيضاً.

٦) أخرجه أحمد في المسند ٤/٣٢٤- ٣٢٥، وانظر الشفا ٢/ ٣٩، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣١٥.

- وقال المغيرة بن شعبة(١) رضي الله عنه (كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافر)(٢).

- وقال البراء بن عازب(٣) رضي الله عنه (لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر فأؤخر سنين من هيبته)(٤).

ج - نماذج من عادة السلف في تعظيم النبي ﷺ بعد موته وسيرتهم في تعظيم رواية حديثه وسنته :

١ - نماذج من عادة السلف في تعظيمهم وتوقيرهم للنبي ﷺ بعد موته :

إن تعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره ليس مقتصراً على حياته فقط، بل هو واجب على كل مؤمن حتى بعد موته. يقول القاضي عياض رحمه الله (إعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته، وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين - رضي الله عنهم -)(٥).

قال مالك رحمه الله وقد سئل عن أيوب السختياني(٦) فقال : (ما حدثتكم عن

---

١) هو الصحابي الجليل، أبو عيسى المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، من كبار الصحابة، أسلم عام الخندق وشهد الحديبية وبيعة الرضوان، كان موصوفاً بالدهاء، شهد اليمامة وفتوح الشام واليرموك وذهبت عينه بها والقادسية وغيرها، وقد ولاّه عمر على البصرة ثم الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل عمر فأقرّه عثمان ثم عزله، ثم استعمله معاوية على الكوفة فلم يزل عليها إلى أن مات سنة (٥٠ هـ) على الصحيح. انظر أسد الغابة ٤/٤٠٦، وسير أعلام النبلاء ٣/٢١، والإصابة ٣/٤٣٣.

٢) أخرجه الحاكم في علوم الحديث ص ١٩، وانظر الشفا ٢/٤٠.

٣) هو أبو عمارة البراء بن عازب بن الحارث الانصاري الاوسي، صحابي ابن صحابي، استصغره النبي ﷺ يوم بدر وقد شهد مع النبي ﷺ خمسة عشر غزوة وروى أحاديث كثيرة، وهو الذي فتح الري سنة (٢٤ هـ) وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان، توفي سنة (٧٢ هـ) عن بضع وثمانين سنة. انظر مشاهير علماء الأمصار ص ٤٤، وأسد الغابة ١/ ١٧٢، والإصابة ١/ ١٤٦.

٤) الشفا ٢/ ٤٠.

٥) الشفا ٢/ ٤٠.

٦) هو الإمام الحافظ سيد العلماء الثقة الثبت، أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، من مشاهير أتباع التابعين وكبار الفقهاء والعباد، ولد عام (٦٨ هـ) وقد رأى أنس بن مالك ولم يرو عنه اشتهر بالفضل والعلم والنسك والصلابة في السنة والقمع لاهل البدع، توفي سنة (١٣١ هـ) وله (٦٣ سنة). انظر مشاهير علماء الأمصار ص ١٥٠، وتذكرة الحفاظ

أحد إلا وأيوب أفضل منه، حج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه)(١).

وكان مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغيّر لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوماً في ذلك فقال : (لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليّ ما ترون، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر(٢)، كان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث إلا ويبكي حتى نرحمه(٣)، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد(٤) وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفرّ، وما رأيته يحدث عن رسول ﷺ إلا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال، إما مصلياً وإما صامتاً وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله(٥)، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير(٦) فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته)(٧)

١٣٠/١، وتقريب التهذيب ١١٦/١.

١) الشفا ٢/ ٤١، وسير أعلام النبلاء ٦/ ١٧.

٢) هو شيخ الاسلام، أبو عبدالله محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير القرشي التيمي المدني، قال عنه الذهبي (مجمع على ثقته وتقدمه في العلم والعمل)، كان من سادات قريش وعباد أهل المدينة وسيد القراء بها من التابعين، حافظاً ثبتاً ولد سنة بضع وثلاثين وتوفي بالمدينة سنة (١٣٠ هـ) وقد نيف على السبعين. انظر ترجمته في مشاهير علماء الامصار ص ٦٥، وتذكرة الحفاظ ١/ ١٢٧، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٣.

٣) الشفا ٢/ ٤٢، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٥.

٤) هو الامام الصادق شيخ بني هاشم أبو عبدالله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب رضي الله عنهم الذي يقال له الصادق، كان من سادات أهل البيت وعباد التابعين وعلماء أهل المدينة ولد سنة (٨٠ هـ) ورأى بعض الصحابة منهم أنس بن مالك، توفي سنة (١٤٠ هـ). انظر ترجمته تاريخ خليفة ص ٤٢٤، ومشاهير علماء الأمصار ص ١٢٧، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥.

٥) الشفا ٢/ ٤٢.

٦) هو الامام الرباني الثقة العابد، أبو الحارث عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام الأسدي المدني، من كبار التابعين مجمع على ثقته كما قال الذهبي، قال أحمد بن حنبل : اشترى عامر بن عبدالله نفسه من الله ست مرات. يعني يتصدق كل مرة بديته، سمع المؤذن وهو يجود بنفسه فقال خذوا بيدي فقيل : إنك عليل (مريض) فقال أسمع داعي الله فلا أجيبه فأخذوا بيده فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة فمات سنة (١٢١ هـ). انظر مشاهير علماء الامصار ص ٦٦، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢١٩، وتقريب التهذيب ١/ ٤٦٢.

٧) الشفا ٢/ ٤٢.

ولما كثر على مالك الناس قيل له : لو جعلت مستملياً يسمعهم فقال : (قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾(١)، وحرمته حياً وميتاً سواء)(٢).

وكان محمد بن سيرين رحمه الله ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي ﷺ أمرهم بالسكوت وقال (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ﷺ ما يجب له عند سماع قوله(٣).

قلت : هذه بعض النماذج التي ذكرها القاضي عياض عن السلف رحمهم الله في تعظيمهم وإجلالهم لرسول الله ﷺ بعد مماته، فحريّ بالمحب الصادق له أن لا يقدم على أمره ﷺ أو سنته قول أحد أو مذهبه أو هواه، لأن هذا مما يناقض ويتنافى مع التعظيم والإجلال له عليه الصلاة والسلام، فإن السلف لم يكونوا يقتصرون على التعظيم في الظاهر فقط من بكاء وشوق وتغيّر لون وغير ذلك عند ذكره ﷺ أو سماع حديثه أو سنته كما قد يتوهم المتوهمون، بل كانوا يعظمونه ظاهراً وباطناً ويقتدون به ويمتثلون أمره؛ ولا يقدمون على قوله وسنته قول أحد أو مذهبه، ومواقفهم وأخبارهم في ذلك لا يبلغها الحصر.

٢ - ذكر بعض الأمثلة من سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله ﷺ وسنته :

لقد كان سلفنا الصالح رحمهم الله أشد الناس تعظيماً ومهابة لرسول الله ﷺ ولرواية حديثه وسنته، وكانوا شديدي الحرص على رواية ذلك وتبليغه بالنص الحرفي الذي قاله رسول الله ﷺ، وكانوا من شدة ورعهم وتقواهم يتخوّفون أشد الخوف من الرواية عنه، لعلمهم أن كذباً عليه ليس ككذب على غيره، لذا نجد كثيراً من كبار الصحابة رضي الله عنهم - كالشيخين مثلاً - يقلون من الرواية عنه من فرط المهابة والتعظيم لحديثه ﷺ، وخوفاً من أن يزيدوا حرفاً أو كلمة نسياناً أو سهواً منهم، وكان من يروي حديث أو سنة رسول الله تظهر عليه علامات الإجلال والتعظيم والمهابة لحديث وسنة المصطفى، ولقد ذكر لنا القاضي عياض رحمه الله نماذج وصوراً مشرفة في هذا الأمر أذكرها باختصار.

---

١) سورة الحجرات آية ٢.

٢) الشفا ٢/ ٤٣، وانظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٣.

٣) المرجع السابق ٢/ ٤٢- ٤٣.

فقد روى بسنده إلى عمرو بن ميمون(١) قال: اختلفت إلى ابن مسعود - رضي الله عنه - سنة فما سمعته يقول قال رسول الله ﷺ الا إنه حدّث يوماً فجرى على لسانه قال رسول الله ﷺ ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدّر عن جبهته ثم قال: هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو دون ذا، أو ما هو قريب من ذا، - وفي رواية - فتربد وجهه وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه(٢).

وقال مالك: جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه، فقال الرجل: وددت أنك لم تتعنّ، فقال: إني كرهت أن أحدث عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع(٣).

وعن ابن سيرين أنه قد يكون يضحك، فإذا ذكر عنده حديث رسول الله ﷺ خشع، وكان مالك وجعفر بن محمد لا يحدثان بحديث رسول الله ﷺ الا وهم على وضوء إجلالاً له، وهكذا كان قتادة والليث وغيرهم من السلف، وكان مالك إذا حدّث عن رسول الله ﷺ توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدّث، فسئل عن ذلك فقال: إنه حديث رسول الله ﷺ، وكان رحمه الله أيضاً إذا جاءه الناس خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل ؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم، وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيّب ولبس ثياباً جدداً وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ فقيل له في ذلك، فقال: إني أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارةمتمكناً، وكان رحمه الله أيضاً يكره أن يحدث في الطريق أو هو قائم أو مستعجل، وقال أحب أن أفهّم حديث رسول الله ﷺ، وكان رحمه الله لا يكتب الحديث إلا وهو طاهر، وهكذا كان الليث وقتادة وغيرهم من السلف(٤).

د - من مستلزمات وعلامات توقير النبي ﷺ وبرّه :

مستلزمات وعلامات توقير رسول الله ﷺ كثيرة سأقتصر منها على ما ذكره

---

١) هو الإمام الحجة الثقة العابد، أبو عبدالله عمرو بن ميمون الاودي المَذْحِجي الكوفي، أدرك الجاهلية وأسلم في الأيام النبوية، معدود من كبار التابعين، حدث عن عمر وعلي وابن مسعود ومعاذ ابن جبل وأبي هريرة وغيرهم، كان عابداً زاهداً، حج واعتمر مائة مرة وكان إذا رؤي ذكر الله تعالى، توفي سنة (٧٥ هـ) وقيل غير ذلك. انظر مشاهير علماء الأمصار ص ٩٩، والإصابة ٣/ ١١٨، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٨.

٢) الشفا ٢/ ٤٤.

٣) المرجع السابق.

٤) المرجع السابق ٢/ ٤٥- ٤٧.

القاضي عياض رحمه الله خشية الإطالة، وأحب أن أنبه إلى أن هذا الأمر داخل في علامات محبته ﷺ ولوازمها - والتي سبق الحدث عنها - ولكن نظراً لإفراد أبي الفضل أكثر من فصل بهذا الأمر، فقد وافقته وعنونت بما عنون به وأطلت النفس معه قليلاً لأهمية الموضوع.

١ - توقير أهل بيته ﷺ وعشيرته :

إن مما يدخل في تعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره، توقير وبرّ من لهم صلة به من أهل وأصحاب وعشيرة مؤمنين، لأن توقيرهم وبرهم من الايمان، وبغضهم أو الإساءة إليهم ضلال وعصيان، وقد نبّه القاضي عياض الى هذا الأمر واستدل بكثير من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف[١]، وإليك ذلك باختصار :

فقد قال رحمه الله : (ومن توقيره ﷺ وبرّه، برّ آله وذرياته وأمهات المؤمنين أزواجه، كما حض عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح، قال الله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾[٢]، وقال : ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾[٣].

وعن زيد بن أرقم[٤] رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : « أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به - فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه - ثم قال : وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي » ثلاثاً، فقيل لزيد : ومن أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته، قال : نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قالوا : ومن هم ؟ قال : آل

---

١) المرجع السابق ٢/ ٤٧- ٥٢.

٢) سورة الاحزاب آية ٣٣.

٣) سورة الاحزاب آية ٦.

٤) هو أبو عامر أو أبو عمرو، زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الانصاري الخزرجي، عاش يتيماً في حجر عبدالله بن رواحة، وقد سار معه الى مؤتة، واستصغر يوم أحد ثم شهد مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة أولها الخندق وروى أحاديث كثيرة عنه، وهو الذي سمع رأس المنافقين عبدالله بن أبيّ بن سلول يقول ليخرجن الاعز منها الاذل، فأخبر رسول الله ﷺ فسأل ابن أبيّ فأنكر ذلك فأنزل الله تصديق زيد آيات تتلى، شهد مع علي صفين وهو من خاصة أصحابه سكن الكوفة وتوفي بها سنة (٦ أو ٨ هـ). انظر أسد الغابة ٢/ ٢١٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٦٥، والإصابة ١/ ٥٤٢.

علي وآل جعفر(١) وآل عقيل(٢) وآل عباس - رضي الله عنهم -، قيل : كل هؤلاء حرم الصدقة بعده ؟ قال : نعم)(٣).

قلت لقد نبّه الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية الأولى أنها وإن نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، لكنها تعم غيرهم من آله عليه الصلاة والسلام، وقد ظن قوم أن نساء النبي ﷺ غير داخلات في آله مستدلين ببعض الأحاديث - وذكر طرفاً منها - ومنها حديث زيدوالذي فيه أن آله ﷺ من حرم عليه الصدقة، قال ابن كثير : والذي لايشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾(٤) فإن سياق الكلام معهن، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾(٥) ، أي واعملن بما ينزل الله تعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة(٦).

ومن الأحاديث التي ذكرها القاضي عياض أيضاً قوله ﷺ « إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني

---

١) هو الصحابي الجليل الشهيد الكبير الشأن ذو الجناحين علم المجاهدين ابن عم النبي ﷺ، جعفر ابن أبي طالب الهاشمي أخو علي بن أبي طالب، يكبر علياً عشر سنين، أسلم بعد خمسة وعشرين رجلاً وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، وكان خطيب المسلمين والمتكلم باسمهم عند النجاشي، هاجر الى المدينة من الحبشة فوافى الرسول ﷺ والمسلمين وهم على خيبر إثر فتحها ففرح به ﷺ كثيراً وقبله بين عينيه، وأقام في المدينة أشهراً ثم أمّره النبي ﷺ على جيش غزوة مؤتة بالشام، فاستشهد بعد ان أثقلته الجراح وقطعت يداه، فحزن النبي ﷺ عليه كثيراً فبشره جبريل بأن الله قد أبدله جناحين يطير بهما في الجنة وكان عمره آنذاك بضعاً وثلاثين سنة. انظر أسد الغابة ١/ ٢٨٦، وسير أعلام النبلاء ١/ ٢٠٦، والإصابة ١/ ٢٣٩.

٢) هو ابن عم رسول الله ﷺ وأخو علي وجعفر وأكبر إخوانه وآخرهم موتاً، شهد بدراً مشركاً فأسره ففداه عمه العباس لفقره، ثم أتى مسلماً قبل صلح الحديبية وهاجر أول سنة (٨ هـ) وشهد مؤتة ثم رجع فمرض مدة، وقيل إنه شهد حنيناً وثبت فيها مع النبي ﷺ، كان سريع الجواب المسكت للخصم وأعلم قريش بالنسب وبأيامها، توفي في خلافة معاوية وقيل : أول خلافة يزيد. انظر أسد الغابة ٣/ ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ١/ ٢١٨، والإصابة ٢/ ٤٨٧.

٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب ٤/ ١٨٧٣ برقم : ٢٤٠٨، وأحمد ٢/ ١١٤، ٤/ ٢٦٧، والدارمي في فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن ٢/ ٥٢٤ برقم : ٣٣١٦.

٤) سورة الاحزاب آية ٣٣.

٥) سورة الاحزاب آية ٣٤.

٦) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٣- ٤٨٦.

فيهما »(١).

وقال ﷺ « من أهان قريشاً أهانه الله »(٢)، وقال أيضاً : « قدّموا قريشاً ولا تَقَدّموها »(٣).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه (ارقبوا محمداً في أهل بيته) وقال أيضاً : (والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ من قرابتي)(٤). ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبدالله رضي الله عنه في ثلاثة آلاف، ولأسامة بن زيد(٥) في ثلاثة آلاف وخمسمائة، قال عبدالله لأبيه : لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد ؟ فقال عمر : لأن زيداً كان أحب إلى رسول الله من أبيك، واسامة أحب اليه منك، فآثرت حب رسول الله ﷺ على حبي(٦). وروي عن عبدالله بن حسن(٧)بن الحسن بن علي قال : أتيت عمر بن عبدالعزيز في حاجة فقال لي : إذا كان لك حاجة فأرسل إليّ أو اكتب، فإني أستحي من الله أن يراك على بابي، وروي أن مالكاً رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان(٨)

---

١) رواه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ٥/ ٦٢١ برقم : ٣٧٨٦، وقال حديث حسن، وقال الشيخ الألباني حديث صحيح. انظر صحيح الجامع ٢/ ٤٠٤ برقم : ٢٧٤٥.

٢) رواه أحمد ١/ ٦٤، ١٧١، والترمذي في كتاب المناقب باب فضل الانصار وقريش ٥/ ٦٧١ برقم : ٥٩٨٨، وصححه الالباني في صحيح الجامع ٥/ ٢٦٢ برقم : ٥٩٨٨.

٣) رواه الطبراني / ، والبيهقي في معرفة السنن / ، وهو صحيح كما قال الألباني في صحيح الجامع ٤/ ١٣٦ برقم : ٤٢٥٨- ٤٢٦٠.

٤) رواه مسلم في كتاب اللقطة باب حكم الفئ ١٢/ ٧٩ بشرح النووي.

٥) هو حب رسول الله ﷺ وابن حبه أبو زيد أو أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي ولد في الإسلام وتوفي رسول الله ﷺ وله عشرون سنة قيل إنه شهد مؤتة، أمّره رسول الله ﷺ قبل موته على جيش عظيم فتوفي عليه الصلاة والسلام قبل أن يتوجه فأنفذه أبو بكر رضي الله عنه، كان النبي ﷺ يأخذه والحسن ويقبلهما ويقول « اللهم إني أحبهما فأحبهما » رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب (٢٢) ٧/ ١١٨ برقم : ٣٧٤٧، وفضائله كثيرة اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان الى أن توفي في خلافة معاوية بالجرف بالمدينة سنة (٥٤ هـ). انظر أسد الغابة ١/ ٦٤، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٤٩٦، والإصابة ١/ ٤٦.

٦) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب زيد بن حارثة ٥/ ٦٣٤، وقال هذا حديث حسن غريب وابن سعد في الطبقات ٤/ ٧٠.

٧) هو أبو محمد عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني، أمه فاطمة بنت الحسين بن علي، كان ثقة جليل القدر من سادات أهل المدينة وعبّاد أهلها وعلماء بني هاشم، توفي بحبس أبي جعفر المنصور في سنة (٤٥ هـ) وله (٧٥ سنة). انظر مشاهير علماء الأمصار ص ٢٧، وتقريب التهذيب ١/ ٤٨٦.

٨) هو أبو القاسم، جعفر بن سليمان بن علي بن حبر الأمة عبدالله بن عباس ابن عم أبي جعفر المنصور، كان من نبلاء الملوك جوداً وبذلاً وشجاعة وعلماً وجلالة وسؤدداً ولي المدينة ثم مكة

ونال منه ما نال، وحمل مغشياً عليه ودخل عليه الناس فأفاق، فقال: أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل، فسئل بعد ذلك فقال: خفت أن أموت فألقى النبي ﷺ فأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي، وقيل إن أبا جعفر المنصور أقاده من جعفر، فقال: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله ﷺ(1).

فهذه بعض النصوص والآثار الدالة على وجوب توقير أهل بيت النبي ﷺ، ولكن ينبغي التنبيه ههنا إلى أن هذا التوقير والإكرام خاص بأهل البيت المؤمنين، أما الفجار المجرمون وكذلك المدّعون للانتساب الى العترة النبوية وليسوا كذلك - فضلاً عمن ينتسب الى الرسول ﷺ بالقرابة ولكنه ليس على دينه وملّته - فكل أولئك لا يدخلون في أهل بيته فلا توقير لهم ولا إكرام، فقد تبرأ رسول الله ﷺ من عمه أبي لهب وغيره ممن كفر به من أقاربه، وكذا تبرأ الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم ممن لم يؤمن بهذا الدين أو عاداه وأهله، ولو كان أقرب قريب، أو ادعى الانتساب إلى العترة النبوية، لأن دعوى القرابة لرسول الله ﷺ ومحبة وموالاة ونصرة آل بيته الكرام، أصبحت ستاراً يتستر به كثير من الضالين المنحرفين ممن يدعي الإسلام، بالإضافة إلى غيرهم من أعداء هذا الدين، الذين يريدون القضاء عليه وعلى أتباعه الموحدين، وما وجود الرافضة وكثير من الشيعة والحركات الباطنية المختلفة والطرق الصوفية المتنوعة على مرّ العصور إلا خير شاهد على هذا الأمر.

٢ - توقير صحابته ﷺ وموالاتهم والاستغفار لهم:

من مستلومات وعلامات توقيره ﷺ وبره، توقير أصحابه رضي الله عنهم وبرّهم ومحبتهم وموالاتهم والاقتداء بهم، وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم وعدم ذكر أحد منهم بسوء، بل نذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم، ونسكت عما وراء ذلك ونلتمس لهم العذر فيما جرى بينهم من الفتن وغيرها، ونحملها على أحسن التأويلات والمخارج، بدون طعن بأحد منهم أو تعصب له.

وقد اعتمد القاضي عياض رحمه الله هذا المنهج واستدل عليه بنصوص كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء وإليك طرفاً من ذلك:

معهًا ثم عزل فولي البصرة لهارون الرشيد، مات سنة (١٧٤ هـ) وقيل سنة (١٧٥ هـ) وقد ترك ثمانين ولداً من صلبه منهم ثلاثة وأربعون ذكراً. انظر الكامل لابن الأثير ٥/ ٥٤٩ و ٥٦٩، ٦/ ٥٦- ١١٩، وسير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣٩.

1) انظر الشفا ٢/ ٤٩- ٥١.

- فمن الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً** ﴾(١).

- وقوله عز وجل : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾(٢).

- وقوله عز وجل : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ﴾(٣).

- ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه »(٤).

- وقوله ﷺ أيضاً : « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه »(٥).

- وقوله ﷺ : « آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار »(٦).

قال مالك رحمه الله : (هذا النبي ﷺ مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين، يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك أمره الله، وأمر النبي ﷺ بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم)(٧)، وقال عبدالله بن المبارك : (خصلتان من كانتا فيه نجا : الصدق وحب أصحاب محمد ﷺ)(٨)، وقال أيوب السختياني : (من أحب أصحاب

---

١) سورة الفتح آية ٢٩.

٢) سورة التوبة آية ١٠٠.

٣) سورة الفتح آية ١٨.

٤) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ٧/ ٢٥ برقم : ٣٦٧٣، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ٤/ ١٩٦٧ برقم : ٢٥٤٠.

٥) تقدم تخريجه ص ٥٦٠.

٦) تقدم تخريجه ص ٥٦٠.

٧) الشفا ٢/ ٥٦.

٨) المرجع السابق ٢/ ٥٤.

النبي ﷺ وأحسن الثناء عليهم فقد برئ من النفاق، ومن انتقص أحداً منهم فهو مبتدع ضال مخالف للسنة والسلف الصالح، وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً)(١)، وقال سهل التستري : (لم يؤمن بالرسول ﷺ من لم يوقر أصحابه ولم يُعزّ أوامره)(٢).

حكم القاضي عياض فيمن سب أصحاب النبي ﷺ أو انتقصهم :

ذهب القاضي رحمه الله إلى تفسيق ولعن من سب أحداً من أصحاب النبي ﷺ أو انتقصه، ورأى أنه لا حظ له في فيء المسلمين بل يؤدب ويوجع ضرباً، فقد قال : (وسب أحدهم - أي الصحابة - من المعاصي الكبائر، ومذهبنا مذهب الجمهور أنه لا يقتل، وقال بعض المالكية يقتل، قال مالك : (لا حق في الفيء لمن سب أصحاب النبي ﷺ، لأن الله إنما جعله لمن جاء بعدهم لمن يستغفر لهم لا لمن سبهم))(٣). وقال أيضاً : (وسب آل بيته ﷺ وأزواجه وصحابته رضي الله عنهم وتنقصهم حرام ملعون فاعله)(٤)، وقد اختلف العلماء في هذا، فمشهور مذهب مالك في ذلك الإجتهاد والأدب الموجع، قال مالك : (من شتم النبي ﷺ قتل، ومن شتم أصحابه أدب، وقال : من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال : كانوا على ضلال وكفر قتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نُكل به نكالاً شديداً)(٥)، وروي عنه : (من سب أبا بكر جُلد ومن سب عائشة قُتل، قيل له : لم ؟ قال : من رماها فقد خالف القرآن لأن الله يقول : ﴿ **يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين** ﴾(٦) فمن عاد لمثله فقد كفر)(٧)، وروي عن بعض أئمة المالكية نحو هذا الكلام. وقال مالك أيضاً : (من غاظه أصحاب محمد ﷺ فهو كافر. قال الله تعالى : ﴿ **ليغيظ بهم الكفار** ﴾(٨))(٩).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله عقب ذكره لهذه الآية : (ومن هذه الآية

---

١) المرجع السابق ٢/ ٥٤.
٢) المرجع السابق ٢/٥٦.
٣) إكمال المعلم ٦/١٣٩، والشفا ٢/٣١٠، وانظر تفسير البغوي ٤/٣٢١، وشرح صحيح مسلم ١٦/٩٣.
٤) الشفا ٢/ ٣٠٧، والصارم المسلول ص ٥٦٩.
٥) المرجع السابق ٢/ ٣٠٨، والصارم المسلول ص ٣١١، ٥٦٦.
٦) سورة النور آية ١٧.
٧) الشفا ٢/٣٠٩، والصارم المسلول ص ٣١١، ٥٢٦.
٨) سورة الفتح آية ٢٩.
٩) تفسير البغوي ٤/ ٢٠٧ بنحوه، والشفا ٢/ ٣٠٩.

انتزع الإمام مالك رحمه الله تعالى - في رواية عنه - بتكفير الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم، قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك، والأحاديث في فضل الصحابة والنهي عن التعرض بمساويهم كثيرة، ويكفي ثناء الله عليهم ورضاه عنهم)(١).

قلت : إن سب المسلم العادي فسوق وعصيان كما قال ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »(٢) فكيف بمن يسب خيار المؤمنين وأفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين، وهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين حبهم من حبه لأنهم أحباؤه عليه الصلاة والسلام، وبغضهم من بغضه، ولهذا نهى ﷺ عن سبهم فقال : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه »(٣). فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَحْمل على هؤلاء أدنى حقد أو غل أو يتوجه إليهم بسب أو طعن، بل يحبهم كلهم ويترضى عليهم ويبغض من يبغضهم. هذا هو منهج أهل السنة والجماعة فيهم.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله : (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)(٤). فمن سبهم أو انتقصهم فليس من أهل السنة بل هو مبتدع ضال خبيث، وأما من كفّرهم كلهم، إلا قليلاً منهم كفعل الرافضة - قبحهم الله -، فلا يشك مسلم في كفره لأنه مكذب للقرآن الذي شهد لهم بالجنة ورضي الله عنهم ورضوا عنه، كما شهد لهم رسول الله ﷺ بالخيرية والصلاح في أحاديث كثيرة وأجمع على ذلك أهل السنة والجماعة.

حكم التفاضل بين الصحابة :

وإذا عُلم هذا فيجب أن يعتقد المسلم أن أفضل الصحابة هم الخلفاء الراشدون : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم بقية المهاجرين والأنصار ثم من أسلم من بيعة الرضوان فمن بعدهم كما هو مذهب أهل السنة والجماعة(٥).

وقد عُلم هذا الأمر من النصوص الشرعية الصحيحة من الكتاب والسنة

---

١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٤- ٢٠٥.

٢) تقدم تخريجه ص ٢٩٩ .

٣) تقدم تخريجه ص ٥٧٨ .

٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٨.

٥) المرجع السابق ص ٤٦٨- ٤٦٩.

وإجماع الأمة التي لا مجال للتفصيل فيها.

قال القاضي عياض رحمه الله : (اعلم أن الفضائل والتفضيل عند العلماء مما لا يدرك بالقياس وإنما مرده على التوقيف)(١)، وقال أيضاً : (الجمهور على التفاضل بين الصحابة، لكن ذهبت طائفة إلى أن من مات منهم في حياة النبي ﷺ أفضل ممن بقي بعده، وهذا الإطلاق غير مرضٍ ولا مقبول وأفضليتهم حسب ترتيبهم في الإمامة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي)(٢).

قلت : بل انعقد الإجماع على ذلك، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله : (أما تفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان وعلي فهذا متفق عليه بين علماء المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم)(٣).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (إن الإجماع انعقد بآخره بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة)(٤).

المطلب الخامس : وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ وفضيلته :

أ - معنى الصلاة عليه وحكمها :

الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ من أعظم حقوقه على أمته، قال الله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾(٥)، ومعنى الصلاة عليه كما قال ابن عباس وغيره من السلف : (إن الله يرحم النبي والملائكةُ يدعون له)، وقال أبو العالية : (صلاة الله على النبي ﷺ ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء)، وقال سفيان الثوري وغيره : (صلاة الله الرحمة وصلاة الملائكة الإستغفار)، وقيل : الصلاة من الله لمن دون النبي ﷺ رحمة وللنبي تشريف وزيادة تكريم(٦).

وأما الصلاة من المؤمنين فهي عبادة مأمورون بها مثابون عليها، قال الحافظ ابن كثير مفسراً الآية السابقة : (والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه ﷺ عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين

---

١) إكمال المعلم ٦/ ٦.

٢) المرجع السابق، وشرح صحيح مسلم ١٥/ ١٤٨.

٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤/ ٤٢١.

٤) فتح الباري ٧/ ٣٤.

٥) سورة الأحزاب آية ٥٦.

٦) الشفا ٢/ ٦٠، وتفسير البغوي ٣/ ٥٤١- ٥٤٢، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٠٦.

العلوي والسفلي جميعاً)(١).

قال القاضي عياض : (اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه وحَمْل الأئمة له على الوجوب وأجمعوا عليه، وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة، والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومَأثَمُ ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله)(٢).

قلت : قول القاضي إن الواجب الصلاة على النبي ﷺ في العمر مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك مندوب مرغب... الخ. هذا قول فيه نظر، قال الإمام ابن كثير عنه : هو قول غريب، فإنه قد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة منها ما هو واجب وذلك كعقب سماع الأذان، وكالصلاة عليه في التشهد الأخير على مذهب جماعة من العلماء، منهم أحمد والشافعي، وكذلك تجب الصلاة عليه على الخطيب يوم الجمعة على المنبر ولا تصح الخطبتان إلا بذلك لأنها عبادة إلى غير ذلك، ومنها ما هو مستحب كالصلاة عليه عند الدعاء وعند دخول المسجد والخروج منه وغير ذلك(٣).

ب - فضيلة الصلاة والتسليم على النبي ﷺ وذم تارك ذلك :

لقد وردت نصوص كثيرة في الحث على الصلاة والسلام على النبي ﷺ وبيان فضلها وعظم أجرها وذم تاركها، وقد ذكر القاضي عياض رحمه الله كثيراً منها وإليك بعضاً من ذلك :

١ - بعض النصوص على فضيلة الصلاة والسلام على رسول الله :

١ - قال ﷺ : « إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن ثم صلّوا عليّ فإنه من صلّى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له شفاعتي »(٤).

٢ - وقال ﷺ : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة »(٥).

---

١) تفسير ابن كثير ٣/ ٥٠٧.

٢) الشفا ٢/ ٦١.

٣) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٥١٢- ٥١٥.

٤) تقدم تخريجه ص ٥٠٩

٥) رواه الترمذي في كتاب أبواب الصلاة باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ ٢/٣٥٤ برقم : ٤٨٤، وقال حديث حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم : ٢٣٨٩.

٣ - وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » فقال أبيّ: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال: « ما شئت » قال: الربع ؟ قال: « ما شئت وإن زدت فهو خير » قال: الثلث ؟ قال: « ما شئت وإن زدت فهو خير » قال: النصف ؟ قال: « ما شئت وإن زدت فهو خير » قال: الثلثين ؟ قال: « ما شئت وإن زدت فهو خير » قال يا رسول الله: فأجعل صلاتي كلها لك ؟ قال: « إذاً تُكفى ويغفر ذنبك »(١).

٤ - ومن الأحاديث الواردة في فضل السلام على رسول الله ﷺ قوله « ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام »(٢).

٥ - وقوله ﷺ: « إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام »(٣).

٦ - وقوله عليه السلام أيضاً: « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ، فقالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يقولون بليت، فقال: إن الله عز وجل حرّم على الأرض أجساد الأنبياء »(٤).

٢ - ذم وإثم من لم يصلّ على النبي ﷺ:

لقد وردت أحاديث كثيرة تذم تارك الصلاة على النبي ﷺ وتحذر من فعله وتبيّن ما عليه من معصية، وإليك طرفاً منها مما أورده أبو الفضل رحمه الله:

---

١) رواه الترمذي في صفة القيامة باب (٢٣) ٤/ ٥٤٩، برقم: ٢٤٥٧، وقال حديث حسن صحيح، ورواه المروزي في كتاب قيام الليل - الطبعة الهندية ص ٤٠.

٢) رواه أبو داود في كتاب المناسك باب زيارة القبور ٢/ ٥٣٤ برقم: ٢٠٤١ بإسناد صحيح كما قال النووي في رياض الصالحين ص ٥٣٠، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ١٥٧/٥ برقم: ٥٥٥٥، وكذا حسنه الشيخ الارناؤوط في تحقيقه لرياض الصالحين ص ٥٣٠.

٣) رواه النسائي في كتاب السهو باب السلام على النبي ﷺ ٣/ ٥٠ برقم: ١٢٨١، وصححه الالباني في صحيح الجامع ٢/ ٢٣٤ برقم: ٢١٧٠.

٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب تفريع أبواب الجمعة ١/ ٦٣٥ برقم: ١٠٤٧، وإسناده صحيح كما قال النووي في رياض الصالحين ص ٥٢٩، ورواه أحمد ٤/ ٨، والحاكم ١/ ٢٧٨، وصححه ووافقه الذهبي.

١ - فقد قال ﷺ « رغم(١) أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ »(٢).

٢ - وقال ﷺ : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ »(٣).

٣ - وقال ﷺ : « أيّما قوم جلسوا مجلساً ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا على النبي ﷺ كان عليهم من الله تِرَه(٤) إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم »(٥) إلى غير ذلك من الأحاديث.

وقد نبّه القاضي عياض أن تبليغ الصلاة والتسليم لرسول الله ﷺ هو من خصوصياته التي أكرمه الله بها، وقد استدل لهذا بالنصوص الآنفة الذكر(٦). قلت : وهو الحق والصواب.

د - حكم الصلاة على غير النبي ﷺ :

اتفق العلماء على جواز الصلاة والسلام على الأنبياء عليهم السلام وعلى غيرهم إذا كانوا تبعاً لذلك - بمعنى إذا ذكروا معهم - وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما منع ذلك، لكن لا يصح عنه كما قال القاضي عياض(٧).

أما الصلاة على غير الأنبياء، فقد اختلف العلماء في ذلك، فذهب جماعة منهم إلى جواز ذلك، ولكن جمهور العلماء والمحققين - ومنهم القاضي عياض -(٨) قالوا لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة، لأن هذا قد صار شعاراً للأنبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال مثلاً أبو بكر ﷺ ولا علي ﷺ وإن كان المعنى صحيحاً، وما احتج به الفريق الأول على جواز ذلك فالمراد بالصلاة الدعاء لهم، ولا يجوز الصلاة على غير الأنبياء أيضاً، لأن ذلك

---

١) أي لصق بالرغام وهو الرمل وهو كناية عن الذل والحقارة.

٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب قول رسول الله رغم أنف امرئ ٥/ ٥١٤ برقم : ٣٥٤٥ وحسنه، والحاكم ١/ ٥٤٩.

٣) رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب قول رسول الله رغم أنف امرئ ٥/ ٥١٤ برقم : ٣٥٤٦، وقال حديث حسن صحيح.

٤) الترة بكسر التاء وفتح الراء أي : نقص وحسرة وندامة. انظر المصباح المنير ص ٢٤٨، والقاموس المحيط ص ٦٣١.

٥) رواه أحمد ٢/ ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٦٣، ٤٨١، ٤٨٤، والترمذي في كتاب الدعوات باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله ٥/٤٣٠ برقم : ٣٣٨٠، وقال هذا حديث حسن صحيح، والحاكم ٤٩٦/١ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وهو صحيح كما قال الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٤٠٠ برقم : ٢٧٣٥.

٦) انظر الشفا ٢/ ٧٨- ٧٩.

٧) انظر المرجع السابق ٢/ ٨٠، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥١٦.

٨) انظر الشفا ٢/ ٨٣- ٨٤.

قد صار من شعار أهل البدع والأهواء من الرافضة والشيعة، الذين يخصون هذا بأئمتهم فشاركوهم عند الذكر بالصلاة وساووهم بالأنبياء في ذلك، ومعلوم أن التشبه بأهل البدع منهي عنه شرعاً فتجب مخالفتهم، وأيضاً فإن السلف الصالح لم يكونوا يفردون أحداً من غير الأنبياء بالصلاة عليه، فيجب الاقتداء بهم في ذلك، فقد كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى أحد عماله (أما بعد فإن ناساً من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة، وإن ناساً من القصّاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل الصلاة على النبي ﷺ، فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة وَيَدَعوا ما سوى ذلك)(١).

المطلب السادس : من أسماء النبي ﷺ وألقابه :

وردت أسماء وألقاب كثيرة لرسول الله ﷺ في الكتاب والسنة وفي كتب أهل العلم(٢)، وقد افردها القاضي عياض رحمه الله بفصل كامل في كتابه الشفا وأطال الحديث في ذلك(٣)، ومما ذكره مما هو صحيح ما رواه بسنده المتصل إلى رسول الله ﷺ قال : « لي خمسة أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب »(٤)، قال القاضي : (قوله ﷺ « لي خمسة أسماء » قيل إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة(٥).

وقد سمّاه الله عز وجل في كتابه محمداً وأحمد، فمن خصائصه تعالى له أن ضمَن أسماءه ثناءَه فطوى أثناء ذكره عظيم شكره، فأما اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد، ومحمد مُفَعَل مبالغة من كثرة الحمد، فهو ﷺ أجل من حَمد، وأفضل من حُمد، وأكثر الناس حمداً، فهو أحمد المحمودين، وأحمد الحامدين، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد، ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد، ويبعثه ربه هناك مقاماً محموداً كما وعده، يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم، يفتح عليه فيه من المحامد، وسمّى أمته في كتب

---

١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٥١٦- ٥١٧، وقد قال ابن كثير عن أثر عمر إنه حسن.

٢) لقد ألفت كتب مستقلة في أسماء النبي ﷺ ومعانيها. انظر معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ للدكتور صلاح المنجد ص ٣٧- ٤٠.

٣) انظر الشفا ١/ ٢٢٨- ٢٣٥.

٤) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص٤١٦.

٥) ذكر النووي أن هذا قول العلماء، وقال : للنبي ﷺ أسماء غير هذه الخمسة. انظر شرح صحيح مسلم ١٥/ ١٠٦.

أنبيائه بالحمّادين، فحقيق أن يسمى محمداً و أحمد.

ثم في هذين الإسمين من عجائب خصائص وبدائع آياته فن آخر، هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه، وأما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله بحكمته أن يسمى به أحد غيره، ولا يُدعى به مدعو قبله، وكذلك محمد أيضاً لم يسمَ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده أن نبياً يبعث اسمه أحمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة، أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان له ﷺ ولم ينازع فيهما.

وأما قوله ﷺ « وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر » ففسر في الحديث، ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته، أو يكون المحو عاماً بمعنى الظهور والغلبة، كما قال تعالى: ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾(١).

وقوله ﷺ « أنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي » أي على زماني وعهدي أي يحشر الناس بمشاهدتي، كما قال تعالى: ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس** ﴾ (٢)، وقيل على سابقتي، وقيل أي قدامي وحولي يجتمعون إليّ يوم القيامة)(٣).

ومن الأسماء والألقاب التي ذكرها القاضي عياض للنبي ﷺ أيضاً، طه ويس ورسول الرحمة، ورسول الملاحم والمدّثر والمزّمل وعبدالله، ونبي التوبة ورسول الملحمة، والمصطفى والمصلح والسراج المنير والمنذر والنذير، المبشر والبشير، والشاهد والنبي الأمي، ورسول رب العالمين، والشفيع المشفّع، والصادق الأمين، وصاحب الحوض المورود والشفاعة العظمى والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة والفضيلة، وصاحب المعراج ...

ومن أسمائه في الكتب السابقة المتوكل والمختار، ومقيم السنة، والمقدس الذي يفرق بين الحق والباطل، وهو معنى البارقليط في الإنجيل ومادْ ماذْ، ومعناه طيب طيب كما قال كعب الأحبار، إلى غير ذلك من الأسماء والألقاب.

---

١) سورة الصف آية ٩.

٢) سورة البقرة آية ١٤٣.

٣) الشفا ١/ ٢٢٩- ٢٣٢.

وأما كنيته فهي أبو القاسم(١) ﷺ.

ولا شك أن كثرة الأسماء والأوصاف تدل على عظمة المسمى بها وجلالته، وهل هناك أكرم وأفضل عند الله من نبينا محمد ﷺ - بأبي هو وأمي -.

المبحث السادس : من دلائل نبوته ﷺ :

تمهيـــد : -

اقتضت حكمته تعالى أن لا يرسل رسله إلا بالدلائل والحجج والبراهين الدالة على صدقهم ورسالتهم، لكي تقوم الحجة على الناس ولا يبقى لأحد في ذلك عذر، قال سبحانه : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات** ﴾(٢) أي بالمعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات التي تدل على صدقهم(٣)، وآيات الرسل أو معجزاتهم مختلفة باختلاف أحوال أقوامهم، فقد يعطي الله أحدهم آية أو آيات بما لا يعطيها غيره، لأن المراد بتلك الآيات الدلالة على صدق النبوة التي جاء بها النبي أو الرسول، وهذه المعجزة خارقة للعادة خارجة عن قدرة البشر(٤).

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة الدالة على هذا الأمر وإنني في هذا المبحث سأقتصر على ذكر نماذج من معجزات النبي ﷺ، لأن تقصي هذا الموضوع والإطالة فيه يحتاج لرسائل أو مجلدات، وقد أسهب القاضي عياض في هذا الأمر، فذكر أعداداً كثيرة جداً من معجزاته ﷺ بما تجاوز الحديث عنها المائة وعشرين صفحة(٥) منبهاً الى أنه قد ذكر أمهات معجزاته ومشاهير آياته ﷺ التي اشتهرت وصح إسناده، وهو إنما ذكرها - كما قال - لأهل ملته ﷺ المؤمنين به والمحبين لتكون تأكيداً في محبتهم له ومَنَمَاةً لأعمالهم وزيادة في إيمانهم، ولم يجمعها لمنكر نبوته ﷺ أو الطاعن في معجزاته فتحتاج إلى نصب البراهين عليها وشروط المعجز والتحدي، وفساد قول من أبطل نسخ

---

١) انظر الشفا ١/ ٢٣١- ٢٣٥.

٢) سورة الحديد آية ٢٥.

٣) انظر تفسير البغوي ٤/ ٢٩٩، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣١٤، وفتح القدير ٥/ ١٧٧.

٤) لقد افردت كتب كثيرة جداً مستقلة بهذا الشأن جمعت معجزات النبي ﷺ ودلائل وأعلام نبوته بلغت ما يزيد على السبعين مؤلفاً، مثل دلائل النبوة للبيهقي، ودلائل النبوة لابي نعيم الاصبهاني وغير ذلك. انظر أسماء تلك الكتب ومؤلفيها في معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ص ٦٢- ٦٥، ١٨٧- ١٩٠.

٥) انظر الشفا ١/ ٢٤٦- ٣٦٨.

الشرائع والرد عليه، وأشار رحمه الله إلى أن معجزات نبينا محمد ﷺ أظهر وأعظم من معجزات الرسل لوجهين :

الأول : كثرتها فإنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا ﷺ مثلها أو ما هو أبلغ منها، وهذا مما يطول بسطه.

الثاني : وضوح معجزاته فإن معجزات الرسل كانت بقدر زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه، فسائر معجزاتهم انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها، ومعجزة نبينا ﷺ لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجد ولا تضمحل، ولهذا أشار ﷺ بقوله : « ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »(١).(٢) وإليك بعضاً من هذه المعجزات ، وأبتدؤها بالمعجزة الخالدة القرآن الكريم.

المطلب الأول : القرآن الكريم المعجزة الخالدة للنبي ﷺ :

القرآن الكريم هو أعظم معجزة أعطيها رسولنا ﷺ، بل هو المعجزة الخالدة التي قصمت ظهور المعاندين وسفّهت أحلام المشركين وستبقى الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد عبر عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله : « ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة ».

وهذا القرآن العظيم يشتمل على أنواع كثيرة من الإعجاز، يقول القاضي عياض رحمه الله (فصل في إعجاز القرآن. اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيزمنطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة) وذكر تلك الوجوه واستدل عليها وأطنب في الحديث عنها بكلام في غاية الجودة والدقة بما لا يمكن الإسهاب فيه هـهنا(٣).

وجوه إعجاز القرآن الكريم :

تتلخص وجوه إعجاز القرآن الكريم فيما يلي :

الوجه الأول : حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب، فقد كان العرب أرباب الفصاحة وفرسان الكلام، وقد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من فصل الخطاب ما لم يعطه غيرهم، وجعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة،

---

١) تقدم تخريجه ص٤٣٨.

٢) انظر الشفا ١/ ٢٤٦، ٢٦٩- ٢٧٢، وإكمال المعلم ٣/ ٦٨٨.

٣) انظر الشفا ١/ ٢٥٨- ٢٨٠.

يأتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به الى كل سبب، فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت على كل البيان جوامعه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه، ونزل بلغتهم مسفهاً أحلامهم وذاماً آلهتهم التي يدعونها من دون الله، ويوبخهم غاية التوبيخ لتكذيبهم رسول الله ﷺ متحدياً إياهم أن يأتوا بمثله أو عشر سور منه أو سورة، قال تعالى: ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾(٢)، وقال تعالى أيضاً: ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾ (٣)، فما فعلوا ولا قدروا بل عجزوا على رؤوس الأشهاد، وكان أكابر بلغائهم وأعاظم فصحائهم وأئمة كفرهم يتسللون خلسة ليسمعوه من الرسول ﷺ وهو لا يشعرمن شدة انبهارهم به، بل واعترفوا بأنه لا يشبه نظمهم ولا نثرهم، وقد أقروا ببلاغته كما قال أحد صناديدهم(٤) لما سمع النبي ﷺ يقرأ قوله تعالى: ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون** ﴾(٥) قال للنبي ﷺ أعد، فأعادها فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة(٦)، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق(٧) وما يقول هذا بشر(٨)، فكون هذا القرآن معجزة للنبي

---

١) سورة الاسراء آية ٨٨.

٢) سورة هود آية ١٣.

٣) سورة البقرة آية ٢٣- ٢٤.

٤) هو الوليد بن المغيرة وقيل غيره.

٥) سورة النحل آية ٩٠.

٦) بفتح الطاء أي بهجة وحسناً والرونق. انظر المصباح المنير ص ١٤٣، والمعجم الوسيط ٥٦٤/٢.

٧) الغدق بفتح العين والدال، المطر الكبار القطر، والمغدق بضم الميم وسكون الغين وكسر الدال مفعل منه. انظر المصباح المنير ص ١٦٨، والقاموس المحيط ص ١١٨٠.

٨) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٧٠، والطبري في تفسيره ١٥٦/٢٩، ١٥٧.

ﷺ نزل من عند الله متحدياً به معلوم ضرورة، وكذا كونه خارقاً للعادة بالفصاحة ووجوه البلاغة وغيرها معلوم ضرورة للعالمين، وعجزهم عن الإتيان بشيء من مثله مما لا ريب فيه.

الوجه الثاني: صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفت مقاطع آياته وانتهت فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقول الكافرين ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر، وإن قالوا عنه سحر أو شعر أو أن محمداً أتى به من عند نفسه ... إلى آخر التهم، فهم موقنون في قرارة أنفسهم أنهم كاذبون وأن القرآن والنبي ﷺ بريئان مما رموهما به.

فالإعجاز بإيجاز القرآن وبلاغته بذاتها والأسلوب الغريب بذاته كل منهما نوع إعجاز لم تقدر العرب على الأتيان بواحد منهما، إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها وعجزهم عن ذلك ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحدّيهم بأن يأتوا بمثله قاطع، وهو أبلغ من التعجيز وأحرى بالتقريع.

الوجه الثالث: ما انطوى عليه من الأخبار المغيّبات وما لم يكن ولم يقع فوجد ووقع كما ورد في القرآن على الوجه الذي أخبر به عز وجل، والأمثلة على هذا الأمر كثيرة جداً منها: إخباره تعالى رسوله بأنه سيدخل مع المؤمنين المسجد الحرام آمنين ووقوع ذلك، ومنها انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم أولاً، ومنها: إظهار هذا الدين على الدين كله، وفتح مكة المكرمة، وانتشار الإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً، فما مات رسول الله ﷺ وفي بلاد العرب كلها موضع إلا ودخله الإسلام، ومنها إخباره تعالى بحفظ هذا القرآن من التبديل والتغيير إلى غير ذلك من الأمور.

الوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم عنه أحد وإن علم بعض الناس شيئاً فهو نادر جداً قليل لم يحصل عليه الا بفناء عمره في تعلّم ذلك، فجاء رسول الله ﷺ بهذا القرآن من عند الله وهو الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ولا درس بمدرسة ولا غيرها ولم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم، جاء بالقصص والأخبار للقرون والأمم البائدة من أخبار الأنبياء مع أممهم وقصة موسى والخضر ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين وغيرهم وأشباه ذلك، وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل والزبور وغير ذلك مما صدّقه فيه العلماء ولم يقدروا على

تكذيبه بها، بل كان كثير من تلك القصص والأخبار يأتي جواباً لسؤال من أهل الكتاب وغيرهم ولا أحد ينكر ذلك أو يكذبه.

الوجه الخامس: الروعة التي تحلق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة[1] خطره وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً ويودون انقطاعهم لكراهتهم له.

الوجه السادس: كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه. قال سبحانه: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[3]. فسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء أوقاتها - كما تقدم - ولم يبق إلا خبرها، أما هذا القرآن فظلت آياته الظاهرة المعجزة وستظل إلى قيام الساعة حجة قاهرة وآية باهرة على أنه من عند الله، وعلى صدق رسوله ﷺ واستحالة معارضة هذا القرآن العظيم.

الوجه السابع: أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيد حلاوته وترديده يوجب له المحبة لا يزال غضاً طرياً، بخلاف غيره من الكلام، فمهما بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه، فإنه يُمَل مع الترديد والإعادة، وهذا القرآن تأنس القلوب بتلاوته وسماعه وتشفى الصدور به.

الوجه الثامن: جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد ﷺ خاصة قبل نبوته بمعرفتها على القيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بيّنة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد، عجز المتحذلقون أن ينصبوا أدلة مثلها.

الوجه التاسع: ومن وجوه إعجازه أيضاً تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه، قال تعالى: ﴿ **ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾[4]، وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم، فأما الكتاب العزيز فتحفظه الأمم الغفيرة على مرور السنين، وحتى الصغار منهم ميسّر حفظه لهم في أقرب مدة.

---

1) مأخوذ من الأنفة وهي الاستكبار. انظر المصباح المنير ص ١٠، والقاموس المحيط ص ١٠٢٥.
2) سورة الحجر آية ٩
3) سورة فصلت آية ٤٢.
4) سورة القمر آية ٤٠.

هذه بعض من وجوه إعجاز القرآن الكريم فنسأل الله أن نكون من أهله وأن يكون شافعاً وحجة لنا إنه سميع مجيب.

المطلب الثاني : انشقاق القمر :

من المعجزات الباهرة والدلائل العظيمة على نبوة سيدنا محمد ﷺ انشقاق القمر. قال تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** ﴾(١)، قال القاضي رحمه الله (أخبر تعالى بوقوع انشقاقه - أي القمر - بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه)(٢).

وقد أورد رحمه الله بعض الأحاديث الصحيحة على ذلك منها :

١ - ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين(٣).

٢ - ومنها ما جاء في الصحيحين أيضاً عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أن القمر انشق على عهد النبي ﷺ شقتين، فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا »(٤).

٣ - وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فلقتين(٥) فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله ﷺ « اشهدوا »(٦) وفي رواية عن ابن مسعود قال : (حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر، فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة(٧)،

---

١) سورة القمر آية ١- ٢.

٢) الشفا ١/ ٢٨١.

٣) رواه البخاري في عدة مواضع منها كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر ٦/ ٧٣٠ برقم : ٣٦٣٧، وفي كتاب التفسير سورة القمر باب (١) برقم : ٤٨٦٧، ٤٨٦٨، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب انشقاق القمر ٤/ ٢١٥٩ برقم : ٢٨٠٢.

٤) رواه البخاري في كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فاراهم انشقاق القمر ٦/ ٧٣٠ برقم : ٣٦٣٦، ٣٦٣٨، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب انشقاق القمر ٤/ ٢١٥٨ برقم : ٢٨٠٠، ٢٨٠٣.

٥) بكسر الفاء وسكون اللام هو الشق. النهاية ٣/ ٤٧١.

٦) رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين ٤/ ٢١٥٨ برقم : ٢٨٠٠ مكرر.

٧) يقصدون رسول الله ﷺ، وكان المشركون ينسبونه إلى أبي كبشة، وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى، فلما خالفهم النبي ﷺ في عبادة الأوثان شبهوه به، وقيل غير ذلك، انظر النهاية ٤/ ١٤٤.

فقال رجل منهم : إن محمداً إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ سحره أن يسحر الأرض كلها، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا ؟ فأتوا فسألوهم فأخبروا أنهم رأوا مثل ذلك فقالوا هذا سحر مستمر)(١).

وقد نبّه القاضي عياض أن انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ وقد رواها عدد من الصحابة رضي الله عنهم مع ظاهر الآية الكريمة المصرحة بذلك، فلا يلتفت إلى اعتراض مخذول في ذلك(٢).

قلت : أجل والله لا يلتفت إلى من أنكر هذه المعجزة بعد ثبوتها بالكتاب وإجماع المسلمين عليها، فإن من فعل ذلك فيه شبه بالكافرين الذين رأوها بأم أعينهم فكذبوا بها وقالوا سحر مستمر، ومن لم يقتنع بالكتاب والسنة والإجماع فلن يقتنع بشيء آخر، وحسبه أنه في ضلال مبين.

المطلب الثالث : الإسراء والمعراج :

من معجزاته ﷺ العظيمة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج منه إلى السموات العلى كما أخبر الله عن ذلك في كتابه الكريم، قال سبحانه : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ (٣)، وقال تعالى أيضاً عن معراجه ﷺ إلى السموات وما رأى فيها : ﴿ **والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علّمه شديد القوى * ذو مرّة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾(٤).

وقد بيّن القاضي عياض رحمه الله أن هذه المعجزة وقعت لرسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة، وأنه أسري به بروحه وجسده يقظة لا مناماً، فقد قال : (اختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ فقيل : كان جميع ذلك في المنام،

---

١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٦٦، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ١٢١ وغيرهما.

٢) انظر الشفا ١/ ٢٨٣.

٣) سورة الإسراء آية ١.

٤) سورة النجم الآيات من ١- ١٨.

والحق الذي يعول عليه ويجب أن يدان الله به والذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه ﷺ أسري به بالروح والجسد معاً، والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه حتى يحتاج تأويل، قال سبحانه **﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾**(١)، وقال **﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾**(٢)، ولو كان مناماً لما كان فيه معجزة ولا استبعده الكفار ولا افتتن به ضعفاء المسلمين، إذ ليس في المنامات إنكار، وكذلك ركوبه البراق والمعراج وافتتاح أبواب السماء، ولقاؤه بالأنبياء ووصفه لهم وترحيبهم به، وشأنه في فرض الصلاة والمراجعة فيها، وغير ذلك دليل على أنه كان في اليقظة لا في المنام)(٣).

قلت : ما ذكره القاضي عياض هو الصحيح الذي عليه جماهير السلف والخلف من المحدثين والفقهاء وغيرهم، وقد بلغت هذه المعجزة حد التواتر وأجمع عليها المسلمون(٤).

المطلب الرابع : نبوع الماء من بين أصابعه ﷺ حتى توضأ به بشر كثير :

من دلائل نبوته ﷺ ما ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله(٥) رضي الله عنه قال : (رأيتني مع النبي ﷺ وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فجعل في إناء فأتي النبي ﷺ به فأدخل يده فيه وفرّج أصابعه ثم قال حيّا على أهل الوضوء البركة من الله، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، فتوضأ

---

١) سورة الإسراء آية ١.

٢) سورة النجم آية ٧.

٣) منهاج العوارف ص ٢٢٠، وإكمال المعلم ٣/ ٧٢٩- ٧٣٠.

٤) انظر للتدليل على ذلك على سبيل المثال تفسير الطبري ١٥/ ١٦- ١٧، والشريعة ص ٤٩٠- ٤٩١، والحجة في بيان المحجة ١/ ٥١١، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٢- ٢٤، وفتح الباري ١/ ٤٥٩ و ٧/ ١٩٧، وزاد المعاد ٣/ ٤٠- ٤٢، وشرح الطحاوية ص ٢٤٧، وفتح القدير ٣/ ٢٠٧، وغيرها.

٥) هو الصحابي الجليل أبو عبدالله - على الصحيح - جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الانصاري السلمي، هو وأبوه صحابيان، شهد العقبة الثانية وتسع عشرة غزوة مع النبي ﷺ ولم يحضر بدراً ولا أحداً منعه أبوه، كان من المكثرين للرواية عن النبي ﷺ، شهد صفين مع علي بن أبي طالب، كف بصره في آخر عمره ومات بالمدينة سنة (٧٤ هـ) وقيل (٧٧ هـ) وقيل غير ذلك. انظر الاستيعاب ١/ ٢٢٢، وأسد الغابة ١/٢٥٧، والإصابة ١/ ٢١٤.

الناس وشربوا، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه. فعلمت أنه بركة، فقيل لجابر كم كنتم يومئذ ؟ قال ألف و أربعمائة)(١).

وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا بماء فأتي بقدح رحراح(٢) فجعل القوم يتوضأون - وفي لفظ لهما - فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ﷺ، - وفي لفظ لهما - فتوضأ الناس وشربوا - وفي لفظ البخاري - فشربنا وتوضأنا، فقيل كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمسة عشر ومائة - وفي رواية مسلم - كنا زهاء الثلاثمائة)(٣)، وللحديث طرق وألفاظ في الصحيحين وغيرهما، وحاصلها أنهم شربوا وتوضأوا من الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ وهم عدد كبير.

قال القاضي عياض (الأحاديث في هذا كثيرة جداً رواها جماعة من الصحابة رضي الله عنهم)(٤).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله (قضية نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة وردت من طرق كثيرة، يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي)(٥).

المطلب الخامس : تكثير الطعام ببركته ودعائه ﷺ :

وردت أحاديث كثيرة مستفيضة في هذا المعنى ذكر القاضي عياض عدداً منها وأنا أقتصر على حديث جابر خشية الإطالة، فقد قال رضي الله عنه (لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصاً(٦) شديداً فانكفيت إلى امرأتي فقلت : هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، فأخرجت إليّ جراباً فيه صاع من شعير ولنا بُهَيْمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير ففرغتْ إلى فراغ وقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله ﷺ. فقالت لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت : يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر، فصاح النبي ﷺ « يا أهل الخندق إن

---

١) رواه البخاري في كتاب الأشربة باب شرب البركة والماء المبارك ١٠/ ١٠٤ برقم : ٥٦٣٩.

٢) قال ابن الأثير : الرحراح هو القريب القعر مع سعة فيه. النهاية ٢/ ٢٠٨.

٣) رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه بألفاظ مختلفة، انظر كتاب الوضوء باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ٣٢٥/١ برقم :١٦٩، وفي كتاب المناقب باب علامات النبوة ٦٧١/٦ برقم :٣٥٧٢، ٣٥٧٦، ومسلم في كتاب الفضائل باب من معجزات النبي ﷺ ١٧٨٣/٤ برقم :٢٢٧٩.

٤) الشفا ٢٨٥/١.

٥) نقله ابن عنه ابن عبدالبر في التمهيد ٢١٧/١.

٦) الخمص بفتح الخاء والميم وسكونها هو خموص البطن من الجوع. انظر فتح الباري ٤٦١/٧.

جابراً قد صنع سُوْراً(١) فحيّاهلا(٢) بكم، فقال رسول الله ﷺ لا تنزلن بُرْمتكم(٣) ولا تخبزن عجينكم حتى أجئ، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجيناً فبصق ﷺ فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك ثم قال: « أدع خبازة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها » وهم ألف، فأقسم جابر بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو)(٤). قال القاضي عياض رحمه الله: (لقد اجتمع على معنى هذا الحديث بضعة عشر من الصحابة)(٥). وقال النووي رحمه الله: (تكثير الطعام وجد منه ﷺ في مواطن مختلفة وعلى أحوال كثيرة وصفات متنوعة)(٦).

المطلب السادس: حنين الجذع إلى رسول الله ﷺ لمفارقته إياه:

من معجزاته ﷺ أيضاً حنين جذع النخل إليه، قال جابر رضي الله عنه: (كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم على جذع منها، فلما صنع المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع أصواتاً كصوت العشار(٧)، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكتت) - وفي رواية - قال جابر: فلما كان يوم الجمعة رفع الجذع إلى المنبر فصاح صياح الصبي فنزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي، قال: (كانت الجذع تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها)(٨).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (ولهذا كان الحسن البصري رحمه الله إذا حدث بهذا الحديث يقول: يا معشر المسلمين الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً الى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا اليه)(٩). وقال القاضي عياض

---

١) السور بضم السين وسكون الواو المراد به ههنا الصنيع بالفارسية، وقيل العرس. المرجع السابق.

٢) هي كلمة استدعاء فيها حث أي هلموا مسرعين. المرجع السابق.

٣) البرمة بضم الباء وسكون الراء هي الحجارة التي يوضع عليها القدر. المرجع السابق ٧/٤٥٩.

٤) رواه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الخندق ٧/ ٤٥٧ برقم: ٤١٠٢.

٥) الشفا ١/ ٢٩٧.

٦) شرح صحيح مسلم ١٥/ ٣٨.

٧) بكسر العين وفتحها جمع عشراء وهي الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر. انظر المصباح المنير ص ١٥٦.

٨) رواه البخاري في كتاب الجمعة باب الخطبة على المنبر ٢/ ٤٦١ برقم: ٩١٨، وفي كتاب المناقب باب علامات النبوة ٦/ ٦٩٦ برقم: ٣٥٨٤، ٣٥٨٥، والترمذي في المناقب باب آيات إثبات نبوة النبي ﷺ ٥/ ٥٥٤ برقم: ٣٦٢٧.

٩) فتح الباري ٦/ ٦٩٧.

(حديث أنين الجذع منتشر والخبر به متواتر قد خرّجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر)(١). وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن الحديث السابق (وقد ورد من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وفرسان هذا الميدان)(٢).

المطلب السابع : تسليم الحجر عليه ﷺ ورجف الجبل تحته وسكونه لما ضربه برجله :

ومن معجزاته ﷺ أيضاً تسليم الحجر عليه كما ثبت ذلك في صحيح مسلم قال ﷺ « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ إني لأعرفه الآن »(٣) بل كان ﷺ بعد البعثة كما قالت عائشة وجابر رضي الله عنهما لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال له السلام عليك يا رسول الله(٤) وشبيه بهذا القبيل ما ثبت في الصحيح وغيره عن أنس رضي الله عنه قال : (صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال : « أثبت أحد فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان »(٥). وقد جاءت روايات صحيحة عن أبي هريرة وعثمان وابن عباس وغيرهم على أن ذلك كان بجبل حراء الذي بضواحي مكة، قالت العلماء : لا مانع من تعدد القصة إن لم يحصل في ذلك شئ من بعض الرواة(٦).

المطلب الثامن : إخبار الذراع للرسول ﷺ بأنها مسمومة :

ومن معجزاته ﷺ الباهرة ما ثبت من تكليم الذراع المسمومة لرسول الله ﷺ وإخبارها إياه بما فيها من سم. فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه - وغيره من الصحابة رضي الله عنهم - أن يهودية من أهل خيبر أهدت للنبي ﷺ شاة مصلية(٧) قد سمّتها فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه ثم قال رسول الله ﷺ « ارفعوا أيديكم » وأرسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها : « أسممت هذه الشاة »؟ قالت اليهودية : من

---

١) الشفا ١/ ٣٠٣.

٢) الشمائل المحمدية لابن كثير ص ٢٤٣.

٣) تقدم تخريجه ص ٢٨١.

٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده برقم : ١٥٣٩، والبزار في مسنده ٣/١١٦- ١١٧ برقم : ٢٣٧٣.

٥) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب ٧/ ٥١ برقم : ٣٦٨٦، ٣٦٩٩، وأبو داود في كتاب السنة باب في الخلفاء ٥/ ٤٠ برقم : ٤٦٥١، والترمذي في كتاب المناقب باب في مناقب عثمان ٥/ ٥٨٢ برقم : ٣٦٩٧.

٦) انظر فتح الباري ٧/ ٣٨.

٧) أي مشوية تقول صليت اللحم أصليه أي أشويه. انظر المصباح المنير ص ١٣٢.

أخبرك ؟ قال : « أخبرتني هذه في يدي » - للذراع - قالت : نعم، قال : « فما أردت إلى ذلك » قالت : قلت : إن كان نبياً فلن يضرّه وإن لم يكن نبياً استرحنا منه، فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة - وفي رواية - فأمر رسول الله ﷺ باليهودية فقتلت(١).

وقد حكى القاضي عياض عن بعض العلماء إجماع أهل الحديث على أن النبي ﷺ قتل اليهودية التي سمّته، فبعد أن ذكر اختلاف الروايات في ذلك قال : وجاء في رواية ابن عباس رضي الله عنها أنه دفعها لأولياء الصحابي الذي قتل بالسم فقتلوها(٢).

قلت : يمكن الجمع بين الروايات الواردة بعفوه ﷺ عن اليهودية وبين التي تثبت قتلها كما رجّح ذلك غير واحد من العلماء، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : يحتمل أن يكون ﷺ تركها أولاً ثم لما مات الصحابي من الأكلة بسببها قتلها، وبذلك أجاب غير واحد من العلماء، ويحتمل أنه تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه ثم قتلها بموت الصحابي، ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت، وإنما أخر قتلها حتى مات الصحابي لأنه بموته تحقق وجوب القصاص بشرطه(٣)

ومن هذه القصة وغيرها يظهر جلياً ما يكنّه اليهود قاتلهم الله للإسلام ولنبيه ﷺ وللمسلمين من حقد وضغينة ومكر، حتى من ضعفائهم ونسائهم، لأن الكفر والحقد قد ملأ قلوبهم، وصدق الله إذ يقول : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾(٤)، وكم مكر هؤلاء بالمسلمين وبنبيّهم ﷺ وخططوا للقضاء على هذه الدعوة الإسلامية من بدايتها، ولكن الله حفظ دينه ورسوله وأولياءه المؤمنين، وما يفعله هؤلاء المجرمون اليوم بإخواننا المسلمين في فلسطين وغيرها إلا امتداد لهذا المكر والعداء، فعلى المسلمين أن يكونوا على أشد الحذر من هؤلاء وغيرهم من الكفار ويعدوا لحربهم ما استطاعوا من قوة ويتبرأوا منهم ويعادوهم وأن لا يتخذوا منهم

---

١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الديات باب فيمن سقى رجلاً سماً فمات أيقاد منه ٤/ ٦٤٨ برقم : ٤٥١٠، ٤٥١١، والدارمي في المقدمة باب ما أكرم النبي ﷺ من كلام الموتى ١/ ١١ برقم : ٦٨، والحاكم ٣/ ٢١٩- ٢٢٠، ٤/ ١٠٩، وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ٣/ ١٦٦٧- ١٦٦٨ برقم : ٥٩٣١، وأصل القصة في صحيح البخاري في كتاب الجزية باب (٧) ٦/ ٣١٤ برقم : ٣١٦٩ لكن بغير ذكر إخبار الذراع له.

٢) انظر الشفا ١/ ٣١٧.

٣) انظر فتح الباري ٧/ ٥٦٩.

٤) سورة المائدة آية ٨٢.

ولياً ولا نصيراً. نسأل الله أن ينصرنا عليهم وعلى كافة أعدائه إنه سميع مجيب.

المطلب التاسع : كلام الشجر لرسول الله ﷺ وشهادته له بالنبوة وإجابته دعوته :

من معجزاته العظمى ﷺ ما ثبت من تكليم الشجر له ﷺ وشهادته له بالنبوة وإجابته دعوته، ففي الصحيح من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه الطويل قال : ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فلم ير شيئاً ستتر به، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ الى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال : « إنقادي عليَّ بإذن الله » فانقادت كالبعير المخشوش(١) الذي يصانع قائده، وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان بالمَنْصف بينهما قال : « التئما عليَّ بإذن الله » فالتأمتا - وفي رواية أخرى - قال : « يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله إلحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما » فزحفت حتى لحقت بصاحبتها، فجلس خلفها فخرجت أحْضر(٢) مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فأبتعد، وجلست أحدث نفسي، فالتفت فإذا رسول الله مقبلاً والشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فوقف رسول الله ﷺ وقفة، فقال برأسه هكذا يميناً وشمالاً(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وهو جالس حزين قد خضب بالدماء قد ضربه أهل مكة، فقال مالك ؟ فقال : « فعل بي هؤلاء وفعلوا » قال : أتحب أن أريك آية ؟ قال : « نعم أرني » فنظر فإذا شجرة من وراء الوادي، قال : ادعو تلك الشجرة، فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، قال : قل لها فلترجع، فقال لها فرجعت حتى عادت إلى مكانها، فقال رسول الله ﷺ « حسبي »(٤).

---

١) هو الذي يجعل في أنفه خشاش بكسر الخاء، وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً ويشد فيه حبل ليذل وينقاد، وقد يتمانع لصعوبته فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد شيئاً. شرح صحيح مسلم ١٨/ ١٤٣.

٢) بضم الهمزة وإسكان الحاء وكسر الضاد أي أعدوا وأسعى سعياً شديداً. شرح صحيح مسلم ١٨/ ١٤٣.

٣) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب حديث جابر الطويل ٤/ ٢٣٠٦ برقم : ٣٠١٢.

٤) رواه ابن ماجة في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ٢/ ١٣٣٦ برقم : ٤٠٢٨، والدارمي في المقدمة باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١/ ٢٦ برقم : ٢٣، وأحمد ٣/ ١١٣ وهو صحيح كما قال الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٣٧٢- ٣٧٣ برقم : ٣٢٥٤، ومشكاة المصابيح ٣/ ١٦٦٥ برقم : ٥٩٢٤.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ « أين تريد » ؟ قال : إلى أهلي، فقال : « هل لك في خير » ؟ قال : وما هو ؟ قال : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله » قال : ومن شهد على ما تقول ؟ قال : « هذه الشجرة السَمُرَة وهي بشاطئ الوادي » فأقبلت تَخُدّ(١) الأرض خداً حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ثم رجعت الى مكانها، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن اتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت مكثت معك(٢).

فهذه بعض من معجزاته ﷺ الدالة على صدقه ونبوته ووجوب الإيمان به واتباعه، فحري بمن يريد الحق والنجاة لنفسه أن يؤمن به ويحبه أكثر من نفسه وأهله والناس أجميعن ويتبعه لينال شفاعته ومرافقته في الجنة. نسأل الله من فضله.

المبحث السابع : الإيمان بالملائكة والكتب المنزلة :

الإيمان بالملائكة والكتب المنزلة ركنان أساسيان من أركان الايمان كما بين ذلك رسول الله ﷺ في حديث جبريل المشهور والذي فيه « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ... »(٣)، والايمان بهذين الأمرين مما علم في الإسلام بالضرورة، وقد جمعتهما في مبحث واحد لأختم بهما كلامي عن الايمان بالنبوات، لأني لم أجد للقاضي عياض رحمه الله في ذلك إلا كلاماً قليلا. وأبدأ أولا بالحديث عن الايمان بالملائكة.

المطلب الأول : الإيمان بالملائكة :

أ- بعض صفات الملائكة والرد على من قال بعدم عصمتهم :

الملائكة خلق عظيم من خلق الله، خلقهم من نور وعددهم لا يحصيه إلا الله تعالى، وقد طبعهم سبحانه على طاعته، فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، بل يسبحون بالليل والنهار لا يفترون. قال سبحانه : ﴿ **فإن استكبروا فالذين عند**

---

١) بفتح التاء وضم الخاء أي تشق. انظر المصباح المنير ص ٦٣، والمعجم الوسيط ٢/ ٢٢١.

٢) رواه الدارمي في المقدمة باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١/ ٢٨ برقم : ١٦، ورواه الطبراني كما قال في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩٢، وقال رجاله رجال الصحيح، ورواه البزار في كتاب علامات النبوة باب انقياد الشجر له ﷺ برقم : ٢٤١١، وهو صحيح كما قال الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند من دلائل النبوة ص ٩٧- ٩٨.

٣) تقدم تخريجه ص ١٠٦.

ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾(١). وصفات الملائكة وأوصافهم وأصنافهم كثيرة وردت في الكتاب والسنة وقد أشار القاضي عياض إلى بعضها.

فمن صفاتهم - زيادة على ما ذكر - أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ولا يتراخون عن فعل أمر الله تعالى، قال القاضي عياض (الايمان بالملائكة حق منهم حفظة يكتبون أعمال العباد، ومنهم رسل الله إلى أنبيائه وملائكه غلاظ شداد وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)(٢).

وقد ردّ رحمه الله على من اعتقد بأن بعض الملائكة غير معصومين أو أنه وقع منهم معاصي وذنوب وأبطل ذلك بوجوه قوية فقال : (أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين، واختلفوا في غير المرسلين منهم، فذهب طائفة الى عصمة جميعهم محتجين بقوله تعالى : **﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ﴾** (٣)، وبقوله تعالى : **﴿ وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون ﴾**(٤)، وبقوله : **﴿ كرام بررة ﴾**(٥)،وقوله **﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾**(٦)، ونحوه. وذهبت طائفة إلى أن هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين، واحتجوا بأخبار ذكرها أهل الأخبار والتفاسير، والصحيح والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من مرتبتهم ومنزلتهم عن جليل قدرهم، ومما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت، وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقله المفسرون وما روي في خبرهما وابتلائهما، فاعلم أكرمك الله أن هذه الأخبار لم يرو منها شئ لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئاً يؤخذ بالقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله أول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه، فاختلف أولاً في هاروت وماروت هل هما ملكان أو إنسيان ؟ فقيل : كانا ملكين في بني إسرائيل فمسخهما الله، كذلك

---

١) سورة فصلت آية ٣٨.
٢) الإعلام بحدود قواعد الاسلام ص ١٦.
٣) سورة التحريم آية ٦.
٤) سورة الصافات آية ١٦٥- ١٦٦.
٥) سورة عبس ١٦.
٦) سورة الواقعة آية ٧٩.

استدلوا بقوله تعالى ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس أبى واستكبر** ﴾[١]، وهذا أيضاً لم يتفق عليه، بل الأكثرون كون إبليس من الملائكة بل هو أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس، والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ، ومما رووه في الأخبار أن خلقاً من الملائكة عصوا الله فحرقوا وأمروا أن يسجدوا فأبوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد لله من ذكر الله إلا إبليس في أخبار لا أصل لها تردها صحاح الأخبار فلا يشتغل بها)[٢].

قلت ما ذكره القاضي عياض آنفاً هو الحق والصواب الذي دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه العمل عند أهل السنة والجماعة[٣]، فلا يلتفت إلى قول باطل خالفه، لأنه لا اعتبار لأي قول خالف النصوص الصحيحة أياً كان صاحبه، أما كون إبليس ليس من الملائكة فيكفي فيه قوله تعالى : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ [٤]، فقد نصت هذه الآية على أنه من الجن فكيف يقال إنه كان من الملائكة ؟ قال الحسن البصري رحمه الله : (ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر)[٥].

ومن صفاتهم أيضاً أنهم عباد مكرمون قال تعالى : ﴿ **بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾[٦].

ومن صفات الملائكة كما قال القاضي عياض (أنهم يتصورون على صور مختلفة فقد أعطاهم الله قدرة على التصوير في أشكال مختلفة سواء كانت من صور بني آدم أو غيرها، وهم مع هذا لهم صور في أصل خلقهم مخصوصة بهم كل منهم على ما خلق عليه وشكل)[٧].

قلت : هذا مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة وصحت بهذا المعنى أحاديث كثيرة منها حديث جبريل الذي جاء في صورة رجل شديد بياض الثياب

---

١) سورة البقرة آية ٣٤.

٢) الشفا ٢/ ١٧٤- ١٧٧.

٣) انظر تفسير ابن كثير ٣/٨٨- ٨٩ فقد ذكر نحواً من كلام القاضي عياض.

٤) سورة الكهف آية ٥٠.

٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٥٠٦/١، وذكره ابن كثير ٣/ ٨٨، وقال رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه.

٦) سورة الأنبياء آية ٢٦- ٢٧.

٧) إكمال المعلم ٣/ ٧٢٨.

شديد سواد الشعر، وحديث الرجل زار أخاً له في الله فأرصد الله له ملكاً بصورة رجل فأخبره أن الله يحبه، لأنه أحب أخاه وزاره في الله(١) إلى غير ذلك من النصوص(٢).

ب - بعض أصناف الملائكة :

أصناف الملائكة كثيرة منها ما ذكره القاضي عياض، فمنهم الحفظة الذين يكتبون أعمال العباد ومنهم الرسل بين الله وأنبيائه، ومنهم ملائكة للمحادثة وملائكة للزينة وملائكة لحمل العرش، وهم أقرب الملائكة وأعلاهم منزلة وأكثرهم علماً، ومنهم ملائكة في كل سماء(٣).

قلت : ومنهم ملائكة لقبض أرواح الخلق، وملائكة موكلون بالسموات والأرض وملائكة موكلون بالجبال وملائكة موكلة بالسحاب والمطر، وملائكة موكلة بالرحم تدبّر أمر النطفة، وملائكة لحفظ العباد، وملائكة للسؤال في القبر، وآخرون موكلون بالجنة وآخرون بالنار إلى غير ذلك من الأصناف، ورؤساؤهم وأفضلهم الملائكة الثلاثة جبريل الموكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل الموكل بالمطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم(٤).

ج - أيهم أفضل الأنبياء أم الملائكة ؟

تعرض القاضي عياض لهذه المسألة بإيجاز فذكر اختلاف الناس في ذلك ورجح أن يكون الملائكة أفضل من الرسل ما عدا محمد ﷺ فإنه أفضل منهم ومن الرسل. فقال رحمه الله : (اضطرب العلماء في الأنبياء والملائكة عليهم السلام أيهم أفضل، فذهب قوم إلى تفضيل الملائكة وذهب آخرون إلى تفضيل الأنبياء، وكان بعض شيوخنا يحكي الإجماع أن محمداً ﷺ أفضل من الجميع، والذي أرتضيه أن الملائكة أفضل، وغاية ما ينتهي إليه المؤمن الكامل في مراقي الإيمان والإيقان والطاعة لربه أن يتشبه في أكثر أحواله بهم)(٥).

قلت : اختلف العلماء في هذه المسألة كما بيّن القاضي أبو الفضل عياض ذلك، فمنهم من فضل الملائكة ومنهم من فضل الأنبياء ومنهم من توقف في ذلك، وحجة المتوقفين أن الخوض في هذه المسألة من بدع أهل الكلام التي لم

---

١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة باب فضل الحب في الله ٤/ ١٩٨٨ برقم : ٢٥٦٧.

٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤/ ١٢٦.

٣) انظر الإعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٦، وإكمال المعلم ٥/ ١٩٩، ومنهاج العوارف ص ٩٥.

٤) انظر للتوسع في المسألة شرح العقيد الطحاوية ص ٢٧٥- ٢٧٧.

٥) إكمال المعلم ٦/ ٧٢، ومنهاج العوارف ص ١٢٣.

يتكلم فيها الصدر الأول من الأئمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة، لأن الواجب على العبد الإيمان بالملائكة والأنبياء وليس عليه أن يعتقد أي الفريقين أفضل، لأنه لو كان واجباً لجاء البيان به بالنص من الكتاب والسنة ولبيّنه سلفنا الصالح وإلى هذا الرأي مال أبو حنيفة رحمه الله فيما حكي عنه شارح الطحاوية والشوكاني وغيرهما من العلماء(١).

قال شارح الطحاوية: (الأدلة الواردة في هذه المسألة من الجانبين إنما تدل على الفضل لا على الأفضلية ولا نزاع في ذلك)(٢)، ولا شك في منع التفضيل بينهم إذا كان على وجه التنقص أو الحمية والعصبية لأي جنس منهم، أما نبينا ﷺ فهو أفضل من جميع المخلوقات من البشر والملائكة وغيرهم كما نص على ذلك غير واحد من أئمة السلف منهم شيخ الإسلام ابن تيمية(٣) رحمه الله لأن الله رفعه مكاناً لم يصل إليه نبي مرسل ولا ملك مرسل فسمع صريف الأقلام وخاطب رب العزة عز وجل يتجلّى ذلك واضحاً في قصة الإسراء والمعراج وغيرها، قال عبدالله بن سلام رضي الله عنه: (ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ)(٤). وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله كلاماً جيداً في مسألة المفاضلة بين الأنبياء والملائكة فقال: إن الملائكة أفضل باعتبار البداية، والأنبياء وصالحو البشر أفضل من الملائكة باعتبار كمال النهاية، وذلك عندما يدخلون دار القرار وينالون الزلفى بجنات النعيم والدرجات العلى فيها، فلا يظهر فضلهم عند ابتداء أحوالهم وإنما يظهر فضلهم عند كمال أحوالهم بخلاف الذي تشابه أول أمره وآخره(٥).

المطلب الثاني: الإيمان بالكتب المنزلة:

الإيمان بالكتب المنزلة ركن من أركان الإيمان كما سبق بيانه، وقد دلّ على هذا الأمر النصوص الكثيرة. قال تعالى ﴿ **ألم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان** ﴾(٦).

وقال سبحانه ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن**

---

١) انظر شرح الطحاوية ص ٢٧٧- ٢٨٩، وفتح القدير ٣/ ٢٤٤.

٢) شرح الطحاوية ص ٢٧٩.

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١/ ٩٤- ٩٥، وشرح الطحاوية ص ٢٧٩، ٣٨٢.

٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٦٨- ٥٦٩ وصححه ووافقه الذهبي.

٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١/ ٩٥.

٦) سورة آل عمران آية ١- ٤.

بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾[١]، وقد ذكر في النصوص الشرعية بعض أسماء الكتب المنزلة على الرسل، وهي التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود والقرآن على محمد ﷺ، وقد اتفقت الأمة على أن القرآن أعظم الكتب السماوية كلها وهو وحده الذي سلم من التحريف والتبديل، وقد تضمن هذا الكتاب من الأوامر والنواهي والعلوم والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب وذكر أخبار من سبق وأخبار ما يأتي من البعث والنشور والجنة والنار ... إلى آخره مما لم يشتمل عليه كتاب غيره، قال سبحانه ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ [٢]، وقال أيضاً ﴿ **ما فرّطنا في الكتاب من شيء** ﴾[٣]، وقال ﴿ **إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[٤]، وخصائص هذا القرآن وميزاته كثيرة جداً لا يتسع المجال للحديث عنها ههنا وقد سبق الكلام عنها في المبحث السابق عند الكلام عن إعجاز القرآن والذي يدخل في الحقيقة في خصائصه. أما ما يخص بقية الكتب المنزلة فإني لم أعثر للقاضي عياض في هذا الأمر إلا على كلمات قليلة يكفر فيها من يستخف بهذه الكتب أو يسبها أو يلعنها فقد قال رحمه الله (إعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشئ منه أو سبهما أو جحده أو حرفاً منه أو آية أو جحد التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة أو كفر بها أو لعنها أو سبها أو استخف بها فهو كافر)[٥]، وقد سبق الحديث عن هذا الأمر والاستدلال عليه بما لا دعي لتكراره[٦].

---

١) سورة البقرة آية ٢٨٥.

٢) سورة النحل آية ٨٩.

٣) سورة الانعام آية ٣٨.

٤) سورة الحجر آية ٩.

٥) الشفا ٢/ ٣٠٤.

٦) انظر ص٤٤٠-٤٤١

الفصل الثالث
منهج القاضي عياض في الإيمان بالمعاد واليوم الآخر ومقدماته
وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول : معنى الإيمان بالمعاد وأدلته وتقرير القاضي عياض له. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلـــب الأول : تعريفه وبعض أسمائه ومعنى الإيمان به.

المطلـــب الثاني : بعض الأدلة على وجوب الإيمان بالمعاد.

المطلـــب الثالث : تقرير القاضي عياض لعقيدة الإيمان بالمعاد.

المبحـث الثانـي : الإيمان بأشراط الساعة وفيه مطلبان.

المطلـــب الأول : بعض العلامات الصغرى.

المطلـــب الثاني : بعض العلامات الكبرى.

المبحـــث الثالـث : الإيمان بعذاب القبر ونعيمه. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلـــب الأول : تقرير القاضي عياض لمذهب أهل السنة في عذاب القبر ونعيمه وبعض الأدلة عليه.

المطلـــب الثاني : هل يسمع الميت.

المطلـــب الثالث : مستقر الأرواح.

المبحـــث الرابع : الإيمان بالحشر والميزان والصراط والحوض. وفيه مطلبان.

المطلـــب الأول : الإيمان بالحشر والميزان والصراط.

المطلـــب الثاني : الإيمان بالحـــوض.

المبحث الخامس : الإيمان بالشفاعة وأنواعها. وفيه مطلبان.

المطلـــب الأول : تقرير القاضي عياض للشفاعة.

المطلـــب الثاني : أنواع الشفاعة ومناقشة القاضي عياض فيما خالف فيه أهل السنة.

المبحث السادس : الإيمان بالجنة والنار وأنهما موجودتان مخلوقتان لا تفنيان. وفيه أربعة مطالب.

المطلـــب الأول : مذهب أهل السنة في ذلك وتقرير القاضي عياض له.

المطلـــب الثاني : بعض النصوص الدالة على وجود الجنة والنار وبقائهما.

المطلـــب الثالث : الجواب عما يتوهم من فناء الجنة والنار من بعض الآيات وعما نسب لبعض السلف في ذلك.

المطلـــب الرابع : الجنة فضل ورحمة من الله وليست عوضاً عن العمل.

المبحث السابع : الإيمان برؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الآخرة وفيه أربعة مطالب.

المطلـــب الأول : رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة والأدلة على ذلك.

المطلـــب الثاني : هل يرى الكافرون ربهم في الآخرة.

المطلـــب الثالث : هل رأى النبي ﷺ ربه في المعراج.

المطلـــب الرابع : رؤية الله في المنام.

المبحث الأول : معنى الإيمان بالمعاد وأدلته وتقرير القاضي عياض له.

المطلب الأول : تعريفه وبعض أسمائه ومعنى الإيمان به :

أ - تعريفه وبعض أسمائه :

المعاد في اللغة مصدر أو ظرف يعود عوداً وعودة ومعاودة أي رجع، قال ابن منظور : والمعاد المصير والمرجع والآخرة معاد الخلق، يقال أذكر المعاد أي أذكر مبعثك في الآخرة(١).

وأما معنى المعاد في الاصطلاح الشرعي : فهو (الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق وإلى الحياة بعد الموت، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة)(٢).

وعلى هذا يقال ليوم القيامة يوم المعاد، لأن الناس يعودون فيه أحياء، وهناك كلمتان مرادفتان للمعاد وهما : البعث والنشور قال سبحانه ﴿ **وأن الله يبعث من في القبور** ﴾(٣) (أي يعيدهم بعدما صاروا في قبورهم رمماً ويوجدهم بعد العدم)(٤).

وقال سبحانه في النشور ﴿ **والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور** ﴾(٥)، والنشور هو البعث والمعاد وإحياء الأموات بعد الموت، يقال أنشر الله الموتى فنشروا(٦).

فالمراد بهذه الكلمات الثلاث (المعاد، البعث، النشور) إحياء الله تعالى للأبدان بعد موتها وفنائها من أجل محاسبتها إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ويطلق لفظ المعاد ويراد به اليوم الآخر بما فيه من تفاصيله وهو المعنى ههنا، والمراد باليوم الآخر فناء الأكوان والعوالم كلها وانتهاء الحياة بكاملها وإقبال الحياة الآخرة وابتداؤها، وسمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده،

---

١) انظر لسان العرب ٣/ ٣١٧، وانظر تهذيب اللغة للأزهري ٣/ ١٢٨.

٢) شرح المقاصد للتفتازاني ٥/٨٢ بتحقيق د. عبدالرحمن عميرة- ط: عالم الكتب - بيروت ١٤٠٩ هـ.

٣) سورة الحج آية ٧.

٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٨.

٥) سورة فاطر آية ٩.

٦) انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٤٨، وفتح القدير ٤/٦١، ٣٤١.

وله أسماء أخرى كثيرة لا يتسع المقام للتوسع فيه(١).

ب - معنى الإيمان بالمعاد :

يتضح مما سبق معنى الايمان بالمعاد وأنه هو معنى الإيمان باليوم الآخر، وهو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله عز وجل به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه وما يكون من النفخ في الصور وخروج الخلق من القبور، وما يحصل يوم القيامة من الأهوال والأفزاع وتفاصيل الحشر ونشر الصحف، ووضع الميزان والصراط وورود الحوض والشفاعة لمن أذن الله له، ودخول الجنة والنار وما يحدث قبل هذه الأمور مما هو علامات أو أشراط للساعة، إلى غير ذلك من الأمور التي يجب الإيمان بها لورودها في الكتاب والسنة الصحيحة والتي سيأتي تفصيل الحديث عنها إن شاء الله في المباحث الآتية.

المطلب الثاني : بعض الأدلة على وجوب الإيمان بالمعاد (اليوم الآخر) :

الإيمان بالمعاد - أو اليوم الآخر - ركن من أركان الإيمان، وأصل عظيم من أصوله العظام، لا يحكم للمرء بالإيمان إلا به، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة الدالة عليه والآمرة به والمثنية على المؤمنين به المستعدين له والآمرة بمحاربة من لا يؤمن به.

١ - من ذلك قوله سبحانه في أول سورة من كتابه الكريم ﴿ **ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾(٢).

٢ - وقوله عز وجل أيضاً ﴿ **ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** ﴾(٣).

---

١) اعتنى بعض أهل العلم بذكر هذه الأسماء والاستدلال عليها، منهم الغزالي في كتاب إحياء علوم الدين ٥١٦/٤- ٥١٧، ط : دار المعرفة، والقرطبي في كتابه التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ٢٣٣ - المكتبة السلفية، والحافظ ابن كثير في النهاية المسمى الفتن والملاحم ٣٥٥/١- ٣٥٦ بتحقيق طه زيني وغيره.

٢) سورة البقرة الآيات من ١- ٥.

٣) سورة البقرة آية ٧٧.

٣ - وقال سبحانه آمراً بقتال منكري هذا اليوم ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...** ﴾(١) الآية.

٤ - وأخبر عز وجل أن هذا اليوم هو وعد صادق وخبر لازم وأجل لا شك فيه فقال ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود** ﴾(٢).

٥ - وأمر بالاستعداد له فقال ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرّنّكم الحياة الدنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرور** ﴾(٣).

٦ - وكانت آخر آية نزلت في كتابه الكريم هي الوصية به والعمل له، قال سبحانه ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم تُوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾(٤).

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً، بل إنه لا تكاد تخلو صفحة من كتاب الله الكريم إلا وفيها الحديث عن هذا اليوم العظيم وما فيه من ثواب وعقاب،بل خصت مواضع كثيرة من القرآن الكريم للرد على شبه المنكرين له بأسلوب عذب جميل يخاطب العقل والروح معاً بما يدحض كل شبهة ويقطع كل شك في وقوع ذلك اليوم العظيم(٥).

وأما النصوص من السنة الدالة على وجوب الايمان باليوم الآخر، فهي كثيرة :

- فمنها قوله في حديث جبريل المشهور " الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ... "(٦).

- وقوله عليه الصلاة والسلام " لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد

---

١) سورة التوبة آية ٢٩.

٢) سورة هود آية ١٠٣- ١٠٤.

٣) سورة لقمان آية ٣٣.

٤) سورة البقرة آية ٢٨١.

٥) انظر تفصيل ذلك في تفسير ابن كثير ٣/ ٥٨١- ٥٨٢، وكتاب اليوم الآخر القيامة الكبرى للدكتور عمر الأشقر ص ٧٣- ٧٦، ط: دار القبس - الكويت عام ١٤٠٧ فقد عقد مبحثاً خاصاً للأدلة على البعث والنشور وقد أجاد فيه وأفاد فجزاه الله خيراً فليراجع.

٦) رواه مسلم وقد تقدم ص .

الموت ويؤمن بالقدر »(١).

فهذه الآيات والأحاديث وغيرها كثير جداً تدل على وجوب الايمان باليوم الآخر، وتبيّن أهميته ومكانته في الإسلام.

وأما الفطرة السليمة والعقل السليم فقد دلّا أيضاً على هذا الأمر، فإنه من المستحيل عقلاً أن يترك الناس يعملون كيفما يشاؤون ثم يتركون بلا حساب ولا عقاب ولا ثواب، فمن سيأخذ للمظلوم حقه ؟ ومن سيجازي المحسن خيراً والمسيء شراً إن لم يكن جمع ولقاء آخر يجمعهم برب العالمين وأعدل العادلين ليحاسب الخلق عما كانوا يعملون ؟ وقد ثبت بما لا مجال للشك فيه أن هذا الكون محدث ومخلوق، وما كان كذلك فالفناء من صفاته اللازمة التي لا تنفك بحال وصدق الله إذ يقول ﴿ **يوم تُبَدّل الأرضُ غيرُ الأرضِ والسمـواتُ وبرزوا لله الواحد القهّار * وترى المجرمين يومئذ مقرّنين في الأصفاد * سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار * ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب * هذا بلاغ للناس ولِيُنْذَروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذّكر أولوا الألباب** ﴾(٢).

المطلب الثالث : تقرير القاضي عياض لعقيدة الإيمان بالمعاد :

لقد قرَّر أبو الفضل رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في عقيدة الايمان بالمعاد، فبيّن أن ذلك ركن من أركان الايمان التي يجب على العبد اعتقاده والاستعداد له بالعمل الصالح موصياً بذلك في مواعظه وخطبه.

ومما قاله في هذا الصدد ما وضحه عند شرحه لمعنى الشهادتين بقوله : (ويجب على العبد أن يعتقد أن الله يحشر العباد يوم القيامة كما بدأهم يعودون، وأن الحساب حق)(٣).

وعند شرحه لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « سلوني » فهابوا أن يسألوه ، فجاء رجل فجلس عند ركبته فقال : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال : « ألا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان » قال : صدقت.

---

١) رواه الترمذي في كتاب القدر باب ما جاء في الايمان بالقدر خيره وشره ٣٩٣/٤ برقم : ٢١٤٥، وابن ماجة في المقدمة باب في القدر ٣٢/١ برقم : ٨١، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٢، وقال هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي وصححه الألباني في تخريجه للسنة لابن أبي عاصم ٥٩/١ برقم : ١٣٠.

٢) سورة إبراهيم آية ٤٨- ٥٢.

٣) الاعلام بحدود قواعد الاسلام ص ١٦، وانظر شرح صحيح مسلم ١٧/ ٢٠٨.

قال : يا رسول الله ما الايمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله ... » الحديث(١)، أشار القاضي عياض رحمه الله إلى أن رسول الله ﷺ قد بيّن عقيدة البعث أكمل بيان ووضح أنها ركن من أركان الايمان، فذكر ﷺ البعث مع لقاء الله للإشارة إلى أن الحساب والحشر هو غير البعث والنشور، فالله سبحانه يبعث الخلق يوم القيامة ليحاسبهم ويجازيهم عما عملوا ولا يظلم ربك أحداً وكل عبد يبعث على الحالة التي مات عليها، كما قال رسول الله ﷺ « يبعث كل عبد على ما مات عليه »(٢).(٣)
ومن شدة اهتمامه رحمه الله بهذه العقيدة كان يُزهّد الناس في الدنيا ويحذرهم من فتنها ويذكرهم بالموت وبالوقوف بين يدي الله وبمحاسبته تعالى للخلق أجمعين، عندها يجد كل امرئ ما قدمت يداه ويرى مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار، وهو يوصي بهذا كله في خطبه ومجامعه وبأسلوب رقيق مؤثر، وإليك طرفاً من أقواله في ذلك:

فقد قال في إحدى خطبه (أيها السامع قد وعظك كتاب الله بزواجره وعظاته فتأمل حدوده وتدبّر محكم آياته ﴿ **واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً** ﴾(٤)، أين الذين عتوا على الله وتعظموا واستطالوا على عباده وتحكّموا وظنوا أن لن يقدر حتى اصطلموا(٥) وغرّهم الأمل وكواذب الظنون، وذهلوا عن طوارق الغير وريب المنون ﴿ **وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون** ﴾(٦)، ﴿ **حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً** ﴾(٧)، فهذّبوا رحمكم الله سرائركم بتقوى الله وأخلصوا واشكروا نعمته واحذروا نقمته ولا تعصوه واعتبروا بوعيده، وأنهضوا لطاعته هذه الهمم العاجزة، واركضوا في ميادين التقوى تحوزوا قَصَب خَصْله الفائزة، وادخروا ما يخلصكم يوم المحاسبة والمناجزة وانتظروا قولهَ ﴿ **ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم**

---

١) رواه مسلم في كتاب الايمان باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ٤٠/١ برقم : ١٠، وهو حديث جبريل المشهور ولكن برواية أبي هريرة التي فيها بعض الزيادات على رواية عمر رضي الله عنهما.
٢) رواه مسلم في كتاب الجنة باب الأمر بحسن الظن بالله ٢٢٠٦/٤ برقم : ٢٨٧٨.
٣) انظر إكمال المعلم ٣٠١/٢، وأيضاً ١٠٥/٦.
٤) سورة الكهف آية ٢٧.
٥) أي استأصلوا وقطعوا والمراد بذلك إماتتهم. انظر المصباح المنير ص ١٣٢.
٦) سورة القصص آية ٣٩.
٧) سورة الجن آية ٢٤.

أحداً ﴾(١) ذلك يوم تذهل فيه الألباب وترجف القلوب رجفاً وتبدل الأرض وتنسف الجبال نسفاً ولا يقبل الله من الظالمين عدلاً ولا حرفاً وحشر المجرمون يومئذ زُرقاً **﴿ وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ﴾**(٢) إن أحسن الهدى هدي محمد نبينا ﷺ وأصحابه ...)(٣).

ويقول رحمه الله أيضاً : (أيها الناس اسلكوا جواد الحقائق واتركوا بُنَيات الطرائق ولا تغرنكم الدنيا بكواذب المخارق، فإنها كثيرة البوائق جمّة العوائق، قاطعة للأسباب والعلائق، تاركة لمن هام بها مفارق، تُدير دوائر بكل صامت وناطق، كم أهلكت قبلكم من الخلائق وطوت الفراعين والعمالق، وطوحت من القياصر والبطارق، وأسقطت من الجو كل خَرْق الجناح خافق، وكم من ذي بسطة ومنظر فائق، بعيد الصّيت في جميع الخوافق، قد شيّد الحصون في كل حالق، وأوصد الأبواب والمغالق، وأرصد الجيوش والفيالق، مغتراً بمساعدة دنياه واثق، فما راعه وهو في بُلَهْنِيَة(٤) من عيشه الرائق، حتى رمته بثالثة الأثافي وحالقة الحوالق، فطرقته صروفها بشرّ طارق، وسقته حتوفها كأساً لا يتمطّق(٥) لها ذائق، فأصبح ذا بصر خاشع ونَفَس زاهق، وفارقته روحه فراق غير وامق ... فأصبح وحيداً فريداً من كل مؤنس ومفارق، رهيناً بما اكتسبت يداه قطيناً لتلك الحفر الى يوم تبلى السرائر وتعرض الخلائق، فإما إلى جنة ذات بهجة وحدائق، وأنهار دوافق، وكواعب أتراب(٦) عواتق(٧)، وسرر وأكواب وأباريق وزرابيّ مبثوثة ونمارق(٨)، ونعيم مسرمد متناسق، وإما إلى نار ذات لهب وصواعق وحميم منتن غاسق، وعذاب مجدّد متلاحق، متلظية على كل

---

١) سورة الكهف آية ٤٧.

٢) سورة الكهف آية ٤٨.

٣) التعريف بالقاضي عياض ص ٨٤- ٨٥.

٤) بضم الباء وفتح اللام وسكون الهاء، هي الرخاء وسعة العيش. القاموس المحيط ١٦٠٤.

٥) تمطق الرجل أي ضم إحدى شفتيه على الاخرى وأحدث بلسانه وغاره الاعلى صوتاً يدل على استطابة طعم الشئ. المعجم الوسيط ١٧٦/٢.

٦) الكواعب : هي الجواري النواهد التي تكعّبت ثديهن، واحدتها كاعب، والاتراب المستويات في السن. انظر تفسير البغوي ٤٣٩/٤.

٧) جمع عاتق وهي الجارية أول ما أدركت أو التي لم تتزوج، أو التي بين الادراك والتعنيس. القاموس المحيط ص ١١٧١.

٨) الزرابي هي البُسط العريضة، ومبثوثة يعني مبسوطة، وقيل متفرقة في المجالس، ونمارق أي وسائد ومرافق. انظر تفسير البغوي ٤٧٩/٤.

كافر وفاسق، جعلنا الله وإياكم ممن سعد في قدره السابق ورزقنا عفوه ورحماه فهو خير رازق)(١).

وبالإضافة إلى هذا فقد بيّن القاضي عياض ما يتصل باليوم وما يحصل فيه من أمور وأحوال - ولو بصورة موجزة - موضحاً كذلك كثيراً من العلامات الدالة على قرب هذا اليوم، وهي أشراط الساعة كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً إن شاء الله.

المبحث الثاني : الإيمان بأشراط الساعة.

أشراط الساعة هي علامات القيامة التي يعقبها قيام الساعة، وسميت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة(٢).

وأشراط الساعة قسمان، صغرى وهي تتقدم الساعة بأزمان بعيدة، وكبرى وهي التي تقارب قيام الساعة مقاربة وشيكة وسريعة.

وعلامات القيامة كثيرة جداً بينتها نصوص الكتاب والسنة، وقد تناول القاضي عياض رحمه الله جملة منها في كتابه إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم وفي بعض كتبه الأخرى، إلا أنه في كثير من الأحيان لا يشير إلا إشارات عابرة، وقد جمعت ما تيسّر لي من ذلك، وسأقتصر الحديث في هذا المبحث عما نص عليه هو في هذا الأمر وأبدأ أولاً بالعلامات الصغرى.

المطلب الأول : بعض العلامات الصغرى :

١ - ظهور الفتن :

من علامات الساعة الصغرى ظهور الفتن، قال رسول الله ﷺ « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، الماشي خير من

---

١) التعريف بالقاضي عياض ص ٨٦- ٨٧.

٢) انظر النهاية في غريب الحديث ٢/٤٢٢.

الساعي، من تشرّف لها تستشرفه(١)، ومن وجد ملجأ فَلْيَلُذْ به »(٢).

فقد نبّه القاضي عياض رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث أن ظهور الفتن من علامات الساعة فقال: بيّن ﷺ في هذا الحديث عظم الخطر في الدخول في الفتن، وحضّ على تجنبها والإمساك عن التسبب بشيء منها، وحض أيضاً على الهروب منها(٣).

قلت: وقد دلت نصوص كثيرة صحيحة أخرى على أن من علامات الساعة كثرة الهرج، وهو القتل واللغط وظهور الفتن وانتشارها ونزولها في البلاد وكبر بلائها وهولها، حتى يمسي المرء المسلم من شدة وقعها كافراً ويصبح مؤمناً، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً، وتجيء الفتنة تلو الأخرى فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتظهر أخرى، فيقول هذه هذه إلى أن يشاء الله، فلا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه.

- فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه »(٤).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا »(٥).

- وقال ﷺ « إنه لم يكن نبي من قبلي إلا وكان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم على شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيرقق(٦) بعضها

---

١) أي من تطلع لها بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يعرض عنها تستشرفه: أي تهلكه بأن يشرف منها على الهلاك، يقال استشرفت الشيء أي علوته وأشرفت عليه، يريد ﷺ أن من انتصب لها انتصبت له، ومن أعرض عنها أعرضت عنه، ويحتمل أن يكون المراد من خاطر فيها بنفسه أهلكته أو من غالبها غلبته. فتح الباري ١٣/ ٣٤.

٢) رواه البخاري في كتاب الفتن باب تكون الفتن القاعد فيها خير من القائم ١٣/٣٣ برقم: ٧٠٨١، ومسلم في كتاب الفتن باب نزول الفتن كمواقع المطر ٤/١٢١٢ برقم: ٢٨٨٦، وأحمد ٣/١٣٢.

٣) انظر إكمال المعلم ٦/١١٦.

٤) رواه البخاري في كتاب الفتن باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه ١٣/٢٢ برقم: ٧٠٦٨، والترمذي في كتاب الفتن باب (٣٥) ٤/٤٢٦ برقم: ٢٢٠٦، وأحمد ٣/١٣٢.

٥) رواه مسلم في كتاب الايمان باب الحث على المبادرة بالاعمال ١/١١٠ برقم: ١٨٦، والترمذي في كتاب الفتن باب (٣٠) ٤/٤٨٧ برقم: ٢١٩٥، وأحمد ٢/٣٠٤، ٥٢٣.

٦) قال النووي رحمه الله: (هذه اللفظة رويت على أوجه: أحدها وهو الذي نقله القاضي عياض عن جمهور الرواة يُرَقِّق بضم الياء وفتح الراء وبقافين، أي يصير بعضها رقيقاً، أي خفيفاً لعظم

بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف فيقول المؤمن هذه هذه، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت الى الناس الذي يحب أن يُؤتى اليه ... »(١) الحديث.

وقد أرشد ﷺ المسلمين إلى ما يعصمهم من هذه الفتن والشرور والآثام فأمرهم بالتعوذ بالله منها وبالابتعاد عنها مع المبادرة بالأعمال الصالحة والإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر ولزوم جماعة المسلمين.

ومن ذلك قوله ﷺ « تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن »(٢) إلى آخر تلك النصوص في هذا الشأن. فعلى المسلم أن يأخذ بما أمره وأوصاه به رسوله ﷺ لينجو ويكون من الفائزين، اللهم نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسألك الثبات على الحق حتى نلقاك به يا سميع الدعاء.

٢ - خروج الدجالين الكذابين أدعياء النبوة :

من أمارات الساعة وأشراطها خروج الدجالين الكذابين الذين يدّعون النبوة ويثيرون الفتنة بأباطيلهم، وقد أخبر النبي ﷺ أن عدد هؤلاء قريب من ثلاثين فقال : « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله »(٣) قال القاضي عياض رحمه الله (هذا الحديث ظهر فلو عدّ مرتباً من زمن النبي ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعته جماعته على ضلالته لوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الخبر والتاريخ عرف صحة هذا، فلولا التطويل لسردنا منهم هذا العدد)(٤).

قلت : قد تحققت ووقعت هذه الآية من علامات الساعة فخرج كثير من أدعياء النبوة قديماً وحديثاً، ولا يستبعد أن يظهر دجالون آخرون الى أن يظهر الدجال الأكبر الأعور الكذاب - نعوذ بالله من فتنته - فقد خطب رسول الله ﷺ يوماً

ما بعده فالثاني يجعل الاول رقيقاً، وقيل : معناه يشبه بعضها بعضاً، وقيل : يدور بعضها في بعض، ويذهب ويجيء، وقيل : معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها، والوجه الثاني : فيرفُق : بفتح الياء وإسكان الراء وبعدها فاء مضمومة، والثالث : فيدفِق بالدال المهملة الساكنة وبالفاء المكسورة أي يدفع ويصيب، شرح صحيح مسلم ٢٣٣/١٢.

١) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ٣/ ١٤٧٢- ١٤٧٣ برقم : ١٨٤٤، والنسائي في كتاب البيعة باب ذكر ما على من بايع الامام ٧/ ١٧٢- ١٧٤ برقم : ٤٢٠٢، وابن ماجة في كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن ١٣٠٦/٢- ١٣٠٧ برقم : ٣٩٥٦، وأحمد ١٩١/٢.

٢) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت في الجنة أو النار ٢٢٠٠/٤ برقم : ٢٨٦٧.

٣) متفق عليه وقد تقدم ص ٤١٦.

٤) إكمال المعلم ١٢١/٦.

فقال: « وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الكذاب » (١)، وأما قول القاضي إن الدجاجلة المدعين للنبوة قد ظهروا جميعهم، فكلام فيه نظر - والله أعلم - لأنه لم تحدد الأحاديث أسماء هؤلاء الدجاجلة مع تيقننا بأن أشهرهم وأكثره إفساداً وأتباعاً قريب من ثلاثين، كما بيّن ﷺ في الحديث السابق، بل جاءت رواية صحيحة أنهم سبعة وعشرون منهم أربعة نسوة، فقد قال عليه الصلاة والسلام « في أمتي كذابون دجالون سبعة وعشرون منهم أربعة نسوة وإني خاتم النبيين ولا نبي بعدي »(٢). ومن المعلوم تاريخياً أنه لم يَدّعِ النبوة أربعة نسوة ويصير لهن شأن وأتباع كما كان لأول الدجالات الكذابات سجاح(٣)، التي ادعت النبوة وتبعها خلق كثير ولحقت بأول أدعياء النبوة مسيلمة الكذاب(٤) فتزوجته، وقد حدثت ردة وفتنة عظيمة بسببهما، لكن الله عز وجل لطف بالمسلمين فقضى على مسيلمة في معركة طاحنة ذهب ضحيتها عدد كبير من خيار الصحابة والتابعين، وذلك في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فتابت سجاح بعد مقتل مسليمة. وأما رواية الدجاجلة ثلاثون فقد جاءت كما قال الحافظ ابن حجر على طريق جبر الكسر بدليل الحديث السابق وحديث « قريب من ثلاثين »(٥).

فهاتين العلامتين من العلامات الصغرى لقيام الساعة وهناك الكثير الكثير

---

١) رواه أحمد بسند صحيح في المسند ١٦/٥.

٢) رواه أحمد ٣٩٦/٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٢، وعزاه للطبراني والبزار وقال : رجال البزار رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٩٦/٤ برقم : ٤١٣٤، وفي الأحاديث الصحيحة برقم : ١٩٩٩ وعزاه لمصادره السابقة.

٣) هي سجاح بنت الحارث التميمية ادعت النبوة بعد وفاة الرسول ﷺ وكانت شاعرة أديبة عارفة بالأخبار، فتبعها خلق كثير فأقبلت بهم إلى الجزيرة تريد غزو المدينة، فنزلت باليمامة فسمع بها مسيلمة فخافها وأقبل عليها جماعة من قومه وتزوج بها، فأقامت معه قليلاً ثم عادت إلى ديارها بعد علمها بخطر قتال المسلمين، فلما بلغها مقتل مسيلمة أسلمت وهاجرت إلى البصرة فتوفيت بها سنة (٥٥ هـ) . انظر الإصابة ٣٣١/٤، والأعلام ٧٨/٣.

٤) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير الحنفي المشهور بمسيلمة الكذاب، ولد ونشأ باليمامة، قدم على النبي ﷺ في وفد بني حنيفة بعد فتح مكة وطلب منه أن يجعل له الأمر بعده فرفض ﷺ وبشّره بأن الله قاتله، فلما عاد إلى اليمامة ادعى النبوة وكتب إلى النبي ﷺ رسالة يزعم فيها أنه أُشرك معه في النبوة فكتب له ﷺ رسالة وسمّاه الكذاب وذلك سنة (١٠ هـ) وبعد وفاة النبي ﷺ جهّز أبو بكر رضي الله عنه جيشاً بقيادة خالد بن الوليد فأهلكه الله فقتل وأذلت جماعته وذلك سنة (١١ أو ١٢ هـ). انظر تاريخ خليفة ص ١٠٧، وسيرة ابن هشام ٣/ ٧٤، وشذرات الذهب ٢٣/١.

٥) انظر فتح الباري ٩٣/١٣.

من الآيات في هذا الأمر.

المطلب الثاني : العلامات الكبرى :

علامات الساعة الكبرى عشرة كما وضح العلماء رحمهم الله، وقد نص القاضي عياض على سبعة منها وإليك ذلك بالتفصيل.

١ - ظهور الدجال :

فتنة ظهور الدجال من أعظم الفتن والمحن وأخطرها على الناس، وذلك لأن الدجال منبع الكفر والضلال وينبوع الفتن، ومن أجل هذا فقد أنذرت به الأنبياء أقوامهم وحذرت منه أممهم، وكان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله منه في صلاته ويعلّم أمته(١) ذلك، وقد حذرهم منه أشد تحذير ونعته لهم نعوتاً ظاهرة جلية لا تخفى على أحد منهم وبيّن أن فتنته من أكبر الفتن.

أ - سبب تسميته بالمسيح الدجال :

أما سبب تسمية الدجال بالمسيح، فلكونه يمسح الأرض حين خروجه، أي يقطعها، ولكونه إحدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها، ولأنه أعور والأعور يسمى مسيحاً.

وأما سبب تسميته بالدجال، فلأنه كذّاب يغطي الحق ويستره ويظهر الباطل ويموّه على الناس ويلبّس عليهم، يقال دجّل إذا موّه، وقيل غير ذلك(٢)، فهو الأعور الدجال كما صحت بذلك الأحاديث وإليك طرفاً منها.

ب - بعض الأحاديث الدالة على فتنة الدجال :

لقد تواترت(٣) الأحاديث الواردة بشأن الدجال - أخسأه الله وأخزاه -

---

١) فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يدعو في الصلاة فيقول : « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ... » الحديث. رواه البخاري في كتاب الاذان باب (١٤٩) ٣١٧/٢، برقم : ٨٣٢، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (٢٥) ١/ ٤١٢ برقم : ٥٨٧، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال » رواه مسلم في كتاب المساجد باب (٢٥) ٤١٢/١ برقم : ٥٨٩، والنسائي في كتاب السهو باب (٦٤) ٥٨/٣ برقم : ١٣١٠، وابن ماجة في كتاب الصلاة باب (٢٦٠) ٢٩٤/١ برقم : ٩٠٩، وأحمد ٢/ ٤٧٧.

٢) إكمال المعلم ٧٨١/٣- ٧٨٢، وانظر أيضاً النهاية في غريب الحديث ١٠٢/٢، ٣٢٧/٤، وشرح صحيح مسلم ٢٣٤/٢، وفتح الباري ٩٧/١٣، ولسان العرب ٢٣٦/١١، ٢٣٧.

٣) انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني المتوفى سنة (١٣٤٥ هـ) ص ١٤٦، برقم : ٢٩٠، طبع دار الكتب العلمية عام ١٤٠٠ هـ، والتوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح للشوكاني، ورقة ٥، مخطوط عند الشيخ حماد الأنصاري.

ورغبة في الاختصار فإني أذكر بعض تلك النصوص.

١ - فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: « إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، إنه أعور وإن الله ليس بأعور »(١).

٢ - وعن ابن عمر أيضاً أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: « إن الله ليس بأعور وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافئة(٢) » متفق عليه(٣).

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدث به نبي قومه،إنه أعور وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذرتكم به كما أنذر نوح قومه »(٤).

٤ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، إلا إنه أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين يديه ك ف ر » - وفي رواية - « الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها ك ف ر يقرؤه كل مسلم »(٥).

٥ - وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الدجال يخرج وإن معه ماءً وناراً فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه

---

١) رواه البخاري في كتاب الفتن باب ذكر الدجال ١٣/٩٦-٩٧ برقم: ٧١٢٧.

٢) طافئة: قال النووي (رويت بالهمز وتركه وكلاهما في الصحيح، فالمهموز (طافئة) هي التي ذهب نورها، وغير المهموز (طافية) هي التي نتأت وطفت مرتفعة، والعور في اللغة العيب. وقوله ﷺ « إن الله ليس بأعور والدجال أعور » فبيان لعلامة بيّنة تدل على كذب الدجال دلالة قطعية بديهية يدركها كل أحد ولم يقتصر على كونه جسماً أو غير ذلك من الدلائل القطعية لكون بعض العوام لا يهتدي إليها) شرح صحيح مسلم ١٨/٦٠.

٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ ١٣/٤٠١ برقم: ٧٤٠٧، ومسلم في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته ٤/٢٢٤٧ برقم: ٢٢٤٥ واللفظ له.

٤) رواه مسلم في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٤/٢٢٥٠ برقم: ٢٩٣٦.

٥) رواه البخاري في كتاب الفتن باب ذكر الدجال ١٣/٩٧ برقم: ٧١٣١، ومسلم في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٤/٢٢٤٨ برقم: ٢٩٣٣، وأبو داود في كتاب الملاحم باب خروج الدجال ٤/٤٩٤ برقم: ٤٣١٦، والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال ٤/٤٤٧ برقم: ٢٢٤٥ وقال حديث صحيح.

ماء عذب طيب » متفق عليه(١). إلى غير ذلك من الأحاديث.

ج - موقف القاضي عياض من أحاديث الدجال :

لقد سلك القاضي عياض رحمه الله في أحاديث الدجال مسلك أهل السنة والجماعة فأثبتها على حقيقتها وبيّن أن خروج الدجال من أشراط الساعة الكبرى وردّ على من تأوّل هذه الأحاديث بكلام قوي، فقد قال عقب شرحه لها : (هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من قدرته ليتميّز الخبيث من الطيب من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخطب الذي بقدرة الله ومشيئته ثم يعجزه الله بعد ذلك كما أخبر النبي ﷺ فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ثانية، ولا على غيره بعد، ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة وجميع أهل الفقه والحديث والنظار خلافاً لمن أنكر أمره وأبطله من الخوارج وبعض المعتزلة وغيرهم في إنه صحيح الوجود، ولكن زعموا أنه عنده مخارق وحيل لا حقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد وهموا جميعهم فإنه لم يأت يدعي النبوة فيكون ما جاء به كالتصديق، ولأنه لو صح منه لم يفرق بين النبي والمتنبي فيطعن ذلك على النبوة وإنما جاء يدعي الألوهية وهو في نفس دعواه لها مكذب لها بصورة حاله ونقص خلقه وظهور سمات الحدوث عليه وشهادة كذبه وكفره المكتوب بين عينيه، وعجزه عن تحسين صورته وإزالة العور والشين عن نفسه، فلم يرتبْ مؤمن في أمره، وإنما اتبعه من اتبعه للضرورة والحاجة وهم الرعاع من الناس، أو الكفرة مثل يهود أصفهان وغيرهم، أو تقية منه وخوفاً من أذاه، لأن فتنته عظيمة تدهش العقول، وتحيّر الألباب لأول وهلة مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله والنقص الذي فيه فيصدقه من صدقه في هذه الحالة، ولهذا حذر الأنبياء عليهم السلام قومهم منه ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله ليتقدم لهم العلم بذلك فيثبتوا، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه كما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذي يقتله ثم

---

١) رواه البخاري في كتاب الفتن باب ذكر الدجال ٩٧/١٣ برقم : ٧١٢٩، ومسلم في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٤/ ٢٢٥٠ برقم : ٢٩٣٥.

يحييه ما ازددت الا بصيرة فيك الآن)(١).

قلت : لقد أجاد القاضي عياض رحمه الله إجادة فائقة بما ذكره آنفاً، والحق أن ما قاله من أجمع ما قال علماء أهل السنة في هذا الشأن(٢)، فجزاه الله خيراً.

ولقد أفرد أصحاب السنن والمسانيد أبواباً خاصة عن فتنة الدجال وشرّه العظيم وعما يُغري به العباد وعن مدة مكثه في الأرض وعما يفعله المسلم للوقاية منه، ورغبة في عدم الإطالة اقتصرت على ما ذكر لعدم تعرض القاضي عياض له، فمن أراد التوسع في ذلك ومعرفة أخبار هذا الخبيث العظيم ليحذر فتنته فليراجع ذلك في كتب السنن والمسانيد وما ألفه علماء المسلمين في هذا الشأن(٣).

٢ - نزول المسيح ابن مريم عليه السلام :

من علامات الساعة العظمى نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام حكماً مقسطاً بشريعة الإسلام في آخر الزمان، حيث يقتل الدجال ويكسر الصليب ويضع الجزية ويمكث في الأرض ما شاء الله ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفن، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على هذا الأمر.

أ - بعض النصوص الدالة على نزول عيسى عليه السلام وكلام القاضي عياض بشأنها :

لقد ذكر الله عز وجل في كتابه الكريم آيتين تدلان على نزول عيسى عليه السلام قبل القيامة.

الآية الأولى : هي قوله تعالى : **﴿ وإنْ منْ أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾**(٤)، أي قبل موت عيسى عليه السلام، فالضمير في (به) راجع الى عيسى وكذلك الضمير في (موته)، ومعنى الآية أنه لا يموت عيسى حتى يؤمن به كل كتابي في عصره، والمراد به عند نزوله في آخر الزمان كما وردت بذلك الأحاديث المتواترة، كما رجح ذلك أئمة المفسرين وهو قول كثير من التابعين

---

١) إكمال المعلم ١٢٣/٦، وشرح صحيح مسلم للنووي ٥٨/١٨- ٥٩.

٢) انظر للتدليل على ذلك ما قاله الإمام ابن كثير في كتاب الفتن والملاحم ٩١/١، وما قاله الإمام ابن حجر في فتح الباري ١١٠/١٣- ١١٣ فقد قالا نحواً من كلام القاضي عياض السابق.

٣) انظر على سبيل المثال كتاب الفتن في الصحيحين، وكتاب الفتن والملاحم لابن كثير، وكتاب الإشاعة للبرزنجي ، والإذاعة لما كان وما يكون بين يديّ الساعة لصديق حسن خان، وأشراط الساعة ليوسف الوابل، وغير ذلك.

٤) سورة النساء آية ١٥٩.

فمن بعدهم(١)، وهو ما رجحه القاضي عياض أيضاً(٢).

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ **وإنه لَعِلْمٌ للساعة** ﴾(٣) أي نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة، ويؤيد هذا القراءة الأخرى ﴿ **وإنه لَعَلَم للساعة** ﴾ بفتح العين واللام، أي خروجه علم من أعلام الساعة وشرط من شروطها(٤).

فعيسى عليه السلام لم يقتله اليهود ولم يصلب - كما زعم النصارى - بل رفعه الله إليه ببدنه وروحه فهو حي في السماء الآن، ولن يموت حتى ينزل قبل قيام الساعة. قال سبحانه مكذباً النصارى في دعواهم صلبه ﴿ **وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾(٥)، فهذه عقيدة راسخة يجب على المؤمن الإيمان بها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (قوله تعالى ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾ يُبيِّن أنه عليه السلام رفع ببدنه وروحه كما ثبت في الصحيح أنه ينزل ببدنه وروحه، إذ لو أريد موته لقال وما قتلوه بل صلبوه بل مات ...)(٦)، وأما قوله تعال : ﴿ **إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ** ﴾(٧) فالصحيح الراجح من أقوال العلماء والمفسرين في ذلك أنه تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة لأنه قد صحّت الأحاديث بل تواترت بأنه ينزل ويقتل الدجال(٨).

أما الأدلة من السنة على نزول عيسى عليه السلام فهي كثيرة جداً متواترة كما نص على ذلك غير واحد من الأئمة، وقد أجمعت الأمة على أن نزوله عليه السلام علم من أعلام الساعة لم يخالف في ذلك إلا من شذ ممن لا يلتفت إليه ولا

---

١) انظر تفسير ابن جرير ١٨/٦-٢١، وتفسير البغوي ٤٩٧/١، وتفسير ابن كثير ٥٧٦/١- ٥٧٧، وفتح القدير ٥٣٥/١، والشريعة للآجري ص ٣٨٢، وغيرها.

٢) انظر إكمال المعلم ٦/ ١٢٦.

٣) سورة الزخرف آية ٦٧.

٤) انظر تفسير البغوي ١٤٣/٤- ١٤٤، وتفسير ابن كثير ١٣٢/٤- ١٣٣، وفتح القدير ٥٦٢/٤.

٥) سورة النساء آية ١٥٧- ١٥٨.

٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٢٣/٤.

٧) سوْرة آل عمران آية ٥٥.

٨) انظر تفسير الطبري ٢٩١/٣، تفسير البغوي ٣٠٨/١، وزاد المسير لابن الجوزي ٣٩٦/١، وتفسير القرطبي ٩٨/٤، وتفسير ابن كثير ٣٦٦/١، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٢٢/٤، وفتح القدير ٣٤٤/١.

يعتد بخلافه(١). وإليك بعض الأحاديث الواردة في ذلك :

١ - فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة : (واقرؤا إن شئتم ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾(٢))(٣).

قال القاضي عياض رحمه الله في شرحه لهذا الحديث (الإقساط والقسط العدل ومنه قوله تعالى : ﴿ **وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾(٤) وأما قسط بغير ألف فمعناه جار ومنه قوله تعالى : ﴿ **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً** ﴾(٥) وفي قوله ﷺ « ويقتل الخنزير » دليل على قتلها إذا وجدت ببلاد الكفر أو بأيدي من أسلم من أهل الذمة، وفي قوله ﷺ « ويكسر الصليب » دليل على تغيير آلالات الباطل وكسرها، ودليل على تغيير ما نسبته النصارى إلى شرعهم وترك إقرارهم على شئ منه، وأنه يأتي عليه السلام ملتزماً لشريعتنا، وقيل معنى قوله « ويكسر الصليب » يبطل أمره ويسقط حكمه كما يقال كسر حجته، وقوله ﷺ « ويضع الجزية ويفيض المال » قيل يسقطها فلا يقبلها من أحد، لأن المال حينئذ يفيض وتقئ الأرض أفلاذ كبدها منه، وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية وهو ضربها على سائر الكفرة إذ لم يقاتله أحد إذ وضعت الحرب أوزارها، وإذ أذعن الناس جميعهم له، إما بإسلام أو إلقاء يد فيضع عليه الجزية ويضربها، وقوله ﷺ « حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » من معنى ما تقدّم أن أجرها خير من مصليها من صدقته بالدنيا وما فيها لفيض المال حينئذ، ولهذا لا يوجد من يقبله، ولهوانه ولقلة الشح به وقلة الحاجة إليه للنفقة للجهاد ولوضع الحرب أوزارها حينئذ، وتكون السجدة الواحدة بعينها أو عبارة عن الصلاة، وأهل الحجاز يسمون الركعة سجدة،

---

١) انظر الشرح والابانة ص ٢٤١، والشريعة ص ٣٨٠، وتفسير الطبري ٢٩١/٣، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٤٣، وشرح الطحاوية ص ٥٠٥، وغير ذلك.

٢) سورة النساء آية ١٥٩.

٣) رواه البخاري في عدة مواضع منها كتاب أحاديث الانبياء باب نزول عيسى ٦٦٦/٦ برقم : ٣٤٤٨، ومسلم في كتاب الايمان باب نزول عيسى حاكماً بشريعة محمد ﷺ ١٣٥/١ برقم : ١٥٥.

٤) سورة الحجرات آية ٩.

٥) سورة الجن آية ١٥.

ومنه في الحديث « صلينا مع النبي ﷺ سجدتين قبل الظهر وسجدتين بعدها »(١))(٢).

وقد تعقّب الإمام النووي رحمه الله كلام القاضي عياض في شرحه لمعنى الحديث فلم يرتض كلامه في تفسيره لمعنى « يضع الجزية » فقال : (الصواب في معناه أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى، وحكى القاضي عياض رحمه الله عن بعض العلماء معنى هذا ثم قال، وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية وهو ضربها على جميع الكفر فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها وانقياد جميع الناس له، إما بالإسلام وإما بإلقاء يد فيضع عليهم الجزية ويضربها هذا كلام القاضي، وليس بمقبول والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام، فعلى هذا قد يقال هذا خلاف حكم الشرع اليوم فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام، وجوابه أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة ، بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ، بل نبينا ﷺ هو المبيّن للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا ﷺ)(٣). وعن معنى قوله ﷺ « حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » قال : (معناه والله أعلم أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات لقصر آجالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث)(٤).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله (أي إنهم لا يتقربون إلى الله إلا بالعبادة

---

١) رواه البخاري في كتاب التهجد باب التطوع بعد المكتوبة ٦٠/٣ برقم : ١١٧٢، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن ٥٠٤/١ برقم : ٧٢٩ كلاهما من حديث ابن عمر وعندهما « صليت » وتتمته « وسجدتين بعد المغرب وسجدتين بعد العشاء وسجدتين بعد الجمعة، فأما المغرب والعشاء ففي بيته وحدثتني أختي حفصة أن النبي ﷺ كان يصلي سجدتين خفيفتين بعدما يطلع الفجر وكانت ساعة لا أدخل على النبي ﷺ فيها » واللفظ للبخاري.

٢) إكمال المعلم ٦٩٢/٣- ٦٩٣.

٣) شرح صحيح مسلم ١٩٠/٢، وانظر أيضاً فتح الباري ٤٩٢/٦، فقد قال الحافظ ابن حجر في معنى وضع الجزية كلاماً يشبه هذا.

٤) المرجع السابق ١٩١/٢.

لا بالتصدق بالمال)(١).

قلت : رد الإمام النووي على القاضي عياض قوي كما هو ظاهر وإليه تطمئن النفس، لأن عيسى عليه السلام ينزل ليقضي على الكفر ويقتلع جذوره قبل أن يتوفاه الله، فينتقم لله ممن ينتسب إليه زوراً وبهتاناً من النصارى الضالين الذين زعموا أنه صلب وقتل والذين أحلوا ما حرمه عليهم من أكل لحم الخنزير وشرب الخمر وغير ذلك، والذين عبدوه من دون الله ... فيقضي عليه السلام على شعائر كفرهم ويقتل من أبى الدخول في الإسلام منهم ومن غيرهم ويقتل الدجال إمامهم وإمام كل كافر حينئذ، فبنزوله عليه السلام يعمّ الإسلام أرجاء الدنيا، فإذا توفي كفر أكثر الناس فقبض الله أرواح المؤمنين وأقيمت الساعة على شرار الخلق كما صحت بذلك الأحاديث.

وأما معنى قوله ﷺ « حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » فلا يبعد أن يكون المراد بها كلا المعنيين أو التفسيرين اللذين ذكرهما كل من القاضي عياض والنووي، لأنه لا تعارض بينهما.

٢ - ومن الأحاديث الواردة أيضاً في شأن نزول عيسى عليه السلام حديث جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال : فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صل. فيقول إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة لهذه الأمة »(٢).

٣ - ومن ذلك أيضاً حديث النواس بن سمعان الكلابي(٣) قال : (ذكر رسول الله ﷺ الدجال وفيه « ... فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ... فلا يحل(٤) لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات،

---

١) فتح الباري ٤٩٢/٦.

٢) رواه مسلم في كتاب الايمان باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ ١٣٧/١ برقم : ١٥٦.

٣) هو النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط العامري الكلابي، صحابي مشهور سكن الشام ويقال إن أباه قدم على النبي ﷺ فدعا له وأهدى إلى النبي نعلين فقبلهما وزوّج أخته الرسول ﷺ فلما دخلت عليه تعوّذت منه فتركها، وهي الكلابية وقد اختلفوا في المتعوذة كثيراً، روى النواس عن النبي ﷺ أحاديث منها ما رواه مسلم. انظر الاستيعاب ٥٣٩/٣، وأسد الغابة ٤٤/٥، والإصابة ٥٤٩/٣.

٤) أي لا يمكن ولا يقع، وقال القاضي عياض (معناه عندي حق وواجب) شرح صحيح مسلم ٦٧/١٨.

ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ[1] فيقتله ... »[2] الحديث، وفيه قصة يأجوج ومأجوج ودعاء عيسى عليهم وإماتة الله لهم. إلى غير ذلك من الأحاديث.

قال القاضي عياض عقب شرحه لأحاديث نزول عيسى عليه السلام: (نزول عيسى وقتله للدجال حق عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، وليس في العقل ولا الشرع ما يبطله ويضعفه خلافاً لبعض المعتزلة والجهمية ومن رأى رأيهم من إنكار ذلك وزعمهم أن قول الله تعالى: ﴿ **وخاتم النبيين** ﴾[3] وقوله ﷺ « لا نبي بعدي »[4] وإجماع المسلمين على ذلك وعلى أن شريعة الإسلام غير منسوخة يرد هذه الأحاديث، وليس كما زعموا، فاستدلالهم فاسد لأنه ليس المراد أن عيسى عليه السلام ينزل بشرع جديد ينسخ شرعنا، ولا في الأحاديث ولا في غيرها شئ من ذلك، بل صحت الأحاديث أنه ينزل حكماً مقسطاً يحكم بشرعنا ويحيي به ما هجره الناس، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ليس بمعنى يسقطها عمن تجب عليه خلافاً لشريعتنا، بل قيل يسلم الكفار فلا يبقى من يعطيه جزية، وقد يقال إنه يقهر جميع الكفرة حتى لا يبقى معاند ولا مقاتل إلا من أسلم أو ألقى بيده، أو أعطى الجزية صاغراً، ويكون وضع الجزية أي يوظفها على كل من كفر لا أنه يسقطها)[5].

قلت: قد أجاد القاضي عياض في بيانه هذا وأحسن في رده على من رد الأحاديث الواردة في نزول عيسى متوهماً أنها متعارضة مع النصوص الدالة على أن النبي ﷺ هو خاتم النبيين، والحق أنه لا تعارض البتة في ذلك لأن عيسى ينزل حاكماً بشريعة محمد ﷺ ولا ينزل بشرع جديد كما يظنه هؤلاء الذين ضلوا فردوا النصوص الصحيحة المتواترة بنزوله عليه السلام، فلا يلتفت إلى كلامهم ولا يعتد بخلافهم، لأنه خلاف الحق. وأما قول القاضي عياض في معنى « ويضع الجزية » فقد تقدم نقده بما لا داعي لتكراره. وهكذا يتبيّن بما لا مجال للشك أن نزول عيسى عليه السلام حاكماً بشريعة الإسلام أمر متفق عليه بين

---

١) لد : بضم اللام وتشديد الدال هو بلدة قريبة من بيت المقدس. المرجع السابق ٦٨/١٨.

٢) رواه مسلم في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته ٢٢٥٣/٤ برقم : ٢١٣٧ واللفظ له، وأبو داود في كتاب الملاحم باب خروج الدجال ٤/ ٤٩٧ برقم : ٤٣٢١.

٣) سورة الاحزاب آية ٤٠.

٤) تقدم تخريجه ص ٤١٦.

٥) إكمال المعلم ١٢٧/٦، وشرح صحيح مسلم ٧٥/١٨- ٧٦.

المسلمين لتواتر النصوص الواردة به.

ب - سبب تسمية عيسى ابن مريم بالمسيح :

أما سبب تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح فقد قال القاضي عياض (سمي عيسى مسيحاً من أجل سياحته في الأرض وأنه لم يكن له موضع يستقر فيه، وقيل : لأن زكريا عليه السلام مسحه ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمي بذلك لأنه لا يمسح ذا عاهة إلا برأ، وقيل : تسميته مسيحاً المسيح الصدّيق كما قال إبراهيم النخعي، وقيل : لأنه كان ممسوح القدمين لا أخمص له لأن الله مسحه أي خلقه خلقاً حسناً فيكون بمعنى جميل حسن، وقيل سمي بذلك لمسحه الأرض أي قطعها، وقيل مسح بالبركة حين ولد)(١).

قلت : لا مانع والله أعلم من ذلك كله فعيسى عليه السلام قد تحققت تلك الأوصاف السابقة فيه، أما كونه لم يكن له موضع يستقر فيه فإن في النفس منه شيء، والذي علينا هو أن نطلق عليه ونسميه بما سمّاه الله ورسوله سواء علمنا سبب التسمية أم لا.

فاتضح مما سبق أن مسيح الضلالة (الدجال) غير مسيح الهداية (عيسى) فالأخير يقتله بيده الكريمة بعد أن يمكنه الله منه بباب لدّ، ويريح العباد من شره. نعوذ بالله من فتنته.

٣ - يأجوج ومأجوج :

من علامات الساعة الكبرى خروج يأجوج ومأجوج وقد ورد ذكر هؤلاء في الكتاب الكريم وفي السنة الصحيح وبإجماع الأمة.

أ - بعض الأدلة على ذلك :

النصوص الدالة على هذه العلامة كثيرة منها :

النصوص القرآنية :

١ - قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا فُتِحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدَب ينسلون * واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين** ﴾(٢).

٢ - وقال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين ﴿ **ثم أتبع سببا * حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً * قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرْجاً**

---

١) إكمال المعلم ٣/ ٧٨٠، وانظر للتوسع في هذه الأقوال وغيرها فتح الباري ٦/ ٥٤١، وفتح القدير ١/ ٣٤١، والتذكرة للقرطبي ٢/ ٣٩٢- ٣٩٣، ٤١٥- ٤١٨.

٢) سورة الأنبياء آية ٩٦- ٩٧.

على أن تجعل بيننا وبينهم سداً * قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً * آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قِطْراً * فما اسطاعوا أن يُظهروه وما استطاعوا له نقباً * قال هذا رحمة مِن ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكّاء وكان وعد ربي حقاً * وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً ﴾(١). فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى سخّر ذا القرنين(٢) الملك الصالح لبناء السد العظيم ليحجز يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض فإذا جاء الوقت المعلوم واقتربت الساعة اندك هذا السد وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة وجمع كبير لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجوا في الناس وعاثوا في الأرض فساداً وهذا علامة على قرب النفخ في الصور وخراب الدنيا وقيام الساعة(٣).

بعض الأدلة من السنة :

الأحاديث الدالة على ظهور يأجوج ومأجوج كثيرة جداً.

١ - منها ما ثبت في الصحيحين عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول : « ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق بأصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب : فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث »(٤).

٢ - ومنها حديث النواس بن سمعان المتقدم في الدجال وعيسى وفيه « ...

---

١) سورة الكهف الآيات من ٩٢- ٩٩.

٢) اختلف في اسمه فروي عن ابن عباس أن اسمه عبدالله بن الضحاك بن معد، وقيل مصعب بن عبدالله بن قنان بن الأزد ثم بن قحطان، وقيل غير ذلك، وسمي بذي القرنين لأنه قد بلغ المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشيطان ويغرب وقيل غير ذلك، وكان عبداً مؤمناً صالحاً وهو غير ذي القرنين الاسكندر المقدوني فإن هذا كان كافراً وهو متأخر عن المذكور في القرآن وبينهما أكثر من ألفي سنة. انظر البداية والنهاية ١٠٢/٢- ١٠٦، وتفسير ابن كثير ١٠٠/٣- ١٠١.

٣) انظر تفسير الطبري ١٥/١٦- ٢٨، ٧٨/١٧- ٩٢، وتفسير ابن كثير ١٠٢/٣- ١٠٦، وتفسير القرطبي ٣٤١/١١- ٣٤٢، وفتح القدير ١٠٠/٣- ١٠١.

٤) رواه البخاري في عدة مواضع منها كتاب الأنبياء باب قصة يأجوج ومأجوج ٤٤٠/٦ برقم : ٣٣٤٦، ومسلم في كتاب الفتن باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج ٢٢٠٨/٤ برقم : ٢٢٨٠ واللفظ له.

إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان (١) لأحد بقتالهم فحرّز (٢) عبادي إلى الطور فيبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب(٣) ينسلون فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبريه فيشربون ما فيها ويمرّ آخرهم فيقوقون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف(٤) في رقابهم فيصبحون فَرْسَى(٥) كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زَهَمُهُم(٦) ونتنهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت(٧)فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض » رواه مسلم(٨)وزاد في رواية بعد قوله : « لقد كان بهذه ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَر(٩)وهو جبل بيت المقدس فيقولون، لقد قتلنا من في الأرض هلمّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم(١٠)إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً »(١١).

---

١) قال العلماء معناه لا قدرة ولا طاقة لاحد بقتالهم، يقال ما لي بهذا الأمر يد وما لي به يدان لان المباشرة والدفع إنكا تكون باليد. شرح صحيح مسلم ٦٨/١٨.

٢) أي ضمّهم واجعله حرزاً لهم يقال أحرزت الشئ أحرزه إحرازاً إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ. المرجع السابق.

٣) الحَدَبُ : هو كل موقع غليظ مرتفع، والجمع أحداب وحداب، والمعنى يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها ويمشون مسرعين. المرجع السابق. وانظر النهاية ٤٣٩/١.

٤) النغف : بالتحريك هو دود يكون في أنوف الابل والغنم واحدتها نغفة. المرجع السابق ٦٩/١٨، والنهاية ٨٧/٥.

٥) بفتح الفاء أي قتلى الواحد فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها إذا قتلها. المرجع السابق والنهاية ٢٢٨/٣.

٦) بفتح أوله وثانيه أي دسمهم ورائحتهم الكريهة. المرجع السابق.

٧) البُخت بضم الباء وسكون الخاء هي جمال طوال الأعناق وهي لفظة معربة واحدتها بختية للأنثى وبختى للذكر. انظر النهاية ٣/ ٢٨٨.

٨) رواه مسلم في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته ٤/ ٢٢٥٤ برقم : ٢١٣٧.

٩) الخَمَر بفتح الخاء والميم هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه، وقد جاء تفسيره في الحديث بأنه جبل في المقدس. شرح صحيح مسلم ٧١/١٨.

١٠) النشاب يطلق على النبل والسهام واحدته نشابة. انظر لسان العرب ١/ ٧٥٧.

١١) رواه مسلم في كتاب الفتن باب ذكر الدجال ٢٢٥٥/٤ برقم : ٢١٣٧ مكرر.

٣ - وعن حذيفة بن أسيد(١) الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر فقال: « ما تذاكرون؟ قالوا: نتذاكر الساعة، قال: إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم »(٢) إلى غير ذلك من النصوص.

ب - نص القاضي عياض على حدوث هذه العلامة:

قال القاضي عياض عقب شرحه للأحاديث الواردة بشأن يأجوج ومأجوج هذه الأخبار على حقيقتها يجب الايمان بها لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة، وقد ورد في خبرهم أنه لا قدرة لأحد على قتالهم من كثرتهم، وأنهم يحصرون نبي الله عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين الذين نجوا من الدجال فيدعو عليهم فيهلكهم الله عز وجل أجمعين بالنغف وهو دود في رقابهم فيؤذون الأرض والمؤمنين بنتنهم فيدعو عيسى وأصحابه ربهم فيرسل الله طيراً فتحملهم حيث شاء الله(٣).

٤ - خروج الدابة:

من علامات الساعة الكبرى خروج دابة الأرض آخر الزمان تكلم الناس وتسميهم مؤمناً وكافراً، وذلك عند فساد الناس وتركهم أوامر الله تعالى. وقد ثبت هذا الأمر بالكتاب والسنة.

أ - بعض الأدلة على هذا الأمر:

دليل خروج الدابة من الكتاب قوله تعالى: ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلّمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾(٤)، فهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر خروج الدابة وأن ذلك يكون عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديليهم الدين الحق فيخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك ليعلموا أن ذلك آية من عند الله، قال ابن مسعود رضي

---

١) هو أبو سريحة حذيفة بن أَسيد (بالفتح) بن خالد الأعور بن غفار الغفاري شهد الحديبية وبايع تحت الشجرة ثم نزل الكوفة وروى أحاديث أخرج له مسلم وأصحاب السنن توفي سنة (٤٣ هـ) بالكوفة فصلى عليه زيد بن أرقم. انظر أسد الغابة ٣٨٩/١، والإصابة ٣١٦/١.

٢) رواه مسلم في كتاب الفتن باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ٢٢٢٥/٤- ٢٢٢٦ برقم: ٢٩٠١.

٣) انظر إكمال المعلم ١١٥/٦- ١٢٦.

٤) سورة النمل آية ٨٢.

الله عنه (وقع عليهم القول) يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن(١).

وأما الأدلة من السنة على خروج الدابة فهي كثيرة :

١ - منها قوله ﷺ « ثلاث إذا خرجت لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض »(٢).

٢ - ومنها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري المتقدم « لن تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات، وذكر منها الدابة »(٣).

٣ - ومنها قوله ﷺ « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل فالأخرى على إثرها قريباً »(٤).

قال القاضي رحمه الله (اختلف في أول الآيات خروجاً، فقيل : أولها طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة، وقيل أولها نار الناس تخرج من اليمن والله أعلم بذلك)(٥).

قلت : يبدو والله أعلم أن معنى قوله ﷺ « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها » أي أول الآيات التي ليست مألوفة، لأن خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل هذه الأمور مألوفة لأنهم بشر، أما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السموية(٦).

ب - مكان خروج الدابة وصفتها :

اختلف العلماء في مكان خروج الدابة، فقيل : من جبل الصفا بمكة، وقيل : من جبل أبي قبيس، وقيل : لها ثلاث خرجات خرجة من بعض البوادي حتى يتقاتل عليها الناس وتكثر الدماء، ثم تمكث وتخرج في القرى في أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها، وقيل تخرج بين الركن والمقام، وقيل غير ذلك.

---

١) انظر تفسير القرطبي ٣٢٤/١٣، وتفسير ابن كثير ٣٧٤/٣.

٢) رواه مسلم في كتاب الايمان باب الزمن الذي لا يقبل فيه الايمان ١٣٨/١ برقم : ١٥٨.

٣) تقدم تخريجه ص ٦٢٠.

٤) رواه مسلم في كتاب الفتن باب في الدجال وهو أهون على الله عز وجل ٢٢٦٠/٤ برقم : ٢٩٤٠.

٥) إكمال المعلم ٧٠٠/٢.

٦) انظر شرح الطحاوية ص ٥٠٦.

وغالب الأقوال يدور حول خروجها من الحرم المكي(١)، وقد مال القاضي عياض إلى القول الأول(٢). والله أعلم من أين تخرج.

أما عن صفتها، فقد اختلف العلماء فيها أيضاً على أقوال كثيرة ذكر القاضي عياض بعضها فقال : قيل : هي فصيل ناقة صالح، وقيل : هي دابة ذات شعر وقوائم يقال لها الجساسة التي تجس الأخبار للدجال، وقيل : هي الثعبان المشرف على جدار مكة التي اقتلعها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة، والمراد أنها تخرج آخر الزمن(٣).

وذكر العلماء(٤) أقوالاً أخرى كثيرة لا داعي لذكرها، لأن أكثرها لا يخلو من مقال، والذي يجب على المؤمن هو الايمان بأن الله عز وجل سيخرج للناس دابة مخالفة لما يعتاده الناس تكلمهم وتختم على الكافر بالكفر وعلى المؤمن بالايمان، وأن هذا أمر خارق للعادة، كما أن خروج الشمس من مغربها خارق للعادة.

٥ - طلوع الشمس من مغربها :

طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى، وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة.

أ - بعض الأدلة على هذا الأمر :

الأدلة على هذا الأمر كثيرة منها قوله سبحانه ﴿ **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً** ﴾(٥) . فقد دلت الأحاديث الصحيحة أن المراد ببعض الآيات المذكورة في هذه الآيات هو طلوع الشمس من مغربها وهو قول معظم المفسرين(٦).

١ - ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس

---

١) انظر التذكرة ص ٦٩٧- ٦٩٨، والإشاعة لأشراط الساعة ص ١٧٦- ١٧٧، ولوامع الأنوار البهية ١٤٤/٢- ١٤٦.

٢) انظر إكمال المعلم ١١٩/٦.

٣) إكمال المعلم ١١٩/٦.

٤) انظر حكاية تلك الأقوال في صفة هذه الدابة في تفسير البغوي ٤٢٩/٣، وتفسير ابن كثير ٣٧٥/٣- ٣٧٦، والإشاعة لأشراط الساعة ص ١٧٤- ١٧٥، ولوامع الأنوار البهية ١٤٦/٢- ١٤٩.

٥) سورة الأنعام آية ١٥٨.

٦) انظر تفسير الطبري ٦٩/٨-١٠١، وتفسير البغوي ١٤٤/٢، وزاد المسير لابن الجوزي ١٥٦/٣- ١٥٧، وتفسير القرطبي ١٤٥/٧، وتفسير ابن كثير ١٩٣/٢- ١٩٥.

آمن الناس أجمعون، فذلك حيث لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » ثم قرأ الآية السابقة(١).

٢ - وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها أو الدجال أو الدخان أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة »(٢).

٣ - وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوماً : « أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال : إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها : ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها، فقال رسول الله ﷺ : أتدرون متى ذاكم ؟ ذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً »(٣).

ب - رد القاضي عياض وبعض العلماء على من تأوّل حديث سجود الشمس :

قال القاضي عياض عقب شرحه للحديث السابق (وهو على ظاهره عند أهل الفقه والحديث والمتكلمين من أهل السنة خلافاً لمن تأوله من المبتدعة والباطنية وهو أحد أشراط الساعة العظام المنتظرة)(٤).

قلت : صدق القاضي عياض فإن أهل الحق ومن وافقهم أخذوا بالحديث على ظاهره فلم يحرّفوه أو ينكروه أو يأوّلوه عن ظاهره كما فعل ذلك الباطنية وأهل البدع ومن تأثر بهم من بعض علماء المسلمين.

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله في قوله ﷺ « مستقرها تحت العرش » (لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا

---

١) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب (٤٠) ٣٦٠/١١ برقم : ٦٥٠٦، ومسلم في كتاب الايمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الايمان ١٣٧/١ برقم : ١٥٧.

٢) رواه مسلم في كتاب الفتن باب في بقية أحاديث الدجال ٢٢٦٧/٤ برقم : ٢٩٤٧، ومعنى (أمر العامة) قال قتادة : أمر العامة القيادة. شرح صحيح مسلم ٨٧/١٨.

٣) روآه البخاري مختصراً في عدة مواضع منها في كتاب التفسير باب والشمس تجري لمستقر لها ٤٠٢/٨ برقم : ٤٨٠٢، ومسلم في كتاب الايمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الايمان ١٣٧/١ برقم : ١٥٧.

٤) إكمال المعلم ٧٠٠/٣.

نشاهده وإنما أخبرنا عن غيب فلا نكذب به ولا نكيّفه، لأن علمنا لا يحيط به) ...

ثم قال عن سجودها تحت العرش (وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها والتصرف لما سخرت له، وأما قوله عز وجل ﴿ **حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة** ﴾[1] فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب ومصيرها تحت العرش للسجود وإنما هو بعد الغروب)[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله : (وأما سجود الشمس فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى)[3].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله (يسجد لعظمته تعالى كل شئ طوعاً وكرهاً، وسجود كل شئ مما يختص به)[4].

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله : (وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسيّر الدائم المعبّر عنه بالجري والله أعلم)[5].

فهذه بعض أقوال علماء أهل السنة على أن المراد بسجود الشمس تحت العرش هو سجود حقيقي لا كما زعمه من تأوّل ذلك أو ردّه[6].

٦ - الـدخـان :

ظهور الدخان آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى التي دل عليها الكتاب والسنة.

أ - بعض أدلة ظهوره :

دليل ظهور الدخان من القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم * ربنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون * أنّى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين * ثم**

---

١) سورة الكهف آية ٨٦.

٢) شرح السنة للبغوي ١٥/٩٥- ٩٦ بتحقيق الشيخ شعيب الارناؤوط، وفتح الباري ٨/٤٠٣.

٣) شرح صحيح مسلم ٢/١٩٧.

٤) تفسير ابن كثير ٣/٥٧١.

٥) فتح الباري ٨/٤٠٣.

٦) لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله رسالة صغيرة عظيمة الفائدة سمّاها (الأدلة الحسية والنقلية على سكون الأرض وجريان الشمس والقمر وإمكان الصعود إلى الكواكب) جمع فيها النصوص المتعلقة بهذا الموضوع وتعرّض فيها لسجود الشمس تحت العرش كل يوم وخروجها من مغربها في آخر الزمان، وقد ردّ على من تأوّل ذلك بأسلوب مقنع بليغ كعادته وفقه الله، فلتراجع.

تولوا عنه وقالوا مُعَلّمٌ مجنون * إنّا كاشفوا العذاب قليلاً إنّكم عائدون * يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون ﴾(١).

أما الأدلة من السنة على هذا الأمر فهي كثيرة منها :

١ - حديث حذيفة بن أسيد الغفاري المتقدم، قال : أطلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال : « ما تذاكرون ؟ قلنا : نذكر الساعة، قال : « إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة ...) الحديث(٢).

٢ - وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال ستاً : طلوع الشمس من مغربها أو الدجال أو الدخان » الحديث(٣).

٣ - ومنها قوله ﷺ : « إن ربكم أنذركم ثلاثاً الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال »(٤).

ب - اختلاف العلماء حول المراد بالدخان ومتى يحدث :

لقد اختلف العلماء رحمهم الله في المراد بالدخان الوارد في الآية والأحاديث المتقدمة على قولين :

١ - فذهب بعضهم إلى أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له. فأصبحوا في السماء كهيئة الدخان، وإلى هذا القول ذهب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وتبعه جماعة من السلف(٥)، وقد استدل هؤلاء بما رواه البخاري ومسلم من حديث مسروق بن الأجدع رحمه الله قال : كنا جلوساً عند عبدالله بن مسعود فأتاه رجل فقال يا أبا عبدالرحمن إن قاصّاً يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها بهيئة الزكام، فقال عبدالله وجلس وهو غضبان (يا أيها الناس اتقوا الله، من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم، وما لا

---

١) سورة الدخان الآيات من ١٠- ١٦.

٢) تقدم تخريجه ص ٦٣٠ .

٣) تقدم تخريجه ص ٦٣٢.

٤) رواه ابن جرير في تفسيره عن أبي مالك الاشعري ١١٤/١٥، وذكره ابن كثير في تفسيره ١٣٨/٤، وقال رواه ابن جرير الطبري وإسناده جيد، وذكر ابن حجر رواية الطبري عن أبي مالك وابن عمر وقال : (وإسنادهما ضعيف أيضاً لكن تظافر هذه الاحاديث يدل على أن لذلك أصلاً) فتح الباري ٤٣٦/٨.

٥) انظر تفسير الطبري ١١١/١٥، وتفسير البغوي ١٤٩/٤- ١٥٠، وتفسير القرطبي ١٣١/١٦، وتفسير ابن كثير ١٣٨/٤- ١٤٠.

يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين** ﴾(١)، وإن رسول الله ﷺ لما دعا قريشاً كذبوا واستعصموا عليه فقال: « اللهم أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف(٢)، فأصابتهم سنة حصّت(٣) كل شئ حتى كانوا يأكلون الميتة والعظام، وكان يقوم أحدهم فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهد والجوع)(٤)، وقال ابن مسعود أيضاً (خمس قد مضين اللزام(٥) والروم البطشة والقمر والدخان)(٦).

٢- وذهب كثير من العلماء سلفاً وخلفاً إلى أن الدخان هو من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد وسيقع قرب يوم القيامة، وإلى هذا ذهب علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم وغيرهم وكثير من التابعين.

وقد رجّح الإمام ابن كثير رحمه الله هذا مستدلاً بالأحاديث التي سبق ذكرها عند الاستدلال على هذه الآية (أي الدخان) وبغيرها من الأحاديث، وأيضاً بما رواه ابن جرير وغيره عن عبدالله بن أبي مليكة(٧) قال: غدوت على ابن عباس - رضي الله عنهما - ذات يوم فقال: (ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم ؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد

---

١) سورة ص آية ٨٦.

٢) هذا دعاء من النبي ﷺ على كفار مكة بأن يبعث الله عليهم سبع سنين مجدبة كالتي كانت في زمن يوسف عليه السلام التي ذكرها القرآن.

٣) بفتح الحاء والصاد المشددة أي حلقت واستأصلت.

٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير في تفسير حم الدخان فارتقب يوم تأتي السماء بدخان ٤٣٦/٨ برقم: ٤٨٢٣، ٤٨٢٤، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب الدخان ٢١٥٦/٤ برقم: ٢٧٩٨.

٥) اللزام: هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً ﴾ (سورة الفرقان آية ٧٧) أي يكون عذاباً لازماً نتيجة تكذيبهم وهو ما وقع لكفار قريش في بدر من القتل والأسر. انظر تفسير البغوي ٣٨٠/٣، وتفسير ابن كثير ٣٣٠/٣، وشرح صحيح مسلم ١٧/ ١٤٣.

٦) رواه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى ﴾ ٤٣٧/٨ برقم: ٤٨٢٥، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب الدخان ٢١٥٧/٤ برقم: ٢٧٩٨ مكرر.

٧) هو الإمام الفاضل التابعي الجليل أبو بكر عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان التيمي المكي، أحد تلامذة ابن عباس رضي الله عنهما، كان قاضياً ومؤذناً لعبدالله بن الزبير، وكان ثقة فاضلاً كثير الحديث، روى عن العبادلة الأربعة وأدرك ثلاثين من الصحابة، توفي سنة (١١٧ هـ). انظر مشاهير علماء الأمصار ص ٨٢، وتهذيب التهذيب ٣٠٦/٥- ٣٠٧، وسير أعلام النبلاء ٨٨/٥.

طرق فما نمت حتى أصبحت)(١)، قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكره لهذا الأثر (وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين** ﴾ أي بيّن واضح يراه كل أحد وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿ **يغشى الناس** ﴾، وقوله تعالى: ﴿ **هذا عذاب أليم** ﴾ أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً، وأما ما فسّر به ابن مسعود رضي الله عنه فإن ذلك من كلامه والمرفوع مقدم على الموقوف)(٢).

٣ - وقد ذهب بعض العلماء(٣) إلى الجمع بين هذه الآثار بأن قالوا هما دخانان ظهر أحدهما وبقيت الآية الأخرى التي ستقع في آخر الزمان، فأما الآية الأولى التي ظهرت فهي ما كانت تراه قريش كهيئة الدخان وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة.

قال القرطبي رحمه الله (قال مجاهد كان ابن مسعود يقول هما دخانان قد مضى أحدهما والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة وأما الكافر فتثقب مسامعه)(٤).

وقال الإمام ابن جرير رحمه الله: (وبعد فإنه غير منكر أن يكون أحلّ بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم ويكون محلاً فيما يستأنف بعد بآخرين دخاناً على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ عندنا كذلك، لأن الإخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روي عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين الذين رويا عن رسول الله ﷺ صحيح(٥).

قلت: الجمع هو أفضل الطرق ولا منافاة بين الرأيين حينئذ والله أعلم.

---

١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١١٣/١٥، وذكره ابن كثير في تفسيره ١٣٩/٣.

٢) تفسير ابن كثير ١٣٩/٣- ١٤٠، وانظر النهاية في الفتن والملاحم له ١٧٢/١ بتحقيق د. طه زيني.

٣) انظر التذكرة للقرطبي ص ٦٥٥، وشرح صحيح مسلم ٢٧/١٨.

٤) التذكرة ص ٦٥٥.

٥) تفسير الطبري ١١٤/١٥- ١١٥.

ج - رأي القاضي عياض في المقصود بالدخان :

اختار القاضي عياض رحمه الله المذهب الثاني وهو أن الدخان من علامات الساعة بعد أن ذكر الإختلاف في ذلك فقال عقب ذكره للأحاديث الواردة بهذا الشأن : (ذكر رسول الله ﷺ الدخان أنه من أشراط الساعة ولم يأت مفسراً في الأم هنا، فقال بعضهم هو دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئته من الزكام وبه فسروا الآية، وأنكر ابن مسعود هذا وقال إنما هو مما نال قريشاً من الحرب بدعائه ﷺ حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان، وقيل الدخان الحرب نفسه، والأول أرجح وهو قول جماعة من الصحابة كابن عمر والحسن وحذيفة وأنه آية من أشراط الساعة يمكث في الأرض أربعين يوماً)(١).

٧ - خروج النار التي تحشر الناس إلى المحشر :

آخر الآيات الكبرى والعلامات العظمى لأشراط الساعة وأول الآيات المؤذنة بقيام القيامة خروج نار تحشر الناس إلى محشرهم.

أ - الأدلة على خروجها ومكان ذلك :

جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن من قعرة عدن وجاءت روايات أخرى بأنها تخرج من بحر حضرموت وإليك طائفة من الأحاديث التي تبين ذلك :

١ - حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة وآخره قوله ﷺ : « وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم »، وفي رواية : « نار تخرج من قعرة عدن ترحّل الناس »(٢).

٢ - وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ستخرج نار من حضرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس »(٣).

٣ - وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل ومنها ما أول أشراط الساعة.؟ فقال النبي ﷺ :

---

١) إكمال المعلم ٦/ ١١٩.

٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ٤/ ٢٢٢٥-٢٢٢٦ برقم : ٢٩٠١.

٣) رواه أحمد في المسند ٧/ ١٣٣ برقم ٥١٤٦ه بتحقيق أحمد شاكر وقال عنه إسناده صحيح، والترمذي في كتاب الفتن باب (٤٢) ٤/ ٤٣١ برقم ٢٢١٧ وقال هذا حديث حسن غريب صحيح وقد صححه الشيخ الألباني. انظر صحيح الجامع ٣/ ٢٠٣ برقم ٣٦٠٣.

« أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب »(١).

ب - الجمع بين الأحاديث الواردة في مكانها :

الجمع بين ما جاء أن هذه النار هي آخر أشراط الساعة الكبرى وما جاء أنها أول أشراطها بأن يقال إن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات الواردة معها في حديث حذيفة، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شئ بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهاء هذه الآيات النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها من الآيات الواردة في حديث حذيفة، فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا(٢). أما ما جاء في بعض الروايات بأن خروجها يكون من اليمن وفي بعضها الآخر أنها تحشر الناس من المشرق إلى المغرب فيجاب عن ذلك بأجوبة :

١ - أنه يمكن الجمع بين هذه الروايات بأن كون النار تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله ﷺ « تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب.

٢ - أن النار عندما تنتشر يكون حشرها لأهل المشرق أولاً، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق، وأما جعل الغاية المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى أهل المشرق مغرب.

٣ - يحتمل أن تكون النار المذكورة في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب كما شوهد ذلك مراراً في عهد التتر والمغول وغيرهم. وأما النار التي في حديثي حذيفة بن أسيد وابن عمر فهي نار حقيقية والله أعلم(٣).

ج - التنبيه على ما قاله القاضي عياض بشأن مكان خروج النار :

قال القاضي عياض رحمه الله عقب ذكر حديث حذيفة بن أسيد وفيه « آخر

---

١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريته ٦/٤١٧- ٤١٨ برقم : ٣٣٢٩.

٢) انظر فتح الباري ١٣/٨٦.

٣) انظر فتح الباري ١٣/٨٦.

ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم »(1). قال : (هذه النار تحشر الناس للمحشر وجاء في حديث آخر أنها تخرج من أرض الحجاز(2)، وفي رواية من قعر عدن، وفي رواية من اليمن فلعلهما ناران تجتمعان لحشر الناس أو يكون ابتداء خروجها من اليمن وظهورها من الحجاز والله أعلم)(3).

وقد علّق الإمام النووي رحمه الله على كلام القاضي عياض السابق بقوله : (وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر، بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة وقد خرجت في زماننا بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤ هـ) وكانت ناراً عظيمة جداً من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة)(4).

قلت : لقد اجتهد القاضي عياض فيما قاله آنفاً ولكنه أخطأ فله أجران إن شاء الله وخطؤه مردود فقد ظن أن النارين تجتمعان وليس الأمر كما قال بل هو كما بيّنه النووي، وأبو الفضل معذور في ذلك إن شاء الله فقد توفي قبل خروج نار الحجاز بأكثر من مائة سنة.

د - مكان الحشر وزمانه :

المكان الذي يكون الحشر إليه في آخر الزمان هو الشام كما صحت بذلك الأحاديث الكثيرة ومنها :

١ - قوله ﷺ « إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم ههنا وأومأ بيده الى الشام »(5).

---

١) تقدم تخريجه ص ٦٣٨.

٢) يشير القاضي إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى » رواه البخاري في كتاب الفتن باب خروج النار ٨٤/١٣ برقم : ٧١١٨، ومسلم في كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز ٢٢٢٧/٤ برقم : ٢٩٠٢.

٣) إكمال المعلم ١١٩/٦.

٤) شرح صحيح مسلم ٢٨/١٨.

٥) رواه أحمد ٣/٥، ٥ بإسناد جيد، والترمذي في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحشر ٥٣٢/٤ برقم : ٢٤٢٤، وقال هذا حديث حسن صحيح، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٨٧/١١ أخرجه الترمذي وسنده قوي.

٢ - وقال ﷺ : « الشام أرض المحشر والمنشر »(١) إلى غير ذلك من الأحاديث.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وفي تفسير ابن عيينة عن ابن عباس رضي الله عنهما من شك أن المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ أول سورة الحشر قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ اخرجوا، قالوا إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر)(٢).

والسبب في كون الشام هي أرض المحشر أن الأمن والإيمان حين تقع الفتن في آخر الزمان يكون بالشام، وقد دعا النبي ﷺ للشام بالبركة فقال : « اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا »(٣). وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الشام والترغيب في سكنها لا مجال لذكرها ههنا(٤)، وقد تقدم أن نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان يكون بالشام وبه يكون اجتماع المؤمنين لقتال الدجال، وهناك يقتله المسيح عليه السلام بباب لد. هذا بالإضافة إلى أن أرض الشام مهبط الأنبياء ومسرى رسول الله ﷺ.

زمان الحشر : وأما عن زمن الحشر فقد اختلف أهل العلم فيه، فذهب بعض العلماء كالبيهقي والغزالي وغيرهما إلى أن هذا الحشر ليس في الدنيا وإنما هو في الآخرة عند الخروج من القبور(٥).

وذهب جماهير العلماء - ومنهم القاضي عياض -(٦) إلى أن هذا الحشر يكون في الدنيا قبل قيام الساعة حيث يحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف الصورة الواردة في حشر الناس الى الشام حيث جاء في وصف حشر الدنيا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يحشر الناس على ثلاث طرائق(٧) راغبين

---

١) رواه أحمد ٤٦٣/٦، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس ٤٥٠/١ برقم : ١٤٠٧، وأخرجه الربعي في فضائل الشام ص ٤ وصححه الشيخ الالباني في تخريجه له.

٢) فتح الباري ٣٨٨/١١، وانظر تفسير ابن كثير ٣٣٠/٤.

٣) رواه البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق ٤٩/١٣ برقم : ٧٠٩٤.

٤) للحافظ الربعي كتاب قيم بهذا الشأن سماه (فضائل الشام) جمع فيه الأحاديث الواردة في فضل الشام وقد شرحه العلامة القاسمي وطبع بتحقيق وتخريج العلامة الشيخ الألباني بالمكتب الإسلامي فليراجع.

٥) انظر المنهاج في شعب الايمان للحليمي ٤٤٢/١، وفتح الباري ٣٨٧/١١.

٦) انظر إكمال المعلم ١١٩/٦، وفتح الباري ٣٨٧/١١، وشرح صحيح مسلم ١٩٤/١٧- ١٩٥.

٧) جمع طريقة وهي الحالة. فتح الباري ٣٨٦/١١.

راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل(١) معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا »(٢) إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على أن المراد به حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلة المحشر بأرض الشام، وقد ورد في هذا الحديث وغيره الركوب والأكل والنوم وإماتة النار من يتخلف، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يبق موت ولا ظهر يركب ويشترى ولا أكل ولا لبس في عرصات القيامة، وأيضاً فإن حشر الآخرة قد جاءت به الأحاديث تبيّن بأن الناس مؤمنهم وكافرهم يحشرون حفاة عراة لا عاهات فيهم، ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال: « أيها الناس إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً(٣) ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾(٤) وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل »(٥). فمن أين للذين يبعثون بعد الموت حفاة عراة حدائق يدفعوها في الشوارف، أو أبعرة يركبها من يساق من الموقف إلى الجنة ؟! إن هذا في غاية البعد(٦).

فاتضح إذاً أن الحشر الوارد في الأحاديث السابقة إنما يكون في الدنيا قبل يوم القيامة، أما حشر يوم القيامة فقد بيّنه حديث ابن عباس السابق، فمن ذهب إلى خلاف ذلك فقد أخطأ وجانب الحق والصواب. والله أعلم.

---

١) من القائلة والقيلولة وهي كسر الحر.

٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الحشر ٣٨٤/١١ برقم : ٦٥٢٢، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٢١٩٤/٤ برقم : ٢٨٦١.

٣) جمع أغر وهو من بقيت غرته وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر. انظر النهاية ٣٦٢/٣، وفتح الباري ٣٩١/١١.

٤) سورة الأنبياء آية ١٤٠.

٥) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الحشر ٣٨٥/١١ برقم : ٦٥٢٦، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب فناء الدنيا وبيان الحشر ٢١٩٤/٤ برقم : ٢٨٦٠.

٦) انظر النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ٢٣٠/١-٢٣١، وفتح الباري ٣٨٨/١١- ٣٨٩.

المبحث الثالث : الإيمان بعذاب القبر ونعيمه.

المطلب الأول : تقرير القاضي عياض لمذهب أهل السنة في عذاب القبر ونعيمه وبعض الأدلة عليه :

من أصول أهل السنة والجماعة التي يجب الايمان بها، الايمان بعذاب القبر ونعيمه وأنه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وأنه أول منازل الآخرة.

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على إثبات عذاب القبر ونعيمه وأجمع على ذلك سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، وبلغت النصوص الواردة في هذا الشأن حد التواتر(١).

وقد قرر القاضي عياض رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الأمر وخالف المنكرين لذلك ورد عليهم مستدلاً لذلك بنصوص الكتاب والسنة وإليك بعضاً من ذلك.

فمن نصوص الكتاب العزيز قول الله عز وجل ﴿ **وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾(٢)، قال أبو الفضل فدل أنهم يعذبون قبل يوم القيامة في قبورهم. وقال تعالى : ﴿ **يُثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾(٣)، وقال القاضي أبو الفضل : نزلت هذه الآية في عذاب القبر، فيقال للعبد من ربك، فيقول : ربي الله ونبي محمد فذلك قوله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ...** ﴾ الآية(٤).

ومن نصوص السنة التي استدل بها القاضي عياض :

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله

---

١) انظر الشرح والابانة لابن بطة ص ٢١٩، وشرح الطحاوية ص ٢٨٧، ٣٩٠.

٢) سورة غافر آية ٤٥- ٤٦.

٣) سورة إبراهيم آية ٢٧.

٤) انظر إكمال المعلم ١١٤/٥ وشرح صحيح مسلم ٢٠٤/١٧- ٢٠٦، والحديث الوارد في سبب نزول الآية رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ٢٧٤/٣ برقم : ١٣٦٩، ومسلم في كتاب صفة الجنة باب عرض مقعد الميت عليه ٢٢٠١/٤ برقم : ٢٨٧١.

إليه يوم القيامة »(١).

٢ - وحديث قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال: يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل(٢)، قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال نبي الله ﷺ فيراهما جميعاً » قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويُملأ عليه خَضِراً(٣) إلى يوم يبعثون، ثم رجع إلى حديث أنس قال: (وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال لا دريت ولا تليت ويُضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه من غير الثقلين »(٤).

٣ - وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « تعوّذوا بالله من عذاب القبر » قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: « تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن » قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: « تعوّذوا بالله من فتنة الدجال » قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال(٥). إلى غير ذلك من الأحاديث.

قال القاضي عياض رحمه الله (إن الأموات تجازى بالثواب والعقاب قبل يوم القيامة فينعم المحسن ويعذّب المسيء كما هو مذهب أهل السنة، خلافاً

---

١) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب الميت يعرض عليه العذاب بالغداة والعشي ٢٨٦/٣ برقم: ١٣٧٩، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت عليه ٢١٩٩/٤ برقم: ٢٨٦٦.

٢) يعني الرسول ﷺ، وإنما يقولان له بهذه العبارة التي ليس فيها تعظيم امتحاناً للمسئول لئلا يتلقن تعظيمه من عبارة السائل ثم يثبت الله الذين آمنوا. شرح صحيح مسلم ٢٠٣/١٨.

٣) الخضر: ضبطوه بوجهين أصحهما بفتح الخاء وكسر الضاد، والثاني بضم الخاء وفتح الضاد والأول أشهر ومعناه يملأ نعماً غضة ناعمة وأصله من خضرة الشجر هكذا فسروه. قال القاضي عياض: يحتمل أن يكون هذا الفسح على ظاهره وأنه يرفع عن بصره ما يجاوره من الحجب الكثيفة بحيث لا تناله ظلمة القبر ولا ضيقه إذا ردت إليه روحه، ويحتمل أن يكون على ضرب المثل والاستعارة للرحمة والنعيم كما يقال سقى الله قبره، والاحتمال الأول أصح. شرح صحيح مسلم ٢٠٤/١٨.

٤) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ٢٧٥/٣ برقم: ١٣٧٣، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت عليه ٢٢٠٠/٤ برقم: ٢٨٧٠.

٥) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت عليه ٢٢٠٠/٤ برقم: ٢٨٨٧.

لغيرهم من أهل البدع، وقد استدل أهل السنة بالقرآن والأحاديث الصحيحة على ذلك) ثم ذكر الأدلة(١) التي سبق ذكرها وغيرها.

وقال أيضاً (أحاديث عذاب القبر وفتنته ونعيمه لا مدفع لها، وقد ذكر مسلم أحاديث كثيرة في عذاب القبر وإسماع صوت من بعدت فيها، وسماع صوت الموتى قرع نعال دافنيهم، وكلامه ﷺ لأهل القليب(٢)، وقوله « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم »(٣)، وسؤال الملكين للميت وإقعادهما إياه وجوابه لهما والفسح في قبره وعرض مقعده عليه بالغداة والعشي، ومذهب أهل السنة تصحيح هذه الأحاديث وإمرارها على وجهها لصحة طرقها وقبول السلف لها خلافاً لجميع الخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة، إذ لا استحالة فيها ولا رد للعقل، والمعذب الجسد بعينه بعد صرف الروح إليه أو إلى جزء منه، لأنه يبقى من الجسد لا يبلى وهو عجب الذنب وهو العظم الذي في الصلب وهو العصعص كما صح بذلك الحديث(٤)، وهو الذي ينعّم ويعذب ويقول رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، وصفة النعيم والعذاب لا يعلمها إلا الله، وكذلك صفة إقعاد الميت وغيرها، فما علينا إلا التسليم لله تعالى)(٥).

قلت : لقد أجاد القاضي عياض وأحسن لاختياره مذهب السلف في كون الميت يعذب وينعم في قبره، وأن العذاب والنعيم نازلان على الروح والجسد معاً لا على الروح دون الجسد كما زعم قوم، ولا على الجسد دون الروح كما زعم آخرون، بل عليهما معاً، والنصوص الواردة في ذلك رد على كلا المذهبين كما اتفق على ذلك أهل السنة والجماعة(٦).

---

١) انظر إكمال المعلم ١١٤/٥.

٢) أي قليب بدر وهو المكان الذي دفن فيه قتلى المشركين بالمعركة.

٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ٢٧٤/٣ برقم : ١٣٧٠ عن ابن عمر، ومسلم في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت عليه ٢٢٠٣/٤ برقم : ٢٨٧٣ عن أنس.

٤) يشير إلى قوله ﷺ « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب » رواه مسلم في كتاب الفتن باب ما بين النفختين ٢٢٧١/٤ برقم : ٢٩٥٥، وأبو داود في كتاب السنة باب في ذكر البعث ١٠٨/٥ برقم : ٤٧٤٣، ومالك في الموطأ باب جامع الجنائز ٢٠٦/١ برقم : ٤٩.

٥) إكمال المعلم ١١٤/٥، ١١٣/٦- ١١٤، وانظر الإعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٦، وشرح صحيح مسلم ١٠٦/١٧.

٦) انظر شرح الطحاوية ص ٣٩٠- ٣٩٢.

المطلب الثاني : هل يسمع الميت :

أشار القاضي عياض إلى اختلاف العلماء في سماع الميت بعد ذكره لحديث قليب بدر فقال : (ذهب بعض الناس إلى أن الميت يسمع بظاهر هذا الحديث، والذي عليه المحصّلون أن الله تعالى خرق العادة بأن أعاد الحياة إلى هؤلاء الموتى يقرّعهم عليه الصلاة والسلام، وإلى هذا ذهب قتادة، وقد ذكر الحديث لعائشة رضي الله عنها فقالت : (إنما قال النبي ﷺ « إنهم ليعلمون الآن أن الذي كنت أقوله لهم حق » ثم قرأت ﴿ **فإنك لا تسمع الموتى** ﴾(١))(٢) فأنت ترى أن عائشة رضي الله عنها كيف أنكرت ظاهر الحديث وحوّلته إلى لفظ آخر، والتشكيك في سماع الموتى وحسّهم يخرم الثقة بالعلوم الضرورية.

والراجح الذي عليه سماع هؤلاء هو ما يحمل عليه سماع الموتى في سائر أحاديث عذاب القبر وفتنته التي لا مدفع فيها، وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون ويجيبون في الوقت الذي يريده الله)(٣).

قلت ما اختاره القاضي عياض ههنا هو الظاهر المختار الذي تدل عليه النصوص من كون الميت يسمع قرع النعال ويجيب، وبهذا قال جماهير أهل السنة(٤).

وأما الجواب عما نفته أمنا عائشة رضي الله عنها من عدم سماع قتلى بدر فالجواب عنه أن يقال : إن معنى الآية التي استدلت بها، أي إنك لا تسمع الموتى سماعاً ينفعهم ولا تسمعهم إلا أن يشاء الله، وقد شاء الله أن يسمعهم تقريعاً وتوبيخاً لهم لمخالفتهم نبيهم ﷺ.

ورأي ابن حجر وغيره من العلماء أن إنكار عائشة محمول على السماع المطلق من الأموات الذي لم يقيد بمسألة ولا غيرها، وأما حديث « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » فالمراد به سماع مخصوص مقيد. قال الحافظ هذا وجه من وجوه إيراد البخاري لحديث ابن عمر وقول عائشة معاً في الترجمة(٥).

قلت : هذا القول من القوة بمكان كما لا يخفى ولا يبعد أن يراد ويجاب أيضاً بالجواب السابق والله أعلم.

---

١) سورة النمل آية ٨٠.

٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ٣/٢٧٤ برقم : ١٣٧١.

٣) إكمال المعلم ٦/١١٤، وشرح صحيح مسلم ١٧/٢٠٦.

٤) انظر شرح الطحاوية ص ٣٩٠- ٣٩١، وفتح الباري ٣/٢٧٧- ٢٧٨.

٥) انظر فتح الباري ٣/٢٧٨.

المطلب الثالث : مستقر الأرواح :

مما له صلة بعذاب القبر ونعيمه مسألة مستقر الأرواح، وقد تعرّض القاضي عياض لها بإيجاز فقال : (مستقر أرواح الشهداء في حواصل طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة كيف تشاء كما جاء ذلك في الحديث الصحيح(١)، وقيل : إن أرواح سائر المؤمنين المستوجبين لدخول الجنة دون عقاب كذلك في حواصل طير، وقيل : بل أرواح المؤمنين على أفنية قبورهم، قال : أرواح المؤمنين والله أعلم منتهاها ومستقرها في سدرة المنتهى، أما أوراح الكافرين فهي - والله أعلم - في سجين)(٢).

قلت : لقد اختلف العلماء في مستقر الأرواح على أقوال كثيرة(٣) :

فجمهور العلماء على أن مستقر أرواح المؤمنين في حواصل طيور الجنة تذهب حيث شاءت. وقد استدل هؤلاء بما ورد من الأحاديث التي تضمّن بعضها مستقر أرواح الشهداء على الخصوص، وبعضها مستقر أرواح المؤمنين على العموم. من ذلك :

- حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال : « أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش »(٤).

- وحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنما نسمة(٥) المؤمن طائر يعلُق(٦) في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه »(٧).

---

١) يشير رحمه الله إلى قوله ﷺ (أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش) رواه مسلم في كتاب الامارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ١٥٠٢/٣ برقم : ١٨٨٧.

٢) إكمال المعلم ١١٤/٦.

٣) انظر حكاية هذه الاقوال وأدلتها ومناقشتها في كتاب الروح لابن القيم ٣٧٤/١- ٤٣٤، وشرح الطحاوية ص ٣٩٣.

٤) تقدم تخريجه في الهامش رقم : ١.

٥) النسمة بفتحتين الروح والنفس وكل شئ فيه روح فهو نسمة. النهاية في غريب الحديث ٤٩/٥.

٦) بفتح الياء وسكون العين وضم اللام أي يأكل ويرعى. انظر المصباح المنير ص ١٦١، والقاموس المحيط ص ١١٧٦.

٧) رواه مالك في الموطأ في كتاب الجنائز ٢٠٦/١ برقم : ٤٩ واللفظ له، وأحمد في المسند ٤٥٥/٣، والترمذي بنحوه في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في ثواب الشهداء ١٥١/٤ برقم : ١٦٤١، وقال حديث حسن صحيح، والنسائي في كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنين ١٠٨/٤ برقم : ٢٠٧٣، وابن ماجة في كتاب الزهد باب ذكر القبر والبلى ١٤٢٨/٢ برقم : ٤٢٧١، وصححه العلامة الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٢٩/٢ برقم : ٩٩٥، وفي تعليقه على

٢ - وذهبت طائفة من الصحابة والتابعين إلى أن أرواح المؤمنين عند الله ولم يزيدوا على ذلك.

٣ - وقال جماعة : إن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكافرين في النار.

٤ - وقالت طائفة : إن أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكافرين عن شماله.

٥ - وقال جماعة : أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق وأرواح الكافرين ببرهوت بئر بحضرموت.

٦ - وقالت طائفة : أرواح المؤمنين في أعلى علّيّين في السماء السابعة وأرواح الكافرين في سجّين في الأرض السابعة.

٧ - وقال بعضهم : أرواح الشهداء في الجنة وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم. إلى غير ذلك من الأقوال.

٨ - وقد ذهب المحققون(١) من علماء السلف كالإمام ابن القيم وابن أبي العز الحنفي(٢) والشوكاني وغيرهم إلى القول بأن الأرواح متفاوتة في مستقرها تفاوتاً عظيماً وليست في مكان واحد. قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله : (الأرواح في البرزخ متفاوتة في مستقرها أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلى عليّين في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهم متفاوتون في ذلك، ومنها أرواح بعض الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة تسرح حيث شاءت، وهي أرواح بعضهم لا كلهم، لأن من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه كما في المسند أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله مالي إن قتلت في سبيل الله ؟ قال : « الجنة » فلما ولّى قال : « إلا الدين سارّني به جبريل آنفاً »(٣)، ومن الأرواح من يكون محبوساً على باب الجنة، ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون في الأرض، ومنها

شرح الطحاوية ص ٣٩٦.

١) انظر كتاب الروح ٤٠١/١- ٤٠٤، وشرح الطحاوية ص ٣٩٤- ٣٩٥.

٢) هو الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي الدمشقي، أحد علماء السلف في عصره المعروف بشدة تمسكه بالسنة، كان فقيهاً عابداً قوي الحجة وكان قاضي قضاة دمشق ثم مصر ثم دمشق، وقد امتحن بسبب عقيدته السلفية والدعوة إليها ولمحاربته المبتدعين من الصوفية وغيرهم، من أنفع وأبرك مؤلفاته شرح الطحاوية الذي لم يشرح مثله ومن كتبه الاتباع وغير ذلك، توفي سنة (٧٩٢ هـ). انظر الدرر الكامنة ٨٧/٣، وشذرات الذهب ٣٢٦/٦.

٣) رواه أحمد ١٣٩/٤، ٣٥٠، وصححه الشيخ الألباني في هامش شرح الطحاوية ص ٣٩٥.

أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة)[1].

المبحث الرابع : الإيمان بالحشر والميزان والصراط والحوض :

من الايمان باليوم الآخر الايمان بالحشر والميزان والصراط والحوض كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف - أهل السنةو الجماعة -، وقد قرر القاضي عياض رحمه الله مذهبهم في هذه الأمور ولكن بعبارات وكلمات موجزة دون أن يطيل الكلام في ذلك، ولعل السبب يرجع في ذلك - والله أعلم - إلى وضوحها وشهرتها واتفاق أهل الحق عليها.

المطلب الأول : الإيمان بالحشر والميزان والصراط وبعض الأدلة على ذلك :

أوضح القاضي عياض عند شرحه لمعنى الشهادتين أن الايمان بهذه الأمور من مقتضيات كلمة التوحيد فقال : يجب على العبد أن يعتقد أن الدنيا فانية وأن الخلق يفتنون في قبورهم وينعمون ويعذبون، وأن الله يحشرهم يوم القيامة كما بدأهم يعودون، وأن الحساب حق والميزان حق وأن الصراط حق، وأن الحوض حق وأن الأبرار في الجنة في نعيم والكفار في النار في جحيم[2].

وقد استدل لعقيدة الحشر بعدة نصوص منها :

- قول الله تعالى : ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً** ﴾[3].

- وقوله عز وجل : ﴿ **وعُرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّل مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً** ﴾[4].

- وبقوله ﷺ في حديث ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بموعظة فقال : « يا أيها الناس إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾[5] وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل »[6].

وقد استدل القاضي عياض على وجوب الايمان بالصراط وهو الجسر

---

1) شرح الطحاوية ص ٣٩٤- ٣٩٥.

2) الإعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٧ .

3) سوَرة الكهف آية ٤٧.

4) سورة الكهف آية ٤٨.

5) سورة الأنبياء آية ١٠٤.

6) متفق عليه وقد تقدم ص ٦٤٢.

المنصوب على جهنم بعدة أحاديث منها :

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناساً سألوا النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله، قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله. قال : فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه - الحديث وفيه -ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم(١) فأكون أنا وأمتي أو من يجيز(٢) من الرسل بأمته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلّم سلّم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان(٣). هل رأيتم شوك السعدان : قالوا : نعم يارسول الله، قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قَدْرُ عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم » متفق عليه(٤).

٢ - ومنها حديث أبي هريرة وأبي سعيد في رؤية الله يوم القيامة « ... ثم يُضرب الجسر على جهنم، قيل : يا رسول الله وما الجسر : قال : دَحْضٌ مَزَلّة(٥) فيه خطاطيف وكلاليب وحسك(٦) تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب(٧)

---

١) معناه يمدّ الصراط على جهنم. شرح صحيح مسلم ٢٠/٢.

٢) أي أول من يمضي عليه ويقطعه. المرجع السابق.

٣) أما الكلاليب فجمع كلوب وهي حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور، وأما السعدان فهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب. المرجع السابق ٢١/٢.

٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ٤٥٣/١١ برقم : ٦٥٧٣، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ ٤٣٠/١٣ برقم : ٧٤٣٧، ومسلم في كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية ١٦٤/١ برقم : ١٨٢.

٥) أي زلق تزل فيه الأقدام ولا تستقر، ومنه دحضت الشمس إذا مالت، وحجة داحضة أي لا ثبات لها. فتح الباري ٤٣٨/١٣، وشرح صحيح مسلم ٢٩/٢.

٦) الخطاطيف جمع خُطاف بضم الخاء للفرد وهي مثل الكلاليب، والحسك شوك صلب من حديد. شرح صحيح مسلم ٢٩/٢.

٧) من إضافة الصفة للموصوف والأجاويد جمع أجواد وهو جمع جواد وهو الجيد الجري من المطي، والركاب أي الابل واحدتها راحلة من غير لفظها فهو عطف على الخيل، والخيل جمع الفرس من غير لفظه. المرجع السابق ٢٩/٢- ٣٠.

فناج مسلّم ومخدوش مُرسل ومكدوس في نار جهنم(١)) متفق عليه(٢). إلى غير ذلك من الأحاديث.

قال القاضي عقب ذكره للحديث الأول : (وفيه صحة أمر الصراط والإيمان به، والسلف مجمعون على حمله على ظاهره دون تأويل، وهو الجسر كما جاء في الحديث، ويجوز أن يحدثه الله حينئذ ويجوز أن يكون الله قد خلقه قبل هذا حين خلق جهنم، وهو الذي يمر عليه الخلق)(٣).

وفسّر رحمه الله قول الله تعالى عن النار : ﴿ **وإنْ منكم إلا واردها** ﴾(٤) بقوله : (المراد بذلك المرور على متنها على الصراط، فينجو من سبقت له الحسنى من المؤمنين ويوبق الكافرون ومن أراد الله امتحانه من المؤمنين)(٥).

قلت : ولا شك أن الذي قرره القاضي عياض واستدل عليه من الإيمان بالحشر والصراط أنه هو مذهب السلف الذي أجمعوا عليه. قال الإمام شيخ الإسلام الصابوني مقرراً عقيدة السلف : (ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه ورسوله ﷺ به من أهوال ذلك اليوم الحق واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل، والإجابة عن المسائل الى سائر الزلائل والبلايا الموعودة في ذلك اليوم العظيم والمقام الهائل من الصراط والميزان ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير وغيرها)(٦).

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله مقرراً هذه العقيدة (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتب والثواب والعقاب والصراط والميزان)(٧).

---

١) معناه أنهم ثلاثة أقسام قسم يسلم فلا يناله شئ أصلاً، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص ، وقسم يكردس أي يلقى فيسقط في جهنم، وتكدّس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط. المرجع السابق ٣٠/٢.

٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم ٤٥٣/١١ برقم :٦٥٧٣، ومسلم في كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية ١٦٩/١ برقم : ١٨٣.

٣) إكمال المعلم ٨٣٩/٣، ٥٧/٦.

٤) سورة مريم آية ٧١.

٥) إكمال المعلم ٣٥/٦.

٦) عقيدة السلف أصحاب الحديث ٦٠- ٦١.

٧) شرح الطحاوية ص ٣٩٦.

ولا شك أيضاً أن اختيار القاضي لمعنى الورود المذكور في قوله تعال : **﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾**(١) هو المذهب الراجح عند جماهير المفسرين وأئمة السلف(٢)، وهو ما تؤيده النصوص والدلائل الكثيرة كحديث حفصة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة. فقالت حفصة : يا رسول الله أليس الله يقول : **﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾** ؟ فقال : ألم تسمعيه قال : **﴿ ثم نُنَجّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جِثِياً ﴾**(٣) »(٤)، فقد أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه ، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه يقال نجاه الله منهم، وكذلك حال الواردين في النار يمرّون فوقها على الصراط ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بين ﷺ في هذا الحديث أن الورود هو الورود على الصراط(٥).

نسأل الله أن ينجينا من غضبه وعذابه في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني : الإيمان بالحوض وبعض الأدلة عليه :

قال القاضي عياض رحمه الله مقرراً وملخصاً عقيدة الايمان بحوض النبي ﷺ (الحوض صحيح والايمان به واجب والتصديق به من الايمان، وهو على وجهه عند أهل السنة والجماعة لا يُتأوّل ولا يحال عن ظاهره خلافاً لمن لم يقل من المبتدعة المحرفين له بالتأويل عن ظاهره، وأحاديث الحوض ثابتة، بل متواترة النقل رواها جماعة من الصحابة وذكرها مسلم وغيره، وقد ورد في وصفه أنه مسيرة شهر(٦) وزواياه (يعني أركانه) سواء(٧) وماؤه أبيض من

---

١) سورة مريم آية ٧١.

٢) انظر تفسير الطبري ١٠/١٦، وزاد المسير ٢٥٦/٥، وتفسير القرطبي ١٣٦/١١، وتفسير ابن كثير ١٣١/٣، ١٣٤، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٧٩/٤، وشرح الطحاوية ص ٤١١، والتخويف من النار لابن رجب ص ١٧٣ بتحقيق بشير عيوث، ومعارج القبول ١٨٧/٢- ١٩٠.

٣) سورة مريم آية ٧٢.

٤) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة ١٩٤٢/٤ برقم : ٢٤٩٦.

٥) شرح الطحاوية ص ٤١١.

٦) الحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض ٤٧٢/١١ برقم : ٦٥٧٩، ومسلم في كتاب الفضائل باب في إثبات حوض نبينا ﷺ ١٧٩٣/٤ برقم : ٢٢٩٢.

٧) رواه البخاري ومسلم في نفس الكتابين والبابين والحديثين السابقين.

اللبن(١) وريحه أطيب من المسك(٢) وآنيته كعدد نجوم السماء(٣).

وورد في مساحته وعرضه مثل طوله(٤)، وورد عرضه ما بين المدينة وعمان(٥)، وورد عرضه من مقامي (٦) إلى عمان، وفي رواية « قدر حوضي ما بين أيلة(٧) وصنعاء باليمن »(٨)، في رواية « ما بين صنعاء والمدينة »(٩)، وهذه الروايات جاءت مختلفة عن غير واحد من الصحابة سمعوه في مواطن مختلفة ضرب النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته وكبره بما سمح له من العبارة وقرب الأفهام لبعد ما بين البلاد الثابتة البعيد بعضها عن بعض، لا على التقدير المحقق لما بينها بلا إعلام ببعد المسافة وسعة القطر وعظم الحوض، فبهذا تجتمع هذه الألفاظ من جهة المعنى، والله أعلم كما قال في الآنية عددها كنجوم السماء إشارة إلى غاية الكثرة)(١٠).

قلت : لقد اتفق أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بحوض النبي ﷺ وأجمعوا على أنه قد ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ كما صرح بذلك كثير منهم، حيث إنه قد روى أحاديث الحوض جم غفير من الصحابة رضي الله عنهم زاد عددهم على خمسين، قال الإمام الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله : (تواترت الآثار عن النبي ﷺ في الحوض، وقد حمل أهل السنة والحق وهم الجماعة على الإيمان به وتصديقه)(١١).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله (روى حديث الحوض عن النبي ﷺ من الصحابة ما ينيف على الثلاثين منهم في الصحيح ما ينيف على العشرين وفي

---

١) متفق عليه (الحديثان السابقان).

٢) متفق عليه (الحديثان السابقان).

٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض ٤٧٢/١١ برقم : ٦٥٧٩، ومسلم في كتاب الفضائل باب في إثبات حوض نبينا ﷺ ١٨٠٠/٤ برقم : ٣٣٠٣.

٤) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب في إثبات حوض نبينا ﷺ ١٧٩٨/٤ برقم : ٢٣٠٠.

٥) رواه مسلم في كتاب الفضائل باب في إثبات حوض نبينا ﷺ ١٨٠١/٤ برقم : ٣٣٠٣ مكرر.

٦) رواه مسلم في الكتاب والباب السابقين ١٧٩٩/٤ برقم : ٢٣٠١.

٧) أيلة مدينة على ساحل البحر الاحمر معجم البلدان ٢٩٢/١. قلت : وهي تعرف اليوم بالعقبة.

٨) رواه البخاري في الرقائق باب في الحوض ٤٧٢/١١ برقم : ٦٥٨٠، ومسلم في كتاب الفضائل باب في إثبات حوض نبينا ﷺ ١٨٠٠/٤ برقم : ٣٣٠٣.

٩) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض ٤٧٣/١١ برقم : ٦٥٩١، ومسلم في كتاب الفضائل باب في إثبات حوض نبينا ﷺ ٣٠٣٣/٤ مكرر.

١٠) إكمال المعلم ٢٢٣/٥، وشرح صحيح مسلم ٥٣/١٥.

١١) التمهيد لابن عبدالبر ٣٠٩/٢.

غيرهما بقية ذلك مما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلمّ جرّاً، وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة وأحالوه على ظاهره وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهره وحقيقته، ولا حاجة تدعو إلى تأويله، فخرق من حرّفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف)(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن نص على تواتر أحاديث الحوض (وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين من الصحابة)(٢).
قلت : فوضح أنه لا حجة لمنكر الحوض أو متأوله بعد ما ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ وبإجماع السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم بإحسان، فإن من لم يقتنع بذلك فلن يجدي معه جدال أو نقاش.

أما فيما يتعلق باختلاف الروايات حول طوله وعرضه، فعلى المرء المسلم أن يعتقد أنه لا اختلاف ولا تعارض بين النصوص الواردة في ذلك كما أشار الى ذلك القاضي عياض آنفاً، لأن النبي ﷺ أخبر بحديث الحوض مرات عديدة وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً كل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، ومقصوده ﷺ - والله أعلم - أن يعلمنا بأن حوضه كبير متسع الجوانب والزوايا، أو أنه ﷺ أخبر بالمسافة اليسيرة ثم أعلمه الله بالمسافة الطويلة فأخبر بها، كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شئ فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة، أو يمكن أن تحمل المسافة البعيدة في الأحاديث المتقدمة على طول الحوض والمسافة القصيرة على عرضه، أو أن ذلك يختلف باختلاف السير البطئ كسير الأثقال والسير السريع وهو سير الراكب (٣)، لأن كل هذه المسافات قد ثبتت بالأحاديث الصحيحة فلا تعارض بينها لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى.

---

١) فتح الباري ٤٧٥/١١.
٢) المرجع السابق ٤٧٧/١١.
٣) انظر التذكرة ص ٣٠٤، وشرح صحيح مسلم ٥٨/١٥، وفتح الباري ٤٨٠/١١.

المبحث الخامس: الإيمان بالشفاعة وأنواعها.

المطلب الأول : تقرير القاضي عياض للشفاعة :

من عقيدة أهل السنة والجماعة التي يجب الايقان بها الايمان بشفاعة النبي ﷺ وإخوانه النبيين ومن يأذن الله له يوم القيامة، كما تواترت بذلك النصوص من الكتاب والسنة.

وقد قرر القاضي عياض رحمه الله مذهب أهل السنة والجماعة في الشفاعة ولم يخالف إلا في نوع واحد، فأثبت للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين الشفاعة مبيناً أنواعها التي تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة عليها، فقد قال رحمه الله : (مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً وتحققها سمعاً بصريح قوله تعالى : ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذِن له الرحمن ورضي له قولاً** ﴾(١) ، وقوله : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾(٢)، وأمثالهما، وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحتها في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها، ومنعت الخوارج والمعتزلة منها، وتأولت الأحاديث الواردة فيها، واعتصموا بمذاهبهم في تخليد المؤمنين في النار محتجين بقوله تعالى ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾(٣) وقوله ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع** ﴾(٤) . وهذه الآيات في الكفار ، أما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات وإجزال الثواب فباطل، وألفاظ الأحاديث صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استجوب النار)(٥).

وقال رحمه الله أيضاً : (يجب على العبد أن يعتقد أن الله تعالى يعذّب بالنار من يشاء من أهل الكبائر من المؤمنين ويغفر لمن يشاء، ويخرجهم من النار إلى الجنة بفضل رحمته وشفاعة الأنبياء والصالحين من عباده حتى لا يبقى في جهنم إلا الكافرون ﴿ **إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك**

---

١) سورة طه آية ١٠٩.

٢) سوْرة الأنبياء آية ٢٨.

٣) سورة المدثر آية ٤٨.

٤) سورة غافر آية ١٨.

٥) إكمال المعلم ٨٦٢/٣، وشرح صحيح مسلم ٣٥/٣.

لمن يشاء﴾(١))(٢).

قلت : الإيمان بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة وغيره ممن يأذن الله بذلك أمر متفق عليه بين جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين، لورود ذلك في القرآن ولتواتر الأحاديث عن النبي ﷺ الدالة على هذا الأمر حيث يشفع النبي ﷺ لأهل الموقف بإذن الله لحساب العباد، ويشفع بزيادة درجات المؤمنين، ويخرج الله آخرين بشفاعة غيره، ويخرج قوماً بلا شفاعة حتى لا يبقى في النار إلا الكافرون. وقد حكى هذا الإجماع على هذا الأمر غير واحد من أئمة السلف(٣).

وقد خالف أهل البدع من الخوارج والمعتزلة وغيرهم في هذا الأمر فقالوا : من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها بناء على أصلهم الفاسد أن مرتكب الكبيرة الذي مات عليها مخلد في النار فلا يغفر الله له، وحملوا الآيات التي تنفي الشفاعة في الآخرة والواردة بحق الكافرين وأجروها على أهل الكبائر من المؤمنين، وأوّلوا الأحاديث الواردة بإخراج عصاة المؤمنين من النار، وقالوا : بأنها أخبار آحاد فلا يصح الاحتجاج بها(٤).

وهذان الأصلان معلوم فسادهما وبطلانهما بأدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف وهي أشهر من أن تذكر، ولا شك أن من تجرأ على إسقاط الاحتجاج بالأحاديث المتواترة أو الصحيحة ولم يرفع بها رأساً كان الرد عليه بلا جدوى. نعوذ بالله من غضبه.

---

١) سورة النساء آية ١١٦.

٢) الإعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٧.

٣) انظر الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص ٢٤١- ٢٤٣، والشرح والإبانة لابن بطة ص ٢٢٩- ٢٣١، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٦١، والشريعة للآجري ص ٣٣٨- ٣٥١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١٤٨- ١٤٩، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ١٩٢، وغير ذلك.

٤) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار المعتزلي ص ٦٨٧- ٦٩٠، ودراسات إسلامية في الأصول الإباضية لبكير بن سعيد أعوشت الإباضي الجزائري ص ٧٨- ٨٤.

المطلب الثاني : أنواع الشفاعة ومناقشة القاضي عياض فيما خالف فيه أهل السنة :

أ - الأنواع التي وافق فيها القاضي عياض أهل السنة :

ذكر علماء أهل السنة أن الشفاعة يوم القيامة ثمانية أنواع، منها ما هو خاص بالنبي ﷺ ومنها ما هو مشترك بينه وبين غيره(١). وقد ذكر القاضي عياض خمسة منها فقال : (الشفاعة بمجموعها خمسة أقسام :

أولها : مختصة بنبينا محمد ﷺ وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

ثانيها : في إدخال قوم الجنة دون حساب.

ثالثها : قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله أن يشفع.

رابعها : فيمن دخل النار من المؤمنين، فقد جاء في مجموع الأحاديث إخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ وغيره من الأنبياء وإخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله من قال : لا إله إلا الله حتى لا يبقى إلا الكافرون.

خامسها : هي زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وهذه لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة الحشر الأول)(٢).

قلت : القسم السادس : شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع لهم في دخول الجنة.

والقسم السابع : شفاعته ﷺ في دخول أهل الجنة الجنة بعد الفراغ من الحساب.

والقسم الثامن : شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.

والشفاعة التي اختص بها ﷺ هي النوع الأول وهي : الشفاعة العظمى التي يغبطه عليها الأولون والآخرون، والنوع السابع والنوع الثامن.

---

(١) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٥٨٨/٢، والشريعة للآجري ص ٣٣٨- ٣٥١، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ٢٠٢/٢- ٢٤٨، وشرح الطحاوية ص ١٩٢- ٢٠٠، وفتح الباري ١١/ ٤٣٥- ٤٣٦، ولوامع الأنوار البهية ٢١١/٢، وشرح الواسطية للفوزان ص ١٥٧- ١٥٨، وغير ذلك.

(٢) إكمال المعلم ٨٦٢/٣- ٨٦٣، وشرح صحيح مسلم ٣٥/٣- ٣٦.

ب - نفي القاضي عياض لشفاعته ﷺ لعمه أبي طالب ومناقشته في هذا الأمر :

لقد خالف القاضي عياض رحمه الله في شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب ونفى ذلك وأجاب عن الأحاديث الدالة على هذا الأمر والتي وردت في صحيح مسلم كحديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك(١) ويغضب لك ؟ قال : « نعم هو في ضحضاح(٢) ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار »(٣). وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه »(٤)، إلى غير ذلك من الأحاديث.

وقد أجاب القاضي عياض عن هذه الأحاديث وأوّلها بقوله : (ليس فيها نص على أن النبي ﷺ شفع له، وإنما أخبر ﷺ أنه نفعه قربه منه وذبّه عنه وليس معنى أنه جوزي على ذلك وعوّض عنه بتخفيف العذاب خلافاً لمن قال هذا من الشارحين - يعني لصحيح مسلم - للإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يُثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب لكنهم بإضافة بعضهم للكفر وكبائر المعاصي وأعمال الشر وأذى المؤمنين وقتل الأنبياء والصالحين يزدادون عذاباً وكذلك الكافر يعذب بكفره ثم يزداد لعظيم إجرامه وإفساده في الأرض وعتوه فذاك يعذب أشد العذاب ومن لم يكن بهذه السبيل عذّب بقدر كفره فكان أخف عذاباً ممن عذّب أشد العذاب، فليس عذاب أبي طالب كعذاب أبي جهل وإن اجتمعا في الكفر)(٥).

والحق أن رأي القاضي عياض رحمه الله الآنف الذكر والذي قال به بعض العلماء أيضاً هو قول مرجوح غير صحيح، بل الصحيح الذي عليه جماهير أهل السنة هو إثبات هذه الشفاعة كسائر الشفاعات، ولا معنى لإنكار ذلك أو تأويله لثبوت الرواية به مع التصريح منه ﷺ بالشفاعة لأبي طالب - كما سبق في الحديث الذي تقدم - ولا تعارض بين هذا الحديث وغيره مما جاء في حق

---

١) أي يصونك ويحفظك ويذب عنك. شرح صحيح مسلم ٨٤/٣.

٢) هوَ : ما رق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين واستعير في النار. المرجع السابق.

٣) رواه مسلم في كتاب الايمان باب شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب ١٩٥/١ برقم : ٢٠٩.

٤) المرجع السابق برقم : ٢١٠.

٥) إكمال المعلم ٩١٤/٣- ٩١٥، ومنهاج العوارف ص ١٦٢.

أبي طالب وبين قوله تعالى في الكافرين ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾[1] لأن الشفاعة المنفية في حق الكفار عامة مخصصة بأحاديث تخفيف العذاب عن أبي طالب، وهذا من خصائص النبي ﷺ، ولأن معنى المنفعة في الآية غير المنفعة في الأحاديث الواردة في أبي طالب، فالمراد بها في الآية الإخراج أو النجاة من النار بخلاف شفاعته ﷺ لأبي طالب فليس المراد بذلك إخراجه ولا نجاته بل بتخفيف العذاب عنه بسبب نصرته للنبي ﷺ والذب عنه[2].

المبحث السادس : الإيمان بالجنة والنار وأنهما موجودتان مخلوقتان لا تفنيان.

المطلب الأول : مذهب أهل السنة في ذلك وتقرير القاضي عياض له :

من أصول الايمان بالله واليوم الآخر الايمان بوجود الجنة والنار وأنهما موجودتان معدتان وأنهما لا تفنيان، وقد أعد الله الجنة لأوليائه المتقين ورزقهم فيها كل ما لذ وطاب من صنوف البهجة والسرور والنعيم، وأعد الله سبحانه النار لأعدائه الكافرين، لهم فيها من صنوف العذاب والحسرة والندم ما الله به عليم.

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على هذا الأمر وأجمع عليه المسلمون سلفاً وخلفاً ولم يخالف فيه إلا شرذمة من المبتدعة الضالين[3]، وهم الجهمية وطائفة من المعتزلة حيث أنكروا ذلك قائلين : إن خلق الجنة والنار ووجودهما الآن عبث لا فائدة فيه والله تعالى منزه عن ذلك وزعموا أن الله ينشؤهما يوم القيامة، قال شارح الطحاوية : (وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي أن يفعل كذا !! وقاسوه على خلقه في أفعالهم وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مُدَداً متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا

---

1) سورة المدثر آية ٤٨.

2) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤٤/١- ٤٥، وفتح الباري ٤٣٤/١١- ٤٣٦، وشرح الطحاوية ص ١٩٧.

3) انظر مقالات الاسلاميين ١٦٨/٢، والشريعة للآجري ص ٣٨٧، وعقيد السلف أصحاب الحديث ص ٦٦، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني ٤٧١/١- ٤٧٥، ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٠٧/١٨، وزاد المعاد لابن القيم ٦٦/١- ٦٨ بتحقيق الأرناؤوط، وشرح الطحاوية ص ٤١٦، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني ٣٢٠/٢، وغيرها.

وبدّعوا من خالف شريعتهم)(١).

وقال القاضي عياض رحمه الله : (على العبد أن يعتقد أن الجنة والنار حق وأنهما موجودتان لأهل الشقاء والسعادة معدتان وأنهما مخلوقتان على ما ذهب إليه أهل السنة والحديث، وأن الجنة في السماء أو فوقها وجهتها على ما جاءت به ظواهر الأحاديث وأن العرش سقفها، وأنها هي التي أهبط منها آدم، وهي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة نعيماً حقيقياً حسياً ومعنوياً دائماً لا نهاية له هذا هو مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة وطوائف من المبتدعة الذين قالوا بأنها لم توجد وأن الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام غيرها وظاهر القرآن والسنة يدل على مذهب أهل السنة)(٢).

قلت : ما قرره القاضي عياض هو الحق الموافق لمذهب أهل السنة وإليك طرفاً من الأدلة والنصوص الدالة على ذلك.

المطلب الثاني : بعض النصوص الدالة على وجود الجنة والنار وبقائهما :

النصوص الواردة الدالة على خلق الجنة والنار وأبديتهما أكثر من أن تحصى وتحصر، وسأورد طرفاً منها على سبيل الإجمال :

أ - فمما يدل على خلق الجنة والنار ووجودهما الآن من الكتاب الكريم :

١ - قوله تعالى : ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكُلا منها رغداً حيث شئتما** ﴾(٣).

٢ - وقوله عز وجل : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾(٤).

٣ - وقوله سبحانه متحدثاً عن صعود النبي ﷺ في المعراج إلى السموات العلى : ﴿ **ولقد رآه نَزْلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى** ﴾(٥).

٤ - وقوله عز وجل : ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها**

---

١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٦.

٢) الإعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٧، وإكمال المعلم ٣/٧٤٤، ٥/١١٣، ٦/ ٦٣، ١٠٧، وشرح صحيح مسلم ١٦/٢٠٠.

٣) سورة البقرة آية ٣٥.

٤) سورة آل عمران آية ١٣٣.

٥) سورة النجم آية ١٣- ١٥.

كعرض السماء والأرض أعدّت للذين آمنوا بالله ورسله ﴾(١).

٥ - وقال جلّ شأنه عن النار : ﴿ **فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾**(٢).

٦ - وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً ﴾**(٣).

٧ - وقال عز من قائل : ﴿ **ويُعَذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظنّ السّوْء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾**(٤).

ومن أدلة السنة النبوية المطهرة :

١ - ما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة »(٥).

٢ - وما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً في قصة خسوف الشمس وفيه : « لقد رأيت في مقامي هذا كل شئ وعدته، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني جعلت أتقدم ورأيت جهنم يَحطِم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت ... » الحديث متفق عليه(٦).

٣ - وقال ﷺ فيما رواه البخاري وغيره : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء »(٧).

٤ - وقال ﷺ : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس

---

١) سورة الحديد آية ٢١.

٢) سورة البقرة آية ٢٤.

٣) سورة الفرقان آية ١١.

٤) سورة الفتح آية ٦.

٥) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب الميت يعرض عليه مقعده ٢٨٦/٣ برقم : ١٣٧٩، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ٢١٩٩/٤، برقم : ٢٨٦٦.

٦) رواه البخاري في كتاب العمل في الصلاة باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة ٩٨/٣ برقم : ١٢١٢، ومسلم في كتاب الكسوف باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف ٦٢٢/٢ برقم : ٩٠٤.

٧) رواه البخاري في عدة مواضع منها كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة ٣٩٩/٦ برقم : ٣٢٤١، والترمذي في كتاب صفة جهنم باب ما جاء أن أكثر أهل النار النساء ٦١٧/٤ برقم : ٢٦٠٢.

فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة »(١). إلى غير ذلك من النصوص.

ورحم الله الإمام الآجري حيث يقول: (اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القرآن شاهد أن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام، وخلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا لا يختلف في هذا من شمله الإسلام وذاق حلاوة طعم الايمان، دل على ذلك القرآن والسنة فنعوذ بالله ممن كذب بهذا) ثم ساق نصوصاً كثيرة من الكتاب والسنة برهاناً على هذا (٢).

ب - ومما يدل على بقاء الجنة والنار وأبديتهما من نصوص القرآن الكريم قوله تعالى في الجنة وأهلها :

١ - **﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سنُدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة ونُدخلهم ظلاً ظليلاً ﴾**(٣).

٢ - وقوله **﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾**(٤).

٣ - وقوله **﴿ مَثَل الجنة التي وُعِدَ المتقون تجري من تحتها الأنهار أُكُلُها دائم وظِلّها تلك عُقبى الذين اتقوا وعُقبى الكافرين النار ﴾**(٥).

٤ - وقوله عز وجل **﴿ ونَزَعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سُرُرٍ متقابلين * لا يَمَسّهم فيها نَصَبٌ وما هم منها بمُخرَجين ﴾**(٦).

وقال سبحانه في أهل النار :

١ - **﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يَكن الله ليغفر لهم ولا ليَهديَهم طريقاً * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً ﴾**(٧).

٢ - وقال تعالى : **﴿ إن الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيراً * خالدين**

---

١) رواه البخاري وقد تقدم تخريجه ص ٣٣٥.

٢) الشريعة ص ٣٨٧ وما بعدها.

٣) سورة النساء آية ٥٧.

٤) سورة التوبة آية ١٠٠.

٥) سروة الرعد آية ٣٥.

٦) سورة الحجر آية ٤٧- ٤٨.

٧) سورة النساء آية ١٦٨- ١٦٩.

فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً ﴾(١).

٣ - وقال عز وجل : **﴿ وقال الذين اتّبعوا لو أن لنا كرّةً فنتبرأ منهم كما تبرّؤا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾**(٢).

إلى غير ذلك من الآيات. وحسبك أن الله سبحانه سماها دار الخلد فقال عز وجل : **﴿ ذلك جزاء أعداء الله النارُ لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يَجحدون ﴾**(٣).

ومن أدلة السنة المطهرة :

١ - ما رواه الشيخان من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال : « يُدخل الله أهل الجنة الجنة ويُدخل أهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، كلٌ خالد فيما هو فيه »(٤).

٢ - وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيئ بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم »(٥).

٣ - وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإنّ لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً فذلك قوله عز وجل : **﴿ ونُودوا أن تِلكمُ الجنة**

---

١) سورة الأحزاب آية ٦٥- ٦٦.

٢) سورة البقرة آية ١٦٧.

٣) سورة فصلت آية ٢٨.

٤) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ٤١٤/١١ برقم : ٦٥٤٤، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون ٢١٨٩/٤ برقم : ٢٨٥٠، واللفظ له.

٥) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار ٤٢٣/١١ برقم : ٦٥٤٨، ومسلم في كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٩/٤ برقم : ٢٥٨٠ مكرر.

أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾[1] »[2].

٤ - وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس عن النبي ﷺ وفيه: « ثم أشفع فيُحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - قال الراوي: فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال - فأقول: يا رب ما بقي في النار إلى من حبسه القرآن - أي وجب عليه الخلود - » متفق عليه[3]، قال البخاري رحمه الله (إلا من حبسه القرآن) يعني: قول الله تعالى ﴿ **خالدين فيها** ﴾[4]. إلى غير ذلك من النصوص.

ج - ومن كلام أئمة السلف في خلق الجنة والنار وأبديتهما :

- قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (وقد خلقت النار وما فيها وخلقت الجنة وما فيها خلقهما الله عز وجل ثم خلق الخلق لهما لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً، فإن احتج مبتدع بقوله تعالى: ﴿ **كل شئ هالك إلا وجهه** ﴾[5] ونحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شيء مما كتب الله عز وجل عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقهما الله للبقاء لا للفناء وهما من الآخرة لا من الدنيا)[6].

- وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله مبيناً عقيدة أهل السنة: (والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان)[7].

- وقال الإمام الأشعري رحمه الله: (أجمع أهل الإسلام جميعاً إلا الجهم أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له وكذلك عذاب الكفار بالنار)[8].

- وقال شيخ الإسلام الصابوني رحمه الله مبيناً عقيدة السلف أصحاب الحديث: (ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما باقيتان لا تفنيان أبداً وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً وكذلك أهل النار

---

١) سورة الأعراف آية ٤٣.

٢) رواه مسلم في كتاب الجنة باب دوام نعيم أهل الجنة ٢١٨٢/٤ برقم: ٢٨٣٧، وأحمد ٣١٩/٢، ٣٨/٣، ٩٥، والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة الزمر ٣٤٩/٥ برقم: ٣٢٤٦.

٣) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة البقرة باب قول الله ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ ١٠/٨ برقم: ٤٤٧٦، ومسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة ١٨٠/١ برقم: ١٩٣.

٤) فتح الباري ١٨٠/١.

٥) سورة القصص آية ٨٨.

٦) كتاب السنة للإمام أحمد ص ٤٧ ضمن شذرات البلاتين من كلمات سلفنا الصالحين - مطبعة السنة المحمدية بمصر - ١٣٧٥ هـ.

٧) شرح الطحاوية ص ٤١٦.

٨) مقالات الإسلاميين ١٦٧/٢.

الذين هم أهلها خلقوا لها لا يخرجون منها أبداً)[١].

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها)[٢].

المطلب الثالث : الجواب عما يتوهم من فناء الجنة والنار من بعض الآيات وعما ينسب لبعض السلف في ذلك :

وردت بعض الآيات توهّم بسببها من أعمى الله قلبه بأن الجنة والنار تفنيان. من ذلك :

- قوله سبحانه في الجنة : ﴿ **وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ** ﴾[٣].

- وقوله تعالى في النار : ﴿ **قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم** ﴾[٤].

- وقوله عز وجل أيضاً في النار : ﴿ **فأمّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعّال لما يريد** ﴾[٥].

وقد أجاب علماء أهل السنة عن هذا الاستثناء بأجوبة منها :

- أن الاستثناء منقطع وهو ما رجحه كثير من العلماء منهم القاضي عياض[٦] فـ (إلا) بمعنى (لكن) والمعنى : لكن شاء وفعل.

- وقيل في الاستثناء الوارد بشأن النار : متوجه إلى أهل التوحيد فإنهم بعض من شمله المستثنى منه، وقيل : إلا مدة مكثهم في الموقف.

- وقيل : هو استثناء الرب ولا يفعله، كما تقول : والله لأضربنك إلا أن أرى

---

١) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٦٦.

٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٠٧/١٨.

٣) سورة هود آية ١٠٨.

٤) سورة الأنعام آية ١٢٨.

٥) سورة هود آية ١٠٦- ١٠٧.

٦) انظر تفسير ابن جرير ١١٧/١٢- ١١٩، وتفسير القرطبي ٩٩/٩- ١٠٢، ومنهاج العوارف ص ١١١، وشرح الطحاوية ص ٤٣١.

غير ذلك، وأنت لا تراه بل تجزم بضربه.

- وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله لا يخرجون عن مشيئته ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿ **ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً** ﴾(١).

- وقيل: الاستثناء من المتشابه وقد أكد خلود أهل الجنة والنار بالتأبيد في كثير من القرآن كما سبق ذكر بعضه، وقيل غير ذلك(٢).

وأما ما نسب إلى النبي ﷺ من أحاديث يفهم منها أن النار تفنى، وكذا ما نسب إلى بعض السلف من الصحابة كعمر وابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين وغيرهم من السلف فكل ذلك لا يصح، فالأحاديث الواردة في هذا الشأن موضوعة، والآثار الواردة أيضاً موضوعة أو ضعيفة وعلى فرض صحتها فهي محمولة على خروج الموحدين من النار كما وضح ذلك العلماء ومنهم القاضي عياض(٣) بما لا مجال لذكره ههنا.

أما ما نسب إلى الإمامين الجليلين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله من أنهما يقولان بفناء النار فهو اتهام باطل روّجه المغرضون والحسّاد فهما يقولان بأبدية الجنة والنار. وقد سبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في حكايته إجماع أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان أبديتان لا تفنيان وبيانه أن هذا القول باطل لمخالفته الكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل إنه رحمه الله قد ألّف كتاباً في الرد على من قال بفناء الجنة والنار كما حكى عنه أحد تلامذته(٤)، وكُتب شيخ الإسلام المتداولة طافحة بالرد على هذه التهمة وبيان زيفها فهو رحمه الله ينكر هذه المقولة ويبدّع قائلها ومذهبه هو مذهب السلف في ذلك، ومن أراد التوسّع والتأكد من ذلك

---

١) سورة الإسراء آية ٨٦.

٢) انظر حكاية هذه الأقوال في تفسير الطبري ١١٧/١٢- ١١٩، وزاد المسير لابن الجوزي ١٦٠/٤- ١٦١، وتفسير القرطبي ٩٩/٩- ١٠٢، وشرح الطحاوية ص ٤٣١- ٤٣٢، وفتح القدير للشوكاني ٥٢٥/٢.

٣) انظر منهاج العوارف للقاضي عياض ص ١١١، ورفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصّنعاني بتحقيق الألباني ص ٦٧- ٨٢، وتفسير البغوي ٤٠٣/٢، وفتح الباري ٤٢٢/١١، وكشف الأستار لإبطال إدعاء فناء النار للدكتور علي الحربي ص ٣١، وغيرها.

٤) قد حكى ذلك الحافظ ابن عبدالهادي رحمه الله في كتابه العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٩ وذلك أثناء سرده لمؤلفات شيخه ابن تيمية.

فليراجع مصنفاته(١)، وكذلك تلميذه ابن القيم صرّح بدوام النار في كثير من مؤلفاته(٢)، فقد قال رحمه الله حاكياً مذهب أهل السنة وراداً على أهل البدع في هذا الأمر: (وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه ﴾(٣) وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له: كل شئ مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك، وهما في الآخرة لا في الدنيا)(٤).

فهذا النص وغيره كثير يدل على أنه رحمه الله يقول بدوام النار وخلود الكفار فيها وهذا هو الأولى بأن ينسب إليه، وإلى شيخه ابن تيمية رحمهما الله لا أن يفترى عليهما خاصة وأن هذا الأمر قد وقع الاتفاق عليه عند أهل السنة وتضافرت النصوص من الكتاب والسنة عليه - كما سبق ذكره - وهذان الإمامان من أشد الناس تمسكاً بمذهب السلف والدعاة إليه.

وقد حقق كثير من الباحثين هذه المسألة(٥) وأثبتوا بالأدلة القوية اتفاق هذين الإمامين على القول بأبدية النار بما لا مجال للتوسع فيه ههنا.

---

١) انظر على سبيل المثال: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤٠٣/٣، ٣٨٠/٨، ٤٥/١٢، ٣٤٨/١٤، ودرء تعارض العقل والنقل ٣٨/١، ٣٠٤، ١٥٧/٣- ١٥٨، ٣٤٥/٨، وبيان تلبيس الجهمية ١٥٢/١- ١٥٧، وغيرها.

٢) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٩١- ط المكتبة السلفية، وطريق الهجرتين ص ٢٥٤- ٢٥٥ بتحقيق عبدالله الانصاري، وزاد المعاد ٦٦/١- ٦٨ بتحقيق الارناؤوط، والوابل الصيب ص ٣٢ بتحقيق مصطفى العدوي وغيرها.

٣) سورة القصص آية ٨٨.

٤) حادي الأرواح لابن القيم ص ٧٩- ٨٠ بتحقيق يوسف بدوي ومستو.

٥) من هؤلاء د. علي بن جابر الحربي اليماني في كتبه كشف الأستار لإبطال إدعاء فناء النار المنسوب لشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - ط دار طيبة بمكة، وخليل عثمان السبيعي في مقدمته لكتاب توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين لمرعي يوسف الحنبلي ص ١٥- ٣٠ - ط دار طيبة بالرياض، والدكتور بكر أبو زيد في كتابه ابن قيم الجوزية وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف ص ٥٦٧- ٥٧٥- ط مؤسسة مكة للطباعة والنشر، والدكتور علي ناصر فقيهي والدكتور أحمد عطية الغامدي في مقدمتهما لكتاب الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ١٢/١- ٢٠ - ط الجامعة الإسلامية، وغيرهم.

المطلب الرابع : الجنة فضل ورحمة من الله وليست عوضاً عن العمل :

إن من منهج أهل السنة الجماعة أن الإيمان قول وعمل وأن الأعمال الصالحة سبب في دخول صاحبها الجنة وليست معاوضة عنها كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق لدخول الجنة على ربه بأعماله لا بالتفضل الرباني، وقد حملهم على هذا القول قاعدتهم الباطلة وهي وجوب الثواب على الله لمَن أحسن [1] مستدلين ببعض النصوص كقوله تعالى : ﴿ **جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾[2] في حديثه عز وجل عن أهل الجنة، وكقوله تعالى : ﴿ **ونودوا أن تلْكُمُ الجنة أورِثتموها بما كنتم تعملون** ﴾[3] فقد قال أحد أقطابهم وهو الزمخشري في تفسيره للآية الثانية : (أي بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقوله المبطلة)[4].

ولا شك أن هذا المذهب ظاهر البطلان لمخافته لنصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف.

فقد قال عز وجل ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زَكَى منكم من أحد أبداً ولكنّ الله يُزَكّي من يشاء** ﴾[5]، وقال سبحانه مخبراً عن أهل الجنة ﴿ **وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله** ﴾[6].

وقال إمام المتقين ﷺ : « سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »[7].

وقد نبّه القاضي عياض رحمه الله إلى هذه المسألة فقال : (مذهب أهل الحق أنه لا يستحق أحد بطاعته الثواب لقوله ﷺ « لن يدخل أحد الجنة

---

1) انظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٦١٤- ٦١٥، والكشاف للزمخشري ٥٥٧/١.

2) سورة السجدة آية ١٧، وسورة الاحقاف آية ١٤، وسورة الواقعة آية ٢٤.

3) سورة الاعراف آية ٤٣.

4) الكشاف للزمخشري ١٠٦/٢، ويقصد بقوله (المبطلة) أهل السنة القائلين بأن دخول الجنة فضل ورحمة من الله لا بمحض الأعمال، وهذه التهمة التي أطلقها هي من جملة الاتهامات والافتراءات التي يطلقها أهل البدع على أهل السنة وهذا من شدة حنقهم وغيظهم عليهم لتمسكهم بالحق.

5) سورة النور آية ٢١.

6) سوّرة الاعراف آية ٤٣.

7) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل ٣٠٠/١١ برقم : ٦٤٦٧، ولفظه « لا يدخل أحداً الجنة عمله »، ومسلم في كتاب صفات المنافقين باب لن يدخل الجنة أحد بعمله ٢١٧٠/٤- ٢١٧١ برقم : ٢٨١٦- ٢٨١٨ بألفاظ متقاربة.

بعلمه » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ».

ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾(١) وشبهها من الآيات لأن الحديث يفسر ما أجمل هـهنا كأن معنى ذلك مع رحمة الله وبرحمة الله أو من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعات وإن لم يستحقها بعمله إذ الكل بفضل من الله تعالى، وإنما العمل سبب فقط لدخول الجنة. وقد خالف المعتزلة وقالوا : إن العبد استحق الجنة والنار بعمله على حجة العقل وأنه يحاسب ولا يصح إلا عليها)(٢).

قلت : ما قرره القاضي عياض رحمه الله هو الحق الذي لا يجوز اعتقاد غيره وهو ما أجمع عليه السلف الصالح رحمهم الله. قال الإمام الصابوني رحمه الله حاكياً مذهبهم في ذلك : (ويعتقدون - أي السلف أهل السنة - ويشهدون أن أحداً لا تجب له الجنة وإن كان عمله حسناً وعبادته أخلص العبادات وطاعته أزكى الطاعات وطريقه مرتضى إلا أن يتفضل الله عليه فيوجبها لها بمنّه وفضله، إذ عمل الخير الذي عمله لم يتيسر له إلا بتيسير الله عز اسمه، فلو لم ييسره له لم يتيسر ولو لم يهده لم يهتد له أبداً بجهده وحده)(٣)

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله : (وأما ترتب الجزاء على الأعمال فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية (المعتزلة) وهدى الله أهل السنة وله الحمد والمنّة، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ « لن يدخل الجنة أحد بعمله »(٤) باء العوض وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الجنة على ربه بعمله بل ذلك برحمة الله وفضله، والباء التي في قوله تعالى ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾(٥) وغيرها باء السبب أي : بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته)(٦).

---

١) سورة النحل آية ٣٢.

٢) إكمال المعلم ٦/ ١٠٦- ١٠٩.

٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص ٩٣- ٩٤.

٤) تقدّم تخريجه.

٥) سورة السجدة آية ١٧.

٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٥، وانظر أيضاً مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/ ٧٠- ٧١، وفتح القدير ٢/ ٢٠٦.

المبحث السابع : الإيمان برؤية المؤمنين ربهم عز وجل.

المطلب الأولى : رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة والأدلة على ذلك :

إن أعظم نعمة ينالها المؤمنون في الجنة هي النظر إلى وجه الله الكريم بأبصارهم، وقد ثبت هذا الأمر بالكتاب والسنة وإجماع الأمة من الصحابة والتابعين وجميع أئمة المسلمين المعروفين بالإمامة والدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى أهل السنة كالأشاعرة وغيرهم(١)، ولم يخالف في ذلك سوى الجهمية والخوارج والمعتزلة ومن شابههم من فرق الضلال ممن أعمى الله قلوبهم فردّوا النصوص الصريحة المتواترة في هذا الأمر وأوّلوها على غير المعنى المراد منها بحجة استحالتها ومخالفتها للعقل وقالوا : إن إثبات الرؤية على حقيقتها يترتب عليه أن الله في جهة فتكون هناك مقابلة بين الرائي والمَرئي، ولأنه لو أمكنت رؤية الله لكان جسماً ومتحيزاً في مكان إلى آخر تلك الشبه التي توهموها(٢) ومنعوا بسببها أمراً من أجلّ نِعَم الله على عباده المؤمنين.

أ - موقف القاضي عياض من رؤية الله يوم القيامة ومناقشته في ذلك :

لقد وافق القاضي عياض رحمه الله مذهب السلف في إثبات رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم وردّ على من أوّل ذلك واستدل على هذا الأمر بكثير من نصوص الكتاب والسنة التي سيأتي ذكرها حاكياً إجماع أهل السنة وسلف الأمة على ذلك ولكنه مع ذلك وقع فيما قال به الأشاعرة من أن رؤية الله تكون بالأبصار لا في جهة من الجهات فقد قال غفر الله له : (مذهب أهل السنة بأجمعهم جواز رؤية الله عقلاً(٣) ووجوبها في الأخرة للمؤمنين سمعاً، نطق بذلك الكتاب العزيز، وأجمع عليه سلف الأمة ورواه بضعة عشر من الصحابة بألفاظ مختلفة عن النبي ﷺ خلافاً للمعتزلة والخوارج، إذ نفوا ذلك عقلاً بناء على شروط

---

١) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٥٤٨/٢، والشريعة للآجري ص ٢٥١، وعقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦٥، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني ٢٣٦/٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٣٧/٢، وحادي الأرواح لابن القيم ص ٤٠٢ بتحقيق مستو وبدوي، وشرح الطحاوية ص ١٤٣- ١٤٤، وانظر أيضاً الإنصاف للباقلاني ص ٢٤٠، والاقتصاد للغزالي ص ٤١.

٢) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص ٢٣٣- ٢٧٧، والكشاف للزمخشري ١٥٤/٢، ٦٦٢/٤، ودراسات إسلامية في الأصول الإباضية لاعوشت الاباضي ص ٥٩- ٦٣، وانظر أيضاً شرح الطحاوية ص ١٤٤- ١٤٦ وما بعدها.

٣) يقصد رحمه الله أن الإيمان بذلك واجب شرعاً وهذا مفهوم من خلال كلامه، فهو يرحمه الله ليس ممن يقول بالواجب والأصلح على الله كما هي عقيدة المعتزلة بل يحاربها.

يشترطونها في الرؤية من البنية والمقابلة واتصال الأشعة ، وزوال الموانع في تخليط طويل، وأهل السنة لا يشترطون شيئاً من ذلك سوى وجود المرئي، وإن الرؤية إدراك يخلقها الله للرائي فيرى المرئي لكن بجري العادة تكون على صفات وليست بشروط)(١).

وقال أيضاً : (فإن سأل سائل فقال ما معنى هذه الرؤية ؟ وما الدليل على جوازها ؟ وكيف نرى من تنزه عن المكان والجهة وتعالى عن أن تحده النهايات ؟! فالجواب : أن الرؤية في لسان العرب الذي به التخاطب وعليه التعارف والتناطق لفظ مشترك فيدرك ويراد به الإدارك البصري المتعلق بالمرئيات الذي هو أحد الإدراكات الخمس المتلقاة من طريق الحاسة، وقد يراد به الإدراك العلمي، والمراد في هذا المقام إنما هو حصول شهود بصري يتعلق بالله سبحانه لا في جهة.

وقد أجمع أهل السنة وسلف الأمة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومن بعدهم من علماء الأشعرية بأجمعهم على أن ذلك من مجوّزات العقول متلقاً وقوعه من الشرع المنقول، لكن حدثت طوائف من أهل الضلال قد ارتكبوا في غمرة الجهالات لتمسكهم بعالم الحس فزعموا أن ذلك مستحيل عقلاً بناء على أن من شرط الرؤية المقابلة بين الرائي والمرئي. والأولى بنا الاعتماد في هذه المسألة على الدلائل الشرعية وأما دلالات العقل فمقابلة بدعاوى وشبهات والتخلص منها عسير ... واعلم أن من انتهى إلى عالم الحس ووقف معه ولم يخرقه إلى ما وراءه فهو بالله من الجاهلين فكيف يطمع بالفوز بلذة النظر إلى وجهه الكريم.

واعلم أنك إن لزمك طور الحس وجعلته نهاية المطلوب لزمك قطعاً تكذيب العقل وتكذيب الرسل عليهم السلام في أكثر ما أخبروا عنه من أحوال الآخرة، لأنهم أخبروا أن هناك من أمر الله ما لا يستطيع الحس أن يؤمن به إذ لم يشاهده فقد أخبر ﷺ عن الملائكة وهيآتهم والجنة وما رأى فيها والنار وما رأى فيها أخباراً لا يقدر الحس قط على الايمان بها أصلاً ... وإذ قد علمت أنه سبحانه يرانا من غير جهة ولا مكان فكذلك يُرى سبحانه من غير جهة

---

١) إكمال المعلم ٣/٨٢٢.

ولا مكان)(١).

مناقشة القاضي عياض فيما قال :

قلت : إن موافقة القاضي عياض لمذهب السلف في أن المؤمنين يرون الله في الآخرة بأبصارهم شئ يشكر عليه وهو المذهب الصحيح الذي دلت عليه النصوص وأجمع عليه أهل السنة والجماعة، وقدأجاد رحمه الله في كلامه حيث دعا إلى الإيمان بالنصوص والعمل بها سواء عقلناها أم لم نعقلها، لأننا مأمورون بها لا بما نراه ونحسه بعقولنا وأفهامنا، لأنها قاصرة ومعرضة للخطأ والصواب. ولكنه رحمه الله أخطأ عندما قال تبعاً للأشاعرة(٢) : إنه يمكن رؤية الله تعالى لا في جهة فإن هذا القول قد انفرد به الأشاعرة دون سائر طوائف الأمة، وجمهور العلماء على فساد هذا معلوم بالضرورة فإنه لا تعقل رؤية بدون مقابلة ومن قال يرى لا في جهة فليراجع عقله !! فإما أن يكون مكابراً لعقله أو في عقله شئ، فإن الفطرة السليمة تنكر هذا الأمر، ولهذا ألزم المعتزلة من نفى العلو بالذات بنفي الرؤية وقالوا : كيف تعقل رؤية بلا مقابلة في جهة ؟! وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام الا لمّا وافقوهم على أنه سبحانه لا داخل العالم ولا خارجه، فإن من يكون كذلك ولا يشار إليه يمتنع أن يرى بالعين لأن هذا من باب الوهم والخيال الباطل. فالأشاعرة أحبوا نصر مذهب أهل السنة فقالوا : يرى سبحانه لا في جهة لئلا يثبتوا له تعالى العلو ولكن قولهم هذا لا يتصور وجوده ومع هذا فهم أقرب إلى الحق والعقل من المعتزلة الذين نفوا الرؤية والعلو معاً(٣).

أما قول القاضي عياض : (أنه سبحانه يرانا من غير جهة ولا مكان فكذلك يرى سبحانه من غير جهة ولا مكان) فهو كلام معلوم فساده من جهة كونه أراد به نفي العلو عن الله كما هو مذهبه الذي سبق تقريره عند الحديث عن الأسماء والصفات(٤)، ومعلوم بطلان هذا القول أيضاً لكونه تمثيلاً باطلاً فإن الإنسان يمكن أن يرى بدنه ولا يمكن أن يرى غيره إلا أن يكون بجهة منه، وهو أن يكون أمامه سواء كان عالياً أم سافلاً وقد تخرق له العادة فيرى من خلفه كما كان

---

١) منهاج العوارف ص ١٨، ٢٥، وإكمال المعلم ٦/٢٤.

٢) انظر الإنصاف للباقلاني ص ٢٥٢، والمواقف للإيجي ص ٣٠٠، ٣٠٨، وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ٥٣ بتحقيق أحمد السقا وشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١١٥، وغيرها.

٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٦/٨٤- ٨٧، ومختصر الصواعق لابن القيم ص ٢١٠، وشرح الطحاوية ص ٥١.

٤) راجع ص ٨٦٦.

ﷺ يرى من خلفه، فالناس هم بجهة منه وهم خلفه فكيف تقاس رؤية الرائي لغيره على رؤيته لنفسه ؟! ثم تشبيه رؤيته تعالى برؤيتنا نحن تشبيه باطل فإن بصره يحيط بما رآه بخلاف أبصارنا(١). وهكذا يتضح أن مذهب الأشاعرة الذي اختاره القاضي عياض هو مذهب متناقض غير صحيح ومع ذلك فإثباتهم للرؤية بالأبصار حق وافقوا فيه مذهب السلف، ولكن ادعاءهم أن الرؤية تكون لا في جهة قول مرفوض لمخالفته للعقل والشرع معاً، فهو سبحانه فوق سماواته ويراه المؤمنون ولا يدركونه بأبصارهم . نسأل الله من فضله.

ب - بعض الأدلة على إثبات رؤية الله عز وجل :

لقد استدل القاضي عياض بنصوص كثيرة من الكتاب والسنة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم عز وجل.

بعض الأدلة من الكتاب على إثبات رؤية الله :

١ - قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة** ﴾(٢)، فهذه الآية صريحة الدلالة في أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة لا تقبل التحريف ولا التأويل، قال القاضي عياض : فإن النظر المقرون بـ (إلى) مقيد بظاهره للأبصار فكان حمله عليه أولى إذ هو الأقرب للأفهام.

٢ - وقوله سبحانه : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾(٣) قال القاضي : (وقد صح بالنقل المشهور المستفيض عن النبي ﷺ تفسير هذه الزيادة بأنها النظر إلى الله، وبين المفسرون في تفسير الزيادة غير ذلك، والصحيح في تفسيرها ما ذكرنا)(٤).

قلت : وهو الصحيح الذي لا محيد عنه وبه قال جماهير الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم وغيرهم كثير، ومن التابعين وأتباعهم سعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغيرهم كثير(٥)، وبه قال أئمة المفسرين من السلف(٦).

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/٨٦- ٨٧.

٢) سورة القيامة آية ٢٢- ٢٣.

٣) سورة يونس آية ٢٦.

٤) منهاج العوارف ص ١٨- ١٩.

٥) انظر هذه الأقوال بأسانيدها في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي ٣/٤٥٥- ٤٦٩، وكذلك في الشريعة للآجري ص ٢٥٣- ٢٥٧، وكذلك حادي الأرواح لابن القيم ص ٤٠٦- ٤٠٩.

٦) انظر تفسير ابن جرير ٧/١٠٥-١٠٨، وتفسير البغوي ٢/٣٥١، وتفسير ابن كثير ٢/٤١٤.

٣ - وقوله تعالى حاكياً عن كليمه موسى عليه السلام ﴿ **قال ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربُه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين** ﴾(١).

قال القاضي عياض : (ووجه الدليل في هذه الآية من وجوه :

الأول : أنه عليه السلام سأل الرؤية ولو كانت مستحيلة لذاتها لما طلبها الكليم ﷺ.

الثاني : قوله سبحانه : ﴿ **فإن استقر مكانه** ﴾ يعني الجبل فعلق الرؤية على الإستقرار وهو ممكن، والمعلق على الممكن ممكن بالرؤية الممكنة.

الثالث : قوله تعالى : ﴿ **فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً** ﴾ فلما تجلى للجبل جاز أن يتجلى لغيره.

الرابع : قوله تعالىٰ : ﴿ **فسوف تراني** ﴾ فلما لم يستقر الجبل في الحال انتفى لعدم استقراره بسرعة رؤيته في الدنيا لا أصل رؤيته مطلقاً)(٢).

٤ - ومن الأدلة التي ذكرها القاضي عياض كذلك قوله سبحانه في حق الكافرين ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾(٣) قال القاضي عياض : (أثبت الحجاب للكفار إذلالاً لهم فيلزم نفيه عن أهل التوحيد إعظاماً لهم وامتناناً عليهم)(٤).

قلت : قال الشافعي رحمه الله في هذه الآية : (لما حجب الله الكافرين عن رؤيته في السخط كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا قال : ففي الآية دليل على أن أولياء الله يرون ربهم في الآخرة ولو لم يوقن محمد بن أدريس أنه يرى الله لما عبد الله تعالى)(٥).

قال مالك رحمه الله في تفسير هذه الآية وقد سئل هل يرى المؤمنون ربهم في الآخرة ؟ فأجابه : (لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعيّر الله الكفار

---

١) سورة الأعراف آية ١٤٣.

٢) منهاج العوارف ص ١٨- ١٩.

٣) سورة المطففين آية ١٥.

٤) منهاج العوارف ص ٢٢، وانظر للإستدلال على ذلك الاعتقاد للبيهقي ص ٤٥- ٥٠، وشرح الطحاوية ص ١٤٥- ١٤٨، وغيرها.

٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٦٨/٣- ٤٦٩ برقم : ٨٠٩، والاصبهاني في الحجة في بيان المحجة ٢٤٨/٢، والبيهقي في الاعتقاد ص ٥٣.

بالحجاب وتلا هذه الآية) ومثله روي عن الإمام أحمد رحمه الله(١).

بعض الأدلة من السنة على إثبات رؤية الله :

الأدلة من السنة على رؤية الله عز وجل كثيرة جداً بلغت حدّ التواتر كما صرّح بذلك العلماء ومنهم القاضي عياض(٢). وإليك تلك الأحاديث التي ذكرها أبو الفضل رحمه الله :

١ - حديث أبي هريرة المتفق عليه أن ناساً سألوا النبي ﷺ فقالوا : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تضارون(٣) في رؤية القمر ليلة البدر » ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : « هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب » ؟ قالوا : لا يا رسول الله، قال : « فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ... » الحديث(٤).

٢ - ومن ذلك قوله ﷺ فيما رواه البخاري : « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامّون (٥) في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا »(٦) والمراد من التشبيه في هذين الحديثين وأُمثالهما هو تشبيه الرؤية بالرؤية من حيث الوضوح والحقيقة لا تشبيه المرئي بالمرئي لأنه تعالى ليس كمثله شي(٧).

٣ - وقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما

---

١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣/٤٦٧- ٤٦٨ برقم : ٨٠٨، والشريعة للآجري ص ٢٥٤، وتفسير البغوي ٤/٤٦٠.

٢) انظر منهاج العوارف ص ٢٠، وبيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ١/٣٤٨، ومجموع الفتاوى له ٣/٣٩٠، ١٦/٨٤، وحادي الارواح لابن القيم ص ٤١٦، وتفسير ابن كثير ٤/٤٨٦، وشرح الطحاوية ص ١٥٠، وفتح الباري ١٣/٤٣٦، وغيرهما.

٣) روي (تضارون) بتشديد الراء وتخفيفها والتاء مضمومة فيهما، ومعنى المشدد : أي لا تضرون أحداً ولا يضركم بمنازعة ولا مجادلة ولا مضايقة، ومعنى المخفف مأخوذ من الضير وهو لغة في الضر أي : لا يخالف بعضكم بعضاً فيكذبه وينازعه فيضره بذلك، وقيل المعنى : لا تضايقون أي لا تزاحمون. النهاية ٣/٨٢، وفتح الباري ١١/٤٥٥.

٤) تقدم تخريجه ص٦٥٠.

٥) روي بتشديد الميم وتخفيفها وضم التاء والمعنى بالتشديد : لا تجتمعون لرؤيته في جهة ولا يُضم بعضكم إلى بعض، وبالتخفيف من الضيم ومعناه : لا تظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض فإنكم ترونه في جهتكم كلها. فتح الباري ١٣/٤٣٦.

٦) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ ١٣/٤٢٩- ٤٣٠، وابن أبي عاصم في السنة ١/١٩٥ برقم : ٤٤٦.

٧) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٥/١٠٧، ١٦/٨٤، وفتح الباري ١٣/ ٤٣٧، وشرح الطحاوية ص ٥١.

وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »(١).

٤ - وقوله ﷺ « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيّض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل » ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ »(٢).

٥ - ومن الأحاديث أيضاً قوله ﷺ : « اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم »(٣).

والنصوص في هذا الشأن كثيرة جداً وهي تدل دلالة واضحة صريحة على أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل في الآخرة بأم أعينهم بأبصارهم، وهذه الرؤية ليست إدراكاً له تعالى لأنه سبحانه كما أخبر عن نفسه ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾(٤)، وليس كما زعم النفاة مستدلين بهذه الآية وبغيرها على نفي رؤية الله. والحق كما قال علماء السلف(٥) أن هذه الآية ردّ عليهم لأن الله تعالى قد ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً كمدحه بنفي السِّنة والنوم المتضمن كمال القيومية إلى غير ذلك فهو سبحانه وإن كان يراه المؤمنون لكنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به لأنه أكبر من كل شئ، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشئ وهو قدر زائد على الرؤية، فالله سبحانه لم ينف الرؤية وإنما نفى الإدراك بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها فكيف يدرك ربّ العالمين ؟! تعالى الله عن ذلك، فثبت إذاً أنه تعالى يراه في الآخرة المؤمنون، فلا حجة ولا دليل لمن نفى هذه الرؤية.

---

١) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ ٤٣٣/١٣ برقم : ٧٤٤٤، ومسلم في كتاب الايمان باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ١٦٣/١ برقم : ١٨٠.

٢) رواه مسلم في كتاب الايمان باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ١٦٣/١ برقم : ١٨١، والآية في سورة يونس برقم ١٠.

٣) رواه أحمد ١٩١/٥ عن زيد بن ثابت وابن أبي عاصم في كتاب السنة ١٨٥/١ برقم : ٤٢٤، وقال الالباني فيه : حديث صحيح في تخريجه للسنة.

٤) سورة الانعام آية ١٠٣.

٥) انظر الرد على بشر المريسي للدارمي ص ٥٧- ٥٨، وشرح الطحاوية ص ١٤٦- ١٤٩.

ومن شدة اهتمام علماء السلف بهذا الأمر أفردوها بمؤلفات(1) خاصة مستدلين على ثبوتها بالكتاب والسنة وإجماع السلف رادّين على من تأوّلها أو نفاها، فضلاً عما سطروه في ثنايا كتبهم في هذا الأمر. نسأل الله أن لا يحرمنا لذة النظر إلى وجهه الكريم إنه سميع مجيب.

المطلب الثاني : هل يرى الكافرون ربهم ؟

يقول القاضي عياض رحمه الله (وأما السؤال عن الكفار هل يرون ربهم أم لا ؟ فالذي قطع به المسلمون كافة وانعقد عليه الإجماع قبل حدوث البدع إثباتها للمؤمنين خاصة، وذهب بعض أهل البدع إلى إثباتها للكافرين والمؤمنين عموماً لا خصوصاً، والعلماء كلهم مجمعون على تبديع قائل هذا القول لأنه خرق إجماع السلف)(2).

قلت : لقد صدق القاضي عياض عندما نص على أن السلف أجمعوا على كون رؤية الله خاصة بالمؤمنين حتى حدوث البدع، لكنه أخطأ عندما قال إن العلماء أجمعوا على تبديع قائل هذا القول لخرقه الإجماع، لأن العلماء قد

---

1) من ذلك كتاب فيه ما جاء من الحديث في النظر إلى الله تعالى للإمام الحافظ محمد بن وضاح الأندلسي ت : ٢٨٦ هـ ذكر ذلك الزركلي في الأعلام ١٢٣/٧، ورضا كحالة في معجم المؤلفين ٩٤/١٢.

- وكتاب العمد في الرؤية وكتاب جواز رؤية الله بالأبصار للإمام أبي الحسن الأشعري، قال رحمه الله في الأخير : (نقضنا فيه جميع اعتلالات المعتزلة في نفيها وإنكارها وإبطالها) ذكر الكتابين ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص ١٢٨- ١٢٩، والبغدادي في هدية العارفين ٦٧٧/١.
- وكتاب التصديق بالنظر الى الله تعالى في الآخرة للإمام الآجري المتوفى ٣٦٠ هـ وهو مطبوع متداول.
- وكتاب الرؤية للإمام الحافظ الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة توفي ٣٦٠ هـ ذكره الذهبي في السير ١٢٨/١٦، وابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤٨٦/٦.
- وكتاب رؤية الله جل وعلا للإمام الحافظ الدارقطني توفي ٣٨٥ هـ وهو مطبوع متداول.
- وكتاب رؤية الله للإمام المحدث عبدالرحمن بن عمر المعروف بابن النحّاس توفي ٤١٦ هـ وهو مطبوع.
- وكتاب الرؤية للإمام البيهقي توفي ٤٥٨ هـ ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١٤٢٤/٢، والبغدادي في هدية العارفين ٧٨/١.
- وضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري عز وجل للإمام الحافظ عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة توفي ٦٦٥ هـ وهو مطبوع.
- والبغية في مسألة الرؤية للإمام محمد بن علي الشوكاني توفي ١٢٥٠ هـ ذكره في البدر الطالع ٢٢١/٢، وفتح القدير ٣٤٠/٥، إلى غير ذلك من الكتب.

2) منهاج العوارف ص ٣٢، وانظر إكمال المعلم ٨٢/٣، ٨٣٨- ٨٣٩.

اختلفوا في هذه المسألة كما بيّن العلماء ذلك(١)، فقد جاء شيخ الإسلام رحمه الله وفد من أهل البحرين ذكروا فيه اختلاف علمائهم في هذه القضية وما حدث بينهم من تباغض وفرقة كادت تصل بهم إلى حد التقاتل فكتب إليهم رسالة(٢) ومما جاء فيها : (إن وفدكم حدثونا بأشياء من الفرقة والاختلاف بينكم حتى ذكروا أن الأمر آل الى قريب المقاتلة، وذكروا أن سبب الاختلاف في رؤية الكفار ربهم وما كنا نظن أن الأمر يبلغ بهذه المسألة إلى هذا الحد، فالأمر في ذلك خفيف وإنما المهم الذي يجب على كل مسلم اعتقاده أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة في عرصات القيامة وبعدما يدخلون الجنة على ما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ ... فأما مسألة رؤية الكفار فأول ما انتشر الكلام فيها وتنازع الناس فيها - فيما بلغنا - بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة، وأمسك عن الكلام في هذه المسألة أقوام من العلماء وتكلم فيها آخرون فاختلفوا فيها على ثلاثة أقوال، ومع أني ما علمت أن أولئك المختلفين تلاعنوا ولا تهاجروا فيها، إذ في الفرق الثلاثة قوم فيهم فضل وهم أصحاب سنة، وهي مسألة لا يكفر فيها بالاتفاق، والصحيح أنه لا يضيق فيها ولا يهجر، والأقوال الثلاثة في رؤية الكفار : أحدها : أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسر له، وهذا قول أكثر المتأخرين وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني : أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب وذلك في عرصة القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة.

الثالث : أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول جماعة منتسبون في الأصول إلى الإمام أحمد وسهل بن عبدالله التستري) ثم ذكر رحمه الله أدلة كل فريق بما لا مجال لذكره هنا ورجح القول الأول الذي عليه الجمهور ونبّه إلى أنه لا ينبغي التشاحن والتبديع في هذه المسألة لأن الأمر فيها سهل واسع والواجب هو الايمان برؤية المؤمنين ربهم.

فاتضح إذاً أن قول أبي الفضل إن العلماء أجمعوا على أن الكافرين لا يرون ربهم وعلى أن من قال بذلك فهو مبتدع، كلام فيه نظر غير دقيق فإن العلماء لم يجمعوا على ذلك بل جمهورهم على ذلك، وكذا لم يبدّعوا من قال بخلافه،

---

١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤٨٧/٦- ٤٨٨، وشرح الطحاوية ص ١٥٢.

٢) هي رسالة إلى أهل البحر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٤٨٥/٦- ٥٠٦.

فالأمر كما بيّنه شيخ الإسلام رحمه الله، لأن التبديع أمره خطير لا ينبغي التساهل ولا إلصاق الناس به باجتهاد ونحو ذلك فعلى المسلم أن يحذر ذلك وأن يلزم مذهب السلف ليسلم له دينه ولا يتعجل بالحكم على المخالفين جرياً وراء عاطفة ونحوها. والله تعالى الموفق.

المطلب الثالث : هل رأى النبي ﷺ ربه في المعراج :

اختلف العلماء رحمهم الله من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في هذا الأمر، وقد بيّن القاضي عياض هذا الاختلاف وآراء العلماء فيه وبعض أدلتهم في ذلك وهي تتلخص في ثلاثة مذاهب(١).

وقبل البدء في إيضاح هذه المسألة أحب أن أشير إلى أن الأمة قد أجمعت على أن الله عز وجل لا يراه أحد بعينه(٢) في الدنيا لقوله ﷺ « تعلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت »(٣)، ولم يختلفوا إلا في رؤية النبي ﷺ في المعراج وإليك تفصيل المذاهب في ذلك.

أ - مذاهب العلماء في رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل :

اختلف السلف رحمهم الله كما أشرت سابقاً في هذه القضية على ثلاثة مذاهب :

١ - المذهب الأول : أنه ﷺ لم ير ربه تعالى، وبه قال جمع من الصحابة كأم المؤمنين عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة، وهو مذهب جمهور العلماء سلفاً وخلفاً(٤)، بل قال شيخ الإسلام (قد حكى عثمان ابن سعيد الدارمي إجماع الصحابة على أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس، وشيخنا يقول ليس ذلك بخلاف في الحقيقة فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال : إنه رآه ولم يقل بعيني رأسه)(٥).

---

١) انظر الشفا ١/١٩٥- ٢٠٦، ومنهاج العوارف ص ٣٠- ٣١.

٢) انظر الرد على الجهمية للدارمي ص ١٠٥، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/٥١٠، وشرح الطحاوية ص ١٥٣.

٣) رواه مسلم في كتاب الفتن باب ذكر ابن صياد ٤/٢٢٤٥ برقم : ٢٩٣٠، والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في علامات الدجال ٤/٤٤١ برقم : ٢٢٣٥ بلفظ « تعلمون »، وابن أبي عاصم في كتاب السنة ١/١٨٦ برقم : ٤٢٨ بلفظ : « إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا »، والآجري في الشريعة ص ٣٧٥، وصححه الشيخ الألباني في تخريجه للسنة ١/٨٦.

٤) انظر الشفا ١/١٩٥- ١٩٦، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/٥٠٧- ٥٠٨، وزاد المعاد ٢/١٢٦، ولوامع الأنوار البهية ٢/٢٥٣.

٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/٥٠٧- ٥٠٨، وانظر الرد على الجهمية للدارمي ص ١٠٥.

- وقد استدل هؤلاء بما رواه الشيخان عن مسروق(١) عن عائشة رضي الله عنها قال: كنت متكئاً عند عائشة رضي الله عنها فقالت: (ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية)، قلت وما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني(٢) ولا تعجلي، ألم يقل الله عز وجل ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾(٣) ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾(٤)؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: « إنما هو جبريل ولم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء وساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض » فقالت: أولم تسمع أن الله يقول ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾(٥) أولم تسمع أن الله يقول ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم** ﴾(٦)، وقالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته** ﴾(٧)، قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾(٨)) متفق عليه(٩)، وللحديث روايات أخرى في الصحيحين وغيرهما.

- واستدلوا أيضاً بما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل

---

١) هو الإمام القدوة العلم، أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الوادعي الهمداني الكوفي، عداده من كبار التابعين ومن المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، كان من تلاميذ عائشة رضي الله عنها ومن الزاهدين العابدين الورعين، روى أنس بن سيرين عن زوجة مسروق قالت: كان مسروق يصلي حتى تتورم قدمه، فربما جلست أبكي مما أراه يصنع بنفسه. توفي سنة (٦٢ وقيل: ٦٣ هـ) وله ثلاث وستون سنة. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٦٣/٤، وتقريب التهذيب ١٠٩/١، وطبقات الحفاظ ص ١٤.

٢) من الإنظار وهو التأخير والإمهال.

٣) سورة التكوير آية ٢٣.

٤) سورة النجم آية ١٣.

٥) سورة الأنعام آية ١٠٣.

٦) سورة الشورى آية ٥١.

٧) سورة المائدة آية ٦٧.

٨) سورة النمل آية ٦٥.

٩) رواه البخاري في كتاب التفسير سورة النجم باب (١) ٤٧٢/٨ برقم: ٤٨٥٥، ومسلم في كتاب الإيمان باب هل رأي النبي ﷺ ربه ١٥٩/١ برقم: ١٧٧، واللفظ لمسلم.

عن قول الله تعالى ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾(١) فقال: رأى النبي ﷺ جبريل له ستمائة جناح، وسئل عن قول الله تعالى ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾(٢) فقال: رأى النبي ﷺ جبريل في صورته له ستمائة جناح)(٣).

- وبما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سئل عن قول الله تعالى ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ فقال: رأى جبريل(٤).

- وبما رواه مسلم عن أبي ذر(٥) رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: « نور أنى أراه » - وفي رواية - قال: « رأيت نوراً »(٦)

- وبقوله ﷺ « إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور - وفي رواية - حجابه النار لو كشفه لأحرقت سُبُحات(٧) وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »(٨) إلى غير ذلك من النصوص.

٢ - المذهب الثاني: أن رسول الله ﷺ رأى ربه، وهو رأي جماعة من السلف والخلف(٩)، منهم ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء بن أبي رباح

---

١) سورة النجم آية ٩.

٢) سورة النجم آية ١٣.

٣) رواه مسلم في كتاب الايمان باب في ذكر سدرة المنتهى ١٥٨/١ برقم: ١٧٤.

٤) رواه مسلم في كتاب الايمان باب في ذكر سدرة المنتهى ١٥٨/١ برقم: ١٧٤.

٥) هو الصحابي الجليل المشهور بأبي ذر، وقد اختلف في اسمه واسم أبيه والصحيح أنه جندب بن جنادة الغفاري، أحد السابقين الأولين قيل كان خامس خمسة في الإسلام، ثم إن النبي ﷺ رده إلى قومه ثم قدم المدينة بعد أحد فلازم النبي ﷺ كان رضي الله عنه رأساً في الزهد والصدق والعلم والعمل قوّالاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم على حدة فيه، شهد فتح بيت المقدس مع عمر رضي الله عنه، فضائله كثيرة جداً، توفي بالربذة سنة (٣٢ هـ) وصلى عليه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. انظر الاستيعاب ٦٢/٤، وأسد الغابة ١٨٦/٥، وسير أعلام النبلاء ٤٦/٢، والإصابة ٦٣/٤.

٦) رواه مسلم في كتاب الايمان باب هل رأي النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ١٦١/١ برقم: ١٧٨، ومعنى (نور أنى أراه) أي حجابه النور كما ثبت ذلك عنه ﷺ فكيف أراه، والمعنى النور منعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الابصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه. شرح صحيح مسلم ١٢/٣.

٧) السبحات: بضم السين والباء جمع سبحه، ومعنى سبحات وجهه أي نوره وجلاله وبهاؤه. المرجع السابق ١٣/٣-١٤.

٨) رواه مسلم في كتاب الايمان باب قوله ﷺ إن الله لا ينام ١٦٢/١ برقم: ١٧٩.

٩) انظر الشفا ١٩٦/١، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥١٢/٣- ٥١٧، وشرح صحيح مسلم ٥/٣-٦.

والحسن البصري وأبو الشيخ الأصبهاني واللالكائي والنووي وغيرهم. وقد اختلف هؤلاء في الرؤية أكانت بعينه ﷺ أم بقلبه، وحجتهم في ذلك ظواهر النصوص القرآنية التي سبق ذكر بعضها، وبما روي من آثار عن ابن عباس رضي الله عنهما. فقد صح عنه قوله (رآه بقلبه)(1)، وقال مرة : (رآه) وأطلق(2) ، وقال مرة : (رآه بفؤاده مرتين)(3)، وصح عنه قوله : (أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ) - وفي رواية - (إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية)(4).

وحكي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال : (رآه) ومرة قال : (رآه بقلبه) أما ما حكي عنه أنه قال رآه بعيني رأسه فليس بصحيح كما قال المحققون من العلماء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (الألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد تارة يقول رأى محمد ربه، وتارة يقول رآه محمد ﷺ ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه، وكذلك الإمام أحمد تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول رآه بفؤاده، ولم يقل أحد أنه سمع أحمد يقول رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل)(5).

وقد ذهب جماعة من العلماء إلى الجمع بين ما ثبت عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم ومن وافقهما فقالوا هي رؤية قلبية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ومن الناس من جمع بينهما - يعني نفي عائشة وإثبات ابن عباس - فقال : عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد)(6).

---

1) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب ذكر سدرة المنتهى ١/١٥٨ برقم : ١٧٦، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ٥/٣٦٩ برقم : ٣٢٨١، وقال حديث حسن.

2) رواه الترمذي في كتاب التفسير ٥/٣٦٨ برقم : ٣٢٧٩، وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه، واللالكائي ٣/٥٢١ برقم : ٩٢٠ في شرح أصول اعتقاد أهل السنة.

3) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب هل رأى النبي ﷺ ربه ١/١٥٨- ١٥٩ برقم : ١٧٧، واللالكائي ٣/٥١٩ برقم : ٩١٧.

4) ذكره ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ١٩٩- ٢٠٠، والنووي في شرح صحيح مسلم ٣/٥.

5) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/٥٠٩- ٥١٠، وانظر أيضاً زاد المعاد ٢/١٣٦- ١٣٧ بتحقيق حامد الفقي - طبعة السنة المحمدية، وفتح الباري ٨/٤٧٥ فقد ذكر أنه لم يثبت عن أحمد القول بالرؤية بالعين.

6) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/٥٠٩.

وممن ذهب إلى هذا الجمع الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله فقد قال بعد ذكره اختلاف العلماء في هذا الأمر (جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها، وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لأنه ﷺ كان عالماً بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شئ مخصوص عقلاً، ولو جرت العادة في العين، وبهذا يتبيّن مراد أبي ذر بذكر النور، أي النور حال بين رؤيته له ببصره)(١).

٣ - المذهب الثالث: الوقف عن القطع بالنفي إو الإثبات في هذه المسألة، وهو ما رجحه جماعة من العلماء(٢)، وإليه مال القاضي عياض فقد قال: (والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً، وليس في العقل ما يحيلها، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها، ومحال أن يجهل نبي الله ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه، بل لم يسأل إلا جائزاً غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله فقال: ﴿ لن تراني ﴾(٣) أي لن تطيق ولن تحتمل رؤيتي وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها، وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم، ولكونها متغيرة عرضة للآفات والفناء، فلم تكن لهم قوة على الرؤية، فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيباً آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية، وقد رأيت نحو هذا لمالك ابن أنس رحمه الله قال: (لم يُر في الدينا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رُئي الباقي بالباقي) وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة ... - ثم قال - وأما وجوب ذلك لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أو نص إذ المعوّل فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي ﷺ بذلك، فإذا ورد حديث نص بيّن في الباب اعتقد ووجب المصير إليه، إذ لا استحالة فيه ولا

---

١) فتح الباري ٤٧٤/٨.

٢) انظر المرجع السابق ٤٧٤/٨- ٤٧٥، والشفا ٢٠٠/١-٢٠١، وشرح صحيح مسلم ٤/٣، ولوامع الانوار البهية ٢٥٦/٢.

٣) سورة الاعراف آية ١٤٣.

مانع قطعي يرده)[1].

وقال أيضاً : (ووقف عن هذا بعض متأخري علمائنا لما وقع فيه من الاختلاف في الصدر الأول، وهو أنجا والجواز ثابت والإقدام على القطع بأحد الجائزين عسير)[2].

ب - الراجح في المسألة :

الراجح في المسألة هو الرأي الأول، وهو أنه عليه الصلاة والسلام لم ير ربه ليلة الإسراء والمعراج، وإلى هذا ذهب المحققون من العلماء منهم ابن قيم الجوزية رحمه الله، فعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **ثم دنى فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾[3] قال : المراد بالذي دنا فتدلى إنما هو جبريل وليس الله عز وجل كما قالت جماعة، لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى** ﴾[4] كما فسره ﷺ لعائشة حينما سألته عن ذلك فقال : « ذاك جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها إلا مرتين »[5]، ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه :

الأول : أن الله تعالى قال ﴿ **علّمه شديد القوى** ﴾[6] وهذا هو جبريل الموصوف بالقوة في سورة التكوير آية ١٩- ٢٠ ﴿ **إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين** ﴾.

الثاني : أنه سبحانه قال ﴿ **ذو مِرّةٍ** ﴾[7] أي حسن الخلق وهو الكريم في سورة التكوير.

الثالث : أنه سبحانه قال ﴿ **فاستوى * وهو بالأفق الأعلى** ﴾[8] وهو ناحية السماء العليا، وهذا استواء جبريل بالأفق الأعلى، أما استواء الله سبحانه فعلى العرش وليس في الأفق.

الرابع : أنه سبحانه قال ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى** ﴾ [9] والمرئي عند السدرة هو جبريل وليس الله كما فسّره الرسول

---

١) الشفا ١/١٩٨- ٢٠٢.
٢) منهاج العوارف ص ٣١.
٣) سورة النجم آية ٨- ٩.
٤) سورة النجم آية ١٣- ١٤.
٥) رواه مسلم وقد تقدم.
٦) سورة النجم آية ٥.
٧) سورة النجم آية ٦.
٨) سورة النجم آية ٦- ٧.
٩) سورة النجم آية ١٣- ١٤.

ﷺ لعائشة.

الخامس: أن مفسّر الضمير في قوله ﴿ **ولقد رآه** ﴾ وقوله ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾ وقوله ﴿ **فاستوى** ﴾ وقوله ﴿ **وهو بالأفق المبين** ﴾(١) واحد، فلا يجوز أن يخالف المفسّر المفسَّر من غير دليل.

السادس: أنه سبحانه ذكر في سورة النجم الرسولين الكريمين الملكي والبشري، ونزّه البشري عن الضلالة والغواية، ونزّه الملكي عن أن يكون شيطاناً قبيحاً ضعيفاً، بل هو قوي كريم حسن الخلق وهو نظير المذكور في سورة التكوير سواء بسواء.

السابع: أنه سبحانه أخبر في سورة التكوير أن الرسول ﷺ رأى جبريل بالأفق المبين، وفي سورة النجم أخبر أنه رآه بالأفق الأعلى، وهو واحد وصف بصفتين، فهو مبين وأعلى، فإن الشيء كلما علا بان وظهر.

الثامن: أنه سبحانه قال ﴿ **ذو مِرّةٍ** ﴾ والمرة الخلق الحسن المحكم، فأخبر عن حسن خلق الذي علّم النبي ﷺ ثم ساق الخبر كله نسقاً واحداً.

التاسع: أنه لو كان خبراً عن الرب سبحانه لكان القرآن قد دلّ أن الرسول ﷺ رأى ربه مرتين مرة بالأفق ومرة عند سدرة المنتهى. ولو كان الأمر كذلك لما قال النبي ﷺ لما سأله أبو ذر هل رأيت ربك؟ « نور أنّى أراه »(٢)، فهل يعقل أن يخبر القرآن أنه رأى ربه مرتين ثم يقول ﷺ: « أنّى أراه »؟ وهذا أبلغ من قوله لم أره، لأنه مع النفي يقتضي الإخبار عن عدم الرؤية فقط، وهذا يتضمن النفي وطرفاً من الإنكار على السائل.

العاشر: أنه لم يتقدم للرب جل جلاله ذكر يعود عليه في قوله ﴿ **ثم دنا فتدلى** ﴾(٣) والذي يعود الضمير عليه لا يصلح له وإنما هو لعبده.

الحادي عشر: أنه كيف يعود الضمير الى ما لم يذكر ويترك عوده على المذكور مع كونه أولى به؟

الثاني عشر: أنه قد تقدم ذكر ﴿ **صاحبكم** ﴾ وأعاد عليه الضمائر التي تليق به، ثم ذكر بعده جبريل ﴿ **شديد القوى** ﴾ ذو المرة وأعاد عليه الضمائر التي تليق به، والخبر كله عن هذين المفسَّرين وهما الرسول الملكي جبريل والرسول البشري محمد ﷺ.

الثالث عشر: أنه لم يماروه ﷺ على رؤية ربه ولا أخبرهم لتقع مماراتهم له

---

١) سورة التكوير آية ٢٣.

٢) رواه مسلم وقد تقدم.

٣) سورة النجم آية ٨.

عليها، وإنما ماروه ﷺ على رؤية ما أخبرهم من الآيات التي أراه الله إياها، ولو أخبرهم برؤية الرب تعالى لكانت مماراتهم له عليها أعظم ممن مماراتهم على رؤية المخلوقات.

الرابع عشر : أنه سبحانه قرر صحة ما رآه وأن مماراتهم له على ذلك باطلة بقوله ﴿ لقدر رأى من آيات ربه الكبرى ﴾(١)، ولو كان المرئي هو الرب سبحانه والممارات على ذلك منهم لكان تقرير تلك الرؤية الأولى والمقام إليها أحوج والله أعلم(٢).

وهكذا يتبيّن جلياً من خلال هذه الوجوه وغيرها أن المذهب الأول هو الراجح في المسألة. والله أعلم بالصواب.

المطلب الرابع : رؤية الله في المنام :

أثبت القاضي عياض رحمه الله رؤية الله في المنام لرسول الله ﷺ لورود الحديث به وقال إنه لم يختلف العلماء في ذلك(٣).

قلت : صدق القاضي فقد صح بذلك الحديث، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : (احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشيطان، فخرج رسول الله ﷺ فثوّب(٤) بالصلاة فصلى وتجوّز(٥) في صلاته، فلما سلّم قال : « كما كنتم » ثم أقبل إلينا فقال : « إني قمت من الليل فصليت ما قُدّر لي فنعست في صلاتي ثم استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة، فقال : يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري يا ربي - أعادها ثلاثاً - فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شئ وعرفت فقال : يا محمد ففيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : في الكفارات، قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات، قال : وما الدرجات ؟ قلت : إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام، قال : سل، قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون،

---

١) سورة النجم آية ١٨.

٢) التفسير القيم لابن القيم ص ٤٥٢- ٤٥٤.

٣) انظر إكمال المعلم ٥/١١٤.

٤) التثويب هو الترديد في الصوت، والمراد منه إقامة الصلاة أو أن يقال الصلاة خير من النوم مرتين. انظر المصباح المنير ص ٣٤، والقاموس المحيط ص ٨١.

٥) أي خفف في صلاته.

وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك، ثم قال ﷺ : إنها حق فادرسوها وتعلموها »(١).

فهذه الرؤية إنما كانت مناماً، ومن جعلها يقظة فقد أخطأ وغلط، وعلى هذا يمكن حمل من قال بالرؤية من العلماء كالإمام أحمد عندما سئل هل رأي النبي ﷺ ربه ؟ فقال : (نعم رآه حقاً فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد)(٢). وبذلك يجمع بين القولين الأول والثاني اللذين تقدم ذكرهما الا إذا أراد أصحاب القول الثاني الرؤية ليلة الإسراء، فإن هذه الرؤية المنامية وقعت بالمدينة ولم تقع ليلة الإسراء والمعراج التي كانت بمكة كما تقرر آنفاً.

---

١) رواه أحمد ٢٤٣/٥، والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة ص ٣٤٣/٥ برقم : ٣٢٣٥، وقال حديث حسن صحيح، وقال ابن كثير في التفسير ٢٥٠/٤ إسناده على شرط الصحيح.

٢) انظر زاد المعاد ١٢٦/٢.

الفصل الرابع
موقف القاضي عياض من الصوفية وبعض الفرق الأخرى

وفيه خمسة مباحث :

تمهيــــد.

المبحث الأول : محاربته لغلاة الصوفيه. وفيه ثلاثة مطالب :

المطلــب الأول : تكفيره للقائلين بالحلول والزاعمين مجالسة الله ومكالمته والعروج إليه.

المطلــب الثاني : تكفيره لمن يزعم رفع التكاليف الشرعية عنه.

المطلــب الثالث : تشنيعه على بعض آراء وكتب الصوفية.

المبحث الثاني : تأثره بالصوفية في الآتي. وفيه أربعة مطالب

المطلــب الأول : ترغيبه في زيارة قبر النبي ﷺ وروايته الأحاديث والآثار الواهية في ذلك.

المطلــب الثاني : تفضيله موضع قبر النبي ﷺ على جميع البقاع.

المطلــب الثالث : تجويزه التوسل بالنبي ﷺ بعد مماته والتبرك بمواضعه وبالأمكنة المقدسة

أ - تجويزه التوسل بالنبي ﷺ بعد مماته.

ب - تجويزه التبرك الممنوع كالتبرك بمواضعه ﷺ وبالأمكنة المقدسة وتقبيلها.

المطلــب الرابع : إطلاقه لفظ الحضرة على الله تعالى

المبحث الثالث : موقفه من المعتزلة والخوارج. وفيه مطلبان :

المطلــب الأول : ذكر نماذج من رده على المعتزلة.

المطلــب الثاني : ذكر نماذج من ردوده على الخوارج والمعتزلة معاً.

المبحث الرابع : موقفه من المرجئة والجهمية. وفيه مطلبان :

المطلــب الأول : موقفه من المرجئة.

المطلــب الثاني : موقفه من الجهمية.

المبحث الخامس : موقفه من الرافضة والباطنية والفلاسفة.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : موقفه من الرافضة.

المطلب الثاني : موقفه من الباطنية والفلاسفة.

تمهيـــــد :-

لقد تميّز القاضي عياض رحمه الله بموقفه المحب للسنة الغيور عليها، والمعادي للبدع وأهلها من الفرق الضالة المختلفة كالخوارج والرافضة والمعتزلة والمرجئة وغيرهم، فلقد كان كما وصفه ابن العماد الحنبلي رحمه الله : (حسنة من حسنات الأيام شديد التعصب للسنة والتمسك بها)(١)، وقد مرّ معنا (٢) كيف أنه وقف مع غيره من العلماء العاملين في وجه دولة الموحدين المنحرفة وقادوا الأمة في مواجهتها وتبيين ضلالها وبدعها، ولقد تبيّن لي من خلال قراءتي عن هذا العالم الجليل أنه كان يغتنم الفرص والمناسبات للرد على الفرق الضالة بكل قوة - ولو بكلمات مختصرة - اذا اقتضى المقام ذلك. وإن المتتبع لكتابه إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم يدرك هذا جيداً فضلاً عما سطره في بعض كتبه الأخرى كالشفا مثلاً.

وقد أحببت في ختام هذا البحث عن هذا الإمام أن أتعرض لموقفه - ولوبشكل موجز سريع - من أشهر فرق الضلال، معرضاً في حديثي عن موقفه من الأشاعرة لكون ذلك هو لب هذه الرسالة، وقد اتضح جلياً من خلال المباحث العقدية التي تعرضت لها بما لا داعي لتكراره ههنا، والذي سألخصه - إن شاء الله - في خاتمة البحث.

وأبتدئ الحديث عن موقفه من الصوفية، والذي تغاير فيه كثيراً، فكان شديد الإنكار والمحاربة حيناً، وموافقاً في بعض الأمور حيناً آخر، ولذا جعلت لهذا الموقف مبحثين مستقلين، وأبدأ أولاً بموقفه المحارب لهم والموافق لمنهج أهل الحق فيه.

---

١) شذرات الذهب ١٣٩/٤.

٢) راجع ص ٨- ١٠.

المبحث الأول : محاربته لغلاة الصوفية.

المطلب الأول : تكفيره للقائلين بالحلول والزاعمين مجالسة الله ومكالمته والعروج إليه :

لقد كفّر أبو الفضل رحمه الله غلاة الصوفية القائلين بأن الله عز وجل يحل في بعض مخلوقاته، وكذا الذين يزعمون أنهم يجالسون الله عز وجل ويكلمونه، مؤكداً أنه لا ينفع العبد عمل ولو تظاهر بالإسلام إن اعتقد مثل هذه العقائد الخبيثة.

فقد قال : (كذلك نكفر من ادعى مجالسة الله والعروج إليه، ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى)(١).

وقال أيضاً : (وقد أجمع فقهاء بغداد على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الألوهية والقول بالحلول(٢) وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته)(٣).

قلت صدق القاضي عياض، فإن عقيدة الحلول التي يعتقدها بعض الصوفية هي عقيدة كفر يخرج معتقدها من الإسلام بسببها، وقد كان الحلاج من أشهر القائلين المجاهرين بها، وقد نال جزاءه بالقتل والصلب في الدنيا لكفره بإجماع علماء المسلمين، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، وهذه العقيدة المنتنة أخذت من الديانات والفلسفات الضالة التي لا تعرف ربها ولا تعظمه، فهي من عقائد النصرانية المحرفة التي تدعي حلول اللاهوت بالناسوت ويقصدون به حلول الإله سبحانه بالمسيح عليه السلام - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -. وهي أيضاً من عقائد الفرس الزاعمين بأن الملك أو المعظّم عندهم قد حلّ فيه جزء إلهي، لذا فهم يعبدونه ويعظمونه ويقدسونه ويطيعونه طاعة عمياء.

ولا شك أن القائلين بهذه المقولة الآثمة يريدون إفساد عقيدة التوحيد الصافية النقية والقضاء على هذا الدين، أنّى لهم ذلك ؟! وإن المرء ليعجب من مثل هذه الخرافات السخيفة التي لا يستسيغها العقل السليم ولا الفطر

---

١) الشفا ٢/٢٨٣.

٢) الحلول : هو عبارة عن اتحاد جسمين في بعضهما، وهو نوعان : الحلول السرياني وهو عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة الى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالاً والمسري محلاً، والنوع الثاني : الحلول الجواري، وهو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز. التعريفات للجرجاني ص ١٠٥- ١٠٦.

٣) الشفا ٢/٢٩٨.

السليمة، فإنه سبحانه وتعالى أجلّ وأعظم من أن يحلّ بالخلق أو يحل الخلق به، لأنه عز وجل ليس كمثله شيء، بائن من خلقه مستو على عرشه وسع كرسيه السموات والأرض، فكيف يوصف تعالى بأنه يحل بخلقه أو يتحد بهم وهو خالقهم وربهم الذي لا يموت ولا يزول ؟!

إن هذا الأمر متعذر وغير واقع في البشر أنفسهم فكيف يقع ويتصور وقوعه في قيّوم السموات والأرض ؟ ثم هل هناك أعظم إهانة للباري عز وجل وكفراً به - إن وصف بهذا الأمر - سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم. إن مجرد تصور هذه العقيدة الفاسدة يبطل إمكانيتها وفسادها ويبيّن ضلال وزندقة وكفر معتنقها.

أما كفر من يدعي بأنه يجالس الله عز وجل ويعرج إليه ويكلمه - كما يدعي كثير من غلاة الصوفية وغيرهم - فإنه واضح جلي لا يحتاج إلى كثير برهان، لأن معتقد ذلك مكذب لله تعالى في قوله **﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه حكيم عليم ﴾**(١). فقد أخبر سبحانه أن كلامه الكريم في هذه الدنيا مختص بالأنبياء عليهم السلام إما عن طريق الإلهام أو في المنام يوحيه إليهم **﴿ أو من وراء حجاب ﴾** فيُسمع تعالى كلامه من يشاء منهم بدون أن يراه، كما كلّم موسى عليه السلام، فإنه سأل الرؤية بعد التكلم فحجب عنها، **﴿ أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾** إما جبريل أو غيره من الملائكة(٢).

وقد أجمع المسلمون أنه لن يرى أحد ربه في الدنيا، ولم يختلفوا إلا في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء والمعراج، والراجح أنه لم يره - كما سبق بيانه -(٣). فإذا كان أشرف الخلق وهم الأنبياء والمرسلون - وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ خاتمهم وسيدهم - لم يروا ربهم عز وجل فكيف يراه ويكلمه الزنادقة والباطنيون أعداء الله من أدعياء التصوف والزهد والصلاح ؟! إن هذا لمن أكذب الكذب على الله ومن أكثر الأمور استحالة، ومعتقده من أكفر الناس بربهم، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

١) سورة الشورى آية ٥١.

٢) انظر تفسير البغوي ١٣٢/٤، وتفسير ابن كثير ١٢١/٤- ١٢٢.

٣) راجع ص ٦٨٤-٦٨٦

المطلب الثاني : تكفيره لمن يزعم رفع التكاليف الشرعية عنه :

من العقائد الصوفية الباطلة التي حاربها أبو الفضل رحمه الله وكفّر معتقدها، ما يقوله بعض أدعياء الإسلام والمتلاعبين بالدين الذين يزعمون أنهم وصلوا إلى ربهم فسقطت عنهم التكاليف الشرعية.

فقد قال في هؤلاء : (أجمع المسلمون على تكفير بعض المتصوفة القائلين إن العبادة وطول المجاهدة إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها، وإباحة كل شئ لهم ورَفْعِ عُهَد الشرائع عنهم)(١).

قلت : كفر من يعتقد هذا الأمر ظاهر بيّن لا يخفى على مسلم، لأن إسقاط التكاليف وإباحة المحرمات، يعني مسخ دين الإسلام واقتلاعه من أساسه وإشاعة الإباحية الآثمة، إلى غير ذلك من الأمور التي هي من أهداف القائلين بهذه العقيدة الكافرة.

فالعجب كيف يظن هؤلاء المغرورون بأنهم قد وصلوا إلى ما لم يصل إليه الأنبياء والمرسلون ولا الملائكة المقربون، فقد كان الأنبياء عليهم السلام دائمي العبادة في كل حال يزدادون قربات إلى الله سبحانه حتى توفاهم الله كما هو معروف عنهم، بل إن الله تعالى أمر خاتمهم وإمامهم وسيدهم محمداً ﷺ بأن يظل على عبادته حتى الممات فقال له ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾(٢). فكان ﷺ أشد الناس عبادة لربه - وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر - حتى آخر لحظة من عمره، وكذلك الملائكة الكرام يخبر الله عنهم في كثير من النصوص أنهم لا ينفكون عن العبادة والتسبيح له تعالى، حتى صار ذكره سبحانه عندهم من التسبيح والتهليل هو زادهم الذي يعيشون به، وغذاءهم الذي يتغذون به، قال سبحانه ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾(٣). فإذا لم تسقط العبادة والتكاليف عن هؤلاء الكرام - وهم صفوة الخلق عند الله وأحبهم إليه - فكيف تسقط عمن سواهم كائناً من كان ؟!

فحاشا لأولياء الله سبحانه أن يقع من أدنى واحد منهم هذا الزعم الباطل أو هذه الدعوى الشيطانية التي سوّلها الشيطان لجماعة من أتباعه ومطيعيه، واستزلهم بها وأخرجهم من حزب الله إلى حزبه، ومن طاعة الله إلى طاعته، ومن ولاية الله عز وجل إلى ولايته.

فهذا الزعم والاعتقاد الكاذب ليس من سمات المؤمنين، بل هو من علامات

---

١) الشفا ٢/٢٨٨.

٢) سورة الحجر آية ٩٩.

٣) سورة الأنبياء آية ٢٠.

الكفار والزنادقة الملحدين وأنّى يكون لمن يعتقد مثل هذه الأمور إيمان وإسلام ؟! - والعياذ بالله -.

المطلب الثالث : تشنيعه على بعض آراء وكتب الصوفية :

مما حاربه القاضي عياض رحمه الله أيضاً من أفكار الصوفية المنحرفة ما ذكره العلماء عنه أنه كان شديد المحاربة لآراء أبي حامد الغزالي والتي تضمنها كتابه (إحياء علوم الدين) وغيره من كتبه، والتي منها القول بالحلول وإباحة الغناء والرقص وتفضيلهما على سماع القرآن وتلاوته، ومنها أيضاً تفسير الغزالي الخاطئ لمعنى التوكل على الله ... إلى غير ذلك من الأمور الباطلة(١). لذا أفتى القاضي عياض وكثير من العماء في عصره بتجنب كتب الغزالي التي تدعو إلى هذا الأمر وإلى إحراقها، وفي مقدمة ذلك (إحياء علوم الدين)، وقد بُلّغ هذا الأمر لأمير دولة المرابطين آنذاك يوسف بن تاشفين فأصدر قراراً بتنفيذه فطبق فعلاً(٢)وقد نقل الإمام الذهبي رحمه الله بعض كلام القاضي عياض في الغزالي فقال : (ومن معجم أبي علي الصدفي تأليف القاضي عياض له قال : والشيخ أبو حامد (يعني الغزالي) ذو الأنباء الشنيعة والتصانيف العظيمة، غلا في طريقة التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم وصار داعية في ذلك، وألّف تواليفه المشهورة أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بِسرّه، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامتثل ذلك)(٣).

قلت : هذا القول من القاضي أبي الفضل في أبي حامد يدل على أنه ينكر غلوه في التصوف ومجانبته للحق في ذلك، ويبيّن أيضاً إنصاف القاضي عياض، فقد وكل علم حال الغزالي وسريرته إلى الله ولم يحكم عليه بكفر ولا ردّة، وإنما أنكر عليه مذهبه وأقواله الفاسدة، وهذا ما ينبغي لطالب العلم أن يتحلى به، فلا يسارع الى التكفير والتبديع حتى يقيم الحجة على الخصم، بل يرفض القول الخطأ ويرد عليه بغض النظر عن قائله لأنه لا عصمة لأحد بعد النبي ﷺ.

ومما يدلّل على إنصاف القاضي عياض في الغزالي ما رواه عنه ابنه محمد

---

١) للأخ عبدالرحمن دمشقية كتاب قيّم في هذا الباب اسمه :(أبو حامد الغزالي والتصوف) جمع فيه آراء الغزالي الصوفية وفندها ورد عليها بأسلوب جميل، وقد خص (إحياء علوم الدين) بباب مستقل ذاكراً أقوال العلماء فيه منبهاً في ختام كتابه إلى حسن الخاتمة التي توفي عليها الغزالي حيث توفي على عقيدة أهل السنة. فليراجع ذلك.

٢) انظر سير أعلام النبلاء ٣٢٧/١٩، ومقدمة كتاب التأويل لابن قدامة ص ٥٤- ٦٧.

٣) سير أعلام النبلاء ٣٢٧/١٩.

قال : (تذاكر أبي مع شيخه أبي محمد بن منصور(١) كتاب إحياء علوم الدين، فقال أبي رحمة الله عليه : لو اختصر هذا الكتاب واقتصر على ما فيه من خالص العلم لكان كتاباً مفيداً، فقال له أبو محمد بن منصور : فاختصره إذاً، فقال له أبي : أنت أخْلَقُ(٢) لذلك، فقال أبو محمد : أحق يا أبا الفضل ؟ لئن لم تختصره فما في بلدنا من يختصره)(٣).

وقد شارك القاضي عياض في حكمه على كتاب الإحياء غير واحد من أئمة المسلمين.

- فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والإحياء فيه فوائد كثيرة، ولكن فيه مواد مذمومة، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد، والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين، وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا، وفيه آثار أحاديث وآثار ضعيفة، بل موضوعة كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية ترهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين من أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة ما هو أكثر مما يُرَدّ منه)(٤).

- وقال الإمام الذهبي رحمه الله : (وأما الإحياء، ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علماً نافعاً. تدري ما العلم النافع ؟ هو ما نزل به القرآن وفسّره الرسول ﷺ قولاً وفعلاً، ولم يأت نهي عنه، بل قال عليه السلام « من رغب عن سنتي فليس مني »(٥)، فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله وبإدمان النظر في الصحيحين والسنن ... تفلح وتنجح، وإياك وآراء الفلاسفة ووظائف أهل الرياضات وجوع الرهبان وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا

---

١) هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن منصور اللخمي النكوري، أصله من النكور وسكن سبتة وتولى قضاءها وقضاء الجماعة بمراكش في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، ثم استعفي من ذلك، كان أحد رجال وقته ونبهاء زمنه، وكانت الدراية والفهم أغلب عليه من الرواية والحفظ، وكان حسن السيرة حسن العشرة، ولد سنة (٤٥٨ هـ) وتوفي سنة (٥١٣ هـ). انظر ترجمته في الغنية ص ١٥٥- ١٥٦، والمعجم لابن الأبار ص ٢٠٤.

٢) أي أجدر لذلك.

٣) التعريف بالقاضي عياض ص ١٠٦- ١٠٧.

٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/٥٥١- ٥٥٢، وانظر ٦/٥٥.

٥) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص٥٥.

إلى صراطك المستقيم)(١).

وأقوال العلماء في هذا الكتاب وفي الغزالي صاحبه كثيرة لا مجال لذكرها ههنا(٢).

هذا باختصار ما وجدته للقاضي عياض من وافق طيبة تجاه غلاة الصوفية، وقد وافق فيها أهل الحق في ذلك وأجاد في الرد والإنكار عليها. ولكن مما يؤسف له أنه قد تأثر بالصوفية في بعض أفكارهم وعاداتهم وهو ما سأتحدث عنه في المبحث الآتي.

المبحث الثاني : تأثر القاضي عياض بالصوفية في الآتي :

المطلب الأول : ترغيبه في زيارة قبر النبي ﷺ وروايته للأحاديث الواهية في ذلك :

أ - ملخص كلام القاضي في ذلك :

لقد تأثر القاضي عياض بالصوفية في بعض الأمور منها : ترغيبه في زيارة قبر النبي ﷺ وروايته الأحاديث الموضوعة والضعيفة المرغبة بذلك، فقد عقد في كتابه الشفا فصلاً خاصاً بهذا الشأن سماه (فصل في حكم زيارة قبره ﷺ وفضيلة من زاره ...) فقال : (وزيارة قبره ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها - ثم ساق بسنده - إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله « من زار قبري وجبت له شفاعتي »، وعن أنس قال : قال رسول الله « من زارني في المدينة محتسباً في جواري كنت له شفيعاً يوم القيامة » وفي حديث آخر « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي » وقال ابن فديك(٣) : سمعت من أدركت يقول : بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾(٤) ثم قال : صلى الله

---

١) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٣٩- ٣٤٠.

٢) انظر المرجع السابق ١٩/٣٤٠- ٣٤٦ فقد ذكر الذهبي مجموعة من أقوال العلماء في ذلك.

٣) هو أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل بن فديك - بالفاء مصغراً - الديلي، سمع جماعة من أهل المدينة ولم يرحل في طلب الحديث، قال عنه الذهبي : صدوق صاحب معرفة وطلب، وقد احتج به الجماعة ووثقه غير واحد، وقال ابن حجر : صدوق، وقال ابن سعد : ليس بحجة، توفي سنة (١٩٩ هـ) وقيل سنة (٢٠٠ هـ). انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٤٣٧، وسير أعلام النبلاء ٩/٤٨٦- ٤٨٧، وتقريب التهذيب ٢/٥٦.

٤) سورة الأحزاب آية ٥٦.

عليك يا محمد، من يقولها سبعين مرّة، ناداه ملك : صلّى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة، وحكي عن عمر بن عبدالعزيز أن رجلاً من أهل المدينة قدم عليه، فلما ودعه قال له عمر : لي إليك حاجة. إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي ﷺ فأقرئه مني السلام، وقال بعضهم : رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظن من رآه أنه افتتح الصلاة، فسلّم على النبي ﷺ ثم انصرف ... وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي ﷺ، وقد اختلف في معنى ذلك، فقيل : كراهة الاسم، وقيل : لما قيل إن الزائر أفضل من المزور، وهذان الجوابان ليسا بشيء، والأولى عندي منع وكراهية مالك له لإضافته إلى قبر النبي ﷺ، وأنه لوقال زرنا النبي ﷺ لم يكرهه، لقوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً(١) يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »(٢)، فمحى مالك هذا اللفظ والتشبه بفعل أولئك قطعاً للذريعة وحسماً للباب والله أعلم)(٣).

وقال أيضاً : (من سنن الحج ومستحباته زيارة قبر رسول الله ﷺ وهو شرف وكرم)(٤).

وقال أيضاً : (فكان كل ثابت الايمان منشرح الصدر به يرحل إلى المدينة ويفد عليها في كل وقت وإلى زماننا هذا لزيارة قبر النبي ﷺ والتبرك بمشاهده وآثاره الكرام، فلا يأتيها إلا مؤمن ولا يحمل أحداً على قصدها إلا إيمانه وصحة

---

١) قال ابن عبدالبر في التمهيد ٤٥/٥ (الوثن الصنم وهو الصورة من ذهب أو من فضة أو غير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنماً كان أو غير صنم، وكانت العرب تصلي إلى الأصنام وتعبدها، فخشي رسول الله ﷺ على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الامم، كان إذا مات نبي عكفوا على قبره كما يصنع بالصنم، فقال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ... » وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الامم قبله الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجداً، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان رسول الله ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم).

٢) رواه مالك في الموطأ مرسلاً عن عطاء بن يسار في كتاب قصر الصلاة في السفر باب جامع الصلاة ٥٦/١ برقم : ٨٥، وأخرجه عبدالرزاق في المصنف في باب الصلاة على القبور ٤٠٦/١ برقم : ١٥٨٧، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٤١/٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٤٥/٣، ورواه أحمد موصولاً عن أبي هريرة ٢٤٦/٢، وأبو نعيم في الحلية ٣١٧/٧، ٢٨٣/٦، وذكره ابن عبدالبر في التمهيد ٤٢/٥، وقال رواه البزار مسنداً عن ابن عمر وذكر الاسناد وقال وعلى كل فالحديث صحيح. انظر شرح الزرقاني للموطأ ٣٨٥/١.

٣) الشفا ٢/ ٨٢- ٨٥.

٤) الإعلام بحدود قواعد الإسلام ص ٧١.

يقينه)(١).

ب - مناقشة القاضي عياض فيما ذهب إليه :

إن ما ذكره أبو الفضل آنفاً فيه صواب وكثير من الخطأ والبطلان.

فالصواب منه هو جواز السلام عليه عند قبره ﷺ أو ما يعبر عنه بعض العلماء بزيارة قبره الزيارة الشرعية، ولكن كثيراً من السلف - ومنهم الإمام مالك كما ذكر القاضي عياض وغيره - كرهوا أن يقال زرنا قبر النبي ﷺ، بل ينبغي أن يقال سلمت على النبي ﷺ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ليس في الشريعة عمل يسمى زيارة لقبره ﷺ، فهذا الاسم لا مسمى له، والذين أطلقوا هذا الاسم إن أرادوا ما يشرع فالمعنى صحيح، لكن عبروا عنه بلفظ لا يدل عليه، ولهذا كره من كره من السلف أن يقال لمن سلَم عليه ﷺ هناك - يعني بالمدينة - زرت قبر النبي ﷺ وإن أرادوا ما لا يشرع فذاك المعنى خطأ مفهوم، ومع هذا فليس هو زيارة ...)(٢).

ومن الصواب الذي ذكره القاضي عياض أيضاً هو ما وجّه به كراهية مالك عن أن يقال زرت قبر النبي ﷺ وذلك حماية منه لهذا اللفظ لئلا يدخل فيه الزيارة البدعية، ولئلا يتشبه المرء بفعل الذين أخبر النبي ﷺ بأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قال القاضي : فكره - رحمه الله - ذلك قطعاً للذريعة وحسماً للباب.

قلت : وزيادة على ما قال أبو الفضل فإن كراهية مالك إمام دار الهجرة لذلك القول لأنه يعلم أن هذا اللفظ ليس مشروعاً ولا معروفاً عندهم بالمدينة، وهم أعلم الناس بحكم هذه المسألة، فلو كان يعلم أن هذا اللفظ لا بأس به ما كرهه.

وأما ما أخطأ القاضي عياض وجانب الصواب فيه، فهو روايته للأحاديث والآثار الهابطة التي لا تجوز روايتها إلا لبيان حالها والرد على من يستدل بها، هذا بالإضافة إلى عدم جواز العمل بها فضلاً عن الاستدلال بها في الترغيب على زيارة قبر النبي ﷺ. وقد ذكر - غفر الله لنا وله - ثلاثة أحاديث في هذا الشأن هي :

الحديث الأول : « من زار قبري وجبت له شفاعتي ».

الحديث الثاني : « من زارني في المدينة محتسباً في جواري كنت له شفيعاً

---

١) إكمال المعلم ٢/٦٧٣.

٢) كتاب الرد على الأخنائي لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٩.

يوم القيامة ».

الحديث الثالث : « من زارني في مماتي فكأنما زارني في حياتي ».

وهذه الأحاديث وغيرها مما ورد في زيارة قبره ﷺ كلها لا تجوز أن تنسب لرسول الله ﷺ لكونها ضعيفة أو موضوعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (أحاديث زيارة قبر النبي ﷺ كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة لم يخرج أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها، بل مالك إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة كره أن يقول الرجل زرت قبر النبي ﷺ، ولو كان هذا اللفظ معروفاً عندهم أو مشروعاً أو مأثوراً عن النبي ﷺ لم يكرهه عالم المدينة، والإمام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسنة، لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث إلا حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « ما من رجل يسلّم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام »(١)، وعلى هذا اعتمد مالك في الموطأ، وروى عن عبدالله بن عمر أنه كان إذا دخل المسجد قال : (السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت) ثم ينصرف(٢)، وقال ﷺ « لا تتخذوا قبري عيداً وصلّوا عليّ حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني »(٣).

---

١) رواه أبو داود وقد تقدم ص٥٨٣.

٢) أخرجه مالك في الموطأ كتاب قصر الصلاة باب ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ ١/١٥٢، برقم : ٦٨. قلت : وقد كان ابن عمر رضي الله عنه يفعل ذلك إذا خرج من المدينة أو عاد إليها، وبفعله استدل مالك على جواز ذلك، أما التردد على القبر والسلام عليه بدون إرادة سفر أو المجيء منه فقد كرهه السلف ومنهم مالك كما روى ذلك عنه القاضي أبو الفضل. انظر الشفا ٢/٨٨، وانظر المصنف لعبدالرزاق ٣/٥٧٦.

٣) رواه أبو داود في كتاب المناسك باب زيارة القبور ٢/٥٣٤ برقم : ٢٠٤٢.

١ - الكلام على الأحاديث والآثار التي استدل بها القاضي :

يحسن بي في هذا الصدد أن أذكر - ولو على سبيل الإجمال - رأي وأقوال العلماء في الأحاديث التي استدل بها أبو الفضل فأقول :

١ - الحديث الأول : حكم بضعفه وردّه كثير من أئمة المسلمين، منهم النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر وغيرهم من الإئمة، وحكم بعضهم عليه بالوضع(١).

أما الحديث الثاني : فهو ضعيف كما قال غير واحد من العلماء، ففي سنده من لا يحتج به(٢).

والحديث الثالث : فهو موضوع باطل باتفاق العلماء(٣). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (اتفق أهل العلم بالحديث على الطعن في هذا الحديث وردّه ...) - وذكر قول أئمة الجرح والتعديل في سنده ومنهم الإمامان البخاري ومسلم(٤)، وقال أيضاً : (هذا كذبه ظاهر مخالف لدين المسلمين، فإن من زاره ﷺ في حياته وكان مؤمناً به كان من أصحابه إن كان من المهاجرين إليه المجاهدين معه، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه » أخرجاه في الصحيحين(٥)، والواحد بعد الصحابة لا يكون مثل الصحابة بأعمال مأمور بها واجبة، كالحج والجهاد والصلوات الخمس ... فكيف بعمل ليس بواجب باتفاق المسلمين ولا شرع السفر إليه، بل هو منهي عنه ؟!)(٦).

فاتضح مما سبق أنه لا يصح العمل ولا الاحتجاج بهذه الأحاديث، لكونها ضعيفة جداً أو موضوعة، فالعجب من القاضي عياض كيف يذكرها ويرويها وهو أحد علماء الحديث في عصره، فلقد كان الأجدر به أن يعرض عنها ويردها لا أن

---

١) انظر شرح المهذب للنووي ٥/٢٧٧، والرد على الاخنائي ص ٢٩، ولسان الميزان لابن حجر ٦/١٣٤، وكشف الخفاء ومزيل الالباس للعجلوني ٢/٣١٩، والكشف الالهي عن شديد الضعق والواهي للعلامة الطرابلسي ٢/٦٣٢، وضعيف الجامع للألباني ٦/٢٠٢ برقم : ٥٦١٨، فقد قال عنه حديث موضوع.

٢) انظر الحكم عليه في أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة للنجمي ص ١٦٠-١٦١، فقد أطال في نقد الحديث وذكر أقوال العلماء في سنده، وانظر ضعيف الجامع للألباني ٦/٢٠٢ برقم : ٥٦١٩ فقد قال عنه حديث ضعيف.

٣) انظر الرد على الاخنائي ص ٢٨، والكشف الإلهي ٢/٦٩٨، وأوضح الإشارة ص ١٦٢- ١٦٣.

٤) انظر الرد على الاخنائي ص ٢٨.

٥) تقدم تخريجه ص٥٧٨.

٦) التوسل والوسيلة ص ١٣٤- ١٣٥.

يستدل بها، لئلا تكون حجة لأهل البدع والضلال من الصوفية والرافضة وغيرهم الذين يحتجون باستدلاله بها وذكره لها في كتابه القيم (الشفا بحقوق المصطفى).

- وكذا الآثار التي ذكرها القاضي عياض لا يحتج بها، فما ذكره عن ابن فديك مردود، فإن ابن فديك قد اختلف فيه، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ومع كونه صدوقاً على الراجح فإن ما ذكره لا يقوى على الحجة، لأنه أبهم في قوله (سمعت من أدركت) ... إلخ فلا ندري من هؤلاء الذين أدركهم أهم ضعفاء أم متروكون أم ثقات ؟ وعلى فرض توثيقهم فإن مثل هذه الأمور لا يصح فيها الاجتهاد لأنها من الغيبيات التي تحتاج إلى دليل صحيح مرفوع، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ. ثم إن قراءة هذه الآية ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي** ﴾[1] والصلاة عليه ﷺ سبعين مرة مخالفة لما كان يفعله ابن عمر رضي الله عنهما ومن وافقه من علماء السلف والخلف، فإن المشروع للزائر لقبره ﷺ أو المسلّم عليه عند قبره أن يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ثم يمضي ويسلّم على أبي بكر وعمر، ثم ينصرف، فلا يقف عند القبر، هذا هو المشروع، هكذا ذكر القاضي عياض عن الإمام مالك وكذا عن ابن عمر[2]. فالوقوف والإطالة عند القبر وقراءة شئ من القرآن ليس بمشروع، بل هو بدعة منكرة.

وأما الأثر الذي ذكره القاضي عياض عن أنس من أنه أتى قبر النبي ﷺ فوقف ورفع يديه حتى ظن من رآه بأنه قد افتتح الصلاة فسلّم على النبي ثم انصرف، فيكفي في رده أنه روي عن مجهول فقال (قال بعضهم رأيت أنس بن مالك ...) ومثل هذا الأمر العقدي لا يؤخذ عن مجاهيل، والحق أننا نبرئ أنساً خادم النبي ﷺ من هذا الفعل، فقد كان رضي الله عنه شديد التمسك بالسنة، فهل يمكن أن يرفع يديه عند سلامه على النبي ﷺ ويقف كوقوفه للصلاة ؟! إن هذا لمن أكذب الكذب عليه.

والحق أن أهل البدع ليطيرون فرحاً بمثل هذه الروايات الهابطة.

- وكذلك ما ذكره القاضي عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال لرجل من أهل المدينة (بلّغ سلامي لقبر النبي ﷺ) هو من الكذب عليه، فإن أحداً من السلف لم يقل بجواز إرسال السلام للقبر الشريف، وحاشا هذا الخليفة

---

١) سورة الأحزاب آية ٥٦.
٢) انظر الشفا ٢/٨٥ -٨٦.

الراشد المتبع للسنة أن يبتدع هذه البدعة، فالسلام على النبي ﷺ لا يحتاج لمن يحمله من البشر بل يصل إليه عن طريق الملائكة، فقد قال عليه الصلاة والسلام « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام »(١)، فقد رأى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم رجلاً عند القبر فدعاه للعشاء فقال : لا أريده، فقال : (ما لي رأيتك عند القبر ؟ قال : سلّمت على النبي ﷺ، قال : إذا دخلت المسجد فسلّم عليه فإن صلاتك تبلغه ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء)(٢).

٢ - تنبيه لا بد منه :

قد يستدل أهل البدع بقول القاضي عياض (فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر يرحل إلى المدينة ويفد عليها في كل وقت وإلى زماننا هذا لزيارة قبر النبي ﷺ والتبرك بمشاهده وآثاره الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن، ولا يحمل أحداً على قصدها إلا إيمانه وصحة يقينه)(٣)، قد يستدل على جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ، ولا شك أن السفر بقصد زيارة قبر النبي ﷺ أمر منكر لا يجوز، وقد اتفق علماء السلف على تحريمه. يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (اتفق السلف من الصحابة والتابعين والائمة ولم يعرف بينهم نزاع أنه ﷺ نهى عن السفر إلى غير الثلاثة مساجد فقال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا »(٤) فلا يتصور من المؤمن به ﷺ العالم بشريعته العالم أن المسافر الى مدينته يصل إلى مسجده وإن قصد مع ذلك القبر - لا يتصور مع هذا العلم والمعرفة والإيمان - أن لا يقصد السفر إلى مسجده، بل لا يقصد إلا مجرد القبر، بل الذي يسافر ولا يقصد إلا مجرد القبر إما أن يكون جاهلاً بشريعته وفضيلة السفر إليه أو جاهلاً بالحال لا يعلم أنه إنما يصل إلى مسجده، أو لا يعلم أن مسجده مؤسس على التقوى مقصود معظّم قبل حصول القبر، فإنه لم يُبن لأجل القبر، ولا حرمته وفضيلته

---

١) حديث صحيح تقدم تخريجه ص ٥٨٣.

٢) أخرجه كما قال شيخ الاسلام سعيد بن منصور في سننه، وإسماعيل بن إسحاق القاضي في كتاب فضائل الصلاة على النبي ﷺ، وقال شيخ الاسلام إسناده حسن. انظر الرد على الاخنائي ص ١٣٢- ١٣٣.

٣) إكمال المعلم ٢/٦٧٣.

٤) رواه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب مسجد بيت المقدس ٣/٧٦ برقم : ١١٨٩، ومسلم في كتاب الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ٢/١٠١٤ برقم : ١٣٩٧.

وعظمته لأجله، فلا يتصور أن يقصد مجرد القبر إلا من يكون جاهلاً بهذا أو بهذا أو بهذا ... فإنه لم يقل إمام من أئمة المسلمين أنه يستحب السفر لمجرد زيارة قبره ﷺ، وهناك كثير من الجهال يظنون أن المشروع إنما هو السفر إلى القبر والمسجد تبع للقبر، بل المشروع المستحب السفر إلى مسجده ثم السلام عليه ﷺ. فلا يقصد السفر إلى القبر دون المسجد إلا جاهل أو كافر، ولكن كثيراً من الناس عرفوا فضيلة مسجده والسفر إليه فهم يقصدون ذلك ويقصدون السفر إلى القبر أيضاً، ثم منهم من يستوي عنده القصدان، ومنهم من يكون قصد المسجد أقوى عنده، ومنهم من يكون قصد القبر أقوى عنده، وهؤلاء يظنون أن قصد السفر إلى قبره من المحبة والتعظيم له وأن ذلك أعظم من مسجده، وهم غالطون في ذلك، فإن السفر إلى المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم والتأسي بإبراهيم عليه السلام فيما كان يفعله هناك أفضل من زيارة قبره بالكتاب والسنة والإجماع، بل الحج كما حج إبراهيم قد فرضه الله على عباده، والسفر إلى غير المساجد الثلاثة قد نهى الله عنه. فإن قيل كيف يزور قبره مع كونه كافراً به ؟! قيل: كثير من الناس يعظمون الرسول ﷺ ويعتقدون أنه من أفضل الناس ولكن يقولون إنه لا يجب عليهم اتباعه وطاعته، بل لهم طريق إلى الله تغنيهم عنه، وقد يقولون إن طريقهم أفضل من طريقه ...)(١)، وقد امتحن شيخ الإسلام رحمه الله كثيراً بل وكفّره أعداؤه الضالون وسجنوه بسبب منعه شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ ولمحاربته البدع وأهلها، وقد توفي في سجنه رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

وهكذا تصدى علماء السلف قديماً وحديثاً(٢) لهذه الدعوى - وهي شد الرحال والسفر إلى قبره ﷺ - وكتبوا فيها كتباً وأبانوا في ذلك الحق، وردوا على الزائغين المبتدعين، وعلى غيرهم من العلماء المخالفين للحق في هذا الأمر. وقد كان القاضي عياض رحمه الله وكذا الجويني وغيرهما من

---

١) انظر الرد على الاخنائي ص ٢٠- ٢٥، ١٥٨.

٢) من هؤلاء شيخ الإسلام في كتابه الرد على الأخنائي وغيره، والحافظ ابن عبدالهادي في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي، وقد توفي قبل إتمامه، ومنهم الشيخ محمود شكري الالوسي في كتابه غاية الأماني في الرد على النبهاني، والشيخ الألباني في كتابه تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، والشيخ أبو بكر الجزائري في كتابه (وجاءوا يركضون مهلاً يا دعاة الضلالة)، والشيخ أحمد النجمي في كتابه أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة. فضلاً عن الفتاوى الكثيرة المتفرقة في كتب علماء السلف قديماً وحديثاً بهذا الأمر.

العلماء - كما قال الحافظ ابن حجر -(١) يحرّمون شد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة عملاً بظاهر الحديث السابق.

فتبيّن إذاً أن ما قد يفهم من كلام القاضي عياض من جواز السفر لزيارة القبر الشريف، أمر غير صحيح فإنه رحمه الله لم يقل بذلك، ولكن عبارته الآنفة الذكر مشكلة موهمة، فكان الأولى به أن لا يذكرها لئلا يحتج بها على جواز شد الرحال إلى قبره ﷺ.

وأما قوله: (إنه لا يأتي المدينة إلا مؤمن ولا يحمل أحداً على قصدها إلا إيمانه وصحة يقينه ...) فكلام فيه نظر، إذ ليس كل من يأتي المدينة يكون هذا شأنه، فكم من زائر لمدينته ومسجده وقبره ﷺ هو من أعدائه والمحاربين لدينه ولأتباعه الموحدين، وليس من المؤمنين، وكم من باطني خبيث ورافضي ضال، ومنافق مجرم وصوفي زنديق وعلماني ملحد يفد المدينة أو يسكنها وليس هو من الإسلام في شيء، فهل يحكم لهؤلاء وأمثالهم بصحة الإيمان واليقين ؟! كلا وربي.

المطلب الثاني : تفضيله موضع قبره ﷺ على جميع البقاع :

ذهب القاضي عياض الى تفضيل موضع قبره ﷺ على جميع البقاع بما فيها الكعبة، فقد قال غفر الله لنا وله: (لا خلاف أن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض، واتفق العلماء على هذا، قيل لأنه قد روي أن المرء يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه عندما يخلق)(٢).

وقد أجاب علماء السلف عن قول أبي الفضل وردوه.

فقال شيخ الإسلام رحمه الله: (لا أعلم أحداً فضل تربة النبي ﷺ إلا القاضي عياض، ولم يسبقه إليه أحد، ولا وافقه عليه أحد)(٣).

وقد أجاب الإمام ابن القيم رحمه الله عندما سئل أيهما أفضل حجرة النبي ﷺ أم الكعبة بقوله: (إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل، وإن أردت وهو ﷺ فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة، لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح ﷺ)(٤).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: (يجاب عن هذا بأن أفضلية البقعة التي خلق منها ﷺ إنما كان بطريق الاستنباط، ونصبه في مقابلة النص

---

١) انظر فتح الباري ٧٨/٣.

٢) الشفا ٩١/٢.

٣) الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ص ١١٣.

٤) بدائع الفوائد ١٦٨/٣.

الصريح (١) غير لائق، على أنه معارض بما ورد عن بعض السلف أن جبريل أخذ التراب الذي خلق منه ﷺ من تراب الكعبة فالبقعة التي خلق منها من بقاع مكة، وما استدل به القاضي عياض على تفضيل مكان تربته ﷺ إنما هو أثر موقوف في إسناده ضعيف، فلا يعارض النص الصحيح)(٢).

فتبيّن إذاً أن قول القاضي عياض يحتاج إلى تفصيل، فإن أراد تفضيل تربة النبي ﷺ وهو فيها فكلامه صحيح لأنها تضم جسد خير البرية ﷺ، وفضيلتها على غيرها جاءت لوجود من فيها ﷺ، أما تفضيل التربة قبل وجود النبي ﷺ فيها على الكعبة، فليس بصحيح ولا إجماع عليه كما زعم القاضي عياض.

المطلب الثالث : تجويزه التوسل بالنبي ﷺ بعد مماته والتبرك بمواضعه وبالأماكن المقدسة :

أ - تجويزه التوسل بالنبي ﷺ بعد مماته :

مما تأثر به القاضي عياض بالصوفية، تجويزه التوسل والاستشفاع بالنبي ﷺ بعد موته، مستدلاً لذلك بقصة واهية رواها بسنده إلى الإمام مالك بن أنس رحمه الله ملخصها أن أبا جعفر المنصور ناظر مالكاً في المسجد النبوي، فنهاه مالك عن رفع الصوت في ذلك الموضع مستدلاً بما ورد من أول سورة الحجرات من الآيات الناهية عن رفع الصوت والآمرة بالتأدب معه ﷺ، فاستكان وامتثل أبو جعفر لذلك، فسأل مالكاً أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ؟ فقال له : (ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله، قال الله ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً** ﴾(٣).(٤)والحق الذي لا مرية فيه أن هذه القصة واهية لا تثبت عن مالك، بل هي مكذوبة عليه ومخالفة للمعروف من مذهبه من عدم جواز استقبال القبر بالدعاء، وقد سبق الرد على القاضي عياض في هذا الأمر ودحضه بما لا داعي لتكراره(٥).

---

١) يقصد النصوص الواردة في فضل مكة والكعبة والمسجد الحرام.

٢) نيل الأوطار للشوكاني ٣١/٥ - مطبعة الحلبي، ط الثانية ١٩٥٢م.

٣) سورة النساء آية ٦٤.

٤) انظر الشفا ٤١/٢، وترتيب المدارك ٢١١/١- ٢١٢.

٥) راجع ص ١٩٧- ٢٠٠.

ب - تجويز التبرك بمواضعه ﷺ وبالأمكنة المقدسة وتقبيلها :

إن تقبيل الأمكنة المقدسة أو المواضع التي نزل فيها الوحي على رسول الله ﷺ مما لم يشرع في دين الله، بل هو من البدع المنكرة التي ابتدعها الخرافيون من الصوفية وغيرهم، ومما يؤسف له أن أبا الفضل عياضاً قد تأثر بهم في هذا الأمر، فإننا نجده في أكثر من موضع من كتبه(١) يدعو إلى تقبيل الأماكن المقدسة التي نزل الوحي فيها على النبي ﷺ، وكذا المواضع التي مسّت جلده الشريف، ويحث على التبرك بها.

ولا شك أن إباحة هذا الأمر من الأمور الخطيرة التي تؤدي إلى الشرك بالله، وهي أيضاً تعيد إلى الأذهان شرك الجاهلية الأولى والمعاصرة التي اتخذت من الأماكن والمقامات وغيرها أوثاناً تعبد من دون الله، فليس شئ من الأماكن يقبل إلا الحجر الأسود إتباعاً لرسول الله ﷺ. وقد صدق الفاروق عمر رضي الله عنه عندما قال للحجر (إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك)(٢).

فإباحة هذا الأمر مما لا يجوز في دين الإسلام، لأنه لم يفعله أحد من المحبين الصاديقين المتمسكين بالكتاب والسنة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، بل هو من علامات أهل البدع والخرافة الذين ضلوا في دينهم وابتدعوا فيه. وقد سبق بحمد الله الرد على هذا الأمر ودحضه وإبطال مااستدل به القاضي عياض من آثار وغيرها بما لا داعي لتكراره ههنا فليراجع(٣).

المطلب الرابع : إطلاقه لفظ الحضرة على الله تعالى :

إن مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة أنه لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ كما تقرر ذلك معنا في عدة مواضع من هذه الرسالة، وذلك لأن هذا الأمر غيبي توقيفي لا يعلم الا عن طريق الوحي (الكتاب والسنة) وقد نبّه القاضي عياض رحمه الله على هذا الأمر فقال : (لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وننزهه عن الشبيه

---

١) انظر الشفا ٢/٥٨- ٥٩، ٨٦، وإكمال المعلم ٢/٦٧٣.

٢) أخرجه البخاري وقد تقدم ص ٢٠٧.

٣) انظر ص ٢٠٤- ٢١٠.

والنظير والمثيل ...)(1) إلا أنه لم يطبق ما قرره ههنا، بل جرى في باب الصفات على مذهب الأشاعرة في الغالب الأعم، فأول أكثرها كما تبيّن موقفه جلياً عند الحديث عن منهجه في توحيد الأسماء والصفات، وقد تأثر بالصوفية في هذا الأمر فأطلق لفظ (الحضرة) على الله تعالى في أكثر من موضع.

فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾(2) - حكاية عن موسى - قال : (منّ الله تعالى على موسى فاتخذه من أهل الحضرة)(3)، وقال أيضاً عند حديثه عن الأنبياء عليهم السلام : (... فأدبهم سبحانه بنفسه واصطفاهم لحضرته ...)(4)، وعند حديثه عن الملائكة قال : (وهناك ملائكة للحضرة)(5).

والصواب أنه لا ينبغي إطلاق هذه اللفظة في حق الباري جل جلاله لأنها لم ترد في الكتاب ولا السنة، فالمسلم متعبد بما وردت به النصوص، وإن كان نقل عن بعض العلماء المتمسكين بالسنة إيراد هذه اللفظة في كتبهم فلعل ذلك خرج منهم سهواً أو هي زلّة قلم، وجَلّ من لا يخطئ.

أما معنى الآية ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾ أي اصطفيتك واخترتك واجتبيتك رسولاً لنفسي أي كما أريد وأشاء، يعني لتتصرف على إرادتي ومحبتي، وذلك أن قيام موسى عليه السلام بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبته(6). وهذا هو المعنى الصحيح من الآية، وليس كما قال القاضي عياض - غفر الله لنا وله -.

---

1) منهاج العوارف ص ٢٦٠، وانظر إكمال المعلم ٥٤٩/٢، والشفا ٢٤٣/١، ٢٤٤.
2) سورة طه آية ٤١.
3) منهاج العوارف ص ٢٩.
4) المرجع السابق ص ٥٢.
5) المرجع السابق ص ٩٥.
6) انظر تفسير البغوي ٢١٨/٣، وتفسير ابن كثير ١٥٣/٣.

المبحث الثالث : موقفه من المعتزلة والخوارج.

لقد ظهر موقف القاضي عياض جلياً في محاربته لعقائد وأفكار المعتزلة والخوارج وموافقته - في غالب الأحيان - لمنهج أهل السنة والجماعة في الرد على هؤلاء الضالين. وذلك عند حديثه عن مباحث العقيدة كما تقدم ذكر ذلك في ثنايا هذا البحث. ورغبة في عدم التكرار في الرد على هؤلاء فإنني سأقتصر على ذكر نماذج من أقواله وردوده عليهم فقط.

المطلب الأول : ذكر نماذج من ردوده على المعتزلة :

عند حديث القاضي عن القضاء والقدر تعرض للمعتزلة بقوله : (وبالحقيقة فالقدرية التي وسمهم عليه الصلاة والسلام بما وسمهم وأنهم مجوس هذه الأمة، هم معتزلة هذا الوقت وقدريته، لأنهم جعلوا أفعال العباد بين فاعلين وأن الخير من الله والشر من عبيده، فأدخلوا مع الله شركاء في قدرته وضاهوا المجوس والثنوية في كفرهم، والقدرية الأولى القائلون بأن الأمر أُنُف داخلون في هذه الرذيلة زائدون عليهم بتلك الأشنوعة ...)(١)، وقد ذهب في موضع آخر إلى عدم تكفير المعتزلة القدرية، بل كفَّر الغلاة منهم الذين نفوا تقدم علم الله بالكائنات القائلين بأن الأمر آنُف، قال ومع هذا فإنهم يوجعون ضرباً ويؤدبون أشد التأديب ويسجنون أو يقتلون حتى يرجعوا عن بدعتهم(٢).

- وقال أيضاً في رده عليهم عند كلامه عن أفعال العباد : (من أصول أهل السنة أن العبد لا قدرة له إلا ما أراده الله ويسّره تعالى له وخلقه، خلافاً للمعتزلة والقدرية القائلين بأن للعبد فعلاً من قِبَل نفسه وقدرة على الهدى والضلال والخير والشر والإيمان والكفر ..)(٣).

- وعند شرحه لقوله ﷺ : « لن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »(٤). يقرر القاضي أبو الفضل منهج أهل السنة والجماعة في كون دخول الجنة الثواب على الأعمال ليس عوضاً عن الأعمال، بل هو برحمة الله تعالى ويرد على المعتزلة المخالفين لذلك بقوله : (مذهب أهل الحق أنه لا يستحق أحد بطاعته الثواب لهذا الحديث، ولا تعارض بينه وبين قوله تعالى : ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم

---

١) إكمال المعلم ٢٧٢/١، وانظر ص ١١٥- ١١٨ من هذه الرسالة.

٢) انظر الشفا ٢٩٤/٢- ٢٩٥، وشرح صحيح مسلم ١٥٦/١، وانظر ص ١١٣.

٣) إكمال المعلم ٥/٦، وشرح صحيح مسلم ١٤٥/١٦.

٤) تقدم تخريجه ص ٦٦٨.

تعملون ﴾ (١) وشبهه من الآيات، لأن الحديث يفسر ما أجمل ههنا كأن معنى ذلك مع رحمة الله وبرحمة أو من رحمة توفيقه للعمل وهدايته للطاعات وأنه لم يستحقها بعمله، إذ الكل بفضل من الله تعالى، وإنما العمل سبب فقط لدخول الجنة، وقد خالف المعتزلة وقالوا إن العبد استحق الجنة والنار بعمله على حجة العقل وأنه يحاسب ولا يصح إلا عليها)(٢).

- وعند حديثه عن مذهب أهل الحق في خلق الجنة والنار ووجودهما تعرض لمذهب المعتزلة النافين لذلك ورده بقوله على العبد أن يعتقد أن الجنة والنار حق، وأنهما موجودتان لأهل الشقاء والسعادة معدتان على ما ذهب إليه أهل السنة والحديث، وأن الجنة في السماء أو فوقها وجهتها على جاءت به ظواهر الأحاديث، وأن العرش سقف الجنة، وأنها هي التي أهبط منها آدم، وهي التي ينعم بها المؤمنون في الآخرقنعيماً حقيقياً حسياً ومعنوياً دائماً لا نهاية له، وهذا هو مذهب أهل السنة خلافاً للمعتزلة وطوائف من المبتدعة الذين قالوا بأنها لم توجد، وأن الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام غيرها، وظاهر القرآن يدل على مذهب أهل السنة(٣).

- وعند حديثه عن مذهب أهل السنة والجماعة في الآجال بيّن رحمه الله أن لكل مخلوق أجلاً يموت فيه لا يتأخر ولا يتقدم عليه، وأن المقتول مات بأجله الذي قتل فيه، ولم يقطع القاتل عليه الأجل كما زعم المعتزلة(٤). إلى غير ذلك من الأمثلة.

---

١) سورة النحل آية ٣٢.

٢) إكمال المعلم ١٠٦/٦، ١٠٩، وانظر للرد على هذا المعتقد الفاسد ص٦٦٨-٦٦٩.

٣) انظر الإعلام بحدود قواعد الإسلام ص ١٧، وإكمال المعلم ٧٤٤/٣، ١١٣/٥، ٦٣/٦، وشرح صحيح مسلم ٢٠٠/١٦، وانظر ص٦٦٠ للرد على هؤلاء المخالفين لمذهب أهل الحق.

٤) انظر إكمال المعلم ٩٦/٦، وانظر ص ١٣٦-١٣٨ للرد على هذه العقيدة الإعتزالية.

المطلب الثاني : ذكر نماذج من ردوده على الخوارج والمعتزلة معاً :

قال أبو الفضل رحمه الله في سبب تسمية الخوارج بذلك، قيل : (سموا بهذا الاسم لخروجهم على عليّ رضي الله عنه، وقيل : لخروجهم عن الجماعة، وقيل : لخروجهم عليها، كما سموا مارقة لأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)(١).

- وقال عن حكم قتالهم : (أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا وخالفوا وشقوا عصا المسلمين ونصبوا راية الخلاف أن قتالهم واجب بعد إنذارهم والإعذار إليهم)(٢).

- وقد ردّ القاضي عليهم وعلى المعتزلة في كثير من المواضع منها :

- عند حديثه عن حكم مرتكب الكبيرة، فقد قال في شرحه لحديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق ... »(٣) قالَ فيه : (هذا الحديث يقطع حجة المعتزلة والخوارج القائلين إن المعاصي تخرج من الايمان وتوجب الخلود في النار ... وأهل السنة والهدى استدلوا من هذا الحديث على منع التخليد ...)(٤).

- واستدل رحمه الله بحديث الصحابي الذي هاجر الى النبي ﷺ بالمدينة فمرض فيها فقطع مفاصل أصابعه فسال دمها بقوة حتى مات، فرآه صاحب له في المنام في هيئة حسنة ولكنه مغطياً يديه فقال له : ما صنع بك ربك ؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ، فقال : ما لي أراك مغطياً يديك ؟ قال : قيل لي لن نصلح منك ما أفسدت، فقصها صاحب هذه الرؤية على النبي ﷺ فقال : « اللهم وليديه فاغفر »(٥).

قال أبو الفضل : (في هذا الحديث غفران الله لهذا الذي قتل نفسه، وفيه دليل لأهل السنة على غفران الذنوب لمن شاء الله وشرح للأحاديث الموهم ظاهرها التخليد وتأبيد الوعيد على قاتل نفسه، ورد على الخوارج والمعتزلة، وفيه مؤاخذته تعالى بذنبه ومعاقبته وهو رد على المرجئة)(٦).

- وعند بيانه لعقيدة أهل السنة في خروج الدجال وما خالف فيه الخوارج

---

١) إكمال المعلم ٩٧/١.

٢) المرجع السابق ٩٨/١.

٣) متفق عليه وقد تقدم ص ٤٨٥.

٤) إكمال المعلم ٤٧٦/٢، وانظر تفصيل الرد عليهم ص ٤٨٦-٤٩١.

٥) رواه مسلم في كتاب الايمان باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر ١٠٨/١ برقم ك ١١٦.

٦) إكمال المعلم ٦٠/٢- ٦٢.

وبعض المعتزلة قال: (الأحاديث التي ذكرها مسلم في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من قدرته ليتميز الخبيث من الطيب ... ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا، وهذا مذهب أهل السنة وجميع أهل الفقه والحديث والنظار خلافاً لمن أنكر أمره وأبطله من الخوارج وبعض المعتزلة وغيرهم في أنه صحيح الوجود، ولكن زعموا أنه عنده مخارق وحيل لا حقائق لها، وزعموا أنه لوكان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد وهموا جميعهم، فإنه لم يأت يدعي النبوة فيكون ما جاء به كالتصديق، ولأنه لو صح منه لم يفرق بين النبي والمتنبي فيطعن ذلك على النبوة، وإنما جاء يدعي الألوهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ونقص خلقه ...)(١).

- وقال في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في عذاب القبر ونعيمه (وعذاب القبر وفتنته ونعيمه لا مدفع لها، وقد ذكر مسلم أحاديث كثيرة في عذاب القبر وسؤال الملكين للميت وإقعادهما إياه وجوابه لهما والفسح في قبره وعرض مقعده عليه بالغداة والعشي، ومذهب أهل السنة تصحيح هذه الأحاديث وإمرارها على وجهها لصحة طرقها وقبول السلف لها خلافاً لجميع الخوارج ومعظم المعتزلة، إذ لا استحالة فيها ولا رد للعقل، والمعذب الجسد بعينه بعد صرف الروح اليه، أو إلى جزء منه، لأنه يبقى من الجسد لا يبلى وهو عجب الذنب كما صح بذلك الحديث، وهو الذي ينعم ويعذب ويقول ربّ ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، وصفة النعيم والعذاب لا يعلمها الا الله، وكذلك صفة إقعاد الميت وغيرها، فما علينا إلا التسليم لله تعالى)(٢).

- وقال مقرراً عقيدة أهل السنة في الشفاعة وراداً على الخوارج والمعتزلة المخالفين لذلك الزاعمين خلود العصاة في النار: (مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً وتحققها سمعاً بصريح قوله تعالى ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً** ﴾(٣)، وقوله ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾(٤)، وأمثالهما، وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحتها في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها، ومنعت الخوارج والمعتزلة منها

---

١) إكمال المعلم ١٢٣/٦، وشرح صحيح مسلم ٥٨/١٨- ٥٩.

٢) المرجع السابق ١١٤/٥، ١١٣/٦- ١١٤، ١٢٩، وانظر شرح صحيح مسلم ٢٠٦/١٧.

٣) سورة طه آية ١٠٩.

٤) سورة الأنبياء آية ٢٨.

وتأولت الأحاديث بقوله تعالى ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾(١) وقوله ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع** ﴾(٢)، وهذه الآيات في الكفار، أما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات وإجزال الثواب فباطل، وألفاظ الأحاديث صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار)(٣).

- وقال راداً عليهم أيضاً ومقرراً عقيدة أهل السنة في رؤية الله في الآخرة (مذهب أهل السنة بأجمعهم جواز رؤية الله عقلاً ووجوبها في الآخرة للمؤمنين سمعاً، نطق بذلك الكتاب العزيز، وأجمع عليه سلف الأمة، ورواه بضعة عشر من الصحابة بألفاظ مختلفة عن النبي ﷺ خلافاً للمعتزلة والخوارج، إذ نفوا ذلك عقلاً بناء على شروط يشترطونها في الرؤية من البنية والمقابلة واتصال الأشعة وزوال الموانع في تخليط لهم طويل، وأهل السنة لا يشترطون شيئاً من ذلك سوى وجود المرئي وأن الرؤية إدارك يخلقها الله للرائي فيرى المرئي)(٤). إلى غير ذلك من الأمور التي رد عليهم فيها.

---

١) سورة المدثر آية ٤٨.

٢) سوْرة غافر آية ١٨.

٣) إكمال المعلم ٨٦٢/٣، وشرح صحيح مسلم ٣٥/٣، وانظر الرد عليهم ص ٦٥٥-٦٥٧.

٤) إكمال المعلم ٨٢٢/٣، ٢٤/٦، وانظر أيضاً مناقشة القاضي عياض في ذلك والرد على هؤلاء ص ص ٦٧٢-٦٧٧

المبحث الرابع : موقفه من المرجئة والجهمية.

المطلب الأول : موقفه من المرجئة :

لقد اتفق موقف القاضي عياض مع منهج السلف في رده على المرجئة.

فعند شرحه لقوله ﷺ « أفلح وأبيه إن صدق »(١) للأعرابي الذي قال له علمني أشياء فعلمه وقال لا أزيد عليها ولا أنقص، قال أبو الفضل (في هذا الحديث رد على المرجئة إذ فيه فلاح الأعرابي بشرط صدقه في أن لا ينقص مما لزمه من الأعمال والفرائض، ومعناه دخول الجنة أبداً والخلاص من النار، ولهذا قرن دخول الجنة هنا بالفلاح)(٢).

- وعند شرحه لحديث « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ... » الحديث(٣) قال : (لا خلاف بين أهل السنة أن هذا الحديث ليس على ظاهره وأن المعاصي لا تخرج أحداً من سواد أهل الإيمان ... والحديث يقطع حجة المرجئة القائلين إن المعاصي لا تضر المؤمن، واستدل أهل السنة والهدى من هذا الحديث على نقص الإيمان بالمعاصي)(٤).

- وعند شرحه لحديث الصحابي الذي هاجر إلى المدينة فمرض فقطع مفاصل أصابعه فسال دمه فمات فغفر الله له بهجرته لنبيه ﷺ.. الحديث(٥) قال : (في هذا الحديث غفران الله لهذا الذي قتل نفسه، وفيه دليل لأهل السنة على غفران الذنوب لمن شاء الله، وشرح للأحاديث الموهم ظاهرها التخليد وتأبيد الوعيد على قاتل نفسه ورد على الخوارج والمعتزلة، وفيه مؤاخذته تعالى بذنبه ومعاقبته، وهو رد على المرجئة)(٦).

- وفي شرحه لحديث مالك بن الدخشم(٧) رضي الله عنه والذي فيه أن بعضاً

---

١) تقدم تخريجه ص ٤٨٥.

٢) إكمال المعلم ٢/٣١٥.

٣) تقدم تخريجه ص ٤٨٤.

٤) إكمال المعلم ٢/٤٧٥- ٤٧٦، وانظر منهجه في حكم مرتكب الكبيرة ص٤٨٣-٤٨٦

٥) تقدم تخريجهص ٧١٠.

٦) إكمال المعلم ٢/٦٠١- ٦٠٢.

٧) هوّ مالك بن الدخشم - بضم الدال والشين ويقال بالنون بدل الميم ويقال كذلك بالتصغير - الأنصاري الأوسي، اختلف العلماء في شهوده بيعة العقبة واتفقوا على شهوده بدراً، وهو الذي أسر سهيل بن عمرو يومئذ، اتهم بالنفاق ولا يصح عنه ذلك فقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع اتهامه بهذا الأمر، أرسله النبي ﷺ مع معن بن عدي فأحرقا مسجد الضرار. انظر أسد الغابة

من الصحابة قال عنه ذاك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال ﷺ « أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » قالوا : إنه يقول ذلك وما هو في قلبه، فقال : « لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه »(١) قال أبو الفضل رحمه الله : (إن احتجت به الغلاة من المرجئة في أن الشهادتين تنفع وإن لم يعتقد بالقلب، قيل لهم : معناه أنه لم يصح عند النبي ﷺ ما حكوا عنه من أن ذلك ليس في قلبه، والحجة في قول النبي ﷺ ولم يشهدوا به عليه، وقد ورد في رواية البخاري « ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله » فهذه الزيادة تخرس غلاة المرجئة عن الحجة بهذا الحديث)(٢).

- وقال في حديث سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً فترك رجلاً هو أعجبهم إليّ، فقلت : يا رسول الله، مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً ؟! فقال : « أو مسلماً ؟! » قال سعد : ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي وعاد رسول الله ﷺ ثم قال : « يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار »(٣) قال أبو الفضل (هذا الحديث فيه رد على الكرامية وغلاة المرجئة في حكمهم بصحة الإيمان لمن نطق الشهادتين وإن لم يعتقدها بقلبه لنفي اسم الايمان عنه واقتصاره على الإسلام)(٤).

فهذه بعض أقواله رحمه الله في رده على المرجئة.

٢٧٨/٤، والإصابة ٣٢٣/٣، وفتح الباري ٥٢١/١.

١) رواه البخاري في مواضع وأوفى رواياته ما جاء في كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت ٦١٨/١ برقم : ٤٢٥، ومسلم في كتاب الايمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنّة قطعاً ٦١/١ برقم : ٣٣ واللفظ له.

٢) إكمال المعلم ٤٠٧/٢- ٤٠٨.

٣) رواه الشيخان وقد تقدم ص ٤٦٩.

٤) إكمال المعلم ٢٧٨/٣.

المطلب الثاني : موقفه من الجهمية :

فرقة الجهمية من أخطر الفرق الكلامية الخبيثة التي يتستر أهلها بالإسلام - وليسوا منه في شئ - وقد حاربها علماء السلف الصالح وردوا على معتقداتها منذ ظهورها وكشفوا ضلالها وأبانوا عوارها، وحكموا بالكفر والخروج من الإسلام على معتنق معتقداتها، من القول بخلق القرآن وفي الصفات عن الباري تعالى، والقول بالجبر وفناء الجنة النار الى غير ذلك من الأمور، وقد ألفوا في الرد عليهم المؤلفات والكتب الكثيرة(١)، وقد تعرض القاضي عياض رحمه الله لهذه الفرقة وردّ عليها في عدة مواضع.

- فعند شرحه لقوله ﷺ « أشهد أن لا إله الا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة »(٢) ولقوله « من لقيت يشهد أن لا اله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة »(٣)، قال أبو الفضل (في ذلك دليل على أن الايمان لا يصح إلا بالمعرفة وانشراح الصدر لقوله « غير شاك فيهما » وقوله « مستيقناً بها قلبه » ومذهب أهل السنة أن المعرفة مرتبطة بالنطق بالشهادتين لا تنفع أحداهما ولا تنجي من النار دون الأخرى إلا لمن لم يقدر عليها من آفة بلسانه أو لم تمهله المدة لقولها حتى اخترم)(٤).

قلت : ومن المعروف أن الجهمية هم الذين يقولون أن الايمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به(٥)، وعلى مذهبهم فإن فرعون والكفار الذين عرفوا أن الله خالقهم يكونون مؤمنين، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

- وعند شرحه لحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له عندما أرسله إلى اليمن : « إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أو ما تدعوهم إليه عبادة الله - وفي رواية - « فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله »(٦) رد القاضي عياض على الجهمية وغيرهم ممن خالفوا أهل السنة في كون

---

١) من ذلك الرد على الجهمية والزنادقة للأمام أحمد بن حنبل، وخلق أفعال العباد والرد على الجهمية للإمام البخاري، والرد على الجهمية والرد على بشر المريسي للإمام الدارمي، والرد على الجهمية للإمام ابن مندة، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية، والصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة للإمام ابن القيم، وغير ذلك من الكتب فضلاً عما ضمنوه في كتبهم الأصولية - العقدية - من الردود عليهم وبيان بطلان مذهبهم.

٢) تقدم تخريجه ص ٨٧ .

٣) تقدّم تخريجه ص ٨٨ .

٤) إكمال المعلم ٣٧٧/٢، ومعنى (اخترم) أي توفي. انظر المعجم الوسيط ٢٣٠/١.

٥) انظر مقالات الإسلاميين ٣٣٨/١، والملل والنحل ص ٨٦- ٨٧.

٦) رواه الشيخان وقد تقدم ص ٨٦.

الشهادتين أو واجب على العبد، فقال : (فيه دليل على أن الإيمان لا يصح إلا بالمعرفة وانشراح الصدر والنطق بالشهادتين ولا يكفي فيه نطق اللسان كما تقول الجهمية(١) ولا التقليد المجرد كما تظنه الجهلة، وفيه أن قول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يعصم الدم وأن أحدهما دون الآخر لا يعصم الدم، لأنه ﷺ قد شرطهما جميعاً)(٢).

- وعند حديثه عن القدر رد على الجهمية الجبرية المحتجين بالقدر فقال في شرحه لقوله ﷺ « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »(٣) (قوله ﷺ في هذا الحديث واحتجاجه بالآية ﴿ **فسنيسره لليسرى** ﴾(٤) الحجة القاطعة على الجبرية وشرح لقوله ﷺ « إلا وكتبت في الجنة أو في النار »(٥) وقوله في الحديث الآخر « بل شيء مضى فيهم »(٦) وقد قال أئمتنا هذه الأحاديث اقتضت أن الله لم يزل عالماً من يطيعه فيدخل الجنة، ومن يعصيه فيدخل النار، وليس استحقاق من استحق الجنة أو النار من أجل سابق علمه ودلائل عليه ولا أجبر عليه تعالى أحداً منهم للعمل الموجب لذلك من طاعته أو معصيته تعالى جل جلاله، تقدم فيهم علمه وإرادته بما هم عاملون وما هم صائرون إليه قبل خلقهم وبعد خلقهم، وقال في أهل الجنة ﴿ **جزاء بما كانوا يعلمون** ﴾(٧) وفي أهل النار ﴿ **جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون** ﴾(٨) و ﴿ **ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾(٩) فأخبر أن ثوابه وعقابه على أعمالهم وكل ذلك في سابق علمه فمن يرحمه الله فبرحمته وهدايته وتيسيره، وخذلان من خذله منهم بعصيانه وكفره، فأمر تعالى ونهى ليطيع المطيع فيدخل الجنة أو يعصي العاصي فيدخل النار ابتلاء منه تعالى عباده لينظر كيف يعملون ويبلوهم أيهم أحسن عملاً، وليقيم حجته على خلقه بأمره ونهيه وتيسيره لهم سبل هداه أو ضلالته، وقد بيّن ذلك لهم ولم يضطر أحداً منهم إلى عمل ذلك

---

١) قلت : الجهمية يقولون الايمان هو المعرفة بالله، أما الذين يقولون الايمان هو النطق باللسان فهم الكرامية. انظر شرح الطحاوية ص ٣١٣.

٢) إكمال المعلم ٣٥٢/٢، وانظر التعليق على حكم التقليد في الايمان ص ٨٧ .

٣) رواه مسلم وقد تقدم ص ١١٨ .

٤) سورة الأعلى آية ٧.

٥) جزء من حديث رواه الشيخان وقد تقدم ص ١١٨ .

٦) تقدم تخريجه ص١١٨ .

٧) سورة السجدة آية ١٧، وسورة الأحقاف آية ١٤، وسورة الواقعة آية ٢٤.

٨) سورة فصلت آية ٢٨.

٩) سورة النجم آية ٣١.

لأنه يسقط عنهم اللوم والحجة فهو تعالى العدل الذي لا يحيف)(١).

- وعند حديثه عن عقيدة أهل السنة في إثبات خروج الدجال رد أبو الفضل رحمه الله على من أوّل ذلك من الفرق الضالة كالجهمية وغيرهم فقال : (هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من قدرته ليتميز الخبيث من الطيب من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب ... - إلى أن قال - ويقتله عيسى ابن مريم عليهما السلام ويثبت الله الذين آمنوا، وهذا مذهب أهل السنة وجميع أهل الفقه والحديث والنظار خلافاً لمن أنكر أمره وأبطله من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن زعموا أنه عنده مخارق وحيل لا حقائق لها. وزعموا أنه لوكان حقاً لم يوثق بمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد وهموا جميعهم فإنه لم يأت يدعي النبوة فيكون ما جاء به كالتصديق به، ولأنه لو صح منه لم يفرق بين النبي والمتنبي فيطعن ذلك على النبوة، وإنما جاء يدعي الألوهية وهو في نفس دعواه لها مكذب لها لصورة حاله ونقص خلقه ...)(٢) إلى غير ذلك من الأمثلة.

---

١) إكمال المعلم ٦/٦١- ٦٢.

٢) إكمال المعلم ٦/١٢٣، وشرح صحيح مسلم ١٨/٥٨- ٥٩.

المبحث الخامس : موقفه من الرافضة والباطنية والفلاسفة.

المطلب الأول : موقفه من الرافضة :

فرقة الرافضة من أضل وأخطر الفرق التي تدعي الانتساب الى دين الإسلام، وقد أصاب المسلمين بسببها من النكبات والويلات - قديماً وحديثاً - ما الله به عليم، وهي ما فتأت تعمل وتخطط لاجتثاث دين التوحيد وأتباعه من الوجود، وقد كشف كثير من علماء أهل السنة ودعاتهم في القديم والحديث خطر هذه الفرقة وكفرها وعقائدها الدخيلة على الإسلام، وألفوا رسائل وكتباً كثيرة في ذلك - كما سبقت الإشارة إليه -(١)، وقد كان القاضي عياض من جملة علماء المسلمين المحاربين لهذه الفرقة الخبيثة، فقد أفرد كتاباً خاصاً للرد على الرافضة سمّاه (السيف المسلول على من سب أصحاب الرسول)(٢)، ولكن من المؤسف أن هذا الكتاب مفقود لا يعلم مكانه، وقد تعرّض رحمه الله لهؤلاء في غير هذا الكتاب ورد عليهم وكفّرهم لما يعتقدونه من عقائد خارجة عن الإسلام، كاعتقادهم تكفير الصحابة رضي الله عنهم، واتهام عائشة رضي الله عنها بالزنا، واعتقاد أكثرهم مشاركة علي رضي الله عنه للنبي ﷺ في الرسالة، إلى غير ذلك من الأمور التي سأذكرها بإيجاز لتعذر الإطالة في الحديث عنها ولتقدمه في كثير من الأحيان.

- ومما قاله أبو الفضل رحمه الله في هؤلاء (كذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة، كقول الكملية(٣) من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ إذ لم تقدم علياً، وكفرت علياً إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم، فهؤلاء كفروا من وجوه، لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم، وإلى هذا والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة، ثم كفروا من وجه

---

١) انظر ص ٤١٧- ٤١٩.

٢) انظر ص ٤٩.

٣) هي فرقة الكاملية أصحاب أبي كامل الرافضي الذي كفر جميع الصحابة لتركهم بيعة علي رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ، وكفر علياً أيضاً لكونه لم يتقدم ليأخذ حقه من الصحابة، وقال كان عليه أن يخرج ويظهر الحق على أنه غلا في حقه فكفّر جميع الصحابة لتركهم بيعته، وكان يقول الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص، وذلك النور في شخص يكون نبوة، وفي شخص يكون إمامة وربما تناسخ الإمامة فتصير نبوة، وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت. انظر مقالات الإسلاميين ١/٨٩، والملل والنحل ص ١٧٤- ١٧٥.

آخر بسبّهم النبي ﷺ على مقتضى قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي رضي الله عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم)(١).

قلت : كفر هؤلاء بيّن لا شك فيه، وقد تفردت فرقة الكملية من بين جميع الرافضة بتكفير علي لكونه لم يطالب بحقه في الخلافة، إلا أنهم متفقون مع الرافضة في تكفير الصحابة لعدم تقديمهم علياً، ومتفقون كذلك على ما يعتقدونه من عقائد أخرى(٢).

- وفي موضع آخر يكفر أبو الفضل عياض الرافضة القائلين بأن أئمتهم أفضل من الأنبياء فيقول : (وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء)(٣).

قلت : وهذه العقيدة قد جاءت في أقدس كتاب عندهم وهو الكافي، فقد قال مؤلفه : (إن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه نبي مرسل ولا ملك مقرب)(٤) وهذه عقيدة ما يزال يعتقدها الرافضة من القديم إلى وقتنا هذا كما عبّر غير واحد من صناديدهم وزعمائهم في هذا العصر، ولا شك أن هذا الاعتقاد في الأئمة يناقض ويكذب نصوص الكتاب والسنة الدالة على أن أشرف البشر الأنبياء وفي مقدمتهم محمد ﷺ، فاعتقاد أن أحداً أفضل من نبينا ﷺ أو غيره من الأنبياء كفر لا يقوله مسلم، ولكن القوم اتخذوا أئمتهم آلهة وأرباباً من دون الله، ووصفوهم بصفات الألوهية كزعمهم أنهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا بإذنهم، إلى آخر تلك الترهات الباطلة التي يعتقدوها مما لم ينزل الله به من سلطان.

- كما كفر أبو الفضل الرافضة الزاعمين مشاركة علي رضي الله عنه للنبي ﷺ في الرسالة فقال : (كذلك نكفر من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ أو بعده، كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي ﷺ، فكذلك كل إمام عندهم يقوم مقامه في النبوة والحجة)(٥).

- كما حكم بكفر وقتل من يزعم بأن جبريل عليه السلام أخطأ بالوحي وإنما

---

١) الشفا ٢/٢٨٦.

٢) مقالات الإسلاميين ١/٨٩.

٣) الشفا ٢/٢٩٠.

٤) انظر الكافي للكليني ١/٢٦١ ط إيران

٥) الشفا ٢/٢٨٥.

كان علي هو الرسول كما يعتقد بعض الرافضة(١).

- وعند حديثه رحمه الله عن الايمان بالنبي ﷺ وما يستلزم ذلك من أمور كالتوقير والمحبة والطاعة ... وغير ذلك بيّن أن توقير أهل بيته وعشيرته وصحابته من مستلزمات توقيره وتعظيمه ومحبته ﷺ، واستدل على ذلك بنصوص كثيرة من الكتاب والسنة، وأقوال السلف، وقد حكم بفسق وضلال ولعن من سب آل بيت النبي ﷺ وأزواجه وصحابته وأفتى تبعاً لمالك بحرمانه من الفئ ومما، قال: (وسب أحدهم - يعني الصحابة - من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه لا يقتل، وقال بعض المالكية يقتل، وقال مالك لا حق في الفئ لمن سب أصحاب النبي ﷺ، لأن الله إنما جعله لمن جاء بعدهم لمن يستغفر لهم لا لمن سبهم)(٢).

وقال أيضاً: (وسب آل بيته ﷺ وأزواجه وصحابته رضي الله عنهم وتنقصهم حرام ملعون فاعله، وقد اختلف العلماء في هذا، فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب الوجيع، قال مالك: من شتم النبي ﷺ قتل ومن شتم أصحابه أدّب، وقال أيضاً: من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال كانوا على ضلال وكفر قتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نُكل به نكالاً شديداً، وقال مالك أيضاً: من غاظه أصحاب محمد ﷺ فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿ **ليغيظ بهم الكفار** ﴾(٣))(٤).

- كما كفر أبو الفضل الرافضة الذين يرمون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالزنا لتكذيبهم القرآن الذي نزل ببراءتها ولأن في ذلك أذية للنبي ﷺ، ومما قاله رحمه الله: (من آذى النبي ﷺ في نفسه أو ذويه فهو كافر لقول سعد وغيره من الصحابة في قصة الإفك قتلناه لمن يتهم عائشة، فلم ينكر النبي ﷺ ذلك، ولو كان باطلاً لم يقره عليه بل أنكره، وإنما استوجب القتل بإيذائه النبي ﷺ في حياته، وهذا قبل نزول القرآن في براءة عائشة فيكون مؤذياً لرسول الله ﷺ، فأما اليوم فمن قال واتهم عائشة بالزنا قتل لتكذيبه القرآن وكفر بذلك، وأما غيرها من أزواجه رضي الله عنهن فالمشهور أنه يُحَدّ ويعاقب

---

١) المرجع السابق ٣٠٢/٢، وانظر ما تقدم في الرد على هذا المعتقد ص ٤١٧- ٤١٩.

٢) المرجع السابق ٣١٠/٢، وإكمال المعلم ١٣٩/٦، وشرح صحيح مسلم ٩٣/١٦، وانظر ما تقدم ص٥٧٩ .

٣) سورة الفتح آية ٢٩.

٤) الشفا ٣٠٧/٢- ٣٠٩.

لغيره، وحكي عن قوم أنه يقتل على كل حال، لأنه إيذاء للنبي ﷺ حياً وميتاً)(١).

وقال أيضاً : (قال مالك من سب عائشة بالزنا قتل لأنه خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل، أي لأنه كذب بما فيه لأن الله تعالى قال : ﴿ **يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين** ﴾(٢)، فمن عاد لمثله فقد كفر. وقال أبو بكر بن الطيب : إن الله إذا ذكر ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه. كقوله : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه** ﴾(٣)في آي كثيرة، وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى عائشة رضي الله عنها فقال : ﴿ **ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم** ﴾(٤)، سبح نفسه من تبرئتها من السوء كما سبح نفسه من تبرئته من السوء، - قال القاضي - وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة، ومعنى هذا - والله أعلم - أن الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سباً لنبيه ﷺ وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى، وكان حكم مؤذيه تعالى القتل، كان مؤذي النبي ﷺ كذلك)(٥).

وهكذا يظهر وبكل جلاء ووضوح موقف أبي الفضل عياض المعادي لهؤلاء القوم الضالين - الرافضة - والمدافع عن السنة وأصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

المطلب الثاني : موقفه من الباطنية والفلاسفة :

لقد ظهر للقاضي عياض موقف طيب يشكر عليه تجاه الباطنية والفلاسفة، فقد أعلن عداءه وتكفيره لهما في كثير من المواضع، وبين رحمه الله غير مرة خبث ما يعتقد هؤلاء من عقائد باطلة لا تمت إلى الإسلام بصلة، وقد سبق التعرض لبعض أفكار هؤلاء وتكفير أبي الفضل لهم عند الحديث عن منهجه في التكفير ونواقض الإسلام، وههنا أتعرض لموقفه منهم بذكر نماذج من أقواله وردوده عليهم وبيان بعض ما يعتقدونه قاتلهم الله.

أ - ذكر نماذج من أقواله في الباطنية :

الباطنية كما سبق تعريفهم(٦)فرق شتى يتسترون ويعتقدون عقائد الكفر الخبيثة المتنوعة، كالقول بالظاهر والباطن وإباحة المحرمات وتأويل النصوص

---

١) إكمال المعلم ٦/ ٩٤.
٢) سورة النور آية ١٧.
٣) سوَرة الانبياء آية ٢٦.
٤) سورة النور آية ١٦.
٥) الشفا ٢/ ٣٠٥، ٣٠٩، وانظر ما تقدم ص ٤٣٢- ٤٣٣.
٦) انظر ص٢١٩.

وقد ذكر أبو الفضل بعض هذه العقائد وكفرهم بسببها والتك نماذج

تأويلاً منحرفاً يبطل شرائع الإسلام وأركانه وواجباته من أساسه، إلى غير ذلك من الأمور من أقواله في ذلك.

- فعند حديثه رحمه الله عن أشراط الساعة وشرحه للأحاديث الواردة في طلوع الشمس من مغربها وسجودها تحت العرش قال: (هذا على ظاهره عند أهل الفقه والحديث والمتكلمين من أهل السنة خلافاً لمن تأوله من المبتدعة والباطنية وهو أحد أشراط الساعة العظام المنتظرة)(١).

- وقال رحمه الله مبيناً كفر هؤلاء وحاكياً إجماع المسلمين على ذلك: (وكذلك أجمع المسلمون على تكفير الباطنية في قولهم إن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال أمروا بالبراءة منهم)(٢).

- وقال أيضاً: (نكفر من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى.)(٣).

- وقال أيضاً مكفراً هؤلاء ومبيناً بعض ما يعتقدون: (وكذلك نكفر القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ(٤)من الباطنية ومن قال بقولهم من الروافض)(٥).

- وقال أيضاً: (زعم بعض الملاحدة القائلين بالتناسخ وانتقال الأرواح أن النعيم يكون بانتقال الروح في الصور الحسان مرفَّهة، والعذاب يكون في الصور القبيحة المسخرة، وزعموا أن هذا هو الثواب والعقاب، وهذا ضلال بيّن وكفر وإبطال لما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والجنة والنار...)(٦).

قلت: وهذا هو قول الباطنية فهم ممن لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والحساب والعقاب. فهل بقي كفر أكبر من هذا ؟.

- وقال أبو الفضل أيضاً: (وكذلك نقطع بكفر من قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعمها بحسب زكائها

---

١) إكمال المعلم ٢/٧٠٠، وانظر ردود أهل السنة على من تأول ذلك ص ٦٣٣-٦٣٤.

٢) الشفا ٢/٢٨٧- ٢٨٨.

٣) المرجع السابق ٢/٢٨٣.

٤) التناسخ هو عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد. التعريفات للجرجاني ص ٨١.

٥) الشفا ٢/٢٨٢.

٦) شرح صحيح مسلم ١٣/٣٣.

وخبثها)(١). إلى غير ذلك من الأقوال.

ب - ذكر نماذج من أقواله في تكفير الفلاسفة ومن تبعهم من الباطنية :

الفلاسفة كما تقدم(٢) تعريفهم طوائف وفرق مختلفة يجمعهم الكفر بالله عز وجل، وقد تعرض القاضي عياض رحمه الله لهم فكفرهم ورد عليهم في أكثر من موضع.

- فعند حديثه عن رؤية الباري جل جلاله في الآخرة رد على الفلاسفة ومن تبعهم من المعتزلة لمخالفتهم بذلك فقال : (أهل الحق لا يشترطون في المرئي سوى وجوده إلا من حيث مجرى العادة به، خلافاً للفلاسفة ومن اقتفى أثرها من ضلال المعتزلة المشترطين في الرؤية رفع الموانع من الحجب والقرب والبعد المفرطين، واشتراطهم الأشعة ومقابلة المرئي افتقار الإدراك لرؤية مخصوصة وهي العين، وهذه الدعاوي حملتهم على نفي رؤية الله أصلاً وساقت بعضهم إلى أن الله سبحانه لا يَرى ولا يُرى تعالى الله عن قولهم)(٣).

- وقال أيضاً مكفراً الفلاسفة : (وكذلك نقطع بكفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية)(٤).

- وكفرهم أيضاً لادعائهم أن النبوة مكتسبة أو أن العبد يبلغها بصفاء قلبه فقال : (نكفر من ادعى النبوة لنفسه أو جوّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة الصوفية)(٥).

- وكفرهم أيضاً فقال : (نكفر من اعترف بإلهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم وأنه محدث أو مصوَّر أو ادعى له ولداً أو صاحبة أو والداً أو متولدٌ من شئ أو كانت منه أو أن معه في الأزل شيئاً قديماً غيره، أو أن ثَمّ صانعاً للعالم سواه، أو مُدَبّراً غيره، فذلك كله كفر بإجماع المسلمين، كقول الإلهيين الفلاسفة والمنجمين وغيرهم)(٦).

- وكفرهم ومن وافقهم من الباطنية وغيرهم فقال : (كذلك نكفر من أنكر

---

١) الشفا ٢٨٣/٢.

٢) انظر ص ٢١٩.

٣) إكمال المعلم ٨١٤/٣- ٨١٥، وانظر التعليق على رأي القاضي عياض في الرؤية الموافق للأشاعرة والذي ينفي فيه المقابلة للباري والعلو وغير ذلك ص٦٧٢- ٦٧٣.

٤) الشفا ٢٨٣/٢، وانظر الرد على هؤلاء ص ٤٠٥- ٤٠٧.

٥) المرجع السابق ٢٩٧/٢، وانظر ص ٤١٧.

٦) المرجع السابق ٢٨٢/٢- ٢٨٣، وانظر للرد على هؤلاء ص ٤٠٥- ٤٠٧.

الجنة والنار أو البعث أو الحساب أو القيامة، فهو كافر بإجماع المسلمين للنص عليه و إجماع الأمة على صحة نقله متواتراً، وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال إن المراد بالجنة أو النار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره، وأنها لذّات روحانية، ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم أن معنى القيامة الموت أو فناء محض وانتقاض الأفلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة)(١).

- وقال أيضاً مكفراً للفلاسفة والباطنية ومن نحا نحوهم : (وكذلك نكفر من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا ﷺ ولكن جوّز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به وادعى في ذلك المصلحة كزعمه أو لم يدعها، فهو كافر بإجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شئ على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها، وإنما خا طبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم، فمضمَن مقالتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به)(٢).

وهكذا وبكل وضوح وقوة يؤكد القاضي عياض رحمه الله كفر وخروج هؤلاء من الإسلام وعداءهم له وخطر معتقداتهم فجزاه الله خيراً.

هذا باختصار موقف القاضي عياض من بعض الفرق الضالة وقد ظهرت جلياً موافقته لمنهج السلف الصالح في ذلك - إلا قليلاً - وبان ردّه عليهم ومحاربته لهم وتكفيره لمن يستحق الكفر وتفسيق من يستحق ذلك، وبهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن منهجه في العقيدة. فالحمد لله أولاً وآخراً.

---

١) المرجع السابق ٢/٢٩٠، وانظر ص ٤٤٤- ٤٤٧ للرد على هؤلاء.

٢) الشفا ٢/٢٨٤، وانظر ص ٤٢٢- ٤٢٣.

الخاتمة

الخـــاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين   وبعد:

فقد وفقني الله عز وجل بإتمام هذا البحث المتواضع المشتمل على منهج القاضي عياض في العقيدة، والذي بذلت فيه قصارى جهدي لإخراجه على أحسن وجه، وقد أحببت في ختامه أن أسطر أهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال عملي فيه، والتي تتلخص فيما يلي:

١ - أن القاضي عياض كان من العلماء الجهابذة الأفذاذ الذين تزخر بهم الأمة الإسلامية، وهو من أشهر أئمة المالكية المقتدى بهم وخاصة في بلاد المغرب العربي.

٢ - أنه بدأ طلب العلم في سن مبكرة وتتلمذ وأخذ عن كبار العلماء والمشايخ في عصره على مختلف مشاربهم واتجاهاتهم وتخصصاتهم مما أثر عليه في مجرى حياته.

٣ - أنه خلّف - رغم اشتغاله بمنصب القضاء وأمور أخرى - عدداً وافراً من المؤلفات والرسائل القيمة في مختلف العلوم والتخصصات، ولكن معظم تلك المؤلفات مفقود لا يعرف له مكان بسبب إخفاء وطمس دولة الموحدين المنحرفة لها، لمجاهرة أبي الفضل بالعداء لهذه الدولة وكشفه مع غيره من العلماء حقيقة أمرها وضلالها، وقد كان من نتائج ذلك نفيه إلى البادية ومن ثم قتله لعدم خضوعه لأفكارهم الهدامة.

٤ - وافق مذهب السلف في تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام.

٥ - جرى في الاستدلال على وجود الله مجرى المتكلمين، ولم يتبن منهج السلف في هذا الأمر، وقد بينت خطر هذا ورددت عليه في حينه.

٦ - وافق مذهب السلف في قضايا الايمان بالقضاء والقدر، كالاعتقاد بأن الهداية والإضلال بيد الله وأن الله خالق كل شيء وأنه سبحانه بيده كل

شيء...إلى غير ذلك من الأمور، لكنه خالف الحق في قضية أفعال العباد فاختار مذهب الأشاعرة القائلين بالكسب والذي هو في الحقيقة نوع من أنواع الجبر كما تقدم بيان ذلك والرد عليه في محله.

٧ ـ مال في حكم أولاد المشركين إلى القول بأنهم يمتحنون يوم القيامة كما هو مذهب المحققين من علماء أهل السنة والجماعة، ووافق إجماع العلماء على أن أولاد المسلمين في الجنة.

٨ ـ تعرض لبيان شروط قبول العبادة، وذكر عدداً من أنواعها، وعني بتوحيد العبادة بشكل لا بأس به.

٩ ـ عني عناية فائقة بقضايا التكفير ونواقض الإسلام، فأجاد فيها وأفاد ووافق في ذلك منهج السلف الصالح.

١٠ ـ خالف مذهب السلف في بعض مباحث توحيد الألوهية وتأثر بالصوفية فأباح التوسل بالنبي ﷺ بعد موته، وكذا التبرك بمواضعه وتربته ﷺ وبآثار المدينة وأجاز تقبيل ذلك، وروى الآثار التي لا تصح في هذا الأمر، كما تأثر بالصوفية فروى الأحاديث والآثار الهابطة المرغبة بزيارة قبر النبي ﷺ، وقد جرى مناقشته والرد عليه في هذه الأمور كلها.

١١ ـ وافق مذهب السلف في إثبات أسماء الله تعالى وجعلها توفيفية غير محصورة بعدد معين، لكنه خالفهم في حقيقة الاسم والمسمى فاختار المذهب الضعيف الذي قال به بعض الأشاعرة كابن فورك وبعض علماء السنة القائلين بأن الإسم هو المسمى.

١٢ ـ نحا منحى الأشاعرة في تقسيم الصفات.

١٣ ـ اضطرب موقفه في إثبات الصفات لله تعالى، فتارة يثبت بعضها ـ كما فعل في الصفات التالية : العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام والجمال والمعية ـ، وتارة أخرى يتردد بين الإثبات والتفويض

والتأويل - كالحال في صفة الاستواء والإتيان والمجيء والنفس -، وكثيراً ما سلك مسلك التأويل الأشعري فأول بقية الصفات، كالعلو والأصابع والساق والقدم والرجل والفرح والمحبة والرحمة واليدين والضحك وغيرها. على ما سبق بيانه والرد عليه في حينه.

١٤ - وافق المتكلمين في استعمال بعض المصطلحات البدعية في حديثه عن الصفات، كالقول بالجوهر والعرض وحلول الحوادث.. وغير ذلك.

١٥ - يختلف منهجه مع منهج السلف في صفة الكلام رغم إثباته ذلك لله تعالى، حيث إنه ينفي أن يكون كلام الله تعالى بحرف وصوت، بمعنى أنه وافق الأشاعرة القائلين إن كلام الله نفسي قديم بدون حرف وصوت.

١٦ - وافق مذهب السلف في كل ما ذكره من مسائل الايمان وما يتعلق به من قضايا ومباحث كتعريف الايمان وزيادته ونقصانه وحكم مرتكب الكبيرة وغير ذلك.

١٧ - نهج منهج السلف في باب النبوات، ولم أجد له أي مخالفات في ذلك سوى مبالغته في قضية عصمة الأنبياء كما سبق بيانه في موضعه.

١٨ - اتفق منهجه مع منهج السلف أيضاً في قضايا الايمان بالمعاد واليوم الآخر ومقدماته وما يتعلق بذلك من أمور، ولم يخالف إلا في نفي شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب، وكذلك نفيه أن تكون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الآخرة في جهة رغم موافقته للسلف في إثبات هذه الرؤية لهم ونفيها عن غيرهم.

١٩ - نهج مذهب السلف فيما بحثه وأبانه في أمر الصحابة رضي الله عنهم ودافع عنهم بقوة ورد على الرافضة وكفرهم لاعتقادهم كفر الصحابة وغير ذلك من العقائد.

٢٠ - أجاد في الرد على الفرق الضالة كالجهمية والخوارج والمعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم ووافق مذهب السلف في إنكار بدعهم وضلالاتهم والرد عليهم.

هذا باختصار ما توصلت إليه من نتائج وما أمكنني حصره هـهنا من نقاط، وهو مبسوط في مكانه.

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يأخذ بنواصينا لما فيه رضاه وسعادتنا في الدارين، وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه به، وأن يغفر لنا ولجميع المسلمين. إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهارس العامة

١ – فهرس الآيات القرآنية
٢ – فهرس الأحاديث النبوية
٣ – فهرس الآثار
٤ – فهرس الأعلام
٥ – فهرس الفرق والطوائف والأديان
٦ – فهرس القبائل والأماكن
٧ – فهرس المصطلحات
٨ – فهرس الشعر
٩ – فهرس المراجع والمصادر
١٠ – فهرس الموضوعات

الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	رقمها	الصفحة

سورة الفاتحة

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾	١	٧٢، ٢٧٩
﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾	٧	٥٤٥

سورة البقرة

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾	١-٢	٤٣٩
﴿ ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾	١-٥	٢٥٧، ٦٠٩
﴿ أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون ﴾	٥	١٢٥
﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ﴾	٢١-٢٢	٦٨، ١٥٦
﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ﴾	٢٣-٢٤	٣٤٩، ٥٨٩
﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾	٢٤	٦٦١
﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾	٢٦	٣٥٩، ٣٦١
﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾	٣٠	١٤٠
﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ﴾	٣٤	٣٩٩، ٦٢٠
﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾	٣٥	٦٦٠
﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ﴾	٧٥	٢٧٦
﴿ لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾	٧٨	٥٣٢
﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾	٨٥	٤١٣

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل ﴾	١٩	٤٣٦
﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾	١٠٢	٣٨٢، ٣٨٣
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا ﴾	١٠٤	٣٨٨، ٥٦٤، ٥٦٨
﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾	١٠٥	٢٦٣
﴿ وأقيموا الصلاة ﴾	١١٠	٢٨٢
﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره ﴾	١١٢	١٦٦
﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل ﴾	١٣٦-١٣٧	٤١٣،٤٣٤،٤٦٠،٥٢٦
﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾	١٣٨	٩٠
﴿ أأنتم أعلم أم الله ﴾	١٤٠	٢٦١
﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾	١٤٣	٤٦٢،٥٢٠
﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾	١٤٣	٥٨٦
﴿ إن الله مع الصابرين ﴾	١٥٣	٣٦٨
﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا ﴾	١٥٤-١٥٥	١١١، ١٣٨، ٥٣٧
﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾	١٦٤	٩٤
﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم ﴾	١٦٥	١٦٨
﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرّة فنتبرأ منهم ﴾	١٦٧	٦٦٣
﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾	١٧٧	٩٦، ٤٦١-٤٦٢
﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾	١٧٨	٤٨٦
﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾	١٩٥	٣٤٨

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ والله لا يحب الفساد ﴾	٢٠٥	١٣٠، ١٣١
﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل... ﴾	٢١٠	١٠٣، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٠
﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ﴾	٢١٣	٧٤
﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾	٢١٦	١٤٤
﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾	٢٢٢	١٧٦، ٣٤٨، ٥١٠، ٥٢٥
﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾	٢٤٩	٣٦٨
﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾	٢٥٣	٢٧٦، ٥٠٢
﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾	٢٥٣	١٠٩
﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾	٢٥٤	٣٧٩
﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾	٢٥٥	٢١٥، ٢١٦، ٢٦٣، ٢٧٤، ٤٠٥
﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾	٢٥٥	٢٧٠
﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾	٢٥٥	٢٩٢
﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات ﴾	٢٥٧	١٦٣
﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ﴾	٢٦٠	٥٢٠
﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾	٢٨١	٦١٠
﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ﴾	٢٨٥	٤٣٤، ٦٠٤، ٦٠٥

سورة آل عمران

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ ألم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب ﴾	١-٣	٤٣٩

الآيـــة رقمها الصفحة

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿ ألم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب ﴾	١-٤	٦٠٤
﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾	٧	٢٢٥-٢٢٦
﴿ الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ﴾	١٦	١٩٢
﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾	١٩	٤٦٩، ٤٧٣، ٥٠٦
﴿ قل اللهم ما لك الملك تؤتي الملك من تشاء ﴾	٢٦	١٢٧
﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾	٢٨،٣٠	٣٢٢
﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾	٣١	١٦٦،١٧١،٢٠٦،٣٤٨، ٥٤٥،٥٤٧،٥٥٩
﴿ قل أطيعوا الله والرسول ﴾	٣٢	٥٤٢
﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا... ﴾	٥٣	١٩٢
﴿ يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ﴾	٥٥	٢٩٢، ٦٢٢
﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ... ﴾	٦٤	٦٥
﴿ فإن الله يحب المتقين ﴾	٧٦	٥١٠
﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ... ﴾	٨٥	٤٤٣، ٤٦٩، ٤٧٣
﴿ وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾	١١٧	١٢٧
﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾	١٣٢	٥٤٢
﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾	١٣٣	٦٦٠
﴿ والله يحب المحسنين ﴾	١٣٤	٥١٠
﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم... ﴾	١٣٩	٣٥٢
﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾	١٥٤	١٠٤
﴿ وشاورهم في الأمر ﴾	١٥٩	٥٣٦
﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾	١٥٩	١٧٨
﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾	١٦٠	١٧٨
﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا... ﴾	١٦٤	٥٠٠
﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ... ﴾	١٧٣	١٧٨، ٤٦٦

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم... ﴾	١٧٥	١٨١
﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير... ﴾	١٨١	٢٧٥
﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾	٢٠٠	٥٣٧

سورة النساء

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً... ﴾	١٤	٥٥٢
﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾	٣١	٤٧٩، ٤٨١
﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم... ﴾	٣٤	٥١٦
﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾	٣٦	١٥٦
﴿ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك... ﴾	٤٨	٤٨٦، ٤٨٨
﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات ﴾	٥٧	٦٦٢
﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾	٥٩	٥٤٢، ٥٤٧
﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾	٦٤	٥٤٣
﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله ﴾	٦٤	١٩٧، ٧٠٥
﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾	٦٥	٥٤٤، ٥٤٥
﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾	٦٩	٥٤٢، ٥٤٣
﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ... ﴾	٧٩-٧٠	٥٥٧
﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ﴾	٧١	١٨٠

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾	٨٠	٥٤٢
﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً... ﴾	٩٣	٣٤٩
﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم... ﴾	١١٣	٥٣٠
﴿ وعلّمك ما لم تكن تعلم ﴾	١١٣	٥١٩
﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى... ﴾	١١٥	٥٥٠، ٥٥١
﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾	٤٨، ١١٦	١٦٣،٣٧٦،٣٧٧،٣٧٨ ٤٠٢،٦٥٦
﴿ وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون... ﴾	١٤٢	٣٩٧
﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا... ﴾	١٥٠	١٣٧، ٤١٢
﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا... ﴾	١٥٠-١٥١	١٣٧، ٤٣٦
﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه... ﴾	١٥٧-١٥٨	٦٢٢
﴿ بل رفعه الله إليه ﴾	١٥٨	٢٩٢
﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾	١٥٩	٦٢١، ٦٢٣
﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا ﴾	١٦٣	٤٢١
﴿ وكلّم الله موسى تكليماً ﴾	١٦٤	٢٧٦، ٢٧٩
﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس... ﴾	١٦٥	٩٢، ٥٠١
﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ﴾	١٦٨-١٦٩	٦٦٢

سورة المائدة

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ إن الله يحكم ما يريد ﴾	١	٢٧٣
﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي... ﴾	٣	٤٦٩،٤٧٣،٥٥٣
﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ﴾	٥	٤٦٩
﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم... ﴾	١٣	٤٣١
﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم... ﴾	١٧	٥١٤

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء ﴾	١٧	٢٧١-٢٧٢
﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾	٢٣	١٧٨
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾	٣٥	١٩٠
﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر... ﴾	٤١	٤٦٠
﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾	٤٤	٤٩٧
﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾	٤٤	١٨١
﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾	٤٩	١٠٩
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء... ﴾	٥١	٤٤٣، ٤٤٩
﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم... ﴾	٦٤	٣٠٤، ٣٠٧
﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾	٦٧	٥٥٣، ٦٨٠
﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾	٧٢	٤٠٦
﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ﴾	٧٢	٣٧٧، ٤٠٢
﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة... ﴾	٧٣	٤٠٨،٤٠٩،٥١٤،٥١٥
﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل... ﴾	٧٥	٥١٥
﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً... ﴾	٧٦	١٥٧
﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود... ﴾	٨٢	٥٩٨
﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾	١١٦	٣٢٢

الآيـــة	رقمها	الصفحة

سورة الأنعام

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾	١	١٠٩
﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض ﴾	٣	٢٨٦، ٢٩١
﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ﴾	٩	٥١٣
﴿ وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾	١٩	٤٣٨
﴿ ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾	٢٨	١٠٨
﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾	٣٨	٦٠٥
﴿ من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾	٣٩	١٠٩
﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾	٥٢	٤٦١
﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾	٥٤	٣٢٢، ٣٥٤
﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾	٥٩	٢٧١
﴿ فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي... ﴾	٧٦-٧٨	٥١٨
﴿ هذا ربي ﴾	٧٦، ٧٨	٥٣١
﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم... ﴾	٨٢	٣٧٩
﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده... ﴾	٨٨	٣٧٨
﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر... ﴾	٩١	٤١٤
﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ... ﴾	٩٣	٤١٥،٤١٧
﴿ وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له... ﴾	١٠٠-١٠١	٤٠٦
﴿ لا تدركه الأبصار ﴾	١٠٣	٢٦٣،٦٧٦،٦٨٠
﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾	١١٥	١٢٨، ٢٧٦
﴿ أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به ﴾	١٢٢	١٦٣
﴿ قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ﴾	١٢٨	٦٦٥
﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾	١٣٠	٤٢١

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم... ﴾	١٤٥	١٥٦
﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ﴾	١٥٣	٢٣٥
﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك... ﴾	١٥٨	٣٣٨، ٦٣٢
﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي... ﴾	١٦٢	١٥٦

سورة الأعراف

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ ألمص * كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾	١-٢	٤٣٩
﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا... ﴾	٢٣	٥٢٥
﴿ فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾	٣٤	١٢٢،١٤١،١٤٢
﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعلمون ﴾	٤٣	٦٦٣،٦٦٤
﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ﴾	٥٢	٣٤٠
﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام... ﴾	٥٤	٣٣٣
﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾	٥٤	٧٣، ٤٠٦
﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾	٥٥	١٧٣
﴿ قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم... ﴾	٨٩	٥١٩
﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾	٩٩	١١١
﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾	١٤٣	٢٧٦،٦٧٤،٦٨٣
﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾	١٥٨	٤١٩،٥٤١
﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله ﴾	١٥٨	٥٤٥
﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم... ﴾	١٧٢-١٧٣	٩١
﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾	١٨٠	١٩٢،٢٢٢،٢٤٢،٢٤٧، ٣٧٥

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون * ولا يستطيعون... ﴾	١٩١-١٩٢	٣٧٥
﴿ خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين ﴾	١٩٩	٥٣٧

سورة الأنفال

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم... ﴾	١	٤٦٦
﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾	٩	١٧٢
﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ﴾	٢٤	٥٤٤
﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً... ﴾	٤٧	٣٩٧
﴿ و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾	٦٠	١٨١

سورة التوبة

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ فسيحوا في الأرض ﴾	٢	٢٩٠-٢٩١
﴿ إن الله يحب المتقين ﴾	٤، ٧	٣٤٨
﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره... ﴾	٦	٢٧٦، ٢٨٥
﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله... ﴾	٢٠-٢١	٤٦٢
﴿ قل إن كان آباؤكم و أبناؤكم وإخوانكم و أزواجكم... ﴾	٢٤	١٦٨، ٥٥٤
﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر... ﴾	٢٩	٤٤٣،٦١٠
﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾	٣٠	٣٠٩
﴿ إذ قال لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾	٤٠	٣٦٨
﴿ ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ﴾	٤٦	٣٤٩
﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات ﴾	٥٨	٤٢٦
﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ﴾	٦١	٤٢٥،٤٢٦
﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم... ﴾	٦٤-٦٦	٤٢٥

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ﴾	٦٥	٤٠٨، ٤١١
﴿ ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله... ﴾	٦٥-٦٦	٤١٠،٤٤٠
﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾	١٠٠	٥٧٨، ٦٦٢
﴿ لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾	١٠١	٤٣٢
﴿ وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً... ﴾	١٢٤-١٢٥	٤٦٦

سورة يونس

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام... ﴾	٣	١٠٤، ١٣٣، ١٣٤
﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم... ﴾	١٨	٧٧
﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة ﴾	١٩	٧٤
﴿ وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ﴾	٢٢	٣٥٥
﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾	٢٦	٣٠٠، ٦٧٣، ٦٧٦
﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض... ﴾	٣١	٦٩، ٧٧
﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾	٤٤	١٢٧
﴿ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء... ﴾	٦١	١٠٨
﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين... ﴾	٩٤	٥٢٠
﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ﴾	٩٩	١٠٩
﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض... ﴾	١٠١	٩٣

سورة هود

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله... ﴾	١٣	٤٣٩،٥٨٩

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله... ﴾	١٤	٩٩
﴿ وقضي الأمر ﴾	٤٤	١٠٣
﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق... ﴾	٤٥-٤٧	٥٢٤
﴿ رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ﴾	٤٧	٥٢٥
﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾	٥٤	٥١٧
﴿ أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ﴾	٦٢	٥١٧
﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود... ﴾	١٠٣-١٠٤	٦١٠
﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق... ﴾	١٠٦-١٠٧	٦٦٥
﴿ إن ربك فعال لما يريد ﴾	١٠٧	٢٧٣
﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ﴾	١٠٨	٦٦٥
﴿ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ﴾	١٠٩	٥٢٠

سورة يوسف

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾	١٧	٤٥٣
﴿ وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم ﴾	٦٢	١٦٢
﴿ إنك لفي ضلالك القديم ﴾	٩٥	٥١٩
﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾	١٠٦	٦٩
﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم ﴾	١٠٩	٤٢٠-٤٢١، ٥١٥
﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا... ﴾	١١٠	٥٢٠

سورة الرعد

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى... ﴾	٢	٣٣٤
﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات... ﴾	٤	٩٥

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾	٧	٧، ٤٢٠
﴿ فسالت أودية بقدرها ﴾	١٧	١٠١
﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾	٢٨	٤٦١
﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾	٣٣	٢١٣
﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار ﴾	٣٥	٦٦٢
﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾	٣٩	١٤٢
﴿ ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً... ﴾	٤٣	٤١٣

سورة إبراهيم

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾	٤	٥٠٥
﴿ أفي الله شك فاطر السموات والأرض... ﴾	١٠	٩٢
﴿ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن... ﴾	١١	٥١٣
﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وما لنا ألا نتوكل على الله... ﴾	١١-١٢	١٧٨
﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا ﴾	١٣	٥١٩
﴿ يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾	٢٧	٦٤٣
﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات... ﴾	٤٨-٥٢	٦١١

سورة الحجر

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾	٩	٤٤١،٥٣٣،٥٩١،٦٠٥
﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين... ﴾	٤٧-٤٨	٦٦٢
﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾	٩٩	٦٩٣

سورة النحل

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون... ﴾	٢٠-٢١	١٥٨،٦٩
﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم ﴾	٢٦	٣٤٠
﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعلمون ﴾	٣٢	٧٠٩،٧٠٨،٦٦٩،١٣٥
﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾	٣٦	٣٧٧،١٥٧،٩٠،٧٨ ٥٠٠،٤١٢،٤٠٢
﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾	٥٠	٢٩٧،٢٩٢،١٨٢،١٨١
﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾	٥٣	١١١
﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً في السموات والأرض شيئاً... ﴾	٧٣	١٥٨،٧٠
﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾	٧٤	٢٢٤
﴿ سرابيل تقيكم الحر ﴾	٨١	١٢٧
﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾	٨٩	٦٠٥
﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ﴾	٩٠	٥٨٩
﴿ قل نزله روح القدس من ربك ليثبت الذين آمنوا وهدى... ﴾	١٠٢	٢٩٢
﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾	١٠٣	٤٣٧
﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام... ﴾	١١٦	٤٤٧
﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾	١١٨	١٣٥-١٣٦
﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين... ﴾	١٢٠-١٢٣	٥١٨
﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ﴾	١٢٧	٥٣٧
﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾	١٢٨	٣٦٨

الآيـــة	رقمها	الصفحة

سورة الإسراء

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام... ﴾	١	٥٩٣، ٥٩٤
﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾	١٥	٩٢، ١٢٥، ١٥١
﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً... ﴾	٢٣	١٠٠، ١٥٦
﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾	٢٤	٢٦٧
﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾	٣٢	٢٨٢
﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ﴾	٣٨	١٣١
﴿ وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض... ﴾	٥٥	٥٠٢
﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة... ﴾	٥٧	١٩٠
﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره... ﴾	٧٣-٧٤	٥٣٠
﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾	٧٩	٥٠٧
﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾	٨٦	٦٦٥
﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن... ﴾	٨٨	٤٣٩، ٥٨٩
﴿ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا... ﴾	٩٥	٥١٣
﴿ قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ﴾	١٠٢	٣٧٤، ٤٠٤
﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء... ﴾	١١٠	١٧٣، ٢٣٨، ٢٤٧
﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك... ﴾	١١١	٤٠٦

الآيـــة	رقمها	الصفحة

سورة الكهف

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾	٥	٣٢١، ٤١٨
﴿ له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ﴾	٢٦	٢٧٥
﴿ واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك ﴾	٢٧	٦١٢
﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه... ﴾	٣٥-٣٨	٣٩٩
﴿ ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة ﴾	٤٧	٦١٢-٦١٣
﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً * وعرضوا على ربك... ﴾	٤٧-٤٨	٦٤٩
﴿ وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾	٤٨	٦١٣
﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾	٤٩	٢٦٣
﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن... ﴾	٥٠	٦٠٢
﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة... ﴾	٨٦	٦٣٤
﴿ ثم أتبع سبباً * حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً... ﴾	٩٢-٩٩	٦٢٧
﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه ﴾	٩٧	٢٩٤
﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ﴾	١٠٣	١٦٥
﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة... ﴾	١٠٣-١٠٦	٤٤٥
﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر ﴾	١٠٩	٢٧٨، ٢٨٢
﴿ إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد ﴾	١١٠	١٦٧، ٥١٣

الآيـــة	رقمها	الصفحة

سورة مريم

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ وجعلني مباركاً أينما كنت ﴾	٣١	٢٠٠
﴿ هل تعلم له سمياً ﴾	٦٥	٢٢٤
﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾	٧١	٦٥١، ٦٥٢
﴿ كان على ربك حتماً مقضياً ﴾	٧١	١٠٣

سورة طه

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾	٥	٨٤،٨٦،٢٢٦،٢٢٩
﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾	١١	٨٤
﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ﴾	١٤	١٦٠
﴿ ولتصنع على عيني ﴾	٣٩	٣٠١
﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾	٤١	٣٢٢، ٧٠٧
﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾	٤٦	٣٦٧
﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾	٥٠	٣٢٦
﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾	٦٩	٣٨٢
﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾	٧١	٢٩١
﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ﴾	١٠٩	٦٥٥،٧١١
﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً ﴾	١١٠	٢١٣،٢٢٦،٢٧٤
﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾	١٢١	٥٢٣
﴿ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري ﴾	١٢٣-١٢٤	٢٣٧
﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة... ﴾	١٢٤-١٢٦	٤٩٩

الآيـــة	رقمها	الصفحة

سورة الأنبياء

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾	٢٠	٦٩٣
﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾	٢٢	٢١٣، ٢١٤، ٤٠٦
﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾	٢٣	١٢٣، ١٢٦، ١٢٨
﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾	٢٥	١٥٧، ٣٧٧، ٤٠٢
﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه ﴾	٢٦	٤٣٣
﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾	٢٨	١٨١، ٦٥٥، ٧١١
﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم... ﴾	٢٩	٥٠٥
﴿ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً... ﴾	٣٢	
﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾	٤٢	٣٠١
﴿ قل إنما أنذركم بالوحي ﴾	٤٥	٤٣٨
﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾	٦٣	٥٣١
﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه ﴾	٨٧	٥٠٤، ٥٢٠، ٥٢١
﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ﴾	٩٠	١٨٢
﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون... ﴾	٩٦-٩٧	٦٢٧
﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾	١٠٧	٤١٩
﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾	١٤٠	٦٤٢

سورة الحج

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ وليوفوا نذورهم وليطوّفوا بالبيت العتيق ﴾	٥	١٨٥
﴿ وأن الله يبعث من في القبور ﴾	٧	٦٠٨
﴿ ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾	١٠	٣٠٦

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ﴾	٥٢	٣٣،٤٩٦،٤٩٧،٥٣٣
﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان... ﴾	٥٢-٥٣	٥٢٨
﴿ هو العلي الكبير ﴾	٦٢	٢٦٣
﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات والأرض إن ذلك في كتاب ﴾	٧٠	١٠٨
﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ﴾	٧٥	٤١٧، ٤٩٤

سورة المؤمنون

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة... ﴾	١٢-١٤	٩٧
﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾	١٤	١١٤، ٢٠٠
﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون ﴾	٧٥	٣١٥
﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله... ﴾	٨٦-٨٧	٧٧

سورة النور

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك... ﴾	١٦	٤٣٣،٧٢١
﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ﴾	١٧	٤٣٣، ٢٧٩، ٧٢١
﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ﴾	٢١	٦٦٨
﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ﴾	٢٦	٧٢١

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾	٣١	١٧٦
﴿ يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾	٤٣	٥٣٠
﴿ إنما كان قولَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا ... ﴾	٥١-٥٢	٥٤٨
﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾	٥٤	٥٤٢
﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾	٦٣	٥٦٧
﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم... ﴾	٦٣	٥٤٤،٥٥٠،٥٥١،٥٦٤، ٥٦٧

سورة الفرقان

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ﴾	١	٢٠٠، ٤٠٥، ٤٠٦
﴿ الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك... ﴾	٢	٧٣، ١٠٥
﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾	٣	٣٧٥
﴿ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم... ﴾	٥	٤٣٦، ٤٣٧
﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾	٦	٤٣٧
﴿ وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً ﴾	١١	٦٦١
﴿ وما أرسلنا من قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون... ﴾	٢٠	٥١٣
﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ﴾	٤٥	١٠٩
﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده ﴾	٥٨	٢٧٤

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام... ﴾	٥٩	٣٣٤
﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد... ﴾	٦٠	٢٤٠، ٣٥٣
﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ﴾	٦١	٢٠١

سورة الشعراء

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون ﴾	١٤	١٨١
﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين * أن أرسل معنا بني إسرائيل... ﴾	١٦-٣٣	٩٨-٩٩
﴿ وما رب العالمين ﴾	٢٣	٣٧٣، ٤٠٣
﴿ لئن اتخذت إله غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾	٢٩	٤٠٣، ٤٠٤
﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾	٧٠	٥١٨
﴿ أفرأيتم ما تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون... ﴾	٧٥-٧٧	٥١٨
﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾	٨٢	٥٢٥

سورة النمل

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ﴾	٤	١١٩
﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾	١٤	٣٧٤
﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾	٦٥	٦٨٠
﴿ فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء ﴾	٨٠	٦٤٦
﴿ واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم... ﴾	٨٢	٦٣٠

الآيـــة	رقمها	الصفحة

سورة القصص

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين... ﴾	١٥-١٦	٥٢٤
﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾	٣٨	٤٠٣، ٤٠٤
﴿ وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾	٣٩	٦١٢
﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾	٥٠	٢٥٦
﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾	٥٦	١٢٥
﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾	٦٨	١٢٦، ٢٧٣
﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾	٧٦	٣٥٥
﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾	٧٨	١١١
﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾	٨٨	٢٩٩، ٣٠٠، ٦٦٤، ٦٦٧

سورة العنكبوت

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت... ﴾	٤١	٢٨٤
﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾	٤٩	٢٨٥
﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم... ﴾	٥١	٢٥٦
﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾	٦٢	٢٧٠
﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه... ﴾	٦٨	٣٩٩، ٤٢٩

سورة الروم

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ﴾	٢١	٥٠٠

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم... ﴾	٢٢	٩٧
﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾	٣٠	٧٥، ٨٩
﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾	٣٩	٣٠٠
﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم... ﴾	٤٠	٦٥

سورة لقمان

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ يا بني لا تشرك بالله ﴾	١٣	٣٧٩
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده... ﴾	٣٣	٦١٠

سورة السجدة

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾	٤	٢٣١، ٣٣٤
﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾	٥	٢٣٣
﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾	٧	١١٤
﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾	١٦-١٧	١٨٢
﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾	١٧	١١٤، ١١٨، ١٣٦، ٦٦٨، ٧١٦

الآيـــة	رقمها	الصفحة

سورة الأحزاب

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾	٦	٥٥٣، ٥٧٤
﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾	٢١	١٦٦، ٥٤٥
﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾	٣٣	٥٧٤، ٥٧٥
﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾	٣٤	٥٧٥
﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً ﴾	٣٦	٥٥٢
﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾	٣٨	١٠٥
﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله... ﴾	٣٩	١٨١
﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾	٤٠	٤١٣، ٤١٥، ٥٠٦، ٥٤١
﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾	٤١-٤٢	٤٦١
﴿ وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ﴾	٥٣	٣٥٩، ٣٦٠، ٤٢٦
﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾	٥٦	٥٨١، ٦٩٦، ٧٠١
﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً * خالدين فيها... ﴾	٦٥-٦٦	٦٦١، ٦٦٢
﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾	٦٦	٥٤٣

الآيــــة	رقمها	الصفحة

سورة سبأ

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾	٣	٧٣، ٢٦٣، ٢٧٠
﴿ وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾	٢٨	٤١٩، ٥٠٥، ٥٤١
﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن... ﴾	٣٧	٤٦١

سورة فاطر

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ﴾	٦	٧٦
﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي... ﴾	٨	١١٩، ١٢٨
﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه ﴾	٩	٦٠٨
﴿ فلله العزة جميعاً ﴾	١٠	٢٤٠
﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾	١٠	٨٤، ٢٨٦
﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾	٢٤	٤١٢، ٤٢٠
﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود... ﴾	٢٧-٢٨	٩٤
﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ﴾	٤٤	٢٧٢
﴿ إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم... ﴾	٤٩	٤٦١

سورة يس

الآيــــة	رقمها	الصفحة
﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان ﴾	٦٠	٤٠٤
﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم... ﴾	٦٥	٢٨٠
﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا... ﴾	٧١	٣٠٦، ٣٠٧

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر... ﴾	٨١	٢٧٢
﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾	٨٢	١٠٩،٢٤٩،٢٧٣،٣٠٥
﴿ بيده ملكوت السموات والأرض ﴾	٨٣	١٠٤

سورة الصافات

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ بل عجبت ويسخرون ﴾	١٢	٣٦٢
﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾	٢٣	١٢٦
﴿ إذ جاء ربه بقلب سليم ﴾	٨٤	٥١٨
﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾	٩٦	١٢٩
﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله... ﴾	١٥١-١٥٢	٤٠٦
﴿ وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون ﴾	١٦٥-١٦٦	٦٠١

سورة ص

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب * ما سمعنا بهذا... ﴾	٥-٧	٧٧
﴿ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا... ﴾	٦-٨	٤٣٦
﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب * إذ دخلوا على داود... ﴾	٢١-٢٥	٥٢٤
﴿ فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب ﴾	٢٤	٥٢٥
﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض... ﴾	٢٨	١٣٧
﴿ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾	٤٧	٤٩٤
﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ ﴾	٧٥	٢٢٥،٣٠٣،٣٠٦،٣٠٧
﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر... ﴾	٨٦	٦٣٦

الآيـــة	رقمها	الصفحة

سورة الزمر

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾	١	٢٩٢
﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا... ﴾	٣	٧٧،١٩٥،٢٩٠،٣٧٦
﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم... ﴾	٧	١٣٠
﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾	١١	١٦٦
﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون * لهم ما يشاؤون... ﴾	٣٣-٣٤	٤٦٠
﴿ الله خالق كل شيء ﴾	٦٢	١٠٩،١٢٩،٢٧٢
﴿ وما قدروا الله حق قدره... ﴾	٦٤	٣٠٨، ٣١٢
﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون * ولقد أوحي إليك... ﴾	٦٤-٦٦	٧٠،٣٧٦،٣٧٨،٤٠٢

سورة غافر

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب... ﴾	٣	٢٦٣، ٢٦٤
﴿ فالحكم لله العلي الكبير ﴾	١٢	٢٩٢
﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين... ﴾	١٤	١٦٦
﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾	١٦	٥٧
﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾	١٨	٦٥٥، ٧١٢
﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها... ﴾	٤٥-٤٦	٦٤٣
﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم... ﴾	٦٠	١٧٣، ٢٤٦
﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً... ﴾	٦٤	٦٨
﴿ فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك ﴾	٧٧	١٣٩

الآية	رقمها	الصفحة

سورة فصلت

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى... ﴾	١٢	١٠٢
﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا... ﴾	٢١	٢٨١
﴿ لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه... ﴾	٢٦	٥٣٣
﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾	٢٨	١١٨،١٣٦،٧١٦
﴿ ادفع بالتي هي أحسن... ﴾	٣٤	٤٣١
﴿ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون ﴾	٣٨	٦٠١
﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ﴾	٤٠	٢٢٢
﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾	٤٢	٥٩١
﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم... ﴾	٥٣	٩٣
﴿ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد ﴾	٦٨	٦٦٣

سورة الشورى

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾	٩	٢٦٥
﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾	١١	٦٦،٨٤،٢١٣،٢١٨، ٢٢٢،٢٢٤،٢٢٥،٢٢٧، ٢٣٣،٢٥٩،٢٦٣،٢٦٥، ٢٧٥،٣٠١،٤٠٥
﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً... ﴾	١٣	٥٠٣
﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾	٣٠	٣٠٦
﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش... ﴾	٣٧	٤٧٦
﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾	٤٣	٥٣٧
﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً... ﴾	٥١	٦٨٠،٦٩٢
﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾	٥٢	٥١٩،٥٢٠
﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾	٥٢	١٢٥

الآية	رقمها	الصفحة

سورة الزخرف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾	٩	٧٧
﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴾	١٩	٥٣٣
﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل... ﴾	٣١	٤١٨
﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾	٥٥	٣٥١
﴿ وإنه لعلم للساعة ﴾	٦٧	٦٢٢
﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾	٨١	٣٧٨
﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله... ﴾	٨٧	٦٩،٧٧،٢٩٠

سورة الدخان

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس... ﴾	١٠-١٦	٦٣٤، ٦٣٥
﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾	٣٢	٥٣٩

سورة الجاثية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين * وفي خلقكم وما يبث من دابة... ﴾	٣-٦	٩٥
﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات... ﴾	٢١	١٣٧

سورة الأحقاف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾	٣	٣٩٩
﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا... ﴾	١٣	٤٦٠،٤٦١
﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون... ﴾	٢٩-٣٠	٤٢١
﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾	٣٥	٥٣٧

الآية	رقمها	الصفحة

سورة محمد

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾	٤	١٢٥
﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل... ﴾	١٢	٤٩٩
﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا... ﴾	٢٨	٣٤٩
﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا... ﴾	٣٣	٥٤٢

سورة الفتح

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك... ﴾	١-٢	٥٠٥
﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾	٢	٥٢٤
﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين... ﴾	٤	٤٦٦
﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين... ﴾	٦	٣٨٠،٣٧٩،٢٦١
﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * لتؤمنوا بالله ورسوله... ﴾	٨-٩	٥٦٤ ،٥٤٠
﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾	١٠	٣٠٧
﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا... ﴾	١٣	٥٤٠
﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك... ﴾	١٨	٥٧٨
﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء... ﴾	٢٩	٧٢٠ ،٥٧٩ ،٥٧٨

سورة الحجرات

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله... ﴾	١	٥٦٨ ،٢٥٦
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله... ﴾	١-٣	٥٦٤
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له... ﴾	٢	٥٧٢ ،١٩٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض... ﴾	٢-٥	٥٦٦، ٥٦٧
﴿ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله... ﴾	٣-٤	١٩٧
﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا... ﴾	٩	٤٨٧،٦٢٣
﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا... ﴾	١٤	٤٦٨،٤٧٢
﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله... ﴾	١٥	٤٦٠،٤٦٩

سورة ق

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وما مسنا من لغوب ﴾	٣٨	٢٦٣

سورة الذاريات

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾	٢٠-٢١	٩٣
﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾	٢١	٩٦
﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾	٣٥-٣٦	٤٧٢
﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق... ﴾	٥٦-٥٨	٨٧،١٥٧،٤٠٢
﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾	٥٨	٢٣٩

سورة النجم

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى... ﴾	١-١٨	٥٩٣
﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾	٣-٤	٤٣٨،٤٤٥،٥٢٦
﴿ علمه شديد القوى ﴾	٥	٦٨٤
﴿ فاستوى * وهو بالأفق الأعلى ﴾	٦-٧	٦٨٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾	٨-٩	٦٨٤
﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾	٩	٦٨١، ٦٨٤
﴿ ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى ﴾	١٣-١٤	٦٨٠،٦٨١،٦٨٤
﴿ ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى ﴾	١٣-١٥	٦٦٠
﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾	١٨	٦٨٦
﴿ أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى ﴾	١٩-٢٠	٥٢٨
﴿ ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى ﴾	٢١-٢٢	٥٣٢
﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله... ﴾	٣٠	١٠٨
﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ﴾	٣١	١١٨،١٣٦،٧١٦
﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش... ﴾	٣٢	٤٧٩، ٤٨١

سورة القمر

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا... ﴾	١-٢	٥٩٢
﴿ تجري بأعيننا ﴾	١٤	٣٠١
﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾	٤٠	٥٩١
﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم... ﴾	٤٨	١٣٣
﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾	٤٩	١٠١، ١٠٥
﴿ وكل صغير وكبير مستطر ﴾	٥٣	٤٧٩

سورة الرحمن

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ مرج البحرين يلتقيان ﴾	١٩	٤٢١
﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال... ﴾	٢٧	٢٩٨،٢٩٩،٣٠٠

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الواقعة		
﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾	٧٩	٦٠١
سورة الحديد		
﴿ سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم * له ملك... ﴾	١-٦	٢١٦
﴿ هو الأول والآخر ﴾	٣	٢١٣، ٢٩٣
﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش... ﴾	٤	٣٣٤،٣٦٧،٣٦٨،٣٩٩
﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها... ﴾	٢١	٦٦٠،٦٦١
﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب... ﴾	٢٢	١٠٨،١١١
﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾	٢٥	٥٨٧
﴿ وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴾	٢٦	٤٢١
سورة المجادلة		
﴿ لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها... ﴾	١	٢٧٥
﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم... ﴾	٧	٢٩٧
﴿ إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك... ﴾	٢٠	٤٢٥
﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله... ﴾	٢٢	٤٤٣،٤٤٤،٥٦٠،٥٦١
سورة الحشر		
﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه... ﴾	٧	١٦٦،٢٣٠
﴿ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم... ﴾	٩	٥٥٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة... ﴾	٢٠	١٣٧
﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب... ﴾	٢٢	١٠٨،٢١٦،٢٧١
﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس... ﴾	٢٣	٢٦٣
﴿ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء... ﴾	٢٤	٢٣٨
﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم... ﴾	٢٢-٢٤	٦٥

سورة الممتحنة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي... ﴾	١	٤٤٣
﴿ لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم... ﴾	٤	٤٤٤
﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾	٨	٣٤٨

سورة الصف

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون... ﴾	٢-٣	٣٤٩
﴿ ليظهره على الدين كله ﴾	٩	٥٨٦

سورة المنافقون

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول... ﴾	١	٥٤١
﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع... ﴾	٣	٤٩٩
﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾	٨	٤٢٥

سورة التغابن

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما... ﴾	٤	٢٧١
﴿ فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾	٨	٥٤٠
﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن... ﴾	١١	١٣٨

الآية	رقمها	الصفحة

سورة الطلاق

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله... ﴾	١٢	١٠٨

سورة التحريم

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾	٤	٣٠٢
﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾	٦	٦٠١
﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة... ﴾	٨	١٧٦

سورة الملك

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾	١	٢٠٠، ٣٠٦
﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾	٢	١٦٧
﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى... ﴾	٨-١١	٥٠١
﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾	١٤	٢٧٠
﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾	١٥	١٨٠
﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم... ﴾	١٦	٢٩١
﴿ أأمنتم من في السماء ﴾	١٦	٢٩٧

سورة القلم

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾	٤	٥٣٨
﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود... ﴾	٤٢	٣١٤، ٣١٥
﴿ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم... ﴾	٤٤	٥٥٢

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحاقة		
﴿ ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه... ﴾	٤٥-٤٧	٥٢٩، ٥٣٠
سورة المعارج		
﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾	٤	٢٩٢
سورة نوح		
﴿ وجعل القمر فيهن نوراً ﴾	١٦	٢٩١
سورة الجن		
﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال... ﴾	٦	٣٩٤
﴿ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع... ﴾	٩	٣٨٥
﴿ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً ﴾	١٥	٦٢٣
﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾	١٨	١٧٣
﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم... ﴾	٢٣	٥٥٢
﴿ حتى إذا رأو ما يوعدون فسيعلمون... ﴾	٢٤	٦١٢
سورة المزمل		
﴿ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً ﴾	٥	٥١٤
سورة المدثر		
﴿ إن هو إلا قول البشر ﴾	٢٥	٢٨٣
﴿ سأصليه سقر ﴾	٢٦	٢٨٣
﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾	٤٨	٦٥٥،٦٥٩،٧١٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ كلا إنه تذكرة * فمن شاء ذكره * وما يذكرون... ﴾	٥٤-٥٦	١٣٠

سورة القيامة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾	١٦	٢٨٥
﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾	٢٢-٢٣	٦٧٣

سورة الإنسان

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يوفون بالنذر ﴾	٧	١٨٦
﴿ إنما نطعمكم لوجه الله ﴾	٩	٢٩٨
﴿ يوماً عبوساً قمطريراً ﴾	١٠	٣٥٩
﴿ إن هذه تذكرة * فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً * وما تشاؤون إلا... ﴾	٢٩-٣٠	١٣٠

سورة المرسلات

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إلى قدر معلوم ﴾	٢٢	١٠١

سورة النبأ

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ عم يتساءلون * عن النبأ العظيم ﴾	١-٢	٤٩٤

سورة النازعات

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾	٢٤	٣٧٣،٤٠٣،٤٠٤
﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴾	٢٥	٤٠٤

الآية	رقمها	الصفحة

سورة عبس

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ كرام بررة ﴾	١٦	٦٠١

سورة التكوير

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين ﴾	١٩-٢٠	٦٨٤
﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾	٢٣	٦٨٠، ٦٨٥
﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاؤون إلا أن يشاء الله... ﴾	٢٨-٢٩	١٣٠
﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾	٢٩	١٠٩، ٢٧٣

سورة المطففين

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾	١٥	٦٧٤

سورة البروج

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ ﴾	٢١-٢٢	٢٨٥

سورة الطارق

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين... ﴾	٥-٨	٩٦
﴿ إنه لقول فصل * وما هو بالهزل ﴾	١٣-١٤	٤٤١

الآية	رقمها	الصفحة

سورة الأعلى

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾	١	٢٩٢
﴿ والذي قدر فهدى ﴾	٣	١٢٥

سورة الفجر

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾	٢٢	٣٤٠،٣٣٨،٣٣٦

سورة البلد

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة * أولئك أصحاب الميمنة ﴾	١٧-١٨	٣٥٢

سورة الشمس

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾	٧-٨	١٣٣،١٣٢

سورة الليل

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى ﴾	٥-١٠	١٣٦ ،١١٩
﴿ فسنيسره لليسرى ﴾	٧	٧١٦ ،١١٨
﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى... ﴾	١٩-٢١	

سورة الضحى

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾	٧	٥١٩

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الشرح		
﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾	٤	٥٠٦
سورة التين		
﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾	٥	٩٧
سورة البينة		
﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له... ﴾	٥	١٥٦،١٦٥،١٦٧
سورة المسد		
﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾	١	٢٨٢
سورة الإخلاص		
﴿ قل هو الله أحد ﴾	١	٦٣
﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد... ﴾	١-٤	٦٤،٢١٥،٤٠٥
﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾	٤	٢٢٤
سورة الناس		
﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾	١	٢٧٩

الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة

(أ)

طرف الحديث	الصفحة
أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة	٥٥٣
أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن	٤١١
أتحبه، قال نعم. قال ما يسرك أن لا يأتي باباً	١٤٩
أتدرون أين تذهب هذه الشمس	٦٣٣
أتدرون ما الإيمان	٤٥٦،٤٦٢،٤٧٢
أتدرون من المفلس	٤٨٩
أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد	١٥٧،٤٠٣
أتعجبون من غيرة سعد	٣٦٧
أتيت النبي ﷺ و أصحابه حوله كأنما على...	٥٦٩
أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق	٥٩٧
اثنان في الناس هما بهم كفر	٤٠٠
اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله...	٣٨٢
أجعلتني لله نداً	١٦٢
احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم...	١٢٨،١٤٠،٣٠٣،٣٠٧
إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يظل...	٣٤٨
إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله...	٦٧٦
إذا ذهب شطر الليل الأول ينزل الله...	٣٤٤
إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن	١٩١،٥٠٩،٥٨٢
إذا صار أهل الجنة إلى الجنة و أهل النار...	٦٦٣
إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله...	١٧٤
إذا كان يوم القيامة فإن الله يمتحنهم	١٥٢
إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه	٥٤٣
إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت	٦٢٩
إذهب إليه فقل إنك لست من أهل النار	٥٦٦
إذهب فاضرب عنقه	٤٢٦

طرف الحديث	الصفحة
إربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ...	٢٧٥
ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء	٣٣٥
ارفعوا أيديكم - في قصة الشاة المسمومة -	٥٩٨
أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير	٦٤٧
أسعد الناس بشفاعتي من قال	١٥٨
اسمعوا الى ما يقول سيدكم إنه غيور وأنا	٣٦٥
أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل (الحوض)	٥١٢
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لايلق الله...	٨٧،٨٨،٧١٥
إشهدوا	٥٩٢
أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة	١٧٥
اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء	٦٦١
اعرضوا عليّ رقاكم... لا بأس بالرقى ما لم يكن	٣٩٣،٣٩٤
اعملوا فكل ميسر لما خلق له	١١٨،١٣٢،١٤٣،٧١٦
أعوذ برضاك من سخطك	٢٥٤
أفبهذا أمرتم ؟ أو ألهذا خلقتم ؟	١٢١
افتريت على الله وقلت ما لم يقل (حديث موضوع)	٥٣٠
أفلح وأبيه إن صدق	٧١٣
اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر	٢٠٩
اقتلوه (لعبد الله بن خطل)	٤٢٨
اقضه عنها - أي النذر -	١٨٦
ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال	٣٨٠
ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدث به نبي	٦١٩
ألا اشهد أن دمها هدر	٤٢٧
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر... الإشراك بالله...	٤٧٩
ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء	٢٩٣
ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله	٧١٤
ألاّ تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة...	٦١١،٦١٢
الآن يا عمر	٥٥٦
الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين	١٥٢

طرف الحديث	الصفحة
الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً	٥٧٨،٥٦٠
اللهم اسقنا اللهم اسقنا	١٩٣
اللهم أنت السلام ومنك السلام	٢١٦
اللهم أنجز لي ما وعدتني	١٧٢
اللهم إني أحبهما فأحبهما	٥٦٠
اللهم إني أسألك فعل الخيرات...	٦٨٧،٦٨٦
اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم	٦٧٦،٣٠٠
اللهم إني أستخيرك بعلمك و أستقدرك بقدرتك...	٢٧٢
اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحييني	١٩٢
اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش...	٢١٧
اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد	٦٩٧
اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك...	٢٧٤
اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب	١٩٦
اللهم وليديه فاغفر	٧١٠
اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	١١١
ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد	٣١٠
إلا وكتبت في الجنة أو في النار	٧١٦
الإيمان بضع وسبعون شعبة	٤٦٩،٤٦٧،٤٦٢،٤٥٥
أليس يشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله	٧١٤
أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس	٦٣٩
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله	٤٦١،١٦٠،٨٩،٨٨
	٥٤١،٥٤٠
أنا أغنى الشركاء عن الشرك (قدسي)	٤٦١،٣٨٠،١٦٦
أنا أول شافع في الجنة و أنا أكثر الأنبياء تبعاً	٥٠٨
إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة و العشي	٦٦١،٦٤٣
إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر	٣٨٠
أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً (قدسي)	٣٥٣
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة و أول من ينشق عنه	٥٠٧،٥٠٢
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد	٥٠٧

طرف الحديث	الصفحة
أنا عند ظن عبدي بي و أنا معه إذا ذكرني (قدسي)	٣٢٢
إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة	٥٨٢
إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر	٥٣٩
إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها	٦٣١
إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة...	٥٤٦
أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...	١٠٦،٤١٢،٤٣٦،٤٧١، ٥٤١،٦٠٠،٦١٠
أن تجعل لله نداً وهو خلقك	٦٩،٣٧٧
أن تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله...	٤٦٨،٥٤٠،٥٤١
أنت الأول فليس قبلك شيء و أنت الآخر...	٢٩٣
أنتم أعلم بأمور دنياكم	٥٣٦
أنت مع من أحببت	٥٥٧
إن جبريل ناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك...	٢٧٥
أن حبراً جاء إلى النبي ﷺ وقال يا محمد إن الله جعل...	٣٠٨
إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ	٥٤٦
إن الدجال يخرج وإن معه ماءً وناراً	٦١٩
إن الدين النصيحة	٥٦١
إن ربكم أنذركم ثلاثاً الدخان يأخذ المؤمن	٦٣٥
إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها...	٤١١
انشد رجلاً فعل ما فعل لي	٤٢٧
إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي	٥٣٤
إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين	٣٣٥،٦٦١،٦٦٢
انقادي علي بإذن الله (للشجرة)	٥٩٩
إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين	٣٠٨
إن كان الشؤم في شيء ففي الفرس و المسكن	٣٩١،٣٩٢
إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه...	٨٦،١٥٧،٧١٥
إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر	٦٧٥
إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتجرون على وجوهكم	٦٤٠
إنكم مسئولون عني فماذا أنتم قائلون	٢٩٤

طرف الحديث	الصفحة
إن الله أخذ الميثاق من بني آدم	٩١
إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال	٣٤٩،٣٤٨
إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها	٢٨٤
إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه	٢٠٨
إن الله جميل يحب الجمال	٣٢٤
إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة	٥٥٢
إن الله حيي كريم يحب الستر	٣٦٠
ان الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع...	٣٦٠،٢٩٣
إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في...	١٤٧
إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته	٣٣٥
إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام	٦٨١،٣٠٠
إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	١٧٧
إن الله لما قضى الخلق كتب في كتاب فهو عنده	٣٣٤،٢٩٣
إن الله ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي	٣٦٣
إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار	٣٠٨،٣٠٧،١٧٧
إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه	٣٢٨
إن الله يحب الرفق ويعطي على الرفق	٣٤٨
إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث الله	٢٨٤
ان الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون	٢٧٦
إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً	٩١
إن الله يمهل حتى إذا ذهب شطر الليل نزل	٣٤٤
إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم	٣٩٤
إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها	٢٤٧،٢٤١
إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني...	٧٠٢ ،٥٨٣
إن لي أسماءً أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي	٥٨٥،٥٠٦
إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه	٦٤٤
إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن	٣١١،١١٢
إن المقسطين عند الله على منابر من نور	٣٠٧
إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به	٥٣٦

طرف الحديث	الصفحة
إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت	٥٢٨
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٥٣٨
إنما الأعمال بالنيات	١٦٦،١٦٧،٤٦١
إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً	٥٤٣،٥٤٤
إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة	٦٤٧
إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها...	٦٨٠،٦٨٤
إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً...	٤١٦
إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا	٥٨٣
إن النبي ﷺ دعا بماء فأتي بقدح فجعل القوم يتوضأون...	٥٩٥
إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس	٢٨٤
إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء	٢٨٩
إنها سيدة آي القرآن (آية الكرسي)	١٦١
إنها قلب القرآن (سورة يس)	١٦١
إنه لم يكن نبي قبلي إلا وكان حقاً عليه...	٦١٥
إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل	٥٠٩
إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا أبداً	٥٧٥،٥٧٦
اني خلقت عبادي حنفاء كلهم (قدسي)	٧٥،٧٦،٩٠
أن يسلم قلبك لله عز وجل وأن يسلم المسلمون من لسانك	٤٧٠
إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث	٢٨١،٥٩٧،٦٠٧
إني لأنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذره قومه (الدجال)	٦١٩
إني لأنسى أو أنسّى لأسن	٥٢٧
إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني	٥١٤،٥٣٣
أوغير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً	١٤٧
أولاد المشركين خدم أهل الجنة	١٥١
أو مسلماً... يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره...	٤٦٨،٤٦٩،٤٧٢
	٧١٤
أين الله... من أنا... الحديث	٨٥،٢٨٦،٢٩٣،٣٣٥
أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا لها حجاباً	١٤٨
أيما قوم جلسوا مجلساً ثم تفرقوا قبل أن يذكروا	٥٨٤

طرف الحديث	الصفحة
أيها الناس إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً	٦٤٩،٦٤٢
أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني	٥٧٤
آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق...	٥٧٨،٥٦٠
(ب)	
بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها...	٦٣٣، ٦٢٥
بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم	٦١٥
بايعوني على أن لا تشركوا بي شيئاً ولا...	٤٨٨
البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ	٥٨٤
بسم الله ثلاثاً أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما	٢٥٤،٢٥٣
بل هو الرأي والحرب والمكيدة	٥٣٦
بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم	١٣٣،١٣٢
بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله	١٥٩
بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه	٥١١
(ت)	
تحاجت النار والجنة فقالت النار	٣٢٠،٣١٨،٣١٧
تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا بعدي	٢٣٥
تضربون القرآن بعضه ببعض...	١٢١
تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت	٦٧٩
تعوذوا بالله من عذاب القبر	٦٤٤
تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن	٦١٦
تلك الكلمة يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه	٣٨٦
(ث)	
ثلاثة سعادة لابن آدم في ثلاثة، وشقاوة لابن آدم	٣٩٢
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان...	٥٥٧،٥٥٥،١٦٩

طرف الحديث	الصفحة
ثم أخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك	٢٧٧
ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار	٦٦٤
ثم يضرب الجسر على جهنم قيل وما الجسر ؟ قال...	٦٥٠
(ج)	
جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان...	٣٠٠،٦٨٦
الجنة... إلا الدين سارني فيه جبريل أنفاً	٦٤٨
أن النبي ﷺ جهر في صلاة الكسوف	٥٤
(ح)	
حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن...	٥١١
الحياء شعبة من الايمان	٣٦١
الحياء لا يأتي إلا بخير	٣٦١
(د)	
الدعاء هو العبادة	١٤٦،١٧٣
دفنت ثلاثة لقد احتظرت بحظار شديد من النار	١٤٨
(ر)	
رأيت نوراً	٦٨١
الراحمون يرحمهم الرحمن	٣٥٢
رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليّ	٥٨٤
(س)	
سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يريهم آية فأراهم...	٥٩٢

طرف الحديث	الصفحة
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر	٥٨٠،٣٩٩
سترون ربكم كما ترون القمر	٣٤٤
ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم	٦١٥،٦١٤
سحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل اليه أنه فعل الشيء	٥٣٥،٥٣٤
ستخرج نار من حضر موت أو من بحر حضر موت	٦٣٨
سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل...	٦٦٨

(ش)

الشام أرض المحشر والمنشر	٦٤١
شفاعتي لمن يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً	١٥٨

(ص)

صغارهم دعاميص أهل الجنة	١٤٩
الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان...	٤٧٩
صلينا مع النبي ﷺ سجدتين قبل الظهر...	٦٢٤

(ض)

ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره	٣٥٧

(ع)

عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير...	١٤٤،١١١
عجب ربكم من شاب ليس له صبوة	٣٦٣،٣٦٢
عجب ربنا من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل	٣٦٣
عجل هذا (يعني الذي دعا ولم يصل عليه)	١٧٤
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين...	٢٠٦

(غ)

غرست كرامتهم بيدي ٣٠٦،٣٠٣

(ف)

فأقوم فآتي تحت العرش فأقع ساجداً... ٢٢٣
فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم... ٦٢٥
فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ٥٠٢
فعل بي هؤلاء وفعلوا ٥٩٩
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ٥٤٦
فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ٥٥٠
فمن أعدى الأول ٣٨٩
فمن رغب عن سنتي فليس مني ٥٥٠
فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه ٥٥٥
فيأتيهم الله في صورته التي يعرفونها... ٣٣٦
في أمتي كذابون دجالون سبعة وعشرون... ٦١٧
فيتجلى لهم يضحك ٣٥٧

(ق)

قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ٢٧٧
قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك ٢٩٧
قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة ١٤٦
قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات... ١٤١،١٠٨
قدموا قريشاً ولا تقدموها ٥٧٦
قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ١٦١

طرف الحديث	الصفحة
(ك)	
كان أكثر دعائه ﷺ اللهم يا مقلب القلوب ثبت	١١١
كان خلقه القرآن	٥٣٨
كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً	٥٣٨
كان رسول الله إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً	٢١٦
كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها	٣٦١
كان رسول الله ﷺ يخرج على أصحابه من المهاجرين...	٥٦٩،٥٦٨
كان رسول الله ﷺ يصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس	٢٨٩
كان رسول الله ﷺ لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال له السلام	٥٩٧
كان كلامه ﷺ ترسيل	٥٢
كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء	٣٣٥،١٤١
كان يأمرنا إذا أخذنا مضاجعنا أن نقول اللهم...	٢١٧
كان ﷺ يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم	٢١٧
كان ﷺ يكثر في دعائه فيقول يا مقلب القلوب	٣١١
كذب عدو الله	٤٢٩
كفارة النذر كفارة اليمين	١٨٧
كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى	٥٤٣
كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه...	٧٥
كما أنتم... إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي...	٦٨٦
(ل)	
لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش	٣٦٧،٣٦٦،٣٦٥
لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك	٣٢٢
لا ألفين أحداً متكأً على أريكته يقول...	٥٥٠.٥٤٦
لا تتخذوا قبري عيداً وصلّوا عليّ حيث كنتم	٦٩٩

طرف الحديث	الصفحة
لا تخيروا بين الأنبياء	٥٠٣
لا تخيروني على موسى	٥٠٣
لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى	٣١٧،٣١٩
لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين	٦٢٥
لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده...	٥٧٨،٥٨٠،٧٠٠
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	٧٠٢
لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم	٥١٥
لا تنزع الرحمة إلا من شقي	٣٥٢
لا عدوى ولا طيرة إنما الشؤم في ثلاث	٣٩١
لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة	٣٨٩،٣٩٠
لا عدوى ولا طيرة ولا غول	٣٨٩
لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الكلمة الحسنة	٣٨٩
لا تفضلوا بين أنبياء الله	٥٠٣
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها	٦٣٢
لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً...	٤١٦،٦١٦
لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً	١٨٨
لا نبي بعدي	٦٢٦
لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين	١٨٧
لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد	١٨٧
لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك	٥٥٦
لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه	٦١٥
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده	٥٥٤
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع...	٦١٠
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر	١٠٦
لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه	٤٣١،٤٣٢
لا يتمنين أحدكم الموت لضرّ نزل به	١٤٤،١٤٥
لا يجد طعم الإيمان عبد حتى يكون الله ورسوله أحب إليه...	١٦٩
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر	٣٢٤
لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر	١٤٦

طرف الحديث	الصفحة
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	٤٩١،٤٨٤
لا يقل أحدكم عبدي و أمتي وليقل فتاي وفتاتي	١٦٢
لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله	١٨٥
لا يورد ممرض على مصح	٣٩٠،٣٨٩
لقد احتظرت بحظار شديد من النار	١٤٨
لقدر رأيت رسول الله والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه	٥٦٩،٢٠٤
لقد رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدته	٦٦١
لقد عجب الله من صنيعكما الليلة أو البارحة	٣٦٣
لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم...	٣٥٥،٣٤٥،١٧٧
لما قضى الخلق كتب في كتاب عنده فوق العرش	٣٥٤
لم أنس ولم تقصر أكما يقول ذو اليدين...	٥٢٧
لن يدخل أحد الجنة بعمله...	٧٠٨
لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم	١٧٨
لوشئت أسمعتك تضاغنهم في النار	١٥٣
لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر	٥١٤،٥١٠،٥٠٩
لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي	٥٨٥،٤١٦
ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه...	٣٧٩
ليسوا بشيء (أي الكهان)	٣٨٦

(م)

طرف الحديث	الصفحة
ما أصاب أحداً قط همّ ولا حزن فقال اللهم...	٢٤٢
ما أعددت لها... المرء مع من أحب	٥٥٧،١٦٩
ما أنتم بأسمع لما أقول منهم	٦٤٦،٦٤٥
ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه	٥٤٦
ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته	٢٣٥
ما تذاكرون ؟ قالوا الساعة. قال إنها لن تقوم حتى ترون...	٦٣٥،٦٣١،٦٣٠
ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل...	٥١٦
ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها	٤٧٩

طرف الحديث	الصفحة
ما من رجل يسلم عليّ إلا رد الله علي روحي حتى...	٦٩٩،٥٨٣
ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه...	٢٧٧
من منكم من أحد أو ما من نفس منفوسة إلا قد كتبت أنها	١٣١،١١٨
ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن	٥٨٨،٤٣٨
ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه...	٩٠
ما من ميت إلا ويرى مكانه في الجنة أو النار	١٣٥
ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث...	١٥٠،١٤٨
ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب	٦١٩
ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له في أمته...	٤٦٧،٤٦٦
ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله	٥٨٨
ما من نبي إلا حذر قومه الأعور الكذاب	٣٠١
ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس...	٥٠٣
مجوس هذه الأمة (عن القدرية)	١١٥
المرء مع من أحب	٥٥٧،١٧٠
مع آبائهم (أطفال المشركين)	١٥٣
المعروف كله صدقة وإن الله صانع كل صانع وصنعته	١٢٩
من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها فقد كفر...	٤٠٠
من أتى عرافاً فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة...	٣٨٧،٣٨٦
من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر...	٣٨٧،٣٨٦
من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله فقد استكمل الإيمان	٤٦٧
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	٥٥٠،١٦٦
من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه...	٤٨٥
من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي...	٥٥٩
من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله	٥٤٣
من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار	٤٨٥
من أهان قريشاً أهانه الله	٥٧٦
من تشبه بقوم فهو منهم	٤٤٩
من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك	٤٠٠،٣٩٩،٣٩٥،١٨٩
من حلف بملة سوى الإسلام كاذباً متعمداً فهو...	٣٩٦
من حلف منكم فقال في حلفه واللات والعزى فليقل...	٣٩٥،٣٩٤

طرف الحديث	الصفحة
هل لك في خير... تشهد أن لا إله إلا الله...	٦٠٠

(و)

وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم	٦٣٨
وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير	٥٦٩
وأنا أول من يدخل الجنة يوم القيامة ولا فخر...	٥٠٩،٥٠٨
وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً	٦١٧
وأولاد المشركين (أي في الجنة مع إبراهيم الخليل)	١٥١
والله إني لأتقاكم لله وأشدكم له خشية	١٨٣
والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني...	٥٠٦،٤١٩
والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم...	٦٢٣
وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس	٤١٩
وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء...	٢٦٦
ويل للعرب من شر قد اقترب...	٦٢٨
وينذرون ولا يوفون	١٨٦

(ي)

يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده	٣٦٥
يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة	٥٨٣
يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب...	١١٢
يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني...	١٧٧
يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع لكم سوراً...	٥٩٦،٥٩٥
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك	٣١١
يبعث كل عبد على ما مات عليه	٦١٢،١٨٥
يتجلى لنا ربنا ضاحكاً يوم القيامة	٣٥٧
يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم	٣٣٩
يحشر الناس على ثلاث طرائق	٦٤١

طرف الحديث	الصفحة
يخرج من النار من قال لا اله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة	٤٦٦
يدخل أهل الله الجنة الجنة و أهل النار النار ثم يقول...	٤٦٦
يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار...	٦٦٣
يضحك ربنا من رجلين يقتل أحدهما الآخر...	٣٥٧
يحشر الله الناس فيناديهم بصوت يسمعه من بعد	٢٧٧
يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن	٣١٥
ينادي منادٍ إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً	٣٦٣
ينزل الله إلى السماء الدنيا...	٣٤٥،٤٤٤،٣٤٢

الآثار

فهرس الآثار

الأثـــــر	قائله	الصفحة

(أ)

الأثر	قائله	الصفحة
أتدريان أين أنتما.. لوكنتما من أهل...	عمر بن الخطاب	٥٦٧
أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم...	ابن عباس	٦٨٢
أتفر من القضاء ؟	أبوعبيدة بن الجراح	١٠٣
اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى...	محمد بن الحسن	٢٣٠
أتيت النبي وأصحابه حوله كأنما على...	أسامة بن شريك	٥٦٩
اجلس بنا نؤمن ساعة	معاذ بن جبل	٤٦٤
أحاديث الصفات تمر كما جاءت...	أحمد بن حنبل	٢٣٠
احتبس علينا رسول الله ذات غداة...	معاذ بن جبل	٦٨٦
احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه	ابن عباس والحسن البصري	٥٦٧
اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته...	عمرو بن ميمون	٥٧٣
أخبرنا الله أنه في السماء	أحمد بن حنبل	٢٩٧
إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً...	ابن مسعود	١٧٤
إذا كان لك حاجة فأرسل إليَّ أو اكتب لي...	عمر بن عبد العزيز	٥٧٦
ارقبوا محمداً في أهل بيته	أبوبكر الصديق	٥٧٦
الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان...	مالك بن أنس	٣٤٣،٢٢٦
استوى على العرش ارتفع	أبو العالية	٣٣١
استوى على العرش استقر	ابن المبارك وغيره	٣٣٢
استوى على العرش استقر	ابن عباس	٣٣١
استوى أي علا - وقال مرة - صعد	معمر بن المثنى	٣٣٢
الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم لله	بعض السلف	٢٥٧
أشهدكم أني قد جعلت ضاربي في حل	مالك بن أنس	٥٧٧
أصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي ﷺ...	سهل التستري	٥٥٠
أفر من قضاء الله إلى قدر الله	عمر بن الخطاب	١٠٣
اقتلوا كل ساحر وساحرة	عمر بن الخطاب	٣٨٤

الأثـــــر	قائله	الصفحة
الله في السماء وعلمه في كل مكان...	مالك بن أنس	٢٩٦
اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب...	العباس بن عبد المطلب	١٩٤
اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا...	عمر بن الخطاب	١٩٤
اللهم كبرت سني وضعفت قوتي...	عمر بن الخطاب	١٤٥
اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي...	أم حبيبة	١٤٦
إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة وموسى...	ابن عباس	٦٨٢
إن الله بعث إلينا محمداً ولا نعلم شيئاً...	عبد الله بن عمر	٥٤٩
إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً...	ابن عباس	٢٩٥
إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً خلق آدم...	ابن عمر وميسرة	٣٠٥
إن الله لايستحي من الحق	أم سلمة	٣٦١،٣٦٠
إن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له	ابن عباس	٥٨١
أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك...	عائشة	٦٨٠
إنا لم نعطك الذي أعطيناك لتدخل...	عمر بن الخطاب	٤٣١
أنا يارسول الله أتحب أن أقتله (يعني كعب بن الأشرف)	محمد بن مسلمة	٤٢٨
إن فلاناً لا يؤمن بالقدر فلا تجالسوه	أبو إدريس الخولاني	١٢٢
إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا ...	عمر بن الخطاب	٢٠٧
إن أناساً يجادلونكم بالقرآن فخذوهم...	عمر بن الخطاب	٥٤٩
إني أقول هو سبحانه أحد صمد...	أحمد بن حنبل	٢٦٤
إني كرهت أن أحدث عن رسول الله...	سعيد بن المسيب	٥٧٣
إني لأعلم أنك حجر لا تنفع...	عمر بن الخطاب	٧٠٦،٥٤٩
إني لا أقول القرآن هو جسم...	أحمد بن حنبل	٢٦٤
أهذا منزل أنزلكه الله أم هو الرأي...	الحباب بن المنذر	٥٣٦
أما بعد فإن للإسلام شرائع وحدوداً...	عمر بن عبد العزيز	٤٦٤
أمر بقطع الشجرة	عمر بن الخطاب	٢٠٧
أمروا أحاديث الصفات كما جاءت	الزهري ومكحول	٢٢٩
أمروا الصفات كما جاءت بلا كيف	علماء السلف	٢٦١
أمروها كما جاءت (أي الصفات)	علماء السلف	٣٤٣
أيما مسلم سب الله أو سب أحداً...	ابن عباس	٤٣٠

الأثـــــر	قائله	الصفحة
الايمان قول وعمل ويزيد وينقص	ابن أبي شيبة	٤٥٧
الايمان قول وعمل ويزيد وينقص	الثوري ومالك وابن عيينة	٤٦٥،٤٥٧
الايمان قول وعمل ويزيد وينقص	الأوزاعي ووكيع	٤٥٧
الايمان قول وعمل ويزيد وينقص	الفضيل بن عياض وأحمد	٤٥٧
الايمان يزيد وينقص	أبوهريرة وابن عباس وأبو الدرداء	٤٦٤
الايمان يزيد وينقص إذا ذكر الله...	عمير بن حبيب	٤٦٤
أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل يا أمير المؤمنين...	عمر بن الخطاب	٢٠٧

(ب)

الأثر	قائله	الصفحة
باب شرك فتح على أهل الصلاة...	ابن عباس	١٢٢

(ت)

الأثر	قائله	الصفحة
تعالوا نزدد إيماناً	عمر بن الخطاب	٤٦٤
تعزروه تجلوه وتعظموه	ابن عباس	٤٦٤

(ث)

الأثر	قائله	الصفحة
ثلاث من تكلم بواحد منهن فقد أعظم...	عائشة	٦٨٠

(ج)

الأثر	قائله	الصفحة
جميع من ينتحل التوحيد متفقون أن...	أبوعثمان بن الحداد	٤٣٥

الأثـــــر	قائله	الصفحة
(خ)		
خصلتان من كانتا فيه نجا...	ابن المبارك	٥٧٨
خمس قد مضين اللزام والروم...	ابن مسعود	٦٣٦
الخوف والرجاء كجناحي طائر...	بعض السلف	١٨٤
(د)		
الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي...	علي بن أبي طالب	١٧٤
الدعاء والصلاة معلق بين...	عمر بن الخطاب	١٧٤
دين الله أخلصه وأصوبه...	الفضيل بن عياض	١٦٧
(ذ)		
ذهب رسول الله يقضي حاجته فلم ير شيئاً يستتر به فإذا بشجرتين...	جابر بن عبد الله	٥٩٩
(ر)		
رآه بقلبه، رآه، رآه بفؤاده مرتين	ابن عباس	٦٨٢
رآه، رآه بقلبه	أحمد بن حنبل	٦٨٢
رأيتني وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة	جابر بن عبد الله	٥٩٤
الرسل من بني آدم ومن الجن نذر	ابن عباس	٤٢١
(ز)		
زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله...	الحسن البصري	٥٤٧،٢٠٦
زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق...	زينب بنت جحش	٣٣٥

الأثـــر	قائله	الصفحة
(س)		
سأل أهل مكة النبي أن يريهم آية فأراهم...	أنس بن مالك	٥٩٢
سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك	أبوذر الغفاري	٦٨١
سحر رسول الله حتى إنه ليخيل إليه...	عائشة	٥٣٤،٥٣٥
السلام عليك يارسول الله السلام عليك يا أبا بكر	عبد الله بن عمر	٦٩٩
السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا...	مالك بن أنس	٢٣٥
سن رسول الله وولاه الأمر بعده سنناً...	عمر بن عبد العزيز	٥٤٩
(ص)		
صفات الله له ومنه كما وصف نفسه...	أحمد بن حنبل	٢٣٠
صلاة الله الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار	سفيان الثوري	٥٨١
صلاة الله على النبي ثناؤه عليه عند الملائكة	أبو العالية	٥٨١
(ط)		
طريق مظلم فلا تسلكه (أي القدر)	علي بن أبي طالب	١٢٢
(ع)		
العرش فوق الماء والله فوق العرش...	ابن مسعود	٢٩٥
علا على العرش	مجاهد	٣٣١
علامة حب الله حب القرآن وعلامة...	سهل التستري	٥٦١
على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار	امرأة من السلف	٥٦٣
علم الله فوق عرشه إني لم أحب قتله (تعني عثمان)	عائشة	٢٩٥

الأثـــــر	قائله	الصفحة
عمل قليل في سُنَّةٍ خير من عمل كثير...	الحسن البصري	٥٤٩
(غ)		
غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه	الصحابة رضي الله عنهم	٥٥٩
(ف)		
فأنا أحب الله ورسوله و أبابكر وعمر...	أنس بن مالك	١٦٩،٥٥٨
(ق)		
قال الله عز وجل في التوراة أنا الله فوق عبادي وعرشي فوق جميع خلقي...	كعب الأحبار	٢٩٥
القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن...	ابن عباس	١١٠
القصد في السنة خيرمن الاجتهاد في البدعة	ابن مسعود	٥٤٩
قد كفر (لمن سأله عمن لا يعرف ربه في السماء أم في الأرض)	أبو حنيفة	٢٩٦
القول في السنة التي أنا عليها...	الشافعي	٢٩٦
(ك)		
كاد الخيران أبوبكر وعمر أن يهلكا...	ابن أبي مليكة	٥٦٥
كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافر	المغيرة بن شعبة	٥٧٠
كان بين نوح وآدم عشرة قرون...	ابن عباس	٧٤
كان خلقه ﷺ القرآن يرض برضاه...	عائشة	٥٣٨
كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً	أنس بن مالك	٥٣٨

الأثـــــر	قائله	الصفحة
كان النبي والله أحب إلينا من أموالنا...	علي بن أبي طالب	٥٦٢
كان رسول الله لا يمر بشجر ولا حجر...	عائشة، جابر	٥٩٧
كان رسول الله يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم...	أنس بن مالك	٥٦٩
كأني أنظر إلى يدي رسول الله ﷺ يحركها	أنس بن مالك	٥٠٨
الكبائر جميع مانهى الله عنه من أول سورة..	ابن مسعود	٤٧٧،٤٧٦
الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب...	ابن عباس، الحسن البصري	٤٨١،٤٧٧،٤٧٦
الكرسي موضع القدمين	ابن عباس	٣٢١
كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن...	سفيان بن عيينة	٢٢٩
كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون	ابن عباس	٥٣٠
كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة... وهي إلى السبعين أقرب	ابن عباس	٤٨٠،٤٧٦
كل مصيبة بعدك جلل (تعني رسول الله)	امرأة من الأنصار	٥٦٣
الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به...	ابن عباس	٢٨٧
كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله فوق عرشه بائن من خلقه	الأوزاعي	٣٤٣،٢٩٦،٢٢٨
الكيف مجهول - أو غير معقول - والاستواء معلوم	مالك بن أنس	٣٣٣،٢٢٩،٢٢٦

(ل)

الأثـــــر	قائله	الصفحة
لا أذكر إلا ذكرت معي فليس خطيب...	مجاهد	٥٠٦
لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع...	ابن عباس وابن عمر	٤٧٦
لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن...	ابن مسعود	٥٦١
لا ينفع قول إلا بعمل ولا قول وعمل إلا بنية...	على وابن مسعود	٤٥٧
لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً...	ابن مسعود	٣٩٥
لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء...	عمر بن الخطاب	٥٦٢،٥٥٦

الأثــــــر	قائله	الصفحة
لأن زيداً كان أحب إلى رسول الله ﷺ...	عمر بن الخطاب	٥٧٦
لأهل السماء السابعة أكثر من أهل...	ابن عباس	٣٤١
للدعاء أركان وأجنحة وأسباب...	ابن عطاء	١٧٥
لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعلم به	أبوبكر الصديق	٥٥٠،٥٥١
لقد رأيت رسول الله والحلاق يحلقه...	أنس بن مالك	٥٦٨،٥٦٩
لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله عن الأمر فأوخر سنة...	البراء بن عازب	٥٧٠
لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء...	الإمام البخاري	٤٥٨،٤٦٥
لما حجب الله الكافرين عن رؤيته في السخط كان هذا دليل...	الشافعي	٦٧٤
لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً...	جابر بن عبدالله	٥٩٥
لم تكن له ﷺ ضلالة معصية	ابن عباس	٥١٩
لم فضلته عليّ فوالله ما سبقني إلى مشهد (يعني أسامة)	عبدالله بن عمر	٥٧٦
لم يؤمن بالرسول ﷺ من لم يوقر أصحابه	سهل التستري	٥٧٩
لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل	ابن عباس وقتادة والحسن البصري	٥٢١
له تعالى يد ووجه ونفس كما ذكر...	أبو حنيفة	٣٢٣
لو أن الله عذب أهل سمواته عذبهم وهو...	أبي بن كعب	١٠٦
لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليّ	مالك بن أنس	٥٧١
لو سمعته لقتلته إنا لم نعطهم الذمة على...	عبدالله بن عمر	٤٣١
لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير..	مالك وأحمد	٦٧٤
لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى...	عمر بن عبدالعزيز	٦٩٧،٧٠١
ليس في سنة رسول الله إلا اتباعها	الشافعي	٥٤٩
ليس فيهم اختلاف إنهم في الجنة (يعني أطفال المسلمين)	أحمد بن حنبل	١٤٩
ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه	أحمد بن حنبل	٢٣٠
ليس الإيمان بالتحلي ولا التمني...	الحسن البصري	٤٥٧

الأثـــــر	قائله	الصفحة
ليس هذا لأحد بعد رسول الله (يعني قتل من سب غير النبي)	أبو بكر الصديق	٤٣٠

(م)

الأثـــــر	قائله	الصفحة
ما بعث الله نبياً إلا حسن الوجه وحسن...	أنس بن مالك	٥٣٩
ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه	مالك بن أنس	٥٧١،٥٧٠
ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ	عبد الله بن سلام	٦٠٤
ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن...	عبد الله بن عمرو	١٢٢،١٢١
ما غلا رجل في القدر إلا خرج من الإسلام	ابن عباس	١٢٢
ما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ	عمرو بن العاص	٥٦٢
ماكنت لأفعل حتى يطوف (البيت) به رسول الله	عثمان بن عفان	٥٦٩
ما نمت حتى أصبحت... قالوا طلع الكوكب ذو الذنب	ابن عباس	٦٣٦
ما لي رأيتك عند القبر... إذا دخلت المسجد فسلم عليه	الحسن بن الحسن ابن علي	٧٠٢
المستحل لحرمة الله إذا كان مقيماً عليها...	أحمد بن حنبل	٤٤٦
معاذ الله أن تظن الرسل بربها وإنما...	عائشة	٥٢١
من أحب أصحاب النبي ﷺ وأحسن...	أيوب السختياني	٥٧٩
من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً...	أبو عثمان الحيري	٥٥٠،٥٤٩
من أنكر أن الله في السماء فقد كفر	أبو حنيفة	٢٩٦
من جحد أن الله خالقه أو ربه أو قال...	أبو حنيفة وأصحابه	٤٠١
من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفاهلكة	أحمد بن حنبل	٥٤٥
من زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص...	الأوزاعي	٤٦٥
من سب أبابكر جلد ومن سب عائشة قتل	مالك بن أنس	٥٧٩
من سب الله أو سب أحداً من الأنبياء...	عمر بن الخطاب	٤٣٤،٤٣٠
من سب عائشة بالزنا يقتل لأنه خالف...	مالك بن أنس	٧٢١،٤٣٣
من شتم أحداً من أصحاب النبي أبابكر...	مالك بن أنس	٧٢٠،٥٧٩
من شتم الأنبياء أو أحداً منهم أو...	مالك بن أنس	٤٣٤

الأثـــــر	قائله	الصفحة
من شتم النبي ﷺ قتل ومن شتم أصحابه...	مالك بن أنس	٥٧٩،٧٢٠
من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده..	بعض السلف	١٨٤
من غاظه أصحاب محمد ﷺ فهو كافر...	مالك بن أنس	٥٧٩،٧٢٠
من قال إن الله لم يكلم موسى تكليماً يقتل	محمد بن القاسم	٢٧٩
من كان يعبد محمداً فإن محمد قد مات...	أبوبكر الصديق	٢٩٥
من كذب بأحد من الأنبياء أو انتقص...	أبوحنيفة	٤٣٤
من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله	ابن مسعود	٤٣٥
من وصف الله بشيء من خلقه فقد كفر...	نعيم بن حماد الخزاعي	٤٠٦،٤٠٧

(ن)

الأثـــــر	قائله	الصفحة
نساؤه من أهل بيته ﷺ ولكن أهل بيته...	زيد بن أرقم	٥٧٤
نظرت في القدر فتحيرت ثم نظرت فيه...	وهب بن منبه	١٢٢
نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله في ثلاثة وثلاثين موضعاً...	أحمد بن حنبل	٥٤٤
نعرف ربنا عز وجل بأنه فوق سمواته...	عبد الله بن المبارك	٣٣٢
نعم رآه حقاً فإن رؤيا الأنبياء حق ولابد	أحمد بن حنبل	٦٨٧
نعم هو على عرشه لا يخلو بشيء من علمه	أحمد بن حنبل	٢٩٦،٢٩٧،٣٣٣
نمرها كما جاءت ونؤمن بها ونصدق بها...	أحمد بن حنبل	٣١٨

(هـ)

الأثـــــر	قائله	الصفحة
هذا النبي مؤدب الخلق الذي هدانا الله به يخرج إلى البقيع	مالك بن أنس	٥٧٨
هما دخانان قد مضى أحدهما والذي بقي...	ابن مسعود	٦٣٧
هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم (الصحابة)	خالد بن معدان	٥٦٢
هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها...	ابن مسعود	١٣٨

الأثــــر	قائله	الصفحة
(و)		
وأحد يشك أنهم في الجنة (يعني أطفال المسلمين)	أحمد بن حنبل	١٤٩
والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله أحب...	أبو بكر الصديق	٥٧٦
والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه...	زيد بن الدثنة	٥٦٣
وإن أخا الأحقاف إذ يعذلونه يجاهد في ذات الإله	حسان بن ثابت	٢٣٤
وقد خلقت النار وما فيها وخلقت الجنة...	أحمد بن حنبل	٦٦٤
وكان الإجماع من الصحابة والتابعين...	الشافعي	٤٨٥
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله...	خبيب بن عدي	٣٢٣
ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك...	مالك بن أنس	٧٠٥
وما ذكر الله في القرآن من الوجه واليد...	أبو حنيفة	٢٣٠
وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله...	عمرو بن العاص	٥٦٨
ولا يوصف إلى بشيء أكثر مما وصف...	أحمد بن حنبل	٢٣٠
(ي)		
يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا...	مالك بن أنس	١٩٧
يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم...	ابن مسعود	٦٣٥
يأتي الله في ظلل من السحاب قد قطعت طاقات	ابن عباس	٣٤١،٣٤٠
يامعشر قريش إني قد جئت كسرى في...	عروة بن مسعود	٥٦٩،٢٠٤
يريد تعالى الأذان والإقامة والتشهد...	ابن عباس	٥٠٦
يستتاب وإلا قتل (لمن قال أخطأ جبريل في الرسالة)	مالك بن أنس	٤١٨
يفعل ما يشاء (حينما سئل عن النزول)	الأوزاعي	٣٤٢
يكون بموت العلماء وذهاب العلم...	ابن مسعود	٦٣١
يلحدون في أسمائه أي يشركون في...	قتادة	٣٧٥

الأثــــر	قائله	الصفحة
يلحدون في أسمائه أي يكذبون	ابن عباس	٣٧٥
ينزع منه نور الإيمان (للزاني والسارق..)	ابن عباس	٤٨٤
ينزل أمره في كل سحر	(ينسب) لمالك ابن أنس	٢٤٢

الأعلام

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم	الصفحة

(أ)

اسم العلم	الصفحة
ابن الأبار، محمد بن عبد الله القضاعي	٤٢
أبو إدريس الخولاني	١٢٢
أبو بكر الصديق	١٧٢،٢٠٩،٢٩٥،٥٥٠،٥٥٢،٥٥٥،٥٦٥،٥٦٦،٥٦٧، ٥٦٩،٥٧٦،٥٧٩،٥٨٠،٥٨١،٥٨٤،٥٩٧،٦٧٣،٧٠١
أبو داود (صاحب السنن) سليمان ابن الأشعث	٣٤،٣٩، (٨١٧)
أبي بن كعب	١٠٦،٥٨٣،٦٤٧
ابن الأثير	١٠٠
الآجري، محمد بن الحسين	١٢٢،٤٥٧،٤٦٥،٤٧٥،٦٦٢
أحمد بن حنبل	١٠٤،١٢٨،١٤٦،١٤٩،١٥٠،١٩٨،٢٣٠،٢٤٦،٢٦٤، ٢٩٦،٣١٨،٣٣٣،٣٤٢،٣٤٥،٣٨٥،٤٢٤،٤٤٦،٤٥٧، ٤٥٩،٤٦٥،٤٧١،٤٧٥،٥٤٤،٥٨٢،٦٦٤،٦٧٨،٦٧٩، ٦٩٩
الأخطل، غياث بن غوث التغلبي	٢٨٤
الأزهري، محمد بن أحمد	١٠٠
أسامة بن زيد	٥٧٦
أسامة بن شريك	٥٦٩
الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل	٥٩،١٥٣،٢٣٢،٢٤٥،٢٤٦،٢٦٨،٢٨٥،٢٨٧،٢٩١، ٣٢٧،٣٥٩،٤٥٤،٥١٥،٦٦٤
أصبغ بن خليل	٤٠٩،٤١٠
الأقرع بن حابس	٥٦٦
الآمدي، علي بن محمد	١٣٣،٢٥٧
أنس بن مالك	١٦٩،١٩٢،٤٢٦،٤٢٨،٥٠٨،٥١١،٥٣٨،٥٥٠،٥٥٤، ٥٥٥،٥٥٧،٥٥٨،٥٦٨،٥٩٢،٥٩٥،٥٩٧،٥٩٩،٦١٥، ٦١٩،٦٩٦،٧٠١

اسم العلم	الصفحة
الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو	٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٩٦، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤٢٤، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٧٦
الايجي، عبد الرحمن بن أحمد	٨٠، ١٣٤، ٢٥٧
أيوب السختياني	٥٧٠، ٥٧٨
(ب)	
الباجي، سليمان بن خلف	٣٣، ٥٨
الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد	٢٤١، ٤٣٣، ٤٨٠، ٧٢١
البخاري، محمد بن إسماعيل	١٢٩، ١٦٠، ٤٥٨، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٨٤، ٥٦٥، ٥٦٧، ٥٩٥، ٦٦٤، ٦٧٥، ٧٠٠، ٧١٤
البراء بن عازب	٥٧٠
البربهاري، الحسن بن علي بن خلف	٢٣٣، ٤٥٧
أبو برزة، نضلة بن عبيد	٤٣٠
برغوث، أبو عيسى محمد بن عيسى	٢٦٤
ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك	٣٨، ٤١
ابن بطال، علي بن خلف	١٠٢
ابن بطة، عبيد الله بن محمد	٤٨٩
البغدادي، علي بن عقيل بن محمد	١٠٤، ٢٥٧
البغوي، الحسين بن مسعود	١٣، ٢٤٥، ٣١٦، ٤٦٥، ٥٢٠
البلخي، علي بن الحسن	١٦
البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي	٩٨، ٣٢٦
(ت)	
تاشفين بن علي بن يوسف	٦، ٢٨٠
التاهرتي، الحسن بن علي بن طريف	٣٣
ابن تاويت، محمد بن تاويت الطنجي	٥٩
الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة	٢٤٣، ٢٤٤، ٣٤٥

اسم العلم	الصفحة
التيمي الأصبهاني، إسماعيل بن محمد	١٣، ٦٤
ابن تومرت، محمد بن عبد الله	٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٥، ٢٣
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم	٧٩، ٩٧، ١١٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٣، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٤، ١٧٠، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٧، ٢٠٨، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٦٧، ٢٨٤، ٣١٤، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٦، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٩٠، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٢٣، ٥٥٥، ٥٨١، ٦٠٤، ٦٢٢، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٢، ٦٩٥، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠٣، ٧٠٤

(ث)

اسم العلم	الصفحة
ثابت بن قيس بن شماس	٥٦٦، ٥٦٧
ثوبان بن يحدد الهاشمي	٢١٦
الثوري، سفيان بن سعيد	٢٢٨، ٤٢٤، ٤٥٧، ٤٦٥، ٥٨١

(ج)

اسم العلم	الصفحة
جابر بن عبد الله الأنصاري	٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٧، ٥٩٩
الجرجاني، الشريف علي بن محمد ابن علي	١٠١
ابن جرير الطبري، محمد بن جرير ابن يزيد	٢٨٧، ٤٢١، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٨٦، ٥٨٢، ٦٣٧
الجزولي، عبد الله بن ياسين	٥
الجعد بن درهم الشامي	٤٣٧
جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله	٥٧٦، ٥٧٧
جعفر بن أبي طالب	٥٧٥

اسم العلـم	الصفحة
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين	٥٧١،٥٧٣
أبو جعفر المنصور، عبد الله بن محمد	
ابن علي	١٩٧،٢٠٠،٥٧٧،٧٠٥
ابن أبي جمرة، أحمد بن عبد الملك	١٣
الجهم بن صفوان	٢٢٨،٤٣٧،٦٦٤
ابن الجوزي، عبد الرحمن ابن	
أبي الحسين	١٣
الجوهري، إسماعيل بن حماد	٦٣،١٠٠،٤٥٣،٤٩٥
الجويني، أبو المعالي عبد الملك	
ابن يوسف	٣٣،٥٨،٨٣،٢٥٧،٣٠٧،٣١٩،٤٨٠،٥١٦،٧٠٣

(ح)

الحارث بن سعيد المتنبي	٤١٥
الحاكم، محمد بن عبد الله بن البيع	٣٣
الحباب بن المنذر الأنصاري	٥٣٦
ابن حبيب، عبد الملك بن حبيب القرطبي	٤٠٩،٤١٠
أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان	١٤٥
أبو الحجاج الضرير، يوسف بن موسى	٣٤،٥٨
ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي	١٠٢،١٤٠،١٤٨،١٩٤،٣٦٩،٣٩٤،٤٨٧،٤٨١،٤٨٧
	٤٨٨،٥٣٥،٥٨١،٥٩٦،٥٩٨،٦١٧،٦٢٤،٦٣٤،٦٤١
	٦٥٤،٦٨٣،٧٠٠،٧٠٤
ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد	
ابن علي	٤٧٨
حذيفة بن أسيد الغفاري	٦٣٠،٦٣٥،٦٣٨،٦٣٩
حذيفة بن اليمان العبسي	١٠٧،٦١٩،٦٧٣
الحربي، إبراهيم بن بشير	٢٤٦
ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد	٥٨،٢٤٢،٢٤٦،٤٧٠،٥١٦
حسان بن ثابت الأنصاري	٣٢٤

اسم العلم	الصفحة
الحسن البصري	٣٣١، ٤٥٧، ٤٧٠، ٥٢١، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٦٧، ٥٩٦، ٦٣٨، ٦٧٣، ٦٨٢
الحسن بن الحسن بن علي	٧٠٢، (٨١٦)
الحسن بن علي بن أبي طالب	٥٥٩
الحسين بن علي بن أبي طالب	٥٦٠
حفصة بنت عمر بن الخطاب	١١، ١١١، (٣٨٣) ٣٨٤
الحلاج، الحسن بن منصور	٣٧٣، ٤٠١، ٤٠٤، ٦٩٦
حماد بن زيد بن درهم البصري	٤٧١
ابن حمدين، محمد بن علي	٢٩
أبوحنيفة، النعمان بن ثابت	٥٦، ١٩٨، ٢٣٠، ٢٩٦، ٣٢٢، ٣٤٥، ٣٧٣، ٤٠١، ٤٢٤، ٦٠٤
الحيري، أبوعثمان بن سعيد ابن إسماعيل	٥٤٩

(خ)

اسم العلم	الصفحة
خالد بن عبد الله القسري	٤٣٧
خالد بن معدان بن أبي كرب	٥٦٢
خبيب بن عدي الأنصاري	٣٢٣
ابن خبيش، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري	٣٩
الخراز، أبو سعيد أحمد بن عيسى البغدادي	٤٠٩
ابن خزيمة، أبوبكر محمد بن إسحاق	٢٣٢، ٢٩٧، ٣١٢، ٣٤٥، ٦٧٨
الخشني، عبد الله بن محمد	٢٩، ٤١
الخطابي، أبوسليمان حمد بن محمد	١٠٢، ١١٥، ٦٢٤، ٦٣٣
ابن أبي جعفر، عبد الله بن محمد الخشني	٣٦
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد	٩

اسم العلم	الصفحة
ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم	٤٢

(د)

الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد	٣٤ (٨١٧)
الدارمي، عثمان بن سعيد	٢٣١،٣٢٣،٦٧٩
داود بن أبي هند البصري	٤٧١
ابن الدباغ، يوسف بن عبد العزيز اللخمي	١٤
أبو الدرداء، عويمر بن عامر	٤٦٤ (٨١٦)
الديلمي، عبد الله بن فيروز	١٠٦

(ذ)

ابن أبي ذئب، محمد بن عبد الرحمن	٤٧١
أبو ذر الغفاري، جندب بن جنادة	٤٨٥،٤٨٧،٦٣٣، (٦٨١) ٧١٠
الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان	٢٧،٤٢،٤٨،٢٠٩،٤٧٨،٦٩٤،٦٩٥
ذو القرنين، عبد الله بن الضحاك	٦٢٨
ذو اليدين، الخرباق بن عمرو السلمي	٥٢٧

(ر)

الرازي، الفخر عبد الله بن محمد	٨٤،٢٤٥،٢٥٧
الراغب الأصبهاني، الحسين بن محمد ابن المفضل	٦٣،١٠١،١٩٠،٤٥٣
الربعي، علي بن أحمد بن علي المقدسي	٣٤
ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد	٤٧٠
ابن رشد، محمد بن أحمد	٢٨،٣٥،٣٨،٥٩
الرماني، علي بن عيسى	٢٦٦

اسم العلم	الصفحة

(ز)

الزبيدي، محمد بن يحيى	١٤
ابن زرقون، محمد بن سعيد الإشبيلي	٣٩
الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد	١٤، ٦٦٨
الزهري، محمد بن مسلم بن شهاب	٢٢٩، ٤٧١، ٥٧١
زيد بن أرقم الأنصاري	٥٧٤
زيد بن ثابت الأنصاري	٥٥
زيد بن الدثنة الأنصاري	٥٦٢، ٥٦٣
ابن أبي زيد القيرواني، أبومحمد عبد الله	٣٢٧
زينب بنت جحش	٣٣٥، ٦٢٨

(س)

السالمي، عبد الغالب بن يوسف	٣٤، ٥٨
سجاح بنت الحارث التميمية	٦١٧
السدي، إسماعيل بن عبد الرحمن	٢٢٨، ٦٧٣
سعد بن عبادة الأنصاري	١٨٥، ٣٦٥
سعد بن أبي وقاص	١٤٩، ١٧٥، ٤٦٨، ٤٧٢، ٧١٤
السعدي، عبد الرحمن بن ناصر	٣٨٢
أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك	١٤٨، ٣١٤، ٣١٥، ٣٦١، ٦٣٦، ٦٦٣
سعيد بن المسيب	٥٧٣، ٦٧٣ (٨١٦)
أبو سفيان، صخر بن حرب	٥٦٢، ٥٦٣
ابن سكرة، الحسين بن محمد الصدفي	٢٨، ٣٥
ابن سلفة، أحمد بن محمد الأصبهاني	٣٧
أم سلمة، هند بنت أبي أمية	٣٦٠
سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب	٦٤، ١٥٩، ٢١٣، ٣٧٥، ٣٨٨، ٤٠٧، ٤٤٠

اسم العلم	الصفحة
سهل بن عبد الله التستري	٥٤٥، ٥٥٠، ٥٦١، ٥٧٩
ابن سيدة، علي بن إسماعيل	١٠١
ابن سيرين، محمد بن سيرين الأنصاري	٤٧٠، ٤٧١، ٥٧٢، ٥٧٣
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر	٤٢

(ش)

اسم العلم	الصفحة
الشاطبي، عبد الله بن علي اللخمي	١٢
الشافعي، محمد بن إدريس	٥٦، ٩٦، ١٨٧، ١٩٨، ٢٩٦، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٨٤، ٤٢٤، ٤٥٨، ٤٥٩، ٥٨٢، ٦٧٤
الشنقيطي، محمد الأمين الجكني	٤٩٧
الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم	٨٣
الشوكاني، محمد بن علي	٩٣، ١٩٦، ٤٧٨، ٦٠٤، ٦٤٨، ٧٠٤
أبو الشيخ الأصبهاني	٦٨٢ (٨١٧)
ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي	٤٥٧

(ص)

اسم العلم	الصفحة
الصابوني، أبو إسماعيل عبد الرحمن ابن إسماعيل	٢٢٥، ٢٢٦، ٣٤٥، ٤٩٠، ٦٥١، ٦٦٤، ٦٦٩، ٦٩٤

(ض)

اسم العلم	الصفحة
الضحاك بن قيس الفهري	١٩٥
الضحاك بن مزاحم الهلالي	٢٨٨، ٦٧٣
ضمام النجدي	٤٧١

اسم العلـم	الصفحة
(ط)	
طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى	٤٣
الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد	١٢٣،٤٠٧،٤٤٧،٥٨٠،٥٦١،٦٦٤
الطرطوشي، أبوبكر محمد بن الوليد	٣٧
(ع)	
عائشة بنت أبي بكر الصديق	١٤٧،١٤٩،١٦٦،١٨٧،٣١١،٣٨٦،٣٨٩،٤٣٢،٥٣٤،
	٥٣٨،٥٤٦،٥٧٩،٥٩٧،٦٧٩،٦٨٠،٦٨٢،٧١٨،٧٢٠
أبو العالية، رفيع بن مهران الرياحي	٢٨٨،٣٣١،٥٨١
عامر بن عبد الله بن الزبير	٥٧١
عبادة بن الصامت	٤٨٨
العباس بن عبد المطلب	١٩٣
ابن عباس، عبد الله بن عباس	٧٤،١١٠،١٢٢،١٨٥،٢١٧،٢٣٩،٢٨٧،٢٩٥،٣١٤
	،٣٢١،٣٣١،٣٤٠،٣٧٥،٣٩٥،٤٢١،٥٦٤،٥٦٧،٤٧٠
	،٤٧٦،٤٨٠،٤٨١،٤٨٢،٤٨٤،٥٠٥،٥٠٦،٥٢١،٥٣٠
	،٥٧٥،٥٨١،٥٩٢،٥٩٨،٦٢٧،٦٣٦،٦٤١،٦٧٣،٦٧٩
	،٦٨١،٦٨٢
ابن عبد، أبوعمر يوسف بن عبد الله	٢٩٧،٤٥٩،٤٦٥،٤٧٠،٤٩٠،٦٥٣
عبد الله بن خطل	٤٢٨
عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي	٥٧٦
عبد الله بن السائب	٢٨٨
عبد الله بن سلام	٦٠٤،٦٣٨، (٨١٦)
عبد الله بن المبارك	٣٣٢،٣٤٥،٥٧٨
عبد الملك بن مروان	٤١٥
عبد المؤمن بن علي	٩،١٠،١٥،٢٣
أبو عبيدة، عامر بن عبد الله بن الجراح	١٠٣
عثمان بن عفان	٣٨٣،٥٦٩،٥٧٩،٥٨٠،٥٨١،٥٩٧

اسم العلـم	الصفحة
العرباض بن سارية	٥٤٦
ابن العربي، أبوبكر بن محمد	
ابن عبد الله	١٤، ٣٥، ٣٨، ٥٨
عروة بن مسعود الثقفي	٢٠٤، ٥٦٩
ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي	٢٤٧، ٤١٣، ٤٧٨، ٤٩١، ٦٠٤، (٦٤٨) ٦٦٩
ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله	١٤
العسكري، أبوهلال الحسن بن عبد الله	٦٣
ابن عطاء، أحمد بن محمد بن سهل	١٧٥
عطاء بن أبي رباح	٦٧٣، ٦٨١، (٨١٦)
عقيل بن أبي طالب	٥٧٥
ابن عقيل، أبو الوفاء علي بن محمد	
ابن عقيل البغدادي	١٠٤
علي بن يوسف بن تاشفين	٢٨٦
علي بن أبي طالب	٥٥، ١٢٢، ١٧٤، ٣٧٣، ٤٠١، ٤٠٤، ٤١٤، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٦، ٤٥٧، ٤٦٢، ٥٧٥، ٥٨٠، ٥٨١، ٧١٠، ٧١٨، ٧١٩
ابن العماد الحنبلي، عبد الحي ابن أحمد بن محمد	٤٣، ٦٩٠
عمر بن الخطاب	٥٤، ١٠٣، ١٤٥، ١٧٤، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٣٨٣، ٣٨٩، ٤٦٤، ٥٤٩، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٩٧، ٦٦٦، ٧٠١
ابن عمر، عبد الله بن عمر بن الخطاب	١١٥، ١١٦، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩، ٣٧٧، ٣٨٣، ٤٦٤، ٤٧٦، ٥٤١، ٥٤٨، ٥٧٦، ٥٩٩، ٦١٩، ٦٣٨، ٦٦٣، ٧٠١
عمر بن عبد العزيز	٤٦٤، ٥٤٩، ٧٠١
عمرو بن شعيب	١٢١
عمرو بن العاص	٣٠٨، (٥٦٢) ٥٦٨، ٥٧٩
عمرو بن عبسة	٤٦٩، ٤٧٣
عمرو بن ميمون	٥٧٣
عمير بن حبيب	٤٦٤
ابن عيينة، سفيان بن عيينة الهلالي	٢٢٩، ٢٩٦، ٣٤٥، ٤٥٧، ٦٤١

اسم العلـم	الصفحة
(غ)	
ابن غازي، محمد بن حسن بن عطية	٣٨
الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد	٢٤٥،٢٥٠،٢٥٧،٣٢٤،٤٨١،٦٩٤
الغساني، الحسين بن محمد الجياني	٣٧،٣٨
(ف)	
ابن فارس، أحمد بن فارس	٦٣
الفتح بن محمد بن خاقان	٥
ابن فديك، محمد بن إسماعيل	٦٩٦
ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد	٢٠،٤٣،٤٦،٤٧
فضالة بن عبيد الأنصاري	١٧٤
الفضيل بن عياض اليربوعي	١٦٦،١٦٧،٣٤٥،٤٥٧
ابن فورك، محمد بن الحسن	٣٣،٥٧،٢٤٥،٢٥٧،٢٥٨،٣١٠،٣١١،٣١٦،٣٥٦، ٤٨٠،٧٢٦
(ق)	
قتادة بن دعامة السدوسي	٢٨٨،٣٧٥،٤٧١،٥٢١،٥٦٧،٥٧٣،٦٤٦
ابن قتيبة، عبد الله بن قتيبة الدينوري	٣٤١،٣٤٢
ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد	٢٣٤،٣٨١،٤٠٧
القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم	٣٧٦،٤٧٨،٤٨١،٥٩٥،٦٣٧،٦٥٣
ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف المري	٣٩
ابن القصير، عبد الرحمن بن أحمد	٣٩
القضاعي، محمد بن سلامية بن جعفر	٤٦
ابن قيم الجوزية، محمد بن أيوب	٩٠،١٠٤،١٢٠،١٢٤،٢٠٠،٢٤٧،٢٥٣،٢٦٧،٣١٥، ٣٤٥،٣٥٣،٣٧٩،٣٩٠،٣٩٧،٤٠٢،٤٧٧،٤٨٠،٤٩٨، ٤٩٩،٥٠٨،٥٥٣،٥٧٧،٦٤٨،٦٦٦،٧٠٤

اسم العلم	الصفحة
(ك)	
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير	٢٠، ٤٢، ٢٠٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٤١٦، ٤٢١، ٥٠٠، ٥٠٨، ٥٢٠، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٦٧، ٥٧٥، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٩٧، ٦٣٤، ٦٣٦
الكرخي، محمد بن أحمد الكرخي	١٣
الكرماني، عبد الرحمن بن محمد	
ابن أميرويه	١٣
كعب الأحبار	٢٩٥
كعب بن الأشرف	٤٢٧، ٤٣٢، ٥٤٥
ابن كلاب، عبد الله بن سعيد البصري	٢٨٢
(ل)	
الليث بن سعد	٥٥، ٢٢٨، ٣٣٣، ٤٢٤، ٥٧٣
اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور	٢٤٥، ٦٨٢
(م)	
المازري، محمد بن علي التميمي	١٣، ٣٦، ٤٥، ٥٣٥
مالك بن أنس	٥٣، ١٦٩، ١٨٧، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٩٦، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٩٤، ٤١٨، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٥، ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٧، ٥٧٨، ٦٦٤، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠١، ٧٠٥، ٧٢٠، ٧٢١
مالك بن الدخشم	٧١٣
مجاهد بن جبر المكي	٢٨٨، ٣٣١، ٥٦٧، ٥٣٧، ٦٣٧، ٦٧٣
محمد بن الحسن الشيباني	٢٣٠
محمد بن حميد الرازي	١٩٧، ١٩٨
محمد بن عبد الوهاب	٤٠٧، ٤٤٠، (٤٤٢)

اسم العلم	الصفحة
محمد بن القاضي عياض اليحصبي	٨، ٣٢، ٦٩٥
محمد بن عيسى التميمي	٣٢
محمد بن القاسم العماري	٢٧٩
محمد بن مسلمة	٤٢٨
مسروق بن الأجدع	٦٣٥، (٦٨٠)
ابن مسعود، عبد الله بن مسعود الهذلي	١٠٧، ١٣٨، ١٧٤، ٢٩٥، ٣٠٨، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٧٩، ٣٩٥، ٤٥٧، ٤٧٧، ٥٤٩، ٥٦١، ٥٩٢، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٥، ٦٣٧، ٦٦٦، ٦٧٩، ٦٨٠
مسلم بن الحجاج القشيري	١٦٠، ١٧٧، ٣٢٤، ٤٢٦، ٥٥٨، ٦٣٣، ٦٥٢، ٦٦٣، ٦٨٠، ٧٠٠، ٧١١
مسيلمة الكذاب	٦١٧
معاذ بن جبل	٨٦، ١٥٧، ٤٠٣، ٤٦٤، ٦٨٦
المعافري، عبد الرحمن بن محمد	٣٣، ٥٨
معاوية بن أبي سفيان	١٩٤، ٥٧٩
ابن معين، يحيى بن معين البغدادي	٤٧١
المغيرة بن شعبة	٥٧٠
مكحول بن عبد الله الدمشقي	٢٢٩
ملا علي قاري	٤٣٨، ٤٤٥
ابن أبي مليكة، عبد الله بن عبيد الله	٥٦٥، ٦٣٦
ابن المنذر، أبوبكر محمد بن إبراهيم	٤٢٣، ٤٢٤
ابن منصور، عبد الله بن محمد بن منصور	٦٩٥
ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي	١٠١، (٤٥٣) ٤٧٦
محمد بن المنكدر	٥٨١
ابن مهدي، عبد الرحمن بن مهدي البصري	٤٧١
ابن موجوال، عبد الله بن أحمد العبدري	٣٨

اسم العلم	الصفحة

(ن)

النخعي، إبراهيم بن يزيد بن قيس	٢٨٨،٦٢٧
نظام الملك، الحسن بن علي الطوسي	١٦
نعيم بن حماد الخزاعي	٤٠٦
النواس بن سمعان الكلابي	٦٢٥،٦٢٨
النووي، يحيى بن شرف الحوراني	١١٦،١٤٩،١٥٠،١٨٦،٣٦٩،٥٩٦،٦٢٤،٦٢٥،٦٣٤، ٦٤٠،٦٨٢
النيسابوري، عبد الملك بن محمد ابن إبراهيم الواعظ	٤٧

(هـ)

أبوهريرة، عبد الرحمن بن صخر	٧٥،١٤٨،٢١٧،٣٦٥،٣٨٩،٤٦٤،٥٤٣،٥٥٠،٥٩٧، ٦١٥،٦٣٢،٦٤١،٦٦٣،٦٦٦

(و)

وكيع بن الجراح	٢٢٩
وهب بن منبه الأنباوي	١٢٢

(ي)

يزيد بن الأسود الجرشي	١٩٤
أبو يعلى، القاضي محمد بن الحسين ابن محمد	٩٨،٣٤٢،٣٤٥
يوسف بن تاشفين	٦٩٤ (٨١٧)

(استدراك)

أعلام سقطت ترجمتهم سهواً

١) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب : ابن سبط النبي ﷺ، يكنى أبا محمد، كان إماماً صالحاً كثير العبادة قليل الرواية مع صدقه وإمامته، حدّث عن أبيه وعبدالله بن جعفر وحدث عنه ولده عبدالله وآخرون، كان ولي صدقة جده علي رضي الله عنه، يبغض الرافضة أشد البغض ويتبرأ منهم مع ادعائهم حبه، فقد شتم أحدهم أبا بكر وعمر أمامه فقام وخنقه حتى دلع لسانه وقال له يا عدو الله أعندي ؟ توفي سنة (٩٧ هـ)، ووقيل (٩٩هـ) وله بضع وخمسون سنة. انظر تقريب التهذيب ٢٠٢/١، وسير أعلام النبلاء ٤٨٣/٤، والبداية والنهاية ١٧٠/٩.

٢) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي، أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار وسيد التابعين في زمانه فقهاً وورعاً وعبادة وفضلاً وزهداً وعلماً، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه، ورأى عدداً كبيراً من الصحابة وروى عنهم، تزوج بنت أبي هريرة رضي الله عنه، وكان أعلم الناس بحديثه، قال عنه ابن المديني (لا أعلم في التابعين أوسع علماً من ابن المسيب وهو عندي أجل التابعين) اتفق العلماء على أن مرسلاته أصح المراسيل، حج أربعين حجة، توفي سنة (٩٣هـ) وقد ناهز الثمانين. انظر مشاهير علماء الأمصار ص ٦٣ وسير أعلام النبلاء ٢١٧/٤ وتذكرة الحفاظ ٥١/١.

٣) عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجي، الإمام الحبر المشهود له بالجنة، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي ﷺ، كان أحد أحبار يهود بني قينقاع قبل الإسلام وكان يسمى الحصين، فسماه النبي ﷺ عبدالله لما أسلم، كان من فقهاء الصحابة وعلمائهم بالكتب، وكان ممن فتح بيت المقدس ونهاوند، توفي بالمدينة سنة (٤٣هـ). انظر مشاهير علماء الأمصار ص ١٦، وأسد الغابة ١٧٦/٣، وسير أعلام النبلاء ٤١٣/٢.

٤) عطاء بن أبي رباح الفهري القرشي، اسم أبيه أسلم، كان عطاء مفتي الحرم المكي، إماماً عظيم القدر من كبار التابعين، ولد بمكة في أثناء خلافة عثمان رضي الله عنه ورأى مائتي صحابي، وحدث عن عدد كبير منهم، كان من أوعية العلم، ثقة فقيهاً فاضلاً كثير الحديث لكنه يرسل كثيراً، وكان زاهداً في الدنيا متواضعاً. توفي في رمضان سنة (١١٤هـ) على المشهور. انظر مشاهير علماء الأمصار ص ٨١، وسير أعلام النبلاء ٧٨/٥، وتقريب التهذيب ٦٧٤/١.

٥) أبو الدرداء، الصحابي الجليل عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة وسيد القراء بدمشق، معدود فيمن جمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وروى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، أسلم يوم بدر ثم شهد أحداً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، كان مشهوراً بالزهد والعبادة. توفي بدمشق سنة (٣٢هـ) على الصحيح، وقيل غير ذلك. انظر أسد الغابة ١٥٩/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٣٥/٢، والإصابة ١٨٢/٤.

٦) أبو الشيخ الأصبهاني، الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان ، عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المشهور بأبي الشيخ، صاحب التصانيف الكثيرة التي من أشهرها كتاب العظمة، وكتاب السنن، وكتاب ثواب الأعمال وغيرها، كان حافظاً ثقة ثبتاً متقناً مأموناً صاحب سنة واتباع ومن العلماء العاملين. ولد سنة (٢٧٤هـ) وتوفي سنة (٣٦٩هـ). انظر سير أعلام النبلاء ٢٧٦/١٦، وتذكرة الحفاظ ٩٤٥/٣، وشذرات الذهب ٦٩/٣.

٧) يوسف بن تاشفين، اللمتوني البربري، أمير المسلمين وأمير المرابطين، أبويعقوب، هو الذي بنى مراكش وصيّرها دار ملكه، كان بطلاً شجاعاً شهماً عادلاً مهيباً، حارب الفرنجة الكفرة ببلاد الأندلس فقطع شوكتهم واستولى على معظم بلادهم، وكان حليماً كريماً ديّناً خيّراً يحب العلم والدين ويبالغ في إكرام العلماء والوقوف عند إشاراتهم، يحب العفو والصفح، حازماً سائساً للأمور ضابطاً لمصالح المسلمين. توفي سنة (٥٠٠هـ). انظر الكامل في التاريخ ٤١٧/١٠، ووفيات الأعيان ١٢٤/٧، وسير أعلام النبلاء ٢٥٢/١٩.

٨) الدارقطني : هو الإمام الحافظ المجود، شيخ الإسلام علم الجهابذة، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي، كان من بحور العلم وأئمة الدنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة علل الحديث ورجاله مع التقدم في القراءات وطرقها وقوة المشاركة في الفقه والمغازي وغير ذلك، مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد، صنف التصانيف وسار ذكره في الدنيا، هو أول من صنف القراءات وعقد لها أبواباً، ولد سنة (٣٠٦هـ) وتوفي سنة (٣٨٥هـ). انظر وفيات الأعيان ٢٩٧/٣، وسير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٦، وشذرات الذهب ١١٦/٣.

٩) أبو داود : هو الإمام شيخ السنة مقدم الحفاظ، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، كان إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة، وأحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً، تتلمذ على الإمام أحمد بن حنبل ولازم مجلسه مدة، وسأله عن دقائق المسائل في الأصول والفروع، فهو يعتبر من نجباء أصحابه وتلامذته، يقال إنه صنف كتابه السنن وعرضه على أحمد فاستجاده واستحسنه، كان شديد التمسك بالسنة وبمذهب السلف والذب عنه. ولد سنة (٢٠٠هـ) وتوفي سنة (٢٧٥هـ) انظر طبقات الحنابلة ١٥٩/١ وتذكرة الحفاظ ٥٩١/٢ وسير أعلام النبلاء ٢٠٣/١٣.

الفرق والطوائف والأديـــــــان

فهرس الفرق والطوائف والأديان

الإســـم	الصفحة
(أ)	
الإباحيون	٤٤٦
الأشاعرة	٨، ٣٤، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٩٨، ١١٧، ١١٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٧٠، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٨، ٣٣٨، ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٩، ٤٦٣، ٤٨٤، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٩٠، ٧٠٧، ٧٢٦
(ب)	
الباطنية	٤، ٢٠٣ (٢١٩)، ٣٧٤، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٤٥، ٥٢٥، ٥٧٧، ٦٩١، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٤
البيانية	٤١٤
(ث)	
الثنوية	١١٥ (٤٠٠)، ٨٠٧
(ج)	
الجبرية	١١٣ (١١٦)، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥، ٢٣٦، ٧١٦
الجهمية	٨٧، ١١٧، ١١٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤٠، ٢٤٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٩٧، ٤٥٤، ٤٦٣، ٤٧٤، ٦٥٩، ٦٧٠، ٧١٣، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧٢٧
(ح)	
الحرورية	٢٣٦
الحلوليون	٤٠٤، ٧٢٤

الإســـــم	الصفحة
(خ)	
الخرمية	٤١٤، ٧١٩
الخوارج	٨، ١١٦، ١٥١، ٢٣٦، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٦٣، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩١، ٦٤٥، ٦٧٠، ٧٠٨، (٧١٠)، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٧، ٧٢٧
(د)	
الدهرية	٤٠٠، ٧٢٣
الديصانية	٤٠٠
(ر)	
الرافضة	٢١٨، ٢٣٦، ٤٠٤، ٤١٤، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٣٣، ٥٢٦، ٥٧٧، ٥٨٠، ٥٨٥، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢٧
(ز)	
الزنادقة	١١٧، (٤٥٦)
الزيدية	١١٤
(ص)	
الصابئة	٣٧٤، ٤٠١
الصوفية	١٧٩، ١٨٣، (٢١٩)، ٣٤٧، ٣٦٨، ٣٧٣، ٤١٥، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٤٥، ٥٧٧، ٦٩١، ٦٩٤، ٦٩٥، ٧٠٧، ٧٢٣، ٧٢٦

الإسم	الصفحة
(ع)	
العبيديون	٢٠٣
(ف)	
الفلاسفة	١١٠ (٢١٩)، ٣٧٤، ٤١٥، ٤١٧، ٤٢٢، ٦٩٥، ٧٢١، ٧٢٣، ٧٢٤
(ق)	
القدرية	١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٢١، ١٣١، ١٣٤، ٢٣٦
القرامطة	٤٤٦ (٥٢٥)
(ك)	
الكرامية	٢١٨، ٢٤١، ٤٥٥، ٤٧٣
الكلابية	٤٧٤
الكملية	٧١٨
(م)	
المانوية	٤٠١
المجوس	١١٠، ١١٣، ١١٥ (٣٧٤)، ٤٠١، ٤٠٢، ٧٠٨
المرجئة	٢٣٦، ٤٤٦ (٤٥٤)، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٨٣، ٦٤٥، ٧١٣، ٧١٤، ٧٢٧
المشبهة	٢١٨، ٢٣١
المعتزلة	١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٤٠، ١٥٢، ٢٢٠، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٧، ٤٣٨، ٤٦٣، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩١، ٦٤٥، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦٥، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٧، ٧٢٣
المعطلة	٢١٨، ٢٣٢، ٢٦٧

الإســـــم	الصفحة
المفوضة	٢٢٠
الممثلة	٢١٧

(ن)

النصارى	٦٥، ١١٨، ١٣٧، ٢٨٣، ٣٣٢، ٣٧٤، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٤٥، ٥١٤، ٥١٥، ٥٣٣، ٦٩١، ٧٢٤

(و)

الوعيدية	٢٣٦

(ي)

اليهود	٦٥، ١١٨، ١٣٧، ٣٠٩، ٣١١، ٣٣٢، ٣٨٨، ٤١٣، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٤٤، ٤٤٨، ٥٤٥، ٥٦٨، ٦٠١

القبائل والأماكن

فهرس القبائل والأماكن

الإســـــم	الصفحة
(أ)	
الإسكندرية	٣٧،٣٨،٣٩
إشبيلية	٢٩
الأندلس	٤،٥،٦،٧،١٥،٢٠،٢١،٢٢،٢٦،٢٨،٢٩،٣٠،٣٤،٣٧،٣٨،٣٩،٤٨،٥١
أيلة	٣٥٦
(ب)	
بدر	٤٣٧،٦٤٦
بغداد	١٤،٣٥،٣٧
البصرة	٣٥،٣٧
بيروت	٤٩،٥١
(ت)	
تبوك	٤١١
تهامة	٢٣٢
تونس	٤٦،٤٧
(ح)	
الحجاز	٦٤٣
حضرموت	٦٣٨،٦٤٨
حمير	٢٠

الإســــم	الصفحة
(خ)	
خراسان	٣٧
(د)	
داي	٢٣
دمشق	١٦، ٦٤٨
(ز)	
زبيد	٤
(س)	
سبته	٩، ١٠، ١٥، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٥٢، ٥٨
(ش)	
الشام	٣٥، ٣٧، ٢٣٢، ٦٤٠، ٦٤٢
(ص)	
صنعاء	٤، ٦٥٣
الصين	٤٠١

الإســـم	الصفحة
(ط)	
الطائف	٥٣٧
(ع)	
العراق	٣٧، ٢٣٢، ٤٣٧
عدن	٦٣٨
عمان	٦٥٣
(غ)	
غرناطة	٦
(ف)	
فاس	٢٠، ٢٢، ٣٩، ٥٠
(ق)	
القاهرة	٤٦، ٤٧، ٤٨
قرطبة	٢٨٦، ٤٠٩، ٤١٠
القيروان	٢٠، ٢٢
(ل)	
لدّ	٦٢٦، ٦٤١
بني ليث	٤٢٩

الإســـم	الصفحة
(م)	
المدينة المنورة	٤٢٧،٦٥٣،٦٩٧،٦٩٩،٧٠٢،٧٠٤
مراكش	٣٤
مرسية	٢٨
مزينة	١٣٢
مصر	٣٥،٣٧
مصمودة	٧
المغرب	٤،٥،٧،٩،١٥،٢٦،٢٩،٣٠،٣٤،٣٥،٣٦،٣٨،٣٩،٤٦،٥٠،٥١
مكة المكرمة	٣٥،٤٢٧،٦٣١،٦٣٢
(هـ)	
الهند	٤٠١
(ي)	
يحصب بن مالك	٢٠
اليمن	٤،٢٣٢،٦٣٨،٦٣٩،٦٥٣

المصطلحات

فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة
(أ)	
الإثبات	٢٢٣
الإضافات	٢١٩
الإلحاد	٢٣٩، ٣٧٥
(ت)	
التأويل	٢٥٨
التحريف	٢١٢
الترسيل	٥٢
التشبيه	٢١٢
التعطيل	٢١٢
التكييف	٢١٢
التمثيل	٢١٢
التناسخ	٧٢٢
التنزيه	٢٢٤
(ج)	
الجوهر	٨٠
الجوهر المفرد	٢٦٢
(ح)	
الحلول	٦٩١،٧٢٢

المصطلح	الصفحة
(ز)	
الزندقة	٤٥٦
(س)	
السرمدي	٨٢
السلوب	٢١٩
(ع)	
العَرَض	٢٦٢،٨٠
(ك)	
الكسب	١٣٣
(و)	
الوجود المطلق	٢١٩

الشعر

فهرس الشعر

الشعر	القائل	الصفحة
(أ)		
أقمرية الأرواح بالله طارحي / أخا شجن بالنوح أو بغناء	القاضي عياض	٢٣
(ب)		
الله يغضب إن تركت سؤاله / وبُني آدم حين يُسأل يغضب	؟	١٤٧
(ت)		
يا دار خير المرسلين ومن به / هدى الأنام وخص بالآيات	القاضي عياض	٢٠٥
(ح)		
وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم / إن التشبه بالكرام فلاح	؟	ك
(د)		
وفي كل شيء له آية / تدل على أنه واحد	؟	٩٦
(ر)		
على محمد صلاة الأبرار / صلى عليه الطيبون الأخيار	إمرأة من السلف	٥٦٣
(ع)		
ولست أبالي حين أقتل مسلماً / على أي جنب كان في الله مصرعي	خبيب ابن عدي	٣٢٣

الشعر	القائل	الصفحة
(ف)		
وكل خير في اتباع من سلف / وكل شر في ابتداع من خلف	؟	٣٠٧
(ل)		
وإن أخا الأحقاف إذ يعذلونه / يجاهد في ذات الإله ويعدل	حسان ابن ثابت	٣٢٤
نهاية إقدام العقول عقال / وآخر سعي العالمين ضلال	الفخر الرازي	٨٤
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما / جعل اللسان على الفؤاد دليلاً	الأخطل	٢٨٤
(م)		
لعمري لقد طفت المعاهد كلها / وسيّرت طرفي بين تلك المعالم	الشهرستاني	٨٣
(هـ)		
غداً نلقى الأحبة / محمداً وصحبه	الصحابة	٥٥٩

المراجع والمصادر

قائمة المصادر والمراجع

مرتبة حسب الأحرف الهجائية

قبل كل شئ - القرآن الكريم.

أولاً : مؤلفات القاضي عياض - رحمه الله تعالى - .

١-الإعلام بحدود قواعد الإسلام - للقاضي عياض أعده وقدم له الشيخ أحمد حسن رجب - مطابع روز اليوسف - القاهرة - ذو الحجة ١٤١٠هـ - هدية مجلة الأزهر.

٢ - إكمال المعلم - مخطوط - للقاضي عياض - الجامعة الإسلامية برقم (١٨٤١) و (٢٣٩، ٣٧٣).

٣ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - تحقيق أحمد بكير محمود - منشورات مكتبة الحياة - بيروت، ودار مكتبة الفكر - ليبيا - طرابلس ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

٤ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى - للقاضي عياض - دار الفكر - بيروت.

٥ - الغنية - فهرست شيوخ القاضي عياض - بتحقيق ماهر جرار - طبع دار الغرب - بيروت - ط الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

٦ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار - طبع ونشر المكتبة العتيقة - تونس ، ودار التراث - القاهرة .

٧ - منهاج العوارف إلى روح المعارف في شرح مشكل أحاديث التوحيد - مخطوط في جامعة أم القرى رقم : ١٥ / ٦٣، وفي دار الكتب المصرية رقم : (١٢٨٤) حديث .

ثانياً : المراجع والمصادر الأخرى .

(أ)

٨ - الإبانة عن أصول الديانة - لأبي الحسن الأشعري - تحقيق الدكتورة فوقية محمود - طبع وتوزيع دار الأنصار بمصر - ط الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٩ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية - للإمام عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي - تحقيق د. رضا نعسان معطي - طبع دار الراية - الرياض ١٤٠٩ هـ .
١٠ - إبطال التأويلات لأخبار الصفات - للإمام أبي يعلى محمد بن حسن الفراء - تحقيق ودراسة محمد المحمود النجدي - طبع ونشر مكتبة دار الإمام الذهبي - ط أولى ١٤١٠ هـ .
١١ - الإحاطة في أخبار غرناطة - للسان الدين ابن الخطيب الأندلسي - تحقيق محمد عبد الله عنان الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة - ط الثانية ١٣٩٢ هـ .
١٢ - الاختيارات الفقهية لابن تيمية - اختارها العلامة البعلي بتحقيق محمد حامد الفقي - مكتبة السداوى بمصر .
١٣ - الأربعين في صفات رب العالمين - لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - تحقيق الأخ عبدالقادر عطا - الناشر مكتبة العلوم والحكم بالمدينة - ط أولى ١٤١٣ هـ .
١٤ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول - للإمام محمد بن علي الشوكاني - ط دار المعرفة - بيروت .
١٥ - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض - لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني - طبع بإشراف اللجنة المشتركة للنشر والتراث الإسلامي في المغرب والإمارات .
١٦ - الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى - أبو الحسن الندوي - دار الكتاب - الدار البيضاء ١٩٥٤ م .
١٧ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - بهامش الإصابة - لابن عبد البر القرطبي المالكي - ط دار الكتاب العربي - بيروت .
١٨ أسد الغابة في معرفة الصحابة - للإمام عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم ابن الأثير الشيباني - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٩ - الأسماء والصفات - لأبي بكر أحمد البيهقي - تحقيق الكوثري - طبع مطبعة السعادة بمصر ١٣٥٨ هـ .

٢٠ - الإصابة في معرفة الصحابة - للإمام أحمد بن حجر العسقلاني - طبع دار الكتاب العربي - بيروت .

٢١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - للشيخ محمد الأمين الشنقيطي - طبع إدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض ١٤٠٣ هـ .

٢٢ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - للفخر الرازي - طبع دار الكتب العلمية .

٢٣ - الاعتقاد - للإمام أبي بكر البيهقي - بتصحيح الشيخ أحمد مرسى - الناشر حديث أكاديمي نشاط أباد - فيصل أباد - باكستان .

٢٤ - الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء - لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - ط التاسعة ١٩٩٠ م .

٢٥ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة - للشيخ حافظ أحمد حكمي - طبع إدارات البحوث العلمية - الرياض - ط الثالثة ١٣٩٩ هـ .

٢٦ - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - تحقيق محمد حامد الفقي - طبع دار المعرفة - بيروت .

٢٧ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - مصر - ط الثانية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

٢٨ - الإنصاف - للإمام أبي بكر بن الطيب الباقلاني - تحقيق عماد الدين حيدر - ط الأولى - ١٤٠٧ هـ .

٢٩ - أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة - للشيخ أحمد النجمي - طبع إدارات البحوث العلمية والإفتاء - ١٤٠٥ هـ .

٣٠ - الإيمان - لأبي عبيد القاسم بن سلام - تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - طبع دار الأرقم بالكويت (طبع ضمن أربع رسائل) .

٣١ - الإيمان - لأبي بكر بن أبي شيبة العبسي - تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - طبع دار الأرقم بالكويت (طبع ضمن أربع رسائل) .

٣٢ – الإيمان – لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية – طبع دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

٣٣ – أيسر التفاسير لكلام العلي القدير – للشيخ أبي بكر الجزائري – الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(ب)

٣٤ – البداية والنهاية – للإمام عماد الدين إسماعيل بن كثير – تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين – الناشر دار الريان – مصر – ط الأولى ١٤٠٨ هـ .

٣٥ – البدع والنهي عنها – للإمام محمد بن وضاح القرطبي – تحقيق أحمد دهمان – دار البصائر بدمشق – الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ .

٣٦ – بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية – تصحيح وتعليق محمد بن القاسم – مطبعة الحكومة – مكة المكرمة – ط الأولى ١٣٩١ هـ .

(ت)

٣٧ – تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر – للعلامة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي – دار البيان – بريطانيا – ١٣٩١ هـ – ١٩٧١ م .

٣٨ – تاريخ الإسلام السياسي – للدكتور حسن إبراهيم حسن – ط السابعة ١٩٦٦ م .

٣٩ – تاريخ الدولة العباسية – لمحمد الخضري – نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر – عام ١٩٦٩م.

٤٠ – تاريخ دولة آل سلجوق – لعماد الدين بن محمد الأصبهاني – دون تاريخ.

٤١ – تاريخ خليفة بن خياط – تحقيق د. أكرم ضياء العمري – دار طيبة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

٤٢ – تأويل مختلف الحديث – للإمام ابن قتيبة الدينوري – طبع دار الكتاب العربي – بيروت .

٤٣ - التبرك المشروع والتبرك الممنوع - د. علي بن نفيع العلياني - طبع دار الوطن - ط الأولى ١٤١١ هـ .

٤٤ - التبصير في الدين - لأبي المظفر الإسفرائيني - تحقيق كمال شفيق الحوت - طبع عالم الكتب - ١٤٠٣ هـ .

٤٥ - تذكرة الحفاظ - للإمام محمد بن أحمد الذهبي - طبع دار الفكر - بيروت .

٤٦ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - للإمام القرطبي - طبع المكتبة السلفية .

٤٧ - التعريفات - للقاضي علي بن محمد الجرجاني - تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي - دار الكتاب المصري - القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني - بيروت ط الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١ م .

٤٨ - التعريف بالقاضي عياض - لولده محمد - تحقيق د. محمد بن شريفة - طبع وزارة الأوقاف بالمغرب - ط الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٤٩ - تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل - للإمام أبي الحسن محمد بن الحسن بن مسعود الفراء البغوي - تحقيق خالد العك وآخر - طبع دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

٥٠ - تفسير القرآن العظيم - للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - الناشر مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر عام ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .

٥١ - التفسير القيم - للإمام ابن القيم - جمع محمد إدريس الندوي - تحقيق محمد حامد الفقي - دار العلوم الحديثة - بيروت .

٥٢ - تقريب التهذيب - للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - تحقيق ودراسة مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

٥٣ - التمهيد لما في موطأ مالك من المعاني والأسانيد - للإمام أبي عمر يوسف بن عبدالبرّ الأندلسي القرطبي - طبع وزارة الأوقاف بالمغرب - تحقيق جماعة من الأساتذة .

٥٤ - تهذيب اللغة - للعلامة الأزهري - تحقيق عبدالسلام هارون وآخر - الدار المصرية للتأليف والترجمة عام ١٣٨٤ هـ .

٥٥ - التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الإتفاق والتفرد - للإمام محمد ابن إسحاق بن منده - تحقيق د. علي بن ناصر الفقيهي - طبع الجامعة الإسلامية - ط الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٤١٣ هـ.

٥٦ - التوسل أنواعه وأحكامه - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - ط الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٥٧ - تيسير العزيز الحميد - للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب - طبع المكتب الإسلامي - بيروت - ط الخامسة ١٤٠٢ هـ.

٥٨ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق وضبط محمد زهري النجار - طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية - الرياض - ١٤٠٤ هـ .

(ج)

٥٩ - جامع البيان في تأويل القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٤١٢ هـ .

٦٠ - جامع الرسائل - لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق محمد رشاد سالم - الناشر مكتبة المدني - ط الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

٦١ - الجامع الصحيح - للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ضمن فتح الباري - ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي وتصحيح محب الدين الخطيب - ط ونشر المكتبة السلفية ودار الريان للتراث - مصر.

٦٢ - جامع العلوم والحكم - للإمام أبي الفرج ابن رجب الحنبلي - طبع دار المعرفة - بيروت .

٦٣ - الجامع الفريد - يحتوي على رسائل وكتب لأئمة الدعوة - طبع دار الأصفهاني - جدة - على نفقة محمد النعمان رحمه الله .

(ح)

٦٤ - حاشية الدسوقي على أم البراهين - لأحمد الدسوقي - طبع مطبعة عيسى الحلبي - دون تاريخ .

٦٥ - حاشية الصاوي على شرح الخريدة - لأحمد بن محمد الصاوي المالكي - طبع مطبعة الإستقامة - دون تاريخ .

٦٦ - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة - للإمام أبي القاسم بن محمد التميمي - تحقيق د. محمد ربيع المدخلي و د. محمد أبو رحيم - طبع دار الراية - الرياض - الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١ م.

٦٧ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدا لله الأصبهاني - دار الكتاب العربي - بيروت - ط الخامسة ١٤٠٧ هـ .

(خ)

٦٨ - خلق أفعال العباد - للإمام محمد بن إسماعيل البخاري - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

(د)

٦٩ - درء تعارض العقل والنقل - لشيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق د.محمد رشاد سالم - طبع جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - ط الأولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٧٠ - دراسات إسلامية في الأصول الإباضية - لبكير بن سعيد أعوشت - طبع الجزائر - ط الثانية.

٧١ - دلائل النبوة - للإمام البيهقي - بتحقيق د. بعدالمنعم قلعجي - طبع دار الريان - القاهرة - ط الأولى ١٤٠٨ هـ .

٧٢ - دورة القاضي عياض - لمجموعة من الكتاب والمؤلفين - طبع مراكش بالمغرب - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٧٣ - الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب - لبرهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي - تحقيق د. محمد أبو النور - مكتبة دار التراث - القاهرة .

(ر)

٧٤ - رد الإمام الدارمي على بشر المريسي - تحقيق محمد حامد الفقي - طبع دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٣٥٨ هـ .

٧٥ - الرد على الأخنائي - للإمام ابن تيمية - تصحيح وتحقيق عبدالرحمن بن يحي المعلمي - نشر إدارات البحوث العلمية - الرياض - ١٤٠٤ هـ .

٧٦ - الرد على الجهمية - للإمام عثمان بن سعيد الدارمي - تحقيق ودراسة بدر البدر - الدار السلفية - الكويت - ط الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٧٧ - الرد على المنطقيين - للإمام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية - طبع ونشر إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان - ط الثانية ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٧٨ - رسالة الإرادة والأمر - لشيخ الإسلام ابن تيمية - ضمن مجموعة الرسائل الكبرى - طبع دار إحياء التراث العربي .

٧٩ - الرسالة القشيرية في علم التصوف - لعبدالكريم القشيري - الناشر دار الكتاب العربي - بيروت .

٨٠ - الروح - للإمام ابن قيم الجوزية - دراسة وتحقيق د. بسام العموشي - مطابع الفرزدق - الناشر دار ابن تيمية - الرياض - ط الأولى ١٤٠٦ هـ .

(ز)

٨١ - زاد المسير في علم التفسير - للإمام ابن الجوزي - طبع المكتب الإسلامي - بيروت - ط الرابعة ١٤٠٧ هـ .

٨٢ - زاد المعاد إلى هدي خير العباد - للإمام ابن قيم الجوزية - بتحقيق شعيب الأرناؤوط وأخيه - طبع مؤسسة الرسالة - بيروت - ط السابعة ١٤٠٥ هـ .

(س)

٨٣ - السحر بين الحقيقة والخيال - للدكتور أحمد بن ناصر - الناشر مكتبة التراث بمكة - ط ١٤٠٨ هـ .

٨٤ - سنن ابن ماجة - للإمام أبي عبدا لله محمد بن يزيد القزويني - تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي - ١٣٩٥ هـ .

٨٥ - سنن أبي داود - للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي - ومعه كتاب معالم السنن للخطابي - إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد - دار الحديث بيروت - ط الأولى ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

٨٦ - سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي - تحقيق كمال الحوت - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٤٠٨ هـ .

٨٧ - سنن الدارمي - للإمام عبدا لله بن عبدالرحمن الدارمي السمرقندي - تحقيق وتخريج فواز زمرلي وخالد السبع - طبع دار الكتاب العربي - الناشر دار الريان - القاهرة - ط الأولى ١٤٠٧ هـ .

٨٨ - سنن النسائي - للإمام أحمد بن شعيب النسائي شرح الحافظ السيوطي والسندي - تحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي - طبع دار المعرفة - بيروت - ط الثانية ١٤١٢ هـ .

٨٩ - السنن الكبرى - للإمام البيهقي - طبع دار المعرفة - بيروت .

٩٠ - السنة للإمام أحمد بن محمد الخلال - دراسة وتحقيق د. عطية الزهراني - طبع دار الراية - الرياض - ط الأولى ١٤١٠ هـ .

٩١ - السنة - للإمام الحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني - تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ط الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٩٢ - سير أعلام النبلاء - للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين - طبع مؤسسة الرسالة - ط السادسة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

٩٣ - السيرة النبوية - لابن هشام - بتحقيق وضبط مصطفى السقا وآخرين - مطبعة الحلبي - ط الثانية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .

(ش)

٩٤ - شجرة النور الزكية - لمحمد بن مخلوف . دار الكتاب العربي بيروت .

٩٥ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي - تحقيق أحمد سعد حمدان - دار طيبة الرياض .

٩٦ - شرح الأصول الخمسة - للقاضي عبدالجبار المعتزلي - تحقيق د. عبدالكريم عثمان - مكتبة وهبة - القاهرة - ط الثانية ١٤٠٨ هـ .

٩٧ - شرح السنة - للإمام أبي محمد الحسن البربهاري - تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني - دار ابن القيم - الدمام - ط الأولى ١٤٠٨ هـ .

٩٨ - شرح العقيدة الطحاوية - للعلامة ابن أبي العز الحنفي - تحقيق د عبدالله التركي والأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت .

٩٩ - شرح العقيدة الطحاوية - للعلامة ابن أبي العز الحنفي - تحقيق وتخريج محمد ناصر الدين الألباني - طبع مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر .

١٠٠ - شرح العقيدة الواسطية - لشيخ الإسلام ابن تيمية - شرح د. صالح الفوزان - طبع إدارات البحوث العلمية - ط الخامسة - ١٤١١ هـ ، وشرح الشيخ محمد خليل هرّاس - طبع مؤسسة مكة - ط الرابعة .

١٠١ - شرح أم البراهين - لمحمد بن محمد بن يوسف السنوسي - مطبعة الاستقامة - ١٣٥١ هـ .

١٠٢ - شرح جوهرة التوحيد - للشيخ إبراهيم اللقاني - شرح إبراهيم البيجوري - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٤٠٣ هـ .

١٠٣ - شرح صحيح مسلم - للإمام محيي الدين شرف النووي - المطبعة المصرية بالأزهر - ط الأولى ١٣٤٧ هـ .

١٠٤ - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري - للشيخ عبدالله الغنيمان - مكتبة لينة - مصر - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ، وطبع مكتبة الدار المدنية - الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ .

١٠٥ - شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد - للإمام ابن قدامة - شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين - مكتبة المعارف - الرياض - ط الثالثة - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٠٦ - الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة - للإمام عبيد الله بن بطة العكبري - تحقيق ودراسة د. رضا نعسان معطي - مطابع الصفا بمكة المكرمة - ط الثانية ١٤١١ هـ .

١٠٧ - الشريعة - للإمام محمد بن حسين الآجري - تحقيق حامد الفقي - الناشر حديث أكاديمي - فيصل أباد - مطابع الأشراف - لاهور - ط الأولى ١٤٠٣ هـ .

١٠٨ شذرات الذهب في أخبار من ذهب - للإمام أبي الفلاح عبدالحي بن عماد الحنبلي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - طبعة جديدة .

١٠٩ - شفاء العليل في القضاء والقدر والتعليل - للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية - تحقيق الحساني حسن عبدالله - طبع دار التراث - القاهرة .

١١٠ - شرح المقاصد - للتفتازاني - تحقيق د. عبدالرحمن عميرة - طبع علم الكتب - بيروت - ط الأولى ١٤٠٩ هـ .

(ص)

١١١ - الصارم المسلول على شاتم الرسول - للإمام أحمد بن تيمية - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - طبع دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .

١١٢ - الصحاح في اللغة - للشيخ إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبدالغفور عطا - ط الثانية ١٤٠٢ هـ .

١١٣ - صحيح الترغيب والترهيب - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي .

١١٤ - صحيح الجامع الصغير وزياداته - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٤٠٢ هـ .

١١٥ - صحيح مسلم - للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي - مطبعة الحلبي - دار إحياء الكتب العربية - مصر .

١١٦ - الصحيح المسند من أسباب النزول - للشيخ مقبل بن هادي الوادعي - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - ١٤١٠ هـ .
١١٧ - الصلة - لأبي القاسم خلف بن عبدالملك بن بشكوال - طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة - ١٩٦٦ م .

(ض)

١١٨ - ضعيف الجامع الصغير وزياداته - للشيخ محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - ط الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
١١٩ - الضوء اللامع - للإمام السخاوي - طبع دار مكتبة الحياة - بيروت .

(ط)

١٢٠ - طبقات الحفاظ - للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي - تحقيق علي محمد عمر - الناشر مكتبة وهبة - القاهرة عام ١٣٩٣ هـ .
١٢١- طبقات الحنابلة - لأبي يعلى - دار المعرفة - بيروت .
١٢٢ - الطبقات السنية في تراجم الحنفية - لتقي الدين بن عبدالقادر التميمي الداري الغزي - تحقيق د. عبدالفتاح الحلو - دار الرفاعي - الرياض - ط الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
١٢٣ - الطبقات الكبرى - لابن سعد - طبع دار صادر - بيروت .
١٢٤ - طبقات الشافعية الكبرى - للسبكي - تحقيق محمود الطناجي والحلو - طبعة الحلبي - ط الأولى ١٣٨٣ هـ .
١٢٥ - طبقات المفسرين - للإمام جلال الدين السيوطي - تحقيق على محمد عمر - مطبعة الحضارة - مصر - الناشر مكتبة وهبة - القاهرة - ط الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .
١٢٦ - طريق الهجرتين وباب السعادتين - للإمام ابن قيم الجوزية - طبع وإشراف دار الوطن للنشر - الرياض - على نفقة محمد بن سلطان - بدون تاريخ .

(ع)

١٢٧ - العبودية - لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية - طبع المكتب الإسلامي - ط الخامسة ١٣٩٩ هـ.

١٢٨ - عصر المرابطين والموحدين في الأندلس - لمحمد عبدا لله عنان - الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة .

١٢٩ - العظمة - لأبي الشيخ الأصبهاني - تحقيق رضا ا لله المباركفوري - طبع دار العاصمة - الرياض - ط الأولى ١٤١١ هـ .

١٣٠ - عقيدة السلف أصحاب الحديث - لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الصابوني - تحقيق بدر البدر - طبع الدار السلفية - الكويت - ط الأولى ١٤٠٤ هـ .

١٣١ - عقيدة المؤمن - للشيخ أبي بكر الجزائري - طبع دار الكتب السلفية - القاهرة - سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٣٢ - العقيدة الواسطية - لشيخ الإسلام ابن تيمية - طبع إدارات البحوث العلمية والإفتاء - ط الخامسة ١٤١١ هـ ، وطبع مؤسسة مكة - ط الرابعة - توزيع الجامعة الإسلامية .

١٣٣ - عنوان المجد في تاريخ نجد - للعلامة عثمان بن بشر النجدي - الناشر مكتبة الرياض الحديثة .

(ف)

١٣٤ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - طبع ونشر المكتبة السلفية ودار الريان - مصر - ط الثالثة ١٤٠٧ هـ .

١٣٥ - فتح القدير - للأمام محمد بن علي الشوكاني - طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر - ط الثانية ١٣٨٣ هـ .

١٣٦ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - للإمام ابن تيمية - دار الكتب - بيروت - ١٤٠٢ هـ .

١٣٧ - الفرق بين الفرق - لعبدالقاهر البغدادي - تحقيق لجنة إحياء التراث العربي - بيروت - ط الخامسة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٣٨ - الفصل في الملل والأهواء والنحل - للإمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي - تحقيق محمد إبراهيم نصر وآخر - طبع دار الجيل - بيروت - ط الخامسة ١٤٠٥ هـ .

١٣٩ - الفقه الأكبر - للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت - شرح ملا علي القاري - طبع دار الكتب العلمية - ط الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

١٤٠ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة - للإمام الشوكاني - بتحقيق العلامة الشيخ عبدالرحمن المعلمي - طبع المكتب الإسلامي - ط الثالثة - ١٤٠٢ هـ .

(ق)

١٤١ - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة - للإمام ابن تيمية - دراسة وتحقيق د. ربيع بن هادي المدخلي - مكتبة لينة - مصر - ط الأولى ١٤٠٩ هـ .

١٤٢ - القاموس المحيط - للفيروز آبادي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(ك)

١٤٣ - كتاب التوحيد - للإمام أبي بكر بن خزيمة - بتحقيق د. عبدالعزيز الشهوان - دار الرشد - الرياض - ط الأولى ١٤٠٨ هـ .

١٤٤ - كتاب النبوات - لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الكتب العلمية - بيروت - ط عام ١٤٠٢ هـ .

١٤٥ - الكشاف - للزمخشري - وبذيله أربعة كتب - ترتيب وتصحيح مصطفى حسين أحمد - دار الريان للتراث - القاهرة - ط الثالثة ١٤٠٧ هـ .

١٤٦ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس - لإسماعيل بن محمد العجلوني - تحقيق أحمد القلاش - مؤسسة الرسالة - ط الرابعة ١٤٠٥ هـ .

١٤٧ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - لمصطفى عبدالله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٢ هـ .

١٤٨ - الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي - للشيخ محمد الحسيني الطرابلسي - بتحقيق وتعليق د. محمد أحمد بكار - طبع ونشر دار العليان - بريدة ، ومكتبة الطالب الجامعي - مكة - عام ١٤٠٨ هـ .

(ل)

١٤٩ - لسان العرب - للإمام محمد بن مكرم بن منظور - دار صادر - بيروت .

١٥٠ - لمعة الاعتقاد والهادي إلى سبيل الرشاد - للإمام أحمد بن قدامة المقدسي - المكتب الإسلامي - ط الرابعة ١٣٩٥ هـ .

١٥١ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية - للشيخ السفاريني - تعليق الشيخ ابن بابطين وسليمان بن سلمان - المكتب الإسلامي - الناشر مكتبة أسامة - الرياض .

(م)

١٥٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للإمام الهيثمي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط الثالثة ١٤٠٢ هـ .

١٥٣ - مجموعة التوحيد - وتشتمل على ست وعشرين رسالة لابن تيمية وابن عبدالوهاب وغيرهما - طبع دار الفكر - الناشر مكتبة الكتاب الإسلامي - المدينة - ط الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

١٥٤ - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة - للشيخ عبدالعزيز بن باز - طبع إدارات البحوث العلمية والإفتاء - الرياض - ط الثانية ١٤١١ هـ .

١٥٥ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وولده محمد - دار العربية - بيروت - تصوير الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ .

١٥٦ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة - لابن القيم - اختصار الموصلي - طبع دار البيان بعابدين بالقاهرة - تصحيح الناشر زكريا يوسف .

١٥٧ - مختصر العلو للعلي الغفار - للإمام الذهبي - اختصار محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - ١٤٠١ هـ .

١٥٨ - مدارج السالكين - لابن القيم - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٥٩ - مسائل الإيمان - للإمام أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء - طبع دار العاصمة - الرياض - ط الأولى ١٤١٠ هـ .

١٦٠ - المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة - جمع وتحقيق ودراسة د. عبدالإله الأحمدي - دار طيبة - الرياض - ط الأولى ١٤١٢ هـ .

١٦١ - المستدرك على الصحيحين - لأبي عبدالله الحاكم - وبذيله التلخيص - للذهبي - دار الكتاب العربي - بيروت .

١٦٢ - المسند - للإمام أحمد بن حنبل الشيباني - المكتب الإسلامي - ط الرابعة ١٤٠٣ هـ .

١٦٣ - المسند - للإمام أحمد - تحقيق أحمد محمد شاكر - دار المعارف - القاهرة - ١٩٥٤ م.

١٦٤ - مشاهير علماء الأمصار - للإمام محمد بن حبان البستي - تصحيح فلايشهمر - الناشر مكتبة ابن الجوزي - الدمام .

١٦٥ - مشكاة المصابيح - للإمام التبريزي - تحقيق الألباني - طبع المكتب الإسلامي - ط الخامسة ١٤٠٥ هـ .

١٦٦ - مشكل الحديث وبيانه - لأبي بكر بن فورك - تحقيق موسى محمد علي - دار الكتب - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .

١٦٧ - المصباح المنير - لأحمد بن محمد الفيومي المقري - مكتبة لبنان .

١٦٨ - المصنف - للإمام عبدالرزاق الصنعاني - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - المكتب الإسلامي - ط الثانية ١٤٠١ هـ .

١٦٩ - معارج القبول - للشيخ حافظ أحمد الحكمي - بتقديم ولده أحمد - المكتبة السلفية ومطبعتها - ط الثالثة ١٤٠٤ هـ .

١٧٠ - المعتمد في أصول الدين - لأبي يعلى محمد بن الحسين - تحقيق وديع حداد - دار الشرق - بيروت .

١٧١ - معجم البلدان - لياقوت بن عبدا لله الحموي الروحي البغدادي - طبع منشورات إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٩ هـ .
١٧٢ - معجم المؤلفين - لعمر رضا كحالة - دار إحياء التراث العربي .
١٧٣ - المعجم الوسيط - إخراج د. إبراهيم أنيس ومجموعة من المؤلفين - المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا .
١٧٤ - المعجم في أصحاب الصدفي - لمحمد بن عبدا لله القضاعي ابن الأبار - مطابع سجل العرب - القاهرة - الناشر دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
١٧٥ - معجم ما ألف عن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم - لصلاح الدين المنجد - دار الكتاب الجديد - بيروت - ط الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
١٧٦ - المغرب الكبير - للصديق العربي - دار الغرب الإسلامي ببيروت ، ودار الثقافة بالمغرب .
١٧٧ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
١٧٨ - المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت .
١٧٩ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - للإمام أبي الحسن الأشعري - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
١٨٠ - المقصد الأسنى شرح أسماء ا لله الحسنى - لأبي حامد الغزالي - خرّج أحاديثه محمد مصطفى أبو العلاط - شركة الطباعة الفنية - مصر .
١٨١ - الملل والنحل - لأبي الفتح محمد عبدالكريم الشهرستاني - تحقيق عبدالعزيز الوكيل - دار الفكر - بيروت .

١٨٢ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية - لابن تيمية - بهامشه بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول للمؤلف - ط دار الكتب العلمية - بيروت .

١٨٣ - منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات - للشيخ محمد الأمين الشنقيطي - ط الجامعة الإسلامية - ١٤٠١ هـ .

١٨٤ - المواقف في علم الكلام - لعضد الدين الأيجي - عالم الكتب - بيروت .

١٨٥ - الموطأ - للإمام مالك بن أنس - بتصحيح وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي - دار الحديث - القاهرة .

(ن)

١٨٦ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لجمال الدين أبي المحاسن بن ثغرا بردي الأتابكي - نسخة مصورة من مطبعة دار الكتب - بيروت - الناشر وزارة الثقافة والإرشاد - مصر .

(٧٢٥)- النزول والصفات - للدارقطني - تحقيق د. على ناصر الفقيهي - ط الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٨٨ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب - لأحمد بن محمد المقري - دار صادر - بيروت .

١٨٩ - نقض المنطق - لشيخ الإسلام ابن تيمية - تصحيح محمد حامد الفقي - ط مكتبة السنة المحمدية - القاهرة .

١٩٠ - النهاية في غريب الحديث والأثر - للإمام ابن الأثير - تحقيق طاهر أحمد الزواوي وآخر - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .

١٩١ - نيل الأوطار - للإمام محمد بن علي الشوكاني - تحقيق طه عبدالرؤوف وآخر - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .

(هـ)

١٩٢ - هدية العارفين بأسماء المؤلفين (ذيل كشف الظنون) - الجزءان الخامس والسادس منه - لإسماعيل باشا البغدادي - دار الفكر العربي - ١٤٠٢ هـ .

(و)

١٩٣ - وجاءوا يركضون مهلاً يـا دعـاة الضلالـة - للشيخ أبـي بكـر الجزائـري - دار الحرمين للطباعة - مصر - عام ١٤٠٥ هـ .

١٩٤ - وفيات الأعيان وأنباء الزمان - لأبي العبــاس شمـس الديـن أحمـد بـن خلكـان - تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت .

انتهـــــــى ،،،

الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- شكر وتقدير	أ
- المقدمـــــة	ج
- أسباب اختيار الموضوع	هـ
- خطة البحث	و
- منهجي في البحث	ط
الباب الأول : في حياة القاضي عياض و التعريف به	١
الفصل الأول : عصر القاضي عياض	٢
- تمهيـــــد	٣
المبحث الأول : الناحية السياسية	٤
- دولة المرابطين	٥
- دولة الموحدين	٧
المبحث الثاني : الناحية الإجتماعية	١٠
المبحث الثالث : الناحية العلمية	١٢
الفصل الثاني : حياة القاضي عياض الشخصية	١٨
المبحث الأول : اسمه ونسبه	١٩
المبحث الثاني : كنيته ولقبه ونسبته	١٩
المبحث الثالث : مولده	٢٠
المبحث الرابع : أسرته ووفاته	٢٢
الفصل الثالث : حياته العلمية	٢٥
المبحث الأول : تكوينه العلمي	٢٦
المبحث الثاني : رحلته العلمية إلى الأندلس	٢٨
الفصل الرابع شيوخه وتلاميذه	٣١
المبحث الأول : شيوخه	٣٢

المبحث الثاني : تلاميذه ٣٧

الفصل الخامس : مكانته العلمية ومؤلفاته ٤٠
المبحث الأول : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه ٤١
المبحث الثاني : مؤلفاته ودراسة الموجود منها ٤٤
المبحث الثالث : مذهبه وعقيدته ٥٣
المطلـــب الأول : مذهبه ٥٣
المطلـــب الثاني : عقيدته ٥٧

الباب الثاني : منهج القاضي عياض في توحيد الله عز وجل . ٦١

الفصل الأول : تعريف التوحيد وبيان أنواعه والعلاقة فيما بينها ٦٢
المبحث الأول : تعريف التوحيد لغة وشرعاً ٦٣
- بعض الأدلة على هذا التوحيد ٦٥
المبحث الثاني : أنواع التوحيد ٦٦
- تقسيم أهل السنة للتوحيد ٦٦
- موقف القاضي عياض من تقسيم التوحيد ٦٧
المبحث الثالث : العلاقة بين أنواع التوحيد ٦٧

الفصل الثاني : منهج القاضي عياض في توحيد الربوبية ٧١
المبحث الأول : تعريف توحيد الربوبية وبعض الأدلة عليه ٧٢
المطلـــب الأول : تعريفه لغة وشرعاً ٧٢
- تعريف القاضي عياض له ٧٢
المطلـــب الثاني : بعض الأدلة على هذا التوحيد ٧٣
المبحث الثاني : فطرية توحيد الربوبية وموقف المشركين منه ٧٤
المطلـــب الأول : فطرية توحيد الربوبية وأدلته ٧٤
المطلـــب الثاني : موقف المشركين من توحيد الربوبية ٧٧
المبحث الثالث : منهج المتكلمين في الاستدلال على وجود الله ٧٨
- ذكر منهجهم ٧٩
- بطلان هذا المسلك ٨٠
المبحث الرابع : منهج القاضي عياض في الاستدلال على

- وجود الله وعلاقته بمنهج المتكلمين ٨١
المطلـــب الأول : منهج القاضي عياض ٨١
المطلـب الثاني : بطلان هذا المنهج والرد عليه ٨٢
- رد مشاهير المتكلمين لهذا المنهج ٨٣
المطلـب الثالث : أول واجب على المكلف واختلاف الناس فيه ٨٤
- رأي المتكلمين في هذه القضية ٨٥
- رأي القاضي عياض ٨٥
- مذهب السلف في أول الواجبات ٨٨
المبحث الخامس : منهج السلف في الاستدلال على توحيد الربوبية
وبعض الأدلة على ذلك ٨٩
- الدليل الأول : الفطرة والميثاق المعقود بينها وبين الله عز وجل ٨٩
- الدليل الثاني : النظر والاستدلال بآيات الخلق الكونية وغيرها ٩٢
- الدليل الثالث : الاستدلال بالمعجزات ٩٧
المبحث السادس : منهج القاضي عياض في الإيمان بالقضاء والقدر ١٠٠
المطلـــب الأول : تعريف ومعنى الايمان بالقضاء والقدر وأهمية
وثمار ذلك ١٠٠
- معنى القضاء في اللغة ١٠٠
- معنى القدر في اللغة ١٠١
- القضاء والقدر في المعنى الإصطلاحي الشرعي ١٠١
- تعريف الإمام أحمد للقدر ١٠٤
- معنى الايمان بالقضاء والقدر وبعض الأدلة عليه ١٠٥
- مراتب أو أركان الايمان بالقضاء والقدر وبعض الأدلة على ذلك ١٠٧
- أهمية الإيمان بالقضاء والقدر ١٠٩
- ثمار الايمان بالقضاء والقدر ١١٠
المطلـب الثاني : اختلاف الناس في القدر ١١٣
- مذهب القدرية ١١٣
- موقف القاضي عياض من القدرية ١١٥
- مذهب الجبرية المحتجين بالقدر ١١٦
- الرد على هذا المذهب ١١٧
- موقف القاضي عياض من الجبرية ١١٨
المطلـب الثالث : منهج أهل السنة في القضاء والقدر ١١٩

المطلب الرابع : منهج القاضي عياض في الإيمان بالقضاء والقدر ١٢٤
- رأيه في الهدى والضلال ١٢٤
- أنواع الهدى ١٢٥
- منهجه في أفعال الله وأفعال العباد ١٢٦
- مذهب السلف في ذلك وذكر بعض النصوص عليه ١٢٨
- رد القاضي عياض على المعتزلة في قضية أفعال العباد
- وموافقته للأشاعرة في قولهم بالكسب ١٣١
- الرد على القاضي عياض في قوله بالكسب الأشعري ١٣٣
- بطلان الاحتجاج بالقدر وبيان معنى حديث فحج آدم موسى ١٣٥
- الآجال هل تتقدم أو تتأخر - رأي القاضي عياض في ذلك ١٤٠
- معنى الزيادة في العمر الواردة في الحديث لمن وصل رحمه ١٤٢
- حكم تمني الموت وعلاقته بالقضاء والقدر ١٤٤
- حكم أولاد المسلمين ممن مات صغيراً ١٤٧
- حكم أولاد الأنبياء ممن مات صغيراً ١٥٠
- حكم من مات صغيراً من أولاد المشركين ١٥٠
- الراجح في المسألة ١٥٣
- رأي القاضي عياض في ذلك ١٥٣

الفصل الثالث : منهج القاضي عياض في توحيد الألوهية ١٥٤
المبحث الأول : تعريف توحيد الألوهية وتضمنه لأنواع التوحيد ١٥٦
المطلب الأول : تعريفه وأدلته ١٥٦
المطلب الثاني : تضمن توحيد الألوهية لأنواع التوحيد الأخرى ١٥٧
المبحث الثاني : مكانة توحيد الألوهية وعناية القاضي به ١٥٨
المطلب الأول : مكانته ١٥٨
المطلب الثاني : عناية القاضي عياض بتوحيد الألوهية ١٦٠
المبحث الثالث : العبادة وذكر شيء من أنواعها ١٦٣
المطلب الأول : معنى العبادة وشروطها ١٦٣
- معنى العبادة لغة وشرعاً ١٦٣
- الحب والذل ركنا العبادة ١٦٤
- شروط صحة العبادة وتنبيه القاضي عياض على ذلك ١٦٥
المطلب الثاني : ذكر جملة من أنواع العبادة التي ذكرها

القاضي عياض ١٦٨
- أولا : المحبة - ذكر بعض الأدلة على وجوب محبة الله ورسوله ١٦٨
- تفسير القاضي عياض لمعنى محبة العبد لله ورسوله ﷺ والرد عليه ١٧٠
- ثانياً : الدعـــاء ١٧٢
- استحباب الصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء ١٧٤
- ثالثاً : التوبة، معناها وشروطها وحكمها ١٧٥
- رابعاً : التوكـــل ١٧٧
- خامساً : الخوف والرجاء، أهميته ١٨٢
- الرد على من يزعم أنه يعبد الله لذاته لا خوفاً من ناره ولا رجاء جنته ١٨٣
- سادساً : النـــذر ١٨٥
- أقسام النذور وحكم الوفاء بكل منها ١٨٦
المبحث الرابع : التوسل وأنواعه وموقف القاضي عياض منه ١٩٠
المطلـــب الأول : معنى وأنواع التوسل ١٩٠
- معنى التوسل ١٩٠
- أنواع التوسل، أنواع التوسل المشروع ١٩١
- أنواع التوسل المذموم ١٩٥
المطلـــب الثاني : رأي القاضي عياض في التوسل ١٩٦
- رأيه في التوسل بذات النبي ﷺ بعد موته ومناقشته في ذلك ١٩٦
المبحث الخامس : التبرك وموقف القاضي عياض منه ٢٠٠
المطلـــب الأول : معنى التبرك وأنواعه ٢٠٠
- أنواع التبرك المشروع ٢٠١
- أنواع التبرك الممنوع ٢٠٢
المطلـــب الثاني : موقف القاضي عياض من التبرك ٢٠٤
- موافقته للسلف في جواز التبرك بذات النبي ﷺ في حال حياته ٢٠٤
- تأثره بالصوفية في تجويز التبرك بمواضعه ﷺ وبآثار المدينة وتقبيل ذلك ٢٠٤
- مناقشته في هذا الأمر والتنبيه على ما فعله ابن عمر رضي الله عنهما ٢٠٦

الفصل الرابع : منهج القاضي عياض في توحيد الأسماء والصفات ٢١٠

المبحث الأول : تعريف توحيد الأسماء و الصفات و أدلته وموقف الناس منه ٢١٢
المطلـب الأول : تعريف توحيد الأسماء و الصفات و أدلته ٢١٢
المطلـب الثاني : موقف الناس من توحيد الأسماء و الصفات ٢١٧
المبحث الثاني : منهج السلف في توحيد الأسماء و الصفات ٢٢١
المطلـب الأول : خلاصة منهبهم في ذلك ٢٢٢
المطلـب الثاني : الأسس التي بني عليها مذهب السلف ٢٢٣
- الأساس الأول : الإثبات ٢٢٣
- الأساس الثاني : التنزيه ٢٢٤
- الأساس الثالث : قطع الأطماع من إدراك الكيفية و الكنه ٢٢٦
المطلب الثالث : نماذج من أقوال السلف في ذكر منهجهم في توحيد الأسماء و الصفات ٢٢٧
المطلـب الرابع : خصائص ومميزات المنهج السلفي ٢٣٤
المبحث الثالث : أسماء الله تعالى ٢٣٧
- أسماء الله كلها حسنى ٢٣٨
- الإلحاد في أسماء الله ٢٣٨
- معنى الإلحاد في أسماء الله ٢٣٩
- طريق إثبات أسماء الله ٢٤٠
- أسماء الله غير محصورة بعدد معين ٢٤٢
- معنى الإحصاء لأسماء الله الواردة في الحديث ٢٤٤
- حقيقة الإسم و المسمى و اختلاف الناس في ذلك ٢٤٥
- رأي القاضي عياض في ذلك ومناقشته وذكر الراجح في المسألة ٢٤٦
المبحث الثالث : منهج القاضي عياض في صفات الله عز وجل ٢٤٨
المطلـب الأول : تقسيم الصفات ٢٤٨
- أنواع الصفات عند السلف الصالح ٢٤٨
- أنواع الصفات عند المتكلمين ٢٤٩
- رأي القاضي عياض في تقسيم الصفات ٢٥٠
المطلـب الثاني : العلاقة بين الصفات و الذات ٢٥١
- هل إلصفات عين الذات أم غيرها - تفصيل الأمر في ذلك ٢٥٢
المطلـب الثالث : طريقة القاضي عياض في إثبات الصفات لله تعالى ٢٥٤
- تعظيمه للعقل وجعله الحكم في إثبات الصفات أو ردّها

- ومناقشته في هذا الأمر ٢٥٥
- القاضي يقول بالتأويل ويزعم أنه مذهب المحققين والرد عليه في ذلك ٢٥٨
- القاضي يفصل في النفي ويجمل في الإثبات والرد عليه في ذلك ٢٦١
- القاضي يثبت بعض الصفات ويؤول الباقي ومناقشتهفي هذا الأمر ٢٦٥
- القاضي يقول بالمجاز والرد على من يقول بذلك ٢٦٦
- القاضي يقول بالتفويض والرد عليه في ذلك ٢٦٨
المطلب الرابع : ذكر جملة من الصفات الذاتية وموقف القاضي عياض منها ٢٦٩
- أولا : صفة العلم ٢٧٠
- ثانياً : صفة القدرة ٢٧١
- ثالثاً : صفة الإرادة ٢٧٣
- رابعاً : صفة الحياة ٢٧٤
- خامساً : صفتا السمع والبصر ٢٧٤
- سادساً : صفة الكلام ٢٧٥
- موقف الناس من صفة الكلام وتأثر القاضي عياض بالأشاعرة في ذلك ٢٧٧
- الرد على القاضي عياض وعلى من أوّل صفة الكلام ٢٨٠
- سابعاً : صفة العلو ٢٨٥
- مناقشة القاضي عياض فيما ذهب إليه ٢٨٧
- بعض الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف على علو الله تعالى ٢٩٢
- ثامناً : صفة الوجه ٢٩٨
- تاسعاً : صفة العينين ٣٠١
- عاشراً : صفة اليدين ٣٠٢
- حادي عشر : صفة الأصابع ٣٠٨
- ثاني عشر : صفة الساق ٣١٤
- ثالث عشر : صفة القدم والرجل ٣١٧
- رابع عشر : صفة النفس ٣٢٢
- خامس عشر : صفة الجمال ٣٢٤
المطلب الخامس : ذكر جملة من الصفات الفعلية وموقف القاضي عياض منها ٣٢٥

- أولاً : صفة الاستواء - معنى العرش ٣٢٥
- موقف القاضي من استواء الله على عرشه ٣٢٦
- مذهب السلف في معنى استواء الله على عرشه وذكر بعض أقوالهم في هذا الأمر ٣٣٠
- بعض الأدلة من الكتاب والسنة على هذه الصفة ٣٣٣
- ثانياً : صفة المجيء والإتيان ٣٣٦
- موقف القاضي عياض من هذه الصفة والرد عليه في تأويلها وتأويل حديث الصورة لله ٣٣٦
- ثالثاً : صفة النزول ٣٤٢
- رابعاً : صفة المحبة ٣٤٦
- خامساً : صفة الغضب ٣٤٩
- سادساً : صفة الرحمة ٣٥١
- سابعاً : صفة الفرح ٣٥٥
- ثامناً : صفة الضحك ٣٥٧
- تاسعاً : صفة الحياء ٣٥٩
- عاشراً : صفة العجب ٣٦٢
- حادي عشر : صفة الغيرة ٣٦٥
- ثاني عشر : صفة المعية ٣٦٧

الفصل الخامس : منهج القاضي عياض في التكفير ونواقض الإسلام ٣٧٠
المبحث الأول : الشرك وأنواعه وكلام القاضي عياض عنه ٣٧٢
المطلـب الأول : معنى الشرك ٣٧٢
المطلـب الثاني : أقسام الشرك ٣٧٣
- القسم الأول : الشرك في توحيد الربوبية ٣٧٣
- القسم الثاني : الشرك في توحيد الأسماء والصفات ٣٧٥
- القسم الثالث : الشرك في توحيد الألوهية والعبادة ٣٧٦
- الشرك الأكبر وخطورته ٣٧٦
- الشرك الأصغر ٣٨٠
المطلـب الثالث : نماذج من الأعمال الشركية وكلام القاضي

عياض عنها ٣٨١
- السحر ٣٨١
- الكهانة والعرافة ٣٨٥
- التنجيم ٣٨٧
- الطيرة ٣٨٨
- الرقى ٣٩٣
- الحلف بغير الله ٣٩٤
- الرياء ٣٩٦
المبحث الثاني: ذكر نماذج من الأمور الكفرية المخرجة من الإسلام التي تكلم عنها القاضي عياض ٣٩٨
- تمهيـــد: قاعدة مهمة للتكفير ٣٩٨
- أنواع الكفر عند أهل السنة والجماعة ٣٩٩
المطلـب الأول: تكفيره لمن نفى عن الله الربوبية أو الوحدانية أو ادعى الألوهية، أو عبد غيره تعالى أو معه شيئاً ٤٠٠
المطلـب الثاني: تكفيره لمن لم ينزه الله عن كل نقص أو ادعى له شريكاً في الخلق والأمر ٤٠٥
المطلـب الثالث: تكفيره لمن سب الله تعالى أو انتقصه أو استخف به ٤٠٧
المطلـب الرابع: تكفيره لمن جحد النبوة لأي نبي أو لنبينا خاصة ٤١٢
المطلب الخامس: تكفيره لمن ادعى النبوة أو زعم أنها مكتسبة، أو قال بخصوصية نبوة محمد ﷺ، أو زعم مشاركة أحد معه فيها ٤١٤
- بعض النصوص على كفر من ادعى النبوة ٤١٥
- كفر من ادعى بأن النبوة مكتسبة أو أن المرء يصفو حتى يبلغ مرتبتها ٤١٧
- كفر من ادعى بأن علياً مشارك للرسول ﷺ في النبوة ٤١٧
- بعض الأدلة على عموم رسالة النبي ﷺ وكفر من أنكر ذلك ٤١٩
المطلب السادس: تكفيره لمن زعم أن في كل جنس من الحيوانات نبياً ونذيراً ٤٢٠
المطلب السابع: تكفيره لمن جوّز الكذب على الأنبياء أو قال بأن للشرع ظاهراً وباطناً ٤٢٢
المطلب الثامن: تكفيره لمن سب النبي ﷺ أو آذاه أو استخف به

أو بأحد من الأنبياء أو حاربه ٤٢٣
- بعض الأدلة من الكتاب والسنة على كفر وقتل من سب النبي ﷺ ٤٢٥
- إجماع الصحابة على كفر وقتل شاتم الرسول ﷺ ٤٣٠
- الجواب عما قد يستدل به من يرى استتابة الساب للرسول ﷺ ٤٣١
- كفر من اتهم عائشة رضي الله عنها بالزنا ٤٣٢
- كفر من سب نبياً من الأنبياء أو انتقصه ٤٣٤
المطلب التاسع: تكفيره لمن أنكر القرآن أو حرفاً منه أو زاد فيه أو غيّر شيئاً منه أو زعم أنه ليس بحجة للرسزل ﷺ ٤٣٥
المطلب العاشر: تكفيره لمن استخف بالقرآن أو سبّه أو جحد كتب الله المنزلة ٤٤٠
المطلب الحادي عشر: تكفيره لمن لم يكفر الكافرين أو شك في كفرهم أو صحّح مذهبهم ٤٤٢
المطلب الثاني عشر: تكفيره لمن كذّب أو أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة أو تأوله ٤٤٤
المطلب الثالث عشر: تكفيره لمن استحل ما حرّم الله بعد علمه علمه بتحريمه ٤٤٦
المطلب الرابع عشر: تكفيره لمن فعل أمراً أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر ٤٤٨

الباب الثالث: منهج القاضي عياض في قضايا الايمان ومباحثه وما يتعلق به من مسائل ٤٥١

الفصل الأول: موقفه من مسمى الايمان وما يتعلق به من مسائل ٤٥٢
المبحث الأول: تعريف الايمان لغة وشرعاً ٤٥٣
المطلب الأول: تعريف الايمان لغة ٤٥٣
المطلب الثاني تعريف الايمان شرعاً وذكر اختلاف الناس فيه ٤٥٤
المطلب الثالث: تقرير مذهب السلف في مسمى الايمان بذكر بعض أقوالهم في ذلك وأدلتهم ٤٥٧
المبحث الثاني: زيادة الايمان ونقصانه ٤٦٣
المطلب الأول: اختلاف الناس في زيادة الايمان ونقصانه ٤٦٣
المطلب الثاني: تقرير مذهب السلف وذكر بعض النصوص على

زيادة الإيمان ونقصانه ٤٦٤
المبحث الثالث : العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام ٤٦٨
المطلــب الأول : أقسام النصوص الوادرة في معنى الإيمان والإسلام ٤٦٨
المطلــب الثاني : موقف العلماء من هذه الأقسام ٤٧٠
المطلــب الثالث : رأي القاضي عياض في التفريق بين الإسلام والإيمان ٤٧١
المطلــب الرابع : الرأي الراجح في مسألة التفريق بين الإيمان والإسلام ٤٧٣
المبحث الرابع : حكم الاستثناء في الإيمان ٤٧٤
المطلــب الأول : اختلاف الناس في ذلك ٤٧٤
المطلــب الثاني : الرأي الراجح في المسألة وموافقة القاضي له ٤٧٥
المبحث الخامس : حكم مرتكب الكبيرة ٤٧٦
المطلــب الأول : تعريف الكبيرة لغة واصطلاحاً ٤٧٦
المطلــب الثاني : تقسيم الذنوب إلى كبيرة وصغيرة ٤٧٩
المطلــب الثالث : حكم مرتكب الكبيرة ٤٨٢
ذكر بعض النصوص من الكتاب والسنة وأقوال السلف على أن مرتكب الكبيرة فاسق غير خارج من الملة ٤٨٦

الفصل الثاني : منهج القاضي عياض في الإيمان بالنبوات ٤٩٢
المبحث الأول : تعريف النبوة والنبي والرسول والفرق بينهما ٤٩٤
المطلــب الأول : تعريف النبوة لغة واصطلاحاً ٤٩٥
المطلــب الثاني : الفرق بين النبي والرسول ٤٩٦
المبحث الثاني : حاجة البشرية إلى النبوة ٤٩٨
المطلــب الأول : النبوة ضرورة من الضروريات التي لا غنى للخلق عنها ٤٩٨
المطلــب الثاني : النبوة واسطة بين الخالق سبحانه وبين خلقه يمن بها على من يشاء ٥٠٠
المبحيث الثالث : حكم التفاضل بين الأنبياء وذكر بعض ما فضّل به نبينا ﷺ على سائر الرسل ٥٠٢
المطلــب الأول : إجماع العلماء على أن الأنبياء متفاضلون ٥٠٢

وجوابهم عما ورد من النهي عن ذلك ٥٠٢
المطلب الثاني: ذكر بعض الأمور التي فضل الله بها نبيه ﷺ على سائر الأنبياء والرسل ٥٠٥
المبحث الرابع: بعض صفات وخصائص الأنبياء والرسل عليهم السلام ٥١٢
المطلب الأول: البشرية ٥١٢
المطلب الثاني: الذكورة ٥١٥
المطلب الثالث: العصمة ٥١٧
- عصمتهم من الكفر والشك بالله والجواب عما قد يتوهم من عدم عصمتهم في ذلك ٥١٧
- عصمتهم من الذنوب ونقد كلام القاضي في ذلك ٥٢٢
- عصمتهم في البلاغ وإبطال قصة الغرانيق ٥٢٦
- عدم عصمة الأنبياء من العوارض البشرية والأمور الدنيوية ٥٢٢
المطلب الرابع: الصبر ٥٢٧
المطلب الخامس: حسن الخلق ٥٢٨
المطلب السادس: كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب ٥٢٩
المبحث الخامس: الإيمان بنبوة محمد ﷺ وما يستلزم ذلك من أمور ٥٤٠
المطلب الأول: فرض الإيمان بنبوة محمد ﷺ وبعض الأدلة عليه ٥٤٠
المطلب الثاني: وجوب طاعته ﷺ والتمسك بسنته ٥٤٢
- نماذج مما ورد عن السلف والأئمة في الحض على التمسك بالسنة والنهي عن البدع ٥٤٨
- التحذير من مخالفة النبي ﷺ والابتداع في دينه ٥٥٠
المطلب الثالث: وجوب محبته ﷺ وثوابها وعلاماتها ٥٥٢
- نماذج مما ورد عن السلف والأئمة في محبتهم للرسول ﷺ وشوقهم إليه ٥٦١
المطلب الرابع: وجوب تعظيم أمره ﷺ وتوقيره وبرّه ٥٦٤
- عادة الصحابة رضي الله عنهم في توقير وإجلال النبي ﷺ ٥٦٨
- نماذج من عادة السلف في تعظيم النبي ﷺ بعد موته وسيرتهم في تعظيم حديثه وسنته ٥٧٠
- من مستلزمات وعلامات توقير النبي ﷺ وبرّه ٥٧٢
- حكم القاضي عياض فيمن سب أصحاب النبي ﷺ أو انتقصهم ٥٧٩

المطلب الخامس : وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ وفضيلته وذم تاركه ٥٨١
- حكم الصلاة على غير النبي ﷺ ٥٨٤
المطلب السادس : من أسماء النبي ﷺ وألقابه ٥٨٥
المبحث السادس : من دلائل نبوته ﷺ ٥٨٧
المطلب الأول : القرآن الكريم المعجزة الخالدة للنبي ﷺ ٥٨٨
المطلب الثاني : انشقاق القمر ٥٩٢
المطلب الثالث : الإسراء والمعراج ٥٩٢
المطلب الرابع : نبوع الماء من بين أصابعه ﷺ حتى توضأ به بشر كثير ٥٩٤
المطلب الخامس : تكثير الطعام ببركته ودعائه ﷺ ٥٩٥
المطلب السادس : حنين الجذع إلى رسول الله ﷺ لمفارقته إياه ٥٩٦
المطلب السابع : تسليم الحجر عليه ﷺ ورجف الجبل تحته وسكونه لما ضربه برجله ٥٩٧
المطلب الثامن : إخبار الذراع للرسول ﷺ بأنها مسمومة ٥٩٧
المطلب التاسع : كلام الشجر للرسول ﷺ وشهادته له بالنبوة وإجابته دعوته ٥٩٩
المبحث السابع : الايمان بالملائكة والكتب المنزلة ٦٠٠
المطلب الأول : الايمان بالملائكة ٦٠٠
- بعض صفات وأصناف الملائكة والرد على من قال بعدم عصمتهم ٦٠٠
- أيهم أفضل الأنبياء أم الملائكة ٦٠٢
المطلب الثاني : الايمان بالكتب المنزلة ٦٠٤

الفصل الثالث : منهج القاضي عياض في الايمان بالمعاد واليوم الآخر ومقدماته ٦٠٦
المبحث الأول : معنى الايمان بالمعاد وأدلته وتقرير القاضي عياض له ٦٠٨
المطلب الأول : تعريفه وبعض أسمائه ومعنى الايمان به ٦٠٨
المطلب الثاني : بعض الأدلة على وجوب الايمان بالمعاد - اليوم الآخر - ٦٠٩
المطلب الثالث : تقرير القاضي عياض لعقيدة الايمان بالمعاد ٦١١

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني : الايمان بأشراط الساعة	
المطلـــب الأول : بعض العلامات الصغرى	٦١٤
- ظهور الفتن	٦١٤
- خروج الدجالين الكذابين أدعياء النبوة	٦١٦
المطلـــب الثاني : العلامات الكبرى	٦١٨
١ - ظهور الدجال	٦١٨
٢ - نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام	٦٢١
٣ - يأجوج ومأجوج	٦٢٧
٤ - خروج الدابة	٦٣٠
٥ - طلوع الشمس من مغربها	٦٣٢
٦ - الدخان	٦٣٤
- اختلاف العلماء حول المراد بالدخان ومتى يحدث	٦٣٥
٧ - خروج النار التي تحشر الناس إلى المحشر	٦٣٨
- بعض الأدلة على خروجها ومكان ذلك والجمع بين الأحاديث الواردة في مكانها	٦٣٨
- مكان الحشر وزمانه	٦٤٠
المبحث الثالث : الايمان بعذاب القبر ونعيمه	٦٤٢
المطلـــب الأول : تقرير القاضي عياض لمذهب أهل السنة في عذاب القبر ونعيمه وبعض الأدلة عليه	٦٤٣
المطلـــب الثاني : هل يسمع الميت	٦٤٦
المطلـــب الثالث : مستقر الأرواح	٦٤٧
المبحث الرابع : الايمان بالحشر والميزان والصراط والحوض	٦٤٩
المطلـــب الأول : الايمان بالحشر والميزان والصراط وبعض الأدلة على ذلك	٦٤٩
المطلـــب الثاني : الايمان بالحوض وبعض الأدلة عليه	٦٥٢
المبحث الخامس : الايمان بالشفاعة وأنواعها	٦٥٥
المطلـــب الأول : تقرير القاضي عياض للشفاعة	٦٥٥
المطلـــب الثاني : أنواع الشفاعة ومناقشة القاضي عياض فيما خالف فيه أهل السنة	٦٥٧
المبحث السادس : الايمان بالجنة والنار وأنهما موجودتان مخلوقتان لا تفنيان	٦٥٩

المطلــب الأول : مذهب أهل السنة في ذلك وتقرير القاضي عياض له ٦٥٩
المطلــب الثاني : بعض النصوص الدالة على وجود الجنة والنار وبقائهما ٦٦٠
المطلــب الثالث : الجواب عما يتوهم من فناء الجنة والنار من بعض الآيات وعما نسب لبعض السلف في ذلك ٦٦٥
المطلــب الرابع : الجنة فضل ورحمة من الله وليست عوضاً عن العمل ٦٦٨
المبحث السابع : الإيمان برؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الآخرة ٦٧٠
المطلــب الأول : رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة والأدلة على ذلك ٦٧٠
-موقف القاضي عياض من رؤية المؤمنين لله يوم القيامة ومناقشته في ذلك ٦٧٠
- بعض الأدلة على إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى ٦٧٢
المطلــب الثاني : هل يرى الكافرون ربهم ٦٧٧
المطلــب الثالث : هل رأى النبي ﷺ ربه في المعراج ٦٧٩
- مذاهب العلماء في رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل في المعراج ٦٧٩
- الراجح في المسألة ٦٨٤
المطلــب الرابع : رؤية الله في المنام ٦٨٦

الفصل الرابع : موقف القاضي عياض من الصوفية وبعض الفرق الأخرى ٦٨٨
المبحث الأول : محاربته لغلاة الصوفية ٦٩١
المطلــب الأول : تكفيره للقائلين بالحلول والزاعمين مجالسة الله ومكالمته والعروج إليه ٦٩١
المطلــب الثاني : تكفيره لمن يزعم رفع التكاليف الشرعية عنه ٦٩٢
المطلــب الثالث : تشنيعه على بعض آراء وكتب الصوفية ٦٩٤
المبحث الثاني : تأثر القاضي عياض بالصوفية في الآتي : ٦٩٦
المطلــب الأول : ترغيبه في زيارة قبر النبي ﷺ وروايته للأحاديث الواهية في ذلك ٦٩٦
- مناقشته فيما ذهب إليه والإجابة عما استدل به والتنبيه على ذلك ٦٩٨
المطلــب الثاني : تفضيله موضع قبره ﷺ على جميع البقاع ٧٠٤
المطلــب الثالث : تجويزه التوسل بالنبي ﷺ بعد مماته والتبرك ٧٠٥

بمواضعه وبالأماكن المقدسة	٧٠٥
المطلب الرابع: إطلاقه لفظ الحضرة على الله تعالى	٧٠٦
المبحث الثالث: موقفه من المعتزلة والخوارج	٧٠٨
المطلب الأول: نماذج من ردوده على المعتزلة	٧٠٨
المطلب الثاني: نماذج من ردوده على الخوارج والمعتزلة معاً	٧١٠
المبحث الرابع: موقفه من المرجئة والجهمية	٧١٢
المطلب الأول: موقفه من المرجئة	٧١٢
المطلب الثاني: موقفه من الجهمية	٧١٥
المبحث الخامس: موقفه من الرافضة والباطنية والفلاسفة	٧١٨
المطلب الأول: موقفه من الرافضة	٧١٨
المطلب الثاني: موقفه من الباطنية والفلاسفة	٧٢١
- ذكر نماذج من أقواله في الباطنية	٧٢١
- ذكر نماذج من أقواله في تكفير الفلاسفة ومن تبعهم من الباطنية	٧٢٢
- الخاتمة	٧٢٥
- الفهارس المتنوعة	٧٢٩
- فهرس الآيات القرآنية	٧٣٠
- فهرس الأحاديث النبوية	٧٧٠
- فهرس الآثار	٧٨٨
- فهرس الأعلام	٨٠١
- فهرس الفرق والطوائف	٨١٨
- فهرس القبائل والأماكن	٨٢٢
- فهرس المصطلحات	٨٢٩
- فهرس الشعر	٨٣١
- فهرس المصادر والمراجع	٨٣٤
- فهرس الموضوعات	٨٥٤

و- القاضي عياض يقول بالتفويض

بالرغم من أن القاضي عياض قد سار في باب الصفات في الغالب الأعم على مذهب المؤولين من الأشاعرة، إلا أنه قد تردد أحياناً في بعض الصفات فمرة يؤولها ويزعم أن ذلك هو مذهب المحققين، وأخرى يفوضها ويزعم أنه صحيح مذهب الأشعري وعامة الفقهاء والمحدثين، كما فعل ذلك في صفة الإستواء -كما سيأتي بيانه- وغيرها، فقد قال بعد ذكره لإختلاف وأقوال الناس في معنى الإستواء: (...وقيل استوى من المشكل الذي لايعلم تأويله إلا الله وعلينا الايمان به والتصديق وتفويض علمه إلى الله، وهو صحيح مذهب الأشعري وعامة الفقهاء والمحدثين والصواب إن شاء الله)(١).

وقال أيضاً: (إذا نزهنا الله تعالى عن الصورة الجثمانية فلا أبالي بعد وسلمنا معنى مشكل الحديث للعالم بغيبه تعالى، على مذهب أكثر السلف من الإيمان بها والتسليم في معناها وتنزيهه تعال عن ظاهرها)(٢).

قلت: لقد أخطأ القاضي عياض غفر الله له مرتين، المرة والأولى أنه نسب التفويض إلى أبي الحسن الأشعري -رحمه الله-، ومن المعروف عنه أنه يؤول الصفات ولا يثبت منها إلا سبعاً وقد كان هذا مذهبه قبل أن يمن الله عليه باعتناق مذهب السلف الصالح، أما بعد عودته إلى الحق، فقد تبرأ من مذهبه السابق وأثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه تعالى وما أثبته له رسوله ﷺ وقد ألف رحمه الله كتاب الإبانة عن أصول الديانة ذكر فيه مذهب السلف الصالح وارتضاه وقال إنه على عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ورد على من خالف ذلك(٣)، فنسبة التفويض للأشعري لا تصح.

والخطأ الثاني:الذي وقع فيه القاضي عياض، أنه نسب مذهب التفويض إلى السلف الصالح، ولو أنه أثبت إليهم التفويض في الكيفية لصح ذلك عنهم، لأنهم -رحمهم الله- أثبتوا معنى الصفات وفوضوا في كيفيتها، وهو معنى قولهم (والكيف مجهول) كما سبق ذكره(٤). لأن التفويض نوعان، تفويض في الكيفية مع إثبات المعنى الظاهر المراد، وهو الذي قال به السلف، وتفويض المعنى والكيفية، وهو الذي لايصح نسبته إلى السلف الصالح، فهم برآء من هذه

---

١) مشارق الانوار على صحاح الآثار ٢/٢٣١-٢٣٢ ومنهاج العوارف ص ١٨٣،٨٦.

٢) إكمال المعلم ١/١٣.

٣) انظر الابانة عن أصول الديانة ص ١٤،٢٠ وما بعدها وانظر أيضاً كتابه رسالة إلى أهل الثغر فقد ذكر فيه مذهب السلف وارتضاه وقال إنهم عليه.

٤) راجع نماذج من أقوالهم في هذا المعنى في المبحث السابق.